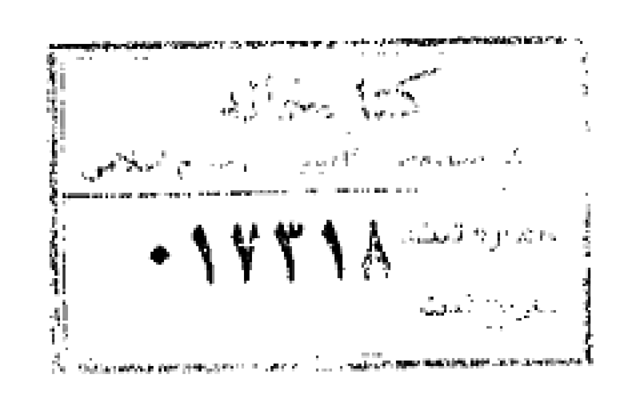


عِلمُ اليَقين

في اصول الدين

تأليف

المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتألّه محمد بن المرتضى المدعو

بالمولى محسن الكاشاني ره

المتوفى ١٠٩١ هـ

تحقيق وتعليق

محسن بيدارفر

الجزء الأول



الكتاب .... علم اليقين في أُصول الدين
المؤلف .... محمّد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الفيض الكاشاني
المحقق .... محسن بيدارفر
الناشر .... منشورات بيدار ـ قم ✆ ٧٤٣٤٢٩
المطبعة .... أمير ـ قم
الطبعة .... الأُولى مع التصحيح والتعليق
الجزء .... الأُول
التاريخ .... ١٣٧٧ ش. ١٤١٨ ق.
عدد النسخ ١٠٠٠
شابك ٩٦٤-٩٠٨٠٠-١-٥ .... ISBN 964-90800-1-5
ج١ ٩٦٤-٩٠٨٠٠-٢-٣ 964-90800-2-3

فهرس عناوين المقدمة :

*



رب يسّر ولاتعسّر

چون مست می شوید زشرب مدام می
مستیّ بنده هم به دعا آرزو کنید
دُردی کشان ، بهم چو بپاشد وجود من
در گردن شما که زخاکم سبو کنید
بی بادگان ، چومستیتان آرزو شود
آئید و خاكِ مقبرهٔ فیض بو کنید[1]

تقديم :

ثلاثة من قدماء المحدّثين ألّفوا كتباً أصبحت مراجع أساسيّة للحديث عند الشيعة الإمامية ، واشتهروا بالمحمّدين الأوائل ، وهم مؤلّفو الكتب الأربعة ـ الشيخ الكليني والصدوق والطّوسي ، وكل منهم اسمه «محمد» ـ قدّس الله أسرارهم ـ ؛ واتّفق أن جاء في متأخّري المحدّثين ـ الذين عاشوا في المائة الحادية عشرة ـ ثلاثة ودوّنوا كتباً أصبحت كذلك على غرار كتب الأوائل ؛ ومن نوادر الصدف ـ لوصحّت التسمية ـ أنّ هؤلاء أيضاً اسمهم «محمد» ، وهم محمّد بن الحسن الحرّ العاملي صاحب الوسائل ، ومحمّد باقر المجلسي صاحب البحار ، ومحمّد محسن الفيض الكاشاني صاحب الوافي ـ الذي نتصدي نحن الآن للتعريف به وتفصيل ترجمته ـ قدّس الله أسرارهم جميعاً وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ـ .

١ـ ديوان فيض : ٢/٥٢٠ـ٥٢١ .

وقد امتاز الفيض عن معاصريه بخاصّة ـ ولكلّ منهم ميزات ـ جعلته ينفرد عنهما عند الاعتبار ، وهو جامعيّته في العلم والتأليف والعمل ؛ فإنّه محدِّث نحرير ، وفقيه فحل ، وحكيم إلهي ، ومتكلم شهير ، وشاعر مفلق ، وفوق هذا كلّه عارف عامل ذو نسك واجتهاد ، وقلّما يتّفق اجتماع هذه الخصوصيّات في شخص واحد ، و ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُعْطِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُوٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [٦٢/٤] .

أسرة الفيض :

وامتاز بأنّه وُلد ونشأ في أسرة عريقة وبيت حافل بالعلماء والمؤلّفين ، ولعله لم يتّفق لأسرة أخرى هذه المجموعة الممتازة ، فقد كان جدُّه تاج الدين محمود ، وأبوه الشاه مرتضى ، وخاله نورالدين محمّد بن ضياء الدين ، وإخوان الفيض : محمّد مؤمن ، وعبدالغفور ، وضياء الدين محمّد ، وصدرالدين محمد ومرتضى بن مرتضى ؛ وأبناؤه : أبو حامد محمّد نورالهدى ، وأبو علي معين الدين أحمد ، ومحمّد بن محمّد علم الهدى ، وكذلك أحفاده ، كلهم من العلماء والمحدّثين والمؤلفين ـ على أنّه صاهر الحكيم الإلهي والعارف الربّاني الشهير المولى صدرا الشيرازي ـ رحمة الله عليهم أجمعين[1] .

اسمه ونسبه :

اسمه ـ كما كتبه في أوائل كتبه ـ محمّد بن المرتضى المدعوّ بمحسن . وأبوه الشاه مرتضى بن الشاه محمود ولد سنة ٩٥٠ هـ وتوفي سنة ١٠٠٩[2] هـ في كاشان ، وبها قبره الشريف . وحيث أنّ الفيض ولد سنة ١٠٠٧ هـ فكان عند وفاة والده في الثانية من عمره الشريف .

١- لقد أشبع الكلام في هذا المضمار وفصّل القول فيه المرحوم آية العظمى المرعشي النجفي ـ قده ـ في مقدمة كتاب معادن الحكمة : ٢٦-٦٣ . راجع أيضا مقدمة ديوان الفيض : ٢١/١-٥٩ .

٢- مقدمة معادن الحكمة : ١١ .

ولادته ووفاته :

ولد المترجم له ـ كما جاء في مجموعة المواليد والوفيات[1] ـ في رابع عشر شهر صفر سنة ١٠٠٧ . على أنّه نفسه أيضا أفصح عن سنة ولادته حيث قال في خاتمة كتابه الحقائق[2] : « ولقد وفّقنا الله تعالى لجمعها وتأليفها في مدّة أشهر قلائل من سنة تسعين وألف الهجريّة ، حين كنت أشرفت على الرحيل ، وكان قد مضى من عمري ثلاث وثمانون ونيف قليل » . فلوأخذنا (٨٣) من (١٠٩٠) تكون سنة ولادته (١٠٠٧) .

وتوفّي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٠٩١ ـ كما جاء في المجموعة المذكورة وسائر المراجع أيضا .

سيرته :

عاش ـ قده ـ في أوج اقتدارالدولة الصفويّة في إيران وعاصر أربعة من ملوكها الشاه عبّاس الأول (٩٩٦-١٠٣٨) ، الشاه صفي (١٠٣٨-١٠٥٢) ، الشاه عباس الثاني (١٠٥٢-١٠٧٧) ، والشاه سليمان (١٠٧٧-١١٠٦) ـ ومع أنّ ذلك العصر كان مسرحا لحروب طاحنة في عدة مناطق حدودية ـ مثل آذربيجان وخراسان والعراق ـ بين الصفويين ومجاوريهم ـ من العثمانيّين والكوركانيين وغيرهم ـ فإنّ المناطق الداخليّة والمركزيّة كانت في أمن ودعة ، وبذلك تمكّن المواطنون من الإقبال على التعلم والتعليم ، كما صار سببا لهجرة جمع من العلماء إليها ؛ وصار عاصمة الدولة الصفويّة ـ أصبهان ـ مركزًا علميًّا حافلا لجهابذة من المشاهير ، اشتغلوا فيها بالإفادة والاستفادة ـ مثل الشيخ البهائي والسيد الداماد والمير الفندرسكي وغيرهم .

وفي هذه الظروف الزمانيّة والمكانيّة نشأ الفيض وعاش ودرس وسافر

١- نقلا عن مقدمة معادن الحكمة : ٩ . وهذه المجموعة المكتوبة بخط ابنه علم الهدى موجودة في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي كما كتبه ـ ره ـ في هذه المقدمة .

٢- الحقائق : ٣٢٤ .

واشتغل بالتأليف والتعليم وإرشاد العوام والخواصّ . ويظهر من التأمّل في سيرته أنّه سار مراحل ثلاث :

ففي المرحلة الأُولى اشتغل بتحصيل المقدّمات والعلوم الظاهرية إلى أن بلغ رتبة الاجتهاد فيها ، وذلك حين اشتغاله بالتعلم في مولده كاشان ثم رحلته إلى أصبهان وشيراز .

والمرحلة الثانية تبدأ من حين رجوعه من شيراز ، حيث لم ير فيما حصّله في المرحلة الأُولى رواء غلّته وشفاء علّته ؛ فأخذ بعد ما أحكم العلم الظاهر يفحّص عمن عنده شيء من علم الباطن ؛ وإن كان من أول أمره أيضا راغبا في ذلك سائلا عنه ، إلا أنه لم يكن فيه مجدّا إلى ذلك المقدار ، فسافر في البلاد وطاف الديار حتّى وصل ـ كما قال ـ في قم إلى صدرالمتألهين الشيرازي ، فأقام عنده سنين مشتغلا بالرياضات وتحصيل علم الباطن ، وكان في هذه الأوان ذاشوق واهتمام وجدّ ، يكتب ويقول ويصرح بمكنوناته ويبتهج بها ؛ وهذه المرحلة ابتدأت من رجوعه من شيراز إلى أصبهان ثم رحلاته إلى البلاد وإقامته في قم ورجوعه مع صدرالمتألهين إلى شيراز ورجوعه بالأخير وبعد فوت صدرالمتألهين إلى مولده كاشان وبقائه فيها مدة .

والمرحلة الثالثة تبدأ من هذا التأريخ بعد ما تكامل وحصّل العلوم والتجارب الضروريّة في العلم والعمل ، ونال من العوام والخواصّ من معاصريه مانال ، فرأى النجاة والراحة في الإعراض عن الخلق باطنا والكون معهم ظاهرا ، والإقبال على الاهتمام بالنفس عملا والتمسك بالثقلين والتفكر فيهما علما ، وفي هذه المرحلة نراه عالما عارفا معتدلا ، بلاإفراط ولاتفريط ، يراعي الظاهر والباطن ، يعيش مع الخلق ويكتب لهم ويهديهم في الظاهر ، ولايختلط بهم وينعزل عنهم ويستمر مسيره في الباطن .

هذا ما نستنجه من التأمّل في سيرة المترجم له قدس سره ـ العلمية والعملية ـ ولنستمع إلى ما كتبه في رسالته «شرح الصدر» حيث شرح فيها قسما من سيرته وسوانح أيّام حياته ، قائلا أنه «لمّا لم يجد أحدا يظهر له مافي قلبه من عقد المكاره ، رأى أن يكتب ذلك بمعونة القلم في أوراق ينفّس بها كربته ؛ والرسالة مؤلّفة في سنة (١٠٦٥) حين كان في الثامنة والخمسين من

عمره الشريف ـ قده ـ وبما أنّها مكتوبة بالفارسية نقوم بتعريب المقصود منها ملخّصا[1] :

قال ـ قده ـ :

« المنّة لله ـ عز وجلّ ـ بما ألقى من أوان الصبا في قلب عبده هذا شوقا إلى تحصيل الكمال وطلبه ، وكرّمه بإخلاص النيّة ، حتى تكون هذه النعم معينة له في سفره في طريق الحق . ووفّقه لأن يكون من مبدء أمره إلى الآن ـ وقد جاوز عمره الثامنة والخمسون ـ إذا صرف شيئا من عمره فيما لايعني أو في غير سلوك سبيل الحقّ ، رأى ذلك غبنا عظيما ـ ولافخر .

كنت[2] برهة في خدمة خالي المعظّم ـ الذي كان من الممتازين في عصره ـ في كاشان ، مشتغلا بتعلم التفسير والحديث والفقه وأصول الدين وماتتوقّف عليه هذه العلوم من العربيّة والمنطق وغيرها ، إذ كان أبي وجدّي من المشتغلين بهذه العلوم والمخصوصين بالصلاح والعزلة ، ولم يتلوّث ذيل عزّتهم بغبار فضول الدنيا .

وبعد انقضاء العشرين من العمر سافرت إلى أصبهان لتحصيل الزيادة من العلوم الدينيّة ، وتشرفّت بخدمة جمع من الفضلاء ـ كثّر الله أمثالهم ـ ولكن لم أجد هنا أحدا عنده خبر من علم الباطن ، وتعلمت فيه شيئا من العلم الرياضي ، ثم توجّهت إلى شيراز لتحصيل الحديث والإسنادات المعنعنة ، ووصلت إلى خدمة فقيه العصر والمتبحّر في العلوم الظاهرية ، أعني السيد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني ـ تغمّده الله بغفرانه ـ واستفدت من حضرته ـ سماعا وقراءة وإجازة ـ شطرا معتدّا به من الحديث ومتعلقاته ، حتّى حصلت لي بصيرة ـ في الجملة ـ في علم الحلال والحرام وسائر الأحكام ، واستغنيت عن التقليد .

فرجعت إلى أصبهان ووصلت إلى حضرة الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ـ قدّس سرّه ـ وأخذت منه إجازة الرواية أيضا ، ثم توجّهت إلى

١ـ مجموعة الرسائل العشر الفارسية للفيض ـ قده ـ: ٤٥ـ٧٣ .

٢ـ الضمائر في النص الأصلي جميعها بصيغة الغائب ، وقد أبدلناها إلى الضمير الحاضر لكونه أوضح .

الحجاز وبعد توفيق التشرّف إلى حَجّة الإسلام وزيارة سيّد الأنام والأئمّة المعصومين ﷺ تشرّفت في هذا السفر بخدمة الشيخ محمّد بن الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين العاملي ـ أطاب الله ثراه ـ واستفدت منه ، وأخذت منه إجازة الحديث أيضا .

وفي أثناء عودتي من هذا السفر أصابتني مصيبة شديدة بسبب قطّاع الطرق ، إذ قتل بيدهم أخي الذي كان أعزّ عندي من نفسي ، وقد وصل إلى رتبة الاجتهاد وهو في الثامنة عشر من عمره ، و قد جُمع له مع الذكاء البالغ الدرجة العالية من التقوى والفهم الصحيح والذهن الوقّاد وجودة الطبع ؛ وكان في الموافقة والمناسبة والمؤالفة معي إلى حدّ تحسبنا روحا في بدنين ، وكنا رفيقين شفيقين ومونسين وظهيرين ـ أطاب الله ثراه وجعل الجنّة مثواه ـ . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ولم أزل بعد هذه المصيبة العظمى كنت طائفا في البلاد متفحّصا عن العلم والكمال ، وحيث أشير إلى أحد بأنّ عنده شيئا من الكمال سعيت إليه سحباعلى الهام لامشيا على الأقدام ، ومستفيدا منه بقدر الإمكان والاستعداد .

حتّى وصلت في بلدة قم ـ الطيّبة ـ بخدمة صدر أهل العرفان وبدر سماء الإيقان صدر الدين محمّد الشيرازي ـ قدّس الله روحه وسرّه ـ وكان في علم الباطن وحيد دهره وفريد عصره ، فأقمت عنده ثماني سنين مشتغلا بالرياضات والمجاهدات ، حتّى حصل لي ـ في الجملة ـ بصيرة في علم الباطن ، وتشرّفت في الأخير بمصاهرته الشريفة .

ولما عزم على التوجّه إلى شيراز سرت معه ، وبمقتضى ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [٢٧/٢٨] أقمت عنده قرب سنتين أيضا ، واستفدت من بركات أنفاسه الطيّبة كثيرا .

ثم عملا بنصّ كريمة ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [١٢٢/٩] رأيت من الواجب الرجوع والاشتغال بتدريس أحاديث أهل بيت العصمة والالتجاء إلى زاوية والاهتمام بالجمعة والجماعة وتأليف الكتب والرسائل ، ونصيحة العوام وبيان المسائل .

وكنت أرى قدري أعلى من أن يحوم حول حطام الدنيا ؛ حتّى وصل إليّ يوما أحد مقرّبي السلطان المغفورله سلالة السادات الملك صفي[1] ـ تغمّده الله بغفرانه ـ وأخبرني أنه يريد ملاقاتي وعليّ أن أتوجّه إلى حضرته ؛ فلما تشرّفت لملاقاته قرّبني وكلفني الإقامة في خدمته .

ولكن لما كان في حاشيته جمع من علماء الظاهر ، ولم أكن أعرف كيفيّة التعامل معهم ، ولأرى في ذلك صلاح ديني ودنياي ـ فإنّ تأييد الدين لم يكن ميسورا لي معهم على هذه الحال ، وتفوتني ـ مع هذا الوبال ـ حرّيتي وراحتي في الدنيا أيضا ـ فلذلك استعفيت من هذا الأمر ، و صار استعفائي ـ والحمد لله ـ مقرونا بالإجابة .

فاشتغلت مدة بعد ذلك في ظل القناعة بترويج الدين قولا وفعلا حسب المقدور ، وكنت ببركة العلم والعمل ومحبة أهل البيت أزداد يوما فيوما من استكشاف أسرار كلماتهم ـ سلام الله عليهم ـ وأفوز بفتوحات وفيوضات في المعارف الدينية والمعارف اليقينية ، ويفتح لي في كل برهة باب من علم ، ومن كل باب أبواب أخر .

وكانت الأيام تنقضي على ذلك إلى أن وصلت إليّ رسالة من الملك المقتدر ، مستعبد السلاطين ، شاه عباس الثاني[2] ـ خلد الله ملكه ـ يأمرني

١- حكم بعد الشاه عبّاس الأول : ١٠٣٨ـ١٠٥٢ .

٢- تولى الحكم بعد الشاه صفي (١٠٥٢-١٠٧٧) وكان زمان كتابة رسالة الفيض ـ هذه (١٠٦٥) ـ على سرير الحكم كماهو ظاهر من تعبير الفيض أيضا .

ويوجد في مخطوطة (٣٩٤٥) مكتبة آية الله المرعشي (فهرس مخطوطات المكتبة : ٣٢٦/١٠) رسالة من بعض السلاطين إلى الفيض يحتمل كونها مواد هذه الرسالة ، جاء فيها :

« آنكه افادت وافاضت پناه ، فضائل وكمالات دستگاه ، حقائق ومعارف آگاه ، زمرهٔ واياقتگان دين مبين ، عمدهٔ وارسيدگان حق ويقين ، جامع المعقول والمنقول ، حاوى الفروع والاصول ، علامى فهامى ، شمس الافادة والافاضة والفضيلة والمعالي ، مولانا محمد محسن ، به عنايت بيكران خسروانه مستمال بوده بداند ، كه چون پاداش دارى شكر هر چيزى باز آيد ، انعام منعم ووجوب اتيان تحميد ، درخورِ اكرام مكرم ـــ

بالتوجّه إليه . وذلك الطلب وإن كان مضمونه ترويج الجمعة والجماعات ونشر العلوم الدينية وتعليم الشريعة ، ولكن يستشمّ من مطاويه ريح الاستغراق في بحر لاساحل له ؛ ولذلك تحيّر العقل وتردّد فيه ، إلى أن هبّ نسيم الصبا من مشرق النفَس الرحماني إلى العالم الجسماني ، يعاتبني بأنك ـ مع استجماع أسباب العزلة لك ووصولك إلى خزانة القناعة والفراغ والحرّية وطهارة الذيل عن الأعمال ـ مابدا للهمة التي لم تتنزل في شبابها لدى نعيم الكونين ، ترغب في سنين الشيخوخة في هذه الأمور وترضى لأن تكون موطأً للحوادث والدهور ؟ !

فكنت متردّدا فيها حتّى أقبل إليّ الحاكم العقلانيّ وأظهر نكتة تستفاد من

مى باشد ... وازاينقرار هر گروهى كه از درگاه عنايت كريم مطلق اعطاى گوهر گرانبهاى مذهب بحق ائمهٔ اثناعشر وفرمانفرماى نوع بشر ، كه عمدهٔ عطايا وزبدهٔ مرايا بخشندهٔ عطياتست اختصاص يافته باشند ، رعايت اين معنى بيشتر از ديگران لازم ومراعات آن فرض ومتحتم است ؛ وچنانچه اين فرقهٔ والا طبقهٔ معلى مشغول الذمهٔ اين دين واجب الأداء مى باشد ، برواقفان رموز عرفانى وعارفان ايقانى نيز در مذهب دينداری وكيش تيقظ وبيدارى فرض عين وعين فرض است كه معاضدت حارسان نقود شريعت وحافظان گوهر نواميس ملت نمايند ... ودرين وقت كه تقويت اين مرام واستحصال اين كام بر سوالف ايام رجحان دارد ، مطمح نظر والا ، ومركوز خاطر معلى آنست كه ، تيمار جماعت كه در حقيقت اداى دين واجبى به شهادت عدول مؤمنين است قيام نمايد ؛ كه چون بر مضمون فرمان واجب الاذعان اطلاع حاصل نمايد از روى اميدوارى تمام روانهٔ درگاه جهان پناه ماشده ، به تقديم اين امر شريف ، كه در حقيقت استرضاء فرمان روائى صورت ومعنى است عمدهٔ عبادات وخلاصهٔ طاعات داند . و به توجهات شاهانه مستمال بوده اميدوار باشد » .

وفي مخطوطة رقم (٤٦٠٢) مكتبة جامعة طهران (فهرس مخطوطات المكتبة ٣٥٣٣/١٤) مجموعة من مراسلات الفيض وغيره ويوجد فيها رسالة من الشاه عباس إليه (الورقة ٣٦١-٣٦٤) وأيضا رسالة من الفيض إليه (الورقة ٣٦٤-٣٦٨) وجاء في الفهرس أن مضمون مكتوب الفيض حول صلاة الجمعة وطلب الإنزواء ، وحيث ذكر أنّ تاريخ رسالة الفيض (ذي القعدة ١٠٦٦) ـ يعني بعد مضيّ سنة من تأليف رسالة شرح الصدر يعلم منها أنّ طلب السلطان من الفيض تكرر أيضا بعد المرّة الأولى وأنّه استعفى عن الأمر وقدّم تلك الأعذار .

نصّ كريمة ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِٱلعُقُودِ ﴾ [١/٥] وأزال بها ماعرض لي من الشبهات والشكوك .

وملخّص ذلك أنّ رابطة الإيمان مع الشرع المحمديّ تستحكم إذا وفى المؤمن بكل عهد عاهده في كل من الحضرات والعوالم مع كل من الكائنات ، وعمل بمقتضى تلك العهود وقام بها ؛ وهذا المعنى لايتحقق إلا بالاختلاط مع أهل الزمان ومقاساة الحوادث في الأزمان .

بلى ـ في ابتداء الحال لما لم يتوجّه من تفرقة الخارج إلى جمعية الداخل وكان منسرحا في عالم الهوى لاخبر له من وجوده ومعرفة نفسه ، يقتضي حكم « من حُسن إسلام المرء تركه مالايعنيه »[١] أن يسلك سبيل الترك وينزل في منزل التجريد ؛ ولكن بعد ماوصل إلى مقام الفتوّة والرجوليّة ، يتحتّم عليه الولوج في سوق الاختلاط ، حتّى تصيبه إصابات الحوادث ، وتصل إليه في كل لحظة نائبة من نوائب الدهر . فالواجب عليّ لما وقعت في زمان ودولة قاهرة مريدة لاستحكام قواعد الملك واستمرار الدين الشريف ، أن أكون في حواشيها عونا ، نصرة في ترويج الدين وسياق الأمور إلى الصراط المستقيم .

وبعد اللتيا والتي توجّهت إلى صوب الملك ، ولما وصلت إليه رأيته أكثر مما كنت أسمع وأتصوّر ، ولما تشرّفت بملاقاته قرّبني وكرّمني ، وبعد جلسة أو جلستين من الحديث معه رأيته متوجّها إلى تشييد مباني الدين القويم والشرع المستقيم ؛ وإقامة الصلوات وترويج الجمعة والجماعات ؛ فلعله بحكم ﴿ إنّ ٱلصَّلوٰةَ تَنهَىٰ عَنِ ٱلفَحشَاءِ وَ ٱلمُنكَرِ ﴾ [٢٩/٤٥] يُترك بعض ماكان في طباع الناس من المنكر ويهجر .

ولكن بحكم أن كل من اختصّ بعناية ملك من الملوك صار هدفا لسهام غيظ جمع من العفاريت المتشبّهين بالآدميّين ، والجهّال المتلبّسين بلباس أهل العلم ، والمريدين العلوّ والفساد ـ الذين هم موجودون في جميع الحواشي ، منتظرون للوصول إلى هذه المقامات التي لايتصوّرون فوقها شيئا في هذا الملك والملكوت ـ فعادوني وسعوا فيّ وأرادوا إطفاء نور الله بأفواههم .

١- تحف العقول : وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام ، ٣٩٥ . عنه البحار : ١/ ١٥٠ .

وكذلك جمع من أرباب العمائم المدّعين للاجتهاد والعلوم الشرعيّة انصرفوا مع جمع من العوام في ناحية مشتغلين بهذه العبادات تاركين للجمع حبّا للرياسة .

وجمع آخر ـ من الذين غابوا عن أُفق الإنسانيّة جدًا ولم يبق فيهم شيء من الدين الحنيف ـ أخذوا يحرّمون الاشتغال بالجمعة والجماعات عند العوام ، ويعدّونه من العار والحرام ؛ ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [٨/٦١] .

وبالجملة أجمع الجميع على أن لايعتصموا بحبل الله ويتفرّقوا ، ويعرضوا عن الثقلين ولايصغوا إلى محكمات القرآن والحديث ؛ لايسمح لهم طبعهم أن يقلدوا ، ولم يكن لهم توفيق أن يحقّقوا .

فجماع هذه الأُمور صار باعثا لفتور العزم السلطاني ، ولم يتمكّن الجمع الموجودون بالحضرة من الأذكياء ـ الذين كانوا عارفين بحقيقة الأمر ـ من نصرتي وإعانتي ، ولم أر نفسي فارس ميدان الجهّال والجدال ؛ ورأيتُني تركت ماكنت فيه من الدعة والعافية والانزواء ، ولم أصل إلى مُنيتي وخاطري ، ملقى بين الأعداء ، ليس لي ناصر ولامعين ولاراحة في دنيا ولاترويج لدين .

بلى في هذا الابتلاء والامتحان ، والوقوع في أمواج هذا البحر الخضم ، حصلت لي تجارب وصرت مصداقا للحديث المعروف[1] : « عارفا بأهل زمانه » ؛ وعرفت وجه ارتداد العامة بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ وزاد معرفتي بالحقّ وأوليائه وأعدائه ، وأعرضت عن غير الحق بالمرة .

مونس وغمگسار من نيست بجز خيال او
گر نبود خيال او ، با كه دمى بسر برم
ديده دمى گشوده ام ، گو كه در آيد از درم
تخم وِلاش كِشته ام ، تا كه ازو ثِمر برم
كى بود آنكه وصل او روزى جان من شود
روى كنم به روى او ، غصه زدل بدر برم

١- الكافي : ٢/٢٢٤ . كتاب الإيمان والكفر ، باب الكتمان ، ح١٠ .

ليس ما أقول إلا قصّة العشق والاشتياق ، وشرحا للقلب المحروق من الفراق ، يفهم ذلك من كان له قلب أو ألقى السمع وسمع الكلام من قائله لا مَن يُخبر عنه ، أعني من كان من أهلِ الحضور والشهود ، لامن الذين ﴿ يُنادونَ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤١/٤٤] ﴿ إنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٥٠/٣٧] .

قصهٔ عشق سروديم بسی — سوى ما گوش نينداخت كسى
ناله بيهوده ، تاچند توان — كو درين باديه فرياد رسى
نيست در روى زمين اهل دلى — نيست در زير فلك هم نفسى
نيست درباغ جهان جزخارى — نيست در دورِ زمان غيرِ خَسى
به سراپاى جهان گرديدم — آشناىِ دل ما كيست كسى
رفته رفته زبَرِ ما رفتند — نيست جز ناله كنون هم نفسى

. . . .

كو كسى تا كه بفهمد سخنى — كو كسى تاببرد مُقتَبسى
چه سُرايم سخن ، پيشِ كران — گوهرى را چه محل نزدِ خسى
چه نمائيم به كوران خوبى — شكرى را چه كند خر مگسى
سرِ اين شهد بپوشان اى فيض — نيست در دهر خريدار كسى

ـ انتهى ما أخذناه وعرّبناه من رسالة شرح الصدر[1] .

١- وله ـ قده ـ رسالة (طبعت باسم «الاعتذار» مع عدة من رسائله بأصبهان سنة ١٣٧١ ، ص٢٧٨-٢٩١) كتبها معتذرا عمن سأله التوسط لدى السلطان لأن ينصبه إماما للجمعة والجماعات في مشهدالرضا عليه السلام ؛ فاعتذر عن إجابة المأمول وكتب سيرته وعدم طلبه شيئا من أحد ـ وسيما من الحكام ـ طوال عمره كعذر إلى السائل ؛ وهذه الرسالة ـ كما يظهر منها ـ كتبها حينما كان في أصبهان مشتغلا بإقامة الجمعة والجماعات وهدفا لسهام الحسّاد والجهّال من العوام والخواصّ ؛ تكررفيها ما جاء من ذلك في رسالة شرح الصدر وقال في آخرها : «ولقد صرت في أمري والها حيران ، لاأدري ماذا أصنع ، وإلى أين أهرب ، ضلت عنّي الفتوّة ، والمروّة ، ولاأجد أحدا محلا للأخوّة ، ولا أهلا للمروّة ، بين قوم لايدرون أبّا من أيّ ، وليسوا من رعاة الدين في شيء ، حتّى أُسرتي وأصحابي ، ، فإنّهم سالكون غير سبيلي وليس أحد منهم من قبيلي ، ...» . —

ونلخص المعلومات الواردة في هذه الرسالة وغيرها حول رحلات الفيض كمايلي :

إنّه سافر إلى أصبهان في العشرين من عمره ، أي في سنة ١٠٢٧ ـ بناء على أنّ سنة ولادته هي : ١٠٠٧ .

رحل إلى شيراز في نفس السنة بناء على أنّ وفات السيد ماجد البحراني كانت في سنة ١٠٢٨ ، وصرح الفيض أنه أقام عنده مدّة وأخذ منه إجازة ، فلا أقلّ أن يكون ذلك في سنتين أو مايقرب منها .

والظنّ الغالب أنّه رجع إلى أصبهان في نفس السنة ، وقد صرح أنّه بعد الرجوع إلى أصبهان و الاستفادة من الشيخ البهائي وأخذ إجازة الحديث منه سافر إلى الحج وبعد الرجوع من الحج والطواف في بعض البلاد وصل إلى صدرالمتألهين في قم ، فيمكن أن نحدس أنّه كان حوالي سنة ١٠٣٢ .

وقد أقام في قم ثماني سنين ـ على ماصرّح به ـ وبنى ببنت صدرالمتألهين فيه ، ثمّ رحل معه إلى شيراز بعد سنة ١٠٣٩ ، إذ فيها ولد ابنه علم الهدى في قم ، فكان الفيض في هذه السنة ساكنا في قم ، فالرجوع إلى شيراز وقع في هذه السنة أو بعدها . وعلى هذا لايصح ماجاء في بعض المصادر[1] من أنّ رجوع صدرالمتألهين إلى شيراز كان بأمر الشاه عباس الأول الصفوي ، فإنّ هذا السلطان توفّى سنة ١٠٣٨ ، والفيض كان بعد هذه

وليست في هذه الرسالة زيادة على ما في شرح الصدر غير أنّه قال فيها : «... وانّي كنت برهة من الزمان أعيش مع جماعة من الأطفال والعيال بلا كسب ولاوقف ولاوظيفة ولاسؤال ، ولاقبول تصديق ولا إدرار من شبهة أو حلال ، وماكان لي صناعة ولابضاعة سوى غنى النفس ؛ بل كنت قد ورثت من والدي ـ طاب ثراه ـ من الحلال مالو كان وظيفة عام لأحدكم لاستقله غاية الاستقلال ، كنت قد أودعته عند من يتّجر لي به ـ وكنت أكافيه على تجارته بشيء من ربحه لئلايكون لمخلوق عليّ منّة ـ وكان يعطيني من ربحه ما أكتفي به وأقنع ، وبالقناعة به أشبع ؛ وكنت معرضا عن الإنفاق في الفضول ، ورضيت عن نفسي بترك مروّة للإعطاء ، لما رأيت أن المروّة في التعفّف أكثر منه في الإعطاء ... » .

١- عالم آراى عباسى .

السنة أيضا في قم مع صهره صدرالمتألهين ، أو لعلّ الأمر به صدر قبل فوت الشاه عباس وتأخر العمل بها لبعض الأمور .

وبعد سنتين رجع إلى كاشان وأقام فيها ؛ فالوصول إلى كاشان كان حوالي سنة ١٠٤١-١٠٤٢ ، على التخمين القريب من اليقين .

كاشان وصفاهان وقم وقمصر وشيراز بردیم بسر در همه با مهتر وكهتر
هرچند كه جستيم نديديم ونماندست آن يارالهى كه بريم ازسخنش بر[1]

كلمات العلماء في شأنه

ترجم له جميع مصنفي كتب التراجم وأثنى عليه جميع العلماء والمترجمين إلا من شذّ وندر .

فأقدم من ذكره معاصره السيد علي خان المدني حيث قال[2] :

«المولى العلامة محمد بن الشاه مرتضى الشهير بملامحسن القاشاني ، له كتب ومصنفات جليلة في الفقه والحديث والكلام والحكمة ، وهو من أهل العصر الموجودين الآن» .

ثم الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل[3] :

« المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ، كان فاضلا عالما ماهرا حكيما متكلما محدّثا فقيها محقّقا شاعرا أديبا حسَن التصنيف من المعاصرين له كتب منها كتاب الوافي ، جمَع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أنّ فيه ميلا إلى بعض طريقة الصوفيّة ، وكذا جملة من كتبه ...» .

وكتب تلميذه السيد نعمة الله الجزائري[4] :

«وحكى لي جماعة من الثقات أنّها نقلت بعض القرى من أماكنها ، فلمّا

١- ديوان الفيض : ٣٣٤/١ .
٢- سلافة العصر : ٤٩١ .
٣- أمل الآمل : ٣٠٥/٢-٣٠٦ .
٤- زهر الربيع : ٧٢-٧٣ .

بلغ خبرها إلى الملك كان أستادنا العلامة المحقّق الكاشاني ـ صاحب كتاب الوافي ونحوه من المصنّفات التي بلغ عددها مائتي كتاب ، بل تزيد على ذلك ـ حاضرا في المجلس ، فسأله عن السبب في ذلك ، فقال : « هذا من جور القضاة ، لأنّهم يحكمون بما يوافق آراءهم وما تدعو إليه البراطيل والرشا ، وينسبون الكلام إلى رسول الله والأئمة الطاهرين ـ صلوات الله عليهم أجمعين » فقال : « ينبغي أن نقرّر في كلّ بلد مجتهدا من المجتهدين إذا رجعنا من هذا السفر إلى أصبهان » وكان ذلك الوقت في نواحي خراسان وعزم إذا رجع أن يجعل المولى محمّد باقر الخراساني قاضيا في أصبهان لأنه فقيه عادل ؛ ثمّ قال للفاضل الكاشاني : « إنّ المولى محمد باقر إذا لم يقبل كيف نصنع معه ؟ » . فقال : « نعم ، يجب عليه أن لايقبل ، ويجب عليك أن تُجبره على ذلك حتّى يتعيّن عليه القبول » . فعزم السلطان على ذلك ، ثمّ انتقل في ذلك السفر إلى جوار الله سبحانه ولم يتّفق له ما أراده ؛ نعم ، اتّفق لولده السلطان المؤيّد الشاه سليمان ـ نصره الله تعالى إلى آخر الزمان ـ فإنّه عيّن في هذا الوقت شيخنا المحقّق المحدّث صاحب بحار الأنوار ... » .

ويعلم من هذا النقل أن الملك الذي تكلم معه الفيض ـ قده ـ كان الشاه عباس الثاني ، وبما أنّه مات سنة (١٠٧٧) في سفره إلى المشهد الرضوي[١] ـ عليه آلاف التحية والثناء ـ فلابدّ أن الفيض لاقاه في هذا السفر ، ويتبيّن منه أنّ الاتّصال بين الفيض والحكومة لم ينقطع بالمرّة بعد انفصاله عن إقامة الجمعة والجماعات في عاصمة الحكومة الصفويّة أصبهان ورجوعه إلى كاشان[٢] .

ونقل صاحب لؤلؤة البحرين[٣] : «حكى السيد نعمة الله الجزائري الشوشتري ـ قال :ـ كان لأستاذنا المحقق المولى محمد محسن الكاشاني ـ صاحب الوافي وغيره ـ مما يقارب مائتي كتاب و رسالة ، وكان نشؤه في بلدة قم ، فسمع بقدوم السيد الأجل المحقّق المدقّق ، الإمام الهمام السيد ماجد

١- تاريخ مفصّل ايران تأليف عباس إقبال : ٦٩٨ .

٢- صرّح في رسالة شرح الصدر أنه ترك إقامة الجمعة والجماعات في أصبهان ورجع إلى موطنه كاشان ـ لأمور ذكرها ـ والرسالة مكتوبة في سنة (١٠٦٦) .

٣- لؤلؤة البحرين : ١٣٠ . ولم أعثر على مصدره من كتب السيد الجزائري ـ ره ـ .

البحراني الصادقي إلى شيراز ، فأراد الارتحال إليه لأخذ العلوم منه ، فتردّد والده في الرخصة إليه ، ثمّ بنوا الرخصة وعدمها على الاستخارة ، فلمّا فتح القرآن جاءت الآية ﴿ فَلولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ طَائِفَةٌ مِنهُمْ لِيَتفقَّهوا فِي ٱلدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَومَهم إذَا رَجَعوا إليْهمْ لعَلَّهمْ يَحذَرُونَ ﴾ [١٢٢/٩]ـ ولا آية أصرح وأنصّ وأدلّ على هذا المطلب مثلها ـ ثمّ بعدُ تفألَ بالديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فجاءت الأبيات هكذا :

تغرّبْ عن الأوطان في طلب العلى وسافر، ففي الأسفار خمسُ فوائد
تفرّجُ همّ واكتسابُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجد
فإن قيل: في الأسفارِ ذلٌّ ومحنةٌ وقطعُ الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من مقامه بدار هوانٍ بين واشٍ وحاسد

وهذه أيضا أنسب بالمطلوب ، ولاسيّما قوله : «وصحبة ماجد» . فسافر إلى شيراز وأخذ العلوم الشرعيّة عنه ، وقرأ العلوم العقليّة على الحكيم الفيلسوف المولى صدرالدين الشيرازي وتزوّج ابنته ...» .

والظنّ الغالب كون هذه الحكاية مخترعة ، والعجب من السيد الجزائري وصاحب اللؤلؤة كيف لم يتنبّها لمواضع النظر فيها : فأولا كان نشوء الفيض في مولده كاشان . وثانيا اتّفقت وفاة والد الفيض في الثانية من عمره ولم يره ـ قده ـ حتى يتمكّن من الاستشارة والاستجازة منه . وثالثا : ـ على ماهو ظاهر من رسالة شرح الصدر ـ لم يكن الفيض في ابتداء السفر عازما إلى شيراز ، بل قصد تحصيل العلم في أصبهان ، ثم عزم فيه على الرحيل إلى شيراز .

وقال صاحب جامع الرواة[1] :

«محسن بن المرتضى الكاشي ، رحمه الله تعالى ، العلامة المحقّق المدقّق جليل القدر عظيم الشأن ، رفيع المنزلة ، فاضل كامل أديب متبحّر في جميع العلوم ، له قريبا من مائة تأليفات ، منها ... » .

١- جامع الرواة : ٤٢/٢ .

وذكره الشيخ يوسف البحراني[1] عند ذكر مشايخ المولى محمد باقر المجلسي ، قائلا :

« ومنهم المحدّث القاساني محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ؛ وهذا الشيخ كان فاضلا محدّثا أخباريّا صلبا كثير الطعن على المجتهدين ، ولاسيّما في رسالته سفينة النجاة ، حتّى يفهم منها نسبة جمع من العلماء إلى الكفر ـ فضلا عن الفسق ـ مثل إيراده آية : ﴿ يَابُنَيَّ ٱرْكَبْ مَعَنَا ﴾ ، أي ﴿ وَ لا تَكُنْ مَعَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ [١١/٤٢] ؛ وهو تفريط وغلوّ بحت ، مع أنّ له من المقالات التي جرت على مذهب الصوفيّة والفلاسفة مايكاد يوجب الكفر ـ والعياذ بالله ـ مثل مايدلّ في كلامه على القول بوحدة الوجود ، وقد وقفت له على رسالة قبيحة صريحة في القول بذلك ... » .

سيرته العلمية

مضى القول بأنّه ـ قده ـ كان جامعا للعلوم العقلية والنقلية ومن مصاديق الحديث المعروف : «من علم وعمل بماعلم ، ورّثه الله علمَ مالم يعلم» ؛ تشهد بذلك كتبه القيّمة المصنّفة في شتّى المجالات :

فهو فقيه أخباريّ[2] ، كما قال صاحب لؤلؤة البحرين :

«كان فاضلا محدّثا أخباريّا صلبا كثير الطعن على المجتهدين» .

وقد صنّف في انتصار مذهبه كتابين ـ سفينة النجاة والأُصول الأصيلة ـ على أنّه لم يفوّت أيّة مناسبة في تبيين مرامه والتحامل على المجتهدين[3] ، ولذلك أيضا لقى معاناة مخالفيه كما أشار إليه فيما نقلناه من رسالة شرح الصدر :

١- لؤلؤة البحرين : ١٢١ـ١٣١ .

٢- ذكر المغفورله السيد محمد مشكاة ـ ره ـ الفتاوى النادرة التي خالف الفيض فيها اجماع الفقهاء في مقدمة المحجة البيضاء ١/٣٤-٣٨ و ٤/١٦-١٧ .

٣- مثل جاء في : قرة العيون : ٤٤٠-٤٤٤ . الكلمات المكنونة ٢١٧-٢٢٨ . الحقائق : ١٥-٢١ . الوافي : ١/١٣-١٨ . المحجة البيضاء : ١/٤٩-٥٢ ، وغيرها .

« وكذلك جمع من أرباب العمائم المدّعين للاجتهاد والعلوم الشرعية انصرفوا ... »[1]

وهو شاعر مفلق يشهد لذلك ديوان أشعاره الذي جمع فيه زهاء ١٣٠٠٠ بيت .

ومحدّث نحرير ؛ وقد قلنا أنّه أحد المحمّدين الثلاثة الأواخر .

وحكيم إلهي وعارف ربّاني ، يشهد بذلك كتبه ورسائله المصنّفة في الحكمة المتعالية .

وكل من هذه المقامات جدير بالتحقيق والتدقيق وللكلام فيها مجال رحب ، ينبغي أن يؤلف فيها كتاب مستقل يعالج مختلف جوانب سيرته العلمية والعملية ، وذلك خارج عن نطاق هذه المقدمة .

ولكن يجدر بنا ـ حيث أنّ هذا الكتاب كتاب كلامي حكمي ـ أن نفحّص قليلا في هذا المجال وحول مواضيع هذا الكتاب .

فمن الواضح أنّ المؤلف من أكبر تلامذة الحكيم الإلهي صدرالدين الشيرازي ـ قدّس سرّه ـ فكان مستفيدا منه ومتأثرا بآرائه وعارفا بفلسفته حقّا ، ولذلك أخذ يقرّر كلماته ومنهجه العلمي في كتبه ، ويسير بسيرته في مختلف المجالات

ولاغرو أن نقول : يمكن استفادة مطالب المولى صدرا من كتب الفيض في المعقول ـ مثل عين اليقين وعلم اليقين ـ بشكل أسهل من نفس كتب أستاذه حيث أنّه نقّح المباحث والأدلة ، وحذف الأقوال والمباحثات مع ذويها ، وأتى باللبّ الخالص مما قرّره أستاذه ـ قدس سرّهما ـ .

١- شرح الصدر : ٦٩ . وقال في رسالة الاعتذار : « ... وفرقة من أرباب الرئاسة وأصحاب الغبطة والنفاسة ـ حاشاهم عن الحسد ـ كانوا يدعون الاجتهاد وانهم من أهل العدالة والاعتماد ، وكانوا يخرجون من البلد مع طائفة من الهمج الرعاع ، يصلون الجمعة في بعض القرى ... قد باض الشيطان وفرخ في صدورهم ودبّ ودرج في حجورهم ... » .

على أنّه كتب هذين الكتابين ـ سيّما الأول[1] ـ بمشهد الأُستاذ وحينما كان عنده مستفيدا منه

وعند الفحص لانرى فارقا كبيرا بين نظرات الفيض وأقوال صدرالمتألهين العمادية ، فهو يدافع بكل الوضوح عن الحجرين الأساسيّين للفلسفة الصدرائيّة ـ أي أصالة الوجود ووحدته ـ ويبني عليهما بناء المسائل الأُخرى في جميع المجالات .

وكتابه عين اليقين ـ على الخصوص ـ اشتمل على قسم كبير من عبارات كتب صدرالمتألهين ـ وخصوصا الأسفار الأربعة ـ بنصّها ، مصرحا باسمه ومعظما إيّاه في كثير منها ؛ وقلما يتّفق أن يعترض أو يرُدّ عليه .

غير أنّ بعض الناظرين في سيرته ، استشمّوا مما كتبه في رسالته «الإنصاف» وألمح إليه في فهرسة كتبه ، أنّه ـ قدّس سره ـ أعرض في أواخر سني عمره الشريف عمّا كان يعتقده في الأوائل ؛ ونحن الآن بصدد تحقيق هذه المزاعم ومدى صحّتها .

فنأتي أولا بشطر مما جاء في رسالة الإنصاف[2] ثم نتأمل فيما يرتبط به ؛ قال ـ قدس سرّه ـ :

«يقول المهتدي إلى صراط المصطفى ﷺ ، محسن بن مرتضى ـ زاده الله هدى على هدى ـ إنّي لما فرغت في عنفوان الشباب من التفقّه في الدين وتحصيل البصيرة في الاعتقادات بتعليم الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى صرت لم أكن ـ بتوفيق الله سبحانه ـ محتاجا في مسألة إلى تقليد غيرالمعصوم ، خطر في

١- ألّف عين اليقين سنة ١٠٣٦ بقم ، حين كان في محضر صدرالمتألهين ، ولا يبعد أن نقول أنّ هذا الكتاب تقريرات دروسه عند الاستاذ ، على أنّا لاننفي عبقريّة التلميذ وإبداعه الخاص ؛ وتمّ تأليف علم اليقين ١٠٤٢ ، والظنّ الغالب أنه كان مشتغلا بهذا التأليف في شيراز بمحضر صدرالمتألهين أيضا .

٢- الرسالة مكتوبة بالعربية والفارسية ، ولذلك اضطررنا إلى تعريب ماجاء فيها بالفارسية عند النقل لتوحيد السياق ، ولايخفى أنّ طريقتنا فيماعرّب هنا وفيما سبق نقل المضمون ، دون ترجمة الألفاظ بكاملها .

خاطري أن أسعى في معرفة أسرار الدين وعلم الراسخين ، لعل النفس تحصّل بذلك كمالا ، إذ لم يكن للعقل إليه طريق ، ولم ينفتح للنفس ـ بما حازت من الدرجة الإيمانية ـ باب ، ولا تصبر على الجهالة ، وتؤلمني على الدوام .

فبناء على هذا خُضت برهة في مجادلات المتكلمين ، وكنت ساعيا بآلة الجهل في إزالته ؛ وسرت أخرى في طريق مكالمات المتفلسفين بالتعلم والتفهّم ، ونظرت كذلك في ادّعاءات المتصوفة وأقاويلهم ، وبرهة بحثت في رعونات «مِن عنديّين» ؛ وكنت ألخّص كلمات هذه الطوائف الأربع في كتب ورسائل ، من غير تصديق بكلها ، ولا عزيمة قلب على جلّها ؛ بل أحطت بما لديهم في ذلك على التمرين زبرا ، فلم أجد في شيء من إشاراتهم شفاء عِلّتي، ولا في أدواة عباراتهم بلال غلّتي ؛ حتّى خفت على نفسي ، إذ رأيتها فيهم من ذويهم ؛ فتمثّلت بقول من قال :

خدّعوني نهَبوني ، أخذوني غلبوني وعَدوني كذّبوني ؛ فإلى مَن أتظلّم

ففررتُ إلى الله من ذلك ، وعُذت بالله من أن يوقعني هنالك ، واستعذتُ بقول أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ في بعض أدعيته : «أعذني اللهمّ من أن أستعمل الرأي فيما لايدرك قعرَه البصر ، ولايتقلقل إليه الفِكَر» .

ثم أنبتُ إلى الله وفوّضت أمري إلى الله ، فهداني الله ببركة متابعة الشرع المبين ، إلى التعمّق في أسرار القرآن وأحاديث آل سيّد المرسلين ـ صلوات الله عليهم ـ وفهّمني الله بمقدار حوصلتي ودرجتي من الإيمان ، فحصل لي بعض الاطمئنان ، وسلب الله منّي وسواس الشيطان ـ ولله الحمد على ماهداني ...

ثمّ إني جرّبت الأمور واختبرت الظلمة والنور ، حتى استبان لي أنّ طائفة من أصحاب الفضول ، المتحلين متابعة الرسول ، غمضوا العين ورفضوا الثقلين ، وأحدثوا في العقائد بدعا وتحزّبوا فيها شيعا ... ترى أحدهم مولعا بالنظر إلى كتب الفلاسفة ، وليس له طول عمره همٌّ سواه ، ولايكون في غيره هواه ، من قبل أن يحكم علما شرعيا أصليا أو فرعيات ... وكأنّ هؤلاء القوم حسبوا أن من العلوم الدينيّة مالايوجد في القرآن والحديث ، ويفهم من كتب الفلاسفة والمتصوّفة ؛ والمساكين لايعرفون أن الخلل والقصور ليس من القرآن والحديث ، بل الخلل في فهمهم والقصور في درجة إيمانهم ... وإذا كان الأمر

على هذا فلاتنفع مطالعة كتب الفلاسفة والمتصوّفة ، لأنهم لايتمكّنون من معرفتها أيضا ... ولو أنّهم سعوا في تقوية إيمانهم وشرح صدورهم لعلهم وصلوا إلى مافوق ذلك لوكانوا يعلمون ، وإلا فكلما خاضوا في هذه الأمور صاروا أضل من حيث لايشعرون ؛ ... فيا أخي قوّ إيمانك بالزهد والتقوى حتى تزداد علما وحكمة ، وإلا فلاتتعدّ طورك ، فرحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعدّ طوره .

چو مستعدّ نظر نيستي وصال مجوي — كه جام جم نكندسودوقت بي بصري

نعم إن شاهق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر ، وسرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر ...

فهذا الكلام مع المتصوفة وتابعيهم .

وأما مجادلات المتكلمين ومن عنديّين ، فهم كما قيل : « جمع فكّوا ربقة التقليد من أعناقهم ، ونكّسوا الفطرة الأصلية ، لم يقنعوا بظواهر النبوة ، وأحدثوا من عند أنفسهم كلمات بلاطائل ؛ لاتدعهم طباعهم أن يقلدوا ، ولايعينهم التوفيق أن يحققوا ، ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لا إِلَىٰ هٰؤُلاءِ وَ لا إِلَىٰ هٰؤُلاءِ ﴾ [١٤٣/٤] » ...

وليعلم أنّ هذه الطوائف الأربع وإن كانوا يسيرون في الحيرة ويجولون في الضلال إلا أن الإنصاف يحكم بأنّهم ـ على اختلاف مذاهبهم ـ لم يخرجوا بشيء من أقاويلهم وعقائدهم من الإسلام ، ولم يأتوا بمايوجب على أحدهم اسم الكافر ... فلايجوز لعن أحد ممن كان على الفطرة بمجرد كونه ضالا ، مالم يتحقّق كفره يقينا ، ومالم يثبت ثباته على كفره إلى أن أدركه الموت مستبينا ...» . انتهى ما حكيناه من رسالة الانصاف .

فنقول الآن : أمّا مانفهم من هذه الكلمات ، فهو السيرة التي سار عليها أغلب العلماء والمحقّقين والمفكّرين ، ولو صرت تسأل عن لسان حالهم تراهم يقولون ما قاله الفيض ـ قده ـ فإنّ الإنسان ولد ولايعلم شيئا ، ثم ذهب يتدرّج في سبيل الكمال والعلم ، ويصغي إلى ما يقوله كل طائفة ويفكّر فيه حتى ـ لوساعده التوفيق ـ يخلص إلى الاعتقاد الصحيح ويصل إلى سبيل الرشد

والصواب ، وما هو إلا ما أعلنه الله وبيّنه بوساطة رسله وكتبه ؛ وإليك مثالا واحدا ـ وإن كانت الأمثلة كثيرة ـ ترى فيه نفس ماتقرؤه في هذه الرسالة بلسان آخر ، وهو كلام أستاذ الفيض صدرالدين الشيرازي ـ قده ـ حيث يقول[1] :

« ... ثمّ إنّي قد صرفت قوّتي في سالف الزمان ــ منذ أول الحداثة والريعان ـ في الفلسفة الإلهيّة ، بمقدار ما أوتيت من المقدور ، وبلغ إليه قسطي من السعي الموفور ، واقتفيت آثار الحكماء السابقين ، والفضلاء اللاحقين ، مقتبسا من نتائج خواطرهم وأنظارهم ، مستفيدا من أبكار ضمائرهم وأسرارهم؛ وحصّلت ما وجدته في كتب اليونانيين والرؤساء المعلمين ، تحصيلا يختار اللباب من كل باب ، ويجتاز عن التطويل والإطناب ، مجتنبا في ذلك طول الأمل مع قصرالعمل ، معرضا من إسهاب الجدل مع اقتراب الساعة والأجل ، طلبا للجاه الوهميّ ، وتشوّقا إلى الترؤس الخيالي ، من غير أن تظفر الحكمة بطائل ، أو يرجع البحث إلى حاصل ، كما يُرى من أكثر أبناء الزمان ، من مزاولي كتب العلم والعرفان ، من حيث كونهم منكبّين أولا بتمام الجدّ على مصنّفات العلماء ، منصبّين بكمال الجهد إلى مؤلفات الفضلاء ...

فألجاني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان وعدم مساعدة الدوران إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار ، واستترت بالخمول والانكسار؛ منقطع الآمال منكسر البال ، متوفّرا على فرض أُؤدّيه ، وتفريط في جنب الله أسعى في تلافيه ؛ لاعلى درس ألقيه ، أو تأليف أتصرّف فيه ...

فتوجّهت توجّها غريزيا نحو مسبّب الأسباب ، وتضرّعت تضرّعا جبليّا إلى مسهّل الأُمور الصعاب ، فلمّا بقيت على هذا الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال زمانا مديدا وأمدا بعيدا ، اشتعلت نفسي لطول المجاهدات اشتعالا نوريّا ، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهابا قويّا ، ففاضت عليها أنوار الملكوت ، وحلت بها خبايا الجبروت ، ولحقتها الأضواء الأحديّة ، وتداركتها الألطاف الإلهيّة ...» .

١- الأسفار الأربعة : ١/٤-٨ .

فليس ما نراه من الفيض شيئا غريبا ، أو مانسمعه منه بدعة وعجيبا ؛ ولكن الواجب على المتأمّل أن يتأمّل في مطاوي كتبه ويطابق ما كتبه أولا وآخرا حتّى يرى مدى تغيير روحيّاته العلميّة ، وجذور اعتقاداته الشرعيّة ؛ لاأن يقنع بما قرأ سطورا من الرسالة الإنصافيّة ، ويحكم ـ كما نراه من البعض ـ حكما بتّيا بناء على ظاهر ما فهم منه في الابتداء ، ويبني عليه مايريد ويحبّ من البناء .

فالذي نعرفه من الفيض أنّه في سيرته العلميّة سائر في مختلف الأبعاد : فهو ـ كما أشرنا ـ فقيه أخباريّ ، ومحدّث ، وحكيم إلهيّ ، وشاعر أديب ذو قريحة عرفانية يحكي عن الحبّ الإلهي والعشق المعنوي ؛ وهذه الأبعاد المختلفة ظاهر من مبدئه ، وسائرٌ فيها إلى وفاته ، وقد تكامل في جميعها ، كما تكامل في ذلك مصنفاته تبعا لمؤلفها ؛ وأشار نفسه إلى ذلك أيضا في مقدمة فهرست مصنفاته الثالثة[1] :

«هذا فهرست مصنفاتي التي صنّفتها منذ راهقت العشرين ، إلى أن بلغت ثلاثا وثمانين ، كتبت للضبط والتعريف ، وهي مائة تصنيف ، متفاوتة في الجودة والإتقان ، وحسن التعبير والبيان ، وسلامة الألفاظ ومتانة المباني ، وعلوّ المقاصد ودقّة المعاني ، ورتب الترتيب والتوضيح ، ودرج التهذيب والتنقيح ؛ حسب تدرّجي في الارتقاء في مراقي الكمال ، ومدارج الإيمان ، والخروج من ظلمات الجهل إلى نورالعرفان... » .

وعندالتأمل في مصنّفاته نرى أنّه تكامل في مختلف الجهات ، لاأنّه تغيّر فيه شيئا من البناء والأساس ؛ ونراه في الأخير راعيا حفظ مختلف الجوانب عند ما يقول ويعبّر ، لا أنّ مؤلّفه رجع عمّا كان يعتقد ويظهر .

فبالنسبة إلى أنّه كان أخباريّا ، فقد بقي عليه إلى آخر عمره ـ على ما يظهر ـ غير أنّه صار في التعبير عن عقيدته أنضج ، وفي مراعاة جانب الاحتياط أشد وأوفق .

١ـ الفهرست المطبوع في مقدمة الجزء الثاني من المحجة البيضاء : ٣٩ .

فبعد ماتراه في سفينة النجاة[١] يحمل على القائلين بالاجتهاد ومقلديهم بشدة وعتاب ، ويشدد عليهم في الخطاب[٢] ، ذهب يقول في رسالته الإنصافية[٣] أنه لايجوز الحكم بكفر أحد يقرّ بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ويلتزم الشرائع ويسعي في وجدان ماضلّ عنه من مطلوبه .

وأمّا من ناحية أنّه محدّث ، فصار أكثر اشتغالا بالحديث ، وأشد اهتماما به ، فقد صنف كتابه الكبير الوافي حينما بلغ سنوه (٦١) والشافي عند ماكان في السابعة والخمسين من عمره الشريف ـ قده ـ على أنّه لم يخل سائر كتبه ـ سيما ماصنّفه في أخريات عمره ـ من الاستدلال بالحديث والاعتماد عليه ، في مختلف الوجهات ؛ ثمّ تفسيره للقرآن الكريم ـ الصافي ـ تفسير بالمأثور ، فالناظر فيه بنظر الاعتبار يرى اهتمام مؤلفه في تفسيرالقرآن بالحديث .

وأمّا بالنسبة إلى الحكمة والعرفان ، فحيث أن كلام المخالفين دائر حول هذا المقام ، فعلينا أن نبسط فيه القول ولو طال الكلام .

فلكي نقف على تغيير وجهات نظر الفيض أو عدمه يلزمنا أن نقارن بين بعض ما كتبه في أوائل ـ أو أواسط ـ عمره ، وما صنّف في ذلك المجال في أواخره . ولو ذهبنا نطابق ذلك في جميع تأليفاته المتناظرة خرجنا عن نطاق مقدمة الكتاب ، ولكن يكفينا في هذا المجال أن نقارن بين كتابين له في الحكمة

١- قال فيه (ص١١٩) : « ولنقصنّ عليك من اجتهادات المجتهدين في مسائل الدين مايتبيّن لك به أنّهم كيف يضعون (ظ : يصنعون) وأنّى يؤفكون » .
وقال في آخر الكتاب (ص١٤١) : « وحيث انتهت سفينتنا في بحرالاختلاف إلى ساحل النجاة ، وجرت بنا إلى منازل الهداة ، لنرسلها عن الجريان ونمسك القلم عن الطغيان ، بسم الله مجريها ومرسيها ، وإلى ربك منتهيها ؛ فيابنيّ اركب معنا وأدخل معك من تبعنا ، لاإكراه في الدين ، قدتبيّن الرشد من الغيّ ، وتميّز القول الميّت من الحيّ ، وكشف الغطاء من البين ، ولاح الصبح لذي عينين ؛ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا إنما هم في شقاق ، ولئن اتّبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم فما لك من الله من وليّ ولا واق ..» .

٢- مرت حكاية قول صاحب اللؤلؤة : يفهم منها (سفينة النجاة) نسبة جمع من العلماء إلى الكفر .

٣- الانصاف : ١٩٥ .

- الثاني منهما كالتحرير لسابقه - وهما كتابا **الكلمات المكنونة** ـ وقد كُتب في سنة ١٠٥٧ (أو ١٠٦٠ ، لاختلاف نسخ فهرست مؤلفاته) حين كان عمره يناهز الخمسين أو أكثر ـ و **قرّة العيون** ـ وقد كتبه في سنة (١٠٨٨) ، يعني بعد ثلاثين سنة مضت على زمان تأليف الكتاب الأول وحينما كان ـ قده ـ في أُخريات عمره الشريف .

ولو توهم أحد أن كتاب الكلمات أيضا ليس مما كتبه في أوائل عمره ـ وأنه مكتوب بعد مابلغ الفيض أشده ومضى عليه اكثر من أربعين سنة ، فعليه أن ينظر في هذا الكتاب بنظر الاعتبار ، فإنّه من أصرح كتب مصنفه في الإبانة عما يقوله أهل العرفان ، ولو ذهب أحد يقبل مافيه اعتقادا لمؤلفه إلى آخر عمره لايبقى له محل كلام في عدم تغيير وجهات نظر الفيض في هذا المجال .

قلنا أنّ **الكلمات المكنونة** كتحرير لكتاب **قرّة العيون** ، وذلك ظاهر لكل من تأمّل في الكتابين ، وقارن بينهما ـ كما تراه عن قريب ـ والمؤلف أخذ الكتاب الأول واستنسخ منه مارآه صالحا ومراعيا فيه جانب الاحتياط ، وحذف أو غيّر مالم يره مناسبا في ذلك الحين ، وجعل يحرّر الكتاب بسياق كلامي حديثي ـ كماهو دأبه في أواخر عمره الشريف ـ بعد ماكان مكتوبا بصبغة عرفانية حكمية بارزة .

وذلك مايُعلنه في مقدمة كتابه قرة العيون[١] أيضا : «لست متكلما ولامتفلسفا ولامتصوفا ولامتكلفا ، بل مقلد القرآن والحديث النبوي ومتابع أهل بيته عليهم السلام ...»

وهذا تكرار وتأكيد للنص الذي أظهره في رسالته الإنصافية[٢] .

ورغبة في تسهيل الأمر رتبت جدولا للمقارنة بين الكتابين ، وماحذف منها حين تحرير الثاني أو أُضيف ، ولعل بعض ما أثبتنا حذفه جاء في مطاوي الكتاب ولم نعثر عليه عند المراجعة السريعة :

١- قرة العيون : ٣٣١ .

٢- رسائل الفيض : ١٩٦ .

الكلمة	ما بدّل منها في قرة العيون	محتوى المحذوف أو سبب الحذف
١	حذف منه ص٤ س٨- ٢١ وص٥ س١٦- ص٦ س٢ .	مقاطع ترتبط بظهورذات الحق في المظاهر المرآتية .
٢	لم يتغير .	
٣	حذف منها ص١١ س٤- س آخر	ترتبط بنفس ما أشرنا إليه في الكلمة الأُولى
٤ و ٥	حذفتا	في بيان معنى الوجود وأنه عين الحق تعالى وأن لاماهية للحق سوى الوجود . وهما بلسان الحكمة ؛ وجاء بدلا منهما في قرة العيون الكلمة ٤ من المقالة الأُولى يبين فيها أن معرفة الله تعالى فطري .
٦	حذف صدر الكلمة إلى ص١٧ س١٥	فيه بيان اعتبارات الوجود
٧	حذف مقطع من آخره ص٢٣ س١٢-٢٨	فيه اصطلاحي جمع وفرق .
٨ـ١٢	حذفت	يبحث فيها عن الأعيان الثابتة ونسبتها إلى الحق تعالى وجاء بدلا منها في قرة العيون الكلمة ٣-٥ من المقالة الثانية التي يبحث فيها عن الأسماء الحسنى .
١٣	محذوفة	يبحث فيها عن أن لله تعالى الإطلاق ، وغيره من الوجودات مقيدات ، والمطلق غنيّ عن المقيد ولاعكس .
١٤	محذوفة	الوجودات المقيدة مرائي التعينات والتجليات .
١٥	محذوفة	التوحيد الوجودي ومراتب الوجودات .
١٦	محذوفة غير شطر منها مثّل وجوده تعالى بالعدد	التمثيلات تتعلق بالكلمة السابقة
١٧ـ١٨	محذوفتان	الجمع بين التنزيه والتشبيه وتمثيل لذلك
١٩	محذوفة	البحث عن الوحدة الحقيقية ومراتبها .
٢٠	محذوفة	البحث عن العلم الأزلي وأنه من جهة العلم بالذات والتعينات .
٢١	محذوفة	تجدد الخلق بتجليه في كل آن بالأسماء الجلالية والجمالية .
٢٢	محذوفة	تبدل الشؤون لايوجب تبدلا في الذات ، فإمداد الحق تجل واحد يظهر بحسب القوابل تعينات مختلفة .
٢٣	محذوفة	لاقائم بذاته إلا هو ، فالمسمى بالجواهر عند أهل

		النظر أعراض موهومة .
٢٤	حذف شطرين منها: ص٥٥ س١١-١٧ وص٥٦ س١٨ - إلى آخر الكلمة	ماقل فيها عن أهل المعرفة .
٢٥	محذوفة غير حديث في آخرها	البحث عن كيفية صدور الكثرة بسياق الحكمة .
٢٦	محذوفة	معنى الأسماء وكيفية تربيتها
٢٧	محذوفة	معنى كن فيكون
٢٨	محذوفة	البحث عن الحضرات الخمس
٢٩	محذوفة	تنزلات الوجود ومعارجه
٣٠	حذف منها فقرات	
٣١	محذوفة	البرزخ وعالم المثال .
٣٢	لم يتغير	
٣٣	محذوفة	البحث عن التناسخ
٣٤-٣٦	لم يتغير	
٣٧-٤٣	محذوفة	البحث فيها عن الخير والشر، الكمالات تبع الوجود، سريان الحب ، قربه وبعده تعالى عن الموجودات ، الكل على الصراط المستقيم ، كيف يكون مسير الكل إليه ، كيف يكون الفطرة على التوحيد مع وجود الضلالات .
٤٤	الشطر الثاني منها محذوفة	البحث عن الأعيان الثابتة
٤٥-٤٨	لم يتغير غير قليل منها	
٤٩	محذوفة	معنى التقوى عند أهل العرفان
٥٠	محذوفة	الفناء في الله والبقاء بالله تعالى
٥١	محذوفة	الظهور والمظهر
٥٢	محذوفة	تفاوت الموجودات في المظهرية
٥٣-٦١	محذوفة	البحث عن الإنسان الكامل
٦٢	محذوفة	دارالوجود واحدة والدنيا والآخرة إضافيتان
٦٣	محذوفة	دارالوجود أبدية
٦٤	محذوفة غير فقرة من أولها	
٦٥	لم يتغير	
٦٦	حذف بعض فقراتها	لاخصوصية للمحذوف
٦٥	لم يتغير	

٦٦	حذف بعض فقراتها	لاخصوصية للمحذوف
٦٧	محذوفة	البحث عن أن القيامة هي الإنسان الكامل
٦٨	حذف شطر منها	لاخصوصية للمحذوف
٦٩	لم يتغير إلا قليلا	
٧٠	محذوفة	بيان لقاء الله بلسان العرفاء
٧١-٧٥	لم يتغير	
٧٦	حذفت غير الفقرة الأولى منها	
٧٧	محذوفة	البحث عن حقيقة النشأة الآخرة نقلا عن أهل المعرفة
٧٨	لم يتغير	
٧٩	محذوفة	لاخصوصية لها ، فيها بيان أن اميرالمؤمنين قسيم الجنة والنار
٨٠	لم يتغير	
٨١	حذف شطر منها	
٨٢	محذوفة	بحث عن النبوة والولاية
٨٣	حذف شطر من أولها	لاخصوصية للمحذوف
٨٤	حذف شطر منها	فيه خطبة عن أميرالمؤمنين ذكر فيها مطالب غريبة ولكن أشير اليها في ص٤٠٩ من قرة العيون
٨٥	وردت مقطّعة في مطاوي بعض الكلمات	
٨٦-٨٨	حذف بعض الفقرات	لاخصوصية للمحذوف
٨٩-٩١	حذف قسم منهما	فيه رد على الاجتهاد
٩٢	محذوفة	الرد على الاجتهاد
٩٣-٩٦	لم يتغير	
٩٧	حذف قسم منها	لاخصوصية للمحذوف
٩٨	لم يتغير	
٩٩	محذوفة	استغنى عنها بما أورد في خاتمة قرة العيون

الإضافات في قرة العيون (م = المقالة . ك = الكلمة) :

الكلمة	القسم المضاف	محتوى المضاف أو وجه الإضافة
م ١ ك ٤		البحث عن طريق معرفة الله تعالى ، جاء بدلا من

		ثلاث كلمات في الكلمات المكنونة وقد أشرنا إليها
م٢	القسم الأعظم منها	البحث عن الأسماء الحسنى ومظاهرها
ك٣و٤		
م ٢ ك ٥		تعليم آدم الأسماء
م ٣ ك ١	القسم الأعظم منها	البحث عن العوالم العليا والسفلى
م ٣ ك ٢	ماسوى الفقرة الأولى منها	البحث عن خلق العقل والجهل وشرح الحديث المعروف في ذلك
م٣ ك٤و٥		معنى العرش والكرسي وأركان العرش وحملته
م ٥ ك ١		حدوث العالم (يقارن هذه الكلمة مع الكلمة ٥٥ في الكلمات المكنونة)
م ٥ ك ٣		تمثيل لكيفية صدور العالم
م ٥ ك ٥		تجدد الخلق مع الآنات
م ٦ ك ٢	القسم الأعظم منها	نفي الجبر والتفويض
م ٦ ك ٣	القسم الأعظم منها	المشية والإرادة والقضاء والقدر
م ٦ ك ٤	القسم الأعظم منها	القرب من الحق والبعد منه ونسبة الأفعال إليه
م٧		الاضطرار إلى الحجة ، الوحي ، سادة الأنبياء والأولياء
ك١-٣		
م ٧ ك ٤	القسم الأعظم منها	نبينا ثم أوصياؤه عليهم السلام أفضل الخلائق
م ٧ ك ٥	القسم الأعظم منها	بماذا يعرف الحجة
م٨ ك١ـ٥	عمدة مافيها	البحث عن الخلافة بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله وما وقع من الاتفاقات
م ٩ ك ٤		المحكم والمتشابه ومعنى التأويل
م ٩ ك ٥	الشطر الأول منها	مراتب الإيمان والكفر
م١٠ ك٤		الروح الباقية بعد البدن
م١١ ك٣		المظالم والشفاعة
م١١ ك٤	الشطر الآخر منها	رواية
م١٢ ك١	الشطر الآخر منها	
م١٢ ك٢		مواقف القيامة
الخاتمة		حكاية ماجاء في رسالة واجب الاعتقاد للخواجة نصيرالدين الطوسي ـ قده ـ

وبعد المقارنة بين الكتابين وتحليلهما نصل إلى النتائج التالية :

١ـ المسائل الأصلية والبنائية العرفانية موجودة في الكتابين ، غير أن في الكلمات المكنونة بصورة صريحة ومبيّن بسياق الكتب العرفانيّة واصطلاحاتهم، وذلك في قرّة العيون يتغيّر عن هذه الصبغة ـ مهما أمكن ـ إلى ما جاء في الشرع واصطلاحات الروايات ويكمل بما يراه أليق . هذه المباحث هي:

الف ـ المسائل المطروحة في مسألة الوجود ، سيما وحدة الوجود كما يعنيه العرفاء ؛ فذلك معنون في الكلمات المكنونة صريحا ، وفي قرة العيون تلميحا ، وضمن الاستشهاد بالآيات ؛ مثل ما جاء في الكلمة الأولى وصدر الكلمة الرابعة من المقالة الأولى والكلمة الثالثة من المقالة الثالثة .

ب – تجلي الحق في مظاهر الأسماء ، وذلك مصرح به في قرة العيون أكثر من الكلمات المكنونة أيضا ، كمايظهر من الرجوع إلى المقالة الثانية . وقال في آخر الكلمة الثالثة من المقالة الثالثة (ص٣٥٨) : «وهذا أمر عجيب ، وهو بعينه مانحن بصدد بيانه ، من أن الحق المنزه عن نقائص الحدثان ـ بل عن كمالات الأكوان ، هو الظاهر بأسمائه في الأعيان ...» .

ج – صدور الخلق عن الحقّ بصورة الإفاضة ، غير أنّه لم يستعمل في قرة العيون اصطلاح النفَس الرحماني واكتفى بمثال الكلام والمتكلم والشمس وضوئه فقط ـ ص٣٧٥ ، م٥ ك٣ . وص٣٧٨ ، م٥ ، ك٤ .

د – نفي الحدوث الزماني للعالم وتوجيه الحدوث بما في الحكمة المتعالية آخذا من العرفاء ، كما يظهر من المقالة الخامسة .

هـ – القضاء والقدر ومسألة سرالقدر ، فسياق البحث فيها سياق ماعند العرفاء .

و – الجنة والنار والأمور المذكورة من عالم الآخرة ، كالصراط والميزان وغيرها .

ز - الإنسان الكامل ، بدّل البحث عنها بمسألة ولاية الأئمة ، والتعبير بالإنسان المعصوم (راجع الكلمات المكنونة ص١٥٩ س١٠ وقرة العيون ص٤٦٩ س١١) .

٢- النصوص المنقولة في الكلمات المكنونة عن أهل العرفان حذفت إلا نادرا ، وإن بقيت مضامينها في الأكثر .

٣- المسائل المطروحة باصطلاحات أهل الحكمة ، تغيّر إلى صبغة غير اصطلاحية مهما أمكن .

٤- البحث عن الأعيان الثابتة وما يتعلق بها بُدّل بمسألة الأسماء ومظاهرها . كما تراه يبدّل كلمة «الأعيان» إلى «حقائق المخلوقات» (راجع الكلمات المكنونة ص٩٧ س٢ وقرة العيون ص٣٨٢ س١٥) .

٥- القسم المضاف في قرّة العيون تكميل يقتضيه سياق الكتاب ، وليس تغييرا جذريا .

٦- يميل المؤلف ـ قده ـ في قرة العيون إلى الاعتدال العلمي ، ويتجانب عن الإفراط والتفريط في مختلف المباحث . ويهتمّ اهتماما أكثر على تبيين المسائل والمعارف بلسان القرآن والحديث والروايات ، والتجنّب عن الاصطلاحات المرسومة عند أهل الفنّ مهما أمكن .

٧- وبالجملة لم يتراجع الفيض عمّا أبان في الكلمات المكنونة عن المعارف العرفانيّة ، وإنما قصد ـ بتغيير صبغة الكلمات المكنونة إلى قرّة العيون ـ تأليف كتاب أقرب إلى قبول أكثريّة الناس ـ وهم الظاهريّون ـ وقد لجأ إلى ذلك لما لقي منهم من الأذى والاعتراض ، ووصل إلى مغزى ما أفاده الصادق عليه السلام فيما رواه صاحب الكافي (قده)[1] : «... إنّ من المسلمين من له سهم ، ومنهم من له سهمان، ... ومنهم من له سبعة أسهم ، فليس ينبغي أن يحمل

١- الكافي : ٤٣/٢ ، كتاب الإيمان والكفر، باب درجات الإيمان ، ح٢ . راجع أيضا روايات الباب التالي ٤٤/٢ـ٤٥ ، ح ١ـ٤ .

صاحب السهم على ماعليه صاحب السهمين ، ولاصاحب السهمين على ماعليه صاحب الثلاثة ...» .

فرأى الصلاح في السير بسيرة الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام ، وهو التكلم مع الناس على قدر عقولهم ؛ فإنّ في ذلك صلاحهم وبذلك إصلاحهم ؛ وإنّما كانوا عليهم السلام يلقون المعارف الخاصة إلى خواص الأصحاب ويسمونها «أسرارا» - لاإلى العوام والسوقة - مع أنهم عليهم السلام كانوا أصحاب الوحي والإلهام ومحدَّثين ، لاشكّ فيما يعلمونه ، وهم حجج الله على خلقه .

وقد ألمح الفيض إلى ذلك في فهرسة كتبه عند تعريف كتابه هذا حيث قال: «منها الكلمات المكنونة في علوم أهل المعرفة وأقوالهم (نسخة +: ومعارف دينيّة تقدّست عن أفهام جماهيرالناس وأوغالهم) ، يحتوي على لباب معارف العارفين وزبدة أصول (نسخة: أصول أُصول . نسخة : أُصول أُصول أُصول .) مع مسائل دينيّة ...» .

فالحكم باتّا ـ بأن الفيض (قده) رجع في أخرياته عمّا كان يعتقد في الأوائل ـ غير صحيح بلاترديد ؛ وإن لم يكن خاليا عن التوجيه .

فإن البحث في مطاوي تأليفاته والنظر في سيرته في حياته يعطينا أنّ الرجل أهل علم وعمل ، وفكر وكشف وشهود ، غير أنّه بعد مانال من دهره ومعاصريه مانال ، ووصل إلى مغزى ما أشرنا إليه من كلمات المعصومين في عدم إفشاء الأسرار، مشى على هذا الطريق واهتدى باهتدائهم وسلك مسلكهم عليهم السلام .

وقد ألمح إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتبه وبيّن أن العلم ليس مقصورا على الظاهر فقط ، وليس طريق الكسب والتعلم هو الطريق الوحيد ، بل هناك طريق آخر أقرب ولكنه عزيز صعب المنال ؛ قال في الوافي[1]

«العلوم الدينية قسمان : قسم يقصد لذاته ـ وهو العلم بالله وملائكه وكتبه ورسله واليوم الآخر ـ وهو إما تحقيقيّ أو تقليديّ ؛ فالتحقيقيّ نور يظهر في

١- الوافي: المقدمة الأُولى ، ١/٩-١٠ .

راجع أيضا الأُصول الأصيلة : ١٥٢-١٥٠ . و١٥٨-١٧٠ .

القلب ، فينشرح ، فيشاهد الغيب وينفسح ، فيحتمل البلاء ويحفظ السرّ ؛ وعلامته التجافي عن دارالغرور والإنابة إلى دارالخلود ، والتأهّب للموت قبل نزوله ؛ ويسمّى بالعلم اللدنّي ، أخذا من قوله سبحانه : ﴿ وَ عَلَمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥/١٧] ؛ وهو أفضل العلوم وأعلاها ، بل هوالعلم حقيقة ؛ وماعداه بالإضافة إليه جهل ، وهو المقصد الأقصى من الإيجاد .

والتقليديّ تلقّي بعض مسائل هذا العلم من صاحب الشرع على قدر الفهم والحوصلة ـ كمّا وكيفا ـ ثم التديّن به .

وقسم يقصد للعمل ليتوسّل به إلى ذلك النور ، وهو العلم بمايُقرّب إلى الله تعالى ومايُبعّد منه من طاعات الجوارح ومعاصيها ومكارم الأخلاق ومساويها، وهو تقليد كله لصاحب الشرع إلا مالايختلف فيه العقول منه . وله التقدّم بالنسبة إلى التحقيقيّ الأول لأنه الشرط فيه ... » .

«[1] وهذا العلم يجب أن يكون مكنونا عن كلّ ذي عمه وجهل ، مضنونا عمّن ليس له بأهل ؛ إذ كلّ أحد لايفهم كلّ علم ، وإلا لَفَهِمَ كلّ حائك وحجّام مايفهمه العلماء من دقائق العلوم ؛ فكما أنّهم لايفهمون ، فكذلك علماء الرسوم لايفهمون أسرار الدين ولايحتملون ، وإن كانوا مدقّقين فيما يعلمون ، ولهذا أكابر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يكتم بعضهم علمه عن بعض ...

وذلك لأنّ أسرار العلوم ـ على ماهي عليه ـ لاتطابق مايفهمه الجمهور من ظواهر الشرع ...» .

وقال في الأُصول الأصيلة[2] بعد مابيّن طريق أهل التحقيق والكشف في العلم : «وكما أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يكتمون جواهر علومهم عن غير أهلها ويستعملون التقيّة فيها ... كذلك كل محقّق في مسألة يجب عليه أن يكتم علمه فيها عمّن لايفهمه ، فإنّ كلّ أحد لايفهم كلّ علم ...» .

والأظهر أنّ الفيض بعد ما وصل إلى حقيقة هذه البيانات علما وتجربة أخذ يمعن في العمل بها ، وكلما مضى من عمره سنون صار أكثر اهتماما في

١- الوافي : ١/ ١٠ .
٢- الأُصول الأصيلة : ١٦٧ .

ستر عقائده الخاصّة وعدم إبرازها بصورة واضحة ، وإن كان لايمكنه السكوت عنها بالمرّة ، فإنّ الإناء يترشّح بمافيه ، وتلك الرشحات عن حقائق ماوصل إليه هذا العارف المحدّث مشهودة لكلّ من تأمّل فيما كتبه في أُخريات عمره ـ قده ـ .

والجدير بالذكر التأمل في البيئة التي يعيش فيها الفيض ، وأنها تغيّرت بسبب مصالح الحكومة إلى جوّ قشريّ ظاهريّ ، وصارت لايفترق بين العارف والصوفي ، وأن نسبة انتساب أحد إلى التصوّف يساوي نسبته إلى الكفر والإلحاد والزندقة ، وذلك ألجأ عموم العلماء المشهورين في هذا الزمان أن بدؤوا يكتبون كتبا في الردّ على التصوف والصوفية و حتى الحكم بكفرهم وارتدادهم[1] .

الفيض ـ قده ـ تجاه المدارس المختلفة العقلية والسلوكية :

بدء سير العلوم العقلية بين المسلمين بالمباحث الكلامية المستندة إلى القرآن والحديث ، ثم نشأ الفكر الفلسفي وتطوّر في المجتمع الإسلامي إلى أن كمل وتحوّل في الكمال إلى الحكمة المتعالية التي تستهدف التبيين البرهاني للكشف العرفاني ؛ وفي خلال ذلك السير نشأت عدة مدارس سيطر كل منها

١- شحّن المحدث الجزائري كتابه «زهرالربيع» بنقل كلمات يردّ عليهم وحكايات تسخر منهم وتستهزئ بهم . وكتب الشيخ الحرّ العاملي كتاب «اثنى عشريّة في الردّ على الصوفيّة» والشيخ البهائي تعرّض لهم في جملة من أشعاره وصرّح بذمّهم ، وحتّى أُستاذ الفيض صدرالمتألهين ألّف كتاب «كسر أصنام الجاهلية» في الردّ على المتصوفّة ، وكتب المولى محمد طاهر القمي كتابه «تحفة الأخيار» ونقلوا أنّه حكم بكفر الفيض ـ قده ـ أوّلا ورجع عن قوله هذا واعتذر بعد ما ذهب إليه الفيض وأبان عن عقائده . والفيض نفسه رد عليهم في مطاوي أكثر كتبه وخصّ لذلك شطرا كبيرا من كتابه بشارة الشيعة ؛ كما أنّ للعلامة المجلسي أيضا مكتوبات في ذلك المجال وأنّه أخذ يعتذر في آخر رسالته في الاعتقادات عمّا أفصح به أبوه العلامة محمد تقي المجلسي في بعض رسائله - مثل تشويق السالكين - عن مدح اسم الصوفي بتوجيهات تزكيه عن التمايل إلى هذه الفئة .

في مقاطع مختلفة من تاريخ الفكر بين المسلمين :

١ـ **الكلام والمتكلمون** ، والمعنيّ منهم الفرق المختلفة التي نشأت في أوائل حكومة الأمويين إلى أواسط العباسيين ، وقد صارت تأليفات الفخر الرازي ـ وسيما تفسيره الكبير ـ دائرة مجموعة لهذه المعارف . والفيض لايعتني بهم ولايرى ما أوردوه غير الجدال المنهي عنه شرعا في الأكثر .

يقول في وصف كتابه علم اليقين واعتراضه على المتكلمين[1] : «قد أخرجه الله ـ سبحانه تعالى على لساني من سرادقات الغيب ليطهّر به طائفة منكم من رجز الريب ، وليربط به على قلوبكم ويثبّت به الأقدام ، ويزيد في انشراح صدوركم ويغنيكم عن ورودكم فيما لايعنيكم وصدوركم ـ أعني جدالكم في الدين وتصحيح عقائدكم بمبتدعات المتكلمين وتعلّمكم الألفاظ المخترعة المصطلحة للمتجادلين : فإنها من وساوس الشياطين وتلبيسات إبليس اللعين ، وهي تبعّدكم عن الله جلّ جلاله غاية التبعيد ، وتربو في شُبهكم وشكوككم وتزيد ...» .

٢ـ **الفلاسفة** ـ والفيض لايردّ عليهم بالشدّة التي واجه بها المتكلمين ، إلا أنّه لايرى الفكر الخالص موصلا إلى المقصود فيما هو فوق طور العقل ، فلايرى الاكتفاء به منجيا للإنسان ؛ ولعله يرديه ويدخله في مسالك الهلاك والبطلان ؛ على أنّ القطب الذي يجب أن يدور حوله مدار التفكّر الإسلامي هو الكتاب والسنّة وما جاء عن أهل بيت الوحي ، ثمّ النظر فيما قاله غيرهم لو احتجنا إليه ولم يكن مخالفا مع الأصل الأول ؛ وهذا الأصل وإن كان معترَفا به من جهة أكثر الفرق الإسلامية ، إلا أنّ العاملين به أقلّ من القائلين والمنادين له ، ولعل الفيض أكثر عملا به ، حائدا أن يميل إلى جانب التحجّر وجمود أهل الظاهر .

١- علم اليقين : خطبة المؤلف للكتاب . وقد وقف في هذا المجال نفس موقف أُستاذه صدرالمتألهين ـ قدس سرهما ـ ، راجع الأسفار الأربعة : ١/١١ و١/٧٨ و١/٣٦٣ و٩/٢٠١ . الشواهد الربوبية : ٢٧١ . سه أصل : ١١٠ ، وغيرها .

قال حاكيا عن نظره في قدماء الفلاسفة ومتبعيهم [١] : «... فمنهم من يحملهم على مطالعة كتب الفلاسفة أعني ماكان منها بأيديهم مما نسب إليهم ، لاماكانوا عليه من العقائد ، وذلك أ نّ قدماء الفلاسفة كانوا حكماء أولي خلوات ومجاهدات ، وكانت موادّ علومهم من الوحي ، وكان منتهى علومهم على حسب مقتضى زمانهم وما أتت به أنبياؤهم عليهم السلام قبل تكامل العلم الحتميّ ، وكان أكثر كلماتهم مرموزة ، فتطرّق إليه التحريف من هذه الجهة ، ومن جهة نقله من لغة إلى أُخرى ، ولما كان فهم كلامهم المنقول المحرّف لايحتاج إلى كثير رياضة ، مال إليه طائفة من أهل الإسلام ، فضلّوا به عن الشريعة القويمة النبويّة وما أتت به من المعارف والحقائق التي لا أتمّ منها ... ثمّ العجب من هؤلاء أنّهم لايكتفون بالمنقول عن الفلاسفة ، بل يتصرّفون فيه بآرائهم المتباثنة ، ويجتهدون فيه بأفكارهم المتضادّة ـ اجتهاد الفقهاء في المسائل الشرعيّة ، فكلّ ما انتهى إليه فكر أحدهم ، زعمه نهاية المعرفة ، فيتبحّج به تبحّج من بلغ الغاية وظفر بالولاية ، مع اختلافهم في نتائج الأفكار وطرق الاعتبار ... » .

٣ـ المتصوّفة : والمراد هنا الذين كانوا يُظهرون التقشّف والتزهّد ويدّعون لأنفسهم مقام الوصول إلى الحق وحق الإرشاد ـ وهم ليسوا من أهله في الأغلب ـ فالعاميّة منهم ـ أمثال سفيان الثوري والحسن البصري ـ مردودون عند الفيض لعدم اتّباعهم أهل بيت الوحي وادّعائهم الاستقلال في التعلّم وتعليم الطريق في مقابلهم . وأمّا الخاصّة فهم من أهل الهداية لو راعوا الشرائط واجتنبوا البدع وإلا فهم أيضا ضالّون مضلّون ؛ يقول[٢] :

« والصوفية أصناف : وطائفة منهم سلكوا مسلك الحقّ حتّى وصلوا إلى ماوصلوا بما سبقت لهم من الحسنى ، وهم الذين اهتدوا بأئمّة الهدى ـ إمّا في البداية ، أو في أثناء السلوك ، وهم الأقلون منهم ـ ويشترط في البلوغ إلى

١- بشارة الشيعة : ١٤١ .

٢- بشارة الشيعة : ١٤١ .

مقاصدهم ما أسلفناه من الشرائط . وطائفة سلكوا مسلك أهل الضلال ، لعدم معرفتهم بالإمام ـ وهم الأكثرون منهم ـ وهؤلاء إما خواصّ ينسبون إلى العلم ، وإمّا عوام لاعلم لهم ولامعرفة...» .

٤ـ العرفاء المحققون ـ أمثال ابن العربي والقونوي وأضرابهما: فإذا تأمّلنا في مكتوبات الفيض نراه متأثّرا من نظريات هذه الفرقة ، وقد تسرّبت إليه أفكارهم عن طريق أُستاذه صدر المتألهين ـ قدهما ـ كما هو واضح لكلّ من قارن بين تصنيفات هذين العلمين ـ فإنّ أكثر منقولات الفيض عن ابن العربي وأتباعه محكيّ مما أورده صدر المتألهين عنهم في تصنيفاته ـ وإن كان دائما ساعيا في توفيق هذه النظريات مع الكتاب والسنّة والتأييد والاستشهاد بهما ؛ كما فعله أُستاذه أيضا وقد سبقه إلى ذلك .

غير أنّ الفارق المشهود بين الفيض وصدرالمتألهين في ذلك أنّ الثاني أحسن اعتقادا ونظرا فيهم من الفيض فلايتقي في ذكر أسمائهم وأقوالهم ، والفيض لايعتقد فيهم هذا الاعتقاد وإن كان يراهم من أهل التحقيق ودقّة النظر .

فصدر المتألهين يعبّر عن ابن العربي بأنه[1] « قدوة المكاشفين » و «من أهل المكاشفة » . وإن رأى كلاما له لايرتضيه يصححه بما أمكن من التوجيه : « لئلايقع من أحد سوء ظنّ بهذا الشيخ العظيم »[2] ، وقلما يتّفق أن ينقل منه كلاما لايوافقه وينتقده[3] ؛ ولايستبعد كونه شيعيّا ويرى أن هذا مايستشمّ من بعض كلماته[4] .

١- الأسفار الأربعة : ٤٥/٩ . وتفسير صدرالمتألهين : ٤٩/٣ .

٢- تفسير صدرالمتألهين : ٢٥٩/٢ .

٣- قال في الأسفار الأربعة (٢٣٤/٩) بعد نقل كلام طويل منه : « وإنّما نقلناه بطوله لما فيهامن الفوائد النفيسة ... وإن وقعت المخالفة في البعض » . وقال فيه (٢٥٣/٩) : «وإنما نقلنا بطولها لما فيها من بعض التحقيقات المطابقة لما نحن عليه من الحكمة البرهانيّة وإن كان فيها بعض أشياء مخالفة لها » .

٤- قال في شرح الأُصول من الكافي (شرح الحديث ٢١ من كتاب العقل والجهل): « واعلم أنّ أكثر مانقلناه من عبارته أولا موجود في كتب الحديث ، بعضها على طريقة أصحابنا ، ـــ

ولكنّ الفيض بعد مايصرّح[1] بأنّ «من لم يكن على طريقة أهل البيت ـ المطهّرين من الرجس ، المعصومين عن الخطأ ـ ولم يهتد إلى متابعتهم وولايتهم فقد ضلّ وغوى ، وإن فاق في العلوم والمعارف سائرالورى ... » ، قال[2] : «وهذا شيخهم الأكبر محيي الدين ابن العربي ـ وهو من أئمّة صوفيّتهم ورؤساء أهل معرفتهم يقول في فتوحاته : «إنّي لم أسأل الله أن يعرّفني إمام زماني ، ولو كنت سألته لعرّفنيْ » . فاعتبروا يا أولي الأبصار ، فإنّه لمّا استغنى عن هذه المعرفة ـ مع سماعه حديث[3] « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة » المشهور بين العلماء كافّة ـ كيف خذله الله وتركه ونفسه ، فاستهوته الشياطين في أرض العلوم حيران ؛ فصار ـ مع وفور علمه ودقّة نظره وسيره في أرض الحقائق وفهمه للأسرار والدقائق ـ لم يستقم في شيء من علوم الشرائع ، ولم يعضّ من العلم بضرس قاطع ، وفي كلماته من مخالفات الشرع الفاضحة ومناقضات العقل الواضحة مايضحك منه الصبيان وتستهزئ به النسوان ، كما لايخفى على من تتبّع تصانيفه ولاسيّما الفتوحات ... ويأتي تارة بكلام ذي ثبات وثبوت ، وأخرى بما هو أوهن من بيت العنكبوت ...» .

٥ـ الفيض وعلم الأخلاق:

وبناء على سيرته المبنية على اتّباع أهل البيت نراه لايرضى بكثير مما أورده الغزالي في كتابه الإحياء ، ولكنه لما رآه كتابا جامعا للمباحث الأخلاقية مقبولا في المجتمع العلمي والعملي ، أخذ يصحّحه وينقّحه ويضيف إليه مافات الغزالي لكونه من العامة غافلا عن علوم أهل البيت ؛ قال في مقدمة

← وبعضها على طريقة غيرهم . وانظروا ـ أيّها الإخوان ـ إلى مافي طيّ كلامه من المعاني الدالّة على كيفيّة مذهبه ، كقوله : «إنّ لله خليفة » وقوله : « أسعد الناس به أهل الكوفة » ... وقوله : « لأنهم يعتقدون أنّ أهل الاجتهاد وزمانه قدانقطع» ـ إلى آخره ... » .

١- بشارة الشيعة : ١٤٩ .

٢- نفس المصدر : ١٥٠ .

٣- ذكرالحديث وأوردنا تخريجاته في ص ٥١٤ .

كتابه «المحجة البيضاء في إحياء الإحياء» : « فإنّه (كتاب الإحياء) وإن اشتهر في الأقطار اشتهار الشمس في رابعة النهار ، واشتمل من العلوم الدينية المهمّة النافعة في الآخرة على مايمكن التوصّل به إلى الفوز بالدرجات الفاخرة ، مع حسن البيان والتحرير وجودة الترتيب والتقرير ؛ إلا أنّ أباحامد لمّا كان حين تصنيفه عاميّ المذهب ولم يتشيّع بعد ـ وإنّما رزقه الله هذه السعادة في أواخر عمره ، كما أظهره في كتابه سرّ العالمين[1] ـ كان قد فاته بيان ركن عظيم من الإيمان ، وهو معرفة الأئمة المعصومين ... وكان كثير من مطالبه ـ خصوصا ما في فنّ العبادات منها مبتنيا على أصول عاميّة فاسدة ، ومبتدعات لأهل الأهواء كاسدة ... فرأيت أن أهذّبه تهذيبا يزيل عنه ما فيه من الوصمة والعيب ... وأضيف إليها في بعض الأبواب ماورد عن أهل البيت عليهم السلام ...

الفيض والسياسة :

من المسائل التي ينبغي التأمل فيها مسئلة ارتباط الدين والسياسة عند الفيض ـ قده ـ وحيث أن المسلط على الحكم في أكثر الأزمان كان أهل الباطل ـ ولم يتمكن أهل الحقّ من إقامة دولة الحقّ لعدم اقتضاء الأحوال التي كانوا يعيشون فيها ـ فعلماء الدين ـ وخصوصا الإمامية ـ خالفوا الحكومات الموجودة عموما بإظهار المخالفة إن تمكّنوا منها ، أو بالانحياز منهم وعدم مساعدتهم عند عدم التمكن من الإظهار ؛ وصارت هذه السيرة سبب انتشاء فكر الافتراق بين الدين والسياسة عند بعض الناس ؛ ولكن التأمل في سيرة العلماء الصالحين يوضح بطلان هذا التفكر ، وأنهم كانوا مترصّدين دائما للتدخّل في الحكومة لو وجدوا إلى الصلاح والإصلاح سبيلا ، ويرون ذلك من واجبهم مهما وجدت الفرصة .

ومن أبرز الشواهد لذلك الحكومة الصفوية ، حيث كانت السلطة بحاجة إلى تأييد علماء الدين ، فمال إلى الإصغاء لكلامهم ، ورأى أهل الحقّ أنّ

١- هذا الكتاب منحول على الغزالي على الأظهر ؛ وبناء عليه لايثبت تشيّعه . راجع ما أوردناه حول نفس المطلب في تعليقة (ص ١/٣٤٦) من هذا الكتاب ـ علم اليقين ـ .

الزمان آن لتأييد الحق وانتشاره ، فتقربوا إلى الحكومة للتدخّل في إصلاح الأمور وترويج الإسلام والديانة .

ولكي نعلم مايعتقده الفيض في هذه المسئلة نحكي أولا ما أورده في بيان نسبة السياسة والشرع ، ثم نتأمّل في سيرته الشخصية في هذا المجال ، قال[1] :

«الشرع قانون إلهي أنزل الله سبحانه على أيدي رسله وأوصيائهم المعصومين ﷺ إلى عباده ، ليعلموا به ويلازموه ، ليفوزوا بذلك سعادة الأبد ... والعرف قانون جمهوريّ وضعته الجماهير فيما بينهم وأوجبوا على أنفسهم العمل به وملازمته ، ويقبحون مخالفته ؛ فما تلقته العقلاء منه بالقبول لحسنه أو التزموه لدفع شرّ ملتزميه ، فذلك ، ومااليس كذلك فالتزامه حمق ...، وإذا اشتمل العرف على سلطنة واستيلاء سمّي «سياسة» ، وهي مما لابدّ منه في تعيّش الجماعات من أهل القرى والمدن ، وإن كان بتغلّب ونحوه ؛ والفرق بين السياسة والشرع [أنّ السياسة][2] تحرك الأشخاص البشرية ليجمعهم على نظام مصلح لجماعاتهم ، وإنّما تصدر عن النفوس الجزئيّة ، والشرع يحرّك النفوس وقواها إلى ما وكلت به في عالم التركيب من مواصلة نظام الكل ، ويذكّر معادها إلى العالم الأعلى الإلهي ، ويزجرها عن الانحطاط إلى الشهوة والغضب وما يتركّب منهما ويتفرّع عليهما ، وإنّما تصدر عن العقول الكليّة الكاملة ، فأفعال السياسة جزئيّة ناقصة مستبقاة بالشرع ، مستكملة به ، وأفعال الشرع كليّة تامّة غير محوجة إلى السياسة ... وبالجملة السياسة للشرع بمنزلة الجسد للروح والعبد للمولى ، تطيعه مرّة وتعصيه أُخرى ، فإذا أطاعه انقاد ظاهرُ العالم باطنَه وأقامت المحسوسات في ظل المعقولات ، وتحرّكت الأجزاء نحو الكل ، وكانت الرغبة في الباقيات الصالحات ، والزهادة في الفانيات البائدات ... وإذا عصت السياسةُ للشرع ، تأمّرت الحواسُّ على العقول وزال الخشوع للأسباب البعيدة العالية ، ودفع الإخلاص للعلل القريبة ورأى الملوك أنّ بهم وبأفعالهم نظام ملكوه ...» .

١- ضياء القلب : ١٧٥-١٧٦ .

٢- إضافة يقتضيه السياق .

وعلى هذا المعتقد نرى بناء سيرة الفيض مع حكومة زمانه ، فإنه لمّا أحسّ أنّ أصحاب الحكم يميلون إلى تصحيح الأمور وتقريبها إلى الشرع ـ ولو في الظاهر ـ اغتنم الفرصة في التدخّل في الأمور والكون معهم ، حتى يتمكن من الأمر بالمعروف وإقامة الجمعة والجماعات ؛ ولكن لما دخل في هذا الميدان وأحسّ بعجزه عما ينويه ـ لأسباب شرحها ـ استعفى من الأمر والتجأ إلى الانزواء والخمول[1] .

دراية الحديث

بما أنّ الفيض أخباريّ المسلك ، فتفترق طريقته في تحقيق نسبة الحديث إلى المعصوم مع سائر المحققين ، فلايعتمد على تقسيماتهم للحديث وينتقد اصطلاحاتهم ـ مثل الصحيح والحسن والقوي والضعيف ـ حسب ماعرّفوه . قال [2] :

« قال بعض الفضلاء : للصحيح عند القدماء ثلاثة معان : أحدها ماقطع بوروده عن المعصوم ، والثاني ذلك مع قيد زائد ـ وهو أن لايظهر له معارض أقوى منه في باب العمل ـ والثالث ماقطع بصحة مضمونه في الواقع وأنّه حكم الله في الواقع ولو لم يقطع بوروده عن المعصوم . وكذا للضعيف عندهم ثلاثة معان في مقابلها .

أقول : والمتأخرون ، فالصحيح عندهم أن يكون رواته كلهم إماميّين موثّقين ؛ فإن كانوا إماميّين ولكنّهم ممدوحون بغيرالتوثيق ـ كُلاً أو بعضا مع توثيق الباقي ـ سمّي حسَنا ؛ وإن كانوا كلهم موثّقين ولكنّهم غير إماميّين كلاً ـ أو بعضا ـ سمّي موثّقا ، وغير الثلاثة يسمّى ضعيفا . ومنهم من يسمّي غير الأولين ضعيفا ، وللضعيف أقسام كثيرة كالمرسل والمرفوع وغيرهما » .

وقال[3] : « ثمّ ليعلم أنّ اعتبار الصحّة والضعف إنّما يجري فيما يتعلق من

١- راجع ما حكيناه في أول المقدمة من رسالة شرح الصدر .

٢- الأصول الأصيلة : ٦٣ . والفاضل المنقول عنه صاحب الفوائد المدنية ، راجع فيه : ١٧٧ .

٣- الأصول الأصيلة : ٦٥ .

الأخبار بنحو فرائض العبادات وأحكام الحلال والحرام ، دون مايتعلّق بأُصول الدين ، فإنّها معلومة بأدلّة العقل أو مقرونة بها إلا نادرا ؛ ومايتعلّق منها بنحو القصص والمواعظ وفضائل الأعمال ، إذ ليس في المواعظ والقصص غير محض الخير ، والعلماء المحقّقون يتساهلون كثيرا في أدلّة السنن ؛ والأصل في ذلك ماوراه الخاصّة والعامّة عن النبي ﷺ أنّه قال : « من بلغه عن الله فضيلة فأخذها وعمل بما فيها إيمانا بالله ورجاء ثوابه أعطاه الله تعالى ذلك وإن لم يكن كذلك » وروى هشام بن سالم بسند حسَن عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ : أنّه قال : «من سمع شيئا من الثواب على شيْ فصنعه ، كان له أجره وإن لم يكن على مابلغه» . وفي معناها روايات أُخر ، وهي متلقّاة بالقبول عند الأصحاب ، وقد اشتهر العمل بمضمونها بينهم ، وعلى هذا فالعمل بالأخبار الضعيفة في أدلّة فضائل الأعمال ليس العمل بها حقيقة ، بل بهذا الحديث الحسن المشتهر المعتضد بالروايات الأُخر وبشواهد العقل كما لايخفى » ـ » .

وقال في تعريف الخبر الواحد[1] : « وكانوا لايعتمدون على الخبر الذي كان ناقله منحصرا في مطعون أو مجهول ، ومالاقرينة معه تدلّ على صحّة المدلول ، ويسمّونه الخبر الواحد الذي لايوجب علما ولاعملا ... » .

فقد صرّح بأنّ مايتعلّق بأُصول الدين «فإنّها معلومة بأدلّة العقل أو مقرونة بها إلا نادرا ... » . فالاعتماد في كتبه على الأخبار والآيات في إثبات الواجب ناظر إلى ما فيها من الاستدلالات والتنبيهات وتأييد الاستدلالات العقلية ؛ وأمّا فيما لاطريق للعقل إلى معرفتها ـ مثل أحاديث المعراج ووصف الجنة والنار وغيرها ـ فما كان منها في القرآن الشريف والأخبار المتواترة يقطع بصحّته ؛ وأمّا غير ذلك ـ ممّا ورد في الأخبار الآحاد (باصطلاح المتأخّرين) أو المراسيل والمرفوعات ـ هل نظر الفيض فيها نفس نظره في روايات الأحكام وملاكاته فيها ـ من إطلاق الصحيح باصطلاح القدماء وعدم الاعتقاد بما قاله أهل الاجتهاد في ظنّيّة مدلول أخبار الآحاد ـ ولو كانت

١- الوافي : ١/١٤ . راجع أيضا سفينة النجاة : ٢١ .

صحيحة ـ أم لا ؟ فالظاهر من ممشاه في كتبه ـ مثل علم اليقين وغيره ـ هو الأول وإن لم يصرّح به .

شعره

يعد الفيض من معاريف شعراء قرن الحادي عشر ، وله ديوان شعر بالفارسية جمع فيه زهاء (١٣٠٠٠) بيت من القصائد والمثنويات والغزل وسائر أقسام الشعر ، وقد تجلى روح الشاعر بجميع جوانبها بصورة هذه الأشعار ، فالناظر المتأمل يرى فيها العارف الواله من الحبّ الإلهي ، والحكيم الناظر إلى العالم من منظار العقل البرهاني ، والفقيه المحدّث العارف بباطن الأحكام والأخلاق الإسلامي الداعي إلى السلوك العملي ، والمحب المادح للنبي ﷺ وآله ﷺ المتسك بحبل ولايتهم ؛ وإليك نماذج منها :

زمهر اولياء الله شانى كرده ام پيدا
براى خويش عيش جاودانى كرده‌ام پيدا
رسا گرنيست دست من به قرب دوست يكتا
زمهر دوستانش نردبانى كرده‌ام پيدا
ولاى آل پيغمبر بود معراج روح من
به جز اين آسمانها آسمانى كرده‌ام پيدا
به حبل الله مهر اهل بيت است اعتصام من
براى نظم ايمان ريسمانى كرده‌ام پيدا
زمهرحق شناسان هرچه مى خواهم شود حاصل
درون خويشتن گنج نهانى كرده‌ام پيدا
سخنهاى اميرالمؤمنين دل مى برد از من
زاسرار حقائق دلستانى كرده‌ام پيدا
جمال عالم آرايش اگر پنهان شد از چشمم
حديثش را زجان گوش و زبانى كرده‌ام پيدا
كلامش بوى حق بخشد مشام اهل معنى را
زگلزار الهى بوستانى كرده‌ام پيدا

قدم درمهراوخم شد، عصاى مهرمحكم شد
برای دشمنش تیر وكمانی كرده‌ام پیدا
عصى اينجا وعصيانرا شفيع آنجاست مهراو
دو عالم گشته ام تا مهربانی كرده‌ام پیدا
به خاك درگه آل نبی پی برده ام چون فيض
برای خود زجنت آستانی كرده‌ام پیدا
ازيشان وافي وصافي فقيهان را بود كافي
ازين دو بهر عقبا نردباني كرده‌ام پیدا

يارب بريز شهد عبادت به كام ما — مارا زما مگير به وقت قيام ما
تكبير چون كنيم مجال سوئ مده — در ديدهٔ بصيرت والا مقام ما
ابليس را به بسمله بسمل كن وبريز — زامّ الكتاب جام طهورى به كام ما
وقت ركوع مستی مارا زياده كن — در سجده ساز ذروهٔ اعلی مقام ما
وقت قنوت ذره ای از ما به ما ممان — خود گوی وخود شنو زلب ماپيام ما
در لجهٔ شهود شهادت غريق كن — از ما مگير مائي ما تا سلام ما
هستي زهر تمام خدايا تمامتر — شايد اگر تمام كنی ناتمام ما
فيض است وذوق بندگی وعشق ومعرفت
خالی مباد يكدم ازين شهد كام ما

بهل ذكر چشمان خونريز را — بمان فكر زلف دلاويز را
دل وجان به ياد خدا زنده دار — به حق خير كن اين دو ناچيز را
اگر مستيی آرزو باشدت — بكش ساغر عشق لبريز را
زحق عشق حق روزوشب می طلب — بزن در دل اين آتش تيز را
گذر كن زشيرين لبان مجاز — به ياد آر فرهاد وپرويز را
به جد باش در طاعت شرع وعقل — مهل رسم تقوى وپرهيز را
مكدّر چوگردی بخوان شعر حق — حق تلخ شيرينی آميز را
به روز دلت غم چو زور آورد — بجو مطرب شادی انگيز را
به دل ميرسان دم بدم ياد مرگ — چو برمركب آسيب مهميز را
چو در طاعت افسرده گردد تنت — به ياد آر عبّاد شبخيز را

خدایا اگر چه نیرزد به چیز
به چیزی بخر فیض ناچیز را

علم رسمی از کجا عرفان کجا — دانش فکری کجا وجدان کجا
عشق را با عقل نسبت کی توان — شاه فرمانده کجا دربان کجا
دوست را داد او نشان دید این عیان — کونشان و دیدن جانان کجا
کی به جانان می رسد بی عشق جان — جان بی عشق از کجا جانان کجا
جان و دل هم عشق باشد در بدن — زاهدان را دل کجا یاجان کجا
هم سرما عشق وهم سامان ما — سرکجا بی عشق یا سامان کجا
عشق خان و مان هر بی خانمان
فیض را بی عشق خان ومان کجا

بده پیمانه ای سرشار امشب — مرابستان زمن ای یار امشب
ندارم طاقت بار جدائی — مرا از دوش من بردار امشب
نقاب من زروی خویش برگیر — برافکن پرده از اسرار امشب
زخورشید جمالت پرده بردار — شبم را روز کن ای یار امشب
بیا از یکدگر کامی بگیریم — فلك در خواب و ما بیدار امشب
شب قدر و ملائك جمله حاضر — مهل ساقی مرا هشیار امشب
نخواهم داشت از دامان جان دست
سر فیضست و پای یار امشب

الهی به کامم شرابی فرست — شرابی زجام خطابی فرست
دلم تا صفا یابد از زنگ غم — به دردی کشانت که نابی فرست
زسر جوش خمخانهٔ حبّ خویش — به جام شرابم حبابی فرست
به لب تشنهٔ چشمهٔ معرفت — به ساقیّ کوثر که آبی فرست
بدل تخم امید کشتم بسی — بدین کشتزارم ُسحابی فرست
برای براتم زآتشکده — زسوی یمینم کتابی فرست
زقشر سخن فیض دلگیر شد
زمعنای بکرم لبابی فرست

اگر آهی کشم صحرا بسوزم — وگر شوری کنم دریا بسوزم

شود دل شعله چون بر یاد روئی شوم تن شمع وسرتاپا بسوزم
کنم هرچند پنهان آتش جان میان انجمن پیدا بسوزم
خوشم با سوختن در آتش عشق بهل تا من درین سودا بسوزم
در آنجا هرکه باشد هرچه باشد بسوزد زآتشم هرجا بسوزم
کنم گر اقتباسی زآتش قدس وجود خویش سرتا پا بسوزم
بسوزد باطن و ظاهر زسوزم اگر پنهان وگر پیدا بسوزم
زسوز جان اگر حرفی نویسم ورق را سر بسر یکجا بسوزم

چوفیض ار دم زنم از آتش عشق
زبان و کام با لبها بسوزم

زاهدا قدح بردار این چه غیرت خامست
زهد خشگ را بگذار رحمت خدا عامست
خویش را چه میسوزی جام می بر آتش ریز
کیسه ها چه میدوزی نقدها ترا رامست
ذوق می چو نشناسی شعله گر شوی خامی
آنکه مست جانان نیست عارف اربودهامست
عشق کهنه صیادیست ما چو مرغ نوپرواز
خال مهوشان دانه زلف دلبران دامست
جوش بادهٔ مارا نُه خم فلك تنگست
پیش نالهٔ مستان غلغل ملك خامست
هرزه پوید اسکندر در درون تاریکی
آب زندگی باده چشمهٔ خضر جامست
پای بر سر خود نِه دوست را در آغوش آر
تابه کعبهٔ وصلت دوری تو یك گامست
چون زخویشتن رستی باحبیب پیوستی
ورنه تا ابد میسوز کاروبار تو خامست

مستيِ منِ شیدا نیست کار امروزی
تا الست شد ساقی فیضِ دردی آشامست

أساتذته :

مضى ذكر من سمّاهم من أساتذته فيما حكيناه عن رسالته « شرح الصدر» وإليك التفصيل ؛ فأساتذته هم :

١ـ خاله محمد نورالدين أو ضياء الدين .

قال في رسالة شرح الصدر: «كنت برهة في خدمة خالي المعظم ـ وكان من الممتازين في عصره ـ في كاشان الوطن الأصلي مشتغلا بتحصيل العلوم الظاهرية من التفسير والحديث والفقه وأُصول الدين ومايتوقّف عليه من العلوم كالعربية والمنطق وغيرها ...» .

وهو ـ كما قال صاحب الروضات[1] «نورالدين» . والأظهر أن اسم الرجل «محمد» كماقال صاحب الذريعة[2] : «محمد الكاشاني نورالدين من العلماء الذين كتبوا بخطوطهم في مجموعة محمد الشهير بخطيب قطبشاه ... ولعله الآتي في النون بعنوان نورالدين الكاشاني».

ولكنه حكى في ترجمة الفيض[3] أنه «كان ابن أُخت ضياء الدين محمد بن محمود الكاشي» . فهل لقب الخال هو «نورالدين» ، أو «ضياء الدين» ، أو كلاهما لقب رجل واحد ، أو هما رجلان وهماخالان للفيض ؟ لاسبيل إلى الجزم بشيء من هذه الاحتمالات .

٢ـ السيد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني[4] ؛ المتوفى (١٠٢٨) .
قال في شرح الصدر : «ثم لتحمّل الحديث بالإسناد والعنعنة والتصحيح ذهبت إلى شيراز ومجلس فقيه العصر المتبحّر في العلوم الظاهريّة ، أعني السيد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني ـ تغمّده الله بغفرانه ـ واستفدت من حضرته شطرا

١- روضات الجنات : ٦/٨٠ .

٢- طبقات أعلام الشيعة : القرن الحادي عشر ، ٥٣٦ .

٣- نفس المصدر : ٤٩٢ .

٤- راجع ترجمته في روضات الجنات : ٦/٧٢-٧٨ . أمل الآمل ٢/٢٢٦ . سلافة العصر : ٥٠٠-٥٠٤ .

معتدًا به من الحديث ومتعلقاته ، سماعا وقراءةً وإجازةً ...» . وقد ذكر إجازته منه في مقدمة كتابه الوافي[1] أيضا .

٣ـ الشيخ محمد بن عبد الصمد العاملي المعروف بالبهائي ـ قده ـ :
ذكر في شرح الصدر أنّه رجع من شيراز إلى أصبهان ـ بعد التلمّذ عند السيد ماجد المذكور ـ «ووصل إلى خدمة الشيخ بهاء الدين محمد العاملي وأخذ منه إجازة رواية الحديث أيضا ، ثم سافر إلى الحجاز» .

كما أنّه يذكر إجازته من هذا الشيخ في مقدمة كتابه الوافي[2] أيضا . ولانعلم أنّ الفيض عند وصوله إلى أصبهان من كاشان ـ في المرّة الأولى ـ هل حضر مجلس درس الشيخ البهائي أيضا ـ فإنّ الشيخ كان في أصبهان ومن مشاهير العلماء حينئذ ـ أو أنّه وصل إلى الشيخ بعد الرجوع من شيراز ولم يكن مستفيدا منه قبل ذلك ، ولايستبعد الثاني فإنّه لو كان حاضرا عندالشيخ قبل سفره لشيراز لكان جديرا بالتصريح به ، بينما هو لم يذكر عنه شيئا .

٤ـ الشيخ محمد[3] بن الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني ؛ وقد ذكر في شرح الصدر ملاقاته إياه بمكة وأخذه إجازة الحديث منه ـ قدس سرّهما ـ .

٥ـ صدرالدين محمّد الشيرازي الحكيم الإلهي المعروف بالملاصدرا.
اتّصل الفيض به في قم ، وكان حضوره عنده واستفادته منه أكثر من سائر أساتذته ، حتّى أنّه صاهره على بنته ولازمه في قم خلال ثمان سنين ، ثم ذهب معه إلى شيراز وبقي عنده سنتين أيضا ـ صرّح بجميع ذلك في شرح الصدر ـ

ويعلم من ثنائه عليه بما لم يثن على أحد من أساتذته وتعظيمه له مدى تأثّره به واستفادته منه . ولاغرو ، فلولا لقاء الفيض بصدرالمتألهين وتلقّيه

١- الوافي : المقدمة الثانية : ٢٨-٢٩ .

٢- الوافي : المقدمة الثانية : ٢٩ . وقد ذكر أن طريق روايته للكتب الأربعة من السيد ماجد أيضا من طريق هذا الشيخ ، وأنه ينقل عن الشيخ بلاواسطة أحيانا وبواسطة السيد أخرى ـ قدس سرّهم جميعا ـ .

٣- راجع ترجمته في أمل الآمل : ١٣٧-١٤٠ . روضات الجنات : ٣٥/٦ .

المعارف الإلهيّة منه لم تتمكن قوة استعداده في كسب المعارف العلميّة والسلوك العمليّ من البروز والتحقّق ، ولكان الفيض مفرطا في أخباريّته ومتحجّرا في قشريّته ؛ فما نرى منه من القوّة في فهم الأخبار والاعتدال في السلوك العمليّ إنّما هو نتيجة حضوره لمجالس درس هذا الأستاذ والاقتداء به علما وعملا ؛ على أنّ ماترسّخ فيه من السلوك الأخباريّ أيضا صار معينا له وموجبا لاعتداله في السلوك العقليّ وعدم الاعتماد على العقل الصرف والوقوف عند ظواهر النصوص والسعي في تبيين عدم وجود الاختلاف بين مايفهم من العقل والدين والكشف ؛ وهو وإن كان في ذلك أيضا سالكا سبيل الأستاذ وتلميذا له ومقرّرا لما استفاد منه ، إلا أنّه أكثر تحفّظا واحتياطا منه ـ سيّما في أخريات عمره ـ ولعلّ ذلك لحضوره في المجتمع أكثر من أستاذه الذي بقي مدّة طويلة من عمره منعزلا عن العامّة مبتعدا عن الغوغاء ، معتكفا على شأنه العلميّ والعمليّ . ولم يجرّب ماجرّبه الفيض عند ما صار إماما للجمعة والجماعة وحاكما شرعيّا من قبل السلطان . ولقي ما صرّح به ـ أو حكاه غيره ـ من معاصريه من حواشي السلطان والمتشبّهين بالعلماء والقشريّين منهم من الأذى والطعن وحتّى التكفير.

هذه خمسة من الأعلام الذين صرّح الفيض بالاستفادة وأخذ الإجازة منهم ؛ وذكر المحدّث النوري[1] ثلاثة آخرين في عداد مشايخ الفيض ، وهم :

١ـ المولى خليل القزويني .

٢ـ المولى محمد صالح المازندراني .

١- مستدرك الوسائل : الخاتمة ، الفائدة الثالثة ، ذكر مشايخ المولى محمد باقر المجلسي ـ قده ـ ، ٢٣٦/٢٠ ، طبعة آل البيت . وقد ذكر صاحب الروضات أيضا روايته عن الأولين حيث قال (روضات الجنات : ٩٣/٦) : « وله الرواية أيضا عن الشيخين المذكورين [السيد ماجد وصدرالمتألهين] وكذا عن الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن شيخنا الشهيد الثاني ، وعن المولى خليل القزويني ، والمولى صالح المازندراني ، بحقّ روايتهم جميعا عن شيخنا البهائي رحمه الله » .

٣ـ المولى محمد طاهر القمي .

ولم يذكر مصدرا لذلك ، فلعله عثر على إجازات منهم لصاحب الترجمة مما لم نقف عليها .

وأما ما أورده بعض من ترجم للمؤلف من أنه «يروي عن أبيه الشاه مرتضى» فواضح البطلان بعد ما ثبت أنّ وفاة والده ـ قده ـ كان في الثانية من عمر الفيض ، ولم يتمكّن من رؤيته حتّى في أيّام طفولته .

على أنّه من البعيد جدّا انحصار أساتذة المترجم له في هذه العدّة بعد ما كان له من العمر الطويل والرحلات الكثيرة ، فلاشك أنّه لقى خلال هذه الرحلات عدّة كبيرة من الأعلام وحضر في مجالسهم وسمع منهم ـ كما أشار إليه في رسالته شرح الصدر[1] ـ غير أنّا لانتمكّن من الجزم في ذلك . فإنّه لما دخل أصبهان في المرّة الأولى والثانية كان هذا البلد حافلا بجمع من المشايخ المعروفين ، وفي طليعتهم السيد الداماد ـ مثلا ـ فمن البعيد أن لايحضر مجلسه ولا يستفيد من دروسه ، غير أنّه لايشير إلى شيء من ذلك في كتبه ولايعظمه تعظيم الأستاذ عند ذكر اسمه[2] .

١- قال في شرح الصدر (ص٦١) ماترجمته : «وبالجملة سافرت مدة في البلاد متفحصا ، وطالبا للعلم والكمال من بواطن العباد ، وأينما أشير إلى أحد بأن عنده شيئا من الكمال ذهبت إليه سحبا على الهام ـ لامشيا على الأقدام ـ واستفدت منه بقدر التمكن والاستعداد ... » .

٢- ورد في الوافي (١/٣٨٠) : « قال السيد الداماد تغمده الله بغفرانه في تفسير هذا الحديث ... » ثم قال : « أقول : فيه نظر ... » . وفيه (١/٤٥٨) : « قال السيد الداماد (ره) ...» ثم قال : « أقول : ما ذكره خلاف الظاهر من الحديث ... » .

فلو طابقنا هذا التعبير مع ما يعبر عنه في مثل المورد من صدرالمتألهين نرى الفرق واضحا ، فقد أورد في الوافي (١/١١٤) : «وقال أستاذنا رحمه الله ما محصله ...» ثم قال : « أقول : هذا تحقيق حسن ، إلا أن إرادته من الحديث بعيدة ... » .

تلامذته والراوون عنه :

وهم عدة من المشاهير :

١ـ العلم العلامة المولى محمد باقر المجلسي[1] .

٢ـ السيد نعمة الله الجزائري[2] .

٣ـ القاضي سعيد القمي[3] .

٤ـ ابنه محمد بن محمد المعروف بعلم الهدى المولود سنة١٠٣٨ في قم.

هذا ما جاء في كتب التراجم ، ومن المعلوم أنّ جمعا من طالبي العلم والكمال حضروا مجالسه واستفادوا منه ولم تذكر أسماؤهم ، ومما يشهد لذلك كثرة النسخ المستنسخة من تأليفات المترجم له في حياته عن نسخة مؤلفه ، فإن الظنّ الغالب أنّ جمع من المستنسخين كانوا من تلامذته[4] ، كما أنّه يمكن أن

١- أورد العلامة المجلسي ـ قده ـ صورة إجازة الفيض ـ قده ـ له ضمن إجازات البحار (١٢٤/١١٠ و٣٣٢) وكتب في عنوانها : « صورة ماكتبه لنا من الإجازة المولى الجليل العالم العارف الربّاني مولانا محمّد محسن القاشاني ـ ره ـ وهي بخطه الشريف » .

٢- صرح بذلك في كتابه زهر الربيع : ٧٢ .

٣- راجع ترجمته في روضات الجنات : ٩/٤ . مقدمة المغفور له السيد محمد مشكاة على كتابه «كليد بهشت» ، مقدمة نجفقلي حبيبي على شرح كتاب التوحيد للصدوق للقاضي . وقد عبّر فيه عن الفيض بـ«أستاذنا الربّاني دام فيضه الروحاني» و «قال الأستاذ دام فيضه» «كما أفاد أستاذنا في العلوم الدينية» «بعض الأساتيد الأعلام» . راجع شرح التوحيد : ٦٣/١ و٣٠١ و٤٤٩ و٥٥٠ . ٢١٢/٢ و٣٠٢ و٥١٨ . وفي مجموعة مخطوطة (٤٦٠٢) المكتبة المركزية لجامعة طهران (فهرس المكتبة : ٣٥٣٣/١٤) مكتوب من الفيض إليه رقمه جوابا عما كتبه إلى الأستاذ جاء فيه (نقلا عن مقدمة شرح التوحيد : ٢/ب) : «وصلت مكتوبه الشريف لقرة العين ، الحبيب في الله ميرزا محمّد سعيد ـ فتح الله عين قلبه بنور البصيرة ...» .

٤- فمثلا جاء في آخر مخطوطة (س) من مخطوطات علم اليقين (راجع وصف النسخة في ذكر ـــ

نضيف إلى هذه الأسامي أسماء ولديه الآخرين

٥ـ ابنه المولى محمد الملقب بنورالهدى ، ولد سنة ١٠٤٧ .

٦ـ ابنه المولى معين الدين أحمد ـ أو محمد ـ ولد سنة ١٠٥٦ .

فإنهما تتلمذا على أبيهما ـ قده ـ بالظن القريب من اليقين .

٧ـ وذكر صاحب الذريعة[1] كتاب «الرد على الشهاب الثاقب» وقال: «لتلميذه المولى أمين بن عبد الوهّاب ، كتبه بعد وفاة أستاذه الفيض ، ... يذكر فيه كلام الفيض بعنوان «قال» ، ويذكر ماعليه بعنوان : «أقول» . فهو في الصورة شرح شامل للمتن ، لكنه في الحقيقة ردّ وجرح ، يعبّر عن الفيض بـ«شيخنا ومولانا» . وقال في آخره : «إنّ المصنّف ـ رحمه الله ـ قد أحسن إليّ وإلى كثير من الناس في التعليم والإشفاق» . والنسخة عند الشيخ الميرزا محمد علي الأردوبادي في النجف ، تاريخ كتابتها (١١٢٧)» ـ انتهى كلام صاحب الذريعة ـ . ولم أعثر على ترجمة له ، غير أنه أورد صاحب الذريعة[2] نفسه: «محمّد أمين تلميذ بهاء الدين العاملي (م ١٠٣٠) ... » . و « محمّد أمين الإسترابادي ابن عبد الوهّاب الخادم ، رأيت تملكه لنسخة شرح اللمعة بعد ١٠٦٥ » .

٨ـ وقال السيد محمد المشكاة[3] : «من تلاميذ المؤلف السيد محمد إبراهيم ، فإنّ من الكتب الموجودة عندي كتاب «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال» بخط محمد رضا في سنة ١٠٤٨ . وقد قرء على المولى محسن الفيض وعليه حواش وتصحيحات وكتب في آخره إجازة بخطه ، وهذه

← نسخ الكتاب الموجودة عندنا حين التحقيق) : «وكتبه أقل الأقلين محمد شفيع بن محمد أمين ناقلا عن خط مؤلفه ـ أدام الله تعالى بقاءه وزاد علينا فيضه بمنّه وفضله في أوائل ربيع الثاني سنة ١٠٥٠ » ؛ فالظنّ الغالب أنّ الكاتب من تلامذة الفيض ـ وإن لايمكن الجزم في ذلك ـ ولم يثبت له عنوان في التراجم .

١- الذريعة : ٢٠٢/١٠ .

٢- طبقات أعلام الشيعة : القرن الحادي عشر ، ٥٤ـ٥٥ .

٣- مقدمة المحجة البيضاء : ٣٧/٢ .

صورتها : «قد بلغت قراءة الفاضل الموفّق السعيد محمّد إبراهيم بن محمّد قلي ـ زيد توفيقه وتأييده ـ لهذا الكتاب من أوله إلى آخره فحص وتحقيق علي ، وأنا العبد المسيء الملقّب بمحسن محمّد بن مرتضى » . » .

تأليفاته :

الفيض ـ قده ـ نفسه رتّب فهرست تأليفاته ثلاث مرّات ، و إنّي أذكر أساميها وتعريف الكتاب حسب ما في الفهرس الأُولى أولا بين العلامتين « » من كلام الفيض ومرتبا على الترتيب الأبتثيّ ، ثم ما أُضيف إليها في الفهرسين الثاني والثالث ، ثم ماوجدت منسوبا إليه ولم يرد اسمه في هذه الفهارس[1] .

ولتمام النفع رأيت أن أُضيف إلى هذه الفهرس ذكرالنسخ الموجودة من هذه الكتب حسب اطلاعي عليها من فهارس المكتبات العامة أو الخاصة ، أو في مراجعاتي إلى هذه المكتبات .

فالرموز المستعملة والمراجع المذكورة في هذا الفهرس على مايلي :

إلهيات طهران : فهرس مكتبة كلية الإلهيات والمعارف الإسلامي في طهران : ج١-٢.

إلهيات مشهد : فهرس مكتبة كلية الإلهيات والمعارف الإسلامي في مشهد : ج١-٣ .

خوانساري : فهرس مخطوطات المرحوم السيد مصطفى الخوانساري في المكتبة الرضوية

جامعة : فهرس مخطوطات المكتبة المركزية في جامعة طهران ج١ - ١٨ .

عبدالعظيم : فهرس مكتبة مرقد عبدالعظيم الحسني في ري ، المطبوعة ضمن (نسخه هاى خطى : ٣/٦١-٨٣ و٤٢٧-٤٨٠) ، تأليف المغفور له محمد تقي دانش پژوه .

العلامة : مكتبة العلامة الطباطبائي في شيراز . تفضل علينا بإرسال قائمة كتب الفيض فيها مشكورا حجة الإسلام محمد بركت .

الفيضية : فهرس مخطوطات مكتبة مدرسة الفيضية بقم : ج١-٢ .

فاضل : فهرس مخطوطات مكتبة آية الله فاضل الخوانساري في خوانسار ، ج١-٢.

١- الموجود عندي من هذه الفهارس مانشره المغفورله الأستاذ السيد محمد مشكاة ضمن مقدمة الجزء الثاني من المحجة البيضاء (الطبعة المصورة عن نسخة استنسخها علم الهدى ابن الفيض ، طهران المكتبة الإسلامية ، ١٣٨٠) .

قائيني : فهرس مخطوطات مكتبة حجة الإسلام الفاضل القائيني الخاصة المطبوعة في جريدة تراثنا : نشرة مؤسسة آل البيت ، قم ، السنة ١٤ ، الرقم الأولى ، التسلسل ٤٩ .

گلپايگاني : ما أخذته عند مراجعتي للمكتبة من الفهرس الموجود في حاسبة مكتبة آية الله العظمى گلپايگاني ـ قده ـ العامّة .

مدرسة إمام العصر : مدرسة إمام العصر (عج) في شيراز . تفضّل علينا بإرسال قائمة كتب الفيض فيها مشكورا حجة الإسلام محمد بركت .

مرعشي : مكتبة آية الله العظمى المرعشي ـ قده ـ العامّة في قم ، فهرس مخطوطات المكتبة المطبوعة : ج١ـ٢٧.

مروي : فهرس مخطوطات مكتبة مدرسة مروي في طهران .

معصومية : فهرس مكتبة مزار فاطمة المعصومة عليها السلام في قم ، تأليف المغفور له دانش پژوه.

ملك : فهرس مخطوطات مكتبة ملك العامة في طهران : ج١-٦ .

ملي : فهرس مخطوطات مكتبة ملي في طهران المطبوعة إضافة إلى ما وجدت عند مراجعتي للمكتبة من الفهرس الموجود في المكتبة .

مهدوي : فهرس المكتبة الخاصّة للمغفور له الدكتور أصغر مهدوي الذي كتبه المرحوم محمد تقي دانش پژوه وطبع في مجموعة : نسخه هاى خطى ، ج٢ ص٥٧ - ١٨١ .

مكروفلم : فهرس المكرو فلم الموجود في مكتبة جامعة طهران : ج ١-٣ .

نمازي : فهرس مكتبة مدرسة نمازي في خوى .

وزيري : فهرس مكتبة وزيري في يزد : ج١ـ٤ .

نذكر أولا اسم الكتاب وما كتبه الفيض في تعريفه داخل العلامتين «» ـ لوكان الكتاب مما ذكر في فهرس الفيض ـ ثم أضيف على ذلك أحيانا بعض المعلومات حول الكتاب ، ثم رمز المكتبة ، ثم رقم الكتاب في المكتبة ، ثم سنة كتابة النسخة أو قرن الكتابة لوكان مذكورا في فهرس المكتبة .

* * *

١ـ « آب زلال » مثنوي مطبوع ضمن ديوانه ـ قده ـ (١/٢١٢-٢٢٢) * النسخ ـ جامعة : ٤١١٨ سنة ١١٣٣ . ٥٨٨٦ . * الرضوية : ١٥٢٣٥ . * مجلس : ٥٩٠٣ سنة ١١١٩. *

مرعشي: ٥٢٥ سنة ١١٢٢، ١٦٦٧ . ٣٨٥١ سنة ١٢٢١ . * مسجد : ١٥٢٠ سنة ١٢٢١ . ١٤٨٩ . * ملك : ٥١٠٩ القرن ١٢ . * نمازي : ٤٥٧ سنة ١٢٦٠ .

٢ـ « آداب الضيافة » مثنوي غيرمطبوع .

٣ـ « آيينة شاهي ـ وهي منتخب من ضياء القلب ، فارسية ... يقرب من ٣٠٠ ، وقد صنفت في سنة ست وثلاثين بعد الألف » . طبع في شيراز ١٣٢٠ ش مع رسالة ألفت نامه ، وأصبهان ١٣٧١ ش مع تسع رسائل أخر . * النسخ ـ جامعة : ٣١٤ . ٤٤٣٧ القرن ١١ . ٧٥٤٢ القرن ١٣ . * خوانساري ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * گلپايگاني : ٢٤/١٩٥ ، القرن ١٣ . * مرعشي: ٨٢ الكاتب أخو المؤلف . ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ . * ملك : ٦٣٣٨ القرن ١١ . * ملي : ٢٨٩٥. * مهدوي : ٣٦٤ .

٤ـ « أبواب الجنان ـ في بيان وجوب صلاة الجمعة وشرائطها وآدابها ... بالفارسية لعامة الناس في ٥٠٠ بيت ، وقد صنّف في سنة خمس خمسين وألف » . غير مطبوع . * النسخ ـ خوانساري ١٤١٥ القرن ١١ . * الرضوية : ١١٢٤٠ سنة ١٣٠٣ . * گلپايگاني : ٢٤/١٩٥ ، القرن ١٣. ١١/١٨١ ، القرن ١٣ . * مرعشي : ١٠١٧٧ القرن ١١ . * ملك : ٢٩٣٦ . * وزيري : ١٦٨٨ .

٥ـ « الأحجار الشداد والسيوف الحداد في إبطال الجواهر الأفراد ، في ٢٠٠ بيت وقد ألفتها في عنفوان شبابي» . غيرمطبوع . * النسخ ـ مجلس : ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ بخط نافلة المؤلف . * مرعشي : ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ .

٦ـ « أذكار الطهارة ـ في الأذكار المتعلقة بها في خمسين بيتا » . غيرمطبوع . * النسخ ـ إلهيات مشهد : ١٤٥٢ سنة ١١١٧ . ١٩٥٨ القرن ١٢ . * خوانساري ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * مرعشي : ١٠١٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ٢٦٣٢ .

٧ـ « الأذكار المهمّة ـ وهو مختصر من خلاصة الأذكار فارسيّ ، في ٣٤٠ بيتا » . غير مطبوع . * النسخ ـ مجلس ١٢٤٩٧ سنة ١٠٨٤ .

٨ـ « الأربعين في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام وهو أنموزج من فضائله ... يقرب من ٣٣٠٠» غيرمطبوع .

** الاستقلالية = تحقيق ثبوت الولاية على البكر ...

٩ـ «الأصفى ، وهو منتخب من الصافي ، يشتمل على لباب مافيه ، راعيت فيه غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع التوضيح ، في ٢١٠٠٠ ألف بيت تقريبا، وقع الفراغ منه بعد الصافي بسنتين» . وقد طبع الكتاب مكررا وأخيرا محققة في قم ، نشره مكتب الإعلام الإسلامي . * النسخ ـ آخوند : ١٠١٢٦ سنة ١١٢٠ . * إلهيات مشهد: ١١٠٩ سنة ١٢٥٩ . ١٣٩٣ سنة ١٠٩٢ . * خوانساري : ٤٤٩ سنة ١١٣٠ . * الرضوية : ١١١٦٢ سنة ١٠٨١ الكاتب ابن أخ المؤلف . ١٠٠١٦ سنة ١٢٢٨ . ١٤٤٠ سنة ١٢٥٠ . ١٤٤١ . ٩٤٣٥ القرن ١٣ .

* گلپايگاني : ١٤/٢٢ القرن ١١ . * گوهرشاد : ٥٠ القرن ١١ . ٢٦٤ سنة ١٢٥٩ . * مجلس : ١٢١٦ سنة ١٠٧٩ . ٤٧٩٦ سنة ١٠٨١ عرض على المؤلف وفيه تعليقات منه ـ قده ـ بخطه . ١٢٠٤٥ سنة ١٠٨٣ . ١٢٢٣٥ . * مسجد : ٢٠٣٩ سنة ١١٠٣ . ٣٢٨٣ القرن ١٣ . * مرعشي: ١٢٧٨ سنة ١٠٧٨ كتبه علم الهدى عن نسخة المؤلف . ٧٤٧٣ سنة ١٠٨١ مستنسخه عن نسخة علم الهدى . * ملك : ١٧٠ سنة ١٢٥٦ . ٢٥٢ سنة ١٢٤٢ . ٢٨٨ القرن ١٢ . * ملي : ٢٧٤ سنة ١١٣٤ .

١٠ـ «الأُصول الأصيلة يشتمل على عشرة أُصول مستفادة من الكتاب والسنة ... يتعرّف منها كيفية استنباط المسائل الدينية ... يقرب من ٢٣٠٠ بيت ، وقد صنّف في أربع وأربعين بعد الألف» . طبع في طهران ١٣٩٠ ق ، وأُعيد طبعه في قم مصوّرة . * النسخ ـ جامعة : ١٦٢٠ القرن ١٢ . ٢٤٧٧ القرن ١٢ . ٤١٢٠ سنة ١٣٠٩ . * حسينية التستريين : ٨٥٩ . * خوانساري: ٩٦٠ القرن ١١ . ١١٣٩ سنة ١٢٤١ . ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * فاضل : ١٥١ القرن ١٢ . * الرضوية : ١٠٧٩١ سنة ١٠٥٢ . ١٠٨٢٠ سنة ١٢٢٠ . ٦٢١٣ . * گلپايگاني : ١٨/١٧٧ ، سنة ١٣١٣ . * مجلس : ١٨٦٧ . ١٨٦٦ . ٤٣٤٨ القرن ١٢ أو ١٣ . * مرعشي ٥٠٧ مكتوبة عن نسخة المؤلف في حياته . ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . ٢٣١١ سنة ١٠٧٥ استنسخه علم الهدى وقوبل على نسخة المؤلف . ٦٠٩٤ سنة ١٠٨٦ . * ملك : ٦٣٥١ سنة ١١١٢ .

١١ـ « أُصول العقائد في تحقيق الأُصول الخمسة الدينية وبيانها على النهج الحكمي ... يقرب من ٨٠٠ بيت وقد صنّف في سنة ست وثلاثين بعد الألف » . غير مطبوع . * النسخ ـ إلهيات مشهد : ٥٢١ سنة ١٢٥٢ . * مرعشي : ٨٧٧٨ سنة ١٢٧٠ . * ملك ١٨٣٧ سنة ١٢٦٥ . * ملي : ٢١٨٩ .

١٢ـ « أُصول المعارف ـ وهو ملخص مهمّات كتاب عين اليقين ... يقرب من ٤٠٠٠ بيت وقد صنّف في سنة تسع وثمانين بعد الألف» . * صدر مع مقدمة وتصحيح الأُستاذ الآشتياني في مشهد وأُعيد طبعه مصورة في قم . * النسخ ـ جامعة : ٣٨٨٣ بخط نافلة المؤلف . * حسينيه التستريين : ١٥٧ . * قائيني : ١٩ سنة ١٠٦٥ . * گلپايگاني : ٣٣/١٥٦ ، القرن ١٣ . ٢٣/٧٤ ، القرن ١٢ . * مجلس : ١٧١٢ استنسخه علم الهدى من الأصل . ١٧١٣ مستنسخة في حياة المؤلف . ٤٣٧٧ سنة ١١٣٧ . ٤٧٠٢ سنة ١٣٣٨ . * مرعشي : ٤٧٦ القرن ١٢ . * مسجد : ٨٥٦ . سنة ١١١٩ .

** الاعتذار = جواب مكتوب بعض الاخوان المشتمل على المعاتبة ...

١٣ـ « ألفت نامه ـ في ذكر ماورد في ترغيب الإخوان على التآلف ... في ٢٠٠ بيت وكان تأليفها فيمابين الثلاثين والأربعين بعد الألف » . طبع في شيراز ١٣٢٠ ش مع رسالة آينه شاهي ، وأصبهان ١٣٧١ ش مع تسع رسائل أُخر . * النسخ ـ خوانساري : ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * الفيضية : ٣٣٠ . * مجلس : ٤٥٧١ سنة ١٣٠٥ . * مرعشي : ٨٢ كتبه اخوالمؤلف . ١٠٣٣٧ سنة ١٢٢٠ . * مهدوي : ٥١٠ القرن ١١ .

١٤ـ « الإنصاف تشتمل على بيان طريق العلم بأسرار الدين وكيفيّة السعي في تحصيل اليقين في ٢٠٠ بيت ، ألفتها في سنة ثلاث وثمانين وألف » . طبع في طهران ١٣١٦ ق طبعة حجرية ، ومع رسائل أخر للمؤلف ـ قده ـ طهران ١٣٠٣ ق ، وضمن عشر رسائل له في أصبهان ١٣٧١ ش . * النسخ ـ الإلهيات طهران : ٧٤٩ سنة ١١١٦ . * جامعة : ٤٤٤١ القرن ١٢ . ١١٦٩ . ٨٢٣١ . * خوانساري : ٥٦٧ سنة ١٣١٥ . * ملي ١١٩٢٢ سنة ١٠٨٥ . * گلپايگاني: ٣٠/١٨٨ سنة ١٢٢٨ . ٢٧/٧٨ سنة ١٣٠٠ . * مجلس : ٤٥٧١ سنة ١٣٠٥ . * مرعشي : ٨٢ كتبه أخوالمؤلف . ١٦٦٧ . ٧٧٩٧ سنة ١٣٢٠ . * ملك : ١٢٠٤ سنة ١٣٢٠ . ١٨٦٩ القرن ١٢ . ٨٧٧٨ سنة ١٢٧١ . ٨٧٨٧ سنة ١٢٢٣ . ٩٣٢٥ . ٩٤٥٩ سنة ١٢٠٤ . * مهدوي : ٢٧٩ سنة ١١٣٥ . ٣٦٤ . * ١٠٦٩ سنة ١١٥١ .

١٥ـ « أنموذج أشعار أهل العرفان في التوحيد في سبعين غزلا » . غيرمطبوع .

١٦ـ « أنوار الحكمة ـ مختصر من كتاب علم اليقين مع فوائد حكميّة اختصّت به ... يقرب من ٦٠٠٠ بيت وقع الفراغ منه سنة ثلاث وأربعين بعد الألف» . غير مطبوع . النسخ ـ آخوند : ٤٧٤٢ . * جامعة : ٤٣٣ . * خوانساري : ٨٧٩ سنة ١٠٩٨ . ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . * الرضوية: ٧٤٥٠ سنة ١٠٨٩ . ٦٨٨١ . ٨٨٩٤ . * العلامة : ٨٧٦ سنة ١٠٧٤ كتبت عن نسخة المؤلف وقوبل عليها . * مجلس : ٤٨٧٢ سنة ١٢٦١ . ٢٨٥٣ سنة ١١٤٧ . * مرعشي : ١٠٩٢٩ سنة ١٠٧٥ . * مسجد : ٢٧٠٦ سنة ١١٢٦ . * ملي : ١٣٧ سنة ١٠٨٥ .

١٧ـ « أهم مايعمل ـ يشتمل على مهمات ماورد في الشريعة المطهرة من العمل ، يقرب من ٥٠٠ بيت » . غير مطبوع . نسخة من الكتاب موجود عند السيدجلال الدين اليونسي في قم استكتبه ابن المؤلف علم الهدى وعليه خاتمه . * مجلس : ٦٣٠٩ سنة ١١٢٤ . * مرعشي : ٥٦٨١ سنة ١١٠٠ .

١٨ـ « بشارة الشيعة ـ فيه بشرى للفرقة الإمامية على صحّة دينهم ... يقرب من ألفي بيت وقد صنّف في سنة إحدى وثمانين بعد الألف » . * طبع مع رسائل أخرى للمؤلف في طهران ١٣٠٣ ق و١٣١١ ق . * إلهيات مشهد : ٥٣٢ . * جامعة : ٧١٥٤ سنة ١١١١ . * مرعشي : ٥٦٥٧ . ٥٨١٩ . ٨٧٧٨ سنة ١٢٧٠ . * ملك : ٧٥٧ سنة ١٢٨٦ . * ملي (منتخب من الكتاب كتبه ابن المصنف علم الهدى) ٢٢٠٠ . * نمازي : ٧٣٠ استنسخه علم الهدى عن الأُصل سنة ١٠٨٣ .

١٩ـ « تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج ـ في ١٨٠ بيتا » . ويعرف بالاستقلالية أيضا ، غير مطبوع . * جامعة : ٨٢٣٠ استنسخه علم الهدى وفيه خطه وخط المؤلف . * فاضل: ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * قائيني ٢٦٤ سنة ١٠٦١ . * مرعشي : ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . * مجلس : ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ بخط نافلة المؤلف .

٢٠ـ « ترجمة الحج ـ ... يقرب من ٣٠٠ بيت » . غير مطبوع . * النسخ ـ خوانساري :

١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * مرعشي : ١١٠٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ٢٦٣٢ .

٢١ـ « ترجمة الزكاة ـ ترجم فيه بالفارسية أنواعها وواجبها ومستحبها وشرائطها وآدابها في ٢٦٠ بيتا » . غير مطبوع . * النسخ ـ إلهيات مشهد : ١٩٥٨ القرن ١٢ . * خوانساري : ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * مرعشي : ١١٠٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ٢٦٣٢ .

٢٢ـ « ترجمة الشريعة ـ أوردنا فيه بالفارسية معنى الشريعة وفائدتها وكيفية سلوكها ... في ٧٢٠ بيتا » . مطبوع . * النسخ ـ إلهيات مشهد : ١٤٥٢ سنة ١١١٧ . * جامعة : ٢٧٠٣ سنة ١٢٦٤ . ٤٤٣٧ القرن ١١ . * خوانساري : ١٤١٥ القرن ١١ . ١٤٩٥ سنة ١٣٢٨ . * گلپايگاني : ٢٤/١٩٥ ، القرن ١٣ . * مرعشي : ١١٠٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ١٦٨٨ . ٢٦٣٢ سنة ١٢٤٠ .

٢٣ـ « ترجمة الصلاة ـ ترجم فيه أذكار الصلاة بالفارسية مع بيان آدابها وسننها ... لعامة الناس في ٤٥٠ بيتا ، وقد ألف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف » . مطبوع . * النسخ ـ إلهيات مشهد : ٦٥٣ . ١٤٥٢ سنة ١١١٧ . ١٥٨٩ . * جامعة : ٢٧٠٣ سنة ١٢٦٤ . ٢٤٥٣ القرن ١١ . ٢٨٩٦ سنة ١٢١٨ . ٨٤٧٢ القرن ١١ . ٨٨٧٩ سنة ١١٠٢ . * حقوق : ٤٦ج القرن ١١ . * خوانساري : ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * الرضوية : ٢٧١٥ سنة ١٠٨١ . ١٣٥١٤ سنة ١٢٦٦ . ١٢٨٠١ . ١٤٦٢ . * عبدالعظيم : ٣٣٢ . * كلية الآداب طهران : ٢ (فهرس المكتبة : ١٢٤) . * گلپايگاني : ١١/١٨١ . ٢١/٧٤ . ٢٠/١٨٩ . ٢٣/١٨٢ . ٣٦/١٤٠ . ٢٤/١٤٦ . ٢٤/١٦٠ . ٢٤/١٨٦ . ٢٥/١٦٥ ، سنة ١١٠٧٧ . * مجلس : ٣٠٣٦ سنة ١٧٠٦ . ٢٩٣٠ القرن ١٣ . * مجلس (سنا) : ١١٨ سنة ١٢٥٧ . * مرعشي : ١٦٠٢ سنة ١١٣٢ . ٤١٥٥ القرن ١٣ . ٥٧٩٥ سنة ١٢٣٩ . ٦٨٧٩ ١٢٣٣ . ٩٨٠٢ القرن ١١ . * مسجد : ٣٨٤٠ سنة ١١٢٥ . ٣٨٩٣ سنة ١٠٩٣ . ١٣٠٨ . ٣٧٧٢ سنة ١٠٨٨ . * معصومية : ٦١٦١ سنة ١٣٤٥ . * ملك : ١٧٢٩ القرن ١٢ . ٢٦٥٣ . * ملي : ٢٥٢١ . * وزيري : ١٣٤ سنة ١٢٦١ . ١٤٧٦ سنة ١٢٣٤ . ٢٦٣٢ . ٢٤٦٤ . ٣٢٦٩ . ٣٢٧٧ . ٣٥٩٨ . ٣٦٦٧ سنة ١١٢٦ .

٢٤ـ « ترجمة الصيام ـ وهو مثل ترجمة الصلاة في الصفة والحجم » . مطبوع . * خوانساري : ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * مرعشي : ١١٠٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ٢٦٣٢ سنة ١١٨٤ .

٢٥ـ « ترجمة الطهارة ـ في فقه مايتعلق بها ... بالفارسية في ٢٨٠ » . غير مطبوع . * إلهيات مشهد : ١٩٥٨ القرن ١٢ . * خوانساري : ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . * گلپايگاني : ٢٤/١٩٥ . * مرعشي : ١١٠٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ١٦٨٨ . ٢٦٣٢ سنة ١١٨٤ .

٢٦ـ « ترجمة العقائد ـ ترجم فيه أصول العقائد الدينية بالفارسية ... وهو قريب من ترجمة الصلاة في الغاية والبيان وتاريخ التصنيف » . غير مطبوع . * النسخ ـ آخوند : ١٣٣ سنة ١١٢١ . * جامعة : ٢٨٩٦ سنة ١٢١٨ . ٤٣٧١ سنة ١١٧٨ . * ملي : ٢٤٥٠ . * خوانساري :

١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * الرضوية : ٦٠٥٠ . * الفيضية : ١٧٦٦ . * گلپايگاني: ١١/١٨١ القرن ١١ . ٢٤/١٤٦ القرن ١٣ . ٢٤/١٤٥ القرن ١٣ . * مجلس : ٥١٨٠ سنة ١٠٦٩ . ٤٨٠٥ سنة ١٠٨١ . ٥٩٠٣ سنة ١١١٩ . * مجلس (سنا) : ٣٩١ القرن ١١ . * مرعشي : ٤٣٦٧ . ٥٧٨٥ سنة ١٠٥٨ . ٩٥٠٥ القرن ١٢ . ١٠١٧٧ القرن ١١ . * مسجد : ٨٥٦ سنة ١١١٩ . ١٤٨٩ . * معصومية : (٢:٣٠ـ٥٨٩٥) . * ملك : ٤٧٧ . * ملي : ١٩٦٣ . * وزيري : ١٣٤ سنة ٢٢٦١ . ٢٦٣٢ سنة ١١٨٤ . ٣٥٩٨ .

٢٧ـ « تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة للسيد بن طاوس العلوي رحمه الله مع إضافة وتأييدات ... يقرب من ٩٠٠ بيت وقد صنّف في سنة أربعين بعد الألف » . طبع في طهران منضما إلى منهاج النجاة وتحف العقول ١٢٧٠ ق . وروضة الكافي ١٣٠٣ ق . وأخيرا محققة نشره مكتب الإعلام الإسلامي قم ١٤١٧ ق . * النسخ ـ الرضوية : ٣٥٢١ سنة ١٠٧٥ . * گلپايگاني : ١٩/١٥٧ سنة١٠٥٩ . * مجلس : ٤١٦٨ سنة ١٣٣٠ . * مرعشي : ٢٣١٢ سنة ١٠٧٥ صححه علم الهدى مع الأصل . * مكروفلم : ٢٣٧٦ . * مهدوي : ٣٦٤ سنة .

٢٨ـ «تشريح العالم ـ في بيان هيئة العالم ...في ٣٠٠٠ بيت » . غير مطبوع . * جامعة: ٣٤٩ بخط المؤلف ظاهرا ، فرغ منه سنة ١٠٩٠ .

٢٩ـ «التطهير ـ وهو نخبة من النخبة لبيان علم الأخلاق وتطهيرالسرّ خاصّة ، يقرب من خمسمأة بيت» . قال صاحب الذريعة (٤/٢٠١): « وقد طبع بايران » ولم نعثر عليه . * النسخ ـ إلهيات مشهد ١٠٤٤ سنة ١٣٠٤ . * مجلس ٣٢٦٢ القرن ١٣ . ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ بخط نافلة المؤلف . * مرعشي : ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ .

** تعليقات الصحيفة السجادية = شرح الصحيفة السجادية .

٣٠ـ « تعليقات النخبة الصغرى ـ فيها تفصيل ما أجملته وتبيين ما أبهمته يقرب من الأصل في الحجم أو يزيد عليه » . غير مطبوع .

٣١ـ « تنفيس الهموم » مثنوي غيرمطبوع .

٣٢ـ « تنوير المواهب ـ وهو تعليقات على تفسيرالقرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بالمواهب العلية ، تنبّه على ماخالف الإمامية في تفسير الآيات ... يقرب من ٣٠٠٠ بيت » . غيرمطبوع .

٣٣ـ « ثناء المعصومين ﷺ ـ ... يشبه التحية المنسوبة إلى العلامة الطوسي ... يقرب من ٦٠ بيتا » . أورد هذه الرسالة ابن المؤلف علم الهدى ضمن كتابه «سرور صدور الأولياء ، وطبع نقلا عنه ضمن مجموعة «ميراث إسلام[١] ، ج٤ ص٥٤ـ٥٨ ».

٣٤ـ « جلاء القلوب ـ في بيان أنواع أذكارالقلب وما يتبعها في مأتي بيت» . غير مطبوع.

١- نشرة مكتبة آية العظمى المرعشي - قم .

* جامعة : ٨٢٣١ بخط علم الهدى . * الرضوية : ٩٠٥٤ سنة ١٢٩٥ . مرعشي : ٥٦٨١ سنة ١١٠٠ .

٣٥ـ « جهاز الأموات ـ في ٣٠٠ بيت تقريبا » . * غير مطبوع . * النسخ ـ جامعة : ٤٨ كتبه علم الهدى وقرأه على أبيه سنة ١٠٥٧ . ٨٢٣٠ استنسخه علم الهدى سنة ١٠٩٧ . * قائيني: ٧١ سنة ١٠٦٠ . * مرعشي : ٤٦٧٧ سنة ١٠٧٦ . * ملك : ٥٧٤٧ سنة ١١٠٧ . * ملي ١٢٦٢ .

٣٦ـ « جواب من سأل عن كيفية علم الله سبحانه قبل الإيجاد ـ من أهل أبهر» . غير مطبوع . * النسخ ـ مجلس : ٣٢٦٢ القرن ١٣ . ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ بخط نافلة المؤلف . * مرعشي : ٩٣٥ . ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ . * مهدوي : ٣٦٥ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * وجاء في الفهارس مايلي باسم «علم الله تعالى» ، والأظهر أنه نفس الرسالة : آخوند : ١٨٨ . * الفيضية : ٩٢١ سنة ١٢٣٦ . * گلپايگاني : ٣٥/٣٣ سنة ١١٠٢ . * ملك : ١٧٨٧ القرن ١١ . * ملي ١٤٣٩ سنة ١١٢٤ .

٣٧ـ «جواب من سأل عن تجدد الطبائع وحركة الوجود الجسماني بتجدد الأمثال ». ـ غير مطبوع . * مهدوي : ٣٦٥ .

٣٨ـ « جواب من سأل عن محاكمة بين المنسوبين إلى العلم الرسمي وبعض المتجردين للذكر الإسمي » . غيرمطبوع .

٣٩ـ « جواب من سأل عن البرهان على حقيقة مذهب الإمامية من أهل مولطان[1] » . غير مطبوع . * النسخ ـ خوانساري ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ * مرعشي : ٨٢ كتبه أخوالمؤلف .

٤٠ـ « جواب من سأل عن تفسير آية الأمانة » . غير مطبوع . * مجلس : ١٧١٢ . ١٧١٣ . ٤٧٠٢ . ٣٢٦٢ القرن ١٣ * مهدوي : ٣٦٤ .

٤١ـ « جواب مكتوب بعض الإخوان المشتمل على المعاتبة الخفية على عدم الاهتمام في قضاء حاجات المؤمنين ، تشتمل على شرح بعض أحوالي المتضمّن للاعتذار عن ذلك وابتلائي بالوقوع في المهالك » . طبع في أصيهان مع رسائل أخرى للمؤلف ١٣٧١ ش . * النسخ ـ جامعة : ٢٦١٨ القرن ١١ . ٨٢٣١ بخط علم الهدى . * مجلس : ٤٩١٣ سنة ١١١٤ . ٣٤٠٩ القرن ١١ * ملك : ٥٩٠٦ . = الاعتذار .

٤٢ـ « جواب من سأل هل الوجود مشترك لفظي أو معنوي » . غير مطبوع . * مهدوي : ٣٦٤ (والرسالة ـ على ما كتبه المفهرس ـ في جواب مولانا محمد قاسم من أصدقاء الفيض ـ قده ـ كتبه سنة ١٠٨٧) .

** حاشية الصحيفة = شرح الصحيفة السجادية عليه السلام .

٤٣ـ « الحق المبين في كيفية التفقّه في الدين ، تقرب من ٢٥٠ بيتا وقد صنّفت في سنة ثمان

١ـ كذا . والصحيح : ملتان . محافظة في باكستان ، وكذلك اسم عاصمته .

وستين بعد الألف » . طبع مع كتاب الأصول الأصيلة للمؤلف في طهران ١٣٩٠ ق . * النسخ ـ گلپايگاني : ٢٩/٢٣٦ سنة ١١٣٦ . * مجلس : ٤٣٧٧ القرن ١٢ . ١٢٤٤٧ قرأه علم الهدى عند الفيض سنة ١٠٧٣ وفيه شهادة الفيض ـ قده ـ * ملك : ١٨٣٧ سنة ١٢٦٥ . * فاضل : ٢٥٢ . ٢٢٨ . * مرعشي : ٢٧٩٢ سنة ١٢٤٦ . ٣١٩٣ قابلها علم الهدى على الأصل . ٩٥٢٢ القرن ١٣ . ٨٧٧٨ سنة ١٢٧٠ .

٤٤ـ « الحقائق في أسرارالدين ، وهو ملخَّص المحجة ولبابه مع زيادات متقنة وبيان أتقن وإتيان بما هو أحسن في ٧٠٠٠ بيت ؛ وقد صنف في سنة تسعين وألف» . طبع في طهران ١٢٩٩ ق حجريا ، وفي ١٣٧٨ ق صفا ؛ وأعيد طبعه مصورا عن هذا الطبع أخيرا في بيروت وقم . * النسخ ـ آخوند ٢٥٨ . ٤٨٦ سنة ١١٤٧ . * إلهيات مشهد : ١٥٤١ سنة ١٠٩٣ . * جامعة : ٣٩٢ سنة ١٠٩١ قوبلت على الأصل . ١٤١٨ سنة ١٢٩٧ . ٢٩٤٩ سنة ١٢٥٢ . ٣٥٦٢ سنة ١١١٥ مستنسخة عن نسخة مستنسخة عن الأصل . ٤٣٥ سنة ١١٠٥ . ٨٢٩٩ سنة ١٢٦٧ . ٨٢٦٥ . * حسينيه التستريين : ٣٢٧ . * خوانساري : ٦٤٠ القرن ١١ . * الرضوية : ٣٥٢٥ سنة ١١٧٦ . ٥٩٩٥ سنة ١١٧٧ . ١٠٠٣٥ سنة ١١٩٧ . ٧٦٢٥ سنة ١١٩٧ . ٦٤٣٦ سنة ١٢٦٢ . ٣٤٦٢ . ٨١٤٦ . * عبدالعظيم : ١٤٢ . * الفيضية : ٨٣٤ سنة ١١٧٥ . ١٦٣٩ سنة ١١١٥ . ١٧٩٨ سنة ١١٠٠ مستنسخة عن نسخة المؤلف . * گلپايگاني : ٣٧/٦٢ سنة ١١٤١ . * گوهرشاد : ٥٠٧ سنة ١٢١٨ . ١٠٩٦ سنة ١٠٩٦ . * مجلس : ٤٩٥٢ سنة ١٢٧٧ . ٥٣٦٢ سنة ١٠٨٤ . * مجلس (سنا) : ٢٢٠ سنة ١٠٩٣ . * مرعشي : ١٢٣٣ سنة ١١٣٥ . ٩٥٦٢ سنة ١٢٥٧ . * مروي : ٦١١ . * مسجد : ٢٧٢٣ القرن ١١ أو ١٢ . ١١٩٥ سنة ١٢٣٧ . * ملك : ٩٤٥ سنة ١٢٧٥ . ٢١٧٦ سنة ١١٩٨ . ٢٤٩٤ سنة ١٢٣٦ . * ملي : ٤٧١ . ١٠٣٢ . ١١٨٧ سنة ١٢٦٦ . ٣١٦٨ . ٤٤٥٤ . * نمازي : ٧٠٩ سنة ١٢٠٠ . * وزيري : ٨٢٨ سنة ١٢٢٩ . ١٧٩١ سنة ١٣٢٣ . ١٨٢٧ القرن ١٣ . ٢١٨٥ سنة ١١٢٨ .

٤٥ـ « حكم أخذ الأجرة على العبادات ... في ١٥٠ بيتا » . غيرمطبوع . * النسخ ـ فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * مجلس : ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ بخط نافلة المؤلف . * مرعشي : ١٤٠١ .

٤٦ـ « الخطب ـ يشتمل على مأة خطبة ونيف لجمعات السنة والعيدين ... يقرب من أربعة آلاف بيت ، وقد تمّ جمعه في سنة سبع وستين وألف » . غير مطبوع . * النسخ ـ جامعة : ١٣١١ . ٩٥٩٩ سنة ١٠٧٣ استنسخه علم الهدى . * نمازي : ٣١٤ .

٤٧ـ « خلاصة الأذكار ـ وهو جامع لزبدة الأذكار الواردة في القرآن والحديث ... يقرب من ٢٣٠٠ بيت وقد صنّف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف » . * طبع مع رسائل أخرى له في طهران ١٣١١ ق . * نسخة الأصل من هذا الكتاب في مكتبة ملي : ١١٩٥ (فهرس المكتبة ١٨٣/٩) . * الإلهيات مشهد : ١٩٩ . ٥٢٩ . ١٣٠٠ . * جامعة : ٤٨ كتبه علم الهدى وقرأه على أبيه سنة ١٠٥٧ وفيه خط الفيض . ٩٣٢ . ٣٠١٤ القرن ١١ . ٣٨١٠ سنة ١٠٩٩ . ٩٠٠٣ .

سنة ١٠٩٦ . * الرضوية : ١٥٢٨١ سنة ١١٠٣ . العلامة : ٦٩٨ سنة ١١٠٦ . * الفيضية : ٢٠١٢ سنة ١٠٩٨ أو ١١٩٨ . * گوهرشاد : ١٠٣١ القرن ١١ . ١١٦٣ القرن ١٣ . * گلپايگاني : ٥/١٦٤ سنة١٠٨٧ . ٣٤/٣٣ سنة ١١١٠ . ٢١/١٥٨ القرن ١٢ . ٢١/١٩٤ سنة ١٢٣٣ . * مرعشي : ٣٤٨١ سنة ١١٤١ . ٤٦٧٧ سنة ١٠٧٦ . ٥٨٣٦ سنة ١٠٧٤ . ٦٣٣٥ . ١٠٨٢٦ ١٠٩٥ . * معصومية : (٤:٩٧ـ٥٨٤٧) * ملك : ١٠٧ القرن ١١ و١٢ . ١١٥ القرن ١٢ . ١٧٩٢ القرن ١١ . ٢٢٥١ سنة ١٢٤٨ . ٥٧٤٧ سنة ١٠٩٩ مصححة على نسخة المؤلف .

٤٨ـ « دهرآشوب » خمس قصائد . وقد طبع عدة قصائد ضمن ديوانه ـ قده ـ ولكن الأظهر أنّ هذا عنوان لقصائد معيّنة ولم نعثر على نسختها . وقال المغفور له السيد محمد مشكاة[1] « نسختها موجودة عند الميرزا فخرالدين النصيري ، تاريخها (١٠٩١) . منها :

أيّها العابدون للأصنام أيّها المدعون للإسلام

آخرها :

بتمنّاى ظهور شه دين ختم كردم سخن دهر آشوب

٤٩ـ « ذريعة الضراعة ـ في جمع الأدعية المتضمّنة للمناجاة مع الله تعالى ... يقرب من خمسة آلاف بيت وقد صنف في سنة نيف وخمسين وألف » . غير مطبوع . * والنسخة المكتوبة بيد المصنف من الكتاب رأيته عند صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي وفقه الله تعالى في قم . * آخوند : ١٢٩ . * جامعة : ٦٧٩٤ القرن ١١ . * الرضوية : ٣٣٥٣ سنة ١١٢٧ . ٣٣٥٢ . * مجلس : ٣٨٩٣ بخط علم الهدى وفيه خط الفيض . * مدرسة سليمانخان : ٧٩ سنة ١١٣٠ . ملي : ٣٣١ سنة ١٠٩١ . ١١٥٤ سنة ١١٨٠ . * مدرسة سليمانخان : ٧٩ سنة ١١٣٠ . * مرعشي : ٥٩٨ سنة ١٠٨٩ . ٢٨٤٠ سنة ١٢٤١ . ٨٧٢٢ عصرالمؤلف .

٥٠ـ « راه صواب ـ يذكر فيها بالفارسية سبب اختلاف أهل الإسلام في المذاهب ... وتعيين الفرقة الناجية ... في ٥٠٠ بيت وقد صنّف في سنة نيف وأربعين بعد الألف » . طبع مع رسائل أخر في أصبهان ١٣٧١ ش . * النسخ ـ جامعة : ٣١٤٩ سنة ١٢٤٢ . * الرضوية : ١١١٣٤ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * مجلس : ٥٣٤١ سنة ١١٨٣ . * مرعشي : ٦٨٦ سنة ١٠٢٧ . ٥٠١٩ . ٩٥٢٢ القرن ١٣ . ١٠٢١٦ القرن ١٢٤٥ . * مهدوي : ٥١٠ القرن ١١ .

٥١ـ « الرفع والدفع ـ في رفع الآفات ودفع البليات بالقرآن والدعاء والعوذة والرقى والعلاج والدواء ، فارسي في ٤٢٠ بيتا » . غيرمطبوع . * النسخ ـ حسينية التستريين : ٢١ . الرضوية : ٦٩٢٤ . ١٥٠٢٣ سنة ١١٥٣ . * مرعشي : ٢٥ . ٤٣٦٥ القرن ١٢ . ٥٢٩٠ سنة ١١١٧ . ٥٧٦١ سنة ١٢٦١ . ٨٧٤٥ سنة ١٢٤١ . * مسجد : ٣٣٩٥ . * ميكروفيلم : ٤٧٦٢ .

٥٢ـ « رفع الفتنة ـ في بيان شمة من حقيقة العلم والعلماء وأصنافهما وشمامة من معنى الزهد والعبادة وأصحابهما ومنع الجهال من الطعن في أحدالفريقين والتخاصم في ذات البين

١-مقدمة المحجة البيضاء ، الجزء الثاني : ٣٥ .

بالفارسية في ٢٥٠ بيتا » . مطبوع * النسخ ـ جامعة : ٣٣٠٣ سنة ١٣٢٢ . ٨٢٣١ خط علم الهدى . * خوانساري : ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * مرعشي : ٨٢ كتبه اخوالمؤلف .

٥٣ـ « زاد الحاج ـ يذكر فيها بالفارسية كيفية مناسك الحج والعمرة على سبيل الإيجاز وتقرب من ٣٥٠ بيتا وكتبت في سنة خمس وستين بعد الألف » . غير مطبوع ، وهذه الرسالة مما أضافها المؤلف في الفهرس الثاني .

٥٤ـ « زاد السالك ـ يذكر فيها كيفية سلوك طريق الحق وشرائطه ... في ١٠٠ بيت الفت فيمابين الثلاثين والأربعين بعد الألف » . طبع في طهران ١٣٣١ ش ، وأصبهان مع تسع رسالة أخرى ١٣٧١ ش . * النسخ ـ جامعة : ٢٨٩٦ سنة ١٢١٨ . * خوانساري ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * گلپايگاني : ٢٤/٩٩ القرن ١٢ . ٢٤/١٩٥ القرن ١٣ . * مجلس : ١٨٠٣ . ٤١٦٨ سنة ١٣٣٠ . ٥٣٤١ . * مرعشي : ٨٢ كتبه أخوالمؤلف . ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ . ٦٨٣٥ سنة ١٣١٠ . ٩٢٣٨ سنة ١٢١٦ . ٩٣٢٥ . ١٠٣٧٧ القرن ١٢٢٠ . * مسجد : ٨٥٦ سنة ١١١٩ . ٧١٨ القرن ١٣ . ٣٤٨٨ سنة ١٢٤٩ . * ملي : ٢٢٠٧ .

٥٥ـ « زاد العقبى ـ مشتمل على خلاصة ما في منتخب الأوراد ... يقرب من ٣٠٠٠ بيت » * مرعشي : ١٠٣٤٧ القرن ١١ .

٥٦ـ « السانح الغيبي ـ في تحقيق معنى الإيمان والكفر ... في ٢٤٠ بيتا » . غيرمطبوع . النسخ ـ إلهيات مشهد : ١٠٤٤ سنة ١٣٠٤ . ١٨٤٨ سنة ١١٨٤ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * خوانساري : ٥٦٧ سنة ١٣١٦ . * مجلس : ٣٨٦٨ سنة ١١٤٠ خط نافلة المؤلف . * مرعشي: ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ . ٨٣٨٣ القرن ١٣ . ٨٧٧٨ سنة ١٢٧١ .

**ـ سراج السالكين = منتخب المثنوي .

٥٧ـ « سفينة النجاة في تحقيق أن مأخذ الأحكام الشرعية ليست إلا محكمات الكتاب والسنة ... يقرب من ١٥٠٠ بيت وقد صنف في سنة ثمان وخمسين بعد الألف » . طبع مع ترجمته بالفارسية في طهران . * النسخ ـ جامعة : ١٦٩٩ . * حقوق ١١١ أدرجه تلميذ المؤلف نصيري ضمن كتاب مجموع له سنة ١٠٧٤ . * خوانساري : ٧١٣ سنة ١٠٨٨ . ٩٦٠ القرن ١١ . ١١٨٦ سنة ١١١٨ . * الرضوية : ٦٩٣٤ سنة ١١٣٤ . ٨٤٤١ سنة ١١٤١ . ١٠٨٢٠ سنة ١٢٢٠ . ٨٦٩١ . * گلپايگاني : ٢٠/١٤٧ القرن ١٣ . * مجلس : ١٣٤٦ سنة ١٠٨٩ . ٤٣٧٧ القرن ١٢ . ٤٥٦٢ القرن ١٢ . * مرعشي : ١٣٠ سنة ١١٠٨ . ٤٩١٣ . ٨٧٧٨ سنة ١٢٧١ . ١٠٢١٦ سنة ١٢٤٥ . * ملك : ١٨٣٧ سنة ١٢٦٥ . ٦٣٥١ سنة ١١١١ . * ملي : ١٨٥٣ . ١٣٨٦ سنة ١٠٦٩ . ٣١٥٣ .

٥٨ـ « السلسبيل » مثنوي غيرمطبوع . * النسخ ـ نمازي : ٣٦١ سنة ١٢٦٤ .

٥٩ـ « الشافي وهو منتخب من الوافي ، يشتمل على لباب مافيه ... يقرب من ٢٧٠٠٠

بيت ، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف» . طبع في طهران ١٣٧٧ ق . * النسخ ـ جامعة : ٥٧٧ . * الرضوية : ١٠٨٦٩ . * گلپايگاني : ٦/٣٥ سنة ١١٢٤ . * گوهرشاد : ١١٢ القرن ١٢ قوبل على نسخة المؤلف . ملي : ٦٧١ القرن ١٣ .

٦٠ـ « شرائط الإيمان ـ وهي منتخب من راه صواب ، يقرب من ٢٥٠ (نسخة ٣٥٠) بيتا ، وقد صنف في سنة اثنتين وستين بعد الألف » . غيرمطبوع . * النسخ ـ جامعة : ٣١٤ . * خوانساري ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * الرضوية : ٩٣٢٤ . * گلپايگاني : ٣٤/١٣١ القرن ١٣ . ٢٤/١٩٥ القرن ١٣ . * مرعشي : ٨٢ كتبه أخوالمؤلف . ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ .

٦١ـ « شراب تسنيم » مثوي غيرمطبوع . ٦٢ـ « شراب طهور » مثنوي[1] غيرمطبوع .

٦٣ـ « شرح الصحيفة السجادية ـ نشرح منها مالعله يحتاج إلى الشرح في إيجاز واختصار ، يقرب من ١٢٠٠ بيت ، وقد صنّف في سنة خمس وخمسين بعد الألف » . طبع منضما إلى شرح السيد نعمة الله الجزائري ١٣١٦ق ، وفي طهران أخيرا . * جامعة : ٧٣ . * خوانساري : ٦٤٩ القرن ١٢ أو ١٣ . * الرضوية : ٦٩٩٨ سنة ١٠٩٧ . ٣٣٨٢ . * الفيضية : ١٦٨٣ سنة ١٢٩٠ . * قائيني : ٥٤ نسختان مصححتان . * گلپايگاني : ١٢/١١٨ سنة١٣١٥ . * مجلس : ٤٩٤٥ . ٣٠٨٠ القرن ١٢ . * مرعشي : ١٣٦٣ سنة ١١٤٨ . ٣٦٦٦ سنة ١٢٨٧ . ٥٧٨٤. ٦٣٥٤ سنة ١٠٦٨ . ٥٣٦٥ سنة ١٠٦٥ . ١٠٣٣٧ سنة ١٢٢٠ . * مروي : ٨٨٦ .

٦٤ـ « شرح الصدر ـ تشتمل على مجمل ما مضى عليّ من الحالات والنوائب في أيام عمري ، ... وهي نفثة من نفثاتي بها تفريج همّي وكشف غمّي تقرب من ٣٥٠ بيتا ، وقد صنّف في سنة خمس وستّين وألف » . طبع ضمن مجموعة عشر رسائل منه في أصبهان ، ١٣٧١ ش . النسخ ـ جامعة : ٣١٤ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * مجلس : ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ خط نافلة المؤلف . * مهدوي : ٥١٠ القرن ١١ . * مرعشي : ١٤٠١ سنة ١٢٢٢ . ٥٠١٩ . ٩٥٢٢ .

٦٥ـ « الشهاب الثاقب ـ في تحقيق عينيّة وجوب صلاة الجمعة في زمن غيبة الإمام عليه السلام ... يقرب من ٢٠٠٠ بيت وقد صنّف في سنة سبع وخمسين وألف » . طبع في نجف ١٣٦٨ ق وأخيرا في بيروت . * النسخ ـ جامعة : ٣١٤٥ القرن ١١ . ٨٢٣٠ سنة ١٠٩٧ مستنسخة عن نسخة علم الهدى المقروءة على المؤلف ـ قده ـ . * خوانساري : ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * الرضوية : ٦٤٩٩ سنة ١١١١ . ١٣١٤٨ سنة ١٢٧٥ . * گلپايگاني : ٢٠/١٤٧ القرن ١٣ . * مجلس : ٥٣٣٥ القرن ١٢ . وضمن كتب إمام الجمعة ١٢٠ و١٢٨ كلاهما سنة ١١٣٧ . * مرعشي : ٥٨٤٧ سنة ١١٣٣ . ٨٠١٧ سنة ١١١١ . ١٠٨٦٤ القرن ١٢ . * وزيري : ١٩٨٠ سنة ١١١١ .

١ـ جاء أبيات من هذا المثنوي في مراسلة للفيض (فارسية) طبع في مقدمة ديوانه (١٧٦/١) وكتب الفيض بعده ماترجمته: «هذه الأبيات من ألف بيت وبيت في المثنوي أنشد في هذه الأوان وسمّي بـ«شراب طهور» ولعله يصل في المستقبل إلى حضرة الأصدقاء هناك ، والسلام على من اتّبع الهدى » .

٦٦ـ « شوق الجمال » مجموعة أشعار .

٦٧ـ « شوق العشق » مجموعة أشعار . * جامعة : ٧٥٩٠ القرن ١٣ . *

٦٨ـ « شوق المهدي عليه السلام » ـ طبع أخيرا . * النسخ ـ مرعشي : ٣٦٠٦ . ٣٦٦٩ سنة ١٣٩٥ . وزيري : ١٩٠١ سنة ١٣١١ ـ الرضوية : ١١٣٩١ .

٦٩ـ « الصافي في تفسيرالقرآن بماوصل إلينا من أئمتنا المعصومين عليهم السلام من البيان ، جمعت فيه من مواضع شتى من كتب أصحابنا ـ ره ـ مالعله يكفي لظاهرالتفسير مع شيء من التأويل يسير ، أرحت به إخواننا من التفسير بالرأي والتخمين ولاسيّما آراء العامّة من المخالفين . والحمد لله رب العالمين ، يقرب من ٤٧٠٠٠ ألف بيت . وقع الفراغ من تأليفه في خمس وسبعين بعد الألف » . طبع مكررا . والمؤلف اعتمد في هذا التفسيرعلى تفسيري البيضاوي ومجمع البيان، فأورد عموما مافيهما ـ وخصوصا الأول منهما ـ من معنى اللغة والقراءة وبعض النكات التفسيرية الأخرى ؛ ثم ذكر ماجاء في بعض الأحاديث والروايات من تفسير الآية أو تأويلها ؛ وأضاف إليها نادرا وفي الموارد اللازمة ماعنده من البيان حول المعارف المستفادة في العموم من الحكمة المتعالية . فسياق الكتاب تفسير القرآن بالأخبار في الأكثر .

(تحتوي أكثرالنسخ على قسم من الكتاب ؛ ولكثرة نسخ الكتاب نشير الى عددها في كل مكتبة وأرقام الممتازة منها)ـ * توجد نسخة يحتمل كونها نسخة الأصل من الكتاب في ملي : ٢٦٣٥ . * آخوند : ٨ نسخ . * إلهيات مشهد : ١٠٦٦ سنة ١٠٨٠ . ١٤٠٣ . ١٩٠٣ القرن ١١. * جامعة : ١٢ نسخة ، منها ٥٩. ١٨٠٩ سنة ١٠٧٧ مستنسخة عن نسخة الأصل . ٧٦٤٢ سنة ١١٠٨. * حقوق : ١٠ ج القرن ١٢ . * خوانساري : ٥ نسخ . * الرضوية : ٣١ نسخ ، منها ١١١٤٠ سنة ١٠٨٣ . ١٣٤٦ سنة ١٠٨٨ . * سليمانخان : ٤٢ سنة ١١٣٣ . * عبدالعظيم : ٧ نسخ . * العلامة : ٦ نسخ . * الفيضية : ١٧ نسخ ، منها ٤٣٤ سنة ١٠٩٢ . * گلپايگاني : ٢١ نسخة ، منها ٦/٣٤ سنة ١٠٨٣ . ٣٧/٣٤ سنة ١٠٩١ . * گوهرشاد : ٤١٩ القرن ١٢ . ١٨٥٢ سنة ٢٢٢٦ . * لوس‌آنجلس m ٥٦ سنة ١٠٧٣ . m ١١٥ سنة ١١٣٤ . * مجلس : ١٣ نسخ ، منها ١٢٢٠٨ و١٢٢١١ كلاهما سنة ١٠٩٨ وقوبلا على نسخة الأصل . * مدرسة إمام العصر : ٥ نسخ . * مرعشي : ٩ نسخ ، منها ١٢٦٢ كتب في حياة المؤلف . ٥٥٤٠ سنة ١١١٨ . ١٠٩٣٠ سنة ١٠٧٧ . * مروي : ٤ نسخ . * مسجد ٧ نسخ . * ملك : ٦ نسخ . * ملي : ٣٢ نسخ منها ما أشرنا في الصدر باحتمال كونها الأصل من الكتاب ، ومنها ٣٧٥ سنة ١٠٨٧ . ٣٧٨ سنة ١٠٩٢ . ٢٠٦٦ سنة ١٠٩٦ . * مهدوي : ٢ نسخة . * ميرزا جعفر نسختان * نمازي : ٨ نسخ ، منها ٤٨ و ٤٩ مصححتان عن الأصل . * نواب ٤ نسخ ٤٩ سنة ١٠١٥ . * وزيري : ٤٩ نسخ .

٧٠ـ « الضوابط الخمس ـ في أحكام الشك والسهو والنسيان في الصلاة ، احتوت على ملخص ذلك في ٣٠ بيتا » . غير مطبوع . * النسخ ـ جامعة : ٧٩٢ . * خوانساري : ٩٥٠ . ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . * گلپايگاني : ١٩/١٥٧ سنة ١٠٥٩ . ١١١٨ . سنة ١٣٥٧ . * مرعشي : ٥٦٨١ سنة ١١٠٠ . * ملك : ٢١٤٦ . ٤٦٥٧ . * ملي : ١٩٢٢ سنة ١٠٨٥ . ١٤١٥ القرن ١١ .

* وزيري : ٢٦٣٢ سنة ١١٨٤ . ٢٤٨٧ سنة ١٢٢٦ . وهذه الرسالة جاء في بعض الفهارس باسم «أحكام الشك في الصلاة» .

٧١ـ « ضياء القلب ـ في تحقيق حقيقة الحكام الخمسة التي تحكم على الإنسان في باطنه ... يقرب من ٥٠٠ بيت وقد صنّف في سنة سبع وخمسين بعد الألف » . طبع حجريا مع بعض رسائل المؤلف في طهران ١٣٠٣ و١٣١١ . * النسخ ـ جامعة : ٣١٤٩ القرن ١٣ . ٧٥٤٢ . * الرضوية : ٣٥٥٢ . ١١٣٩١ . * العلامة : ٩٩٥ القرن ١٢ . * قائيني : ١٨٣ سنة ١٠٦٠ . مرعشي : ١٤٣٠ سنة ١١٣٣ . * گوهرشاد: ٨٤٨ سنة ١٠٩٨ . * مجلس : ٤٨٠٥ سنة ١٠٩٩ . * مكروفلم ١٠٣٩ سنة ١٠٨٥ . * ملك : ٤٦٥٨ سنة ١٢٦٩ . ملي : ٤٧١ . ١٤٣٩ سنة ١١٢٤.

٧٢ـ « علم اليقين في أصول الدين» وسنبحث حول هذا الكتاب بالتفصيل . النسخ ـ آخوند : ١٢٠٨ سنة ١٠٧٤ . * جامعة : ٢٤٤ نسخة المؤلف وهي مستند طبعتنا هذه . * الرضوية: ١٥٢٥٧ سنة ١٠٩٢ . * العلامة : ١١٧٨ سنة ١١١٨. * فاضل : ٤٦٢ القرن ١٢ . * گلپايگاني : ١٨/١٣٢ سنة ١٢٥٨ . * مجلس : ٤٦٨١ القرن ١٢ . ٥٨٨١ سنة ١٢٥٥ . * مرعشي : ٥٤٩ كتبت عن نسخة استنسخها نافلة المؤلف . ٤٧٥٤ سنة ١١٠٤ . ٦٥٩٥ سنة ١٠٥٦ . ١٠٦٩٩ القرن ١٣. * مروي : ٣٥٤ القرن ١١. ٥٣٣ سنة ١١٢٧ أو ١٠٢٧. ٨٢٩ سنة ١١٨١ .

٧٣ـ « عين اليقين في أصول أصول الدين » وسنعيد الكلام عن هذا الكتاب بعد ذكر التأليفات . * النسخ ـ آخوند : ١٧٧٧ . * الإلهيات مشهد : ٣٣١ القرن ١١ . * جامعة : ٣٧٣ سنة ١١٢٧ . ٢٩٤٦ سنة ١٠٧٠ . ٦٧٢٥ سنة ١١١٦ . * الرضوية : ٨٠٤ سنة ١٠٨٥ . ٨٠٥ سنة ١١٠٠ . ٧٣١١. ٧٨١٨ سنة ١١٠٦ مستنسخة عن الأصل . ١١٠٦١ . * مدرسة إمام العصر : ٤٢ سنة ١١٣٣ . * الفيضية : ٣٤٨ سنة ١٢١٩ . ١٦٧٣ . * گلپايگاني : ٢٥/١٣٦ سنة ١١٤١ . ٣٨/٣٦ القرن ١٢ . * لوس آنجلس : m١٧ سنة ١٠٨٥ . * مجلس : ١٩٧٢ . وضمن كتب الطباطبائي ٩٣٣ القرن ١٢ . * مرعشي : ٥٩٨٨ سنة ١١٢٦ . * ملك ٦١٠ سنة ١٢٨٨ . * ملي : ١٨٠٧ .

٧٤ـ « غنية الأنام في معرفة الساعات والأيام ـ يقرب من ٧٠٠ بيت وقد صنّفتها قريبا من أوان الصبا » . غير مطبوع * النسخ ـ آخوند : ٧٩١١ . * جامعة : ١٣٩٨ القرن ١٣ . ٦٤٥٧ القرن ١٣ . ٦٨١٩ القرن ١٣ . * خوانساري : ٩٢٩ . * الرضوية : ٢٠٨٩ سنة ١١٩٥ . ١٤٠٨٣ سنة ١٢٠٤ . ٧٢٨٠ سنة ١٢١١ . ٧٦٢٤ سنة ١٢٦٨ . * قائيني : ٢٥٨ نسخة بدون تاريخ التحرير . * گلپايگاني : ٣٥/٣٣ سنة ١١٠٢ . ٨/١٤٢ القرن ١٢ . ٢١/١٠٦ القرن ١٣ . * مجلس : ١٨٠٥ . ٤٩٠٠ سنة ١٠٧٢ . ٦٣٠٩ سنة ١١٢٤ . ٢٠٨٢ سنة ١٢٧٢ . وضمن مجموعة إمام الجمعة ٩ . وضمن مجموعة الطباطبائي ٩٣٣ سنة ١١٢٤ . * مرعشي : ٤٨٠ سنة ١١٠٩ . ٦٨٦ سنة ١٠٢٧ . ٥٣٥١ . ٩١٢٩ سنة ١٠٩١ . ٩٤٦٦ سنة ١١٠٤. * مسجد : ١٣٤٥. ٢١٠٥. ٣٠٠٣ سنة ١٢٠٥ . * ملك : ٢٧٨ سنة ١٢٦٢ . ٣٥٢٣ القرن ١٢ . ٥٨٠٠ القرن ١٢ . * ملي ٢٩٠٧ . * ١١٣ سنة ١٠٧٨ .

٧٥ـ « **فهرست العلوم** ـ شرحت فيها أنواعها وأصنافها ... في ٢٨٠ بيتا » ـ غير مطبوع * النسخ ـ جامعة : ٢٨٣٠ القرن ١٣ . * حقوق : ١١١ سنة ١٠٧٤ والكاتب من تلامذة الفيض ـ قده ـ . * خوانساري : ٥٦٧ سنة ١٣١٦ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * مجلس : ٣٤٠٩ القرن ١١ . ٣٨١٨ خط نافلة المؤلف . * مرعشي : ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . ٥٠١٩ . ٩٣١١ القرن ١٢ . ٧٢٨٥ سنة ١٠٧٣ . * ملك : ٢٠٩٧ سنة ١٢٩٥ .

٧٦ـ **فهرس مصنّفاته** ـ قده ـ رتب الفيض لتأليفاته فهارس ثلاثة وطبعت كلها في مقدمة الجزء الثاني من المحجة البيضاء نشر المغفور له السيد محمد مشكاة ، طهران ١٣٨٠ ق .* النسخ : (٢٥٢ سنة ١٢٩٥ معلوم شود) إلهيات طهران : ٧٤٩ سنة ١١١٦ . * جامعة : ٢٠٩٩ سنة ١١٠١ . ٣٥٤٩ . * خوانساري : ٥٧٠ . ٩٥٠ . * الرضوية : ٧٨٣٩ سنة ١٠٩١ . * الفيضية : ٨٣٤ سنة ١١٧٥ . ١٩٦٠ سنة ١٢٧٨ * گلپايگاني : ١٩/٢٠٦ القرن ١٤ . * مجلس : ٣٤٠٩ القرن ١١ . ٣٢٦٢ مجموعة فيها نسختين من الفهارس الثلاثة القرن ١٣ . ٣٨١٨ خط نافلة الفيض . * مرعشي : ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . ١٦٦٧ . * مكروفيلم : ٥٢١٧ . * ملك : ٦٣٤١ سنة ١٢٨٣ . * مهدوي : (الفهرس الثالث) ٣٦٤ سنة ١٢٧٠ ..

٧٧ـ « **قرة العيون في أهمّ الفنون** ... في ٣٥٠ بيت وقد صنف في سنة ثمانين وألف (نسخة ـ ثمان وثمانين وألف) » وقد فصلنا الكلام حول هذا الكتاب ومطالبه . والكتاب مطبوع ملحقة بكتاب الحقائق للمصنف في طبعاته المذكورة . * النسخ ـ آخوند : ٤٧٦٧ سنة ١٢٧١ . * الإلهيات طهران : ٥٤٧٠ سنة ١٢٣٩ . * الإلهيات مشهد : ١٠٠٤ . ١٨٤٥ سنة ١٢٢٥ . * جامعة : ١٤٢٢ القرن ١٣ . ١٥٧٥ القرن ١٢ . ٣٢١٨ سنة ١٢٤٣ . ٤٢١٧ سنة ١٢٢٣ . ٤٤٩٣ سنة ١٣٠٦ . * حسينية التستريين : ٣٣ . مجموعة ٢٨٣ سنة ١٢٤٦ . وتوجد في هذه المجموعة أيضا شرح قرة العيون يحتمل أن تكون من الأحسائي . * حقوق : ٨٦ ـ د سنة ١٢٧٨ . * خوانساري : ٦٥٤ سنة ١٢٣٠ . * الرضوية : ١٠٠٣٥ سنة ١١٩٧ . ٩١٨١ سنة ١٢٢٢ . ٨٢١ سنة ١٢٢٤ . ١١٢٦٩ سنة ١٢٤٥ . ١١١٢٦ سنة ١٢٨٣ . ٨٢٠ سنة ١٢٨٤ . ٩٦٦٠ سنة ١٢٨٦ . ١١٤٣٦ . ٩١١٢ . ١٠٠٠٩ . * العلامة : ٥٧٧ سنة ١٢٢٣. * فرهنگ مشهد : ٤٨ الف . * الفيضية : ٧٧٦ سنة ١٢٦٨ . ٨١٤ سنة ١٢٤٠ . ٩٢١ سنة ١٢٣٦ . ١٧٥٨ سنة ١٢٥٨ . * كلية أصبهان : القرن ١٣ (نسخه هاى خطى ٩١٠/١١) . * گلپايگاني : ٢١/١٠٦ سنة ١٢٥٤ . ٢٠/١٣٤ القرن ١٣ . ٢٤/١٣٠ القرن ١٢ . ٢٨/٥٨ سنة ١٢٠٩ . ١٤/٢٧١ سنة ١٢٧٢ . ١٠/٦٢ سنة ١٢٥٧ . * گوهرشاد : ٢٠٧٤ . * لغت نامه (نسخه هاى خطى : ٤٢٦/٣) : ٢٥٥ القرن ١١ أو ١٢ . * مجلس : ٣٤١١ القرن ١٣ . ٧٦٢٣ السنة ١٢٩٩ . ٧٩٧٥ سنة ١٢٤٠ . ٢٩١٣ سنة ١٢٥٠ . ٥٣٤٩ سنة ١٢٠١ . وضمن مجموعة إمام الجمعة ١٨٦٦. ١٦٧ سنة ١١٨٣. * مجلس (سنا) : ٣٦٨ سنة ١١٢٧ مصححة عن الأصل بأمر نافلة المؤلف . * مدرسة إمام العصر : ١٢١ سنة ١١٣٣ . * مرعشي : ٥٢٥ سنة ١١٢٢ . ٩٣٥ . ٦٩٧٨ سنة ١٢٧٠ . * مسجد : ٥٥٣ سنة ١٢٤١ . ٨٥٦ سنة ١١١٨ . ٢٠٦٥ سنة ١٢٨٤ . ٢٧٠٦ القرن ١٢. *

معصومية: (٤:٨ـ٦٣٩٢) سنة ١٢٦٠ . * ملك : ٥٦٤ سنة ١٢٧٩ . ٢٠٥٠ سنة ١٢٢٠ . * ملي : ١٦٦ . ٢٦٩٨ . ٢٨٦٣ . ٢٣٠٧ . ٢٤٢٦ سنة ١٢٢٦ . ١٤٤١ سنة ١٢٤١ . ٨٣١ سنة ١٢٤٠ . * مهدوي : ٣٤٥ سنة ١٢٢٨ . * وزيري : ٨٤٩ القرن ١٣ .

٧٨ـ « الكلمات السريّة العليّة ـ المنتزعة من أدعية المعصومين صلوات الله عليهم في ٣٣٠ صنفت في سنة ثمان وثمانين وألف» . غير مطبوع . * توجد نسخة منه عند صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي في قم استكتبه ابن المؤلف علم الهدى وعليه خاتمه .

٧٩ـ « الكلمات الطريفة ـ في ذكر منشأ اختلاف آراء الأمّة المرحومة ... وهي ١٠٠ كلمة يقرب من ١٠٠٠ بيت وقد صنّفت في سنة ستين بعد الألف » . طبع في . * النسخ ـ إلهيات طهران : ٧٤٩ سنة ١١١٦ . إلهيات مشهد : ٥٤٥ سنة ١٢٨٤ . ٦٧٨ . * جامعة : ١٤٣ . * الرضوية : ١٢٨٤٢ سنة ١١٩٢ . ٦٦٨٧ سنة ١٢١٨ . ١٤٤٧٨ سنة ١٣١٢ . ٢٢٧ . ٦٠٦٧ . ٧٠٣٩ . * سليمان خان : ١١٠ القرن ١٢ . * الفيضية : ١٤٨٤ القرن ١٣ . * كلية أصبهان : في مجموعة ١٦٣ . * گلپايگاني : ٩/٢١٦ سنة ١٢٣٨ . ٨/١١٩ القرن ١٢ . ٨/٢٠ سنة ١٢٣٣ . ٢٥/١٧٨ القرن ١٣ . ٢١/١٣٨ القرن ١٤ . ٢٩/٨٣ سنة ١٢٨٢ . * گوهر شاد : ١٦٦٤ . * مجلس : ١٢٢٠ . ٤٩١٣ سنة ١١١٤ . ٤٣٧٧ سنة ١١٣٧ . ٤٥٦٢ القرن ١٢ . ٣٧٥٨ القرن ١٢ أو ١٣ . * مجلس (سنا) : ١٤٨ سنة ١٢٥٨ . * مرعشي : ١٢٧٣ سنة ١٠٦٢ . ٢٠٥٦ سنة ١٢٦٣ . ٣٦٧٢ سنة ١٢٦٩ . ٣٨٣٠ سنة ١١٣٥ . ٦٨٨٤ سنة ١٠٨٥ . ٤٦٧٧ سنة ١٠٧٦ . ٦٢٨٤ . ٨٧٠٢ سنة ١٢٣٤ . ٨٧٠٣ سنة ١٢٨٣ . ٩٩ ١٠٥ القرن ١٢ . ١٠٢١٦ سنة ١٢٤٥ . * مسجد : ٨٣٦ . ٨٥٦ سنة ١١١٩ . * ملك ١٨٣٧ سنة ١٢٦٥ . ١٨٦٩ القرن ١٢ . ٢٥٦٨ سنة ١١٠٩ . ٢٥٨٣ القرن ١٣ . ٤١٨٢ القرن ١٣ . ٥٨٥٣ القرن ١٢ . ٦٠٧٥ سنة ١٠٨٧ . ٦٢٠٧ سنة ١١٧٧ . * ملي : ٨٩٣ سنة ١٢٧٧ . * مهدوي : ٢٧٩ سنة ١١٣٥ . ٢٨٣ سنة ١٢٨٠ . * نواب ٤٣ سنة ١٠٧٨ . * مكروفيلم : ٢٧١٢ سنة ١١١٦ . * وزيري : ٢٧٢ ١١ . ٢٤١٥ سنة ١١٣٣ .

٨٠ـ « الكلمات المخزونة ـ وهي المنتزعة من المكنونة بحذف المسائل الدينية ... يقرب من ١٥٠٠ بيت ، صنف في سنة تسع وثمانين وألف » . مطبوع . * النسخ ـ آخوند : ٦٨٥ . * جامعة : ٢٨٢٥ سنة ١٢٩٤ مستنسخة عن نسخة علم الهدى . * حسينية التستريين : ١٩٨ . * العلامة : القرن ١٢ . * گلپايگاني : ١٠/٦٢ سنة ١٢٥٧ . ٣/١٣٧ سنة ١٢٥٥ . * مجلس : ٣٤١١ سنة ١٢٧٧ . ٥٣٤٩ سنة ١٢٠١ . * مجلس (سنا) : ٣٦٨ سنة ١١٢٧ قوبل مع الأصل بأمر نافلة المصنف . * مرعشي : ٤٨٠٨ سنة ١٢٥٤ . ١٠٩١٧ سنة ١١٢٥ . * مكروفيلم : ٢٧١٢ . * ملي : ١١٠٦ .

٨١ـ « الكلمات المضنونة (نسخة ـ المضنون به)ـ في بيان التوحيد ومراتبه في ثمانمائة بيت . صنفت في ألف وتسعين» . غير مطبوع . * جامعة : ٢٨٢٥ سنة ١٢٩٤ مستنسخة عن نسخة علم الهدى . * مجلس : ٣٥٧٢ القرن ١٢ .

٨٢ـ « الكلمات المكنونة في علوم أهل المعرفة وأقوالهم ... يقرب من ١٤٤٠٠ بيت

صنّف في سنة سبع وخمسين وألف» . طبع في طهران حجريا ١٣١٠ ق و١٣١٦ ق و١٣١٧ ق وفي بومباى الهند ١٢٩٦ . وطبع بالصف الحروفي طهران ١٣٤٢ ش وأُعيد مصورا عن هذا الطبع مرات . * وقد فصلنا القول حول هذا الكتاب . * النسخ ـ آخوند : ٢٣٠٤ سنة ١٢٨٢ . الإلهيات مشهد : ١٧٢٣ القرن ١١ . * جامعة : ٢٢٣٣ مستنسخة في حياة المؤلف ومصصححة عنده . ٢٦٨٣ سنة ١٢٣٥ . ٧٥٦٠ سنة ١٢٠٦ . * حقوق : ٢٥٥ج سنة ١٢٧٥ . * الرضوية : ٨٣٩ سنة ١١٠٧ . ٨٤٠ سنة ١١٢٨ . ١٤٧٥٧ سنة ١٢٥٥ . ١٤٥٣٩ سنة ١٢٧٤ . ٨٥٧ سنة ١٢٨٤ . ١٢١٦٧ سنة ١٢٨٥ . ٨٤١ . ١٢٥٧١ . ١٤٧٨١ . * لوس آنجلس m٨٠٣ القرن ١٢ . * گلپايگاني : ١/١٢٢ سنة ١٢٦٨ . ٢/١٩٢ القرن ١٢ . ٩/٢١٧ القرن ١٢ . ٢٠/١٨٥ القرن ١٣ . ٢٧/١١٦ سنة ١٢١٤ . ٢٠/١٣٤ القرن ١٣ . * مجلس : ١٧٢٠ . ٣٨٢٧ القرن ١٣ . ٥٤٧٢ القرن ١٢ . * مرعشي : ٥٨٢٢ يوجد خط علم الهدى على الورقة الأُولى منها . ٥٨٣٤ كتبه نافلة علم الهدى . * مسجد ٢٠٦٩ سنة ١٢٨٤ . * ملك ٢٣٨٥ سنة ١٣٠٩ . * ملك : ٢٣٨٥ سنة ١٣٠٩ . * ملي : ١٠ سنة ١٢١٣ . ١٤٣٩ سة ١١٢٨ . ٢٦٠٣ سنة ١٢٦٨ . ٢٩٤٨ . ٣٠٨٢ . * مهدوي : ٣٤٥ القرن ١٣ . * وزيري : ٨٣٥ . ٢٠٠٦ سنة سنة ١٢٨٤ . ٢١٦٠ سنة ١٢٧١ . ٢٤١٥ سنة ١١٣٣ . ٣٧٩٣ .

٨٣ـ « گلزار قدس » طبع رسالة بهذا الاسم كمقدمة لديوانه ـ قده ـ ولكن الظاهر من الفهرس الثالث أنه اسم لديوانه * ملك ٨٦٩ القرن ١٢ .

٨٤ـ « اللئالي ـ وهو من المكنونة مما لايضنّ به كل الضنّ لينتفع به المتوسطون في الطهارة ، يقرب من ١٧٠٠ بيت » . غير مطبوع . * الإلهيات مشهد : ١٤٢٧ . * جامعة : ١٠٣٨ سنة ١١٢٣ . ١٤١٨ سنة ١٢٩٧ . ٤١٨٥ سنة ١٢٧١ . ٤٤٤١ القرن ١٢ . ٤٦٥٠ سنة ١٢٢٢٦ . * خوانساري : ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * الفيضية : ١٣٤٢ . ١٩٨٤ سنة ١٢٨٤ . * لوس آنجلس : ٨٨٩٨٦ سنة ١٢٨٩ . * مجلس : ٥٢٧٩ القرن ١١ . * مرعشي : ١٥١٢ . ٦٠٩٤ سنة ١٠٨٦ . ٥٨١٧ سنة ١١٥٦ . ٢٠٥٦ سنة ١٢٦٣ . ٧٢٨٥ سنة ١٠٧٣ . ٨٩٤٤ سنة ١١٠٥ . * مروي : ٩٤٣ القرن ١٣ . * ملك : ١٦٣٩ . * مهدوي : ٢٦٠ سنة ١٢٥٧ . * ملي : ٤١٦٦ . ٢٥٥٩ . ١٦٣٩ سنة ١٢٥٠ . ٢٩٠١ سنة ١٢٣٩ .

٨٥ـ « اللب ـ وهو لبّ القول في معنى حدوث العالم وبيانه في ٣٧٠ بيتا (نسخة : وحجمها مثل حجم اللباب) » غير مطبوع * النسخ ـ الرضوية : ٥٩٠٠ سنة ١٢٦٦ . * مجلس : ٣٤٠٩ القرن ١١ أو ١٢ . * مرعشي : ٩٣٥ . * ملي : ١٥٣٩ .

٨٦ـ « لبّ الحسنات ـ مشتمل على خلاصة مافي منتخب الأوراد » . غير مطبوع . * النسخ ـ جامعة : ٩٣٢ . * مرعشي : ١٠٣٤٧ القرن ١١ .

٨٧ـ « اللباب ـ وهو لباب القول في الإشارة إلى كيفية علم الله سبحانه بالأشياء في مائتي بيت » . غير مطبوع . * النسخ ـ الإلهيات مشهد : ١٤٢٧ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ . * مجلس : ٣٤٠٩ القرن ١١ أو ١٢ . ٣٨١٨ سنة ١١٤٠ خط نافلة المؤلف . * ملي : ٢١٦٧ . *

نمازي : ٧١١ .

٨٨ـ « المحاكمة ـ تشتمل على محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التفقّه في الدين ، تقرب من١٥٠ بيتا » . طبع ضمن عشر رسائل من الفيض في أصبهان ١٣٧١ ش . * النسخ ـ خوانساري ١٤٩٣ سنة ١٣٤١ . * مرعشي : ٨٢ كتبه أخوالمؤلف . ١٤٠١ سنة ١٢٩٠ . * مهدوي : ٥١٠ القرن ١١ . * فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ .

٨٩ـ « المحجة البيضاء في إحياء الإحياء ـ وهو تهذيب وتنوير لإحياء علوم الدين من مصنفات أبي حامد الغزالي وتجريد له من البدع والأهواء ... ومجموعه ٧٣٠٠٠ بيت تقريبا ، وقع الفراغ منه سنة ستّ وأربعين وألف» . طبع ثلاث مرات في طهران: ١٣٢٦ ق حجريا . ١٣٣٩ ش مصورة عن نسخة ابن المصنف علم الهدى ، نشره المغفورله السيد محمد مشكاة . ١٣٤٠ ش بتصحيح علي أكبرالغفاري . وأعيد طبعه مصورة عن هذا الطبع في قم عدة مرات . * النسخ ـ كان نسخة الأصل من الكتاب في مكتبة الأستاذ المغفور له السيد محمد مشكاة . كما كان عنده نسخة من الكتاب استنسخها ابن المؤلف علم الهدى ـ قدهما ـ وطابقها بنفسه على الأصل نشرت مصورتها المكتبة الإسلامية سنة ١٣٨٠ ق طهران . * إلهيات مشهد : ١٨٨٥ القرن ١٢ . * جامعة : ٣٩٧ سنة ١٢٨٦ . ١٠٥٣ سنة ١١١٤ . ١٠٥٤ سنة ١٢٨٦ . ٧٦٦٠ سنة ١٢٦٩ . * الرضوية : ١٥٢٥٨ سنة ١١٤٩ . ١١٥٤٤ سنة ١٠٦١ . ١٠٢٢٥ سنة ١٠٧٨ . ٣٥٧٠ سنة ١٢٤١ . ٣٥٧١ سنة ١٢٦٣ . ١٤٠٥٢ سنة ١٢٦٦ . ٧٠٤٨ . ٧٩١٨ . ٨٦٣٥ . ١١٣٤٣ . ١٥٢٦٥ . العلامة: ٥٠٣ سنة ١٢٦٦ . * الفيضية : ١٦٧٤ . * گلپايگاني : الموجود في المكتبة ١٤ نسخة . * لوس آنجلس M١٣٠١ القرن ١١ . * مجلس : ٢٥٠ سنة ١٢٥٦ . ٤٨٠٤ سنة ١١٠٧ . ٥٧٨١ سنة ١١٠١ . ٥٧٩٧ سنة ١٠٤٢ وعليه تصحيحات من المؤلف . ٥٨٢٤ سنة ١١٠١ . ٣٧٣١ سنة ١١١٦ . * مدرسة إمام العصر (عج): ٣٨٢ و٣٨٣ كلاهما القرن ١٣ . * مرعشي : ٥٥٢ مستنسخة عن نسخة المؤلف . ٥٥٣ مصححة بخط المؤلف . ٥٥٤ سنة ١٠٩٠ . وهذه النسخ الثلاث كل منها تحتوي قسما من الكتاب . ٣٥٣٨ قابله محمد نورالدين ابن أخي المؤلف على نسخة الأصل . ٧٩٥٤ قريب من عصرالمؤلف . * مسجد : ٣٢٧ سنة ١١٠٢ . ١٧٢١ فيه تصحيحات يحتمل كونها من المؤلف . ١٧٢٦ سنة ١٠٦١ . * معصومية : (١:٥٩ـ٦٣٥٠) القرن ١١ . (١:١١ـ٦٣٤٤) القرن ١٢ . (٣:٤٩ـ٦٣٥٦) القرن ١٣ . (٥:١١ـ٦٤٣٤) . * ملي : ١١٥٥ . * نواب ٥ سنة ١١١٤ . * وزيري : ٣٠٨٠ سنة ١١٣٩ .

٩٠ـ « مرآة الأخرة ـ تكشف فيه حقيقة الجنة والنار ... في ٩٠٠ بيت وقد صنف في سنة أربع وأربعين بعد الألف » . وطبع الكتاب حجريا في طهران ١٣١١ ق . ومع بعض رسائل المؤلف ١٣٠٣ ق . ومع علم اليقين وعين اليقين ١٣١٢ ق . وأخيرا في بيروت صفا وأعيد مصورة عنه في قم . * النسخ ـ جامعة : ١٥٥٦ القرن ١٣ . ٥٩٠٨ القرن ١٣ . * حقوق : ٢٠٢ـج . * الرضوية : ٩٧٤١ سنة١٢٨١ . ١٤٧٨١ . * مجلس : ١٩٥٨ . ومن كتب إمام الجمعة ٩ سنة ١١٢٦ . * مرعشي : ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ . ٩٥٩١ سنة ١٢٤٧ . ١٠٧٩٩ سنة

١٠٩٧ . مكروفلم ١٠٣٩ سنة ١٠٨٥ . * ملك : ٤٦٥٨ سنة ١٢٦٩ . * ملي : ٢١٦٧ سنة ١٢٤١ . ١٤٣٩ سنة ١١٢٤ .

٩١ـ « المشواق في كشف معاني الحقائق عن لباس الاستعارات لتفهيم محبة الله وتهييج الشوق لأهل الذوق إرغاما لأنوف المتقشفة المنكرين لمحبة الله في ٣٥٠ بيتا » مطبوع . * النسخ ـ الإلهيات طهران : ٧٤٩ سنة ١١١٦ . * جامعة : ٨٤٩ سنة ١٣٠٠ . ٨٢٣١ خط نافلة المؤلف . ٧٥٩٠ القرن ١٣ . * حقوق : ١٠٩ـج سنة ١٢٠٦ . * الرضوية : ١٢١٦٧ سنة ١٢٨٥ . * العلامة : ٦١ القرن ١٢ . * فاضل : ٩٥ . سنة ١٢٥٨ . * گلپايگاني : ٢١/١٤٥ سنة ١١٣٢ . ٢٣/١٩٠ القرن ١٣ . * گوهر شاد : ١٧٧٩ سنة ١٢٥٠ . * مجلس : ٣٢٦٢ القرن ١٣ . * مسجد : ٢٩١١ القرن ١٣ . * ملي : ٢٦٦١ القرن ١٣ . ٤١٦٦ . ١٠٤٩ القرن ١١ . * مهدوي : ٣١٧ القرن ١٣ . ٣٦٤ سنة ١٢٧٠ قوبل مع الأصل . * مكروفيلم : ٢٢٤٢ .

٩٢ـ « المعارف ـ وهو ملخص علم اليقين ولبابه ، في ٦٢٠٠ » . غير مطبوع . * النسخ ـ آخوند : ١٠٢١٢ سنة ١١٠٠ . * جامعة : ١٨٧٨ سنة ١٠٩٦ . * خوانساري : ٦٣٨ . * الرضوية : ٨٨٤٢ سنة ١٢٨٥ . * گوهرشاد : ١٠١٩ سنة ١٢٥٢ . * مجلس : ٩٩٧٢ . ٤٢٦١ سنة ١٢٨٧ . ٥٨٠١ سنة ١٢٦٢ . * ملك : ١٠٩٢ سنة ١٠٩٦ . * وزيري : ٢٦٣٨ قرأها نافلة المصنف عند أبيه أحمد بن محمد .

٩٣ـ « معتصم الشيعة في أحكام الشريعة : وهو مشتمل على أمهات المسائل الفقهية الفرعية ، مع دلائلها ومآخذها ... وقد تمّ منه كتاب الصلاة مع مقدماتها ومتعلقاتها في مجلد يقرب من ١٤٠٠٠ بيت في سنة تسع وعشرين بعد الألف وفق الله لإتمامه» . لم يكمل بعد وهو غير مطبوع . * النسخ ـ الرضوية : ٦٤٦٩ سنة ١٢١١ . * مرعشي : ٢١٧ سنة ١٢٣٧ . ٣٤٧٨ استنسخه علم الهدى عن نسخة المؤلف وقوبل عليها . * مروي : ٣٤١ القرن ١١ أو١٢ . * ملي: ٢٨٦٦ سنة ١٠٨٧ . ٢٥٦٥ .

٩٤ـ « معيار الساعات وهي قريبة من الغنية في المعنى إلا أنها فارسية وفيها جداول وأرقام في ٣٥٠ بيتا » . غير مطبوع . * النسخ ـ آخوند : ١٠٢١٢ سنة ١٠٩٦ . * جامعة : ٤٨١ سنة ١٠٩٢ . ٩٧٢ . * خوانساري : ٩١٩ سنة ١٢٥٧ . ٩٢٩ . العلامة ٦١ القرن ١١ . * معصومية : (٤:٧٨ـ٥٧٧٩) . * ملك : ١٨١٧ سنة ١٢٦٤ . * مهدوي : ٣٦٤ سنة ١٢٧٠ .

٩٥ـ « مفاتيح الشرائع ـ وهو أيضا يحتوي على أمهات مسائل الفقه ، مع الإشارة إلى الدلائل والأقوال التي قيلت فيها بإيجاز واختصار ... يقرب من ١٥٠٠٠ بيت ، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف» . * والكتاب طبع أخيرا في بيروت وقم وطبع قسم منه في كربلاء المقدسة . وله ـ قده ـ في هذا التأليف عدة فتاوى يخالف فيها القول المشهور بين الفقهاء ، و عليه شروح مختلفة يعلم منها اعتناء العلماء به . وقال ـ قده ـ حول هذا الكتاب في الفهرس الثالث : «وقد تمّ بجميع أبوابه في خمسة عشر ألف بيت ، إلا أنه نيء غير نضيج كمؤلفه حين التأليف » . * النسخ ـ آخوند ٩ نسخ . * الإلهيات مشهد : ٧٣١ سنة ١٢٢٤ . ٧٣٢ . ١٦٠٩

سنة ١١٩٣ . * جامعة : ١٩ نسخ منها ٧١٢ سنة ١٠٩٢. ٧١٣ سنة ١١٢٤ . * جامعة أصبهان: ٧٧ القرن ١١ . * حقوق ٣ نسخ . * خوانساري : ٩ نسخ . * الرضوية : ٥٤ نسخ ، منها ٢٦١٠ سنة ١١٠٧. * عبدالعظيم : ٥ نسخ ، منها ٥٣ سنة ١٠٩٠ . * العلامة : خمس نسخ . منها ١٣٦ سنة ١٠٤٧ . * الفيضية : ١٧ نسخ . * گلپايگاني : ٣٦ نسخ ، منها ٣١/١٤٦ سنة ١٠٩٥ . * گوهر شاد : ٦ نسخ . * مجلس ١٣ نسخ . * مجلس (سنا) : ١٤٠ سنة ١١٢٤ . * مدرسة إمام العصر : ٦ نسخ . * مرعشي : ٨ نسخ منها٨٦٧١ سنة ١١٨٢ صححها نافلة المؤلف على نسخة الأصل . * مروي : ٨ نسخ ، منها ٣٩٥ سنة ١٠٧٤ . ٤٣٧ مستنسخة عن الأصل . * مسجد : ٢٣ نسخ ، منها ١٤٨ صححه علم الهدى وعرضه على المؤلف . ٢٢٨٩ سنة ١٠٩٩ . ١٠٧٤ عليه تعليقات من الفيض وابنه بخطهما. * معصومية : ٤نسخ . * ملي ١٦نسخ . * ملك : ٨ نسخ . * مهدوي : ٢٨٨ سنة ١٢٩٥ . ٧٤٢ سنة ١١٨٨ . * ميرزا جعفر سنة ١٢٤١ . * نواب ٨١ سنة ١٢٢٩ . ٩٨ سنة ١٢٢٥ . ٩٩ . ١٨٤ القرن ١٢ . * نمازي : ٤ نسخ ، منها ٢٧٦ سنة ١٠٥٩ . ٤٠٠ سنة ١١٠٧ . * وزيري : ١٢ نسخ منها ١٧٠١ سنة ١٠٤٢ .

٩٦ ـ « مفتاح الخير ـ في فقه ما يتعلق بسوابق الصلاة و لواحقها. . . بالفارسية في ٢٥٠ بيتا » . غير مطبوع * النسخ ـ الإلهيات مشهد : ٢ ١٠٠ سنة ١١٠٩ . خوانساري : ١١١٨ سنة ١٣٥٧ . ١٤١٥ القرن ١١ . * گلپايگاني : ١١/١٨١ سنة ١١١٥ . * مرعشي : ١٠١٧٧ القرن ١١ . * وزيري : ٢٦٣٢ القرن ١٢ .

٩٧ـ « مناجات نامه » وهو من مثنوياته .

٩٨ـ « منتخب الأوراد ـ يشتمل على الأذكار والدعوات المتكررة ... يقرب من ٥٥٠٠ بيت وقع الفراغ من تصنيفه في سنة سبع وستين وألف » . غير مطبوع . * النسخ ـ جامعة : ٢٨٤٧ سنة ١١٠٦ استنسخها علم الهدى عن الأصل . *

٩٩ـ « المنتخب الكبير » مجموعة أشعار . غير مطبوع . *

١٠٠ ـ « المنتخب الصغير ؛ ويقرب المجموع (المنتخب الصغير والكبير) بعد حذف المكررات من ٢٠٠٠ بيت » مجموعة أشعار . * غير مطبوع . *

١٠١ـ « المنتزع من كتاب إخوان الصفا الإحدى والخمسين في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق في ٢٠٠٠ بيت » . غير مطبوع . * ونسخة الأصل من الرسالة موجود في مكتبة آية الله المرحوم الحاج السيد يونس الأرديلي في أردبيل حسبما رآه صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي .

١٠٢ـ « المنتزع من المكاتيب لقطب بن محيي في أربعة آلاف بيت » . غير مطبوع . * النسخ ـ العلامة : ٨١ القرن ١١ أو ١٢ . * الفيضية : ١٧٢٣ .

١٠٣ـ « المنتزع من المثنوي للمولوي المعنوي الرومي في ثمانية آلاف وقد وسّمتها بسراج السالكين » . غيرمطبوع . وتوجد عند صديقنا المحقق مهدي الأنصاري مصورة من نسخة

الفيض - حسبما أخبرني وفقه الله تعالى - . * ملك : ٥١٠٧ .

١٠٤ـ « المنتزع من غزلياته في ثلاثة آلاف » . غيرمطبوع .

١٠٥ـ « منهاج النجاة ـ يتبيّن فيه العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم ... يقرب من ٢٠٠٠ بيت وقد صنّف في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف » . طبع في طهران حجريا ١٣١١ ق و١٣١٢ ق و١٣٠٣ ق وأخيرا صفا بالحروف في بيروت وأعيد طبعه مصورة في قم . * النسخ ـ آخوند : ٢١٤ . ١٢٥٦ سنة ١١٣٤ . * الإلهيات مشهد : ١٠٢٨ استنسخه ابن صدرالمتألهين . ١٥٩٩ سنة ١٢٧٤ . * جامعة : ١٠٩٢ سنة ١٠٧١ . ١٥١٨ القرن ١٢ . ٢٩٤٩ سنة ١٢٥٢ . ٤١٢٨ سنة ١٠٩٩ . ٥٨٩٦ سنة ١٢٨ . ٦٤٧١ سنة ١٢٤٩ . * حسينية التستريين : ٣٢٠ القرن ١٢ . مجموعة ٢٤٧ . * خوانساري : ٥٥١ القرن ١١ . ٦٠٠ سنة ١٠٤٤ . ٩٥٤ . * الرضوية : ١٠٨٢٧ سنة ١٠٧٤ . ٦٧١٤ سنة ١١٠٦ . ١١٣٦٢ سنة ١١٢١ . ٨٤٤٠ سنة ١١٤١ كتبه نافلة المؤلف . ١٤٢٤٨ سنة ١١٦٨ . ١١٢٤٠ سنة ١٣٠٣ . ٩١٣٢ . ١٢٥٧٩ . ١٥٣٣٧ . * عبدالعظيم : ٣٥٣ سنة ١٠٩١ . * العلامة : ٥١٩ سنة ١٠٦٨ . ٥١١ سنة ١٠٥٨ . ٥١٣ سنة ١١٤٢ . ٦١٠ سنة ١٢٠٦ . * الفيضية : ٩٤٨ . ١١٨٣ سنة ١٠٧٦ . ١٦٦٢ سنة ١٦٦٢ . * گلپايگاني : ٣٣/٦١ سنة ١٠٥٨ . ٥/١٦٨ القرن ١٢ . ٢١/١٨٠ سنة ١١١٢ . ٢٠/١٨١ سنة ١٢٣٠ . ٢٠/١٩١ سنة ١٢١٩ . ٢٦/١٥٠ سنة ١٠٨٥ . * گوهرشاد : ٦٤٢ سنة ١٠٨٢ . * مجلس : ٣٥٦٥ القرن ١٣ . * مدرسة إمام العصر (عج) : ٤٤٠ سنة ١١٠٨ . * مرعشي : ٦٩٨ سنة ١١٧٧ . ١٩٩٩ سنة ١٢٦٢ . ٢٤٩٧ سنة ١٠٧٥ يوجد فيه خط المؤلف . ٥٨٣٥ مستنسخة عن نسخة علم الهدى . ٤٢١٦ سنة ١٠٣٤ . ٩٢٣٨ سنة ١٢١٦ . ٩٥٩٣ سنة ١١٦٧ . * مسجد : ٢٦٥١ سنة ١٣١٣ . * ملي : ١٩٢٢ سنة ١٠٨٥ . ١٤٣٩ سنة ١١٢٤ . ٤١٢٣ .

١٠٦ـ « ميزان القيامة ـ يذكر فيه تحقيق القول في كيفية ميزان يوم القيامة ... وهو من أبكار أفكاري التي لم يطمثهنّ أحد قبلي ـ ولله الحمد ـ ... ويقرب من ٦٠٠ بيت . وقد صنّف في سنة أربعين بعد الألف » . غيرمطبوع * . النسخ ـ حقوق : ٢٠٢ـج . * خوانساري : ١١١١ القرن ١٣ . ١٤٣٩ سنة ١٣٤١ . * الرضوية : ٩٧٤١ سنة ١٢٨١ . * قائيني : ٢٤٦ سنة ١٠٦٥ . * مجلس : ٥٣٣٥ القرن ١٢ . ١٩٥٨ . من كتب إمام الجمعة ٩ . * مرعشي : ١٤٣٠ سنة ١٢٢٢ . ٩٥٩١ سنة ١٢٤٧ . * ملك : ٤٦٥٢ مكتوب في حياة المؤلف . * ملي : ١٤٣٩ سنة ١١٢٤ .

١٠٧ـ «النخبة ـ يشتمل على خلاصة أبواب الفقه كلها مع استقصاء الآداب والسنن ظاهرا وباطنا وأصول علم الأخلاق في عبارات وجيزة بليغة مراعية لألفاظ الحديث في الأكثر لم يسبق بمثله ، وقد تمّت في ٣٠٠٠ (نسخة: ٣٣٠٠) بيت تقريبا في سنة خمسين بعد الألف» . * طبع في طهران ١٣٠٣ ق و١٣٢٤ ق و١٣٢٨ق و١٣٣٠ ق حجريا . وقد صدر بتحقيق مهدي الأنصاري في قم . * النسخ ـ آخوند : ٤٤٣ سنة ١١٥١ . ٤٧١٥ سنة ١٢٦٣ . * جامعة : ١٠٠٧ مستنسخة عن نسخة علم الهدى المستنسخة عن الأصل . ٤٩٧١ القرن ١١ . ٧٢٧٠ القرن ١١ . ٤٣٧١ سنة ١٠٩٧ . ٨٧٨٠ سنة ١١٠٠ . * حقوق : ١١ـ٢ سنة ١٠٧٤ الكاتب من تلامذة المؤلف كتبه عن

نسخة المؤلف . * خوانساري : ٧١٩ القرن ١١ او ١٢ . ٨٣٨ سنة ١٢٥٩ . ١١٧٥ سنة ١١٤١ . الرضوية : ١٥٤٢١ سنة ١٢٨٥ . ٩٠٢٢ سنة ١٠٨١ . ٢٨٥٢ سنة ١١١٢ . ٦٢١١ سنة ١١١٦ . ١٠٦٣٠ سنة ١١٨٣ . ٢٨٥١ سنة ١٢٣٨ . ٨٠٤٢ . * العلامة : ٢٣٠ و ٥١٦ كلاهما في القرن ١٢ . الفيضية : ٨٨٦ سنة ١٢٤١ . ٨٣٤ سنة ١١٧٥ . ١٢٩٤ سنة ١١١٣ . * قائيني : ٢٥٣ سنة ١٠٦٠ . * گلپايگاني : ١٩/٩٥ سنة ١٣١١ . ١/١٤٢ سنة ١٠٧٧ . ٢/١٦٥ سنة ١٠٨٦ . ٩/١٠٤ سنة ١٠٨٦ . * گوهرشاد : ٣١٤ سنة ١٠٧٤ . ٣٦٣ سنة ١٢٢٦ . ٥٠٠ سنة ١١٢٧ . ٩٦٤ سنة ١١٠١ . ١٠٦٩ سنة ١١١٤ . ١١٧٩ سنة ١٠٩٢ . * مجلس : ٥٨٨٦ القرن ١٢ أو١٣ . * مرعشي : ٧١٤١ سنة ١٣٠٨ . ٥٨١٤ سنة ١٠٨٦ فيه تعليقات من علم الهدى بخطه . ٩٢٤٦ . * ملك : ٢٠٥٩ و ٥٨١٥ كلاهماالقرن ١٢ . ٥٧٧ سنة ١٢٢٢١ . ٥٧٦٢ سنة١١٣٠ . * ملي : ١٣٨٦ سنة ١٠٦٩ . ١٤٦٣ سنة ١٠٨٨ . ٣١٥٣ . * وزيري : ٩٦٥ سنة ١١١٠ . ١٣٠٧ القرن ١٢ . ١٤١٨ القرن ١٣ . ١٧٠٠ القرن ١٣ . ١٨١٣ سنة ١١٨٣ . * ويوجد شرح الكتاب لتلميذ المؤلف السيد نعمة الله الجزائري (ره) في ملي ١١٣٨ سنة ١١٦٤ .

١٠٨ـ « النخبة الصغرى ـ يشتمل على لباب فقه الطهارة والصلاة والصيام في أوجز لفظ وأعمّ نفع ، في ٣٦٠ بيتا » .

١٠٩ـ « ندبة المستغيث » مثنوي غيرمطبوع .

١١٠ـ « ندبة العارف » مثنوي غيرمطبوع .

١١١ـ « نقد الأصول الفقهية ـ يشتمل على خلاصة علم أصول الفقه ... صنّفتها في عنفوان الشباب ، وهو أول مصنّف لي في العلم يقرب من ٢٣٠٠ بيت » . وقال ـ قده ـ حول هذا الكتاب في الفهرس الثالث : « وهي مما لاأرتضيه الآن ، إذ بان لي من ذلك العلم مابان » . غير مطبوع . * والنسخة المكتوبة بيد المصنف موجود عند صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي في قم .

١١٢ـ «النوادر ـ في جمع الأحاديث الغيرالمذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف» . وهذا الكتاب تكميل لقسم الأصول من كتاب الوافي ، وقد طبع في طهران ١٣٣٩ ش . وصدر أخيرا بتحقيق مهدي الأنصاري . * مجلس : ٥٥٣٠ سنة ١٢٦٠ . * مرعشي : ٢٣٢١ سنة ١٠٩٨ يوجد فيه خط علم الهدى . * ملي : ١٨٨٨ سنة ١٠٩٧ .

١١٣ـ «الوافي ـ يحتوي على جملة ماورد من علوم الدين في القرآن المبين وجميع ماتضمّنه أصولنا الأربعة التي عليها المدار في هذه الأعصار ؛ أعني الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار... على ترتيب حسن ... وشرح وبيان ... يقرب مجموعه من ١٥٠٠٠٠ بيت ، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة ثمان وستين بعد الألف» . طبع الكتاب مرتين حجريا في طهران ١٣١٤ ق و١٣٢٣ ق وأعيد مصورة مع إضافة تعليقات العلامة الشعراني ـ قده ـ وأخيرا في أصبهان مع تحقيقات وتعليقات وقد صدر منه إلى الآن ٢٥ جزء من الكتاب . * (النسخ تحتوي على قسم من الكتاب ونشير إلى الأرقام الممتازة منها) ـ آخوند : ١١ نسخ . * إلهيات مشهد : ٥ نسخ ، منها

١٤٢٢ سنة ١٠٩٦ . ١٤٧٥ سنة ١٠٩١ قوبل بمحضرالمؤلف . * جامعة : ٢٤ نسخ منها ١٢٥٧ مكتوبة في حياة المؤلف أو قريبة منها . * حسينية التستريين : النسخ الموجودة ١٥ توجد فيها نسخ قوبل مع الأصل (نسخه هاى خطى : ٨١٥/١١) . * خوانساري : ١٩ نسخ ، منها ٧٠٧ سنة ١٠٨٦ . ١٢٧٥ سنة ١١١٠ ، قوبل نصفها على نسخة المؤلف والنصف الآخر على نسخة ابن المؤلف . ١٣٩٨ القرن ١١ ، قوبل على نسخة مصححة على نسخة المؤلف . * الرضوية : الموجودة ٦٩ نسخ ، منها ١١٢٥٠ سنة ١٠٦٤ . ٦١٧٧ سنة ١٠٦٨ . ١١٢٦٣ سنة ١٠٦٣ . ٧٢٦٩ سنة ١٠٦٩ . ٦١٧٥ سنة ١٠٧٠ . ١٢٨٨٣ سنة ١٠٧٢ . ٩١٤٠ سنة ١٠٨٠ . ١١١٦٦ سنة ١٠٨١ . ٦٦٠٢ سنة ١٠٨٦ . ٢١٩٥ سنة ١٠٨٧ . ٢١٩٣ سنة ١٠٩٠ . ١٥٢٧٥ سنة ١٠٩١ . ١٥٢٩٦ سنة ١٠٩٢ . ٢٢٠١ سنة ١٠٩٣ . ١١٢٠٣ سنة ١٠٩٥ . ١٢٨٩٢ سنة ١٠٩٧ . * سليمانخان : ٤٧ سنة ١١١٢ . ٧٦ القرن ١١ . * عبدالعظيم : ٧نسخ ، منها ١٨٨ سنة ١٠٨١ . ٤٦ سنة ١١٠٩ . * العلامة : ٣٥١ سنة ١٢٣٠ . ٣٥٢ سنة ١٠٩٢ . ٣٥٣ سنة ١١٠٢. * فيضيه: ١١ نسخ ، منها ١٥ كتبت في حياة المؤلف وقوبلت على نسخة عرض على نسخة المؤلف . ٣١٧ سنة ١٠٨٦ . * قائيني : ٢٦٢ سنة ١٠٧٣ والكاتب من تلامذة المؤلف على مايظهر. * گلپايگاني: ٢٨ نسخ ، منها ٥/٩ سنة١٠٦٥ . ١/١٢ سنة ١٠٧٥ . ٧/٣٧ سنة ١٠٩٢ . ٣٤/٣٦ سنة ١٠١٦ . ٣٥/٥٣ سنة ١٠٦٩ . ٣٦/٥٩ ١٠٧٢ . ١٨/٢٤ سنة ١٠٧٣ . ٢٤/١٠٩ سنة ١٠٦٤. * گوهرشاد: ١٤ نسخ ، منها ٢٩٩ قوبلت على الأصل . و٣١٢ سنة ١٠٧٣ قوبلت على نسخة ابن المؤلف . ١٣١٠ سنة ١٠٨٦ . ١٦٤٨ سنة ١٠٨٠ . ١٨٩٨ سنة ١٠٩١ . ١٩٤٩ قوبلت على الأصل . * لوس آنجلس : ٩ نسخ (نسخه هاى خطى : ٣٨٢/١١) . * مجلس ٢٢ نسخة ، منها ١٩٥٩ تحتوي على قسم صغير من الكتاب بخط مؤلفه . ٤٣٨٠ سنة ١٠٨٨ . ٤٣٨٣ سنة ١١٠٠ . ٤٣٨٤ سنة ١٠٧٠ استكتبه علم الهدى وقرأه على أبيه . ٣٤٦٥ سنة ١٠٨١ . ٢٩٥٠ صححه ابن أخي الفيض . ٥٢٩٧ يحتمل كونها نسخة الأصل . ٥٢٩٨ هذه النسخة وسابقتها كانتا في ملك نافلة المؤلف . * مدرسة إمام العصر (عج): ١ سنة ١٢٠٨ . ١١٥و ٢٤٩ كلاهما القرن ١٢ . * مرعشي : ٤٠ نسخ ، منها نسخة ٢٣٧ مكتوبة بخط يدالمؤلف بشهادة ابنه علم الهدى ـ قدهما ـ تشتمل على قسم الحج والعمرة والزيارات . ٥٨٠٩ و٥٨١٠ مكتوبتان سنة ١٠٧٥ بخط نورالدين محمد الأخباري ابن أخ المؤلف وقوبل على نسخة الأصل وفيه بلاغ بخط المؤلف . ٥٨١٣ مصححة بخط المؤلف وقسم منه بخط يده أيضا . ٣٥٣١ سنة ١٠٧٢ . ٣٥٧٦ سنة ١٠٦١ . ٣١٧٨ قوبل في سنة ١٠٩٩ . ١٧٦٦ سنة ١٠٧٨ . ٤٩٤٥ سنة ١٠٦٣ مستنسخة عن نسخة المؤلف . ٣٧٧٧ سنة ١٠٨٤ . ٣٧٨٣ سنة ١٠٨٣ . ٣٩٨٩ صحح بحضرة المؤلف وعليها خط يده . ٨٦٦٧ و٨٦٦٨ و٨٦٦٩ هذه الثلاثة مصححة بخط المؤلف وفي آخرالأولى والثانية بلاغ منه وقرأها علم الهدى على المؤلف . ٨٦٦٧٠ سنة ١٠٧٧ وعليها خاتم علم الهدى وابنه . ٩٢٧٥ صححه المؤلف . ١٠٩٥٠ كتبه علم الهدى . * مروي : ١٠ نسخ ، منها ٢٦٢ سنة ١٠٦٦ . * مسجد : ٩نسخ ، منها ١٩٥٧ سنة ١٠٨١ وقوبل على الأصل . ١٩٥٦ سنة ١١٠٣. * معصومية: ٧ نسخ ، منها (٣:١١ـ٦١٥٦) سنة ١٠٧٨ . (٤:٩٨ـ٥٩٥٨) سنة ١٠٨٩ . (٤:١٣ـ٥٨٣٤) سنة ١٠٧٧ . *

ملك : ٦ نسخ . * ملي : ٢٨ نسخ ، منها ٣٧٤ سنة ١٠٧٤ . ٤٠٩ سنة ١٠٩٠ . ٤١٠ سنة ١٠٩٠ . ٤١١ سنة ١٠٧٢ . ٤١٩ سنة ١٠٧١ . ٥١٨ سنة ١٠٦٥ قوبلت على نسخة الأصل . ٥١٩ مثل سابقتها . * مهدوي : ٧١٥ سنة ١١١٦ . * ميرزا جعفر : ٢١ القرن ١١ . ١٠٣ القرن ١١ . * نمازي : ٣ نسخ . * نواب : ٦ نسخ ، منها ١٣٠ سنة ١٠٩١ . ١٤٩ عصرالمؤلف . ٩٤ سنة ١٠٧٨ . * وزيري : ٢٦ نسخ .

١١٤ـ « وسيلة الابتهال » مثنوي غيرمطبوع .

١١٥ـ « وصف الخيل ـ في ذكر ماورد في اتخاذ الخيل ومعرفتها وعلاماتها عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فارسية يقرب من ٢٠٠ بيت وقد صنفت في سنة ١٠٦٧ » . غير مطبوع .

* * *

وأضيف في الفهرس الثالث :

١١٦ـ « تطهير السرّ ـ في ٥٠٠ » .

١١٧ـ « منتخب بعض أبواب الفتوحات المكية لمحيي الدين العربي في أربعين آلاف » توجد نسخة الأصل منه بخط الفيض ـ قده ـ عند صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي في قم حيثما أخبرنا ـ وفقه الله تعالى .

١١٨ـ « منتخب گلزار قدس ... في ستة آلاف بيت » .

وذكروا له ـ تأليفات أخر بين ثابت النسبة إليه أومشكوك أومنحول أو ذكربعض المذكورات باسم آخر يعرف بالمراجعة إلى النسخ ، ولم أتمكن منها:

آداب الذكر : ملك : ٤٠٥٧ .

آداب السالكين ـ مهدوي ٢٦٠ سنة ١٢٥٨ . (لعله رسالة زاد السالك) .

أدعية السر ـ توجد نسختها عند صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي في قم حسبما أخبرنا ، استكتبه ابن المؤلف علم الهدى وعليه خاتمه .

أسامي الرجال المتكررة في الأسناد : ملك ٣٥٢٤ سنة ١٠٦٣ ، كذا جاء في فهرس المكتبة (٤٦٥/٦) ولعله من مقدمات كتاب الوافي .

أشعار منه ـ قده ـ = ديوان الأشعار .

أصول الدين : وزيري : ١٦٨٨ .

أضغاث أحلام في بيان أوهام الكرام ـ ذكره صاحب الذريعة ٢١٤/٢ .

الاعتقادات : ملك : ٢٨٥٧، جاء في فهرس المكتبة (١٤٥/٦) أنه يحتمل كونه من الفيض.

أعمال الأشهر الثلاثة ـ ذكره صاحب الذريعة ٢٤٤/٢ وقال : «رأيته في مكتبة المولى محمد

علي الخوانساري» . * فاضل : ٢٤٩ سنة ١٢٤٢ . ٤٤٣ سنة ١٢٤٢ . ٤٤٨ القرن ١٣ .

الإيمان والكفر (لعله رسالة السانح الغيبي) ـ ميكروفيلم ٣٣٢٧ .

تحفه شاهي ـ گوهرشاد : ١٧٨٨ سنة ١١٠٣ . ولعله آينه شاهي المذكور .

تحقيق معنى التفقه في الدين (لعله رسالة المحاكمة) ـ آخوند : ١٨٨ . * فاضل : ٤٤٨ . * مهدوي : ٣٦٤ سنة ١٢٧٠ .

التذكرة في الحكمة الإلهية قال صاحب الذريعة[1] (٢٥/٤) : «توجد في مكتبة الشيخ علي آل كاشف الغطاء في النجف» .

تحقيق معنى القابلية ـ كذا جاء في فهرس مخطوطات جامعة طهران : ١٩٧/٣ .

ترجمة خبر معلى بن خنيس ـ كذا في الفهرس المذكور : القسم الثاني من الجزء الثالث ، ٨٥٥ـ٨٥٦ .

تفسير أسامي سورة التوحيد: ملك ٢٨٥٧ ، نسبه في فهرس المكتبة (١٤٥/٦) إلى الفيض.

تقويم المحسنين ، أو أحسن التقويم ـ حسينية التستريين : ٢٤٦ . ٣٨٥ . * خوانساري : ٥٤٩ القرن ١٤ . * الرضوية : ١٦٥٨ سنة ١٠٩١ . * العلامة : ٥٦٧ سنة ١٢٧٠ . * فاضل : ٢٥٩ سنة ١١١٣ . * گلپايگاني : ٢/١٧٩ سنة ١١٩٥ . ٢٣/١٩٥ القرن ١١ . * مرعشي : ٦٨٨٤ سنة ١٠٨٥ . ٦٥٤٣ سنة ١٠٨٣ . * ملي ـ ٢٠٣٨ سنة ١١١٨ . ١٦٠٢ سنة ١٢١٩ . توجد ترجمة هذا الكتاب في ملي ٦١٧ القرن ١٣ . طبع في بومباي ١٣٠٢ وتبريز ١٣١٥ . راجع أيضا من لايحضره التقويم .

جمع المطالب ـ الرضوية : ٩٧٤١ . (مشكوك)

الجبر والتفويض ـ طبع ضمن مجموعة رسائل بعنوان : «كلمات المحققين » طهران ١٣١٣ ق . الرضوية : ٦٤٤ سنة ١٢٦٣ . * مهدوي : ٣٦٤ .

الحبّ والذكر : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ .

الحاشية على الرواشح للسيد الداماد ـ قله ـ حكى صاحب الذريعة[2] عن الروضات قال: « رأيتها بخط المحشّي » .

الدعاء ـ گلپايگاني : ١١/١٢٣ سنة ١٢٣٠ . * وزيري : ٢١٠٦ . ٣٢٩٢ . ٣٣٠٧ . ٣٨٣٥ . ولعله بعض الرسائل الماضية .

ديوان الأشعار ـ گلپايگاني : ١٤/٢٠٧ سنة ١٢٥٩ . أشعار منه ٢٩/٢٦٢ القرن ١٣ . * مرعشي : ٤١٣٤ سنة ١٢١٠ . ٦٠٣٣ سنة ١٢٦٨ . * ملك : ٤٨١٧ القرن ١٣ . ٥٥٤٠ القرن ١٣ .

١-الذريعة : ٢٥/٤ .

٢-الذريعة : ٩٠/٦ .

٥١٠٩ ـ ٥٩٢٦ . * مهدوي : ٣٦٤ . * وزيري : ١٣٠٠ سنة ١٢٣٤ . * وتوجد منتخبات من أشعاره في كتاب كأس الكرام نسخة ٥٨١٦ . * ملي : ٢٦٢٦ القرن ١٢ (راجع الفهرس ١٧٨/٦)، أبيات منه ٢٤٥٥ .

ذكر خفي : مجلس ٦٣٠٩ سنة ١١٢٤٠ .

رسالة في التوحيد : وزيري : ٢٦٣٢ .

رسالة في حكم امرأة ادعت خلوها عن المانع وأرادت التزويج والنكاح ـ فاضل : ٢٥٢ .

رساله فى بيان كيفية معية الواجب ـ الإلهيات طهران .

رسالة في الوقف ـ فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ .

صلاة الجمعة ـ گلپايگاني : ٣/١٦٧ القرن ١٣ . * وزيري : ٢٢١٨ . ٢٦٣٢ . ولعله كتاب الشهاب الثاقب .

شرح رسالة العلم : الإلهيات مشهد : ١٤٠٦ . ملك : ٧٤٢ سنة ١٢٣٠ .

فائدة في معنى الآيات المحكمات ـ فاضل : ٢٥٢ سنة ١٢٩٥ .

في جواز التغني (مشكوك) ـ مجلس سنا : ٦ .

فوائد من الفيض : الإلهيات مشهد : ١٤٥٢ سنة ١١١٧ .

فيضيه (متفرقه ـ رسائل) ٦٣٦٨ سنة ١٠٧٢ .

كلمات الفيض : نسخة في مكتبة ملي (٢٨٢٦ القرن ١١) ساقطة الأول والآخر ، جاء فيه گل ودمن ، وزيري :٢٨١٦ سنة ١١٩٧ .

مصابيح القلوب ـ الرضوية : ٨٤٩٩ . ٩٢٠٥ .

مفاتيح الزيارات ـ ملي : ١٦٠٢ سنة ١٢١٩ .

من لايحضره التقويم (ولعله تقويم المحسنين) : گلپايگاني : ٦/١٠١ سنة ١٠٧٤ . ٢/١٨٣ سنة ١٢٨٤ . * ملي : ١٩٦٣ . ١٦٨٢ . * مكروفلم : ٢٧١٢ .

نبذة من التواريخ ـ گلپايگاني : ٢٩/٢٣٦ سنة ١١٣٦ .

نماز جمعه ـ الرضوية : ٢٤٢٢ رسالة فارسية مختصرة .

وجيزة ـ الرضوية : ١٢٥٩ تفسير عربي كما جاء في فهرس المكتبة ولعله شطر من تفسيري المؤلف .

وحدة وجود الواجب تعالى ـ الرضوية : ٥٩٦٤ .

وفي فهارس المكتبات الخاصة المختلفة التي ذكرت في مجلدات «نسخه هاى خطى» جاء عدة نسخ من مخطوطات كتب المؤلف ، لم نتعرض لها لعسر الاطلاع على المحل الفعلى للنسخ ، إذ المكتبات الخاصة غير مستقرة ، وقد تنتقل من مالك إلى آخر .

علم اليقين :

سار علم الكلام سيرا طويلا وتحول في مسيره تحولات جذريّة في مقاطع مختلفة ، واحتوى بعد القرون الأولى على مباحث ومسائل عجيبة وتطويلات بلاطائل ، حتى وصل الدور إلى نصيرالملة والدين الطوسي ـ قده ـ فألّف كتابه الموجز «تجريد الكلام» ، وعمد إلى بناء الكلام بتفكير عقليّ ونقّحه عن الخرافات والأقوال المهملة السابقة ، وصار كتابه هذا مدارا في الكلام اعتمد عليه علماء الفنّ وكتبوا عليه شروحا عديدة ، ودخل الكلام في مسير جديد أجدر به أن نسمّيه «الفلسفة الإسلامية» .

وفي هذا الأوان وقبله بدأ البحث عن المعارف العميقة التوحيديّة في التوسّع ، بعد ما انتشر ذلك بصورة كلمات رمزية عن النبيّ الأكرم وأوصيائه المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ ثمّ تلامذتهم من العرفاء المحقّقين ؛ غير أن المنقولات الغير المستندة إلى المعصومين عليهم السلام الحاكية عن الكشف الروحي لكاشفيها لاتكون حجة على غيرهم على الإطلاق ، ولايمكن عرضها في المجتمع العلمي والاجتماعات البشرية ، ولمعالجة هذا المعضل عمد المفكّرون إلى الفحص عن مبان وبراهين عقلية يبرهن بها على هذه المعارف العالية ، حتى يمكن عرضها كمجموعة مدوّنة مبرهنة وسياق علمي في المجتمع .

فنشأ علماء ذوي عبقريات سعوا في هذا الميدان وخطوا خطوات في هذا المجال ؛ وذلك مثل الفارابي وابن سينا والسيد حيدر الآملي وابن تركة والسيد الداماد والدواني وغيرهم ؛ ولكن لم يكن لهم حظّ كبير حتى وصل الدور إلى الحكيم الإلهي صدرالدين الشيرازي ، فوفّقه الله تعالى لإظهار أصول وبناء مبانٍ صارت حجرا أساسيا للحكمة المتعالية وسببا لنيل مرحلة قصّر عنها السابقون في هذا المجال ؛ وقرّب ماكان من البون البعيد بين مسائل علم الكلام و الفلسفة والعرفان وتداخلت هذه العلوم بِصورة ملموسة في المجتمع الإسلامي.

على أن هذا المسير الفكري والعملي كان غامضا لايصل إليه أفكار

العامة من العلماء ـ سيما غير المختصّين ـ فلم يحظ من الإقبال المطلوب عندهم ، وصار عدم التفهّم لبياناته الجديدة مع ماترسّخ عندهم من الاعتقاد على ما يفهمونه من ظواهر الكتاب والسنّة ـ فحسب ـ سببا لتوجيه الاتّهامات وأنواع الأذى إلى صدرالمتألهين وتلاميذه .

ولمّا كان المسيطر على الجوّ العلمي في هذه الأوان التفكير الأخباري ، عمد الفيض الكاشاني ـ قده ـ الذي يعدّ من أكبر تلامذة هذا الحكيم الإلهي ومقرّريه ـ بعد التأمّل في هذه المسائل إلى الالتزام بمسير آخر وإظهار علم الكلام في ثوب جديد ،خاليا عن إفراط الاعتماد على التفكير الفلسفي أوتفريط التحجّر الأخباريّ ، أوالتحيّز إلى جانب وإغفال الثاني بالمرّة .

فخطط ـ أولا ـ طريقة تنشأ عن الفكر القرآني والنظر الإسلامي إلى عالم الخارج ، فرأى أنّه إذا كان الأمر يبدء من الله تعالى وإليه يعود ، فيلزم أن يكون السير العلميّ الكلاميّ أيضا يسير هذا المسير ؛ فأعرض عمّا هو مرسوم في الكتب الكلاميّة المتداولة من الابتداء بالمباحث العامة ـ كالبحث عن الوجود والعدم والعلة والمعلول وغيرها ـ بل ، بدأ بعد ذكر فصول في فضل العلم والعالِم ببيان وجود ماهو الحقّ ومحقّق كلّ حقيقة: ـ الله تعالى ـ .

ثم البحث عمّايتعلق به من صفاته وأسمائه وأفعاله والملائكة والأرواح.

ثم بعد تمام الكلام في الخالق فأول مايهمّ الإنسان هو معرفة مكانه في هذا العالم ومسيره ، وأحقّ مايمكن الاعتماد عليه من البيان في هذا المعنى مابيّنه خالقه ﴿ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ ، فيلزم بعد تمام البحث عما يرتبط بالله تعالى ، البحث عن كتبه ورسله ، وما يتبعه من البحث عن أوصياء الرسول ـ صلوات الله عليهم ـ فإنّ به كمال الرسالة وتمامها .

ثم بمعونة مايستفاد من الكتب الإلهيّة وكلمات حججه عليهم السلام الفحص عن المطالب المعاديّة من الموت والقبر والبرزخ والقيامة والجنّة والنار .

واقتبس ذلك من الآيات الكريمة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ ﴾ [٢/٢٨٥] و ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِٱللهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِه وَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي

أَنزَلَ مِن قَبلُ وَ مَن يَكفُرْ بِاللهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ اليَوم الآخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا ﴾ [١٣٦/٤] .

فالفوارق البارزة بين هذا الكتاب وسائر الكتب الكلامية أُمور:

١ـ أنّه بيّن أولا أن طريق تحصيل العلم هوالتدبّر في الكتاب والسنّة والعمل بهما[1] : «لعل الله يرزقكم ببركة ذلك علما آخر من لدنه وكشفا أتمّ من لديه ...» ؛ فالكلام عنده ليس علما يدافع عن الكيان الإسلامي تجاه التحامل الثقافي من أعداء الدين ـ فحسب ـ بل يرشد الذين آمنوا ـ أيضا ـ إلى أن يؤمنوا إيمانا يقينيا كشفيا بعيدا عن الشكوك ، وذلك لايحصل إلا بالوصول إلى ما أشار إليه ، وهو أن يرزق الله عبده علما من لدنه وكشفا من لديه .

٢ـ ثم قال: «فإن لم تهتدوا إلى كيفيّة استنباط عقائدكم من الكتاب والسنّة فعليكم بمطالعة هذا الكتاب ... وهومخ الشرع الشريف ولباب الدين الحنيف، وليس هو الأخذ بالتقليد في شيء ـ كلاّ ـ بل هو تنبيه على التحقيق وإرشاد إلى البراهين الحقيقة بالتصديق بتعليم صاحب الشرع على مايناسب أكثر الأفهام ويليق» .

٣ـ ركّز في مطاوي الكتاب على الأخذ عن الكتاب والسنّة النبويّة وروايات أهل البيت أولا ، ولم يغفل السلوك العقلي والاستفادة من الحكمة المتعالية ، إلا أنّه وجّه النظر إليه ثانيا بعد التأمّل في القسم الأول ، وجعل الثاني تبعا له وشارحا لما صدر عن معادن الوحي في كل باب ، ثم رجع ثالثا وأعاد النظر إلى الأول لتتميم الكلام وتأييد المرام ، فيكون السائر العلمي متابعا لصاحب الوحي في أول مسيره بما آمن به ومشايعا له في آخره بما صار ذوبصيرة وعاين ما آمن به أولا على الغيب .

٤ـ ففي هذا المجال تراه يتابع الآيات والأخبار دائما بالبيانات المستفادة من الحكمة ، ثم يؤيّد ما أورده عن الحكماء بالكتاب والسنّة .

١ـ مقدمة الكتاب .

٥ـ أعرض عن ذكر المباحث التي ليست لها أهمية في الإرشاد ونفع غير الجدال ، وركّز على ذكر المباحث التي يضطرّ الناظر إلى التأمّل فيها ليستبين له الطريق إلى العلم والعمل ، فهذا العلم عنده وسيلة يرشد العباد إلى معرفة المسلك والسبيل حتى يشرعوا في السلوك العملي ويصلوا إلى المقصد الحقيقي، ويعاينوا بعين اليقين ماعلموه بعلم اليقين ، لا أن يجعلوا الكلام مقصدا نهائيا ويطوفوا حوله ... ليس لهم شغل إلا البحث والجدال واختراع الشكوك والجواب عنها طوال العمر والأعصار .

وقد أبان ـ قده ـ عن نفس ما أشرنا إليه حيث قال في فهرس كتبه عند تعريف كتابه هذا :

«ومنها كتاب علم اليقين في أصول الدين ، يشتمل على خمسين مطلبا في أربعة مقاصد ذوات أبواب ، هي العلم بالله والعلم بالملائكة والعلم بالكتب والرسل والعلم باليوم الآخر ، على مايستفاد من الكتاب والسنّة وأخبار أهل البيت ؛ ببيان ما يحتاج منها إلى البيان ، والتوفيق بين ماتتراءا منها متخالفة بحسب الظاهر ، ونقل نتائج أفكار أولي الألباب ، فيما يدقّ من ذلك ويلطف ، مع شواهد وتأييدات تطابق الأذهان السليمة والأذواق المستقيمة ، قاصرالطرف على بيان الحقّ ، مرفوع الذيل عن نقل الأقوال ، وسلوك طريقة أهل الجدال ـ كما هو دأب المتكلمين والمتفلسفين من أصحاب الظنّ والتخمين ـ وهو كتاب لم يُسبق بمثله ، ولم يُر شبيهه ـ فيما أظنّ ـ بل تفرّدتُ بطريق تأليفه بإلهام من الله ـ جلّ وعزّ ـ وله الحمد . وقد تمّ جميع أبوابه ومقاصده في أربعة عشر ألف بيت وخمسمائة تقريبا في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف» .

وقال في الفهرس عند تعريف كتابه الآخر ـ المحجّة البيضاء ـ : «ونسبة مسائله الشرعية من العبادات والمعاملات إلى الكتب الفقهية كنسبة علم اليقين إلى الكتب الكلامية » .

بقي كلام ، وهو أنّ هذا الكتاب مما كتبه المؤلف في أواسط عمره الشريف ، فهل بقي رأيه فيه في أخريات عمره على ما كان في الأول ؟

فالجواب يظهر أولا بالتأمل فيما نقلناه عن فهرس كتبه عند تعريف الكتاب وتعظيمه ، والفهرس مما هو مكتوب في أخريات عمره الشريف .

وثانيا بما أشرنا إليه من عدم تغيير عقائده الأساسيّة حتى في أواخر عمره الشريف ، وإنما الفرق في الإظهار وعدمه .

ثمّ إنّه لم يبق كتبه ـ قده ـ كما ألّفها في الأول ، بل كان يعيد النظر ويستدرك مافاته ويغيّر مالايرتضيه دائما ، يشهد بذلك نسخ كتبه الموجودة المكتوبة بيده الشريفة ، ومنها نسخة كتابه هذا ـ علم اليقين ـ فلو نظرنا بعين الاعتبار ماكتب منه أولا ونطابقه مع ما صار إليه آخرا حسبناه كتابين ثانيهما تحرير للأول .

فما بأيدينا من كتبه الشريفة ـ لوحصّلنا على نسخها الأصليّة ـ لها اعتبار مؤلفها طوال عمره الشريف ، وإنما الفرق في تأليفين مختلفين منه ـ لو رأيناه ـ إنما هو بالنظر إلى مخاطبيه ، ولذلك يرمز في تأليف ويكتم مايظهره في آخر ، لأنّه يخالف في الثاني مايورده في الأول ، وذلك في عموم مكتوباته غير ما أشار في الفهرس أنّ فيها ما لايرتضيه ـ وذلك في كتابي نقدالأصول الفقهية ومفاتيح الشرايع ـ .

علم اليقين وعين اليقين

ألّف المؤلّف ـ قده ـ قبل تأليف علم اليقين كتابا آخر سماه «عين اليقين» وأشار إليه في استدراكاته على خطبة كتابه ـ علم اليقين ـ أولا ثم استدرك ثانيا وشطب عليه بعد ، وذلك موجود مشطوبا عليه في هامش نسخته في آخر خطبة الكتاب وقبل عنوان «مقدمة» :

«ومن لم يشف به عليله ولم يرو به غليله ، وأراد زيادة التعمّق والتبيين ، فعليه بكتابنا الموسوم بعين اليقين في أُصول أُصول الدين ، فإنّ فيه أنوارا وأسرارا تهدي من البيان إلى العيان ، وتوصل من العلم إلى العين ، ولكنه لاينتفع بذلك إلا الفاذّ الشاذّ ، اللبيب كلّ اللبيب ، وليس للآخرين فيه نصيب ، فلايطمع فيه من لم يكن له أهلا ، ولايتعب نفسه في تحصيله فإنّه ليس سهلا ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم» .

وقال في فهرس كتبه :

« ومنها كتاب عين اليقين في أصول [ن + أصول] الدين ، يشتمل على خمسين مطلبا ذوات فصول في مقصدين ، أحدهما أصول العلم والآخر العلم بالسماوات والأرض ومابينهما ، ببيانات حكميّة وبراهين عقليّة وأذواق كشفيّة وشواهد فرقانيّة وتأييدات نبويّة وتشييدات ولويّة ؛ غير مجاوز عن بيان الحق وكشفه ، [ن + إلى نقل الآراء] ، وهو كتاب مضنون به عن غير أهله ، ليس بمبتذل قريب ، ولا لأكثر الناس فيه نصيب ؛ إذ هو مخّ العلم ولبّ الحكمة ، ولباب المعرفة وعين الحقّ ؛ وزبدة نتائج الأفكار ، ليس له شبيه في جامعيّته وتماميّته مع الاختصار والوضوح ؛ وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكنّ أكثرالناس لايشكرون ؛ وقدتمّ جميع مطالبه ومقاصده في أربعة عشر ألف بيت تقريبا ، في سنة ستّ وثلاثين بعد الألف » .

وكتب ـ قده ـ في خطبة كتابه عين اليقين :

« ... ولما كانت الحكمة مركّبة من علم ـ هو العلم بحقائق الموجودات على ماهي عليه بقدرالطاقة البشريّة ـ وعمل ـ هوالعمل بماينبغي أن يكون الإنسان عليه ، ليكون أفضل في أحواله كلها ... ـ لاجرم افتنّ المقصود إلى فنّين ، علميّ وعمليّ ؛ وفائدة العلميّ انتقاش صورة الوجود كله على ماهو عليه بنظامه وتمامه في النفس الإنسانيّة ، لتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وجملة مايذكر فيه ترجع إلى علم التوحيد وفروعه . وفائدة العمليّة تخلية النفس الإنسانيّة عن الرذائل وتحليتها بالفضائل ، حتى تصير مرآتا مجلوّة تشاهَد فيها آيات الحق جلّ وعلا ... ثم ينقسم كلّ من القسمين إلى مايستقلّ فيه العقل غالبا من دون توقّف على الشرع إلا في زيادة تتميم أو تبيين أو تنبيه ، وإلى مالايستقلّ فيه العقل ، بل يفتقر إلى استعانة من الشرع ـ

فهذه أربعة أقسام ؛

فوضعت [١] لكل من العلمين كتابا مفردا ، سمّيت العقليّ منها بـ« عين اليقين في أصول أُصول الدين » والشرعيّ بـ« علم اليقين في أُصول الدين » . والثاني متقدّم على الأول في رتبة التعلم وأعمّ نفعا ، إلا أنّ الأول هو الأصل بالنسبة إليه والموضح لمتشابهاته لمن كان له أهليّة ذلك من الخواصّ ، وليس للآخرين فيه نصيب ...» .

وبهذه التصريحات من مؤلف الكتابين يعلم مدى صلة الكتابين والنسبة بينهما ، وغرض الفيض ـ قده ـ من تأليفهما ، فإذا كان غرضه من علم اليقين ، عرض علم الكلام في ثوب إسلاميّ جديد ، فالهدف من تأليف عين اليقين كان نظير ذلك بالنسبة إلى الحكمة المتعالية بنحو بارز وملموس .

والكتاب في القسم الكبير منه تلخيص وتقرير لما في الأسفار الأربعة أو في سائر تأليفات أستاذه[٢] صدرالمتألهين ـ قده ـ مع تأييده بالقرآن والحديث

١- من هنا إلى آخر المنقول غير موجود في المطبوعة من عين اليقين ولكنه موجود في مخطوطة من الكتاب كتبت عن نسخة الأصل المحفوظة في مكتبة المشهد الرضوي عليه السلام رقم (٧٨١٨): . والمعلوم أنّ هذه الزيادة من الاستدراكات التي أضافها مؤلفها في مراجعاته بعد إتمام تأليف الكتاب ـ كما هو معهود منه في سائر كتبه ـ فإن علم اليقين مصنّف بعد مضيّ ستّ سنوات عن الفراغ عن تأليف عين اليقين ، ولذلك أيضا خلت عنه النسخة التي كانت مستند الطبعة الموجودة ، فإنها كانت مستنسخة عن الكتاب ـ على مايظهر ـ قبل هذا الاستدراك .

على أن ذكر اسم علم اليقين في كتاب عين اليقين لاتنحصر بهذا المورد ، فقد سمّاه وأشار إليه في مواضع متفرقة منه مثل : ص ٢٩٣ و٢٩٦ وغيرها .

٢- هذا الكلام يظهر بسهولة لكل من طابق بين هذا الكتاب وتأليفات صدرالمتألهين ، على أنّ مؤلفه صرح بذلك في كثير من المواضع في نفس الكتاب ، مثل ص٢٤٩ : «قال أُستاذنا أدام الله أيام إفاداته » . ص ٢٥٠ : «قال أُستاذنا مدّ ظله » . ص ٢٥٩ : «كذا حقّق أستاذنا دام ظله هذه المباحث» . ص ٢٥٩ : «وهذا من التحقيقات المختصة بالأُستاذ دام ظله » . ص٢٦٥ : «وهذا التقسيم مما استفدناه من أُستاذنا سلمه الله » . ص ٣٠٤ : « ولكن ماتفق إيضاحه كما اتفق لأُستاذنا أدام الله أيام بركاته ... وها نحن ذاكروا برهانه وبيانه دام ظله ، فاستمع ... » . وأمثال ذلك التصريحات كثيرة في الكتاب . ـــ

وروايات أهل البيت ﷺ . على أن هذا الاعتناء في علم اليقين أكثر من أخيه .

وبين محتوى الكتابين عموم وخصوص من وجه ، فإنهما اشتركا في كثير من المباحث ـ حتى لفظا ـ وافترقا في إيراد المطالب الحكمية في الثاني ، والاعتناء بإقناع علماء الظاهر في الأول .

ومن الموارد التي يظهر منها البون الشاسع بين طيف الكتابين أنّه أورد في عين اليقين (ص٤٢٧) مطلبا حاكيا عن أُستاذه ومصرّحا باسمه ، وأورد نفس المطلب في علم اليقين (الباب ١٨ من المقصد الرابع ، فصل ٣) حاكيا عن قائل مجهول ومعبّرا عنه بـ «قيل» . على أن التصريح باسم صدرالحكماء كثير في العين ولكن في العلم يعبّر عنه بـ«بعض المحققين» من دون تصريح باسمه في الأكثر .

ومن الفوارق المشهودة بين الكتابين أن البحث عن الوحدة الشخصيّة للوجود مبيّن ومصرّح به في العين ، ولكن غير مبحوث عنه في العلم ولايشار إليه إلا رمزا . كما أنّه وردت أبواب في العين غير موجودة في العلم .

ولو ذهبنا نقارن الكتابين معا مقارنة سريعة تكون النتيجة مثل مايلي :

(ص٢٤٥ـ٢٨٨)[1] الوجود والعدم والعلم والجهل والنور والظلمة والإمكان والوجوب ، الماهيات والوحدة والكثرة والقدم والحدوث والقوة والفعل والعلة والمعلول والجوهر والعرض (٢٥٩ـ٢٨٨) وكذا مطالب متفرقة مثلها ـ لم يرد شيء منها في علم اليقين إلا نادرا .

(٢٨٨ـ٣٠١) في أُصول النشآت ، ورد بعض المتفرقات منها في علم اليقين .

← وتلفت نظر القاري الكريم أن تأليف عين اليقين كان في العصر الذي كان للمؤلف الاتصال الكامل بصدرالمتألهين ـ قدس سرهما ـ فقد أشرنا أنّه كان في هذه الأوان في قم عند صهره صدرالمتألهين بشهادة تولد ابنه علم الهدى بعد ثلاث سنوات من تمام تأليف الكتاب كما جاء في مجموعة المواليد .

١ـ الأرقام لصفحات كتاب عين اليقين ، الطبعة الحجرية المطبوعة مع علم اليقين ومرآة الآخرة ، والكتاب يبدأ من ص ٢٣٦ .

(٣٠٢ـ٣١١) في مبدء الوجود ، جاء القسم الأعظم منه بألفاظه في العلم .

(٣١١ـ٣١٦) كيفية إفاضة الوجود والبحث عن الأسماء الإلهية ورد في العين بصورة عرفانيّة عميقة وذلك تراه في العلم بصورة ساذجة مع تفصيل في بيان معنى كل اسم وحظّ العبد منه مقتبسا عن كتاب المقصد الأسنى للغزاليّ .

(٣١٩ـ٣٢٤) مباحث الأفعال والبداء والمحو والإثبات والاختيار ، ورد القسم الأعظم منه في العين بألفاظه .

(٣٢٥ـ٣٤٨) الطبيعيات والفلكيّات خاص بالعين ولم يرد في العلم .

(٣٤٩ـ٣٥٣) بحث الملائكة الموكّلة بالانسان ومايتبعه ورد قسم كبير منه في العلم .

(٣٥٤ـ٣٧٧) البحث عن الحيوان وتشريح أعضائه مخصوص بالعين .

(٣٧٧ـ٣٧٨) البحث عن الملائكة الموكّلة بالانسان والإلهام والوسوسة، مشترك بين الكتابين .

(٣٧٩ـ٤٠٤) النفس وتجرّدها والمباحث المرتبطة بالإنسان الكامل والولاية وخلق الأرواح وعجائب النشأة الإنسانية خاصّ بالعين إلا قليلا منها .

(٤٠٤ـ٤٠٧) الجنّ والشياطين ـ قسم كبير منه مشترك بين الكتابين .

(٤٠٨ـ٤٢٣) حدوث العالم وأنّه مخلوق على أجود الأنظمة ، وسريان العشق في الوجود ، خاصّ بالعين لم يرد منها في العلم إلا قليلا .

(٤٢٢ـ٤٢٨) إلى الله المصير ، وهذا آخر مباحث كتاب عين اليقين مشترك بين الكتابين .

والجدير بالذكر أنا أشرنا في تعليقاتنا إلى كثير من الموارد المشتركة بين الكتابين .

طبع الكتاب وتحقيقه

طبع الكتاب حجريًا سنة ١٣٠٣ ق ، وجاء في فهرست الكتب العربية

المطبوعة ـ للمغفور له خانبابا مشار ـ أنّه طبع كذلك في سنة ١٣١١ و١٣١٢ و١٣١٣ أيضا ولم أعثر على هذه ؛ ومن البعيد جدّا إعادة طبع كتاب كهذا في ثلاث سنين تباعا . وعلى أيّ فالموجود عندي من طبعات الكتاب السابقة : الأولى فقط ؛ واستنادا عليها ونسخة مخطوطة مصحّحة كتبت عن نسخة استنسخها نافلة المؤلف عن نسخة الأصل وصحّحها عليه نشرت الكتاب مرة في سنة ١٤٠٠ق . وأعادوا طبعه مصورة في بيروت بعد .

غير أني لم أكن راضيا عن هذا العمل لسببين :

١ـ شهدت تهافتا كبيرا بين النسخة المطبوعة والمخطوطة ، ولم أتمكّن من توجيه ذلك بشكل مقبول .

٢ـ لم أكن متمكّنا من طبع الكتاب بصورة مرضيّة يومذاك فصدر حسبما أمكن من التحقيق والطبع .

وبعد مضيّ سنوات ظفرت على نسخة الأصل من الكتاب كانت في مكتبة جامعة طهران فحصّلت على مصوّرة منها وكذا من مخطوطتين أخريين من الكتاب ، وبعد التأمّل فيها ومقابلة النسخ تبيّنت المسألة الأولى ، أي وجه الاختلاف الشديد بين نسخ الكتاب .

وذلك أنّ المؤلف ـ قده ـ كان يعيد النظر في كتابه دائما طوال عمره الشريف ـ ابتداء من حين الفراغ عن التأليف وإلي آخر سنوات حياته التي تقرب من خمسين سنة ـ ويستدرك ما فاته أولا ويزيده في الهامش أو يحذف شيئا من المتن ويشطب عليه ، وأحيانا يكتب بدلا منه شيئا آخر في الهامش[1] ، وذلك مشهود في مخطوطته ، مكررا موردا وحجما ، حتى اضطرّ ـ قده ـ إلى إضافة أوراق على الكتاب ليكتب عليها ما استدرك على الأول ، أو إسقاط أوراق من النسخة لزيادة ما أراد الشطب عليه من ورقة أو أوراق . وفي هذه المدة يستنسخ تلامذته وسائرالمستنسخين الكتاب لأنفسهم ويكتبون عنه ،

١ـ واتفق في غير واحد من المواضع أن جدد النظر في المستدرك ثانيا وثالثا وحتى رابعا ، فأضاف شيئا أو زاد ، أو حذف المضاف بالمرّة ، ويرى القارئ مثال ذلك فيما أوردناه من صورة أوراق النسخة في آخر المقدمة .

وكلما استنسخ أحد شيئا منها كان يتابع حتما ما عمله المؤلف في نسخته ويدخل الزيادات في المتن ويغضّ النظر عما حذفها أو شطب عليها ؛ ولذلك اختلفت النسخ حسب اختلاف تأريخ كتابتهم ـ زيادة ونقصا ـ اختلافا كبيرا .

فعزمت على تحقيق الكتاب استنادا إلى أصله المكتوب بقلم المؤلف ، وكان عملي إيراد المتن مع إضافة مااستدركه ـ قده ـ في هوامش النسخة ، والإشارة إلى ماكتب أولا وشطب عليه في مراجعاته حتى تكون هذه المطبوعة جامعة لايشذّ عنها شيء إن شاء الله تعالى .

وكان مجموع ماعندي من نسخ الكتاب خمس نسخ سأشير إليها ، ولكن جعلت مدار الأمر على نسخة المصنف دائما ولم أُراجع النسخ الأُخرى إلا عند الشك في الخط أو حينما كان القسم المشطوب عليه محذوفا من نسخة المؤلف .

وأما النسخ فهي كمايلي :

١ـ مخطوطة جامعة طهران رقم (٢٤٤) ـ راجع فهرس مخطوطات المكتبة : القسم الأول من الجزء الثالث (ص٣٠٩ـ٣١١) ـ مكتوب بخط نستعليق ، والعناوين نسخ أحمر ؛ في كل صفحة (١٩) سطرا قياس ١٣ × ٢٠ و٥/٧ × ١٤ ؛ وفي هوامشه بنفس خط المتن استدراكات معلّم في آخرها بعلامة «صـ» عيّن مواضعها من المتن بعلامة موضوعة فوق موضعها من المتن. وتعليقات علي الكتاب من مؤلفه ـ بنفس الخط ـ معلّما في آخرها بعلامة «منه» أو معنى لغة ، وكثيرا ما كتب في آخرها مصدر النقل مثل «ق» لكتاب القاموس للفيروز آبادي ، أو «صحاح» لصحاح اللغة للجوهري . وأحيانا كتب في الهوامش بيتا أو بيتين ـ بنفس خط المتن ـ مناسبا للبحث المكتوب في الصفحة وليس عليها أيّة علامة . وفي الهوامش كلمة أو كلمتين معلما مع علامة «ظ» أو «ل» بمعنى «ظاهرا» و «بدل» ؛ وذلك عند ماكانت النسخة التي ينقل عنها المؤلف ساقطا عنها شيئ أو محرّفا بنظره ، فأبقى الأصل كما تقتضيه الأمانة ونبّه على مايراه أووجده صحيحافي الهامش .

ومتى أريد حذف شيء من المتن شُطب عليه بالمداد الأحمر .

على ظهر الورقة الأُولى من المخطوطة مكتوب بخط النسخ :

« كتاب علم اليقين في أصول الدين
إملاء العبد الضعيف محمد بن مرتضى
المدعوّ بمحسن القاساني
ثبّته الله بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة
آمين »

يرى خاتم كدائرة في آخر المكتوب على اليسار لم أتمكن من قراءتها وكتب مؤلف فهرس الجامعة أنه خاتم المؤلف . وذيل هذا الخاتم خاتم بيضويّ يوجد قرينته في آخر الصفحة أيضا ، يمكن قراءته : « نصيرالدين سليمان[1] ١١٩٤ (أو ١١٩١) » . وذيل هذا الخاتم خاتم آخر فيه : «الراجي محسن الفيضي محمد » . وعلى اليمين خاتم بيضوي أيضا فيه : « عبده محمد صادق بن زين العابدين الموسوي » . وهذا الخاتم موجود في آخرالكتاب أيضا .

وكتب في الأطراف هذه الروايات :

« هو . في الخصال : سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى ﴿اولم يسيروا في الارض﴾ فقال معناه : أولم ينظروا في القرآن » .

« قال علي عليه السلام : مايسرني لومتّ طفلا وأُدخلت الجنّة ولم أكبر فأعرف ربي » .

« وقال عليه السلام : ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضمّها من جانب انتشرت من جانب » .

« الصدوق ، عن الصادق عليه السلام ، قال : النوم راحة للجسد ، والنطق راحة للروح ، والسكوت راحة للعقل » .

١- نصيرالدين سليمان ابن علم الهدى بن محمد محسن الفيض المؤلف ـ قدهم ـ .

« قال عليه السلام : في بعض خطبه : اعلموا أنه لاشيء أنفس من الحيوة ، ولاشقاء أعظم من إنفاذها في غير حيوة الأبد » .

« ينسب إلى المسيح عليه السلام : من لم يعرف نفسه مادامت في جسده فلاسبيل له إلى معرفتها بعد مفارقته » .

« هو . عن زيد بن ثابت ـ قال :ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعليّ بن أبي طالب ؛ وعليّ بن أبي طالب أفضل لكم من كتاب الله ، لأنه يترجم لكم كتاب الله » .

« هو . روى الصدوق ـ طاب ثراه ـ في كتاب التوحيد ، بإسناده عمّن سأل أباعبد الله عليه السلام ، فقال له : إنّ لي أهل بيت قدريّة ، يقولون : نستطيع أن نعمل كذا وكذا ، ونستطيع أن لانعمل . ـ قال :ـ فقال أبوعبد الله عليه السلام : قل له : هل تستطيع أن لاتذكر ماتكره ؟ وأن لاتنسى ماتحبّ ؟

فإن قال : « لا » فقد ترك قوله ؛ وإن قال : « نعم » فلاتكلمه أبدا ، فقد ادّعى الربوبيّة » .

« إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا ، فأكملها وأجملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فيطوف الناس بها ، ويقولون : ما أكملها ! ما أجملها ! ما أحسنها ! لولا تلك اللبنة . ـ ثمّ قال : ـ أنا تلك اللبنة ، أنا تلك اللبنة ، أنا تلك اللبنة » .

وكتب ذيل الصفحة : « هو ثقتي . انتقل إليّ من ابن عمّي بالشرى ، جعل الله الآخرة لي وله خيرا من الأولى ، وذلك في سنة خمس وعشرين ومائة بعد الألف مضى من هجرة سيّد الورى ، عليه وآله ألف ألف التحيّة والثناء ، وأنا المفتقر إلى الله في الآخرة والأولى إسحق بن محمد علم الهدى ، غفر الله لهما مايوجب الردى » . وفي آخر هذا المكتوب خاتم بيضوي يشبه أن يكون فيه «جمال الدين إسحق» وعلى يساره خاتم مربع لايمكن قراءته . وكتب على يمينه : « تعلق بفرزندى محمد على دارد » . وتحته خاتم بيضوي صغير لايمكن قراءته أيضا ؛ وعلى يمين هذا الخاتم خاتم بيضويّ أشرت إليه أنه قرينة الخاتم الذي تحت مكتوب المؤلف على اليمين .

وكتب على ظهر الورقة الخاتمة للنسخة على اليمين : «للمولوي

کسی کز غمزهٔ صد عقل بندد گراو بر ما نخندد کس نخندد
دلا میجوش همچون موج دریا که دریا گر بیارامد بگندد
شکر شیرینی گفتن رهاکن ولیکن کان قندی چون نقندد

وله :

پراکنده شدی ای جان بهر درد و بهر درمان
زعشقش جوی جمعیت درآن جامع بنه منبر
مرا گر آن زبان بودی که راز یار بگشودی
هران جانی که بشنودی برون جستی ازین چنبر
ازان دلدار دریادل مرا حالیست بس مشکل
که ویران میشود سینه ازان جولان وکرّ وفرّ
اگر با مؤمنان گویم همه کافر شوند آندم
وگر بر کافران خوانم نماند در جهان کافر

وله :

درون خانهٔ دل میتوان دیدن ستون آسمان بی ستون را
چنان اندر صفات حق فرورو که بر نایی نبینی این برون را
چه جوئی ذوق آن آب سیه را چه بوئی سبزهٔ این بام تون را

قال ابن الأثير في نهايته : فيه «إن أكثر أهل الجنة البُله» ؛ هو جمع الأبله ، وهو الغافل عن الشرّ ، المطبوع على الخير . وقيل هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظنّ بالناس ، لأنهم أغفلوا أمر دنياهم ، فجهلوا حِذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها ، فاستحقّوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة . فأما الأبله ـ وهو الذي لاعقل له ـ فغير مراد في الحديث » .

وكتب على يسار الصفحة :

« في الحديث النبوي : من أصبح مؤمنا في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها . وفي رواية : حيزت له الدنيا بحذافيرها .

قيل : السرب ـ بفتح السين والكسر ـ: الطريق . وقيل : في سربه : أي

في مسلكه . ومذهبه . يقال : فلان واسع السرب وخلي القلب . يريد المسالك والمذاهب . وروي بكسرالسين ، فمعناه في نفسه . ومن فتح السين ، فمعناه : في جماعته . والمعروف في الجماعة كسرالسين ، وقيل : السرب ـ بالكسر ـ: القلب ، ويقال : فلان آمن في سربه ـ بالكسر ـ فمعناه : في قومه . وقيل : في نفسه .

في الحديث النبوي : ازرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، لاجناح عليه في مابينه وبين الكعبين ، ما أسفل من ذلك ففي النار ثلاث مرات .

وفيه : لاينظر الله عزّ وجلّ يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرا ».

وهذه الأحاديث والأشعار المنقولة عن هذه الورقة بخط المؤلف ـ قده ـ يشهد لذلك سوى شباهة الخط مع خط المتن أن جميع مانقلناه مع إضافات أخرمكتوب على ظهر المخطوطة التالية المكتوبة عن نسخة المصنف ، وكتب ذيل الصفحة : «نقل كل مافي هذه الصفحة من خط يد مصنف هذا الكتاب ، كتبه على ظهرالكتاب»

ولعل كل ما حكيناه من توصيف هذه النسخة لم يكن لازما ، ولكن بما أنّ النسخة مكتوبة بيد مؤلفه يكون تعريفها غير مملّ ـ إن شاء الله تعالى ـ .

* * *

٢ـ نسخة (ع) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ـ قده ـ العامة في قم ، رقم ٥٤٩ ؛ نسخة كاملة مصحّحة . وهذه النسخة قد يظن أنها نسخة استكتبها نافلة المؤلف ـ كما كتب ذلك مؤسس المكتبة أيضا على ظهر الكتاب أنه : «بخط المولى شرف الدين محمد إبراهيم الفيضي من أحفاد المؤلف» . ووجه هذا الاستنباط ماكتب على ظهر الصفحة الأولى من الكتاب :

«كتاب علم اليقين في أصول الدين ... وهو كتاب لم أر شبيهه فيما أظنّ» وكتب ذيله: « بل تفرد بطريق تأليفه بإلهام من الله عزّ وجلّ جدي المصنّف العلامة ـ قدّس الله رمسه وله الحمد ـ وقد تمّ جميع أبوابه ومقاصده في أربعة عشر ألف بيت وخمسمأة بيت تقريبا ، صنّفه نوّر الله ضريحه سنة اثنتين وأربعين

بعد الألف ، استكتبتُه من خط يده الشريفة وعرضته عليه في مروري على مطالبه سنة عشر ومأة بعد الألف ، وأنا عبد الله نافلته ابن صدر الشيرازي أبومحمد» .
وكتب على يسار الصفحة : «ثم دخل بالبيع الصحيح الشرعي وأنا الفقير إلى الله نافلة المصنف ابن صدرالشيرازي عبد الله » .

غير أن التأمل فيما جاء في آخر الكتاب يعلن أن النسخة مكتوبة عن نسخة استكتبها وصحّحها نافلة المصنف عن نسخة الأصل ، والكاتب استنسخ جميع ماكانت مكتوبة على النسخة وظهرها ، حتى سواد ماكتبه مصحّحه نافلة المصنف عليها . فقد جاء في آخر النسخة الموجودة :

« قد وقع الفراغ من تحرير هذه الأوراق بعون الله الخالق الرزاق في اليوم السابع من الربيع الثاني أو ربيع المولود من السنة العاشرة من العقد الثامن من المأة الثانية من الألف الثاني . والحمد لله الموفّق على كل الأمور ومنه المبدء وإليه النشور ، والصلوة على سيدنا محمد وآله من اليوم إلى آخر الدهور. بلغ قبالا من أوله إلى آخره بحوله وقوّته » .

وكتب في الهامش : «بسم الله الرحمن الرحيم وقع الفراغ من المرور على هذا الكتاب المستطاب وعرضه على أصله الشريف الذي بخط يد مصنّفه جدّي العلامة نوّر الله ضريحه بعد استكتابه منه سلخ شهر ربيع المولود سنة ستّ عشر ومأة بعد ألف ولله الحمد أولا وآخرا وأنا العبد نافلة المصنف ابن الصدر الشيرازي إبراهيم الملقب شرف الدين يدعى أبو محمد عفى الله عما جنى وجعل أخراه خيرا من الأولى ، ورزقه فهم ماستودع فيه من الأسرار ببركة متابعة الهداة الأبرار» .

فكما ترى تاريخ الكتابة (١١٧٩) وتاريخ المقابلة المذكورة (١١١٦) ، أي (٦٥) سنين قبلها ؛ فمن الواضح أنّ هذه النسخة مكتوبة ومصحّحة على نسخة نافلة المصنّف ، لأنها نفسها ، والكاتب استنسخ جميع ما كانت في النسخة المستنسخه عنها بدقة ، كما أن المستنخ الأول استنسخ من نسخة المصنّف كذلك ، ولذا صارت هذه الموجودة كمبيّضة الأصل في المتن والهوامش وحتى الأشعار والأحاديث التي نقلناها عن ظهر النسخة . سوى ماحذفه المؤلف وشطب عليه في استدراكاته .

* * *

٣ـ نسخة (س) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ـ قده ـ العامة رقم (٦٥٩٥) تحتوي على المقصد الأول أي الربع الأول من الكتاب فقط . جاء في آخرها :

« كتبه اقلّ الأقلين محمد شفيع بن محمد أمين ناقلا عن خط مؤلفه أدام الله تعالى بقاءه ، وزاد علينا فيضه بمنّه وفضله ، في أوائل ربيع الثاني سنة ١٠٥٠» .

فالنسخة مستنسخة عن نسخة المصنف في حياته ـ قده ـ سنة (١٠٥٠) ولذلك لم يراع فيها قسم من الاستدراكات التي عملها المصنف في نسخته بعد، على أنّه يظهر من بالتأمّل أنّ الكاتب ـ الذي هو من تلامذة المؤلف على مايظهر ـ عرض نسخته على الأصل مدّة بعد الكتابة ، إذ ورد قسم من الاستدراكات التي كتبها المؤلف على هامش كتابه في هامش هذه النسخة أيضا، فهذه الاستدراكات وقعت بعد كتابة النسخة وأكمل المستنسخُ نسختَه تبعا للمؤلف .

* * *

٤ـ نسخة (م) ، مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ـ قده ـ العامة رقم (٤٧٥٤) ، نسخة كاملة مصححة ، كتبت سنة ١١٤٠ ق ، يطابق نسخة الأصل ونسخة (ع) .

* * *

٥ـ النسخة المطبوعة الحجرية في طهران سنة ١٣٠٣ ق . والذي يظهر أن هذه كتبت عن نسخة مكتوبة في حياة المؤلف وقبل أن يضيف إليها الاستدراكات ، ولذلك تختلف مع النسخة المصحّحة زيادة ونقصا .

* * *

واستفرغت الوسع في إخراج الكتاب بصورة جميلة واستخراج مصادر الحديث الشريف والروايات والأقوال الواردة فيه حسب الميسور ، ثمّ وضع فهارس فنيّة مختلفة ترشد الطالب إلى مواضع حاجته من الكتاب بسهولة إن

شاء الله ، وكذلك ترقيم الأبواب والفصول وإضافة عنوان لكل فصل ـ بين علامتين [ ] ـ يرشد القاري إلى محتوى الفصل .

تلخيص علم اليقين

لخّص الفيض – قده – كتابه هذا – كماهو معهود منه في أكثر كتبه – مرتين : وسمى الأول : « **أنوار الحكمة** » والثاني : « **المعارف** » ؛ وقد مرّ ذكرهما في فهرست تأليفاته ، وهما غير مطبوعتان .

* * *

وفي الختام نشكر من ساعدنا على إبداء الملاحظات من أصدقائنا الأفاضل الكرام ، و نرجو من الله تعالى و سعة جوده ورحمته لما منّ علينا ببعث الرسول الخاتم أن يتمّ نعمته علينا بإكمال معرفته ومعرفة كتبه ورسله ، وأن يرزقنا شهادة دولة الحقّ الموعود بظهور خاتم الأوصياء وموعود الأنبياء ، الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه :

إمامُ الورى طودُالنهى منبعُ الهدى ... وصاحبُ سرّ الله في هذه الدار
أيا حجّةَ الله الذي ليسَ جاريا ... بغيرِ الذي يَرضاه سابقُ أقدار
و يا من مقاليدُ الزمان بكفّه ... وناهيكَ من مجدٍ به خصّه الباري
أغِثْ حوزةَ الإيمان واعمر ربوعَه ... فلم يبقَ منها غيرُ دارس آثار
وعجّل فداكَ العالمون بأسرهم ... وبادِرْ على اسم الله من غير إنظار[1]

اللهمّ منك الرجاء وأنت المستعان وبك المستغاث ،
فكن لوليّك الحجة بن الحسن ـ صلواتك عليه وعلى آبائه ـ
في هذه الساعة وفي كلّ ساعة ، وليّا وحافظا وقائدا
وناصرا ودليلا وعينا ، حتى تسكنه أرضك
طوعا وتمتّعه فيها طويلا .

---

١ - أبيات من قصيدة للشيخ البهائي ـ قده ـ في مدح الإمام الحجة ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ راجع الكشكول : ٢/٢١٧-٢٢٠ .

مكتوب من المؤلف – قده – إلى بعض تلامذته

رأيت عند صديقنا الفاضل السيد جلال الدين اليونسي ـ أيده الله تعالى ـ مخطوطة كتاب تنويرالقلوب ، تاليف نافلة أخ الفيض نورالدين محمد بن مرتضى الثاني بن محمد مؤمن بن مرتضى الأول ـ رحمهم الله جميعا ـ ، وقد نقل فيها مكتوبا من الفيض ـ قده ـ إلى بعض تلامذته ـ على مايظهر ـ وحيث كانت مشتملة على إرشادات سلوكية رأيت ذكرها هنا نافعا للمريدين أولا ، ولتبيين طريقته ثانيا ، وهي مايلي :

نامۀ شريف قرّة العين الحبيب في الله فلان ـ فتح الله عيني قلبه بنورالبصيرة ـ رسيد ، وبعد از اطلاع بر مضمون آن مسرّتی دست داد ومساءتی روی نمود ؛ امّا سبب مسرّت اشتمال آن بر تيقّظ وآگاهی آن برادر روحانی وتأسّف ايشان برفوت وقت وضياع سرمايه كه بسر وقت آن افتاده اند ، وداعيۀ وصول بكمال كه در ايشان بديد آمده ، ودرد طلب وشوق كه روی نموده ـ زاده الله شوقا وتعطّشا إليه ـ

چه اين درديست كه سرمايه همه درمانهاست ، وقفليست كه مفتاح كنوز سعادت دلها وروانهاست ، غميست كه به دعا بايد خواست ، ودرديست كه به دوا بايد تحصيل نمود ،

كفر كافر را ودين دين دار را
ذرّۀ دردت دل عطار را

در أزمنۀ سالفه أصحاب اين درد بسيار بوده اند وطبيب آن كم ياب ، ودرين اعصار صاحب آن كم يابست وطبيب آن مفقود ،

دوای درد عاشق را مگر يابم نشان از كس
درين بازار در دكّان هر عطار می گردم
نيامد بر منش رحمی طبيب عشق را هرچند
درين بازار عطاران من بيمار می گردم

وامّا سبب مساءت ، وقوع ايشان در بيدای حيرت نظّار ، چه اين حيرتيست مذموم وقلقيست نامحمود ؛ وإليه أشار الحلاج بقوله :

من رامه بالعقل مسترشدا   اسرحه فی حيرة يلهو

وشاب بالتلبيس أسراره يقول في حيرته : هل هو

وحيرت محمود حيرت أُولوالابصار است كه از توالى تجليّات وتوالى بارقات در مشاهده كبريا وعجائب احكام ربوبيّت حاصل مى شود ؛ وإليه أشار من قال : «ربِّ زدني تحيّرا فيك» ومن قال :

قد تحيّرتُ فيكَ خذْ بيدي يا دليلا لمَن تحيَّرَ فيكا

درتو حيرانم واوصاف ومعانى كه توراست

واندر آن كس كه تورا بيند وحيران تو نيست

چنانكه آدمى را دوچشم ظاهر است كه به آن عالم شهادت را مى بيند ، در باطن نيزدو چشم است كه به آن عالم غيب را توان ديد اگر گشوده باشد ؛ ليكن اكثر مردمانرا آن دو چشم باطن بسته است ، ﴿لهم اعين لايبصرون بها﴾ وفي الحديث : «ما من عبد إلا ولقلبه عينان ، وهما غيب يدرك بهما الغيب ، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عين قلبه ، فيرى ماهو غائب عن بصره»

وتا آن چشم باطن گشوده نشود علم به هيچ چيز اورا حاصل نمى تواند شد مگر به تقليد ، واگر تقليد را كما هو حقّه كند به محوضت ـ من غير تصرف فيه بعقله الناقص ـ كان من المفلحين .

سعى بايد نمود كه آن چشم باطن گشوده شود ، كار همينست ودواى همه دردهااين، وچون اين كاربه حصول پيوست نه استعانت به برهان در كار است ونه رجوع به ميزان ، نه تدافع براهين مى ماند ونه تعارض مكاشفات روى مى دهد ، بلكه همه عيان در عيانست ، واطمينان در اطمينان .

وتعاضد شواهد وتصادق بينات وتحصيل اين بصيرت به فكر ونظر وممارست براهين عقليّه نمى شود ، بلكه هرچند خوض درآن پيشتر كنند ظلمت وحجاب بيشتر مى شود ، وشكوك وشبهات افزونتر مى گردد واز مقصد دورتر مى افتد .

فلسفى خود را زانديشه بكشت

كوبدوكورا[1] سوى گنجست پشت

وإنما يحصل بفراغ القلب وصفاء الباطن ، والتجافي عن دارالغرور والإنابة إلى دارالخلود ، والتأهّب للموت قبل نزول الموت ، وتخلية النفس عن الرذائل

١- كذا . ظ : اورا .

وتحليتها بالفضائل ، ومتابعة الشرع والتأدّب بآدابه ، وملازمة التقوى وتحمّل الأثقال في طريق الوصال ، وملازمة الذكر في الخلوة حتى يتنوّر القلب ويتخلى من صدء الشهوات النفسانيّة والخواطر الشيطانيّة ، وطلب الحظوظ الدنيويّة ، وتحصل له الجمعيّة ، فتكون الهموم همًّا واحدا ، فحينئذ يصير القلب صافيا مستعدّا ، قابلا لأصناف العلوم الكليّة الحقيقيّة ، فتنطبع العلوم النظريّة بحقائقها في مرآة سرّه بأدنى فكرة ، فلاينظر إلى شيء إلا ظهرت له حقيقته ، ظهورا يجري منه مجرى العيان ، فلو كشف الغطاء ماازداد يقينا ؛ وهذا من باب الهداية التي تمدّها الإنابة ؛ كما قال الله سبحانه : ﴿ الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ﴾ والاجتباء للأنبياء والأولياء والهداية للعلماء .

والحكيم مالم يبلغ هذه المرتبة لايكون حكيما ، لأنّ الحكمة من مواهب الله ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ .

والدليل على ذلك كله من الكتاب والسنّة كثير، قال الله تعالى حكاية ﴿ و اتقوا الله ويعلّمكم الله ﴾ ﴿ ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ أي بين الحقّ و الباطل . ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ ﴿ و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ .

وفي الحديث : «ليس العلم بكثرة التعلّم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه» «العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب أوليائه وأنطق به على لسانهم» . «الجوع سحاب الحكمة ، فإذا جاع العبد مُطر بالحِكم » . «من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه» « من علم وعمل بما علم ورّثه اللهُ علمَ مالم يعلم » .

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السلام : «إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف ، فظهر مصباح الهدى في قلبه» ـ إلى أن قال:ـ «قدخلع سرابيل الشهوات وتخلّى من الهموم إلا همّا واحدا انفرد به، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى ، فصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى ، قد أبصر طريقَه وسلك سبيلَه ، وعرف منارَه وقطع غمارَه ، واستمسك من العرى بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس » .

وفي كلام آخر له عليه السلام : « قد أحيى قلبَه وأمات نفسَه حتى دقّ جليلُه ولطف غليظُه ، وبرَق له لامعٌ كثيرُ البرق ، فأبان له الطريقَ وسلك به

السبيلَ ، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة ، فثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة ، بما استعمل قلبَه وأرضى ربَّه » .

إلى غير ذلك مما ليس هنا محل ذكره .

واعلم أنَّ من أراد الله به خيرا من الطالبين يسَّر الله له شيخا من أهل هذا الطريق يتولّى تربيته في طريق الحقّ ، وإلا طالت عليه الطريق وحصل على التعويق ، وتزلزلت قدمه في طريق الإرادة ، ولو أجهد نفسه ماخرج من مواطن العادة ؛ اللهم إلا أن يستعمل ماقرّروه ، ويلزم نفسَه ما أسّسوه ، فبتصحيح البدايات تنال الغايات ، وبتأسيس القواعد تعلو السرايات ، ﴿أفمن أسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أمّن أسّس بنيانه على شفاجرف هار﴾ فعن الله فاعقل ، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاسمع ، ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ماتولّى ﴾ ﴿ وإنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولاتتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به ﴾ ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله ﴾ .

ومن عرف مايطلب هان عليه مايبذل ، ومن طلب نفيسا خاطرَ بالنفس ، ومن طلب الحسناء لم يغله المهر ،

اذا شام الفتى برق المعالي ... فأهون فائت طيب الرقاد

و «من كان لله كان الله له» . هذه الجادة فأين السالك ، هذه الرغائب فأين الطالب ، هذا قميص يوسف فأين يعقوب ، هذا طور سيناء فأين موسى ، هذا ذوالفقار فأين أبوالحسن الكرّار ، هذه الإشارات فأين الجنيد والشبلي ، هذه مراتع الزهد فأين ابن أدهم ، أين القوم ياقوم ، مالي أرى[1] الديار وما بها من القوم ديار

قف بالديار ، فهذه آثارهم ... تبكي الأحبّة هجرة و تشوّقا

وهذا ـ يا أخي ـ شيء لاينال إلا بفضل الله ورحمته ﴿ والله يختصّ برحمته من يشاء ﴾ ، ليس كل من همّ سلك ، ولا كل من سلك وصل ، ولا كل من وصل مكن ؛

ولا كل غاد نحو قصد يناله ... ولا كل من زارالحمى سمع الندا

وإنما هي عنايات أزليّة ومواهب ربّانيّة ، جرت في الأبد ماجرى في الأزل ،

١- في النسخة : «مالي لا أرى» والأظهر أن الصحيح ما أثبتناه .

ومن سلب خلعة القبول أزلا ، لم يكن لها لابسا أبدا ، ومن لبسها أزلا لم يسلبها أبدا

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاويا
درغرور اين هوس گرجان دهم به كه دل در خانه و دكان نهم

وليكُن فهمك من الله وأخذك عن الله وسعيك لله ، ولاتقف على الصورة دون المعاني ، ومع البنية دون الباني ، ولاتشتغل عن الواحد بالمثالث و المثاني .
والسلام على من اتبع الهدى .

تذييل

واعجباه ، سبيل كان آدم في سلوكها ينوح ، ورمي فيها بالحجارة نوح ، وقذف في النار خليل ، واضجع للذبح اسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ذاحنين ، ولبث في السجن بضع سنين ، وذهب بصر يعقوب وضنى بالبلاء أيّوب ، ونشر بالمناشير زكريّا وأفرط داود بالبكاء ، وتنغّص في الملك عيش سليمان ، وتحيّر بردّ ﴿ لن تراني ﴾ موسى بن عمران ، وذُبح الحصورُ يحيى ، وهام في الفلوات عيسى ، وشُجَّ جبينُ المصطفى وكسرت رباعيّته في شدة الأذى ، وأصيب قرن المرتضى ، وسمّ الحسن مرة بعد أخرى ، وقتل الحسين بكربلا ، وابتلي أهل البيت بأنواع البلاء . ونحن نطلبها بالرسم والمقال ؛ وما أشبه هذا بالمحال ؟!

بلى ، لابدّ في طريق الوصال من تحمّل الأثقال ، ﴿ الم * أحسب الناس ان يُتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لايفتنون * ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ﴾ .

أول قدم في الطريق بذل المهجة ، ثم سلوك المحجة ،

بدم المحبّ يباع وصلهمُ فاسمح بنفسك إن اردت وصالا

﴿ انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

* * *


كتاب علم اليقين في أصول الدين
املاء العبد الضعيف محمد بن مرتضى
المدعو بمحسن القاساني
ثبته الله بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة

٢٤٤

الصفحة الأُولى من النسخة المكتوبة بيد المؤلف ـ قده

والروايات صدقه في معراج نبينا صلى الله عليه وآله في معنى الكتاب والكلام
والفرق بينهما وتفاصيل كتب الله جل وعز في نبذ من فضائل القرآن المجيد
في نبذ من فضائل أهل البيت عليهم السلام في الاختلاف الواقع بعد نبينا
صلى الله عليه وآله في أصول العقائد المبنية على الإجمال في غيبة
إمامنا وعلامات ظهوره وأشراط الساعة ~~[illegible]~~ وأما العلم
باليوم الآخر ففيه ثمانية عشر بابا في الموت في البرزخ وعذاب القبر وسؤاله
المسائلة في نفخ الصور والبعث والحشر والقيامة [illegible]
في طول يوم القيامة وأهواله في الخصماء والمظالم في المسائل والشهداء
في تطاير الكتب ونشرها في الميزان والحساب في السياق والصراط
في الشفاعة في الحوض في الوسيلة واللواء في محل الجنة والنار والأعراف
في صفة الجنة وأهلها في صفة النار وأهلها في مذهب أهل التوحيد القاصر
في أوصاف اللذات والآلام وأربابها في الآخرة في خلود المؤمنين
تتمة خمسون بابا [illegible] يشتمل عليها كتاب علم اليقين بكتبه الأربعة
[illegible] في [illegible] ومن أراد [illegible] فليرجع إلى كتابنا المسمى بالمحجة
البيضاء في تهذيب الإحياء وهي المطالب التي لا يستقل فيها العقل فإنها
إنما يستفاد من الشرع وسميناها بالعلميات الشرعية وأما ما يستقل فيه
العقل فإنما من دون توقف على الشرع الآتي زيادة [illegible] صنفنا فيه
كتاب أنوار الحكمة وأسرار الحكم وسميناها بالعلميات العقلية وأما [illegible] صنفنا
في كتاب المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء والمنتزع [illegible] الأخلاق [illegible] صنفنا

صفحة من نسخة الأصل يشاهد فيها إستدراكات المؤلف ثانيا وثالثا

وقد قال عن نفسه جل وعلا انه ارحم الراحمين فلا شك انه ارحم منا بخلقه ونحن عرفنا من
نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة انتهى قيل قد قام الدليل العقلي على ان الباري عز وجل
لا تنفعه الطاعات ولا تضره المخالفات وان كل شيء جار بقضائه وقدره وان الخلق
مجبورون في اختيارهم فكيف يليق به العذاب عليهم وجاء في الحديث وآخر من يشفع هو
ارحم الراحمين وربما قال ان كون الشيء عذابا من وجه لا ينافي كونه رحمة من وجه آخر وفي
المقام كلام لطيف ليس هذا الكتاب محل ذكره وقد اوردناه في كتاب عين اليقين وعن النبي
صلى الله عليه وآله ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة فجعل في الارض منها
رحمة بها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض والطير واخر تسعة وتسعين
الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة اكملها بهذه الرحمة مائة فسبحان من اتسعت رحمته لاوليائه
في شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته هذا آخر الكلام في العلم باليوم الآخر وبه تم
كتاب علم اليقين بمقاصده الاربعة ووقع الختم على رحمة الله تعالى الذي نسأل الله ان يجعل خاتمتنا
ويوم آخرنا الى رحمته وعفوه انه غفور رحيم تم الفراغ منه مؤلفه العبد الضعيف المسكين الكاشاني
محمد بن مرتضى المعروف بمحسن احسن الله حاله وجعل له الرفيق الاعلى مآله وتاريخ اتمام
وايام التصنيف يعرف من هذه الابيات . تم علم اليقين في عام خمس غير ثلث كون الكرم
صار تاريخ عامه الآخر مصرع الصدر من هذه الكلم بدوه كان في الشهور الحرم فكذا
الختم صار سنة الرم نبهت يا ذا الذكاء بالشهرين نخصص لصاحب الفهم نفع الله
طالبيه به وبانفسه يثبت قدم

والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا
وصلى الله على محمد وآله
تم

الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل

لأن الصفة العلاجية العالم والله قد أعطاه هذه الصفة ومعطي الكمال أحق به وصاحب هذه إنا وأمثالنا
ونحن عبيد مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض ولا شك أنه سبحانه أرحم بخلقه وقد قال عن نفسه جل علاؤه أنه
أرحم الراحمين فلا شك أنه أرحم منا بخلقه ونحن قد عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة انتهى فقد قام
الدليل العقلي على أن الباري عز وجل لا ينفعه الطاعات ولا يضره المخالفات وأن كل شيء جار بقضائه
وقدره وأن الخلق مجبورون في اختياراتهم فكيف يليق به العذاب عليهم وجاء في الحديث
وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين ويمكن أن يقال إن كون الشيء عذابا من وجه لا ينافي كونه رحمة
من وجه آخر وفي هذا المقام كلام لطيف ليس هذا الكتاب محل ذكره وقد أوردناه في كتاب عين
اليقين وعن النبي صلى الله عليه وآله أن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة فجعل في الأرض
منها رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض والطير وأخر تسعة وتسعين
إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة فسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه
في شدة نقمته ~~لأهل النار~~ واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته هذا آخر الكلام في العلم باليوم
الآخر وبه تم كتاب علم اليقين بمقاصده الأربعة ووقع الختم على رحمة الله تعالى لكي يجعل الله خاتمتنا
ويوم آخرتنا إلى رحمته ويغفر لنا إنه غفور رحيم وفرغ منه مؤلفه العبد الضعيف المسكين المستكين
محمد بن مرتضى المعروف بمحسن أحسن الله حاله وجعل الجنة مثواه على ما قدر وتاريخ الختام وأيام
التصنيف يعرف من هذه الأبيات تم علم اليقين في خامسين غير [illegible] كعدة الحجم [illegible] تاريخ
عام الآخر مصرع السطر من ذي الكلم [illegible] كان في الشهور الحرم فكذا الختم صار ذي الحرم
بحث يا ذا الذكاء بالشهرين بخصوص نص حب الفهم نفع الله به [illegible]

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله
على محمد وآله وسلم

قد تشرفت بكتابة هذا الكتاب المستطاب وكان الفراغ من كتابته خامس [illegible]
رجب المرجب من شهور سنة [illegible] ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية

وأنا العبد الفقير إلى [illegible] الغني [illegible]
أبو القاسم [illegible] محمد علي
عفي عنهم

[illegible] العبد [illegible]
[illegible] الشهير [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة (م)

عظم في جنب قدرتك وما أهول ما نرى من ملكوتك وما أحقر ذلك فيما غاب

عنا من سلطانك وما أسبغ نعمك في الدنيا وما أصغرها في نعم الآخرة

هذا آخر الكلام في العلم بالله والحمد لله وحده وله الكبرياء والعظمة

وكتبه أقل الأقلين محمد [illegible] بن [illegible]

خط مؤلفه أدام الله تعالى بقاءه

وهذا عليها [illegible]

[illegible] في أوائل [illegible]

سنة ١٠٥٥

[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة (س)

من اتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته

هذا آخر الكلام في العلم باليوم الآخر وبه تم كتاب علم اليقين بمقاصده الاربعة و

وقع الختم على رحمة الله تعالى ولو يجعل الله خاتمتنا ويوم آخرنا الى رحمته وغفرانه

انه غفور رحيم وفرغ منه مؤلفه العبد المسكين محمد بن مرتضى المعروف بمحسن احسن

الله حاله وجعل الى الرفيق الاعلى مآله وتاريخ الختام وايام التصنيف تعرف من

هذه الابيات تم علم اليقين في عامين غير ثلث كعدة الحرم صار تاريخ عامه الآخرة

مصرع الصدر من هذه الكلم بدؤه كان في الشهور الحرم فكذا الختم صار

في الحرم بحث يا ذا الذكا بالشهر يحضر لصاحب الفهم نفع الله

طالبيه به وبما فيه يثبت مهتدي والحمد لله اولاً وآخراً

ظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآله وسلم

وقع الفراغ من تحرير هذه الاوراق بعون الله [illegible]

الثامنة [illegible] والحمد لله [illegible]

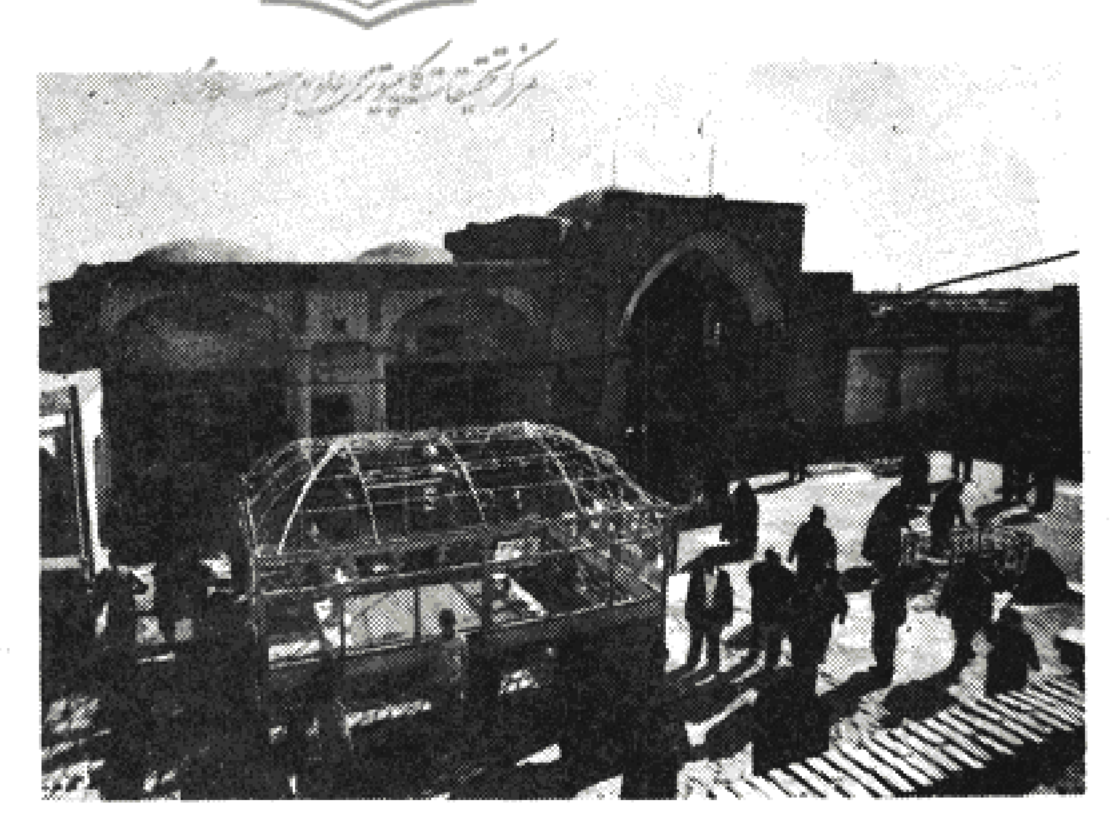
[illegible]

بلغ قبالاً [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة (ع)

مرقد المؤلف في كاشان قبل أربعين سنة

من مقدمة المجلد الثاني للمحجة البيضاء نشر المغفور له السيد محمد مشكاة



مرقد المؤلف في كاشان أخيرا



في أصول الدين



الجزء الأول



نحمدك اللهمّ ـ يامُبدئ يامُعيد ـ والحمدُ من نَعمائك ، ونشكركَ ـ يا فعّالا لِمايريد ـ والشكر من آلائك ؛ تعاليتَ من قدّوسٍ لم تصل أيدي الأوهام إلى ذيل عزّتك ، وتقدّستَ من سبُّوح لم تجعل للأفهام سبيلا إلى معرفتك ، إلاّ بالعجز عن معرفتك .

تركتَ قلوبَ الطالبين في بيداء كبريائك والهةً حيرىٰ ، ولم تجعل لمَرقىٰ أقدام العقول إلى حريم عظمتك مجرىٰ ؛ هيهات ! ـ مالأذلاّءِ أسر العبوديّة و إدراك سُبُحات جلال الربوبيّة ؟! و أنّىٰ لأُسراءِ ذلّ الناسوت و نيل سُرادقات جمال اللاهوت ؟! سبحانك سبحانك ، لانُحصي ثناءً عليك ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك وفوق ما يقول القائلون .

صلِّ وسلِّم على المقرّبين لديك ، الهادين إليك ؛ خصوصا أقربهم منك منزلةً ، وأعزّهم عليك ، محمدٍ وأهل بيته ؛ منتجبيك و مصطفيك .

أمّا بعد ـ فيقول خادمُ العلوم الدينيّة ، وراصدُ المعارف اليقينيّة ، محمد بن مرتضي ـ المدعوّ بمحسن أحسن الله عواقبه ـ :

هذا ـ يا إخواني ـ كتاب « **علم اليقين في أصول الدين** » ؛ آتاني الله ـ عزّ وجلّ ـ من فضله ببركة متابعة كتابه المبين ، و الاستضاءة بمشكاة أنوار سيّد المرسَلين ، و الاقتفاء لآثار أهل بيته الطاهرين ، و عترته المعصومين ـ عليه وعليهم أفضل صلوات المصلّين ـ والاستفادة من مصنّفات العلماء الصالحين .

يتلو عليكم كلماتٍ ربّانيّة ، و إشاراتٍ فرقانيّة ، وآياتٍ عقلانيّة وهداياتٍ رحمانيّة ، وتنبيهاتٍ نبويّة ، وتلويحاتٍ وَلَويّة ؛ تشهد بها الطِباعُ السليمة ، والأذواقُ المستقيمة ، ويصدِّقها نورُ الإيمان وصحّةُ الوجدان ، ويراها أهلُ العرفان ببصيرة الإيقان .

هدى للمتّقين الذين يؤمنون بالله ، وتذكرةً للموقنين الذين يشاهدون آياتِ الله ؛ قد أخرجه اللهُ ـ سبحانه تعالى ـ على لساني من سُرادقات الغيب ، ليطهِّر به طائفةً منكم من رجز الريب ، وليربط به على قلوبكم ، ويثبِّت به الأقدام ، ويزيد في انشراح صدوركم ، ويُغنيكم عن ورودِكم فيما لايعنيكم وصُدورِكم ـ أعني جدالكم في الدين ، وتصحيح عقائدكم بمبتدعات المتكلّمين ، وتعلُّمكم الألفاظ المخترعة المصطلحة للمتجادلين ـ فإنّها من وساوس الشياطين ، وتلبيسات إبليس اللعين ـ و هي تبعدكم عن الله جلّ جلالُه ـ غايةَ التبعيد ـ وتربوا في شُبهكم وشكوككم وتزيد .

وما مَثَلكم ومَثَلُ مَن يُعلِّمكم ذلك إلاّ ـ كما قيل :ـ مَثَل رجلٍ كان بين يديه شمعةٌ مضيئةٌ ـ إضاءة باهرة ـ فأخذها أُستاذُه من بين يديه ، وأبعدَها عنه مسافةً بعيدةً ، كثيرةَ الحوائل والموانع من النظر إلى تلك الشمعة ، وقال له : « تَجهّز للسفر بالزاد والرُفقاء ، والعُدّة والأدلاّء ،

حتّى تصلَ إلى معرفة تلك الشمعة ، وتنظر حقيقةَ ما هي عليه من الضياء»[1] .

فقَبِل ذلك الغِرُّ المتعرِّف ، من ذلك الأُستاذ المتكلِّف ، وسافَر مدّةً من الأوقات ، فتارةً يرى جبالا وعقبات ، فلايظهر له من حديث الشمعة كثيرٌ ولا قليلٌ ، وتارةً يرى ضوءً ، فيقول : « لعلّه ضوءُ تلك الشمعة » ، ويستنجد بمساعدة الرفيق والدليل ؛ فإن عَجِز من تمام المسافة وقطْع الطريق ، بمايرى فيه من العقَبات والتطويل والتضييق ، هلك المسكين ورجع خاسرا للدنيا والدين .

فإيّاكُم إخواني ـ هداكم الله طَريقَ الرُشد ـ والخوض في طريقة أهل الكلام ؛ فإنّها لَكَما وصفتُ ؛ ولقد ذمَّها أُولوا البصائر والنُهىٰ ، حتّى جماعة من أهلها ، المشتغلين بها . وإنّما ذلك شُغلُ مَن فرغ مِن فروض الله المتعيّنة المتضيّقة عليه ، ويريد أن يخدم اللهَ عزَّ وجلَّ خالصا لوجهه بالردّ على أهل الضلال ـ من الأمم الحائلة بين عباده وبين المعرفة والوصول إليه ـ ويكون حامل ، هذا العلم العريض العميق ، لازما سبيلَ التوفيق ، ويناظرُ مخالفيه مناظرةَ الرحيم الشفيق ، حتّى يسلم من خطر الطريق ؛ وإلاّ فهو هالكٌ على التحقيق .

فعليكم بمتابعة ظواهر الكتاب و السنّة ، و ملازمة التقوى و الشريعة ، لعلّ الله يرزقكم ببركة ذلك علما آخر من لدنه ، وكشفا أتمّ من لديه ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وَمَن يَـتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا

---

١ ـ كتب في هامش النسخة مايلي ثم شطب عليه :

راهيست ره عشق بغايت خوش ونزديك

هر ره كه جزاينست همه دور ودرازست

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ ﴾ [٦٥/٢٣] ﴿ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ [٢/٢٨٢] ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [٢٩/٦٩].

فإن لم تهتدوا إلى كيفيّة استنباط عقائدكم من الكتاب والسنّة، فعليكم بمطالعة هذا الكتاب، فإنّه يهديكم ـ إن شاء الله ـ إلى ذلك ويُرشدكم إلى طريق الصواب.

وهو مخُّ الشرع الشريف، ولبابُ الدين الحنيف، وليس هو الأخذ بالتقليد في شيء ـ كلاّ ـ بل هو تنبيهٌ على التحقيق، و إرشادٌ إلى البراهين الحقيقة بالتصديق، بتعليم صاحب الشرع، على ما يناسب أكثر الأفهام ويليق، فاقتدوا بهداياته، واهتدوا بـإشاراته، لعلّكم تنجون من الجهل وعماياته، ومن الجدال في الدين وغواياته.

إنّه ليس ككتب الغاغة والمتفلسفين ـ أصحاب الظنّ والتخمين ـ الذينهم بين مقلّدٍ كالحيارىٰ، أو مجادلٍ كالسُكارىٰ، كُلَّمَا دَخَلَتْ مِنهُمْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُختَهَا ـ كَلاّ ـ بل هو ذِكرٌ لآيات بيّنات فِي صُدورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلمَ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥/١٦][1]

---

١ ـ كتب في هامش النسخة مايلي ثم شطب عليه:

ومَن لم يشف به عليله، ولم يرو به غليله، وأراد زيادة التعمُّق والتبيين، فعليه بكتابنا الموسوم بـ «عين اليقين في أصول أصول الدين» فإنّ فيه أنوارا وأسرارا، تهدي من البيان إلى العيان، وتُوصل من العلم إلى العين، ولكنه لاينتفع بذلك إلاّ الفاذّ الشاذّ، اللبيب كلّ اللبيب، وليس للآخرين فيه نصيبٌ، فلا يطمع فيه مَن لم يكن له أهلا، ولايُتعب نفسَه في تحصيله ـ فإنّه ليس سهلا ـ ﴿ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَ اللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٦٢/٤].

مقدّمةٌ [1]

اعلم أنّ العلم والعبادة جوهران لأجلهما كان كلّ ماترى وتسمع من تصنيف المصنّفين وتعليم المعلّمين، ووعظ الواعظين ونظر الناظرين؛ بل لأجلهما أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل؛ بل لأجلهما خُلقت السماوات والأرض وما فيهما من الخلق.

وناهيك لشرف العلم قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٢/٦٥]؛ ولشرف العبادة قوله سبحانه: ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦/٥١].

فحقٌّ للعبد أن لا يشتغل إلاّ بهما، ولايتعب إلاّ لهما، ولا ينظر إلاّ فيهما؛ فإنّ ماسواهما من الأُمور باطلٌ لاخير فيه، ولغوٌ لاحاصل له.

و أشرف الجوهرين العلم؛ ففي الحديث النبوي ﷺ[2]: « فضلُ العالِم على العابدِ كفضلي على أدناكم ».

١ـ أورد المجلسي ـ قده ـ ماجاء في هذه المقدمة ـ إلى آخر الفصل الرابع مع حذف بعض المرويات ـ في البحار : ٧٠/١٣٩ـ١٤٢ ، حكاية عن بعض المحققين.

٢ـ منية المريد : الفصل الثاني من المقدمة ، ١٠١ . الترمذي : ٥/٥٠ ، كتاب العلم ، باب (١٩) ماجاء في فضل الفقه على العبادة ، ح ٢٦٨٥ . حياة الحيوان : النملة ، ٢/٣٧٦ . و النون ، ٣٨٣ . ومع فرق يسير في إحياء علوم الدين : كتاب العلم ، الباب الأول ، ١/١٤ . وفي سنن الدارمي (باب في فضل العلم والعالم ، ١/٩٨) : «فضل هذا العالم ـ الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير ـ على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً».

وفيه[1] : «نظرةٌ إلى العالِم أحبُّ إليّ من عبادة سنة ـ صيامها وقيامها» .

وفيه[2] : «ألا أدلُّكم على أشرف أهل الجنّة» ؟ قالوا : «بلى يارسول الله» . قال : «هم علماءُ أُمّتي» .

وفي الصحيح عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال ـ :[3] «عالمٌ ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد» .

لكن لابدَّ معه من العبادة ؛ وهذا معنى الانتفاع به ، وإلاّ لكان هباءً منثورا ، فإنّ العلمَ بمنزلة الشجرة والعبادةَ بمنزلة ثمرة من ثمراتها ، فالشرفُ للشجرة ـ إذ هي الأصل ـ لكن الانتفاع بثمرتها . فاذن لابدَّ للعبد أن يكون له من كِلي الأمرين حظٌّ ونصيبٌ[4] .

---

١ ـ عدة الداعي (الباب الثاني ، القسم السادس : ٦٦) عن علي عليه السلام : «النظر إلى العالم أحبُّ إلى الله من اعتكاف سنة في [الـ]بيت الحرام» .

٢ ـ لم أعثر على الحديث .

٣ ـ الكافي : فضل العلم ، باب صفة العلم وفضله ، ح٨ ، ٣٣/١ . منية المريد : الباب الثالث من المقدمة ، ١١١ . وفي بصائر الدرجات (٦ ، باب فضل العالم على العابد ، ح١) : « . . . من عبادة سبعين ألف عابد» . عنه البحار : ١٩/٢ . ومثله في ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام : ثواب معلم الخير ، ١٥٩ .

٤ ـ راجع عدة الداعي : ٦٥ . وكتب في هامش النسخة :

به رخش علم و چوگان عبادت زميدان در ربا گوى سعادت

تو را از بهر اين كار آفريدند اگر چه خلق بسيار آفريدند

قيل ـ في قوله عز وجل : ﴿إبراهيم و إسحٰق و يعقوب أُولي الأيدي و الأبصار﴾ [٤٥/٣٨] :ـ أُولي القوة في طاعة الله والأبصار في المعرفة بالله . أي أُعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين .

وصلٌ [١]

والمراد بالعلم علم الدين ـ أعني معرفة الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. قال الله ـ جلّ جلاله ـ : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ ﴾ [٢/٢٨٥]. وقال جلّ وعزّ ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِٱللهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِٱللهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ ٱلْيَومِ ٱلآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [٤/١٣٦].

ومرجع الإيمان إلى العلم ؛ وذلك ؛ لأنّ الإيمان هو التصديق بالشيء على ما هو عليه ، ولا محالة هو مستلزم لتصوُّر ذلك الشيء كذلك بحسب الطاقة ، وهما معنى العلم .

والكفرُ مايقابله ـ وهو بمعنى الستر والغطاء ـ ومرجعه إلى الجهل ؛ وقد خصَّ الإيمان في الشرع بالتصديق بهذه الخمسة[١] ـ ولو إجمالا ـ فالعلم بها لابدّ منه .

وإليه الإشارة بقوله ﷺ[٢] : «طلبُ العِلم فريضةٌ عَلى كُلِّ مُسلِمٍ ومُسلِمةٍ» .

١ـ المذكورة في الآية الكريمة ، وهي : الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

٢ـ عدة الداعي : القسم السادس من الباب الثاني ، ٦٣ .
و بلا لفظة « ومسلمة » في أمالي الطوسي : ٤٨٨ ، المجلس السابع عشر ، ح ٣٨ . و٥٦٩ ، المجلس الثاني والعشرون ، ح ٢ . وأمالي المفيد : ٢٩ ، المجلس الرابع ، ح الأول . وبصائر الدرجات : الباب الأول من الجزء الأول ، ٢ـ٣ . البحار : ١/١٧١و١٧٢ .

ولكن لكل إنسان بحسب طاقته و وُسعه ﴿ لايُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [٢٨٦/٢] فإنَّ للعلم والإيمان درجاتٌ مترتِّبةٌ في القوّة والضعف والزيادة والنقصان ؛ بعضُها فوق بعض .

قال مولانا الصادق عليه السلام[1] : « الإيمانُ حالاتٌ ، ودرجاتٌ ، وطبقاتٌ ومنازل ؛ فمنه التامُّ المنتهى تمامُه ، ومنه الناقصُ البيّنُ نقصانُه ، ومنه الراجحُ الزائدُ رجحانه » .

وقال أيضا[2] : « لوعلِم الناسُ كيف خلَق اللهُ [تبارك وتعالى][3] هذا الخلقَ لم يلُم أحدٌ أحدا » .

قيل : « وكيف ذاك » ؟

فقال : «إنَّ الله ـ تعالى ـ خلق أجزاءً بلغ بها تسعة وأربعين جزءً ، ثمَّ جعل الأجزاء أعشارا ، فجعل الجزءَ عشرةَ أعشار ، ثمَّ قسّمه بين الخلق ، فجعل في رجلٍ عُشرَ جزءٍ وفي آخر عشري جزءٍ ، حتّى بلغ به جزءً تامّا ، وفي آخر جزءً وعشرَ جزءٍ ، وآخر جزءً وعشري جزءٍ ، وآخر جزءً وثلاثة أعشار جزءٍ ، حتّى بلغ به جزئين تامّين ـ ثمَّ بحساب ذلك ـ حتّى بلغ بأرفعهم تسعة وأربعين جزءً .

فن لم يجعل فيه إلاّ عُشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرين [وكذلك صاحب العشرين][4] لايكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار ، وكذلك من تمَّ له جزءٌ لايقدر على أن يكون مثل صاحب

١ـ الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب في أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها ، ٣٩/٢ .
٢ـ الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب درجات الإيمان ، ٤٤/٢ .
٣ـ إضافة من المصدر .
٤ـ إضافة من المصدر .

الجزئين ؛ ولوعلم الناس أنّ الله تعالى خلق هذا الخلق على هذا لم يلُم أحدٌ أحدا ».

وعن أبيه مولانا الباقر عليه السلام[1] : «إنّ المؤمنين على منازل: منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ستٍّ، ومنهم على سبعٍ ؛ فلو ذهبتَ تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقوِ، و على صاحب الثنتين ثلاثا لم يقوِ ».

ـ وساق الحديث ثمّ قال :ـ « وعلى هذه الدرجات ».

وصل [٢]

وذلك لأنّ الإيمان إنّما يكون بقدر العلم الذي به حياة القلب، وهو نورٌ يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الله جلّ جلاله :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٢/٢٥٧]

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [٦/١٢٢].

« ليس العلمُ بكثرة التعلّم، إنّما هو نورٌ يقذفه اللهُ في قلبِ من يريد اللهُ أن يهديه »[2] .

---

١ ـ الكافي : الباب السابق، ٢/٤٥.

٢ ـ في حديث عنوان البصري عن الصادق عليه السلام (البحار : كتاب العلم، باب آداب طلب العلم : ١/٢٢٥) : «ليس العلم بالتعلّم، إنما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه». وفي منية المريد (الفصل الثالث من الباب الأول، ١٤٩) بلفظ : «ليس العلم بكثرة التعلم...».

وهذا النور قابل للقوّة والضعف، والاشتداد والنقص، كسائر الأنوار ﴿ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [٢/٨].

﴿ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [١١٤/٢٠].

كلّما ارتفع حجابٌ ازداد نورٌ، فيقوي الإيمان ويتكامل، إلى أن ينبسط نوره فينشرح صدره، ويطّلع على حقائق الأشياء، ويتجلى له الغيوبُ، ويعرف كلّ شيء في موضعه، فيظهر له صدقُ الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه إجمالا وتفصيلاً على حسب نوره، وبمقدار انشراح صدره، وينبعث من قلبه داعيةُ العمل بكلِّ مأمور، والاجتناب عن كلِّ محظور، فيضاف إلى نور معرفته أنوارُ الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة:

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [٨/٦٦].

﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [٣٥/٢٤].

وكلُّ عبادةٍ تقع على وجهها تورث في القلب صفاءً يجعله مستعدًا لحصول نور فيه، و انشراح ومعرفة ويقين، ثمّ ذلك النورُ و المعرفةُ واليقينُ يحمله على عبادة أُخرى، و إخلاص آخر فيها يوجب نورا آخر، وانشراحا أتمّ، ومعرفة أُخرى ويقينا أقوى ـ وهكذا إلى ماشاء الله جلّ جلاله.

و مَثَل ذلك مَثَل مَن يمشي بسراج في ظلمة، فكلّما أضاء له من الطريق قطعةٌ مشى فيها، فيصير ذلك المشي سببا لإضاءة قطعة أُخرى منه ـ وهكذا.

وفي الحديث النبوي ﷺ : « مَن عَلِم وعَمِل بما عَلِم ، وَرّثه الله عِلمَ ما لم يعلم »[1] [2] .

وفيه[3] : « ما مِن عبد إلاّ ولقلبه عينان ، وهما غيبٌ يدرك بهما الغيب ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيرا فتحَ عينَي قلبه ، فيرى ما هو غائب عن بصره » .

١ـ رواه الغزالي (الإحياء : كتاب العلم ، الباب السادس ، ١/١٠٥) بلفظ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » . وأخرج أبونعيم (حلية الأولياء : ذكر أحمد بن أبي الحواري ، ١٠/١٥) عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ : « من عمل بمايعلم ورثه الله علم ما لميعلم » . ثم قال أبونعيم : « ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين ، عن عيسى بن مريم عليه السلام ، فوهم بعض الرواة أنّه ذكره عن النبي ﷺ ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه . . . » . وفي قوت القلوب (بيان تفصيل علوم الصمت ، ١/١٣٨) : « وفي أخبارنا نحن : من عمل بمايعلم . . . » .

٢ـ في هامش النسخة ما يلي و الأظهر أن الكاتب غير المؤلف : « في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام : فبالإيمان يستدلّ على الطاعات ، وبالصالحات تستدلّ على الإيمان » .

٣ـ أورد الغزالي (الإحياء : كتاب شرح عجائب القلب ، الوسواس هل يتصور أن ينقطع . . . ، ٣/٦٨) عن رسول الله ﷺ : «ما من عبد إلا وله أربعة أعين : عينان في رأسه يبصر بها أمرَ دنياه ، وعينان في قلبه يبصر بها أمرَ دينه» . وقال العراقي في تخريجه (ذيل الإحياء الطبعة القديمة : ٣/٤٤) : «أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ ـ بلفظ «الآخرة» مكان «دينه»ـ » .

و أورد الصدوق ـ قده ـ في التوحيد (باب القضاء والقدر ، ح٤ ، ٣٦٧) عن السجّاد عليه السلام : «إنّ للعبد أربعة أعين ، عينان يبصر بها أمر آخرته ، وعينان يبصر بها أمر دنياه ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبدٍ خيرا فتح له العينين اللتين في قلبه ، فأبصر بها العيب (ن : الغيب) ، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بمافيه» . ورواه في الخصال أيضا (ح٩٠ من باب الأربعة ، ١/٢٤٠) مع فروق يسيرة .

وفي الكافي (الروضة ، ٨/٢١٥ ، ح٢٦٠) عن الصادق عليه السلام : «. . . إنما شيعتنا أصحاب الأربعة أعين : عينان في الرأس ، وعينان في القلب ، ألا والخلائق كلهم كذلك إلا أن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم» .

وفي كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [1] : «إنَّ من أحبِّ عبادِ الله إليه عبداً أعانه اللهُ على نفسِه، فاستشعَرَ الحُزنَ، وتَجلبَبَ الخوفَ، فزهَرَ مصباحُ الهُدى في قلبِه» ـ إلى أن قال: ـ «قد خلعَ سرابيلَ الشهواتِ، وتخلّى من الهُموم ـ إلّا همًّا واحداً انفردَ به ـ فخَرج من صفةِ العَمى ومشارَكةِ أهلِ الهوىٰ، وصار من مفاتيح أبوابِ الهُدىٰ ومغاليقِ أبوابِ الرَدىٰ، قد أبصَر طريقَه وسلكَ سبيلَه، وعرَف منارَه وقطعَ غِمارَه، واستمسكَ من العُرى بأوثقِها ومن الحِبال بأمتَنِها، فهو من اليقين على مِثل ضوءِ الشمس».

وفي كلام آخر له عليه السلام [2] : «قد أحيىٰ قلبَه وأماتَ نفسَه، حتّى دقَّ جليلُه ولطُفَ غليظُه، وبرَق له لامعٌ كثيرُ البرق، فأبان له الطريقَ، وسلكَ به السبيلَ، وتدافعته الأبوابُ إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رِجلاه لطمأنينةِ بدنِه في قرارِ الأمنِ والراحة؛ بما استعمل قلبَه وأرضى ربَّه».

١ـ نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠.

فصل [1] [٣]

[درجات الإيمان]

أوائل درجات الإيمان تصديقاتٌ مشوبةٌ بالشكوك والشُبه ـ على اختلاف مراتبها ـ ويمكن معها الشرك ﴿ وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [١٢/١٠٦].

وعنها يعبّر بـ«الإسلام» في الأكثر: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [٤٩/١٤].

وعن مولانا الصادق عليه السلام [2]: «الإيمانُ أرفعُ من الإسلام بدرجة؛ إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لايشارك الإيمانَ في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة».

وأواسطُها تصديقاتٌ لايشوبها شكٌ ولا شبهةٌ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [٤٩/١٥]. وأكثر إطلاق الإيمان عليها خاصّة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٨/٢].

وأواخرُها تصديقاتٌ كذلك مع كشفٍ وشهودٍ وذوقٍ وعيانٍ، ومحبّة كاملة لله سبحانه، وشوقٍ تامٍّ إلى حضرته المقدّسة: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ [يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ

١ـ أورد المؤلف ـ قده ـ هذا الفصل بكامله في عين اليقين: ٢٥٢. والمحجة: ١/٢٧٩. وحكاه المجلسي ـ قده ـ في البحار: ٦٥/١١٥.

٢ـ الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإيمان يشرك الإسلام...: ٢/٢٥.

وَ]⁽¹⁾ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [٥/٥٤] .

وعنها العبارةُ تارةً بـ«الإحسان» : «الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنّك تراه»⁽²⁾ . وأُخرى بـ«الإيقان» : ﴿ وَ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [٢/٤] .

وإلى المراتب الثلاث الإشارة بقوله عزّ وجلّ : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا ٱتَّقَوا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا وَ آمَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوا وَ أَحْسَنُوا وَ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٥/٩٣] .

و إلى مقابلاتها التي هي مراتب الكفر ، الإشارة بقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾⁽³⁾ [٤/١٣٧] .

١ـ تكميل من الكتاب الكريم . ساقط من النسخ .

٢ـ مسلم : كتاب الإيمان ، ح الأول ، ١/٣٧ . أبوداود : كتاب السنة ، باب في القدر ، ح ٤٦٩٥ ، ٤/٢٢٤ . ابن ماجه : المقدمة ، باب (٩) في الإيمان ، ح ٦٣ ، ١/٢٤ . الترمذي : كتاب الإيمان ، باب (٤) ، ح ٢٦١٠ ، ٥/٧ .

٣ـ كتب على هامش النسخة مايلي :

تأويل هذه الآية ـ على مايقتضيه الاستشهاد بهاـ أن يقال : ﴿ إنّ الذينَ آمنُوا ﴾ أي دخلوا في أوائل درجات الإيمان ﴿ ثمّ كَفَروا ﴾ أي بأواسطها ، لاحتجابهم عنها بعد ، و سترها عنهم ﴿ ثم آمنُوا ﴾ أي بالأواسط ﴿ ثمّ كفَروا ﴾ أي بالأواخر لاحتجابهم عنها بعد وسترها عنهم ﴿ ثمّ ازدادُوا كفرا ﴾ أي بإنكار الأواخر والطعن في أهليها ، لرسوخهم في طريقتهم التي زعموا انحصار الحقّ فيها ، وأن ليس وراء ماعلموا مذهبا ، كماهو دأب علماء الظاهر من إنكار أولياء الله ، ونفي علومهم الحقيقيّة الكشفيّة ، وتقييدهم بعلومهم الرسميّة ، واحتجابهم بها ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ لأنّ الجهل المركّب لايقبل العلاج ولاينقلب علما لمضادّته له ﴿ولا ليهديهم سبيلا ﴾ لأنهم سلكوا السبيل المقابل لها ؛ بخلاف الفرقتين الأولين ، فإن جهلهما بسيط ، وكفرهم يمكن أن ينقلب إيمانا . منه ـ ره .

فنسبةُ الإحسان واليقين إلى الإيمان ، كنسبة الإيمان إلى الإسلام .

قال مولانا الصادق عليه السلام[١] : «إنَّ الإيمان أفضل من الإسلام، وإنَّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيءٍ أعزُّ من اليقين» .

وصل[٢] [٤]

ولليقين ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين[٣] : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [١٠٢/٥-٧] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [٥٦/٩٥] .

والفرق بينها إنّما ينكشف بمثال: فعِلم اليقين بالنار ـ مثلا ـ هو مشاهدةُ المرئيّات بتوسُّط نورها . وعين اليقين بها هو معاينةُ جِرمِها . وحقُّ اليقين بها الاحتراقُ فيها، وانمحاء الهويّة بها، والصيرورةُ نارا صِرفا ـ وليس وراء هذا غاية، ولا هو قابل للزيادة .

«لو كُشف الغطاءُ ما ازددتُ يقينا»[٤] .

١ـ الكافي : باب فضل الإيمان على الإسلام : ٥١/٢ .

٢ـ مأخوذ بماقاله الخواجه نصير الدين الطوسي ـ قده ـ في أوصاف الأشراف : الباب الرابع ، الفصل الخامس : ٥٥ . وورد الفصل بألفاظه في عين اليقين أيضا : ٢٥٣ .

٣ـ كتب على هامش النسخة :

ترا سه چيز مى بايد زكونين | بدانستن ، عمل كردن ، شدن عين
دو علمت از عبادت عين گردد | دلت آيينهٔ كونين گردد

٤ـ مروي عن أميرالمؤمنين وإمام المتقين عليه السلام ، مناقب ابن شهرآشوب ، في المسابقة بالعلم ، ٣٨/٢ . عنه البحار : ١٥٣/٤٠ . وأيضا في ١٣٥/٤٦ ، عن فضائل ابن شاذان . شرح المقاصد : المبحث الأول من الفصل الثالث من المقصد السادس ، ٢١٢/٥ .

فصل [٥]

واعلم أنَّ تحصيل العلم مقدَّم على العبادة ؛ وذلك لأنْ من لم يعرف المعبودَ، ولا كيفية العبادة، ولا ثمرتها : لم يتأتَّ له العبادة .

وأيضا : فإنَّ العلم النافع يُثمر خشيةَ الله ومهابته : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾ [٢٨/٣٥] .

و ذلك أنَّ مَن لم يعرفه حقَّ معرفته لم يهبه حقَّ مهابته، ولم يُعظِّمه حقَّ تعظيمه وحُرمته .

فصار العلمُ يُثمر الطاعة كلَّها، ويحجز عن المعصية كلِّها ـ بتوفيق الله [سبحانه] ـ وليس وراء هذين مقصدٌ للعبد في عبادة الله جلَّ جلاله .

ولذلك قال النبيُّ ﷺ[1] : «العِلمُ إمامُ العَمَلِ، والعَملُ تابعُه» .

---

١ ـ أمالي الطوسي : المجلس السابع عشر، ح ٣٨، ٤٨٨ . عدة الداعي : القسم السادس من الباب الثاني : ٦٤ . البحار عنها : ١٧١/١ . وفي أمالي الصدوق (المجلس التسعون، ح ١، ٧١٤) : «. . . العلم إمام العقل، والعقل تابعه» .

فصل [٦]

العبادة قسمان:

أحدهما العبادةُ الظاهرةُ، التي هي من تقوى الجوارح والأبدان كفِعل الطاعات الظاهرة ـ من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ وغير ذلك ـ وترك المعاصي الواضحة الفاضحة ـ كالزنا، وأكل الربا، وشُرب الخمر، ونحو ذلك ـ ويسمّى العلمُ المتعلِّق بذلك: «علم الشريعة» و«علم الفقه».

والثاني: العبادةُ الباطنة، التي هي من تقوى القلوب والأرواح كالتخلّق بالأخلاق الحميدة ـ من التوبة، والصبر، والشكر، والتوكّل، والتفويض وغيرذلك ـ والتجنُّب عن الملكات الرذيلة ـ من الحسد والكبر، والعُجب، والغرور، والرياء، ونحوها ـ ويسمّى العلمُ المتعلِّق بذلك: «علم السرّ» و«علم الأخلاق».

وكلتا العبادتين فريضةٌ، لورود الأمر بها جميعا في الكتاب والسنّة، فإنَّ اللهَ عزّ وجلّ يقول: ﴿ تُوبُوا إِلَى ٱللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٢٤/٣١]، ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ ٱتَّقُوا ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٣/٢٠٠]، ﴿ وَ ٱشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٢/١٧٢]، ﴿ وَ عَلَى ٱللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٥/٢٣]. إلى غيرذلك من الأمربالأخلاق الفاضلة كما أنّه عزّوجلّ يقول: ﴿ أَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَ آتُوا ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٢/١١٠]، و﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [٢/١٨٣]، و﴿ للهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ [٣/٩٧] ـ وغير ذلك.

ويقول الله سبحانه في المعاصي: ﴿وَ ذَرُوا ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ﴾ [٦/١٢٠]، ﴿وَ لَاتَقْرَبُوا ٱلْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ﴾ [٦/١٥١] ـ إلى غير ذلك ـ.

ولكنّ التكليف بكلتيهما إنّما هو بقدر الوسع و الطاقة[1].

ولكلٍّ منهما درجاتٌ في الكمال والنقص، وزيادة القرب من الحقّ وقلّته بحسب تفاوت درجات الناس في احتمالها والعمل بها، و «الطُرقُ إلى الله بعدد أنفاس الخلائق».

فصل [٧]

[فهرس أبواب الكتاب]

واعلم أنّ معرفة كيفيّة العبادتين داخلةٌ في العلم بالكتب، كما أنّ معرفة أوصياء الرسل وخلفائهم ﷺ داخلةٌ في العلم بالرسل، ومعرفة صفات الله العليا وأسمائه الحسنى وأفعاله و آثار رحمته ـ جلّ جلاله ـ داخلةٌ في العلم بالله، ومعرفة الشيطان وجنوده داخلةٌ في العلم بالملائكة، ومعرفة النفس الإنسانيّة وترقّياتها في أطوارها ـ من لدن كونها جنينا إلى أن تلقى اللهَ سبحانه ـ داخلةٌ في العلم باليوم الآخر.

فلم يخرج شيءٌ من العلوم المهمّة الدينيّة عن هذه الأُصول الخمسة.

ولمّا كان لعلم الأخلاق مباحث عميقة طويلة الأذيال، ولعلم الفقه

١ـ كتب في هامش النسخة ما يلي ثم شطب عليه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [٢/٢٨٦].

مسائل كثيرة كثرت فيه القيل والقال ـ وقد أفرد علماءُ الدين ـ شكّرالله مساعيهم ـ لكلّ منها كتبا مفردة، وسمُّوا كلاّ منها باسم على حِدة: لم يحسن أن يُجعلا من توابع بعض مباحث علم آخر؛ فلذلك أفردنا للمخّص كلّ منها كتابا على حِدةٍ[1].

ولتقارب مسائل الكتب والرسل واشتراك بعضها جمعناهما في

١ـ غيّرالمؤلف ـ قده ـ المقاطع التالية إلى آخرالمقدمة مرتين ـ ولذلك تختلف النسخ الموجودة هنا ـ

فقد كتب أولا بعد قوله: «على حدة» هذا النص: «ثم لما كانت المسائل الفقهية ليست مسائل علمية ـ بل كانت ظنية كثيرة الخلاف بين أربابها، والمتعلقة منها بغيرالعبادات غيرواجبة عينا على كل مكلف، ولاكانت مما له دخل في سلوك سبيل الله سبحانه والدار الآخرة، بل كانت كسائر الصناعات التي إنما احتيجت إليها لضرورة المعيشة في الدنيا والتمدن، فلم يناسب وضع هذا الكتاب، المسمى بعلم اليقين الهادي للسالكين، فلذلك اقتصرنا منها على أصول وجمل في العبادات، ماكانت من ضروريات الدين، وواجبة على عامة المكلفين، وأشرنا إلى بعض أسرارها وحكمها، وذكرنا ضابطة كلية لكيفية العمل بالمختلف فيها، ليتمسك بها من وفق لها. ولتقارب مسائل الكتب والرسل واشتراك بعضها جمعناهما في باب واحد، فصارت مقاصد هذا الكتاب أربعة: العلم بالله، العلم بالملائكة، العلم بالكتب والرسل، العلم بالعبادات الظاهرة، العلم بالعبادات الباطنة، العلم باليوم الآخر. ولنشرع فيها ـ ومن الله التأييد». (المقاصد المعدودة ستة كما ترى، إلا أن يكون بعض منها مدغما في الآخر).

ثم شطب عليه وكتب بدلا منه ما أوردناه في المتن؛ وأضاف في الهامش ـ بعد قوله «على حدة» ـ: «سمينا أحدهما بالمحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، والآخر بمعتصم الشيعة في أحكام الشريعة».

ثم شطب على هذه الجملة المضافة عند مراجعاته أيضا، ولذلك لاترى المقطعين في نسختي ع و م، والمقطع الأخير مكتوب في س داخل المتن؛ وذلك دليل على أن الاستدراك الأخير وقع بعد استنساخها، على أنه ألف المحجة البيضاء بعد مضيّ أربع سنين من تأليف علم اليقين.

مقصدٍ واحدٍ ؛ فصارت مقاصدُ هذا الكتاب أربعة :

العِلمُ بالله .

العِلمُ بالملائكة .

العِلمُ بالكُتب والرسل .

العِلمُ باليوم الآخر .

فرتّبتُ كُلاًّ منها على أبواب ، وجعلت الأبوابَ على فصول ؛ فصار مجموعُ ما في الأربعة خمسين بابا ذوات فصول ، في خمسين مطلبا ، بهذا التفصيل :



أمّا العِلمُ بالله، ففيه ثمانيةُ أبواب:

١ : في وجوده تعالى .

٢ : في توحيده عزّ وجلّ .

٣ : في تنزيهه سبحانه .

٤ : في صفاته العليا تبارك وتعالى .

٥ : في نبذٍ من نعوته جلّ ذكره .

٦ : في أسمائه الحسنى تقدّس وتعالى .

٧ : في أفعاله جلّ اسمه وقضائِه وقدَرِه .

٨ : في نبذٍ من آثار رحمته وآيات عظمته جلّ جلاله .

وأما العِلم بالملائكة ففيه ثمانية أبواب:

١ : في الملائكة المقرّبين .

٢ : في الملائكة المدبِّرين .

٣ : في الأرواح البشريّة .

٤ : في المعقّبات والشياطين .

٥ : في ملائكة الأعمال والكرام الكاتبين .

٦ : في أصناف الملائكة .

٧ : في كثرة الملائكة .

٨ : في أوصاف الملائكة وبدائع خَلقهم .

وأما العِلم بالكتب والرسل عليهم السلام ففيه ستّة عشر بابا:

١ : في الاضطرار إلى الرسل والشرايع ، وأسرار التكاليف .

٢ : في صفات النبيّ صلى الله عليه وآله وأصول المعجزات .

٣ : في صفة نزول الوحي ، والفرق بينه وبين الإلهام وغيره .

٤ : في الفرق بين الرسول والنبيّ ، والإمام والولي .

٥ : في الاضطرار إلى الإمام وذِكر صفاته .

٦ : في تفاصيل الأنبياء والأوصياء ـ صلوات الله عليهم ـ .

٧ : في أخذ ميثاق النبيّين عليهم السلام لنبيّنا صلى الله عليه وآله والبشارة به قبل ظهوره .

٨ : في أخلاق نبيّنا صلى الله عليه وآله وأوصافه وأسمائه وخصائصه .

٩ : في معجزات نبيّنا صلى الله عليه وآله وآيات صدقه .

١٠ : في معراج نبيّنا صلى الله عليه وآله .

١١ : في معنى الكتاب و الكلام و الفرق بينهما و تفاصيل كتب الله ـ جلّ وعزّ ـ .

١٢ : في نبذ من فضائل القرآن المجيد .

١٣ : في نبذ من فضائل أهل البيت عليهم السلام .

١٤ : في الاختلاف الواقع بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله .

١٥ : في أُصول العقائد الدينيّة على الإجمال .

١٦ : في غيبة إمامنا عليه السلام ، وعلامات ظهوره ، وأشراط الساعة .

وأمّا العِلم باليوم الآخر ففيه ثمانية عشر بابا:

١ : في الموت .

٢ : في البرزخ وعذاب القبر وسؤاله .

٣ : في نفخ الصور والبعث والحشر .

٤ : في طول يوم القيامة وأهواله .

٥ : في الخصماء والمظالم .

٦ : في المساءلة والشهداء .

٧ : في تطائر الكتب ونشرها .

٨ : في الميزان والحساب .

٩ : في السياق والصراط .

١٠ : في الشفاعة .

١١ : في الحوض .

١٢ : في الوسيلة واللواء .

١٣ : في محل الجنّة والنار والأعراف، وأنّها موجودةٌ الآن .

١٤ : في صفة الجنّة وأهلها .

١٥ : في صفة النار وأهلها .

١٦ : في مذنبي أهل التوحيد والناقصين .

١٧ : في أصناف اللذّات والآلام وأربابها في الآخرة .

١٨ : في خلود الفريقين[1] .

ولنشرع في المقصود، ومن الله ـ سبحانه ـ التأييد:



١ ـ هنا مقاطع في النسخة شرح فيه المؤلف ـ قده ـ وجه تقسيم المطالب بين علم اليقين والمحجة البيضاء ومعتصم الشيعة وأنوار الحكم، ثم شطب عليها وكتبه ملخصا، ثم شطب عليه أيضا؛ وإنما أعرضنا عن الإتيان بها لأنها قريبة مما أوردناه في التعليقة الأخيرة وغير موجودة بتمامها، لأن قسما منها كانت مكتوبة في ورقة أخرجها المؤلف ـ على مايظهر ـ مما بين الدفتين .

المقصد الاول

في العلم بالله جلّ جلاله

﴿هُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ ٱلرَّحِيمُ *

هُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *

هُوَ ٱللهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

[الحشر/٢٢-٢٤]

[١]

باب

وجوده تعالى

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
[١٤/١٠]

فصل [١]

إنّ في الآفاق والأنفس وما خلق الله من شيء، لآيات مبيّنات ودلائل واضحات على وجوده ـ سبحانه ـ ووحدته وإلهيّته، وسائر صفاته[١] ، من وجوه مختلفة وطرق شتّى؛ وقد وقعت الإشارة إلى نبذ منها في القرآن المجيد، للتنبيه والإرشاد:

منها قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢/١٦٤].

---

١ ـ كتب في الهامش:

ففي كلّ شيء له آية — تدلّ على أنّه واحد

ومنها قوله ـ سبحانه ـ في سورة الأنعام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ٱنظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦/٩٥ـ٩٩][1].

ومنها قوله ـ عزّ وجلّ ـ في سورة يونس: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي ٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [١٠/٥ـ٦].

ومنها قوله ـ عزّ اسمه ـ في سورة الرعد: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ [جَعَلَ فِيهَا

١ـ في هامش النسخة:

برگ درختان سبز در نظر هوشيار هر ورق دفتری است معرفت كردگار

زَوجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ][1] إنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَ فِي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أعْنَابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [١٣/٣-٤] .

ومنها قوله ــ جلَّ ذكره ــ في سورة النحل : ﴿ وَ إنَّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّافِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا إنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً[2] لِقَومٍ يَعْقِلُونَ * وَ أوحَىٰ رَبُّكَ إلَى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ ألْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١٦/٦٦-٦٩] .

ومنها قوله ــ جلَّ وعزَّ ــ في هذه السورة أيضا : ﴿ ألَمْ يَرَوا إلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمسِكُهُنَّ إلاَّ اللهُ إنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٦/٧٩] .

ومنها قوله ــ عزَّ ذكره ــ في سورة الروم : ﴿ وَ مِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَ مِن آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إنَّ فِي

---

١ ــ ما بين المعقوفتين ساقط من النسخ .

٢ ــ النسخ : لآيات (سهو) .

ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ * وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِٱللَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ وَ ٱبْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوفًا وَ طَمَعًا وَ يُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَ ٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٣٠/٢٠ـ٢٥] .

ومنها قوله ـ سبحانه ـ في سورة الجاثية : ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ مَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَ ٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ وَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٤٥/٣ـ٥] .

إلى غيرذلك من الآيات ـ وهي كثيرة وسنشير ـ إلى ما يفسّر بعضها فيما بعد ـ إن شاء الله ـ[1] .

---

١ ـ كتب في هامش النسخة مايلي :

« لايخفى على من له أدنى مسكة ـ إذا تأمّل في مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسماوات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ـ أنّ هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لايستغني عن صانع يدبّره ، وفاعلٍ بحِكَمه ويقدّره ؛ بل تكاد فطرةُ النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره وتصرُّفه بمقتضى تدبيره . ولذلك قال تعالى : ﴿ أَفِي ٱللهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [١٤/١٠] ولهذا بعث الأنبياء كلّهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ، ليقولوا : «لاإله إلاّ الله» ، وما أمروا أن يقولوا : «لنا إله» ؛ فإنّ ذلك كانت مجبولة في فطرة عقولهم ومبدء نشوءهم . ويأتي لهذا مزيد بيان وبسط إن شاء الله تعالى ـ منه» .

فصل [٢]

[بم عرفت ربك ؟]

سُئل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[1] : « بماذا عرفتَ ربّك » ؟ قال : « بفَسخ العَزائم ونَقض الهِمم ؛ لمّاهَممتُ فحيل بيني وبين هَمّي ، وعَزمتُ فخالف القضاءُ والقدَرُ عزمي ، عَلِمتُ أنّ المدبِّر غيري » .

ومثله عن مولانا الصادق عليه السلام[2] ، رواهما الشيخ الصدوق ـ أبوجعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد .

وسُئل عارفٌ : « بِمَ عرفتَ ربّك » ؟ فقال : « بواردات ترد على القلوب ، فتعجز النفسُ عن تكذيبها » .

وسُئل أعرابيٌّ عن مثل ذلك ، فقال :[3] « البَعرةُ تدلُّ على البعير ، وأثرالأقدام على المسير ، فالسماءُ ذاتُ أبراج ، والأرضُ ذات فجاج أما تدلّان على الصانع الخبير » ؟ .

١ـ التوحيد : باب أنه عزّ وجلّ لايعرف إلا به ، ٢٨٨ . الخصال : باب الاثنين ، ٣٣/١ ، ح ١ . واللفظ فيها : «بفسخ العزم ونقض الهمّ . . .» . البحار عنها : ٤٢/٣ .

٢ـ التوحيد : الباب السابق : ٢٨٩ : « . . . بفسخ العزم ونقض الهمّ . . .» البحار : ٤٩/٣ .

٣ـ في روضة الواعظين (ص٤٠) : «البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدلّ على المسير ، فهيكلٌ علويٌّ بهذه اللطافة ، ومركز سفليٌّ بهذه الكثافة ، أما يدلان على الصانع الخبير» ؟ ويقرب منه ما في تفسيرالفخر الرازي : ٩٩/٢ ، البقرة/٢١ .
وفي جامع الأخبار (الفصل الأول : ٣٥) نسب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام : «البعرة تدلّ على البعير ، والروثة تدلّ على الحمير ، وآثار القدم على المسير ؛ فهيكل علويٌّ بهذه اللطافة ، ومركز سفليٌّ بهذه الكثافة كيف لايدلان على اللطيف الخبير» .

فصل [٣]

قال السيد الجليل رضي الدين أبوالقاسم عليّ بن موسى بن طاوس ـ رحمه الله ـ في وصاياه لابنه[١] :

«إنّني وجدت كثيرا ممن رأيته وسمعت به من علماء الإسلام، قد ضيّقوا على الأنام ما كان سهّله الله ـ جلّ جلاله ـ ورسوله ﷺ من معرفة مولاهم ومالك دنياهم وأُخراهم؛ فإنّك تجد كُتبَ الله ـ جلّ جلاله ـ السالفة ، و القرآنَ الشريف ، مملوّا من التنبيهات على الدلالات على معرفة محدِث الحادثات ، ومغيِّر المتغيِّرات، ومقلِّب الأوقات، وترى علومَ سيِّدنا خاتم الأنبياء و علوم من سلف من الأنبياء ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ على سبيل كتب الله ـ جلّ جلاله ـ المنزَلة عليهم، في التنبيه اللطيف ، والتشريف بالتكليف ؛ ومضى على ذلك الصدرُ الأوّل من علماء المسلمين، إلى أواخر [أيّام][٢] مَن كان ظاهرا من الأئمّة المعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ

فإنّك تجد من نفسك ـ بغير إشكال ـ أنّك لم تخلق جسدَك، و لا روحَك ، و لا حياتَك ، و لا عقلَك ، و لا ما خرج من اختيارك من الآمال والأحوال والآجال ، ولا خلق ذلك

١ـ كشف المحجّة : الفصل الخامس عشر، ٤٨ـ٥٠ ، مع اختلافات غير مهمة. وحكاه المؤلف ـ قده ـ في المحجّة البيضاء : ٢٠٩/١ أيضا.

٢ـ زيادة من المصدر.

أبوكَ ، ولا أُمُّك ، ولا من تقلَّبتَ بينهم من الآباء والأُمّهات ، لأنّك تعلم يقينا أنّهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات ، ولوكان لهم قدرةٌ على تلك المهمّات ، ما كان قد حيل بينهم وبين المرادات ، وصاروا من الأموات .

فلم يبق مندوحة أبدا ، عن واحد منزّه عن إمكان المتجدّدات ، خلق هذه الموجودات ، وإنّما تحتاج أن تعلمَ ما هو عليه ـ جلّ جلاله ـ من الصفات .

ولأجل شهادة العقول الصريحة والأفهام الصحيحة بالتصديق بالصانع ، أطبقوا جميعا على فاطرٍ وخالق ؛ وإنّما اختلفوا في ماهيّته ، و حقيقة ذاته ، وفي صفاته بحسب اختلاف الطرائق» .

ـ قال : ـ « وإنّي وجدتُ قد جعل اللهُ ـ جلّ جلاله ـ في جملتي حِكَما أدركته عقولُ العقلاء ، فجعلني من جواهرٍ وأعراضٍ ، وعقل روحانيٍ ، ونفسٍ وروحٍ ؛

فلو سألتُ ـ بلسان الحال ـ الجواهرَ التي في صورتي : « هل كان لها نصيبٌ في خلقي[1] وفطرتي» ؟ لوجدتُها تشهد بالعجز والافتقار ، وأنّها لوكانت قادرةً على هذا المقدار ما اختلفت عليها الحادثاتُ والتغيُّراتُ والتقلّباتُ ، و وجدتُها معترفةً أنّها ما كانت لها حديثٌ[2] في تلك التدبيرات ، وأنّها ما تعلم كيفيّة

---

١ ـ المصدر : من خلق .
٢ ـ المصدر : حديث يفترى .

ما فيها من التركيبات ، ولا عددَ ولا وزنَ ما جُمع فيها من المفردات .

ولو سألتُ بلسان الحال الأعراضَ ، لقالت : « أنا أضعفُ من الجواهر ، لأنّني فرعٌ عليها ؛ فأنا أفقرُ منها ، لحاجتي إليها » .

ولو سألتُ بلسان الحال عقلي ، وروحي ، ونفسي ، لقالوا جميعا : « أنت تعلم أنَّ الضعفَ يدخل على بعضنا بالنسيان ، وبعضنا بالموت ، وبعضنا بالذلِّ والهوان ، وأنّنا تحت حكم غيرنا ممن يقلِّبنا[1] كما يريد من نقصٍ إلى تمام ، ومن تمام إلى نقصان ، ويقلّبنا كما يشاء مع تقلُّبات الأزمان » .

فإذا رأيتُ تحقيقَ هذا من لسان الحال ، وعرفتُ تساوي الجواهر والأعراض ، وتساوي معنى العقول والأرواح والنفوس في سائر الموجودات والأشكال : تحقّقتُ أنَّ لنا جميعا فاطرا وخالقا ، منزّهًا عن عجزنا وافتقارنا وتغييراتنا وانتقالاتنا وتقلُّباتنا ؛ ولو دخل عليه نقصانٌ في كمال أو زوال ، كان محتاجا ومفتقِرا ـ مثلنا ـ إلى غيره بغير إشكال .

---

١ ـ المصدر : ينقلنا .

فصل [٤]

و روى الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد[1] عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه سأله أبوشاكر الديصاني[2] : « ما الدليل على حدث[3] العالَم » ؟

فقال الصادق عليه السلام : « نستدلُّ عليه بأقرب الأشياء » .

قال : « وما هو » ؟

فدعا عليه السلام ببيضةٍ ، فوضعها على راحته ، فقال : « هذا حصنٌ ملموم[4] داخله غرقيٌ[5] رقيقٌ نظيفٌ ، به فضّةٌ سائلةٌ ، وذهَبةٌ مائعةٌ ، ثمّ تنفلق عن مثل الطاوس ؛ أدخلها شيء ؟ » .

قال : « لا » .

قال : « فهذا الدليل على حدث[6] العالم » .

---

١ ـ التوحيد : باب إثبات حدوث العالم : ٢٩٢ . أمالي الصدوق : المجلس ٥٦ ، ح٥ ، ٤٣٣ . عنها البحار : ٣/٣٩ـ٤٠ . وجاء مايقرب منه في الكافي : كتاب التوحيد ، باب حدوث العالم ، ح٤ ، ١/٨٠ .

٢ ـ لم أعثر على ترجمة له ، ولعله الذي أشار إليه البرقي في ترجمة هشام بن الحكم (رجال البرقي : ٣٥ ، أصحاب الصادق عليه السلام) : «هشام بن الحكم مولى بني شيبان ... وكان من غلمان أبي شاكر الزنديق ...» . راجع أيضا رجال ابن داود : ٣٦٨ ، الترجمة ١٦٤٣ .

٣ ـ المصدر : حدوث .

٤ ـ في هامش النسخة : الملموم : المجتمع المدوّر المضموم ـ ق .

٥ ـ في هامش النسخة : الغرقيّ ـ كزبرج ـ : القشرة الملتصقة ببياض البيض ـ ق .

٦ ـ المصدر : حدوث .

قال : « أخبرتَ فأوجزتَ ، وقلتَ فأحسنتَ ؛ وقد علمتَ أنّا لانقبلُ إلاّ ما أدركناه بأبصارنا ، أو سمعناه بآذاننا ، أو شمَمناه بمناخرنا ، أو ذُقناه بأفواهنا ، أو لمسناه بأكفّنا ، أو تصوّر في القلوب بيانا ، أو استنبطه الرويّات إيقانا » .

قال عليه السلام : « ذكرتَ الحواسَّ الخمسَ ، وهي لاتنفع شيئا بغيردليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح » .

وبإسناده[1] إلى مولانا الرضا عليه السلام أنّه دخل عليه رجلٌ فقال : «يابن رسول الله ، ما الدليل على حدث العالَم ؟ » .

قال : « أنتَ لم تكن ثمّ كنتَ ، وقد علمتَ أنّك لم تُكوّن نفسَكَ ، ولا كوّنكَ من هو مثلُك » .

قال الشيخ الصدوق ـ طاب ثراه ـ[2] :

« ومن الدليل على حدوث العالم : أنّا وجدنا أنفسَنا وسائرَ أجسام العالم ، لاينفكّ ممّا يحدث فيها من الزيادة والنقص ، و يجري عليها من الصنعة و التدبير ، و يعتورها من الصور والهيئات ؛ وقد علمنا ضرورة : أنّا لم نصنعْها ، ولا مَن هو مِن

---

١ ـ التوحيد : باب إثبات حدوث العالم : ٢٩٣ . العيون : باب (١١) ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد ، ح٣٢ ، ١٣٤/١ ، مع فرق يسير . أمالي الصدوق : المجلس السادس والخمسون ، ح٦ ، ص٤٣٣ . الاحتجاج : احتجاج الرضا عليه السلام : ٣٩٦/٢ . عنها البحار : ٣٦/٣ .

٢ ـ التوحيد : باب إثبات حدوث العالم : ٢٩٨ ، وفيه فروق يسيرة لفظية .

جنسِنا وفي مثل حالنا صنعَها ؛ وليس يجوز في عقلٍ ولا يتصوّر في وهمٍ أن يكون مالم ينفكّ من الحوادث ولم يسبقها : قديما ؛ ولا أن يوجد هذه الأشياءُ ـ على ما نُشاهدها عليه من التدبير ، ونُعاينه فيها من اختلاف التقدير ـ لا من صانعٍ ، أو يحدث لا بمدبّر .

ولو جاز أن يكون العالَم ـ بما فيه من إتقان الصنعة ، وتعلُّق بعضه ببعض ، وحاجة بعضه إلى بعض ـ لا بصانعٍ صنعَه ، ويحدث لا بموجدٍ أوجده : لكان ما هو دونه ـ في الإحكام والإتقان ـ أحقَّ بالجواز وأولى بالتصوُّر والإمكان ، وكان يجوز على هذا الوضع وجود كتابةٍ لاكاتب لها ، ودارٍ مبنيّةٍ لاباني لها ، وصورةٍ محكمةٍ لا مصوّر لها ، ولأمكن في القياس : أن تأتلف سفينةٌ ـ على أحكم نظم ، وتجتمع على أتقن صُنع ـ لابصانعٍ صنعَها أو جامعٍ جمعَها .

فلمّا كان ركوبُ هذا و إجازته خروجا عن النُهى والعقول كان الأوّل مثله ؛

بل ركوبه في غير ما ذكرناه من العالَم ـ وما فيه من حركة أفلاكه واختلاف أوقاته ، وشمسه وقمره ، وطلوعها وغروبها ، ومجيء بَرده وقيظه في أوقاتها ، واختلاف ثماره وتنوُّع أشجاره ومجيء مايحتاج إليه منها في إبّانه و وقته ـ أشدُّ مكابرةً ، وأوضح معاندة .

وهذا واضحٌ بحمد الله » .

. . . .[1]

١ـ هنا كتب المؤلف الفصلين التاليين ثم شطب عليها وكتب بدلا منها الفصل الآتي في المتن :

أوثق الدلائل وأشرفها هو طريقة الصدّيقين ، الذين يستشهدون بالحق على كل شيء ، لابغيره عليه ، سئل نبيّنا ﷺ : «بِمَ عرفتَ الله» ؟ فقال : «بالله عرفت الأشياء».

وقال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام : «اعرفوا الله بالله» ـ رواه ثقة الإسلام أبوجعفر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي [٨٥/١] بإسناده عنه عليه السلام. وقال عليه السلام ـ في دعاء الصباح المشهور ـ : «يامن دلّ على ذاته بذاته». وعنه عليه السلام أنّه سئل : «أعرفتَ الله بمحمّد ، أم عرفتَ محمّدا بالله» ؟ فقال عليه السلام : «لوعرفت الله بمحمّد لكان محمّد أوثق من الله ، ولو عرفت محمّدا بالله ما احتجت إلى رسول الله ؛ ولكن عرّفني اللهُ نفسَه بلاكيف ، وأرسل محمّدا لبيان الحقّ وتوضيح الدين». وفي هذه الطريقة هو الله البرهان على ذاته ، كماقال ـ جلّ جلاله ـ : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [١٨/٣] ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [١٩/٦].

وبعد هذه الطريقة في الإحكام والشرف طريقة معرفة النفس ، كما أشار إليه نبيّنا بقوله : «من عرف نفسَه فقد عرف ربّه». وقوله : «أعرَفُكم بنفسه أعرَفكم بربّه». وفي القرآن المجيد : ﴿وَ فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٢١/٥١]. وذلك لأنّ النفس أُمّ الفضائل ومادّة الحقائق ، وبعدها سائرالطرق الآفاقية على تفاوت مراتبها ومراتب الناس في فهمها.

وإلى الثلاث الإشارة بقوله سبحانه : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٥٣/٤١].

فصل

ولك أن تقول : إنّ معرفته ـ عزّ وجلّ ـ على أيّ التقادير ، ليست إلا به ، كما أشار إليه الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد بقوله : «الصواب في هذا الباب أن يقال : «عرفنا الله بالله» ، لأنّا إن عرفناه بعقولنا فهو ـ عزّ وجلّ ـ واهبُها ، وإن عرفناه ـ عزّ وجلّ ـ بأنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام ، فهو ـ عزّ وجلّ باعثُهم ومرسلهم ومتّخذهم حُججا ، وإن عرفناه بأنفسنا فهو ـ عزّ وجلّ ـ مُحْدِثها ، فبه عرفناه. وقد قال الصادق عليه السلام : «لولا الله ماعرفناه ، ولولا نحن ماعُرِف الله». ومعناه : لولا الحجج ماعُرِف الله حقّ معرفته ، ولولا الله ماعَرِف الحجج» ـ انتهى كلامه ـ.

ويصدّقه قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [١٧/٤٩] ﴿وَ لَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [٢١/٢٤].

فصل [٥]

ومن الدلائل التي قيلت في إنيّة الصانع للكلّ أنّه لو لم يوجد الغنيُّ الواجب بالذات، لم يوجد المستغني الواجب بالغير، فلم يوجَد موجودٌ أصلا؛ لأنّ ذلك الغير ـ على هذا التقدير ـ مستغنٍ بالغير، فإمّا أن يتسلسل، أو يدور؛ وعلى التقديرين، جاز انتفاء الكلّ بأن لايوجد شيءٌ منها أصلا؛ فلابدّ من مرجّحٍ يُرجِّحُ وجودَها؛ وهو اللهُ الغنيُّ بالذات ﴿ وَ ٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [٣٨/٤٧].

فصل [٦]

الحقُّ الحقيق بالتصديق أنّ التصديق بوجوده تعالى أمرٌ فطريٌّ[١] ولذا ترى الناسَ عند الوقوع في الأهوال وصعاب الأحوال يتوكّلون بحسب الجبلّة على الله، ويتوجّهون ـ توجُّها غريزيًّا ـ إلى مسبِّب الأسباب، ومسهِّل الأمور الصِعاب، وإن لم يتفطّنوا لذلك؛ ويشهد لهذا قولُ الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [٣١/٢٥]

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَ تَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [٦/٤٠ـ٤١].

---

١ ـ في هامش النسخة:

دانشِ حقّ ذوات را فطريست   دانشِ دانش است كان فكريست

وفي تفسير مولانا العسكري عليه السلام[1] أنّه سُئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله، فقال للسائل: يا عبدالله، هل ركبتَ سفينةً قطُّ؟ قال: بلى.

قال: فهل كسرت بك حيث لاسفينةَ تُنجيكَ ولاسباحة تُغنيكَ؟

قال: بلى.

قال: فهل تعلّق قلبُكَ هناك أنّ شيئا من الأشياءِ قادرٌ على أن يُخلصك من ورطتك؟ قال: بلى.

قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيءُ هو الله القادرُ على الإنجاءِ حين لامنجي وعلى الإغاثة حين لا مغيث.

قيل: «في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [١٧٢/٧] إشارةٌ لطيفةٌ إلى ذلك، فإنّه ـ سبحانه ـ استفهم منهم الإقرار بربوبيّته، لابوجوده، تنبيها على أنّهم كانوا مقرّين بوجوده في بداية عقولهم، وفطَر نفوسهم».

وروى الشيخ الصدوق[2] بإسناده الصحيح عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام ـ قال: ـ سألته عن قول الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيرَ

١ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: في تفسير البسملة، ٢٢. التوحيد: باب معنى بسم الله: ٢٣٠. معاني الأخبار: باب معنى الله ـ عزّ وجلّ ـ: ٤. وجاء ما يقرب منه في تفسيرالفخرالرازي: ٩٨/٢.

٢ـ التوحيد: باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد، ح٩، ٣٣٠. الكافي: باب فطرة الخلق على التوحيد، ح٣، ١٢/٢ مع فروق يسيرة. وجاء ما يقرب منه في المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، ح٢٢٣، ٢٤١/١.

مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [٣١/٢٢] وعن الحنيفيّة ؟ فقال : «هي الفطرةُ التي فطَرالله الناسَ عليها ، لاتبديل لخَلق الله» ـ قال : ـ «فطرهم الله على المعرفة» .

قال زرارة : « وسألته عن قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم ﴾ ـ الآية ـ [١٧٢/٧] » ؟

قال : « أخرج من ظَهْر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة ؛ فخرجوا كالذرِّ ؛ فعرّفهم وأراهم صُنعَه ، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه» .

وقال : «قال رسول الله ﷺ : «كلُّ مولودٍ يولَد على الفطرة» ، يعني على المعرفة بأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ خالقُه ، فذلك قوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ ﴾ [٢٥/٣١] » .

وفي روايات أُخر[١] بأسانيده المستفيضة : إنّ الفطرة هي التوحيد .

وبإسناده[٢] عن ابن عمر ـ قال : ـ قال رسول الله ﷺ : « لاتضربوا أطفالَكُم على بكائهم ، فإنّ بكائَهم أربعة أشهر شهادة أن لاإله إلاّ الله ، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ وآله ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه » .

وفي الكافي ما يقرب منه[٣] .

ولعلّ السرّ في ذلك[٤] : أنّ الطفل أربعة أشهر لايعرف سوى الله

١ـ التوحيد : الباب السابق : ٣٢٨ و ٣٢٩ . الكافي : الباب والصفحة السابقة .

٢ـ التوحيد : الباب السابق ، ح ١٠ ، ٣٣١ .

٣ـ الكافي : باب النوادر من كتاب العقيقة : ٥٣/٦ .

٤ـ كتب المؤلف هذه الفقرة كتعليقة في الهامش ، ثم جعلها من المتن وكتب في آخره : «صح» . وقد أوردها في الوافي أيضا : ٣٩/٤ .

عزّ وجلّ، الذي فُطر على معرفته وتوحيده، فبكاؤه توسُّلٌ إليه، و التجاءٌ به ـ سبحانه ـ خاصّة، دون غيره، فهو شهادةٌ له بالتوحيد.

وأربعةٌ أُخرى يعرف أُمّه من حيث أنّها وسيلةٌ إلى اغتذائه فقط، لا من حيث أنّها أُمّه، ولهذا يأخذ اللبنَ من غيرها أيضا في هذه المدّة غالبا، فلا يعرف فيها بعدَ الله إلاّ مَن هو وسيلةٌ بين الله وبينه في ارتزاقه الذي هو مكلّف به ـ تكليفا طبيعيًا ـ من حيث أنّها وسيلةٌ لاغير ـ و هذا معنى الرسالة ـ فبكاؤه في هذه المدّة بالحقيقة شهادةٌ بالرسالة.

وأربعة أُخرى يعرف أبويه وكونه محتاجا إليهما في الرزق، فبكاؤه توسُّلٌ إليهما والتجاء بهما، فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء في الحقيقة.

وقد ظهر من هذه الكلمات أنّ «كُلّ مولود يولد على الفطرة، وأبواه يُهوّدانه ويُنصِّرانه ويُمَجّسانه» كما ورد في الحديث النبوي ﷺ[1].

ولهذا جُعلت الناسُ معذورين في تركهم اكتسابَ المعرفة بالله ـ عزّ وجلّ ـ متروكين على ما فُطروا عليه، مرضيّا عنهم بمجرّد الإقرار بالقول، ولم يكلّفوا الاستدلالات العلميّة في ذلك[2].

---

١ ـ مع فرق يسير في اللفظ في أمالي المرتضى: المجلس ٥٦، ٢/٨٢ (وليس فيه: يمجسانه).
عوالي اللئالي، ح١٨، ١/٣٥. عنه البحار: ٣/٢٨١. وفي البخاري (كتاب التفسير، سورة الروم: ٦/١٤٣): «ما من مولود إلا يولد على الفطرة...».
مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود...، ٤/٢٠٤٧ (بلفظ البخاري).
المعجم الكبير: مسند أسود بن سريع، ١/٢٨٣ـ ٢٨٥، ح٨٢٦ـ٨٣٥ (أسند الحديث بألفاظه المختلفة). وحكى السيوطي في الجامع الصغير (باب الكاف: ٢/٩٤) عن أبي يعلي والبيهقي والطبراني. ومضى صدر الحديث فيما نقل عن التوحيد آنفا.
٢ ـ كتب هنا: «كما يأتي تحقيقه في محله» ثم شطب عليه.

قال نبيّنا ﷺ[1] : «أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لاإله إلاّ الله»[2] .

وإنّما التعمُّق والاستدلالُ لزيادة البصيرة، ولطائفةٍ مخصوصة، وللردِ على أهل الضلال؛ ولهذا أيضا أُمرت الأنبياءُ ـ صلوات الله عليهم ـ بقتل من أنكر وجودَ الصانع فجأة بلا استتابة ولا عتاب، لأنّه يُنكر ما هو من ضروريات الأُمور .

---

١ ـ عيون أخبار الرضا : فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة ، ح ٢٨٠ ، ٢/ ٦٤ .
البخاري : كتاب الإيمان ، باب (١٧) فإن تابوا وأقاموا الصلوة . . . ، ١/ ١٣ . وكتاب الصلاة ، باب (٢٨) فضل استقبال القبلة ، ١/ ١٠٩ . وكتاب الزكاة ، باب (١) وجوب الزكاة ، ٢/ ١٣١ . وكتاب الاعتصام ، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ٩/ ١١٥ . كتاب استتابة المرتدين ، باب (٣) من أبى قبول الفرائض ، ٩/ ١٩ . مسلم : كتاب الإيمان ، باب (٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا . . . ، ١/ ٥١ـ٥٣ ، ح٣٢ـ٣٦ . أبوداود : كتاب الزكاة ، باب (١) ، ٢/ ٩٣ . وكتاب الجهاد ، باب (٩٥) على ما يقاتل المشركون ، ٣/ ٤٤ ، ح ٢٦٤٠ ، ح١٥٥٦ .
الترمذي : كتاب الإيمان ، باب (١ـ٢) ، ٥/ ٣ـ٤ ، ح٢٦٠٦ـ٢٦٠٨ . وكتاب التفسير ، باب (٧٨) سورة الغاشية : ٥/ ٤٣٩ ، ح٣٣٤١ . ابن ماجة : المقدمة ، باب (٩) في الإيمان ، ١/ ٢٧ـ٢٨ ، ح٧١ـ٧٢ .

٢ ـ كتب في الهامش : «تمام الحديث : «فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم و أموالَهم إلا بحقِها ، وحسابُهم على الله» .
قال بعض العلماء : «إنّ الله تعالى جعل العذابَ عذابين : أحدهما السيف ـ في يد المسلمين ـ والثاني عذاب الآخرة . و السيف في غلاف يُرى ، و النار في غلاف لايُرى ؛ فقال تعالى لرسوله ﷺ : من أخرج لسانَه من الغلاف المرئي ـ وهو الفم ـ فقال : «لاإله إلاّ الله» أدخلنا السيفَ في الغمد المرئي . ومن أخرج لسانَ قلبه من الغلاف الذي لايُرى ـ وهو غلاف الشرك ـ فقال : «لاإله إلا الله» أدخلنا سيفَ عذاب الآخرة في غمد الرحمة ؛ واحدة بواحدة ، جزاء ولاظلم اليوم» ـ انتهى كلامه ـ منه عفي عنه» .

سُئل بعض أهل المعرفة والتوحيد عن الدليل على إثبات الصانع فقال: «لقد أغنى الصباحُ عن المصباح».

واعلم أن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمينان، كمّا وكيفا، شدّةً وضعفا، سرعةً وبطؤًا، حالاً وعلما، وكشفا وعيانا، وإن كان أصل المعرفة فطريًا ضروريًا، أو يهتدى إليه بأدنى تنبيه.

فلكلٍّ طريقةٌ هداه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إليها إن كان من أهل الهداية، و «الطرُق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»[1]، و ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ ﴾ [٣/١٦٣] و ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [٥٨/١١].

١ـ نسب إلى النبي ﷺ (جامع الأسرار: ٨) ولم أعثر عليه في الجوامع الروائية.

فصل [٧]

قال بعض العلماء[1] :

اعلم أنّ أظهر الموجودات وأجلاها هو الله عزّ وجلّ[2] ، فكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أوّل المعارف وأسبقُها إلى الأفهام ، وأسهلها على العقول ، ونرى الأمرَ بالضدِ من ذلك ؛ فلابدَّ مِن بيان السبب فيه .

وإنّما قلنا : « إنّ أظهر الموجودات وأجلاها هوالله تعالى » لمعنى لاتفهمُه إلاّ بمثال : وهو أنّا إذا رأينا إنسانا يكتبُ أو يخيطُ ـ مثلا ـ كان كونُه حيًا من أظهر الموجودات ، فحياتُه وعلمُه وقدرتُه للخياطة ، أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ؛ إذ صفاتُه الباطنةُ ـ كشهوته وغضبه وخُلقه وصحّته ومرضه ، وكلّ ذلك لانعرفُه ، وصفاتُه الظاهرةُ لانعرف بعضَها ، وبعضُها نشكّ فيه ـ كمقدار طوله ، و اختلاف لون بشَرَته ، و غير ذلك من صفاته ـ ؛ أمّا حياتُه وقدرتُه وإرادتُه وعلمُه وكونُه حيوانا ، فإنّه جليٌّ عندنا من غير أن يتعلّق حسُّ البصر بحياته وقدرته وإرادتِه ، فإنّ هذه الصفات لاتُحَسُّ بشيءٍ من الحواسِّ الخمس .

١ـ الغزالي : إحياء علوم الدين ، كتاب المحبّة والشوق ، بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى : ٤/٤٦٤ ـ٤٦٧ . راجع أيضا الوافي : ٤/٥٩ .

٢ـ في هامش النسخة : «لأنّ كلّ ما هو أقوى وجودا فهو أشدّ ظهورا ؛ إذ الوجود هوالنور ؛ والله أقوى الموجودات لأنّ وجودات ماسواه منه وبه حصلت ، وبإشراق ذاته عليها ظهرت ـ منه» .

ثمّ لا يمكن أن يعرف حياتُه وقدرتُه وإرادتُه ، إلاّ بخياطته وحركته ؛ فلونظرنا إلى كلّ ما في العالَم سواه لم نعرف به صفاتَه، فما عليه إلاّ دليلٌ واحدٌ ، وهو مع ذلك جليٌّ واضحٌ ؛ و وجودُ الله وقدرتُه وعلمُه وسائرُ صفاتِه، يشهد له بالضرورة: كلُّ ما نشاهده ونُدركه بالحواسِّ الظاهرة والباطنة ـ من حجَرٍ ومدَرٍ، ونباتٍ وشجَرٍ وحيوانٍ ، وسماءٍ وأرضٍ وكوكبٍ ، وبَرٍّ وبحرٍ ، و نارٍ و هواءٍ ، و جوهرٍ و عرَضٍ ـ بل أوّل شاهدٍ عليه أنفُسُنا وأجسامُنا وأصنافُنا[1] ، وتقلُّبُ أحوالِنا ، وتغيُّر قلوبِنا ، وجميعُ أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا ؛ وأظهرُ الأشياءِ في علمِنا أنفسُنا ، ثمّ محسوساتُنا بالحواسّ الخمس ، ثمّ مدرَكاتُنا بالبصيرة والعقل، وكلُّ واحد من هذه المدرَكات له مدرِكٌ واحدٌ وشاهدٌ واحد ودليلٌ واحد ، وجميعُ ما في العالَم شواهد ناطقة، وأدلّة شاهدة بوجود خالقها و مدبِّرها و مصرِّفها و محرِّكها ، و دالّة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته، والموجودات المدرَكة لاحصر لها .

فإن كان حياةُ الكاتب ظاهرةً عندنا وليس يشهد له إلاّ شاهدٌ واحدٌ ـ و هو ما أحسسنا[2] من حركة يده ـ فكيف لايظهر عندنا من لايتصوَّر في الوجود شيءٌ داخل نفوسنا وخارجها إلاّ وهو شاهدٌ عليه وعلى عظمته وجلاله، إذ كلُّ ذرّةٍ فإنّها تنادي بلسان حالها أنّه ليس وجودُها بنفسها ، ولا حركتها بذاتها ؛ وإنّما تحتاج إلى موجدٍ ومحرِّكٍ لها .

١ـ الإحياء والمحجة : أوصافنا .

٢ـ الإحياء والمحجة : أحسسنا به .

يشهد بذلك أولا تركيبُ أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا وتشكُّل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإنّا نعلم أنّها لم تأتلف بنفسها، كما نعلم أنّ يدَ الكاتب لم تتحرّك بنفسها.

ولكن لمّا لم يبقَ في الوجود مدرَكٌ ومحسوسٌ ومعقولٌ وحاضرٌ وغائبٌ إلاّ وهو شاهدٌ عليه ومعرِّفٌ له، عظم ظهوره[1]؛ فانبهرت العقولُ، ودهشت عن إدراكه.

فإذن ما يقصر عن فهمه عقولُنا، له سببان:

أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه ـ وذلك لايخفى مثالُه.

والآخر ما يتناهى وضوحُه، وهذا كما أنّ الخفّاش يبصر بالليل، ولا يبصر بالنهار ـ لا لخفاء النهار واستتاره، ولكن لشدّة ظهوره، فإنّ بصرَ الخفّاش ضعيفٌ، يبهره نورُ الشمس إذا أشرق، فيكون قوّة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره، فلا يرى شيئا إلاّ إذا امتزجَ الظلامُ بالضوءِ وضعَفَ ظهورُه؛

فكذلك عقولُنا ضعيفةٌ، وجمالُ الحضرة الإلهيّة في نهاية الإشراق والاستنارة، وفي غاية الاستغراق والشمول، حتّى لايشذّ[2] عن ظهوره ذرّةٌ من ملكوت السماوات والأرض، فصار

١ـ في الإحياء والمحجة: وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره. وفي نسخة الأصل أيضا كتب كذلك أولا ثم استدرك وكتب «عليه» و «له» فوق الخط.

٢ـ في الإحياء والمحجة: لم يشذ.

ظهورُه سببَ خفائه . فسبحان من احتجب بإشراق نوره ، و اختفى عن البصائر والأبصار بظهوره[1] .

ولا يتعجّب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإنّ الأشياء تُستبان بأضدادها ، وما عمّ وجودُه ـ حتّى [أنّه][2] لاضدّ له ـ عَسُر إدراكُه ؛ فلو اختلف الأشياءُ ، فدلّ بعضُها دون البعض ، أُدرك التفرقةُ على قُرب ، ولمّا اشتركت في الدلالة على نسقٍ واحد ، أشكل الأمرُ.

ومثالُه نورُ الشمس المُشرق على الأرض : فإنّا نعلم أنّه عَرَضٌ من الأعراض يحدث في الأرض ، ويزول عند غيبة الشمس ، فلوكانت الشمسُ دائمةَ الإشراق ـ لاغروب لها ـ لكُنّا نَظنُّ أن لا هيئة في الأجسام إلاّ ألوانها ، وهي السواد والبياض وغيرهما ؛ فإنّا لانُشاهد في الأسود إلاّ السواد ، وفي الأبيض إلاّ البياض ؛ فأمّا الضوءُ فلا ندركه وحده ، لكن لمّا غابت الشمسُ وأظلمت المواضعُ ، أُدركت تفرقة بين الحالتين ؛ فعَلِمنا أنّ الأجسام كانت قد استضاءت بضوءٍ ، واتّصفت بصفة فارقتها عند الغروب ، فعرفنا وجودَ النور بعدمه ، وما كنّا نطّلع عليه ـ لولا عدمُه ـ إلاّ بعُسرٍ شديدٍ ؛ وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهةً غير مختلفةً في الظلام والنور .

هذا مع أنّ النورَ أظهرُ المحسوسات ـ إذ به يُدرَك سائرُ

---

١ ـ في هامش النسخة :

حجاب روي تو هم رويِ تُست در همه حال نهاني از همه عالم زبسكه پيدائى

٢ ـ زيادة من الإحياء والمحجة .

المحسوسات ـ فما هو ظاهرٌ في نفسه وهو مُظهِر لغيره، أُنظر كيف تصوُّرُ استبهام أمره بسبب ظهوره ـ لولا طريانُ ضدِّه ـ .

فإذن الربُّ ـ تعالى ـ هو أظهرُ الأُمور، وبه ظهرت الأشياءُ كلُّها، ولوكان له عدمٌ أو غيبةٌ أو تغيُّرٌ، لانهدّت السماواتُ والأرضُ، وبطل الملكُ والملكوتُ، ولأُدركت التفرقةُ بين الحالتين؛ ولوكان بعضُ الأشياء موجودا به وبعضُها موجودا بغيره، لأُدركت التفرقةُ بين الشيئين في الدلالة؛ ولكن دلالته عامّةٌ في الأشياء على نسقٍ واحدٍ، ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافُه، فلاجرم أورث شدّةُ الظهور خفاءً.

فهذا هو السبب في قصور الأفهام.

وأمّا من قويت بصيرتُه، ولم تضعف مُنّته، فإنّه في حال اعتدال أمره لا يَرى إلاّ الله وأفعالَه[١]، وأفعالُه أثرٌ من آثار قدرته، فهي تابعة له، فلا وجود لها بالحقيقة[٢]، وإنّما الوجود للواحد الحقِّ الذي به وجودُ الأفعال كلِّها.

ومَن هذا حالُه فلا ينظر في شيءٍ من الأفعال إلاّ ويرى فيه الفاعلَ، ويذهل عن الفعل من حيث أنّه سماءٌ وأرضٌ، وحيوانٌ وشجرٌ؛ بل ينظر فيه من حيث أنّه صُنع[٣]، فلا يكون نظرُه مجاوزا له إلى غيره؛ كمَن نَظر في شِعر إنسان، أو خطِّه، أو

١ـ المحجة : + ولايعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله.
٢ـ الإحياء والمحجة : + دونه.
٣ـ الإحياء والمحجة : + الواحد الحق.

تصنيفه، ورأى فيه الشاعرَ والمصنِّفَ، ورأى آثارَه من حيث هو آثارُه، لا من حيث أنّه حِبرٌ و عَفصٌ وزاجٌ مرقومٌ على بياضٍ، فلا يكون قد نظرَ إلى غير المصنِّف.

فكلُّ العالَم تصنيف الله ـ تعالى ـ فمَن نظرَ إليها من حيث أنّها فِعْل الله، وعرفها مِن حيث أنّها فِعْل الله، وأحبَّها من حيث أنّها فِعْل الله، لم يكن ناظرا إلاّ في الله، ولا عارفا إلاّ بالله، ولا محبّا إلاّ لله؛ وكان هو الموحِّد الحقّ الذي لا يرى إلاّ الله، بل لاينظر إلى نفسه من حيث نفسه؛ بل من حيث هو عبدُ الله[1].

فهذا هو الذي يقال فيه: «إنّه فنى في التوحيد، و إنّه فنى من نفسه»؛ وإليه الإشارة بقول من قال: «كُنّا بِنا، ففنَينا عَنّا، فبَقِينا بلا نحن».

فهذه أُمورٌ معلومةٌ عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها، وقصورِ قدرةِ العلماء عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهِمة موصلةٍ للغرض إلى الأفهام، أو لاشتغالهم بأنفسهم، واعتقادهم أنّ بيان ذلك لغيرهم مما لايعنيهم.

فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله ـ تعالى ـ.

وانظمّ إليه أنّ المدرَكات كلّها التي هي شاهدة على الله إنّما يدركها الإنسان في الصبى، عند فقد العقل[2] قليلا قليلا، وهو

١ـ في هامش النسخة:

بهرچه مى نگرم صورت تومى بينم وزان ميان همه درچشم من تو مى آئى

٢ـ الإحياء والمحجة: + ثم تبدو فيه غريزة العقل.

مستغرقُ الهمّ بشهواته، وقد أنس بمدرَكاته ومحسوساته وألِفَها، فسقط وقعُها عن قلبه بطول الأُنس، ولذلك إذا رأى على طريق الفجأة حيوانا غريبا، أوفعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجيبا: انطلق لسانُه بالمعرفة طبعا، فقال: « سبحان الله »؛ وهو يرى طولَ النهار نفسَه وأعضاءَه وسائرَ الحيوانات المألوفة ـ وكلُّها شواهد قاطعة ـ ولا يحسّ بشهادتها لطول الأُنس بها.

ولو فُرِض أكمهٌ بلغ عاقلا، ثمّ انقشعت غشاوة عن عينه، فامتدَّ بصرُه إلى السماء والأرض، والأشجار والنبات والحيوان ـ دفعةً واحدةً، على سبيل الفجأة ـ يخاف على عقله أن ينبهر، لعِظم تعجُّبه من شهادة هذه العجائب على خالقها.

فهذا وأمثاله من الأسباب، مع الانهماك في الشهوات هي التي سدّت على الخَلق سبيلَ الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة، والجليّات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة.

فهذا سرُّ[1] الأمر، فليتحقّق، ولذلك قيل:

لقد ظهرتَ فلا تخفى على أحدٍ
إلاّ على أكمه لايعرف القمَرا
لكن بطنتَ بما أظهرتَ محتجِبا
وكيف يعرف من بالعُرف استترا

انتهى كلامُه[2].

---

١ ـ يحتمل القراءة في النسخة: سدّالأمر.

٢ ـ إحياء علوم الدين: ٤/٤٦٧.

وفي كتاب التوحيد، بإسناده[1]، عن مولانا الكاظم عليه السلام: «ليس بينه وبين خَلقه حجاب غير خَلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور»[2].

وفي كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما يقرب منه[3].

وعنه عليه السلام[4]: «إنّ الله تجلّى لعباده من غير أن رأوه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلّى لهم».

وفي كلام مولانا الحسين بن عليّ عليه السلام في بعض دعواته[5]: «كيف يُستدَلُّ عليك بما هو في وجوده مفتقِرٌ إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور

١ـ التوحيد: باب نفي المكان والزمان والحركة، ١٧٩، ح١٢. عنه البحار: ٣/٣٢٧. وروي في التوحيد أيضاً (باب أنه عزّ وجلّ ليس بجسم ولا صورة، ٩٨، ح٥) عن الرضا عليه السلام: «... احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية...». عنه البحار: ٤/٢٦٣. ومثله في الكافي: كتاب التوحيد، باب النهي عن الجسم والصورة، ١/١٠٥، ح٣.

٢ـ في هامش النسخة:

از فريب نقش نتوان صورت نقاش ديد
ورنه دراين سقف زنگاري يكي دركار هست

٣ـ نهج البلاغة (الكتاب: ٣١): «... واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض... لم يجعل بينك و بينه من يحجبك عنه...». وفي الخطبة ١٩٥: «... فما قطعكم عنه حجابٌ ولا أُغلق دونه بابٌ، وإنّه لبكلّ مكان، وفي كلّ حينٍ وأوانٍ، ومع كلّ إنسٍ وجانٍّ...». وفي الكافي (كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد، ١/١٤٠، ح٥): «... لاتحجبه الحجب، والحجاب بينه وبين خَلقِه خَلقُه إيّاهم...».

٤ـ في الكافي (الروضة، ح٥٨٦: ص ٣٨٧) ونهج البلاغة (الخطبة: ١٤٧): «... فتجلّى لهم ـ سبحانه ـ في كتابه، من غير أن يكونوا رأوه...».

٥ـ إقبال الأعمال: دعائه عليه السلام في يوم عرفة: ٣٤٩. عنه البحار: ٩٨/٢٢٥ـ٢٢٦.

ما ليس لك، حتّى يكونَ هو المظهِر لك ؟! متى غِبتَ حتّى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك ؟! ومتى بعُدتَ حتّى تكونَ الآثارُ هي التي توصل إليك ؟! عَميتْ عينٌ لاتراك عليها رقيبا، وخسرت صفقةُ عبدٍ لم تجعل له من حبّكَ نصيبا».

وقال أيضا[1] : «تعرّفتَ لكلِّ شيءٍ فما جهلكَ شيءٌ».

وقال: «تعرّفت إليّ في كلِّ شيءٍ، فرأيتُك ظاهرًا في كلِّ شيءٍ، فأنتَ الظاهر لكلِّ شيءٍ».

فصل [٨]

اعلم أنّه لايعرف الله حقّ معرفته إلا الله ـ سبحانه ـ لأنّ الخلق كلهم لم يعرفوا إلا احتياج العالم المنظوم المحكم إلى صانع مدبّر، حيّ، عالم، سميع، بصير، قادر؛ وهذه المعرفة لها طرفان:

أحدهما يتعلّق بالعالم؛ ومعلومه احتياجه إلى مدبّر.

والآخر يتعلّق بالله؛ ومعلومه أسام مشتقّة من صفات غير داخلة في حقيقة الذات وماهيّته؛ وقد ثبت أنّه إذا أشار المشير إلى شيء وقال: «ماهو ؟» لم يكن ذكر الأسماء المشتقّة جوابا أصلا؛ فلوأشار شخصٌ إلى حيوان[2] فقال: «ماهو ؟»، فقال: «طويل» أو «أبيض» أو «بصير»؛ أو أشار إلى ماء فقال: «ماهو ؟»، فأجاب بأنّه «بارد»؛ أو إلى نار، فقال: «حارٌّ»: فكلّ ذلك ليس بجواب عن الماهيّة ألبتّة.

---

١ ـ إقبال الأعمال: من فقرات الدعاء المذكور: ٣٥٠. عنه البحار: ٩٨/٢٢٧.

٢ ـ في النسخة: فلو أشار إلى شخص حيوان.

والمعرفة بالشيء هي معرفة حقيقته وماهيّته، لامعرفة الأسامي المشتقّة؛ فإنّ قولنا: «حارّ»، معناه: شيء مبهم[١] له وصف الحرارة؛ وكذلك قولنا: «قادر» و «عالم»، معناه: شيء مبهم له وصف العلم والقدرة.

وأمّا قولنا: «إنّه واجب الوجود»، فهو عبارة عن استغنائه عن الفاعل، وهذا يرجع إلى سلب السلب عنه؛ وقولنا: «إنّه يوجد عنه كلّ موجود»، يرجع إلى إضافة الأفعال إليه؛ وإذا قيل له: «ماهذا الشيء؟»، فقلنا: «هوالفاعل»؛ لم يكن جوابا. فكيف قولنا: «هوالذي لاسبب له»؛ لأنّ كلّ ذلك إخبار عن غير ذاته، وعن إضافة له إلى ذاته، إمّا بنفي أو إثبات؛ وكلّ ذلك في أسماء وصفات وإضافات.

فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة أنّهم لايعرفونه، و أنّه لايمكنهم ـ ألبتّة ـ معرفته[٢]، و أنّه يستحيل أن يعرف الله ـ المعرفة الحقيقية المحيطة بكُنه صفات الربوبيّة ـ إلا الله

١ـ في النسخة: شيء له مبهم له.

٢ـ في هامش النسخة:

مطلق كه بود زهر صفت پاك   هرگز نتوان نمودش ادراك
زان رو كه به عقل چون درآيد   البتّه به صورتى برآيد
پس هرچه تو مى كنى خيالش   باشد زمظاهر جمالش

* * *

جهان متفق بر الهيّتش   فرومانده در كُنه ماهيّتش
نه ادراك در كُنه ذاتش رسد   نه فكرت به غور صفاتش رسد
نه بر اوج ذاتش پرد مرغ وهم   نه درذيل وصفش رسد دست فهم
كه خاصان درين ره فرس رانده اند   به «لاأُحصي» ازتك فرومانده اند

تعالى ؛ فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيّا ـ كماذكرناه ـ فقد عرفوه، أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حقّ الخلق من معرفته ؛ وهو الذي أشار إليه من قال : «العجز عن درك الإدراك إدراك».

بل هوالذي عناه سيّد البشر ـ صلوات الله عليه ـ حيث قال[1] : «لاأُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك». ولم يرد به أنّه عرف منه مالايطاوعه لسانه في العبارة عنه، بل معناه : أنّي لاأُحيط بمحامدك وصفات إلهيّتك، و إنّما أنت المحيط به وحدك.

وقال ﷺ[2] : «إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»[3] .

١ـ مسلم : كتاب الصلاة، باب (٤٢) مايقال في الركوع والسجود، ٣٥٢/١، ح٢٢٢.
أبوداود : كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود، ٢٣٢/١، ح٨٧٩.
ابن ماجة : كتاب الدعاء، باب (٣) ماتعوّذ منه رسول الله ﷺ، ١٢٦٣/٢، ح٣٨٤١. الترمذي : كتاب الدعوات، باب (٧٦)، ٥٢٤/٥، ح٣٤٩٣. المسند : ٩٦/١ و١١٨ و١٥٠. والشطر الأول منه في عوالي اللئالي : ٣٨٩/١. عنه البحار : ١٦٩/٨٥ـ١٧٠. وأخرج في الكافي (كتاب الصلاة، باب السجود والتسبيح في الفرائض والنوافل ... ، ٣٢٤/٣، ح١٢) بلفظ : «... لاأبلغ مدحك والثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك ...». عنه البحار : ٢٤٥/٢٢.

٢ـ استشهد بالحديث الشيخ البهائي ـ قده ـ في الأربعين، شرح ح٢، ٨٠. وابن عربي في الفتوحات المكية : الباب الثالث، ٩٥/١. وروى صاحب تحف العقول (٢٤٥) فيما نقل من كلمات سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في التوحيد : «... احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وعمن في السماء، احتجابه كمن في الأرض ...».

٣ـ في هامش النسخة :

گفت اينجا آشنايان در مقام حيرتند
دور نبود گر نشيند خسته و غمگين غريب

فإذن لايحظى مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة و الدهشة، وأما اتّساع المعرفة، فإنّما يكون في معرفة أسمائه وصفاته، وبها تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء في معرفة الله ـ عزّ وجلّ ـ فليس من يعلم أنّه عالم قادر ـ على الجملة ـ كمن شاهَد عجائب آياته في ملكوت السماوات والأرض، وخلق الأرواح والأجساد، واطّلع على بدائع المملكة، وغرائب الصنعة، مُمعِنا في التفصيل، ومستقصيا دقائق الحكم، ومستوفيا لطائف التدبير، ومتّصفا بجميع صفات الملكيّة، المقرّبة من الله ـ تعالى ـ نائلا لتلك الصفات نيل اتّصاف بها؛

بل بينهما من البون البعيد مالايكاد يحصى؛ وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الدرجات.

هذا ملخّص ما أفاده بعض العلماء ـ قدّس الله أسرارهم ـ وسيأتي فيما بعد مايؤكّده ويحقّقه؛ وسيّما في كلام مولانا أميرالمؤمنين ﷺ ـ إن شاء الله تعالى .

[٢]

باب

توحيده عزّوجلّ

﴿ اللهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٢/٢٥٥]

﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [٢٨/٨٨]

فصل [١]

روي في كتاب التوحيد[١] بإسناده عن شريح بن هاني[٢] قال: إنّ أعرابيًا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «يا أمير المؤمنين أتقول أنّ الله واحدٌ» ؟

---

١ ـ التوحيد : باب معنى الواحد : ٨٣ . الخصال : باب الواحد : ٢/١ . عنهما البحار : ٢٠٦/٣ .

٢ ـ قال ابن عبد البر (الاستيعاب : ١٤٩) : « شريح بن هانيء بن يزيد بن الحارث الحارثي بن كعب ، جاهلي اسلامي ، يكنى أبا المقدام . . . من أجلة أصحاب عليّ عليه السلام » . وقال ابن سعد (الطبقات : ١٢٨/٦) : «شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب من بني الحارث بن كعب ، روى عن عمر وعلي وسعد بن أبي وقاص و عائشة . . .» وقال ابن الخياط (الطبقات : الترجمة ١٠٦٥ ، ص ٢٥٠) : «شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك بن دويد (كذا) بن سفيان بن الضباب . . . قتل مع أبي بكرة بسجستان ، سنة ثمان وسبعين» راجع أيضا تاريخ ابن الخياط : سنة ثمان وسبعين : ٢١٢ . سير أعلام النبلاء : ١٠٧/٤ . الإصابة : الترجمة ٣٩٧٢ .
وثّقه العامة ولم يذكر عنه شيء في كتب رجال الشيعة جرحا وتعديلا .
راجع جامع الرواة : ٣٩٩/١ ، رقم ٣٢٥٧ . معجم الرجال : ١٨/٩ .

ـ قال :ـ فحمل الناسُ عليه، وقالوا : «يا أعرابي، أما ترى ما فيه أميرُالمؤمنين من تقسُّم القلب» ؟

فقال أميرُالمؤمنين ﷺ : « دعوه، فإنَّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم» .

ـ ثمَّ قال :ـ « يا أعرابي ، إنَّ القولَ في أنَّ الله واحدٌ ، على أربعة أقسام : فوَجهان منها لايجوزان على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ و وجهان يثبتان .

فأمَّا الذان لايجوزان عليه، فقول القائل : «واحدٌ» يقصد به بابَ الأعداد[1] ؛ فهذا ما لا يجوز ، لأنَّ ما لا ثانيَ له لا يدخل في باب الأعداد ؛ أما ترى أنَّه كَفَّر مَن قال : «إنَّه ثالث ثلاثة» ؟ وقول القائل : «هو واحدٌ من الناس» يريد به النوع من الجنس ؛ فهذا ما لا يجوز عليه، لأنَّه تشبيهٌ، وجلَّ ربُّنا وتعالى عن ذلك .

وأمَّا الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل : «هو واحد ليس له في الأشياء شِبهٌ» ـ كذلك ربُّنا ـ و قولُ القائل : «إنَّه ربُّنا ـ عزَّ وجلَّ ـ أحديُّ المعنى» يعني به أنَّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربُّنا عزَّ وجلَّ »[2] .

١ـ كتب في هامش النسخة :

احد است و شمار ازو معزول صمد است و نياز ازو مخذول

آن احدى كه عقل داند و فهم وان صمدى كه حس شناسد و وهم

٢ـ ورد هذا الفصل في عين اليقين أيضا : ٣٠٤ـ٣٠٥ .

فصل [٢]

الدليل على أنّ الله ـ سبحانه ـ واحدٌ بالمعنيين من جهة النقل من الكتاب والسنة كثيرٌ.

ومن جهة العقل:[١] أنّه ـ عزّ وجلّ ـ لو كان منقسما في وجودٍ أو عقلٍ أو وهمٍ لكان محتاجا ؛ لأنّ كلّ ذي جزءٍ فإنّما هو بجزئه يتقوّم ، وبتحقّقه يتحقّق وإليه يفتقر ، وهو الله ـ سبحانه ـ غنيٌّ عن العالمين.

وأيضا : لوكان ذاجزءٍ لكان جزؤه متقدِما عليه وأوّلا له، فيكون الجزء أولى بأن يكون إلٰها منه ـ سبحانه ـ .

و من هنا يظهرأنّ وجوده ـ عزّ وجلّ ـ ليس معنى وراء ذاته جلّ وعزّ زائدا عليها ؛ بل هو عين الوجود البحت الغير المنقسم ـ لا وهما ولا عقلا ولا عينا ـ .

و إذا كان كذلك كان واحدا بالمعنى الآخر أيضا ، ولا شريك له ولا نظير، إذ لاتعدُّد في صِرْف شيءٍ؛ ونِعم ما قيل[٢] : «صِرف الوجود ـ الذي لا أتمّ منه ـ كلّ مافرضتَه ثانيا ، فإذا نظرتَ فهو هو، إذ لامَيز في صِرف شيءٍ» . فإذن: ﴿ شَهِدَ اللهُ انّه لا إله إلاّ هُو ﴾[٣] [١٨/٣] .

١ـ راجع المبدء والمعاد : ٤١ .

٢ـ مجموعه آثار شيخ اشراق : التلويحات ، المورد الأول ، التلويح الأول : ٣٥/١ .

٣ـ كتب في هامش النسخة :

هم توئى ـ اى قديم فرد اله ـ وحدت خويش را دليل وگواه
« شهد الله » تو بشنو وتو بگو « وحده لا اله الاّ هو »

قال بعض العلماء[1] :

المتفرّد بالوجود هوالله ـ سبحانه ـ إذ ليس موجود معه سواه، فإنّ ما سواه أثرٌ من آثار قدرته لا قوام له بذاته ، بل هو قائمٌ به، فلم يكن موجودا معه، لأنّ المعيَّة توجِب المساواة في الرتبة، والمساواة في الرتبة نقصانٌ في الكمال، بل الكمال لمن لا نظير له في رتبته .

وكما أنّ إشراق نورالشمس في أقطارالآفاق ليس نقصا في الشمس ـ بل هو من جملة كمالهـ[ـا] ـ وإنّما نقصان الشمس بوجود شمس أُخرى تُساويها في الرتبة ....، فكذلك وجود كلِّ ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ...

فإذن معنى الربوبيّة التفرُّد بالوجود ـ وهو كمال[2] ـ .

فصل[3] [٣]

ومن الدلائل التي قيلت[4] : أنّه لو اقتضى ذاتُه ـ من حيث هو ولأنّه غنيٌّ بذاته ـ أن يكون هذا بعينه ، فلايصحُّ أن يكون غيره ؛ و إن كان بسبب مّا صار هذا ، فيكون هذا فقيرا ـ تعالى الله عن ذلك ـ

فإذن : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

١ـ إحياء علوم الدين : كتاب ذم الجاه والرياء ، سبب كون الجاه محبوبا. . . : ٤١٢/٣ .

٢ـ الإحياء : وهو الكمال .

٣ـ عين اليقين : ٣٠٣ .

٤ـ راجع المبدء والمعاد : ٤٤ و٥٢ .

وأيضا لو تعدَّدَ فلا يمتاز أحدهما عن الآخر بنفس ما اشتركا فيه، ولابلازمه - وهوظاهر - ولابعارض غريب، إذ ليس ورائهما مخصِّص؛ و إن خصَّص أحدُهما نفسَه أو صاحبَه ، فيكونان قبل التخصُّص متعيَّنين لا بالمخصِّص؛ هذا محال فـ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [١١٢/٤] .

وأيضا إمّا أن يقتضي ذاتُه الوحدةَ ، فلا يكون إلاّ واحدا ؛ أو التعدُّدَ ، فلا يوجد في واحدٍ ، وإذ لا واحد ، فلا متعدِّد؛ أو لاذا ولاذاك، فيتساوى نسبةُ مراتب الأعداد إليه، فالتعيُّن إمّا لمرجِّح: فيفتقر إليه؛ أو لا لمرجِّح: فيلزم الترجيح بلا مرجِّح؛ فلا ندَّ له .

وأيضا لو تعدَّد، فإمّا أن يفتقر كلٌّ منهما أو أحدهما إلى الآخر، فلا يكون غنيًّا مطلقا ولا وجودا تامًّا ؛ أو يستغني عنه، فيكون المستغنى عنه عادما لكمال ما هو فقرُ كلّ شيء إليه، ومفتقرا في تحصيله إلى غيره، ولزم المحذور أيضا ؛ فـ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [١٦/٥١] .

وأيضا يلزم أن يكون أثرُ أحدهما بعينه ممكنا أن يكون أثرَ الآخر ، لاتّفاقهما في الحقيقة - أعني الوجود الأتمّ - فاستناده إلى أحدهما دون الآخر يوجب ترجُّحا بلا مرجِّح، وصدوره عنهما جميعا يوجِب صدورَ أمرٍ واحد بالشخص عن متعدِّد - و كلاهما محال - فإذن لو كان في السماوات و الأرض ﴿ آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [٢١/٢٢] ولم توجدا .

فصل [٤]

قيل[1] : وكما أنّ ائتلاف أعضاء الشخص الواحد الإنساني منتظمةً في رباطٍ واحدٍ، منتفعةً بعضُها عن بعض مع اختلافها وامتيازها عن بعض : يدلُّ على أنّ مدبِّرها وممسِكها عن الانحلال قوّةٌ واحدةٌ ومبدءٌ واحدٌ : فكذلك ارتباط الموجودات بعضها ببعض على الرصْف الحقيقي والنظم الحِكمي دليلٌ على أنّ مُبدعها ومدبِّرها وممسِك رباطها أن ينفصم واحدٌ حقيقيٌّ ﴿ يُمسِكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ ﴾ [٤١/٣٥] إذ لوكان معه من إله لتميّز صُنعُ بعضهم عن بعض، فينقطع الارتباط، ويختلّ النظام ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٩١/٢٣].

وسُئل مولانا الصادق عليه السلام[2] : « ما الدليلُ على أنّ الله واحدٌ » ؟ قال : « اتّصالُ التدبير وتمامُ الصُّنع ؛ كما قال ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [٢٢/٢١] » .

وقال مولانا أميرُالمؤمنين ـ عليه الصلوة والسلام ـ في وصاياه لابنه الحسن عليه السلام[3] : « واعلم يا بُنيّ أنّه لو كان لربّك شريكٌ لأتتْك رسلُه، ولرأيتَ آثارَ ملكه وسلطانه، ولعرفتَ أفعالَه وصفاته، ولكنّه إلهٌ واحدٌ كما وصفَ نفسَه، لايضادّه في ملكه أحد ولا يزول أبداً » .

---

١ ـ عين اليقين : ٣٠٤ . راجع المبدء والمعاد : ٦٢ .

٢ ـ التوحيد : باب الرد على الثنويّة : ٢٥٠ . عنه البحار : ٢٢٩/٣ .

٣ ـ نهج البلاغة : الرسالة ٣١ . عنه البحار : ٣١٧/٤ . وجاء مع فروق يسيرة في تحف العقول : ٧٢ـ٧٣ . عنه البحار : ٢٢١/٧٧ .

[٣]

باب

تنزيه سبحانه

﴿ سُبحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

[١٧/٤٣]

فصل [١]

روَيا في كتابَي الكافي والتوحيد بإسنادهما[1] عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال :ـ « إنّ الله عظيمٌ رفيعٌ لايقدر العباد على صفتِه ، ولايبلغون كُنهَ عظمته ، لاتُدركه الأبصارُ و هو يدرك الأبصارَ ، و هو اللطيفُ الخبير ، ولا يوصف بكيف ولا أين و حيث .

وكيف أصِفه بالكيف ؟ وهوالذي كيّف الكَيف حتّى صاركَيفًا فعُرفت الكيفُ بما كيّف لنا من الكَيف .

أم كيف أصفه بأين ؟ وهو الذي أيّنَ الأينَ حتّى صار أينًا ، فعُرفت الأينُ بما أيّنَ لنا من الأين .

١ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه تعالى ، ١٠٣/١ ، ح١٢ . التوحيد : باب ماجاء في الرؤية : ١١٥ ، ح١٤ . عنه البحار : ٢٩٧/٤ ، ح٢٦ .

أم كيف أصفه بحيث ؟ وهوالذي حَيَّثَ الحَيثَ حتّى صارحَيثًا ، فعُرفت الحيثُ بما حيَّث لنا من الحَيث .

فالله تعالى داخل في كلِّ مكان وخارجٌ من كلِّ شيءٍ ﴿لاتُدرِكُه ٱلأَبصَارُ وَ هُوَ يُدرِكُ ٱلأَبصَارَ﴾ [١٠٣/٦] ، لاإله إلاّ ﴿هو العليُّ العظيم﴾ [٢٥٥/٢] ، ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [١٠٣/٦] »[1] .

وبإسنادهما الصحيح[2] عنه ـ قال :ـ « إنّ الله ـ تعالى ـ خِلو من خَلقه ، وخَلقه خِلو منه ، وكلُّ ما وقع عليه اسمُ شيءٍ ـ ماخلا الله ـ فهو مخلوقٌ ، والله خالقُ كلِّ شيءٍ » .

وبإسنادهما[3] عن أبيه الباقر أنّه سُئل : «أيجوز أن يقال : إنّ الله شيءٌ» ؟ قال : « نعَم ، تُخرجه من الحدَّين : حدّ التعطيل ، وحدّ التشبيه »[4] .

١ـ في هامش النسخة :

خود مكان آفرين مكان چه كند آسمان گر خود آسمان چه كند

٢ـ الكافي : باب إطلاق القول بأنه شيءٌ ، ٨٣/١ ، ح٥ . التوحيد : باب أنه تبارك وتعالى شيءٌ : ١٠٥ ، ح٣ . ورويا الحديث عن الباقر أيضا بلفظه : نفس الصفحتين . البحار : ٢٦٣/٣ ، ح٢٠ . و٣٢٢/٣ ، ح١٨ . و١٤٩/٤ ، ح٣ . راجع أيضا ماجاء في التوحيد : ٥٨ ، ح١٦ .

٣ـ الكافي : الباب السابق : ٨٥/١ ، ح٧ . أيضا٨٢/١ ، ح٢ عن أبي جعفرالثاني بلفظه . التوحيد : الباب السابق : ١٠٤ ، ح١ . معاني الأخبار : ٨ . عنها البحار :٢٦٠/٣ و٢٦٢ ، ح٩ و١٨ . المحاسن (مصابيح الظلم ، ٢٤٠/١ ، ح٢٢٠) : «سئل أبوجعفر : أيجوز أن يقال لله : إنه موجود؟ . . .» . عنه البحار : ٢٦٥/٣ ، ح٢٩ .

٤ـ في هامش النسخة :

شيأم از روى حقيقت نه ازان شيء مجازى آفريننده اشيا و خداوند جهانم

أقول : و يصدِّق هذا الحديث قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [١٩/٦] .

وبإسنادهما[١] عنه عليه السلام أنّه سُئل عمّا يروون : «إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ خلق آدمَ على صورته» ؟ فقال : «هي صورةٌ محدَثةٌ مخلوقةٌ ، اصطفاها اللهُ واختارها على سائر الصوَر المختلفة ، فأضافها إلى نفسه ، كما أضاف الكعبةَ إلى نفسه ، والروحَ إلى نفسه فقال : ﴿ بَيْتِيَ ﴾ [١٢٥/٢] ، وقال : ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [٢٩/١٥] .

وبإسنادهما[٢] عن يعقوب السراج[٣] قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام «إنّ بعض أصحابنا يزعم أنّ لله صورةً مثل صورة الإنسان ، وقال آخر «إنّه في صورة أمرد جعد قطط[٤]» . فخرَّ أبو عبدالله عليه السلام ساجداً ، ثمّ رفع رأسَه فقال : « سبحان الله الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [١١/٤٢] ،

١ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب الروح ، ١٣٤/١ ، ح٤ . التوحيد : باب أنه عزّ وجلّ ليس بجسم ولاصورة : ١٠٣ ، ح١٨ . الاحتجاج : احتجاجات الباقر عليه السلام ، ١٧٢/٢ . البحار : ١٣/٤ ، ح١٥ .

٢ـ التوحيد : الصفحة السابقة . عنه البحار : ٣٠٤/٣ . والرواية غير موجودة في الكافي .

٣ـ عده البرقي (٢٩) من أصحاب الصادق عليه السلام . وقال النجاشي (الترجمة : ١٢١٧ . ص ٤٥١) «يعقوب السراج ، كوفي ثقة له كتاب . . .» وعده الشيخ المفيد ـ قده ـ (الإرشاد : باب ذكر الامام الكاظم عليه السلام ، فصل في النصّ عليه بالإمامة : ٢١٦/٢) ضمن «شيوخ أصحاب أبي عبدالله الصادق عليه السلام و خاصّته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رضوان الله عليهم» . راجع أيضا : جامع الرواة : ٣٤٧/٢ . معجم الرجال : ١٥٥/٢٠ .

٤ـ جَعُدَ الشَعرُ ـ بضم العين وكسرها ـ جُعودة : إذا كان فيه التواء وتقبُّض ، فهو جَعْدٌ . وذاك خلاف المسترسل . شَعْرٌ قَطٌّ ـ وقَطَط أيضا ـ شديد الجُعودة (مصباح) . وكتب في هامش النسخة : «جعد قطط : أي كثير الجعودة» .

و ﴿ لا تُدْرِكه ٱلأَبصَارُ ﴾ [١٠٣/٦] ولا يُحيط به علمٌ ؛ ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ـ لأنّ الولدَ يُشبه أباه ـ ﴿وَ لَمْ يُولَدْ﴾ ـ فيُشبه من كان قبلَه ـ ﴿ وَ لَمْ يَكُن لَّهُ ﴾ ـ من خَلقه ـ ﴿ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ تعالى عن صفة مَن سواه عُلوّا كبيرا » .

وبإسنادهما[1] عن إبراهيم بن محمد الخزّاز[2] ومحمد بن الحسين[3] ـ قالا ـ : دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له[4] أنّ محمّدا رأى ربّه في صورة الشابّ الموفّق[5] ، في سنّ أبناء ثلاثين سنة ؛ و قلنا[6] : هشام بن سالم[7] وصاحب الطاق[8]

١ـ الكافي : باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه تعالى : ١٠٠/١ ، ح٣.
التوحيد : باب ماجاء في الرؤية : ١١٣ ، ح١٣ . عنه البحار : ٣٩/٤ ، ح١٨ .
راجع أيضا التوحيد : باب أنه عز وجل ليس بجسم ولاصورة ، ٩٧ و٩٩ ، ح١ و٢ و٦ . البحار : ٣٠٠/٣ و٣٠٣ ، ح٣٣ و٣٧ .
٢ـ مجهول ، لم يذكر عنه شيء غير روايته هذه . راجع معجم الرجال : ٢٩٠/١ .
٣ـ مجهول ، وقد جاء هذا العنوان في كثير من الروايات ، راجع معجم الرجال : ٢٦٨/١٥ .
٤ـ التوحيد : فحكينا له ماروي أن محمّدا . . .
٥ـ قال ـ ره ـ في الوافي (٤٠٧/١) : الموفّق : الذي وصل في الشباب إلى الكمال ، وجمع بين تمام الخلقة وكمال المعنى في الجمال ؛ أو الذي هيّئت له أسباب الطاعة والعبادة .
٦ـ في التوحيد : في سن أبناء ثلاثين سنة ، رِجلاه في خضرة ، وقلنا أنّ هشام . . .
٧ـ هشام بن سالم الجواليقي من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام متفق على وثاقته . راجع معجم الرجال : ٢٩٧/١٩ .
٨ـ قال النجاشي (الترجمة ٨٨٦ . ص ٣٢٥) : «محمّد بن علي بن النعمان بن أبي طُرَيفة البَجلي مولىً ، الأحول ، أبوجعفر ، كوفي صيرفي ، يلقب مؤمن الطاق وصاحب الطاق ؛ و يلقبه المخالفون شيطان الطاق . . . فأما منزلته في العلم وحسن الخاطر فأشهر» .
وقال الشيخ (الفهرست : ٣٢٣) : «محمد بن النعمان الأحول . . . وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وكان ثقة متكلما حاذقا حاضر الجواب » .
راجع التحقيق حول اسم أبيه (علي أو النعمان) في قاموس الرجال : ٣١١/٨ ، من الطبعة الأولى . راجع أيضا اختيار معرفة الرجال : ١٨٥ . جامع الرواة : ٢/ ٢٠٨ . معجم الرجال : ٣٢/١٧ .

والميثمي[١] يقولون: «إنّه أجوف إلى السرّة، والبقيّةُ صمدٌ»[٢]. فخرّ عليه السلام ساجدا لله ثمّ قال:

«سبحانك ـ ما عرفوك ولا وحّدوك، فمن أجل ذلك وصفوك؛ سبحانك ـ لو عرفوك لوصفوك بما وصفتَ به نفسك؛ سبحانك ـ كيف طاوعتْهُم أنفسهم أن يشبّهوك بغيرك؛! اللهم لاأصِفك إلاّ بما وصفتَ به نفسكَ، ولا أُشبِّهك بخَلقك؛ أنت أهلٌ لكلّ خير فلا تجعلني من القوم الظالمين».

ثمّ التفتَ إلينا فقال: «ما توهّمتم من شيءٍ فتوهّموا اللهَ غيره»[٣].

١ـ قال الكشي (اختيار: ٤٦٨): «قال حمدويه، عن الحسن بن موسى، قال: أحمد بن الحسن الميثمي كان واقفياً. قال النجاشي (الترجمة ١٧٩. ص٧٤): «أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمّار، مولى بني أسد، قال أبو عمرو الكشي: كان واقفا... وهو على كل حال ثقة، صحيح الحديث، معتمد عليه». جامع الرواة: ٤٤/١. راجع: قاموس الرجال: ٤١٩/١ـ٤٢٢. معجم الرجال: ٧١/٢.

٢ـ قال المؤلف في الوافي (٤٠٧/١): والصمد يقابل الأجوف، يعني به المصمت. وتوجيه كلامهم أنّهم زعموا أنّ العالم كله شخص واحد وذات واحدة، له جسم وروح؛ فجسمه جسم الكل ـ أعني الفلك الأقصى بمافيه ـ وروحه روح الكلّ؛ والمجموع صورة الحق الإله. فقسمه الأسفل الجسماني أجوف، لمافيه من معنى القوة الإمكانيّة والظلمة الهيولويّة، الشبيهة بالخلأ والعدم. و قسمه الأعلى الروحاني صمدٌ، لأن الروح العقلي موجود فيه بالفعل، بلاجهة إمكان استعدادي ومادّة ظلمانيّة ـ تعالى الله عن التشبيه والتمثيل...». ولايخفى أن توجيه كلامهم ـ لوصحّ عنهم ـ بمثل هذه الوجوه لايخلو عن التكلّف.

٣ـ في هامش النسخة:

هرچه در وهم تو گنجد كه من آنم، نه من آنم
هر چه در خاطرت آيد كه چنانم، نه چنانم
هرچه در فهم تو گنجد، همه مخلوق بود آن
در حقيقت تو بدان بنده كه من خالق آنم

ثمّ قال : « نحن ـ آلُ محمّدٍ ـ النمطُ الأوسط ، الذي لايدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي ؛

يا محمّد ، إنّ رسول الله ﷺ حين نظَرَ إلى عظمة ربّه ، كان في هيئة الشابّ الموفّق ، وسنّ أبناء ثلاثين سنة .

يا محمّد ، عظم ربّي وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين » .

ـ قال :ـ قلت : « جُعلت فداك ، مَن كانت رِجلاه في خضرة » ؟

قال : « ذلك محمّد ، كان إذا نظَر إلى ربّه بقلبه ، جَعله في نورٍ ، مثل نور الحجب ، حتّى يستبين له ما في الحجب ؛ إنّ نورالله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غيرذلك[1] .

يا محمّد ، ما شَهِد به[2] الكتابُ والسنّةُ ، فنحن القائلون به » .

وبإسنادهما[3] الصحيح عن مولانا الصادق ﷺ أنّه سُئل عمّا يروون من الرؤية . فقال :

« الشمسُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزءٌ من سبعين جزء من نورالعرش ، والعرشُ جزءٌ من سبعين جزء من نورالحجاب ، والحجابُ جزءٌ من سبعين جزء من نورالستر ، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ، ليس دونها سحاب » .

---

١ ـ التوحيد : إنّ نور الله منه أخضر ما أخضر ، ومنه أحمر ما أحمر ، ومنه أبيض ما أبيض ، ومنه غير ذلك .

٢ ـ الكافي : شهد له .

٣ ـ الكافي : باب في إبطال الرؤية : ٩٨/١ ، ح٧ .

التوحيد : باب ماجاء في الرؤية : ١٠٨ ، ح٣ .

عنه البحار : ٤٤/٤ ، ح٢٢ و٢٨/٥٨ ح٤٥ و٤٣/٥٨ ، ح٥ و١٦١/٥٨ ، ح١٥ .

وبإسنادهما[١] عن أحمد بن إسحاق[٢]، قال: كتبتُ إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس؟ فكتب: «لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواءٌ ينفذه البصرُ، فإذا انقطع الهواءُ عن الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤيةُ، وكان في ذلك الاشتباهُ[٣]، لأنَّ الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان ذلك التشبيه، لأنَّ الأسباب لابدَّ له من اتِّصالها بالمسبّبات»[٤].

١ـ الكافي، الباب السابق: ٩٧، ح٤. التوحيد، الباب السابق: ١٠٩، ح٧. عنه البحار: ٣٤/٤، ح١٣. وجاء في الاحتجاج (٤٨٦/٢): «فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه ...». عنه البحار: ٣٤/٤.

٢ـ يظهر أنه أحمد بن إسحاق الأشعري القمي، قال النجاشي (الترجمة: ٢٢٥. ص ٩١) «... وكان وافد القميين، وروى عن أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام، وكان خاصّة أبي محمد عليه السلام».

راجع معجم الرجال: ٤٣/٢ و٤٦/٢. قاموس الرجال: ٣٩٣/١ـ٣٩٨.

٣ـ أي متى كان كذلك، كان الله مشتبها بخلقه ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ (الوافي: ٣٨١/١).

٤ـ كتب المؤلف هنا مايلي ثم شطب عليه:

وبإسنادهما عن محمد بن عبيد، قال كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية ومايرويه العامة والخاصة، وسألته أن يشرح لي ذلك، فكتب بخطه:

«اتفق الجميع ـ لاتمانع بينهم ـ أن المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا جاز أن يرى الله بالعين ووقعت المعرفة ضرورة، ثم لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيمانا، أو ليست بإيمان ـ لأنها ضدّه ـ فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيمانا، فالمعرفة التي في دارالدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان، لأنها ضده، فلايكون في الدنيا مؤمن، لأنهم لم يروا الله عزّ ذكره، وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيمانا، لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب أن تزول، ولاتزول في المعاد. فهذا دليل على أن الله ـ تعالى ذكره ـ لايرى بالعين، إذ العين تؤدي إلى ماوصفناه».

أقول : الرؤيةُ الممتنعةُ على الله ـ جلّ جلاله ـ إنّما هي رؤيةُ العين ، وأمّا رؤيةُ القلب فليست بممتنعة عليه ـ جلّ وعزّ ـ وعليه تُحمل الآيات والأخبار الدالّة على جوازها .

يدلُّ على ذلك ما رواه في كتاب التوحيد[1] بسند حسن ، عن مُرازِم[2] ، عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال :ـ سمعته يقول : « رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ربّه ـ عزّ وجلّ بقلبه[3] » .

وفي رواية أُخرى رواها بإسناده فيه عنه عليه السلام[4] : « أما سمعتَ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [٥٣/١١] ؟ لم يرَه بالبصر ، ولكن رآه بالفؤاد » .

وبإسناده[5] عن أبي بصير[6] ، عنه عليه السلام ـ قال :ـ قلتُ له : «أخبرني

١ـ التوحيد : الباب السابق ، ١١٦ ، ح١٦ . عنه البحار : ٤/٤٣ ، ح١٩ .

٢ـ قال النجاشي : «مرازم بن حكيم الأزدي المدائني ، مولىً ، ثقة . . . يكنى أبا محمّد ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليه السلام ومات في أيام الرضا عليه السلام» .

٣ـ في المصدر وكذا المنقول عنه في البحار (٤/٤٣) : «رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عزّ وجلّ ـ يعني بقلبه» . والجملة «يعني بقلبه» من كلام الصدوق ـ ره ـ على ماهو ظاهر .

٤ـ التوحيد : الباب السابق : ١١٦ ، ح١٧ . والراوي محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام وليست عن الصادق عليه السلام . عنه البحار : ٤/٤٣ ، ح١٩ .

٥ـ التوحيد : باب ماجاء في الرؤية : ١١٧ ، ح٢٠ . عنه البحار : ٤/٤٤ـ٤٥ ، ح٢٤ .

٦ـ ابوبصير كنية عدة من الرواة ، وعند الإطلاق فالأظهرأن المراد به «يحيى بن القاسم الأسدي» ويحتمل كونه مرددا بينه وبين ليث بن البختري (معجم الرجال : ١٤/١٤٠) وكلاهما ثقتان .

قال الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام (الرجال : ٣٣٣ ، رقم٩) : «يحيى بن القاسم ، أبومحمد ، يعرف بأبي بصير (ن ـ أبي نصير) الأسدي ، مولاهم ، كوفي ، تابعي ؛ مات سنة خمسين ومأة ، بعد أبي عبدالله عليه السلام» . وقال النجاشي (الترجمة ١١٨٧ ، ص٤٤١) : «أبوبصير الأسدي ، وقيل : أبومحمد ، ثقة ، وجيه ، روى عن أبي جعفر ـــ

عن الله ـ عزّ وجلّ ـ هل يراه المؤمنون يومَ القيامة» ؟

قال : «نعَم ، و قد رأوه قبل يوم القيامة » .

فقلت : «متى» ؟ قال : «حين قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [١٧٢/٧] ـ ثمّ سكتَ ساعةً ، ثمّ قال :ـ « و إنّ المؤمنين ليرونه في الدُّنيا قبلَ يوم القيامة ؛ ألستَ تراه في وقتك هذا» ؟

قال أبوبصير : «فقلتُ له : ـ جُعلت فداك ـ فأُحدِّثُ بهذا عنك» ؟

فقال : «لا ؛ فإنّك إذا حدّثتَ به فأنكره منكِرٌ جاهلٌ بمعنى ما تقول ـ ثمّ قدَّرَ أنّ ذلك تشبيهٌ كفَر ـ وليست الرؤيةُ بالقلب كالرؤيةِ بالعين ـ تعالى الله عمّا يصفُه المشبِّهون والملحِدون» .

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام[1] : رأيتُه فعرفتُه فعبدتُه ، لمْ أعبدْ ربًّا لمْ أره .

وعنه عليه السلام[2] : « ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُ اللهَ قبلَه » .

وأبي عبدالله عليه السلام . وقيل : يحيى بن أبي القاسم ، واسم أبي القاسم اسحاق ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام» . والجدير بالذكر أن لصاحب قاموس الرجال ـ قدس سره ـ رسالة في المكنّين بأبي بصير ، طبعت ملحقة بقاموس الرجال (١١/٥٩ـ١٧٦ ، الطبعة الأولى) راجع التحقيق حول أبي بصير ـ هذا ـ في ١٣٧ ـ ١٧٦ منها .

١ ـ في التوحيد (١٠٩ ، ح٦) عن الصادق عليه السلام : «جاء حبرٌ إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، هل رأيتَ ربّك حين عبدته ؟ فقال : ويلك ، ماكنتُ أعبد ربًّا لم أره . قال : كيف رأيته ؟ قال : ويلك ـ لاتدركه العيون في مشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» . البحار : ٤/٤٤ ، ح٢٣ .

وقال عليه السلام في جواب ذعلب (نهج البلاغة : الخطبة ١٧٩) ـ وقدسأله : «هل رأيتَ ربّك يا أميرالمؤمنين» ؟ ـ : «أفأعبُدُ مالاأرى» ؟ فقال ذعلب : «وكيف تراهُ» ؟ فقال عليه السلام : «لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان . . .» . رواه الصدوق ـ قده ـ في التوحيد : باب حديث ذعلب ، ٣٠٥ . عنه البحار : ٤/٢٧ ، ح٢ و٤/٥٢ ، ح٢٨ .

فصل [٢]

[التنزيه والتشبيه]

قد دلَّت العقولُ السليمةُ والأفهامُ المستقيمةُ على تنزيهه ـ تعالى ـ عمّا لايليقُ بجنابه المقدَّس؛ مثل الجسميَّة والصورة والحركة والانتقال والحلول والاتّحاد، وكونه محلاً للحوادث، أو في جهة أو مكان أو زمان، وكونه مرئيًا بالبصر، أو مدرَكا بشيء من الحواسّ، أو مكتَنها بشيء من العقول ـ وغيرذلك من النقائص التي هي من صفات الممكنات والمعلولات.

وما في الكتاب والسنّة ممّا يدلُّ على ذلك ممّا ذكرناه ومالم‌نذكره، أكثر من أن يُحصى، وأشهر من أن يخفى.

ولكن بإزائها ممّا يدلُّ بظاهره على التشبيه ـ أيضا ـ كثيرٌ، كما هو متواترٌ منها؛ فمن الناس من أخذ بالأوّلِ، وأوّلَ الثاني، ومنهم من عَكَس.

ولا تنافي في الواقع وعند المحقِّق، إذ لاتشبيه ولا تعطيل؛ ولكن لمّا كانت أفهامُهم قاصرة عن إدراك ما هو الحقُّ فيه، وإنّما كلّمهمُ الأنبياءُ ـ صلوات الله عليهم ـ على قدْرِ عقولهم: يرون الألفاظَ متناقضة في الظاهر، ويتيهون فيه كالعميان والفيل ـ

ـ٢ـ قال المؤلف (عين اليقين: ٣٠٥): «قال بعض السالكين: ما رأينا شيئا إلا ورأينا الله بعده. فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والحضور قالوا: ما رأينا شيئا إلا ورأينا الله فيه. فلما ترقوا قالوا: ما رأينا شيئا إلا ورأينا الله قبله. فلما ترقوا قالوا: ما رأينا شيئا سوى الله».

والقصّةُ مشهورةٌ[١] .

روي في كتاب التوحيد[٢] بإسناده عن محمد بن عبيد[٣] ، قال : دخلتُ على الرضا عليه السلام فقال لي :

«قل للعباسي[٤] : يكفّ عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلّم الناس بما يعرفون، ويكفّ عمّا يُنكرون . وإذا سألوك عن التوحيد، فقل كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ

١ـ جاء في الدفتر الثالث من المثنوي (الأبيات : ١٢٦١ـ١٢٦٩ ، ص٣٥٢) :

پيل اندر خانهٔ تاريك بود	عرضه را آورده بودندش هُنود
از براى ديدنش مردم بسى	اندر آن ظلمت همى شد هركسى
ديدنش با چشم چون ممكن نبود	اندر آن تاريكيش كف مى بسود
آن يكى را كف به خرطوم اوفتاد	گفت همچون ناودانست اين نهاد
آن يكى را دست برگوشش رسيد	آن برو چون بادبيزن شد پديد
آن يكى را كف چو برپايش بسود	گفت شكل پيل ديدم چون عمود
آن يكى بر پشت او بنهاد دست	گفت خوداين پيل چون تختى بُدست
همچنين هريك به جزوى كه رسيد	فهم آن مي كرد هرجا مى شنيد
از نظرگه گفتشان شد مختلف	آن يكى دالش لقب كرد اين الف
دركفِ هركس اگر شمعى بدى	اختلاف از گفتشان بيرون شدى

٢ـ التوحيد : باب معنى قل هوالله أحد : ٩٥ ، ح١٤ .

عنه البحار : ٦٩/٢ ، ح٢٤ . و٢٢١/٣ ، ح١١ . و٢٩٧/٤ ، ح٢٥ .

٣ـ مجهول ، لم يذكر عنه شيء في كتب رجال الحديث ، غير أنه روى حديثا عن الرضا عليه السلام في الكافي ، وروى عن عبدالله بن موسى وعبيد بن هارون .

راجع معجم الرجال : ٢٦٣/١٦ .

٤ـ هشام بن إبراهيم العباسي ، يظهر أنه كان متشيّعا ثم تزندق . فقد روى الكشي (اختيار : ماروي في هشام بن إبراهيم العباسي : ٥٠١) عن الريان بن الصلت : قلت لأبي الحسن عليه السلام : «إن هشام بن إبراهيم العباسي زعم أنك أحللت له الغناء» ؟ فقال : «كذب الزنديق . . .» . راجع قرب الإسناد : باب قرب الإسناد عن الرضا عليه السلام : ٣٤٢ ، ح١٢٥٠ . معجم الرجال : ٢٦٠/١٩ .

وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [١١٢/١-٤] ؛ وإذا سألوكَ عن الكيفيّة ، فقل كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [٤٢/١١] ؛ وإذا سألوكَ عن السمع ، فقل كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٢/١٣٧] ؛ كلِّم الناسَ بما يعرفون » .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم[١] ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر[٢] ، عن عليّ بن موسى الرضا ـ قال : ـ قال لي : «يا أحمد ، ما الخلاف بينكم وبينَ أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد» ؟

فقلت : «جُعلتُ فداك ـ قلنا نحن بالصورة ، للحديث الذي رُوي أنّ رسول الله ﷺ رأى ربّه في صورة شابّ ، وقال هشام بن الحكم بالجسم[٣] » .

فقال : «يا أحمد ـ إنّ رسولَ الله ﷺ لمّا أُسري به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى ، خُرق له في الحُجب مِثل سُمّ الإبرة[٤] ، فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى ؛ وأردتم أنتم التشبيه ؛ دع هذا ـ يا أحمد ـ لا ينفتح عليك أمرٌ عظيم[٥] » .

١ـ تفسير القمي : المقدمة ، في الرد على من أنكر الرؤية : ٤٨/١ . عنه البحار : ٣٠٧/٣ ، ح٤٥ .

٢ـ قال النجاشي (الترجمة : ١٨٠ ، ص ٧٥) : أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر زيد مولى السكون ، أبوجعفر المعروف بالبزنطي ، كوفي لقي الرضا وأباجعفر ، وكان عظيم المنزلة عندهما» . و عده الشيخ في رجاله من أصحاب الكاظم والرضا والجواد . راجع معجم الرجال : ٢٣١/٢ .

٣ـ كذا . ولكن في المصدر : «بالنفي للجسم» . والمنقول عنه في البحار : «بالنفي بالجسم» .

٤ـ سُمُّ الإبرة ثقبها .

٥ـ المصدر : هذا أمر عظيم . البحار : منه أمر عظيم .

وقد يقال: إن السرَّ في ذلك أنّ ذاته ـ سبحانه ـ من حيث هي منزَّه عن التنزيه والتشبيه جميعاً، ومن حيث مراتب أسمائه وصفاته ومعيَّته بالأشياء يتَّصف بالأمرين من غير فرق؛ كما ورد في الحديث القدسيّ الصحيح المتفق عليه[1] : «لايزال العبدُ يتقرَّب إليّ بالنوافل، حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه الذي يبطش بها ...» ـ الحديث.

وفي كتاب التوحيد[2] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا ٱنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [٤٣/٥٥]:

«إنَّ الله ـ سبحانه ـ لا يأسف كأسفنا، ولكنَّه خَلَقَ أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون[3]، فجعل رضاهم رضا نفسِه وسخطَهم سخطَ نفسِه، لأنَّه جعلهم الدُعاة إليه، والأدلاَّء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس ذلك[4] يصل إلى الله كما يَصِل إلى خلقه، لكن هذا معنى ماقال من ذلك. وقد قال: «من أهانَ لي وليًّا فقد بارَزَني بالمحاربة و دعاني إليها». وقال أيضا: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ

١ـ البخاري: الرقاق، باب التواضع، ٨/١٣١. وجاء في التوحيد (باب أنَّ الله لايفعل بعباده إلا الأصلح: ٤٠٠): «... ولايزال عبدي يتنفّل لي حتّى أُحبَّه، ومتى أحببتُه كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا...».
راجع ألفاظه المختلفة في كنز العمال: ١/٢٢٩ـ٢٣١، ح١١٥٥ـ١١٦١.

٢ـ التوحيد: باب معنى رضاه عزّ وجلّ وسخطه: ١٦٨، ح٢. مع فروق يسيرة. معاني الأخبار: باب معنى رضى الله عزّ وجلّ وسخطه، ١٩، ح٢.
عنهما البحار: ٤/٦٥، ح٦.

٣ـ المصدر: مدبرون.

٤ـ المصدر: ذلك أن.

أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٤/٨٠]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٤٨/١٠]. فكلُّ هذا وشِبهه على ما ذكرتُ لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء، مما يُشاكل ذلك.

ولوكان يَصِلُ إلى المكوِّن الأسفُ والضجرُ ـ وهو الذي أحدثَهما وأنشأهما ـ لجاز لقائل أن يقول: إنَّ المكوِّنَ يبيدُ يوما، لأنّه إذا دخله الضجْر والغضب دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمَن عليه الإبادة، ولو كان ذلك كذلك، لم يُعرف المكوِّنُ من المكوَّن، ولاالقادرُ من المقدور، ولا الخالقُ من المخلوق ـ تعالى الله عن هذا القول علوًّا كبيرا ـ.

هو الخالقُ للأشياء لا لحاجةٍ، فإذا كان لا لحاجةٍ استحال الحدُّ والكيفُ فيه ـ فافهم ذلك إن شاء الله».

فصل [٣]

[الله تعالى قديم]

لا يجوز على الله ـ عزّوجلّ ـ العدم بوجه من الوجوه، وإلاّ لَماكان وجوده واجبا، ولا أزليًا؛ فيكون محتاجا ـ تعالى الله عن ذلك ـ.

وأيضا: الشيء لايقتضي عدمَ نفسه، وإلاّ لما تحقّق.

وهو ـ جلّ جلاله ـ وحدانيٌّ لاشرط له في ذاته، وما سواه تابعٌ؛ وإذ لاشرط له ولامضادٌّ له، فلامبطل له؛

فهو إذن قيُّومٌ دائمٌ. لايقال له: «متىٰ؟»، ولايضرب له أمد بـ «حتّىٰ».

سئل مولانا الباقر عليه السلام[1] عن الله: « متى كان ؟ ».

فقال: « متىٰ لم يكن، حتّىٰ أُخبركَ: متىٰ كان ؟ سبحان من لم يزل ولايزال فردا، صمدا، لم يتّخذ صاحبة ولاولدا ».

وعن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[2]: «إنّما يقال: «متىٰ كان ؟» لِما لم يكن؛ فأمّا ماكان، فلايقال: «متى كان ؟»؛ كان قبل القبل بلاقبل. و بعد البعد بلابعد، ولامنتهى غاية لتنتهي غايته».

وقال أيضا[3]: «سبقَ الأوقاتَ كونُه، والعدمَ وجودُه، والابتداءَ أزلُه».

١ـ السائل: نافع بن الأزرق. كما في الكافي (كتاب التوحيد، باب الكون والمكان: ٨٨/١، ح١). وفي روضة الكافي (١٢٢، ح٩٣) عن نافع مولى عمربن الخطاب. ومثله في الاحتجاج (احتجاج أبي محمد الباقر عليه السلام في شيء مما يتعلق بالأصول والفروع: ١٦٦/٢). ورواه الصدوق ـ أيضاـ في التوحيد (باب نفي المكان: ١٧٣، ح١) و فيه: «... ويلك ! أخبرني أنت متى لم يكن...». البحار عنه وعن تفسيرالقمي: ٢٨٤/٣، ح٣.

وجاء مايقرب منه عن الرضا عليه السلام أيضا في الكافي: كتاب التوحيد، باب حدوث العالم، ٧٨/١، ح٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ماجاء من الأخبار في التوحيد، ١٣٢/١، ح٢٨. البحار: ٣٧/٣، ح١٢. وكذا عن أميرالمؤمنين عليه السلام في التوحيد: باب التوحيد ونفي التشبيه، ٧٧، ح٣٣.

٢ـ الكافي: باب الكون والمكان: ٩٠/١، ح٥. ومايقرب منه أيضا في التوحيد: الباب السابق، ١٧٤، ح٣، وأمالي الصدوق ـ قده ـ: المجلس السادس والتسعون، ٧٦٩، ح١. والاحتجاج: احتجاجه عليه السلام فيمايتعلق بتوحيد الله و تنزيهه...: ٤٩٦/١. والسائل حبر من الأحبار. البحار: ٢٨٣/٣، ح١.

٣ـ الكافي: كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد: ١٣٩/١، ح٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٤. التوحيد: باب حديث ذعلب، ٣٠٨، ح٢. البحار: ٣٠٥/٤، ح٣٤.

فصل[1] [٤]

و إذ ليست له ـ جلّ جلاله ـ جهة فقر أصلا، فلا أغنى منه، ولا أتمّ، ولا أشدّ ولا أقدم؛ بل هو غير متناهٍ في الغناء والتماميّة والشدّة والتقدُّم[2] . إذ لو كان متناهيا في شيء من ذلك، لكان تتصوّر مرتبةٌ فوقه، يكون فاقدا لها، مفتقرا إليها ـ تعالى عنه وتقدّس ـ فلا يحدُّه حدٌّ، ولا يضبطه رسمٌ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَ عَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [٢٠/١١٠-١١١]

فصل [٥]

وإذ ليس سبحانه فاقدا لشيء فهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [٤١/٥٤] ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [٥٨/٧] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ [٥٧/٤] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [٢/١٨٦] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ [٥٦/٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[3] [٥٠/١٦] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [٤١/٥٤] .

١ـ عين اليقين: ٣٠٣.

٢ـ في هامش النسخة:

بري ذاتش از تهمت ضدّ وجنس   غنى ملكش از طاعت جنّ وانس

٣ـ في هامش النسخة:

دوست نزديكتر از من به من است   وين عجبتر كه من از وى دورم

چه كنم باكه توان گفت كه يار   در كنار من و من مهجورم

«لو أنّكم أدليتُم بحبل إلى الأرض السفلىٰ لهبط علىٰ الله»[1] .

و : ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١١٥/٢]

وفي كتاب التوحيد[2] ، بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام : أنَّهُ سُئِل عن وجه الربّ ـ تبارك وتعالىٰ ، فدعا بنار وحطب ، فَأضرمَهُ ، فلمّا اشتعلتْ ، قال : «أين وجهُ النَّار» ؟

قال السائل : «هي وجهٌ من جميع حدودها» .

قال : «هذه النار مدبَّرةٌ مَصنوعَةٌ ، لايُعرف وجُهها ، وخالقُها لايُشبهها ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [١١٥/٢] ؛ لايخفىٰ علىٰ رَبِّنا خافية» .

وفيه[3] وفي الكافي[4] بإسناديهما ، عن مولانا الصادق عليه السلام : أنّه قال رجل عنده : «الله أكبر» .

فقال عليه السلام : «الله أكبرُ من أيِّ شيءٍ» ؟

فقال : «من كلّ شيءٍ» .

فقال الصادق عليه السلام : «حدَّدتَه» .

فقال الرجل : «كيف أقول» ؟

---

١ ـ الترمذي : كتاب التفسير ، السورة ٥٨ ، ٤٠٤/٥ ، ح٣٢٩٨ ، وفيه : «دليتم بحبل» .

٢ ـ التوحيد : باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى ، ١٨٢ ، ح١٦ . والسائل الجاثليق . عنه البحار : ٣٢٨/٣ ، ح٢٨ .

٣ ـ التوحيد : باب معنى الله أكبر : ٣١٢ ، ح١ . و رواه أيضا في معاني الأخبار : نفس الباب : ١١ . البحار : ٢١٩/٩٣ ، ح٢ .

٤ ـ الكافي : باب معاني الأسماء : ١١٧/١ ، ح٨ .

قال : «قل : اللهُ أكبر ، أكبر مِن أن يوصَف» [١] .

وفي رواية أُخرى [٢] : «وكان ثمّة شيءٌ ، فيكون أكبر منه» .

واعلم أنّ معيّته ـ سبحانه ـ للأشياء ليست بممازَجة ، ولا مداخَلة ، ولاحلول ، ولا اتّحاد ، ولا معيّةٍ في درجة الوجود ، ولا في الزمان ، ولا في الإشارة ، ولا مايُشبه هذه ـ تعالى الله عن ذلك كلّه علوّا كبيرا [٣] .





١ـ قال المؤلف في شرح الرواية (الوافي : ٤٧٦/١) : «حدَّده ـ بالتشديد ـ من التحديد ؛ أي جعلتَ له حدا محدودا . و ذلك لأنه جعله في مقابلة الأشياء و وضعه في حد ، والأشياء في حدٍ آخر ، و وازَن بينهما ؛ مع أنّه محيطٌ بكل شيءٍ ، لايخرج عن معيّته وقيُّوميّته شيءٌ . كما أشار إليه بقوله عليه‌السلام : «وكان ثمّ شيء» يعني مع ملاحظة ذاته الواسعة وإحاطته بكلِّ شيءٍ ومعيّته للكلِّ لم يبق شيء تنسبه إليه بالأكبريّة ؛ بل كلّ شيءٍ هالكٌ عند وجهه الكريم ، و كلّ وجود وكمال وجود مضمحلٌّ في مرتبة ذاته ووجوده القديم» .

٢ـ التوحيد : الباب السابق : ٣١٣ . الكافي : الباب السابق : ١١٨ .

٣ـ عين اليقين : ٣٠٥ـ٣٠٦ .

[٤]

باب

صفاته العليا تبارك وتعالى

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠/٣٧]

فصل [١]

[إنّه تعالى كامل بالذات ومصدر كلّ كمال]

قال بعض أهل التحقيق:[1] إنّ كل كمال لموجود بماهو موجود[2]، فلابدّ وأن ينتهي إلى كامل بالذّات في ذلك الكمال، وكلّ كامل بالذات ـ في كمال ما ـ يجب أن يكون غنيّا بالذات في ذاته إذ لوافتقر في ذاته إلى الغير لافتقر في كماله أيضا إلى ذلك الغير ـ وهو ظاهر ـ.

١ـ لم أعثر على النصّ وإن كان المضمون موجودا في كتب الحكماء.

٢ـ كتب في الهامش:

«إنما قيّد الكمال الموجود بكونه «كمالا بماهو موجود» لأنه قد يثبت بعض الكمالات لبعض الموجودات لا من هذه الحيثية، بل من حيثيات أخرى كالصلابة للجسم، و الكرويّة للشكل ـ إلى غير ذلك ـ و لا يلزم فيها الانتهاء إلى كامل بالذات، و لايصحّ أيضا اتّصاف الله تعالى بشيء منها ـ فافهم ـ منه».

وقد ثبت أنّ الغنيّ بالذّات في ذاته واحد ، فجميع الكمالات ينتهي إليه . فله ـ سبحانه ـ من كلّ متقابلين للموجود ـ بما هو موجود ـ أشرفهما ـ على وجه يليق بجلاله ـ وكلّ متقابلين يكونان كلاهما صفة كمال للموجود ـ بما هو موجود ـ فكلاهما ثابتان له ـ عزّوجلّ ـ على الوجه الأكمل ، كالنعوت الجلاليّة والجماليّة ، المعبَّر عنها في القرآن المجيد بقوله ـ عزّ اسمه ـ : ﴿ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/٢٧] وذلك مثل اللطف والقهر ، والرحمة والغضب ، والرضا والسخط ـ وغير ذلك ـ ولا يكاد أن يخلوان عن اشتراك مّا ؛ فإنّ تحت كلّ جمالٍ جلالا ـ كالهيمان الحاصل من الجمال الإلهي من انقهار العقل منه وتحيّره فيه ـ وتحت كلّ جلالٍ جمالا ـ كاللطف المستور في القهر الإلهي ؛ كما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [٢/١٧٩] .

و قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[1] : « سبحان من اتّسعت رحمته لأوليائه ، في شدّة نقمته ، واشتدّت نقمته لأعدائه في سعة رحمته » .

ومن هنا يُعلم سرّ قول نبيّنا صلى الله عليه وآله[2] : «حُفّت الجنّةُ بالمكاره وحُفّت النارُ بالشهوات» .

١ـ في نهج البلاغة (الخطبة : ٩٠) :«الحمد لله المعروف من غير روية . . . هو الذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ، واتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته» .

٢ـ مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ، الحديث الأول : ٢١٧٤/٤ . شعب الإيمان : باب الصبر ، فصل أي الناس أشد بلاء ، ١٤٧/٧ ، ح٩٧٩٥ . وجاء في نهج البلاغة (الخطبة : ١٧٦) : « فإنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ كان يقول : «إنّ الجنة حفّت بالمكاره وإنّ النار حفّت بالشهوات » » . عنه البحار : ٧٨/٧٠ .
وفي البخاري (الرقاق ، باب حجبت النار بالشهوات ، ١٢٧/٨) بلفظ : «حجبت النار بالشهوات ، و حجبت الجنة بالمكاره»

وصل [٢]

[اتصافه - سبحانه - بصفات الجلال والجمال]

ليس اتّصافه ـ سبحانه ـ بكلتي المتقابلتين بالذّات ؛ كيف وهما متنافيتان، وهو الله ـ جلّ جلاله ـ أحديُّ الذات، بسيطُ الحقيقة.

بل اتّصافه بالذات ليس إلا بالصفات الجماليّة ؛ وأمّا الجلاليّة فإنّما يتّصف بها بالإضافة، فإنّ للموجودات درجات بعضها فوق بعض ؛ فكلّ ما هو أقرب إليه جلّ جلاله، فآثار صفات الجمال عليه أغلب، وظهورها فيه أكثر ؛ وكلّ ما هو أبعد منه فهو بخلاف ذلك.

فالمغضوبُ عليه إنّما هو مغضوبٌ عليه بالإضافة إلى ما درجته أعلى منه، وليس بمغضوب عليه على الإطلاق، كيف ـ ورحمتُه ـ عزّوجلّ ـ وسعتْ كلّ شيءٍ، فإنّ أصل الوجود رحمته.

وكذلك القهر والبُغض والكراهة ـ ونظائرها ـ فإنّها ليست بالنسبة إلى موجود مّا ـ على الإطلاق ـ لأن الوجود كلّه محبوب ومراد، وهو خيرٌ كلّه. وأمّا سرّ هذا الاختلاف : فلتفاوت درجات المستحقّين بحسب استعداداتهم الذاتيّة ـ كما يأتي تحقيقُه ـ.

قال مولانا الباقر عليه السلام :[١] « إنّ الله الحليم العليم إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنّما يمنع مَن لم يَقبل منه عطاه، وإنّما يضلّ من لم يقبل منه هداه... ـ الحديث ».

---

١ ـ الكافي : رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير : ٥٢/٨، ح١٦. عنه البحار : ٣٥٩/٧٨.

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [٧٩/٤] ﴿ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] [٣٣/١٦].

ومن هنا يظهر سرُّ قول النبيّ ﷺ[2] : «سَبَقَت رَحمتُه غضبَه».

فصل [٣]

[كمالاته تعالى عين ذاته]

و لمّا كانت كمالاته ـ عزّوجلّ ـ ذاتيّة ، فهي جميعا حاصلة له بالفعل دائما ، وإلا لافتقر إلى مخرج لها من القوّة إلى الفعل ـ فلم تكن ذاتيّة ـ وللزم التركُّب في ذاته ـ عزّوجلّ ـ من جهتي قوّة وفعلٍ ؛ تعالىٰ عنه .

و يجب أن يكون جميعا عين ذاته وجودا و عينا و فعلا و تأثيرا ؛ بمعنىٰ أنَّ ذاته تعالىٰ بذاته يترتَّب عليه آثار جميع الكمالات ، ويكون هو من حيث ذاته مبدءا لانتزاعها منه ، ومصداقا لحملها عليه ، وإن كانت

---

١ ـ في هامش النسخة :

هرچه هست از قامت ناساز نازيباى ماست

ورنه تشريف تو بربالاى كس كوتاه نيست

٢ ـ أخرج البخاري (كتاب التوحيد ، باب لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، ١٦٥/٩) : «إنّ رسول الله ﷺ قال : لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه : إنَّ رحمتي سبقت غضبي» راجع مايقرب منه أيضا : ١٥٣/٩ ،و ١٤٧/٩ منه . ومسلم كتاب التوبة : باب سعة رحمة الله تعالى ، ٢١٠٧/٤ ـ ٢١٠٨ ، ح١٤ـ١٦ . و الترمذي : كتاب الدعوات ، باب خلق الله مأة رحمة ، ٥٤٩/٥ ، ح٣٥٤٣ . وابن ماجة : المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهميّة ، ٦٧/١ ، ح١٨٩ .

هي غيره من حيث المفهوم والمعنى ؛ وذلك لجوازأن توجد الأشياء المختلفة والحقائق المتبائنة بوجود واحد .

وإنّما قلنا بوجوب كونها عينه ـ تعالىٰ ـ بهذا المعنى لأنّها لوكانت زائدة على ذاته ـ تعالى ـ وجودا لافتقر إليها في حدّ ذاته ، فلا يكون غنيّا بالذات من جميع الجهات ـ تقدّس ربُّنا عن ذلك ـ .

وأيضا : لو كانت زائدة على ذاته ، لزم أن يكون في حدّ ذاته ناقصا ، فلايكون غير متناهٍ في التماميّة ـ تعالىٰ عنه .

وأيضا : لوكانت زائدة على ذاته ، فلا تخلو إمّا أن تكون مستندة إلى غيره ـ كيف ، وليس ورائه شيء ؟ !ـ أو إلى ذاته ـ كيف ، ومفيضُ الكمال لايكون قاصرا عنه ؟ !ـ .

وأيضا : فيضانها من ذاته على ذاته ، تستدعي جهة أشرف ممّا عليه ذاته ، فيكون ذاتُه أشرف من ذاته ـ وهذا محال ـ ... كذا قيل[1] .

أقول : ويلزم أن يكون ذاته من حيث هو بلا كمال أشرف منه من حيث هوكامل ، لأنّه بالاعتبار الأوّل مفيضٌ وبالاعتبار الثاني مستفيضٌ ـ وهذا أشنع ! ونزيدك في الإيضاح فاسمع :

---

١ ـ الفصل مقتبس من الأسفار الأربعة : الفصل الرابع من الموقف الثاني من السفر الثالث ، ١٣٤/٦ . والمبدء والمعاد : الفصل الأوّل من المقالة الثانية من الفن الأوّل : ٧٢ .

فصل[1] [٤]

[الواجب تعالى واجد كل كمال ومفيضه]

قال بعض المحقّقين[2] ما حاصله أنّه: كما أنّ مفيض الوجود ليس مسلوب الوجود في مرتبة، فكذلك واهب الكمال لايجوز أن يكون ممنوًّا في حدِّ ذاته، إذ المُفيض لامحالة أكرم وأعلى وأمجد من المُفاض عليه.

فكما أنّ في الوجود وجودا قائما بالذات، غيرمتناهٍ في التأكُّد ـ وإلاّ لم يتحقّق وجودٌ بالغير ـ فكذلك يجب أن يكون في العلم علمٌ متأكّد قائمٌ بذاته، و في الاختيار اختيارٌ قائمٌ بذاته، و في القدرة قدرة قائمة بذاتها، و في الإرادة إرادة قائمة بذاتها، و في الحياة حياةٌ قائمة بذاتها؛ حتّىٰ يصحّ أن يكون هذه الأشياء في شيءٍ لابذواتها ـ بل بغيرها ـ[3]

فإذن: فوق كلّ ذي علمٍ عليمٌ بذاته، وفوق كلّ ذي قدرةٍ قديرٌ بذاته، و فوق كلِّ ذي سمعٍ سميعٌ بذاته، و فوق كلّ ذي بصرٍ بصيرٌ بذاته ـ إلىٰ غيرذلك من صفات الكمال.

ويجب أن يكون جميع ذلك واحدا حقيقيّا بالوجود ـ لامتناع تعدّد الغنيّ بالذات ـ فهو الله ـ عزّ وجلّ ـ كما قيل[4] : « وجودٌ كلّه،

١ـ عين اليقين: ٣٠٦.

٢ـ راجع المبدء والمعاد: ٧٢.

٣ـ راجع التعليقات لابن سينا: ٥٢.

٤ـ نسبه صدرالمتألهين ـ قده ـ في الأسفار (١٢١/٦) إلى الفارابي، ولم أعثر على النص فيما عندي من كتبه، والأظهر أن المؤلف حكاه عنه اعتمادا على ما أورده استاده ـ قدس سرهما ـ ولعل ما أورده صدرا أيضا نقل المعنى.

علمٌ كلُّه، وجوبٌ كلُّه، قدرةٌ كلُّه، حياةٌ كلُّه ؛ لا أنَّ شيئا منه علمٌ، وشيئا آخر قدرةٌ ـ ليلزم التركُّب في ذاته ـ ولا أنَّ شيئا فيه علمٌ وشيئا آخر فيه قدرة، ليلزم التكثُّر في صفاته الحقيقيّة ـ».

يعني أنَّ ذاته بذاته ـ من حيث هو هو، مع كمال فرديّته ـ منشأ لهذه الصفات، ومستحقٌّ لهذه الأسماء، لابحيثيّة أُخرى وراء حيثيّة ذاته. وليس هو لأجل اتّصافه بها ذامعانٍ متميّزة، متخصّصة بأسماء متعدّدة؛ بل كما أنّا نقول لكلّ واحد من موجودات العالم: «إنّه معلومه، ومقدوره، ومراده» من غيرأن نثبت فيه معانٍ شتّىٰ: فكذلك نَصِفُ موجِدَه بالعلم، والقدرة، والإرادة، مع كونه أحديّا فردا، بل كلّ صفة من صفاته عين صفته الأُخرىٰ، وما ندركه بصفةٍ، يدركه بجميع الصفات، إذ لا اختلاف هناك. ونعم ما قيل:

عباراتنا شتّىٰ وحسنك واحد وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

* * *

روي في كتاب نهج البلاغة[1] عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

« و كمال الإخلاص له نَفي الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة . فَمَن وصف الله ـ سبحانه ـ فقد قَرَنه، ومن قَرَنه فقد ثَنّاه، ومن ثَنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله ... ».

ـ الحديث ، و يأتي تمامه فيما بعد[2] إن شاء الله تعالىٰ ـ .

١ـ نهج البلاغة : الخطبة الأُولى.

٢ـ راجع الفصل الرابع من الباب الخامس من هذا المقصد.

وفي كتاب التوحيد[1] : بإسناده الصحيح، عن هشام بن سالم، قال: دخلتُ على أبي عبدالله ﷺ، فقال لي: «أتنعت اللهَ» ؟

قلت: « نعم ».

قـال: « هات ».

فقلت: « هوالسميع البصير ».

قـال: « هذه صفةٌ يشترك فيها المخلوقون ».

قلت: « فكيف تنعته » ؟

فقال: « هو نورٌ لاظلمة فيه، وحياةٌ لاموت فيه، وعلمٌ لاجهل فيه، وحقٌ لاباطل فيه ».

فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد.

وبإسناده عن مولانا الصادق ﷺ[2] ـ قال: ـ « هو نورٌ ليس فيه ظلمةٌ، وصدقٌ ليس فيه كذبٌ، وعدلٌ ليس فيه جورٌ، وحقٌ ليس فيه باطلٌ؛ كذلك لم يزل ولايزال، أبد الآبدين، وكذلك كان إذ لم يكن أرضٌ ولاسماءٌ، ولاليلٌ ولانهارٌ، ولاشمسٌ ولاقمرٌ ولانجومٌ، ولاسحابٌ ولامطرٌ ولارياحٌ.

وبإسناده عن مولانا الكاظم ﷺ[3] ـ قال: ـ «علم الله لايوصف منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولايبان الله منه، وليس بين الله وبين علمه حدٌ ».

١ـ التوحيد: باب صفات الذات و صفات الأفعال، ١٤٦، ح١٤. البحار: ٤/٧٠، ح١٦.

٢ـ التوحيد: باب القدرة: ١٢٨، ح٨. البحار: ٣/٣٠٦، ح٤٤.

٣ـ التوحيد: باب العلم، ١٣٨، ح١٦، عنه البحار: ٤/٨٦، ح٢٢.

وبإسناده[١] عن محمد بن عروة[٢] ـ قال :ـ قلت للرضا ﷺ : «خلق اللهُ الأشياءَ بقدرةٍ، أم بغير قدرةٍ[٣] » ؟ فقال : « لايجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة ، لأنّك إذا قلت : «خلق الأشياء بالقدرة» فكأنّك قد جعلتَ القدرةَ شيئا غيره، وجعلتها آلةً له بها خَلَقَ الأشياءَ، وهذا شِركٌ ؛ وإذا قلتَ : «خَلَقَ الأشياءَ بقدرةٍ» فإنّما تصفه أنّه جعلها باقتدار عليها وقدرةٍ، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولامحتاج إلى غيره» .

وبإسناده عن مولانا الباقر ﷺ[٤] أنّه قال : « سميعٌ بصيرٌ ؛ يسمع بما يبصر، و يبصر بما يسمع » . و قال : « واحد [أحد صمد][٥] أحديّ المعنى ، ليس بمعانٍ كثيرة مختلفة » .

وبإسناده عن مولانا الصادق ﷺ[٦] : «هو سميعٌ بصيرٌ ؛ سميعٌ بغير جارحةٍ، وبصيرٌ بغير آلةٍ ؛ بل سميعٌ لنفسه، وبصيرٌ لنفسه . وليس قولي :

١ـ التوحيد : باب القدرة ، ١٣٠ ، ح١٢ . عيون أخبارالرضا ﷺ : باب ١١ ، ١١٧/١ ، ح٧. عنه البحار : ١٣٦/٤ ، ح٣.

٢ـ كذا في النسخة وبعض نسخ العيون . ولم يرد بهذا العنوان في كتب رجال الحديث ، ولكنه في التوحيد وبعض نسخ العيون والمحكي عنه في البحار : محمد بن عرفة . روى عن الصادق والرضا ﷺ ، ولم يرد قول في جرحه أو توثيقه . راجع معجم الرجال : ٢٨٢/١٦ .

٣ـ المصدر : بالقدرة أم بغيرالقدرة .

٤ـ التوحيد : باب صفات الذات و صفات الأفعال : ١٤٤ ، ح٩. عنه البحار : ٦٩/٤ ، ح١٤ . ورواه أيضا صاحب الكافي : باب صفات الذات ، ١٠٨/١ ، ح١ .

٥ـ إضافة من الكافي والتوحيد .

٦ـ التوحيد : الصفحة السابقة ، ح١٠ . وفي باب الردّ على الثنويّة والزنادقة ، ٢٤٥ ، ح١ . الكافي : باب صفات الذات : ١٠٩/١ ، ح٢ . و أيضا في باب إطلاق القول بأنه شيءٌ : ٨٣/١ ، ح٦ .

«يسمع لنفسه» أنّه شيءٌ والنفس شيءٌ آخر[١] ولكن أردت عبارة عن نفسي ـ إذ كنتُ مسؤولاً ـ وإفهاما لك ـ إذ كنتَ سائلا ـ فأقول: يسمع بكلّه، لاأنّ كلّه له بعضٌ؛ ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلاّ أنه السميع البصير[٢]، العالم الخبير، بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى».

وبإسناده عنه عليه السلام[٣]: ـ إنّه قيل له: «إنّ رجلا ينتحل موالاتكم أهل البيت، يقول: إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ لم يزل سميعا بسمعٍ، وبصيرا ببصرٍ، وعليما بعلمٍ، وقادرا بقدرةٍ»؛ فغَضب عليه السلام ثمّ قال: ـ «مَن قال بذلك ودانَ به، فهو مشركٌ، وليس من ولايتنا على شيءٍ، إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ ذاتٌ علاّمةٌ، سميعةٌ، بصيرةٌ، قادرةٌ».

وفي رواية أُخرى عن مولانا الرضا عليه السلام[٤]: «مَن قال ذلك ودان به، فقد اتّخذ مع الله آلهة أُخرى، وليس من ولايتنا علىٰ شيء» ـ ثمّ قال عليه السلام: ـ «لم يزل الله ـ عزّ وجلّ ـ عليما، قادرا، حيّا، قديما سميعا، بصيرا لذاته ـ تعالى عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّا كبيرا».

١ـ في المصدرين: ... بل يسمع بنفسه، و يبصر بنفسه. ليس قولي: إنه سميع يسمع بنفسه، وبصير يبصر بنفسه أنه شيءٌ والنفس شيءٌ آخر...

٢ـ التوحيد: ... إلا إلى أنه السميع البصير...

٣ـ التوحيد: باب صفات الذات و صفات الأفعال، ١٤٤، ح٨. أمالي الصدوق ـ قده ـ: المجلس التاسع والثمانون، ٧٠٨، ح٥. البحار عنهما: ٦٣/٤، ح٢.

٤ـ التوحيد: باب صفات الذات وصفات الأفعال: ١٤٠، ح٣. عيون الأخبار: باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد: ١١٩/١، ح١٠. أمالي الصدوق: المجلس السابع والأربعون، ٣٥٢ـ٣٥٣، ح٥. الاحتجاج: احتجاجات الرضا عليه السلام: ٣٨٥/٢. البحار: ٦٢/٤، ح١.

فصل[1] [٥]

[رجوع الإضافات والسلوب فيه تعالى إلى إضافة وسلب واحد]

وكذلك لايجوز أن يلحقه سبحانه إضافاتٌ مختلفةٌ توجب اختلاف حيثيّات فيه، بل له إضافةٌ واحدةٌ ـ وهي المبدئيّة ـ تُصحّح جميعَ الإضافات، كالرزاقيّة والمصوِّريّة ونحوهما.

ولاسلوب كذلك، بل له سلبٌ واحدٌ يتبعه جميعُها، وهو سلب الفقر؛ فإنّه يدخل تحته سلبُ الجسميّة والعرَضيّة وغيرهما؛ كما يدخل تحتَ سلب الجماديّة من الإنسان سلبُ الحجَريّة والمدرَيّة عنه.

فصل[2] [٦]

[نسبته تعالى إلى جميع ماسواه نسبة واحدة]

ثمّ إنّ نسبةَ ذاته ـ سبحانه ـ و أسمائه الحسنىٰ إلى ما سواه من الفاقرات، تمتنع أن تختلف بالمَعيّة واللامَعيّة، والإفاضة واللا إفاضة؛ وإلاّ فيكون بالفعل مع بعضٍ، وبالقوّة مع آخرين؛ فتتركّب ذاتُه من جهتَي فعلٍ وقوّةٍ، وتتغيّر صفاتُه حسب تغيُّر المتجدِّدات المتعاقبات ـ تعالى عن ذلك ـ

بل نسبةُ ذاته ـ التي هي فعليّةٌ صرفةٌ وغناءٌ محض من جميع

١ـ عين اليقين: ٣٠٦.

٢ـ عين اليقين: ٣٠٦.

الوجوه ـ إلى الجميع ـ وإن كان من الحوادث الزمانيّة ـ نسبةٌ واحدةٌ إيجابيّةٌ، ومعيّةٌ قيّوميّةٌ ثابتةٌ غيرُ زمانيّة ولا متغيّرة أصلاً؛ والكلُّ عنده واجباتٌ، وبغنائه بقدر استعداداتها مستغنياتٌ، كلٌّ في وقته ومحلّه وعلى حسب طاقته؛ وإنّما إمكانها وفقرها بالقياس إلى ذواتها وقوابل ذواتها، وليس هناك إمكانٌ وقوّةٌ ألبتة.

فالمكان والمكانيّات بأسرها ـ بالنسبة إليه سبحانه ـ كنقطة واحدة في معيّة الوجود ﴿ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [٣٩/٦٧] والزمان والزمانيّات ـ بآزالها وآبادها ـ كآنٍ واحدٍ عنده في ذلك.

« جفّ القلمُ بما هو كائنٌ »[1] .

١ـ في المعجم الكبير (١١/١٧٨، ح١١٥٦٠) : «... فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ...». أمالي الطوسي (المجلس التاسع عشر : ٥٣٦، ح١) عن أبي ذر، عن النبي ﷺ : «... فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ...». الترمذي (كتاب الإيمان، باب (١٨) ماجاء في افتراق هذه الأمة، ٥/٢٦، ح٢٦٤٢) : «جفّ القلم على علم الله». وفيه (كتاب صفة القيامة، باب ٥٩، ٤/٦٦٧، ح٢٥١٦) : «رفعت الأقلام وجفّت الصحف». التوحيد (باب المشيّة والإرادة، ٣٤٣، ح١٣) : عن معاذ بن جبل، قال رسول الله ﷺ : « سبق العلم و جفّ القلم ومضى القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل وبالسعادة من الله عزّوجلّ لمن آمن واتّقى، وبالشقاء لمن كذّب وكفر، وبولاية الله المؤمنين وبراءته من المشركين ...». و ورد مثله أيضا في تفسير القمي، عن الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ (٢/٢١١، تفسير الآية ٣٥/٤٥) بلفظ : «... سبق العلم وجف القلم و مضى القضاء و تم القدر بتحقيق الكتاب ...». عنه البحار : ٥/٩٤، ح١٣. علل الشرائع (٢/٣٤٨، باب (٥٦) العلة التي من أجلها لاتجوز الصلاة في السواد، ح٧) : «جفّ القلم بما فيه». عنه البحار : ٢٨/٤٩، ح١٤. البخاري : (باب في القدر، ح٣، ٨/١٥٢) : «جفّ القلم بما أنت لاقٍ». شعب الإيمان (باب في أن القدر من الله، ١/٢١٧، ح١٩٥) : «جفّت الأقلام وطويت الصحف». مستدرك الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، ٣/٥٤١) : «قدمضى القلم بماهو كائن».

« ما من نسمةٍ كائنةٍ إلاّ وهي كائنةٌ »[1] .

والموجودات كلّها ـ شهاديّاتها وغيبيّاتها ـ كموجود واحد في الفيضان عنه[2] ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [٣١/٢٨] ، وإنّما التقدُّم والتأخُّر ، والتجدُّد والتصرُّم ، والحضور والغيبة ، في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان ، المسجونين في سجن المكان ـ لاغير ـ وإن كان هذا لَمِمّا يستغربه الأوهامُ ، ويشمئزُّ عنه قاصروا الأفهام .

وأمّا قوله عزّ وجلّ : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [٥٥/٢٩] فهو كما قاله بعض أهل العلم : «إنّها شؤون يُبديها ، لاشؤون يبتديها» ـ فافهم .

فصل [٧]

روي في كتاب التوحيد[3] ـ بإسناده الصحيح ـ عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن قول الله عزّوجلّ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

١ ـ البخاري (في العتق وفضله ، باب من ملك من العرب رقيقا . . . ، ١٩٤/٣) عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة» . أبوداود (كتاب النكاح ، باب ماجاء في العزل : ٢٥٢/٢ ، ح٢١٧٢) مثله .

٢ ـ في هامش النسخة :

«وربمايمثّل ذلك بما أذا أخذت امتدادا مختلف الأجزاء في اللون ـ كخشب مثلا اختلف اللون في أجزائه ـ ثمّ أمررته في محاذاة ذرّة أو غيرها ـ مما يضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد ـ فإنّ تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها ـ لضيق نظرها ـ متساوية في الحضور لديك لقوة إحاطتك ـ منه» .

٣ ـ التوحيد : باب معنى قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ٣١٥ ، ح١ .
تفسير القمي : في تفسير الآية المذكورة ، ٥٨/٢ . عنه البحار : ٣٣٧/٣ ، ح٤٧ .

ٱسْتَوَىٰ﴾ [٢٠/٥] قال: «استوى من كلّ شيءٍ فليس شيءٌ أقرب إليه مِن شيءٍ؛ لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب؛ استوى من كلّ شيءٍ».

وفي الكافي بإسناده مثله[1].

وفيه بإسناده عن مولانا الهادي النقي عليه السلام قال[2]: «الأشياء كلّها له سواء، علما وقدرةً وملكا وإحاطةً».

فصل[3] [٨]

[نسبة علمه تعالى إلى الحاضر والغائب سواء]

قد ظهر ممّا ذُكر أنّ إلٰهيّته جلّ وعزّ ثابتةٌ له في الأزل، وهو تامٌّ الفاعليّة فيه؛ وكذلك عالميّته وسمعه وبصره و غير ذلك من الصفات.

فإنّه سبحانه أدرك الأشياء جميعا إدراكا تامّا، وأحاط بها إحاطةً كاملةً، فهو عالمٌ بأنّ أيّ حادث يوجد في أيّ زمانٍ مِنَ الأزمنة، وكم يكون بينه وبين الحادث الذي بعده أو قبله من المدّة، ولايحكم بالعدم على شيء من ذلك؛ بل بدل ما نحكم بأنّ الماضي ليس موجودا في الحال، يحكم هو بأنّ كلّ موجودٍ في زمانٍ معيّن لايكون موجودا في غير ذلك الزمان، من الأزمنة التي تكون قبله أوبعده.

١ـ الكافي: (كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ١/١٢٧ـ١٢٨، ح٦ـ٨) واللفظ فيه: «استوى في كل شيء» في الموردين. وقد ورد فيه: «استوى من كل شيء»، و: «استوى على كل شيء».

٢ـ الكافي: الباب السابق: ١/١٢٦، ح٤. ومثله عن الصادق عليه السلام في التوحيد: باب القدرة، ١٣٣، ح١٥. عنه البحار: ٣/٣٢٣، ح٢١.

٣ـ عين اليقين: ٣٠٧. الوافي: ١/٤٤٩.

وهو عالمٌ بأنّ كلّ شخص في أيّ جزء يوجد من المكان، وأيّ نسبة تكون بينه وبين ما عداه، ممّا يقع في جميع جهاته، وكم الأبعاد بينها على الوجه المطابق للحكم.

ولا يحكم على شيء بأنّه موجودٌ الآن أو معدومٌ، أو موجود هنالك أو معدومٌ، أو حاضرٌ أو غائبٌ؛ لأنّه عزّ وجلّ ليس بزمانيّ ولامكانيّ، بل بكلّ شيءٍ محيطٌ أزلا وأبدا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [٢/٢٥٥].

فصل[١] [٩]

قال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[٢]: «لم تسبق له حالٌ حالاً، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخرا، ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا».

وقال عليه السلام[٣]: «عِلمه بالأموات الماضين، كعِلمه بالأحياء الباقين، وعِلمه بما في السماوات العُلىٰ كعِلمه بما في الأرضين السُفلىٰ».

وعن مولانا الباقر عليه السلام[٤]: «كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالما بما يكون، فعِلمُه به قبل كونه، كعِلمه به بعد كونه».

١ـ عين اليقين: ٣٠٧.

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ٦٥. عنه البحار: ٤/٣٠٨ـ٣٠٩، ح٣٧. ٧٧/٣٠٤، ح٩.

٣ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣. أولها: «الحمد لله خالق العباد...» البحار: ٤/٣٠٧، ح٣٥. ٧٧/٣٠٧، ح١١.

٤ـ الكافي: باب صفات الذات: ١/١٠٧، ح٢. وجاء في التوحيد (باب صفات الذات ١٤٥ ح١٢) بلفظ: «... ولم يزل عالما بما كوّن... بعد ما كوّنه».
البحار: ٤/٨٦، ح٢٣. ٥٧/٨٢، ح٦١. ٥٧/١٦١ـ١٦٢، ح٩٧.

و عن مولانا الرضا عليه السلام[1] : « له معنى الربوبيّة إذ لا مَربوب ، وحقيقة الإلٰهيّة إذ لامَألوه ، و معنى العالِم ولا معلوم ، و معنى الخالق و لامخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ؛ ليس منذ خَلَقَ استحقّ معنى الخالِق ، ولابإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة ؛ كيف ولاتعيّنه[2] «مذْ» ولا تدنيه «قدْ» ، ولا تحجبه «لعلَّ» ، ولاتوقته «متىٰ» ولاتشمله «حين» ولا تقارنه «مع» ...» ـ الحديث ـ[3] .

وعن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال ـ[4] : « لم يزل الله ـ جلّ وعزّ

١ـ التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه : ٣٨ ، ح٢ . العيون : خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد ، ١٥٢/١ ، ح٥١ . أمالي المفيد المجلس الثلاثون ، ٢٥٦ـ٢٥٧ ، ح٤ . أمالي الطوسي : المجلس الأول ، ٢٣ ، ح٢٨ ، مع فروق . البحار : ٢٢٩/٤ . ٤٣/٥٧ ، ح١٧ .

٢ـ كذا في النسخة . وفي المصادر : ولاتغيبه .

٣ـ كتب المؤلف هنا مقاطع ، ثم شطب عليها ، وهي :

وكما أنّه لايلزم من فاعليّته ـ تعالى ـ للأشياء كون وجوداتها في ذواتها في مرتبة ذاته ـ سبحانه ـ بل كونه بحيث يتبع وجوده وإيجاده وجود الأشياء وصدوره عنه ، فكذلك لايلزم من عالميّته بها كونها في ذواتها في مرتبة ذاته ، بل كونه بحيث يتبع انكشاف ذاته بذاته على ذاته ، انكشاف ذوات الأشياء بذواتها على ذاته ؛ وكما أنّ إيجادها للموجودات الكثيرة لايقدح في بساطته الحقّة ، لكونها صادرة عنه على الترتيب السببي والمسببي ، فكذلك علمه سبحانه بالأشياء الكثيرة لاينثلم وحدته الصرفة ، فتلك الكثرة ترتقي إليه وتجتمع في واحد محض ؛ إذ الترتيب تجمع الكثرة في واحد ، فله الكلّ من حيث لاكثرة فيه .

فصل

روي في كتاب التوحيد [باب العلم، ١٣٨، ح١٦] عن مولانا الكاظم عليه السلام ـ قال :ـ علم الله لايوصف الله منه بأين ، ولايوصف العلم من الله بكيف ، ولايفرد العلم من الله ، ولايبان اللهمنه ، وليس بين الله وبين علمه حد .

٤ـ التوحيد : باب صفات الذات وصفات الأفعال ، ١٣٩ ، ح١ . الكافي : باب صفات الذات ١٠٧/١ ، ح١ . البحار : ٧١/٤ ، ح١٨ . ١٦١/٥٧ ، ح٩٦ .

ربّنا ـ والعِلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولامسموع، والبصر ذاته ولا مبصَر، والقدرة ذاته ولا مقدور؛ فلمّا أحدث الأشياءَ ـ وكان المعلوم ـ وقع العلمُ منه على المعلوم، والسمعُ على المسموع، والبصرُ على المبصَر، والقدرةُ على المقدور».

فصل[1] [١٠]

[صفاته تعالى ذاتية]

وإذ ثبت أنّ كمالاته سبحانه ليست بأمر زائد على ذاته، وأنّها ثابتة له في الأزل، ظهر أنّ مجده وعلوّه تعالى في الفاعليّة والعالِميّة والقادِريّة ـ ونحوها من صفات الكمال ـ ليس بالمعنى الإضافي الذي هو متأخّر عن ذاته، وعن وجود ما أُضيفت هي إليه؛

بل علوّه ومجده في هذه الصفات إنّما هو بمبادئ تلك الإضافات، المتقدّمة على وجود ما تعلّقت هي به ـ وهي كونه في ذاته بحيث تنشأ منه هذه الصفات ـ وهو سبحانه إنّما هو كذلك بنفس ذاته.

فإذن: علوّه ومجدُه في صفاته العليا ليس إلاّ بذاته ـ لاغيرَ.

* * *
* *

١ـ عين اليقين: ٣٠٧. راجع أيضا الأسفار الأربعة: ٦/١٢٠.

فصل[1] [١١]

[علمه تعالى بذاته]

وإذ هو سبحانه بسيط الحقيقة منزّهٌ الذات عن الموضوع والمادّة والعوارض وسائر ما يجعل الذاتَ بحال زائدة، ويُريها على غيرما هي عليه: فلا ليس له، فهو صُراح[2] ، وذاته غير محتجبة عن ذاته؛

فهو ظاهر بذاته على ذاته،

فهو يدرك ذاته أشدّ إدراك، ويعلمها أتمّ عِلم، لظهورها له أشدّ ظهور.

بل لا نسبة لعلمه بذاته إلى علوم من سواه بذواتهم ، كما لا نسبة بين وجوده و وجودات الأشياء، حيث هو وراء ما لايتناهى ، بما لايتناهى[3] .

١ـ عين اليقين : ٣٠٧.

٢ـ الصراح : الخالص من كلّ شيء.

٣ـ أضيف في علم اليقين : فعلمه بذاته عبارة عن كون ذاته ظاهرة لذاته ، ولايوجب ذلك أن يكون هناك اثنينية في الذات ولا في الاعتبار ، فإنه ليس إلا اعتبار أن له حقيقة ظاهرة بذاته ، هي ذاته ، وأنه حقيقة ظاهرة ذاته له ؛ ففي الاعتبار تقديم وتأخير في ترتيب المعاني ، والغرض المحصل شيء واحد ، ولايجوز أن يحصل حقيقة الشيء مرتين ، فذاته ـ سبحانه ـ مع وحدته الصرفة عالم ومعلوم وعلم ؛ على أنك دريت ذلك في كل علم.

فصل [1] [١٢]

[علمه تعالى بغيره]

ولمّا كان ذاتُه تعالى فاعلا تامّا لجميع ما عداه، ومبدأ لفَيَضان كلّ إدراك ـ حسّيا كان أوعقليّا ـ ومنشأ لكلِّ ظهورٍ ـ عينيّا كان أو ذهنيّا ـ إمّا بدون واسطة أو بواسطة هي منه، وفاعليّته عين ذاته، إذ هي من الكمالات، والعلم التامِ بالفاعل التامّ للشيء من حيث حقيقته التي بها فاعلٌ يستلزم العلمَ بكونه فاعلا لذلك الشيء، وهو مستلزمٌ للعلم بذلك الشيء:

فهو سبحانه عالِمٌ بجميع الموجودات قاطبة،

﴿ لايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [٣/٣٤] في الارض ولا في السماء،

﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثىٰ وَلاَ تَضَعُ اِلاَّ بِعِلْمِه ﴾ [٤١/٤٧]،

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ اِلاَّ يَعْلَمُها﴾ [٦/٥٩]،

﴿ اَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَطِيفُ الْخَبِير ﴾ [٦٧/١٤].

* * *

---

١ ـ عين اليقين: ٣٠٨.

فصل[1] [١٣]

[علمه تعالى بالمحسوسات]

ولمّا ثبت علمُه سبحانه بالجزئيّات على ما هي عليه ـ ومن جملتها المسموعات، من الحروف والأصوات، والمبصَرات، ذوات الأضواء والألوان ـ فهو سبحانه يدركها لامحالة ـ بلا آلة وجارحة ـ ولكن إدراكا حقّا بنفس ذاته النوري، الذي يظهر ويتنوّر به جميع الأشياء، كما يدرك سائرَ المحسوسات كذلك.

فذاته سبحانه ـ بهذا الاعتبار ـ سمعه وبصره ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١/١٧].

وأمّا عدمُ ورود توصيفه تعالى بالشامِّ والذائقِ واللامِس ـ مع علمه سبحانه بالمشمومات والمذوقات والملموسات ـ فلإيهامه التجسُّم ـ تعالى عنه ربّنا وتقدّس.

سُئِل مولانا الجواد عليه السلام[2] : «كيف يسمّى ربُّنا سميعا» ؟

١ـ كتب المؤلف ـ قده ـ هنا فصلا في بيان كونه تعالى نورالسماوات والأرض، ثمّ شطب عليه، ولماكان الفصل بألفاظه موجودا في عين اليقين (ص٣٠٨) أعرضنا عن إيراده هنا حذرا من التطويل؛ على أنّه ـ قده ـ كتب في عين اليقين فصولا يبين فيها عالميته تعالى لكونه بسيط الحقيقة، فراجع إن شئت.

٢ـ التوحيد: باب أسماء الله تعالى، ١٩٤، ح٧. الكافي: كتاب التوحيد، باب معاني الأسماء: ١١٧/١، ح٧. الاحتجاج: احتجاج الإمام الجواد عليه السلام: ٤٦٨/٢.
البحار: ١٥٤/٤، ح١.

قال : «لأنّه لايخفى عليه ما يدرَك بالأسماع ، ولم نَصِفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سمّيناه بصيرا لأنّه لايخفى عليه مايُدرَك بالأبصار من لون وشخص وغيرذلك ـ ولم نصفه بنظر لحظ العين[1] » .

فصل [١٤]

[إنّه تعالى مختار]

وإذ ثبت أنّ الوجود كلّه فعلُه سبحانه ، لامدخل لغيره فيه ، وقد صدر عنه على وفق علمه ـ صدورا غير مستكرَه ولامقهور ولامغلوب ولامضرور ـ

فبانَ أنّه سبحانه على كلّ شيء قديرٌ وبكلّ شيء بصيرٌ ؛

وأنّه سبحانه مختارٌ في فعله اختيارا أجلّ وأعلى من اختيارنا ، لأنّ الاختيار فينا ناقصٌ مشوبٌ بنحو من الاضطرار ، وذلك لتجدّد الأغراض ، واختلاف الدواعي ، وتفنُّن الإرادات ، وسُنوح الحالات فينا ، والمرجِّح إنّما يرد علينا من خارج ـ كما يأتي تحقيقه[2] ـ بخلافه جلّ جلاله ، فإنّ صفاته جميعا نفس ذاته المقدّسة عن التغيُّر والحدثان .

* * *

* *

١ـ الكافي : و لم نصفه ببصر لحظة العين . الاحتجاج : ولم نصفه ببصر طرفة العين .

٢ـ راجع الفصل الحادى عشر إلى الخامس عشر من الباب السابع من هذاالمقصد .

فصل [1] [١٥]

[إرادته تعالى]

و أمّا إرادته سبحانه : فهي من حيث نسبتها إليه سبحانه عين ذاته جلّ وعزّ ، وأمّامن حيث إضافتها إلى المراد فإنّها محدَثةٌ ، إلاّ أنّها ليست كإرادتنا مقدّمة على الفعل ، بل هي هناك نفسُ الفعل والإيجاد .

قال مولانا الكاظم عليه السلام[2] : « الإرادة من المخلوق الضمير ومايبدو له بعد ذلك من الفعل ، وأمّا من الله ـ عزّ وجلّ ـ فإرادته إحداثه لاغير ذلك ، لأنّه لايروّي ولايهمّ ولايتفكّر ، وهذه الصفات منفيّةٌ عنه ، وهي من صفات الخَلق ، فإرادة الله ـ تعالى ـ هي الفعل ، لا غير ؛ يقول له : « كن » فيكون ، بلا لفظ ولانطق بلسان ولاهمّة ولاتفكّر ، ولاكيف لذلك ؛ كما أنّه بلا كيف» ـ رواه في كتاب التوحيد[3] ـ .

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٣٦/٨٢] .

١ـ راجع أيضا الوافي : ٤٤٧/١ .

٢ـ كذا فيا عندي من نسخ الكتاب ، ولكن الرواية مرويّة عن الرضا عليه السلام ، ولذلك أورده الصدوق ـ قده ـ في عيون أخبارالرضا عليه السلام أيضا ؛ والأظهر أنه سهو نشأ مما قاله صفوان بن يحيى ـ الراوي ـ : قلت لأبي الحسن عليه السلام .

٣ـ التوحيد : باب صفات الذات وصفات الأفعال : ١٤٧/١ ، ح١٧ . عيون أخبارالرضا عليه السلام : باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد : ١١٩/١ ، ح١١ . الكافي : باب الإرادة أنها من صفات الفعل : ١٠٩/١ ، ح٣ . وروى الشيخ صدر الحديث في أماليه : المجلس الثامن ، ٢١١ ، ح١٥ . البحار : ١٣٧/٤ ، ح٤ . راجع أيضا ما كتبه المؤلف ـ قده ـ شرحا لهذه الرواية في كتابه الوافي : ٤٥٦/١ .

فصل [١٦]

[قدرته تعالى وكيفيّة نسبة الخير والشر إليه]

فقُدرته تعالى عبارةٌ عن كون ذاته بذاته بحيث تصدر عنه الموجودات لأجل علمه بنظام الخير ـ الذي هو عين ذاته ـ . ولا يعتبر في القدرة إلاّ تعيُّن الفعل بالمشيَّة، سواء كانت المشيَّة يصحّ عليها التغيُّر، أو لا .

فالقادر مَن إن شاء فعَل، وإن لم يشأ لم يفعل ـ سواء شاء ففعل دائما، أو لم يشأ فلم يفعل ـ والشرطيّة غير معلّقة الصحّة بصدق كلٍّ من طرفيها، بل قد يصحُّ أن يكون أحد طرفيها، أو كلاهما ممّا يكذب ـ كما حقّق في محلّه[١] ـ .

وإرادته تعالى بالنسبة إليه سبحانه عبارةٌ عن كون ذاته بذاته داعيا لصدور الموجودات عنه على وجه الخير والصلاح، لأجل علمه بالنظام الأوفق .

فإذا نسبت إليه الموجودات من حيث أنّها صادرةٌ عن عِلمه : كان علمُه بهذا الاعتبار «قُدرةً» .

وإذا نسبت إليه من حيث أنّ عِلمَه كافٍ في صدورها : كان علمُه بهذا الاعتبار «إرادة» .

١ ـ راجع الجوهر النضيد : ٤٣ .

وعدم إرادته سبحانه الشرور مع إحاطة علمه بكلِّ شيءٍ لاتنافي كون إرادته الخيرَ عين علمه ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنَّ وِزان إرادته بالنسبة إلى صفة العلم، وزان السمع والبصر بعينه؛ فكما أنَّ السمعَ سمعٌ لكلِّ مسموع ـ لا لكلِّ شيءٍ ـ والبصرَ بصرٌ بالقياس إلى كلِّ مبصَر ـ لا كلِّ شيءٍ ـ فكذلك إرادته الحقَّة؛

فذاته سبحانه علمٌ بكلِّ شيءٍ ممكن، وإرادةٌ لكلِّ خيرٍ ممكن، وسمعٌ لكلِّ شيءٍ مسموعٍ، وبصرٌ لكلِّ شيءٍ مبصَر، وقدرةٌ على كلِّ شيءٍ مقدورٍ عليه.

مع أنَّ الشرورَ أيضا مرادةٌ ومَقضيَّةٌ بالعرَض، أي بما هي لوازم للخيرات الغالبة عليها ـ وإن لم تكن مرادةً بالذات، أي بما هي شرورٌ ـ وهي من حيث تبعيّتها للخيرات خيراتٌ ومرادةٌ، كما أنَّها معلومةٌ، فلم تخرج عن إحاطة الإرادة بها، كما أنَّها لم تخرج عن إحاطة العلم بها.

* * *

* *

*

فصل [١٧]

[شمول إرادته تعالى]

ولمّا كانت إرادته سبحانه بالنسبة إلى المراد نفس الإيجاد، فكلّما أراد شيئا وُجد، فقُدرته عامّة وسعت كلّ شيء.

وأمّا الممتنع فليس بشيء حتّى يسعه القدرةُ، فعدمُ دخوله تحت الوجود ليس نقضا على ذلك، ولا نقصا على الله سبحانه وتعالى[١].

روي في كتاب التوحيد[٢] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام، قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: «هل يقدرُ ربُّك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا، أو يكبر البيضة»؟

قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لايُنسب إلى العجز، والذي سألتني لايكون».

١ـ كتب المؤلف هنا مايلي ثمّ شطب عليه:
«تبّا وتعسا لمن يتوهّم أنّ الله ـ سبحانه ـ لايقدر على إخراج إبليس من مملكته، أو لايقدر أن يدخل السماوات في سمّ خياط، أو نحو ذلك.
فإنّ هذا المسكين لايفهم ـ مع قطع النظر عن المصالح التي روعيت في خلق إبليس ـ أنّ العجز في عدم الاخراج إنّما هو من عدم المملكة التي غير مملكة الله، حتى يتصوّر إخراجه إليها، وليس من عدم القدرة من الخالق، وكذا العجز في الثاني إنّما هو من الإبرة ـ دونه تعالى».

٢ـ التوحيد: باب القدرة: ١٣٠، ح٩. البحار: ١٤٣/٤، ح١٠.

وبإسناده[١] عنه ـ عليه السلام ـ قال ـ : جاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : «أيقدر الله أن يُدخل الأرض في بيضة ولايصغر الأرض ولايكبر البيضة» ؟ فقال له : «ويلك ، إنّ الله لايوصَف بالعجز ، من أقدر ممّن يلطّف الأرض ، ويعظّم البيضة» ؟

وبإسناده عن مولانا الرضا عليه السلام[٢] أنّه سُئل : «هل يقدر ربُّك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة» ؟ قال : «نعم ، وفي أصغر من البيضة ؛ قد جعلها في عينك وهي أقلّ من البيضة ، لأنّك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض ، وما بينهما ، ولو شاء لأعماك عنها» .

أقول : وقد صدر مثل هذا الجواب عن مولانا الصادق عليه السلام أيضا ـ كما روي فيه وفي الكافي[٣] ـ ولكنّه جوابٌ جدليّ مسكِت ، ناسَب فهمَ السائل ، وإنّما صدر من محلّ الخلافة النبويّة ، امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ وَ جَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١٦/١٢٥] .

و أمّا الجوابُ الحقُّ فهو الجواب الأوّل ، الصادر عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام واختلاف الأجوبة ، إنّما تكون لاختلاف أفهام السائلين ـ والعلم عند الله ـ .

١ـ التوحيد : الباب السابق : ١٣٠ ، ح١٠ . البحار : ٤/١٤٣ ، ح١١ .
٢ـ التوحيد : الباب السابق : ١٣٠ ، ح١٢ . البحار : ٤٣/ ح١١ .
٣ـ التوحيد : باب القدرة : ١٢٣ح١ . الكافي : باب حدوث العالم وإثبات المحدث : ١/٧٩ ، ح٤ .

فصل [١٨]

(حياته تعالى)

حياته سبحانه عبارةٌ عن نوريّته المحضة، المستلزمة للإدراك والفعل، فإنّ الحيّ هو الدرّاك الفعّال، ولمّا كانت الصفتان عين ذاته تعالى، فذاتُه بذاته حياته، وكلُّ حياة غيرها فإنّما هي رشحةٌ من حياته، وهو الحيُّ بالحقيقة ـ لا إله إلاّ هو.

فصل [١٩]

[تكلّمه سبحانه]

تكلُّمه ـ سبحانه ـ عبارةٌ عن كون ذاته تعالى بحيث يقتضي إلقاء الكلام الدالّ على المعنى المراد، لإفاضته ما في قضائه السابق، من مكنونات علمه على من يشاء من عباده، فإنَّ المتكلِّم عبارة عن موجِد الكلام، والتكلُّم فينا مَلَكة قائمة بذواتنا، بها نتمكّن من إفاضة مخزوناتنا العلميّة على غيرنا، وفيه ـ سبحانه ـ عين ذاته، إلاّ أنّه باعتبار كونه من صفات الفعل متأخّر عن ذاته.

قال مولانا الصادق عليه السلام[1] : «إنَّ الكلامَ صفةٌ محدَثة ليست بأزليّة؛ كان الله ـ عزّوجلّ ـ ولا متكلِّم».

---

١ ـ التوحيد: باب صفات الذات وصفات الأفعال: ١٣٩، ح١.
الكافي: باب صفات الذات: ١٠٧/١، ح١. البحار: ٧٢/٤.

أقول : وهذا مثل قولهم عليهم السلام[1] : «كان الله ولم يكن معه شيء» .

و تمام الكلام في كلامه ـ عزّ وجلّ ـ يأتي في مباحث الكتب والرسل ـ إن شاء الله .

فصل [٢٠]

[محبّته سبحانه للعبد ومحبّة العبد له]

محبّته سبحانه للعبد عبارةٌ عن كشفه الحجاب عن قلبه ـ حتّى يراه بقلبه ـ وعن تمكينه إيّاه من القرب إليه ، وإرادته ذلك به في الأزل .

فحبُّه لمن أحبّه أزليٌّ مهما أُضيف إليه الإرادة الأزليّة التي اقتضت ذلك ، وإذا أُضيف إلى فِعله الذي يكشف به الحجاب عن قلب عبده : فهو حادثٌ يحدث بحدوث السبب المقتضي له ، كما قال تعالى[2] : «لايزال العبدُ يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبُّه» . فيكون تقرُّبه بالنوافل سببا لصفاء باطنه ، وارتفاع الحجاب عن قلبه ، وحصوله في درجة القُرب من ربّه .

ومحبّةُ العبد لله تعالى ميلُه إلى درك هذا الكمال ، الذي هو مفلسٌ

---

١ ـ في التوحيد (باب التوحيد ونفي التشبيه ، ٦٧ ، ٢٠) : «كان الله ولاشيء معه» . وفي الكافي (باب صفات الذات : ١٠٧/١ ، ح٢) : «كان الله عزّ وجلّ ولاشيء غيره» .
وفي النهج (الخطبة : ١٨٦) : «... وإنّه سبحانه يعود بعدفناء الدنيا وحده ، لاشيء معه ؛ كما كان قبل ابتدائها» .

٢ ـ مضى في الصفحة : ٧٤ .

عنه، فاقدٌ له؛ فلاجرم يشتاق إلى مافاته منه، وإذا أدرك منه شيئا يلتذُّ به. والشوق والمحبّة ـ بهذا المعنى ـ محالٌ على الله تعالى.

فصل [٢١]

[اختلاف مفهوم الكلمة عند إطلاقه عليه تعالى وعلى غيره]

كلّ ما يطلق عليه سبحانه وعلى غيره، فإنّما يطلق عليهما بمعنيين مختلفين ليسا في درجة واحدة، حتّى أنّ «الوجود» الذي هو أعمُّ الأشياء اشتراكا، لايشمله وغيره على نهج واحد؛ بل كلُّ ماسواه وجوداتها ظلال وأشباحٌ محاكية لوجوده سبحانه.

وهكذا في سائر صفاته ـ كالعلم والقدرة والإرادة والمحبّة والرحمة والغضب والحياء وغيرها ـ فكلُّ ذلك لايشبه فيه الخالقُ الخَلقَ، بل هو في حقِ الخَلق يصحبه نقصٌ وشَينٌ؛ بخلافه في حقِ الخالق، فإنّه مقدّسٌ عن القصورات والنقائص؛ وإنّما يطلق في حقِه ـ تعالى ـ باعتبار غاياتها التي هي الكمالات ـ دون مبادئهاالتي هي النقائص.

وواضع اللغات إنّما وضع هذه الأسامي أولا للخَلق، لأنّها أسبق إلى العقول والأفهام؛ وفهم معانيها في حقّه تعالى عَسِرٌ جدّا، وبيانها أعسر منه، بل كلّ ماقيل في تقريبه إلى الأفهام فهو تبعيدٌ له من وجه.

ولعلّ إلى هذا المعنى أشار مَن قال: «مَن عرفَ اللهَ كَلَّ لِسانُه»[1].

١ـ في هامش النسخة

اين مدعيان درطلبش بى خبرانند / كانرا كه خبر شد خبرى باز نيامد

فصل [٢٢]

[استحالة معرفة كُنه صفاته تعالى]

بل الحقّ أنّه كما لايجوز لغيره سبحانه الإحاطة بمعرفة كنه ذاته تعالى، فكذلك لايجوز له الإحاطة بمعرفة كنه صفاته عزّ وجلّ، وكلّ ما وصفه به العقلاءُ فإنّما هو على قدر أفهامهم وبحسب وُسعهم، فإنّهم إنّما يصِفونه بالصفات التي ألفوها وشاهَدوها في أنفسهم، مع سلب النقائص الناشئة من انتسابها إليهم بنوع من المقايسة، ولو ذكر لهم من صفاته عزّ وجلّ ما ليس لهم ما يناسبه بعض المناسبة، لم يفهموه؛ فتوصيفهم إيّاه سبحانه إنّما هو على قدْرهم، لاعلى قدْره؛ وبحسبهم، ليس بحسبه؛ جلّ جلالُه عمّا يصفون، وتعالى شانُه عمّا يقولون، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾.

كيف، وقد قال سيّدنا ونبيّنا سيّد الخلائق وأشرف النبيّين ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ[1] : «لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك». وما أحسن ما قال مولانا الباقر عليه السلام[2] : «هل سمّي

١ـ مضى في الصفحة : ٥٤ .

٢ـ لم أعثر على الرواية في الجوامع الروائية ـ وإن كان مضمونها يشهد بصدورها عن معادن الحكمة وأهل بيت الوحي ـ ولعل أقدم من استشهد بها الخواجة نصيرالدين الطوسي ـ قده ـ في رسالة شرح مسئلة العلم (المسألة الخامسة عشرة، ٤٣) حيث قال : «... ونعم ماقال عالم من أهل بيت النبوة عليه السلام : هل يسمى قادرا...». ونقل منه المحقق السيد الداماد في القبسات : أواخر القبس الثامن : ٣٤٣. والرواشح السماوية : ١٩ . وقد نسبه الشيخ البهائي في شرح الأربعين (شرح الحديث الثاني : ٨١) إلى الباقر عليه السلام .

عالما وقادرا إلاّ لأنّه وَهَب العِلمَ للعلماء والقدرةَ للقادرين ؟ وكلُّ ما مَيّزتموه بأوهامكم في أدقِ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم، مردودٌ إليكم، والباري تعالى واهبُ الحياة ومقدِّر الموت؛ ولعلَّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله تعالى زُبانيتين ـ فإنّهما كمالها ـ وتتصوّر أنّ عدمهما نقصان لمن لايكونان له؛ هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به فيما أحسب، وإلى الله المفزع»[1] . ـ انتهى كلامه صلوات الله عليه .

و عن النبي ﷺ[2] : «إنَّ الله لا يُشبه شيئا ولا يُشبهه شيءٌ، وكلُّ ماوقع في الوهم فهو بخلافه»[3] .

فسبحانه سبحانه، ما أعلى شأنه، وأبهر برهانه، وأعظم امتنانه .



١ـ كتب في الهامش مايلي : «مراده عليه السلام أنّ الله عزّ وجلّ منزّه عن كلّ وصف من أوصاف الكمال، الذي يظنّه أكثر الخلق، لأنّ الخلق إنّما يصفونه بماهو كمال في حقّهم، والله تعالى منزّه عن أوصاف كمالهم، كما أنّه عزّ وجلّ منزّه عن أوصاف نقصهم، وكلّ صفة يصفه به الخلق ممّا يدركه حسّ أو يتصوّره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يفضي به فكر؛ فهو مقدّس عنها وعمّا يشبهها، ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها عليه لم يجز إطلاق أكثرها، فـ﴿سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى ٱلمُرسَلِينَ * وَٱلحَمدُ لله رَبِّ ٱلعالمِينَ﴾ [٣٧/١٨٠-١٨٢] ـ منه».

٢ـ لم أجده عن النبي ﷺ ، و لكنه ورد بلفظه في التوحيد (باب معنى الواحد و التوحيد والموحّد، ٨٠، ح٣٦) عن الصادق عليه السلام . وروى الكليني ـ قده ـ (الكافي : باب إطلاق القول بأنه شيء : ١/٨٢، ح١) عن الباقر عليه السلام : «.. فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لايشبهه شيء ولاتدركه الأوهام. . .».

٣ـ في هامش النسخة :

اى برتر از خيال وقياس وگمان ووهم — وزهرچه گفته‌اند وشنيديم وخوانده ايم

مجلس تمام گشت وبه آخررسيد عمر — ما همچنان در اول وصف تو مانده ايم

[٥]

باب

نبذ من نعوته جلّ ذكره

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[٤٢/١١]

فصل [١]

قد ورد في القرآن المجيد وأحاديث أهل البيت ﷺ من نعت الله ـ سبحانه ـ وتوحيدِه وتقديسِه وتمجيدِه كلماتٌ وعباراتٌ تحتوى من الأسرار والمعارف ما لايصل كلُّ أحد إليه، ولايمكن المزيد عليه ـ سيّما عن مولانا أميرالمؤمنين وسيّد الموحِّدين ـ صلوات الله عليه ـ فإنّ كلامه في التوحيد والعدل يتضمّن ـ مع عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة ـ من الإشارات والتنبيهات على أسرار العلوم، ما هو بلال كلِّ غُلّة وجلاء كلِّ شبهة[١] .

فأردنا أن نورد نبذا من ذلك تأييدا لِما أسلفناه ، و تشييدا لما أصّلناه، وليزداد الطالبُ بصيرة في معرفة الله وآياته .

١ـ في هامش النسخة : البلل ـ محركة ـ والبلة والبلال ـ بكسرهما ـ : النداوة . الغُلّ والغُلّة ـ بضمها ـ والغلل ـ محركة ـ : وكابة العطش أو شدته أو حرارة الجوف .

وليُعلم أنّ جُلّ ماأدركته العقولُ مقتبَس من أنوارالشرع ومرموزاته بل لايمكن المزيد على ما جاءَت به الشرايع ؛ خصوصا شرعُ نبيّنا ﷺ فانه لاأتمّ منه ولا أحكم.

رويا في كتابي الكافي والتوحيد[1] بإسناديهما، عن عاصم بن حميد ـ قال ـ : سُئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال:

«إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ عَلِم أنّه يكون في آخرالزمان أقوامٌ متعمّقون، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمَن رامَ وراءَ ذلك، فقد هلك».

ونبدأ أولا بكلام رسول الله ﷺ المرويّ في كتاب التوحيد، ثمّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام المرويّ فيه وفي الكافي، ثمّ سائر كلماته ـ صلوات الله عليه وآله ـ المنقولة من نهج البلاغة، إلاّ ما نضيفه إلى غيره. وأمّا كلمات سائر أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فقد أوردناها في مواضعها متفرِّقة، وكذا بعض الآيات القرآنيّة، مع أنّها مستغنية عن الذكر.

١ـ الكافي: باب النسبة، ٩١/١، ح٣. التوحيد: باب أدنى ما يجزى من معرفة التوحيد، ٢٨٣، ح٢. عنه البحار: ٢٦٣/٣ـ٢٦٤، ح٢١. واللفظ للكافي.

فصل [٢]

قال النبيُّ ﷺ[1] :

« الحمد لله الذي كان في أوّليّته وحدانيّا ، و في أزليّته متعظِّما بالإلهيّة، متكبِّرا بكبريائه وجبروته ؛

ابتدءَ ما ابتدعَ ، و أنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء ممّا خلق ، ربُّنا القديم بلطف ربوبيّته وبعلم خبره فتق ، وبإحكام قدرته خلَق جميعَ ما خلق ، وبنورالإصباح فلقَ ؛

فلا مبدِّل لخَلْقه ، ولامغيِّر لصُنعه ، ولامعقِّب لحكمه ، ولارادَّ لأمره ولامستراح عن دعوته ، ولا زوال لملكه ، ولا انقطاع لمدَّته ؛ وهو الكينون أوّلا ، والديموم أبدا .

المحتجب بنوره ـ دون خلقه ـ في الأفق الطامح ، والعزِّ الشامخ ، والملك الباذخ[2] ، فوق كلِّ شيءٍ علا ومن كلِّ شيءٍ دنى ، فتجلّى لخَلقه من غيرأن يكون يُرى ، و هو بالمنظَر الأعلىٰ .

فأحبَّ الاختصاص بالتوحيد إذ احتجب بنوره ، وسَما في علوّه واستتر عن خلقه ، وبعث إليهم الرسل ، ليكون له الحجّة البالغة على

١ـ التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه مع فروق يسيرة ، ٤٤ ، ح٤ .
عنه البحار : ٢٨٧/٤ ، ح١٩ .
وجاء مايقرب منه في كفاية الأثر في خطبة للحسن بن علي عليه السلام باب ماروي عنه عليه السلام من النصوص ، ١٦١ . عنه البحار : ٣٦٣/٤٣ ، ح٦ .

٢ـ في هامش النسخة : طمح بصره إليه ـ كمنع ـ : ارتفع . وكل مرتفع طامح . شمخ الجبل : علا وطال . البذخ ـ محركة ـ : الكبر . بذخ ـ كفرح ـ وتبذّخ : تكبر وعلا ـ ف .

خلقه، ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وانبعث[1] فيهم النبيّين مبشِّرين ومنذِرين، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، وليعقل العباد عن ربّهم ماجهلوه، فيعرفوه بربوبيّته بعد ما أنكروا، ويوحّدوه بالإلٰهيّة بعد ما عَندوا».

فصل [٣]

وقال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[2] :

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرِّد، الذي لا من شيء كان ولا من شيءٍ خلَق ما كان؛

قدرةٌ[3] بانَ بها من الأشياء و بانت الأشياءُ منه، فليست له صفةٌ تنال، ولا حدٌّ تُضرب له فيه الأمثال؛

كلَّ دون صفاته تحبير اللغات، وضلّ هناك تصاريف الصفات، وحار في ملكوته عميقاتُ مذاهب التفكير، و انقطع دون الرسوخ في علمه جوامعُ التفسير، و حالَ دون غيبه المكنون حُجب من الغيوب،

١ـ كذا في التوحيد. ولكن كتب في النسخة «بعث» ثم صحفت الكلمة بحيث يمكن قراءتها «انبعث» و«ابتعث». والأظهر أن التغيير من غيرالمؤلف حيث أنها في نسخة ع المستنسخة بعد فوت المؤلف أيضا: بعث.

٢ـ الكافي: باب جوامع التوحيد، ١٣٤/١، ح١ واللفظ له. عنه البحار١٦٤/٥٧، ح١٠٣. التوحيد: باب التوحيد ونفي التشبيه مع فروق يسيرة، ٤١، ح٣. عنه البحار: ٢٦٩/٤، ح١٥.

٣ـ في التوحيد: قدرته. وقال المؤلف في الوافي: «قدرة منصوب على التميز أوبنزع الخافض، يعني ولكن خلق الأشياء قدرة، أو بقدرة؛ أومرفوع، أي له قدرة، أو هو قدرة، فإن صفته عين ذاته».

تاهت في أدنى أدانيها طامحاتُ العقول في لطيفات الأُمور .

فتبارك[1] الذي لايبلغه بُعدُ الهِمَم ولاينالُه غوصُ الفِطن ، وتعالى الذي ليس له وقتٌ معدودٌ ولا أجلٌ ممدود ولا نعتٌ محدودٌ ، وسبحان الذي ليس له أوّلٌ مبتدأ ، ولا غاية منتهى ، ولا آخر يفنى ؛

سبحانه ، هو كما وصَف نفسَه ، والواصفون لايبلغون نعتَه .

حدّ الأشياء كلّها عند خَلقه إبانة لها من شِبهه ، و إبانة له من شِبهها ؛

فلم يحلل فيها فيقال : «هو فيها كائن» ؛

ولم ينأ عنها فيقال : «هو منها بائن» ؛

ولم يخل منها فيقال له : «أين» ؟ ؛

لكنّه ـ سبحانه ـ أحاط بها علمُه ، و أتقنَها صُنعه ، و أحصاها حفظه .

لم يعزب عنه خفيّاتُ غيوب الهواء ، ولا غوامض مكنون ظُلم الدُجىٰ ، ولا ما في السماوات العُلىٰ إلى الأرضين السُفلىٰ ؛ لكلِّ شيءٍ منها حافظٌ ورقيبٌ ، وكلُّ شيء منها بشيءٍ محيط ،

و المحيط بما أحاط منها الواحد الأحد الصمد ، الذي لايغيّره صروفُ الأزمان ، ولا يتكادّه صُنع شيءٍ كان ؛ إنّما قال لِما شاء : «كُنْ» ، فكان .

ابتدع ما خَلَقَ بلا مثال سَبَق ، ولاتعب ولانَصب ؛

---

١ ـ كذا في النسخة ، ولكن في المصدرين : فتبارك الله الذي .

وكلُّ صانع شيءٍ فمن شيءٍ صَنع ، والله لا مِن شيءٍ صنَعَ ما خَلَق ؛ وكلُّ عالِمٍ فمن بعد جهل تعلَّم ، والله لم يجهل ولم يتعلَّم .

أحاط بالأشياء عِلما قبل كونها ، فلم يزدد بكونها عِلما ، عِلمُه بها قبل أن يكوِّنها كعِلمه بعد تكوينها ؛

لم يكوِّنها لتشديد سلطان ، و لاخوفٍ من زوالٍ و لانقصان ، ولا استعانة على ضدٍّ مناوٍ ولاندٍّ مكاثرٍ ولاشريكٍ مكابرٍ ؛ لكن خلائق مربوبون ، وعبادٌ داخرون .

فسبحان الذي لايؤوده خلْقُ ما ابتدع ولا تدبيرُ مابرأ ، ولا مِن عجزٍ ولا مِن فترةٍ بما خلَق اكتفى ؛

عَلِمَ ما خَلَقَ ، وخَلَقَ ما عَلِم ؛ لا بالتفكير في علم[1] حادث أصاب ما خلَق ، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلُق ؛

لكن قضاءٌ مبرَمٌ ، وعلمٌ محكَمٌ ، وأمرٌ متقَنٌ .

توحّد بالربوبيّة وخصَّ نفسَه بالوحدانيّة ، واستخلص بالمجد والثناء ، وتفرّد بالتوحيد والمجد والسِّناء ؛ وتوحّد بالتحميد ، وتمجّد بالتمجيد[2] ، وعلا عن اتِّخاذ الأبناء ، وتطهّر وتقدّس عن ملامسة النساء ، وعزّوجلّ عن مجاورة الشركاء ؛

فليس له فيما خلَق ضدٌّ ، ولا له فيما ملك ندٌّ ؛ ولم يشركه في ملكه أحدٌ ، الواحد الأحد الصمد المبيد[3] للأبد ، والوارث للأمد ، الذي

١ـ في التوحيد : ولابعلم (بدلا من : في علم) .
٢ـ في التوحيد : واستخلص المجد والثناء ، فتحمد بالتحميد ، وتمجد بالتمجيد .
٣ـ في هامش النسخة : المؤبد خ ل .

لم يزل ولايزال وحدانيًا أزليًا قبل بدء الدهور، و بعد صرف الأمور، الذي لايبيد ولاينفد[١].

بذلك أصفُ ربّي، فلا إله إلاّ الله، من عظيمٍ ما أعظمه ! ومن جليل ما أجلّه ! وعزيزٍ ما أعزّه، وتعالى عمّا يقول الظّالمون علوّا كبيرا».

* * *

قال ثقة الإسلام أبوجعفر محمّد بن يعقوب الكليني ـ رحمه الله ـ بعد نقل الخطبة المذكورة[٢]:

«وهذه الخطبة من مشهورات خطبه ﷺ حتّى لقد ابتذلها العامّة، وهي كافيةٌ لمن طلبَ علمَ التوحيد إذا تدبّرها وفهِم ما فيها ؛ فلو اجتمع ألسنةُ الجنّ والإنس ـ ليس فيها لسانُ نبيّ ـ على أن يبيّنوا التوحيدَ بمثل ما أتى به ﷺ ـ بأبي واُمّي ـ ما قدروا عليه ؛ ولولا إبانتُه ﷺ ما علِم الناسُ كيف يسلكون سبيلَ التوحيد.

ألا ترون إلى قوله : « لا من شيءٍ كان ، ولا من شيءٍ خلَق ماكان» ؛

فنفى بقوله : «لامن شيءٍ كان» معنى الحدوث ؛

وكيف أوقع على ما أحدثه صفة الخَلق والاختراع بلا أصل ولامثال، نفيا لقول من قال : «إنّ الأشياء كلّها محدَثةٌ، بعضها من بعض»، وإبطالا لقول الثنويّة ـ الذين زعموا أنّه لايحدث

١ـ في التوحيد : لايبيد ولايفقد.

٢ـ الكافي : باب جوامع التوحيد : ١/١٣٦. عنه البحار : ٥٧/١٦٤ـ١٦٦.

شيئا إلا من أصلٍ، ولايدبّر إلاّ باحتذاء مثالٍ.

فدفَعَ ﷺ بقوله: «لامن شيءٍ خلَق ما كان» جميعَ حججِ الثنويّة وشبههم؛ لأنّ أكثر ما يعتمد الثنويّة في حدوث العالَم أن يقولوا «لايخلو من أن يكون الخالق خَلق الأشياءَ من شيءٍ، أو من لاشيءٍ»؛ فقولهم: «من شيءٍ» خطأٌ، وقولهم: «من لاشيء» مناقضة وإحالة؛ لأنّ «من» توجب شيئا، و «لاشيء» تنفيه؛ فأخرج أمير المؤمنين ﷺ هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحِّها، فقال ﷺ: «لامن شيءٍ خَلق ما كان» فنفىٰ «مِن» إذ كانت توجب شيئا، ونفىٰ «الشيء» إذكان كلُّ شيءٍ مخلوقا محدَثا لامن أصل أحدثه الخالق، كما قالت الثنويّة: «أنّه خُلق من أصل قديم، فلايكون تدبير إلاّ باحتذاء مثال».

ثمّ قوله ﷺ: «ليست له صفةٌ تُنال، ولاحدٌّ تضرب له فيه الأمثال، كَلَّ دون صفاته تحبيرُ اللغات»، فنفىٰ ﷺ أقاويلَ المشبّهة، حين شبّهوه بالسبيكة و البلّورة، و غير ذلك من أقاويلهم من الطول و الاستواء، و قولهم: «متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفيّة ولم ترجع إلى إثبات هيئة، لم تعقل شيئا، فلم تثبت صانعا»؛ ففسّر أميرُ المؤمنين ﷺ أنّه واحدٌ بلاكيفيّة، وأنّ القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة.

ثمّ قوله ﷺ: «الذي لاتبلغه بُعد الهمم، ولا تناله غوصُ الفِطن، و تعالى الذي ليس له وقتٌ معدودٌ ولا أجلٌ ممدودٌ ولانعتٌ محدودٌ»، ثمّ قوله ﷺ: «لم يحلل في الأشياء، فيقال: هو فيها كائنٌ، ولم ينأ عنها، فيقال: هو منها بائنٌ». فنفىٰ ﷺ

بهاتين الكلمتين صفةَ الأعراض و الأجسام ، لأن من صفة الأجسام التباعد والمباينة ، ومن صفة الأعراض الكون في الأجسام بالحلول على غير مماسّة ، و مباينة الأجسام على تراخي المسافة .

ثمّ قال : «لكن أحاط بها علمُه ، وأتقنها صنعُه» ، أي هو في الأشياء بالإحاطة والتدبير ، وعلى غير ملامسة» .

ـ انتهى كلامُه ـ .

فصل [٤]

وقال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[1] :

«أوّل الدين معرفتُه ، وكمالُ معرفته التصديقُ به ، وكمالُ التصديقِ به توحيدُه ، و كمالُ توحيدِه الإخلاصُ له ، و كمالُ الإخلاصِ له نفيُ الصفاتِ عنه ؛ لشهادة كلِّ صفةٍ أنّها غير الموصوف ، و شهادةِ كلِّ موصوفٍ أنّه غيرالصفة ؛ فمن وصفَ اللهَ ـ سبحانه ـ فقد قَرَنَه ، ومن قَرَنَه فقد ثَنّاه ، ومن ثَنّاه فقد جَزّأه ، ومن جَزّأه فقد جَهله [ومن جهله فقد أشار إليه][2] ومن أشار إليه فقد حَدّه ، ومن حَدّه فقد عَدّه ؛ ومن قال : «فيمَ» فقد ضمّنه ، ومن قال : «علامَ» فقد أخلى منه .

كائنٌ لاعن حدَث ، موجودٌ لاعن عدمٍ ؛ مع كلِّ شيءٍ لابمقارنةٍ

---

١ ـ نهج البلاغة : الخطبة الأولى . عنه البحار : ٤/٢٤٧ ، ح٥ و٥٧/١٧٦ ، ح١٣٦ .

٢ ـ إضافة من المصدر .

وغير كلِّ شيءٍ لابمزايلةٍ ، فاعلٌ لا بمعنى الحركات و الآلة ، بصيرٌ إذ لامنظور إليه من خلقه ، متوحِّد إذ لاسكن يستأنس به ولايستوحش لفقّده .

أنشأ الخَلْق إنشاءً ، وابتدء ابتداءً ، بلا رويَّة أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ؛

أحال الأشياء لأوقاتها ، ولاءَمَ بين مختلفاتها ، و غرّز غرائزها ، و ألزمها أشباحَها ؛ عالما بها قبل ابتدائِها ، محيطا بحدودها وانتهائها ؛ عارفا بقرائنها وأحنائها» .

فصل [٥]

وقال عليه السلام[١] :

«ما وحّده من كيّفه ، ولا حقيقتَه أصاب من مثّله ، ولا إيّاه عنَى مَن شبَّهه ، ولا صمَدَه[٢] من أشار إليه وتوهَّمه ؛

كلُّ معروفٍ بنفسه مصنوعٌ ، وكلُّ قائم في سواه معلولٌ ؛

فاعلٌ لاباضطراب آلةٍ ، مقدِّر لابجَولِ فكرَةٍ ، غنيٌّ لاباستفادة ؛

لاتصحبه الأوقاتُ ، ولا ترفده[٣] الأدواتُ ؛

سبق الأوقاتَ كونُه ، والعدمَ وجودُه ، والابتداءَ أزلُه ؛

١ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ . عنه البحار : ٧٧/٣١٠ـ٣١٤ ، ح١٤ .

٢ـ صمده : قصده .

٣ـ ترفده : تعينه .

بتشعيره المشاعرَ عُرف أن لا مَشعرَ له، وبمضادّته بين الأُمور عُرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياءِ عُرف أن لا قرينَ له؛

ضادَّ النورَ بالظُلمةِ، و الوضوحَ بالبُهمةِ، و الجُمودَ بالبلل، والحَرور بالصرد[1]؛

مؤلِّف بين متعادياتها، مقارنٌ بين متبايناتها، مقرِّب بينَ متباعداتها، مفرِّقٌ بين متدانياتها؛

لا يشمل بحدٍّ، ولا يحسب بعدٍّ، و إنّما تحدُّ الأدوات أنفسَها، وتشيرُ الآلةُ[2] إلى نظائرها؛

منعتْها «منذ» القدمة، وحمتها «قد» الأزليّة، وجنّبتها «لولا» التكملة؛

بها تجلّىٰ صانعُها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون.

لا يجري عليه السكون والحركة، وكيف يجري عليه ماهو أجراه؟ ويعود فيه ماهو أبداهُ؟ ويحدث فيه ما هو أحدثه؟ إذًا لتفاوتت ذاتُه، ولتجزّأ كنهُه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراءٌ ـ إذ وُجد له أمامٌ ـ ولالتمس التمامَ ـ إذ لزمه النقصانُ ـ واذًا لقامت آيةُ المصنوع فيه، ولتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه.

وخرج[3] بسلطان الامتناع من أن يؤثّرَ فيه مايؤثّرُ في غيره.

الذي لايحولُ ولا يزولُ، ولا يجوز عليه الأُفولُ؛

١ـ الصرد: البرد (فارسي معرب).

٢ـ في هامش النسخة: الآلات ل خ.

٣ـ عطف على: لايجري عليه السكون والحركة.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون مولودا، و ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ فيصير محدودا؛

جلّ عن اتِّخاذ الأبناءِ، وطهُر عن ملامسة النساء؛

لاتناله الأوهامُ فتقدّره، ولاتتوهّمه الفِطَن فتصوِّره، ولاتدركه الحواسُّ فتحسّه، ولاتلمسه الأيدي فتمسّه؛

لا يتغيّر بحالٍ، ولا يتبدّلُ بالأحوالِ، ولا تُبليه الليالي والأيّامُ، ولايغيّره الضياءُ والظلام، ولايوصف بشيءٍ من الأجزاءِ، ولابالجوارح والأعضاءِ، ولابعرَضٍ من الأعراض ولابالغيريّة والأبعاض؛ ولايقال له حدٌّ ولانهاية، ولاانقطاعٌ ولاغايةٌ، ولا أنّ الأشياءَ تحويه، فتقلّه أو تهويه، أو أنّ شيئا يحمله فيميله أو يعدله.

ليس في الأشياء بوالجٍ ولاعنها بخارجٍ؛ يخبِرُ لابلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات؛ يقول ولا يلفظُ، ويحفظ ولا يتحفّظ، ويريد ولايُضمر، ويحبُّ ويرضى من غير رقّة، ويُبغض ويغضب من غير مشقّة؛

يقول لما أراد كونَه: «كُنْ» فيكون ـ لا بصوتٍ يقرع ولا بنداءٍ يُسمع؛ وإنّما كلامه سبحانه فِعلٌ منه أنشأه، ومثلُه لم يكن من قبل ذلك كائنا، ولوكان قديما لكان إلٰها ثانيا.

لايقال: «كان بعد أن لم يكن»، فتجري عليه الصفاتُ المحدَثاتُ؛ ولايكون بينه وبينها فصلٌ ولا له عليها فضلٌ، فيستوي الصانعُ والمصنوعُ، ويتكافأ المُبدعُ والبديع.

خَلَقَ الخلائقَ على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقِها بأحد من خلْقه؛ وأنشأ الأرضَ فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائمٍ، ورفعَها بغير دعائم، وحصّنها من

الأَوَد والاعوجاج، ومنعَها من التهافتِ والانفراج؛ أرسى أوتادَها، وضرب أسدادَها، واستفاض عيونها، وخدَّ أوديتها؛

فلم يهن ما بناه، ولا ضعُف ما قوّاه؛

هو الظاهرُ عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطنُ لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزّته؛

لايُعجزه منها شيءٌ فيطلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوتُه السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه؛

خضعت الأشياءُ له وذلّت مستكينة لعظمته، لاتسطيع الهربَ من سلطانه إلى غيره، فتمتنع من نفعه وضرِّه؛

ولا كفؤ له فيكافئه، ولانظيرله فيساويه؛

هو المفني لها بعد وجودها، حتّى يصير موجودها كمفقودها.

وليس فناءُ الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها؛

وكيف ولو اجتمع جميعُ حيوانها ـ من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلّدة[1] أُممها وأكياسها ـ على إحداث بَعوضةٍ، ما قدرتْ على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيّرت عقولُها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئةً حسيرة، عارفةً بأنّها مقهورة، مقرّةً بالعجز عن إنشائها، مذعنةً بالضعف عن إفنائها.

وإنّه ـ سبحانه ـ يعود بعد فناءِ الدنيا وحده لاشيءَ معه؛ كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها؛ بلا وقتٍ ولامكانٍ،

١ـ المتبلدة: الغبيّة.

ولاحينٍ ولا زمانٍ ، عدمت عند ذلك الآجالُ و الأوقاتُ ، و زالت السنون والساعاتُ ؛ فلاشيءَ إلا الله الواحد القهّار ، الذي إليه مصيرُ جميع الأُمور ، بلا قدرة منها كان قبل ابتداءِ خلقِها ، وبغير امتناعٍ منها كان فناؤها ، ولوقدرت على الامتناع لدام بقاؤها .

لم يتكأدْه[1] صنع شيءٍ منها إذ صنعه ، ولم يؤوده منها خلق مابرأه وخلَقه ، و لم يكوِّنها لتشديد سلطان و لا تخوُّف من زوال و نقصان ، ولا للاستعانة بها على ندٍّ مكاثرٍ ، و لا للاحتراز بها من ضدٍّ مثاورٍ[2] ، ولا للازدياد بها في ملكه ، ولا لمكاثرة شريك في شركه ، ولا لوحشةٍ كانت منه فأراد أن يستأنس إليها .

ثمَّ هو يُفنيها بعد تكوينها ، لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ، ولا لراحةٍ واصلةٍ إليه ، ولا لثقل شيءٍ منها عليه .

لايملُّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها ، لكنَّه سبحانه دبَّرها بلطفه وأمسكها بأمره ، وأتقنها بقدرته ؛

ثمَّ يعيدها بعد الفناءِ من غيرحاجة منه إليها ولا لاستعانة بشيءٍ منها عليها ، ولا لانصراف من حال وحشةٍ إلى حال استئناسٍ ، ولا من حال جهلٍ وعمى إلى علمٍ والتماس ، ولا من فقر وحاجة إلى غِنى وكثرةٍ ، ولا من ذُلٍّ و ضَعَةٍ إلى عزٍّ وقدرةٍ» .

١ـ لم يتكأدْه : لم يشق عليه .

٢ـ المثاور : المواثب المهاجم .

فصل [٦]

ومن كلماته عليه السلام[1] :

«الذي لم تسبق له حالٌ حالاً ، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخرا ، ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا ؛

كلُّ مسمّىً بالوحدة غيرُه قليل ، وكلُّ عزيز غيرُه ذليلٌ ، وكلُّ قويّ غيرُه ضعيفٌ ، وكلُّ مالكٍ غيرُه مملوكٌ ، وكلُّ عالم غيرُه متعلّمٌ ، وكلُّ قادرٍ غيرُه يقدرُ و يعجزُ ، و كلُّ سميعٍ غيْره يصمُّ عن لطيف الأصوات ويصمُّه كبيرُها ، ويذهب عنه ما بعُدَ منها ، وكلُّ بصيرٍ غيرُه يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام ، وكلُّ ظاهرٍ غيرُه غيرُ باطنٍ ، وكلُّ باطنٍ غيرُه غيرُ ظاهر» .

ومنها[2] :

«لايشغله غضبٌ عن رحمةٍ ، ولاتولّهه رحمةٌ عن عقابٍ ، ولاتجنُّه البطونُ عن ظهورٍ ، ولا يقطعه الظهورُ عن البطون ، قَرُبَ فنأى ، وعلا فَدنا ، وظهرَ فبطَن ، وبطَن فعَلَن ، ودانَ ولم يَدنُ ، لم يذرأ الخلقَ باحتيال ، ولا استعان بهم لكلال» .

---

١ ـ نهج البلاغة : الخطبة ٦٥ . أولها : «الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا . . .» .
عنه البحار : ٣٠٨/٤ـ٣٠٩ ، ح٣٧ . ٣٠٤/٧٧ ، ح٩ .

٢ ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٩٥ . أولها : «الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه . . .» .
عنه البحار : ٣١٥/٧٧ ، ح١٥ .

ومنها[1] :

« لم تحط به الأوهامُ ؛ بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ؛

ليس بذي كِبَر امتدّت به النهايات فكبّرته تجسيما، ولا بذي عِظم تناهت به الغايات فعظّمته تجسيدا، بل كبُر شأنا وعظُم سلطانا» .

ومنها[2] :

«الذي بطن خفيّات الأُمور، ودلّت عليه أعلامُ الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تُنكره، ولا قلب من أثبته يُبصره؛

سبق في العلوِ فلا شيءَ أعلى منه، وقرب في الدنوّ فلاشيءَ أقرب منه، فلا استعلاؤه باعَده عن شيءٍ من خلقه، ولا قُربه ساواهم في المكان به؛

لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهوالذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عمّا يقول المشبِهون به والجاحدون له علوّا كبيرا» .

١ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ . أولها : «الحمد لله الذي لاتدركه الشواهد . . .» .
البحار : ٢٦١/٤ ، ح٩ ، عن الاحتجاج .

٢ـ نهج البلاغة : الخطبة ٤٩ . أولها : «الحمد لله الذي بطن خفيّات الأُمور . . .» .
عنه البحار : ٣٠٨/٤ ، ح٣٦ .

فصل [٧]

ومن كلامه عليه السلام[1] :

«كلُّ شيءٍ خاشعٌ له وكلُّ شيءٍ قائمٌ به ؛ غنىٰ كلّ فقير، وعزُّ كلّ ذليل، وقوّة كلّ ضعيف، ومفزع كلّ ملهوف ؛

من تكلَّمَ سمعَ نطقَه ، ومن سكت علمَ سرّه ، ومن عاش فعليه رزقُه، ومن مات فإليه منقلَبه .

لم ترَكَ[2] العيونُ فتخبر عنك، بل كنتَ قبل الواصفين من خلْقك ؛ لم تخلق الخلائقَ لوحشة، ولا استعملتَهم لمنفعة، ولايسبقك من طلبتَ، ولايفلتكَ[3] من أخذتَ ، ولاينقص سلطانكَ من عصاكَ ، ولايزيد في ملككَ من أطاعك ، ولايردّ أمركَ من سخَط قضاك ، ولايستغني عنك من تولّى عن أمرك ؛

كلُّ سرٍّ عندك علانيةٌ، وكلُّ غيبٍ عندك شهادةٌ ؛

أنت الأبد فلاأمد لك وأنت المنتهى لامحيص عنك، وأنت الموعد لامنجى منك، [إلاّإليك][4] ؛ بيدك ناصيةُ كلّ دابّة، وإليك مصيرُ كلّ نسمة» .

١ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ . مأولها : كل شيءٍ خاشعٌ له وكل ...» .
عنه البحار : ٤/٣١٧ـ٣١٨ ، ح٤٣ .

٢ـ على هامش النسخة : تدركك خ ل .

٣ـ على هامش النسخة : ولايفوتك خ ل .

٤ـ زيادة من المصدر .

فصل [٨]

ومن كلامه ـ صلوات الله عليه ـ[1] :

«الدالّ على وجوده بخَلقه وبمحدَث خَلقه على أزليّته وباشتباههم على أن لاشِبه له.

لاتستلمه المشاعرُ ولاتحجبه السواترُ؛ لافتراق الصانعِ والمصنوع والحادِّ والمحدودِ، والربِّ والمربوبِ؛

الأحد لابتأويلِ عدد، والخالق لابمعنى حركة ونصَب، والسميع لا بأداةٍ، والبصير لا بتفريق آلةٍ، والشاهد لا بمماسّةٍ، والبائن لابتراخي مسافةٍ، والظاهر لا برؤيةٍ، والباطن لا بلطافة.

بان من الأشياءِ بالقهر لها و القدرة عليها ، و بانت الأشياءُ منه بالخضوع له والرجوع إليه.

مَن وصَفه فقد حدَّه، ومَن حدَّه فقد عدَّه، ومَن عدَّه فقد أبطلَ أزلَه ، ومن قال: «كيف ؟» فقد استوصفه، ومن قال: «أين ؟» فقد حيَّزه.

عالِمٌ إذ لامعلوم، وربٌّ إذ لامربوب، وقادرٌ إذ لامقدور».

١ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٥٢. أولها: «الحمد لله الدالِّ على وجوده بخلقه».

فصل [٩]

ومن كلامه عليه السلام[1] قاله لذِعلب اليماني[2] ـ وقد سأله: «هل رأيتَ ربَّك يا أميرالمؤمنين» ؟ ـ

فقال عليه السلام : «أفأعبدُ ما لاأرى» ؟ قال: «وكيف تراه» ؟

فقال: «لاتدركه العيونُ بمشاهَدة العيان، ولكن تدركه الأبصار[3] بحقائق الإيمان، قريبٌ من الأشياءِ غيرُ ملامِس، بعيدٌ منها غيرُ مبائن، متكلِّمٌ بلا رويّةٍ، مريدٌ بلا همّة[4]، صانعٌ لابجارحة، لطيفٌ لا يوصف بالخفاءِ، كبيرٌ لايوصَف بالجفاءِ، بصيرٌ لايوصف بالحاسّةِ، رحيمٌ لايوصف بالرقّةِ، تعنو الوجوهُ لعظمته، وتجلُ القلوبُ من مخافته».

وفي رواية أُخرى رواها في كتاب التوحيد[5] : « ويلك يا ذعلب ! إنَّ ربّي لايوصَف بالبُعد، ولابالحركة ولا السكون، ولابالقيام ـ قيامَ

---

١ ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٧٩ . البحار : ٥٢/٤ ، ح٩ ، ٢٧٩/٧٢ .

٢ ـ لانعلم منه شيئا غير ماجاء في رواية الصدوق (التوحيد : ٣٠٥ ، باب حديث ذعلب) : «فقام إليه رجل يقال له : ذعلب ، فكان ذرب اللسان بليغا في الخطب ، شجاع القلب ، فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة ، لأُخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إياه . . .» . راجع أيضا قاموس الرجال : ٣٠٦/٤ .

٣ ـ كذا في النسخ . ولكن في المصدر : تدركه القلوب .

٤ ـ المصدر : لابهمة .

٥ ـ التوحيد : باب حديث ذعلب : ٣٠٥ . أمالي الصدوق : المجلس الخامس والخمسون ، ح١ ، ٤٢٢ـ٤٢٣ . ورواه الكليني مع اختلافات كثيرة في الكافي : كتاب التوحيد ، باب جوامع التوحيد ، ١٣٨/١ـ١٣٩ ، ح٤ .

انتصاب ـ ولا بجيئةٍ ولا بذهاب؛ لطيف اللطافة لايوصف باللطف، عظيم العظمة لايوصف بالعِظم، كبير الكبرياء لايوصف بالكِبَر، جليل الجلالة لايوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لايوصف بالرقّة؛ مؤمنٌ لابعبادة، مدرِكٌ لابمجسّة، قائلٌ لا بلفظ[1]، هو في الأشياءِ على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلِّ شيءٍ ولايقال «شيءٌ فوقه»، وأمام كلِّ شيءٍ ولا يقال «له أمام»، داخل في الأشياءِ لاكشيءٍ في شيءٍ داخل، وخارج منها، لا كشيءٍ من شيءٍ خارج». فخَرَّ ذعلبُ مَغشيًّا عليه.

وفي رواية أُخرى في الكتاب المذكور[2] ـ بعد كلام طويل قد مضى أكثره لفظا أو معنى ـ: «كان ربًا ولا مربوب، وإلها ولا مألوه، وعالما إذ لا معلوم، وسميعا إذ لامسموع» ـ ثمّ أنشأ يقول:ـ

و لم يزل[3] سيّدي بالعلم[4] معروفا
ولم يزل سيّدي بالجود موصوفا
وكنتَ إذ ليس نورٌ يُستضاءُ به
ولا ظلام على الآفاق معكوفا
وربُّنا بخلاف الخَلق كلّهم
و كلّ ما كان في الأوهام موصوفا

١ـ المصدر : لا باللفظ .

٢ـ التوحيد : باب حديث ذعلب : ٣٠٩ ، ح٢ . عنه البحار : ٣٠٥/٤ ، ح٣٤ .

٣ـ في النسخة : ولم تزل . (وكذا في المصرع الثاني) .

٤ـ المصدر والبحار : بالحمد .

ومن يرده على التشبيه ممتثلا
يرجع أخا حصر بالعجزِ مكتوفا
وفي المعارج يلق موج قدرته
موجا يعارض طرف الروح مكفوفا
فاترك أخاجدل في الدينِ منعمقا
قد باشرَ الشكُّ فيه الرأيَ مأووفا
واصحب أخا ثقةٍ حُبًا لسيّده
و بالكرامات مزمولا[1] ومحفوفا
أمسى دليل الهدى في الأرض منتشرا
وفي السماءِ جميل الحال معروفا

فصل [١٠]

ومن كلماته ـ صلوات الله عليه :

« كان حيًّا بلا كيف ، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولاكان له أين، ولا كان في شيءٍ، ولاكان على شيءٍ، ولا ابتدع لمكانه مكانا، ولا قوي بعد ما كوّن الأشياء، ولا كان ضعيفا قبل أن يكوّن شيئا ، ولا كان مستوحشا قبل أن يبتديء شيئا ، ولا يشبه شيئا مذكورا، ولا كان خلوا من الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه ؛

كان إلٰها حيًّا بلا حياة، ومالكا قبل أن ينشيء شيئا ، ومالكا بعد

---

١ ـ في المصدر والبحار : من مولاه محفوفا.

إنشائه للكون ؛ وليس يكون لله كيفٌ ولا أينٌ ولا حدٌّ يعرف ، ولاشيءٌ يشبهه ، ولا يهرم لطول بقائه ، ولا يصعق لذُعره ، ولايخاف كما يخاف خليقته من شيء ؛ ولكن سميعٌ بغير سمع ، وبصيرٌ بغير بصر ، وقويٌّ بغير قوّة من خلقه ؛

لاتدركه حدَقُ الناظرين ، ولا يحيط بسمعه سمعُ السامعين ؛

إذا أراد شيئا كان بلا مشورة ولا مظاهرة ولا مخابرة ، ولا يسأل أحدا عن شيء من خلقه أراده ؛ ﴿ لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٦/١٠٣]» .

رواه في الكافي[١] .



فصل [١١]

ومن كلامه عليه السلام :

« الذي لامن شيءٍ كان ، ولا من شيءٍ كوّن ما قدكان ؛

مستشهِدٌ بحدوث الأشياءِ على أزليّته ، وبما وسَمها به ـ من العجز ـ على قدرته ، وبما اضطرّها إليه ـ من الفناء ـ على دوامِه ؛

١ـ كتاب الروضة : الخطبة الطالوتية : ٣١ ح٥ . عنه البحار : ٢٤٠/٢٨ ، ح٢٧ . و١٥٩/٥٧ ، ح٩١ . وجاء مايقرب منه عن الباقر عليه السلام أيضا في الكافي : باب الكون والمكان ، ٨٨/١ـ٨٩ ، ح٣ . والتوحيد : باب نفي المكان ، ١٧٣ ، ح٢ .
وأيضا فيه عن الكاظم عليه السلام : باب صفات الذات . . . ، ١٤١ ، ح٦ . عنه البحار : ٢٩٨/٤ـ٢٩٩ ، ح٢٧ .

لم يخلُ منه مكانٌ فيدرَك بأينيّته[1] ، ولا له شبح[2] مثال فيوصف بكيفيّته ، ولم يغب عن شيء[3] فيعلم بحينيّته[4] ؛

مبائنٌ لجميع ماأحدث في الصفات وممتنعٌ عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارجٌ بالكبرياء والعظمة من جميع تصرُّف الحالات؛ محرّم على بوارع ثاقبات الفِطَن تحديدُه، وعلى عوامق ناقبات الفِكَر تكييفُه، وعلى غوائص سابحات الفِطَر تصويرُه؛

لاتحويه الأماكنُ لعظمته، ولا تذرعه المقاديرُ لجلاله، ولاتقطعه المقائيسُ لكبريائه ؛ ممتنعٌ عن الأوهام أن تكتنهه ، و عن الأفهام أن تستغرقَه، وعن الأذهان أن تُمثّله؛

قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامحُ العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحارُ العلوم ، و رجعت بالصُغر عن السموِّ إلى وصف قدرته لطائفُ الخصوم؛

واحدٌ لامن عدد، ودائمٌ بلا أمد[5] وقائمٌ لابعمَد ، ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولابشبح فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات؛

قد ضلّت العقولُ في أمواج تيّار إدراكه، وتحيّرت الأوهام عن

١ـ كذا في النسخة والعيون والبلد الأمين . ولكن في التوحيد : بإينية .
٢ـ كذا في النسخة والعيون والبلد الأمين ، ولكن في التوحيد : شبه .
٣ـ كذا في النسخة والعيون . ولكن في التوحيد : لم يغب عن علمه شيء .
٤ـ في المصادر : بحيثيته . وفي بعض نسخ التوحيد : بحيثية .
٥ـ في المصادر : لابأمد.

إحاطة ذكْر أزليّته ، وحصرت الأفهامُ عن استشعار وصف قدرته ، وغرقت الأذهان في لُجج أفلاك ملكوته ؛

مقتدرٌ بالآلاءِ وممتنعٌ بالكبرياءِ، ومتملّك على الأشياءِ؛ فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به ؛ قد خضعت له رواتبُ الصعاب[1] في محلّ تخومِ قرارِها، وأذعنت له رواصنُ الأسباب في منتهى شواهق أقطارها ؛

مستشهِدٌ بكلّيّة الأجناس على ربوبيّته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه ؛ فلا لها محيص عن إدراكه إيّاها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولاامتناع من قدرته عليها ؛

كفى بإتقان الصُنع لها آيةً ، و بمُركّب الطبع عليها دلالـة ، وبحدوث الفِطَر عليها قدمة، وبإحكام الصنعة لها عبرة ؛ فلا إليه حدٌّ منسوب، ولا له مثَل مضروبٌ، ولا شيءٌ عنه بمحجوب[2] ـ تعالى عن ضربِ الأمثال والصفات المخلوقة علوّا كبيرا».

رواه في كتاب التوحيد[3] ، بإسناده عن مولانا الرضا عن آبائه ، عن جدّه ﷺ.

١ـ التوحيد : ثوابت الصعاب . العيون : الرقاب الصعاب . البلدالأمين : رقاب الصعاب .

٢ـ التوحيد والعيون : محجوب .

٣ـ التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه ، ٦٩ـ٧٢ ، ح٢٦ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد، ١٢١/١ـ١٢٢ ، ح١٥ . البلد الأمين : دعاء يوم الجمعة ، ٩٢مع فروق . عنه البحار : ١٣٨/٩٠ ، ح٧ .

فصل [١٢]

ومن كلامه الشريف ـ صلوات الله عليه ـ :

«الحمد لله الذي لايفره المنع[١] ولايُكديه الإعطاءُ، إذ كلُّ معطٍ منتقصٌ سواه؛ المليء بفوائد النّعم وعوائد المزيد، وبجوده ضَمِنَ عيالةَ الخَلق، فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه؛ فليس بما سُئل بأجودَ منه بما لم يُسئل.

ما اختلف عليه دهرٌ فيختلف منه الحال؛ ولو وهبَ ما تنفّست عنه معادنُ الجبال، وضحكت عنه أصدافُ البحار ـ من فلذ اللجين[٢] وسبائك العقيان ونضائد المرجان ـ لبعض عبيدِه، لما أثّر ذلك في جُوده، ولا أنفد سعةَ ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الإفضال ما لايُنفده مطالبُ السؤّال[٣]، ولا يخطر لكثرته على بال؛ لأنّه الجواد الذي لاتُنقصه المواهبُ، ولا ينحله[٤] إلحاح الملحّين، و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٣٦/٨٢].

١ـ وفر يفر ـ كوعد يعد ـ من الوفور بمعنى الكثرة ؛ أي لايزيد المنعُ له شيئا. الإكداء : الإفقار والتقليل.

٢ـ الفِلْذ ـ بكسر الفاء وسكون اللام ـ : كبد البعير . وأفلاذ الأرض كنوزها. أوبكسر الأول وفتح الثاني ـ جمع الفلذة ـ بمعنى الذهب والفضة. وفي محكي البحار عن التوحيد : فلزّ ـ بالزاء المعجمة مشددة ـ وهو اسم الأجسام الذائبة مثل الذهب والفضة والرصاص. اللجين ـ مصغرا ـ : الفضة. العقيان : الذهب الخالص.

٣ـ السؤّال جمع السائل ، كطلاب جمع طالب.

٤ـ ينحله من الإنحال ، أو من التنحيل بمعنى الإعطاء ، أي لايعطيه إلحاح الملحين شيئا ولايؤثر فيه. وفي المنقول عن التوحيد في البحار : لايبخله. ولعله الصحيح.

الذي عجزت الملائكةُ ـ على قُربهم من كرسيّ كرامته، وطول وَلهم إليه وتعظيم جلال عزِّه، وقربهم من غيب ملكوته ـ أن يعلموا من أمره إلاّ ما أعلمهم؛ وهم ـ من ملكوت القدس ـ بحيث هم في معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا: ﴿ سُبحانَكَ لاعِلْمَ لَنا اِلاَّ مَا عَلَّمْتَنا اِنَّكَ اَنتَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ ﴾ [٢/٣٢].

فاظنُّك ـ أيُّها السائل ـ بمن هوكذا ؟ سبحانه وبحمده؛ لم يحدث فيمكن فيه التغيُّر والانتقال، ولم يتصرَّف في ذاته بكرور الأحوال، ولم يختلف عليه حقب الليالي والأيّام.

الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدارٍ احتذى عليه من معبودٍ كان قبله، ولم تُحط به الصفاتُ، فيكون بإدراكها إيّاه بالحدود متناهيا، ومازال ـ ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ ـ عن صفة المخلوقين متعاليا؛ وانحسرت الأبصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا، وبالذات التي لايعلمها إلاّ هو عند خَلقه معروفا؛ وفات ـ لعلوِّه على أعلى الأشياءِ ـ مواقع وهمِ المتوهّمين، وارتفع عن أن تحوي كنهَ عظمته فهاهة[1] رويّات المتفكِّرين.

فليس له مِثلٌ فيكون مايخلق مشبهابه، ومازال ـ عند أهل المعرفة به ـ عن الأشباه والأضداد منزّها؛ كذب العادلون بالله إذ شبّهوه بمثل أصنامهم، وحلُّوه حليةَ المخلوقين بأوهامهم، وجزَّؤوه بتقدير منتج من خواطر هِممهم، وقدّروه على الخَلق المختلفَة القوى بقرائح عقولهم.

وكيف يكون مَن لايقدَّر قدرُه مقدَّرا في رويّات الأوهام ؟ وقد

١ـ الفهاهة: العيّ.

ضلّت في إدراك كنهِهِ هواجسُ الأحلام ؟! لأنّه أجلُّ مِن أن تحدّه ألبابُ البشرِ بالتفكيرِ ، أو تحيط به الملائكةُ ـ على قربهم من ملكوت عزّته ـ بتقدير .

تعالى عن أن يكون له كفوٌ فتشبّه به[1] ؛ لأنّه اللطيفُ الذي إذا أرادت الأوهامُ أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه، وحاولت الفكرُ المبرّأة من خطَر الوسواسِ إدراكَ علمِ ذاته، وتولّهت القلوبُ إليه لتحوي منه مكيّفا في صفاته[2] ، وغمضت[3] مداخلُ العقول في حيث لاتبلغه الصفاتُ لتنالَ علم إلهيّته : ردعتْ خاسئةً ـ وهي تجوبُ مهاويَ سدفِ الغيوب متخلّصةٍ إليه سبحانه .

رجعتْ ـ إذ جبهت ـ معترفةً بأنّه لاينال بجور الاعتساف كُنهَ معرفته، ولا تخطر ببال أُولي الرويّات خاطرةٌ من تقدير جلال عزّته، لبُعده من أن يكون في قوى المحدودين، لأنّه خلاف خَلقه، فلا شِبه له في المخلوقين، وإنّما يُشبه الشيء بِعَديله ؛ فأمّا ما لاعديل له فكيف يشبه بغير مثاله ؟! .

وهو البديءُ الذي لم يكن شيءٌ قبله، والآخر الذي ليس شيءٌ بعده ؛

لاتناله الأبصار من مجد جبروته ـ إذ حجَبها بحُجبٍ لاتنفذ في ثخن كثافته، ولا تخرق إلى ذي العرش متانة خصائص ستره[4] ؛ إنّه

١ـ المصدر : فيشبّه به .

٢ـ في هامش النسخة : لتجرى في كيفية صفاته ـ خ ل .

٣ـ أي لطفت ودقّت .

٤ـ المصدر : ستراته . (بدلا من : ستره انه) .

الذي صدرت الأمورُ عن مشيّته، وتصاغرت عزّةُ المتجبّرين دون جلال عظمته ، وخضعت له الرقابُ ، وعنت الوجوهُ من مخافته ، وظهرت في بدائع الذي أحدثها آثارُ حكمته ، وصار كلُّ شيءٍ خَلَق حجةً له ومنتسبا إليه ؛ وإن كان خَلقا صامتا فحجّتُه بالتدبير ناطقة فيه .

فقدّر ما خَلَق ، فأحكم تقديرَه و وضع كلَّ شيءٍ بلطف تدبيره موضعَه، ووجّهه بجهة[1] فلم يبلغ منه شيءٌ حدودَ منزلته، ولم‌يقصر دون الانتهاءِ إلى مشيّته، ولم يستصعب إذ أمَره بالمضيّ إلى إرادته ـ بلا معاناة للغوبٍ مسّه ، ولا مكابَدة لمخالف له على أمرهَ ـ فتمّ خلقُه، وأذعن لطاعته، و وافى الوقتَ الذي أخرجه إليه إجابة ؛ لم يعترض دونها ريثُ المبطيء، ولا أناة المتلكّيء ؛

وأقام من الأشياءِ أودَها وتهيء[2] معالمَ حدودها ، ولاءم بقدرته بين متضادّاتها ، و وصل أسبابَ قرائنها ، وخالَفَ بين ألوانها ، وفرّقها أجناسا مختلفاتٍ في الأقدار والغرائز والهيئات .

بدايا[3] خلائق أحكم صُنعَها، وفطرها على ما أراد إذ ابتدعها ؛ انتظم علْمُه صنوف ذرئها، وأدرك تدبيرُه حُسنَ تقديرها .

أيُّها السائل ـ اعلم أنّ مَن شبّه ربّنا الجليل بتباين أعضاء خَلقه، وبتلاحُم أحقاق مفاصلهم المحتجبة بتدبير حكمته: إنّه لم يعقد غيبُ

١ـ يحتمل القراءة : بجهته .

٢ـ المصدر : نهى .

٣ـ في هامش النسخة : بدايا : جمع بديء . وهوالعجيب البديع . والبدايا خبر مبتدء محذوف ، تقديره : هذه الأشياء التي وصفتها بدائع خلائق .

ضميره على معرفته، ولم يشاهد قلبُه اليقينَ بأنّه لاندّ له؛ وكانّه لم يسمع بتبرّي التابعين من المتبوعين وهم يقولون: ﴿ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢٦/٩٧-٩٨].

فمَن ساوى ربّنا بشيءٍ فقد عدَل به، والعادلُ به كافرٌ بما تنزّلت[1] به محكماتُ آياتـه ، و نطقت به شواهدُ حجج بيّـناته ؛ لأنّه الله الذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبّ فكرها مكيّفا، وفي حواصل رويّات هِمم النفوس محدودا مسرّفا؛ المنشيءُ أصنافَ الأشياءِ بلارويّة احتاج إليها، ولا قريحة غريزة أضمرَ عليها، ولا تجربة أفادها من مرّ حوادث الدهور، ولاشريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور.

الذي لمّا شبّهه العادلون بالخلق المنغصّ[2] المحدود في صفاته، ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته ـ وكان عزّوجلّ الموجود بنفسه لابآياته ـ انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدْرِه، فقال تنزيها لنفسه عن مشاركة الأنداد، وارتفاعا عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفَرة العباد: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٩/٦٧].

فمَا دلّكَ القرآنُ عليه من صفتِه، فاتّبعه ليوصل بينك وبين معرفته وأتَمّ به، واستضِئ بنور هدايته، فإنّها نعمةٌ وحكمةٌ أُوتيتَها، فخذْ ما أُوتيتَ وكنْ من الشاكرين.

١ـ المصدر: نزلت به. وتحتمله قراءة النسخة أيضا.

٢ـ كذا في النسخة. غصّ بالطعام: اعترض في حلقه. وغص المكان به: ضاق عليه. والذي يظهر أن الصحيح ماني المصدر: المبعّض.

وما دلَّك الشيطانُ عليه ـ ممّا ليس في القرآن عليك فرضُه، ولا في سُنّة الرسول وأئمّةِ الهدى أثرُه ـ فكِلْ علمَه إلى الله عزّوجلّ ؛ فإنّ ذلك منتهى حقِّ الله عليك .

واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم اللهُ عن الاقتحام[1] في السُدُد المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرارَ بجملة ماجهلوا تفسيرَه من الغيب المحجوب ، فقالوا : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [٣/٧] ؛ فمدحَ اللهُ ـ عزّوجلّ ـ اعترافَهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علما ، وسمّى تركَهم التعمُّقَ ـ فيما لم يكلِّفهم البحثَ عنه منهم ـ : رُسوخا ؛ فاقتصِرْ على ذلك ، ولا تقدِّر عظمةَ اللهِ على قدْر عقلِك ، فتكون من الهالكين ... » .

رواه في كتاب التوحيد[2] ، وبعضه مذكور في نهج البلاغة[3] بأدنى تغيير في اللفظ .

١ـ في هامش النسخة : الاقتحام : الدخول في الشيء بشدة وصعوبة . والسدد : الحجب .

٢ـ التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه ، ٤٩ـ٥٦ ، ١٣ . عنه البحار : ٢٧٤/٤ـ٢٧٦ ، ح١٦ .

٣ـ نهج البلاغة : الخطبة ٩١ (خطبة الأشباح) . مع فروق كثيرة لم نتعرض لها . عنه البحار : ١٠٦/٥٧ـ١٠٧ ، ٩٠ ، و٣١٦/٧٧ـ٣١٧ .

قال شارحُه البحراني ـ رحمه الله ـ[1] :

«واعلم أنَّ في إحالته ﷺ لطالب المعرفة على الكتاب والسنَّة وبيان الأئمّة دلالة على أنَّ مقصوده ليس أن يقتصر على ظاهر الشريعة فقط، بل يتّبع أنوارَ القرآن والسنَّة وآثار أئمّة الهدى.

وقد ورَد في القرآن الكريم والسنَّة وكلام الأئمّة من الإشارات والتنبيهات على منازلِ السلوك و وجوب الانتقال في درجاتها ، ما لايحصى كثرة، ونبّهوا على كلِّ مقامٍ أهلَه، وأخفَوه عن غيرِ أهله، إذ كانوا أطبّاءَ النفوس.

وكما أنَّ الطبيبَ يرى أنَّ بعضَ الأدوية لبعض المرضىٰ ترياقٌ وشفاءٌ ، وذلك الدواءُ ـ بعينه ـ لشخص آخر سمٌّ وهلاك: كذلك كتاب الله والموضحون لمقاصده من الأنبياء والأولياء يرون أنَّ بعض الأسرار الإلهيّة شفاءٌ لبعض الصدور، فيُلقونها إليهم؛ وربما كانت تلك الأسرارُ ـ بأعيانها ـ لغير أهلها سببا لضلالهم وكفرهم إذا أُلقيت إليهم.

فإذن مقصودُه ﷺ قصرُ كلِّ عقل على ما هو الأولى به ، وما يحتمله ؛ والجمع العظيم هم أصحاب الظاهر، الذين يجب قصرهم عليه» ـ انتهى ـ .

ولنقتصر من كلماته ﷺ في التوحيد على هذا القدْر، فإنّه مشتمل على مجامعها، ولم يخرج عنه ـ ممّا وصل إليّ ـ من جهة المعنى إلاّ أشياء متفرِّقة، ذكرناها في مواضعها الأنسب بها ـ ولله الحمد.

---

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني : ٢/٣٣٦.

فصل [١٣]

روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال[1] : «تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكّروا في الله، فإنّكم لن تقدِروا قدرَه».

وفي الكافي بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام[2] : «تكلّموا في خلق الله، ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلامَ في الله لا يزداد صاحبه إلاّ تحيُّرا».

وفي رواية أُخرى[3] : « تكلّموا في كلِّ شيءٍ ، ولاتتكلّموا في ذات الله».

وبإسناده الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام[4] ـ قال:ـ «إنَّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [٤٢/٥٣]، فإذا انتهى الكلام إلى الله، فامسكوا».

١ـ أخرج الطبراني في المعجم الأوسط (١٧٢/٧ ، ح٦٣١٥) : «تفكروا في آلاء الله ولاتفكروا في الله »، ومثله في الكامل لابن عدي (ذكر وازع بن نافع العقيلي ، ٩٥/٧) . و كنز العمال : ١٠٦/٣ ، ح٥٧٠٧ .
وحكى السيوطي في الجامع الصغير (باب التاء : ١٣٢/١) عن أبي الشيخ : «تفكّروا في الخلق ولا تفكّروا في الخالق ، فإنّكم لاتقدِّرون قدره». الجامع الكبير : ١١١/٤ـ١١٢ ، ح١٠٥٠٣ـ١٠٥٠٧ . كنزالعمال : ح٥٧٠٦ .

٢ـ الكافي : باب النهي عن الكلام في الكيفية : ٩٢/١ ، ح١ .

٣ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح١ .

٤ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح٢ . تفسير القمي : في تفسيرالآية ٤٢/٥٣ : ٣٤٨/٢ . عنه البحار : ٢٥٩/٣ ، ح٦ . المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ، باب جوامع من التوحيد : ٢٣٧/١ ، ح٢٠٦ . عنه البحار : ٢٦٤/٣ ، ح٢٢ . وعن تفسيرالنعماني : ٩٠/٩٣ .

وبإسناده عنه ﷺ[1] : «ابن آدم ـ لو أكل قلبَك طائرٌ لم يُشبعه، وبصرُك، لو وُضع عليه خرق إبرةٍ تغطّاه؛ تريدُ أن تعرفَ بها ملكوتَ السماوات والأرض ؟ ! إن كنتَ صادقا، فهذه الشمسُ ـ خَلقٌ من خَلق الله ـ فإن قَدَرتَ أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول».

قال بعضُ العارفين[2] : «إذا أدرك الإنسانُ صورتَه في المرآة يعلم قطعا أنّه أدرك صورتَه بوجهٍ، وأنّه ما أدركَ صورتَه بوجهٍ، لِما يراه في غاية الصِغر ـ لصِغَر جرم المرآة ـ أو الكبر ـ لِعظَمه ـ ولايقدر أن ينكِر أنّه رأى صورتَه، ويعلم أنّه ليس في المرآة صورتُه، ولا هي بينه وبين المرآة؛ فليس بصادقٍ ولاكاذب في قوله: «رأى صورتَه»، و: «مارأى صورتَه». فما تلك الصورةُ المرئيّةُ ؟ وما محلُّها؟ وماشأنُها؟ فهي منفيّةٌ ثابتة، موجودةٌ معدومةٌ، معلومةٌ مجهولةٌ؛ أظهرَ سبحانه هذه الحقيقة ضربَ المثال، ليعلم ويتحقّق أنّه إذا عجَز وحارَ في درك حقيقة هذا ـ وهو من العالَم ـ ولَم يحصِّل علما بحقيقته: فهو بخالقها إذن أعجز وأجهل، وأشد حيرة». ـ انتهى كلامه ـ

وأنشد بعضُهم:

اعتصامُ الوَرىٰ بمغفرتك
عجزَ الواصفونَ عن صفتِك
تُبْ علينا فإنّنا بشرٌ
ما عرفناكَ حقَّ معرفتك

١ـ الكافي: الباب المذكور: ٩٣/١، ح٨.

٢ـ ابن عربي في الفتوحات المكية: الباب الثالث والستون: ٣٠٤/١ ملخصا.

[٦]

باب

أسمائه الحسنى تبارك وتعالى

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾
[١٨٠/٧]

فصل [١]

[الاسم وإطلاقاته][1]

الاسمُ ما دَلَّ على الذات الموصوفة بصفة معيّنة[2] ، كلفظ «الرحمان»، فإنّه يدلُّ على ذات متّصفة بالرحمة، و « القهّار » فإنّه يدلُّ على ذات لها القهر ـ إلى غيرذلك .

وقد يطلق الاسم على نَفسِ الذات باعتبار اتِّصافها بالصفة ، وعلى

١ـ راجع عين اليقين : ٣١١ . الوافي : ٤٦٤/١ .

٢ـ أي على حقيقة من الحقائق الموجودة في الأعيان . فإنَّ الدلالة كما تكون بالألفاظ ، كذلك تكون بالذوات ، من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى (هذه الحاشية والحاشية الآتية كتب على هامش م و ع وليست في نسخة المؤلف ـ قده ـ) .

هذا هو عين المسمّىٰ باعتبارالهويّة والوجود ، و إن كان غيره باعتبار المعنى والمفهوم ـ حيث أنّ أحدهما مقيّدٌ والآخر غير مقيّد ـ وهذا كما أنّ صفاته عزّ وجلّ عين ذاته المقدّسة وغيرها ـ بالاعتبارين ـ .

والأسماء الملفوظة بالإطلاق الثاني هي أسماءُ الأسماء .

وسُئل مولانا الرضا ﷺ عن الاسم : ما هو ؟

قال[1] : «صفةٌ لموصوف» .

وهذا اللفظ يحتمل المعنيين ، وإن كان في الثاني أظهر .

وقد يطلق الاسم علىٰ ما يفهم من اللفظ ـ أي المعنى الذهني[2] ـ و عليه وَرَد ما رُوي في الكافي[3] ، بسند حسن ، عن هشام بن الحكم ، أنّه سَأل مولانا الصادق ﷺ عن أسماء الله واشتقاقها : «اللهُ ، ممّا هو مشتقٌّ» ؟

ـ قال :ـ فقال لي : «ياهشام «اللهُ» مُشتقٌّ مِن «إلٰه» والإلٰه يقتضي

---

١ ـ الكافي : باب حدوث الأسماء ، ١١٣/١ ، ح٣ . التوحيد : باب أسماء الله تعالى ، ١٩٢ ، ح٥ . العيون : باب ماجاء عن الرضا ﷺ من الأخبار في التوحيد ، ١٢٩/١ ، ح٢٥ . معاني الأخبار : باب معنى الاسم ، ٢ ، ح١ .
البحار : ١٥٩/٤ ، ح٣ . الوافي : ٤٦٦/١ ، ح٣٧٧ .

٢ ـ فإنه يصحُ للعقل ملاحظة الاسم وحده ، مع قطع النظر عن تقييده ، وهو اعتبار اتصاف ذاته بالصفة الموجودة في المسمّى (راجع التعليقة الثانية في الصفحة السابقة) .

٣ ـ الكافي : باب المعبود : ٨٧/١ ، ح٢ . وباب معاني الأسماء واشتقاقها : ١١٤/١ ، ح٢ .
ويوجد فروق يسيرة لفظية بين المنقول في البابين لم نتعرض لها ، واللفظ هنا يطابق مافي باب المعبود . التوحيد : باب أسماء الله تعالى : ٢٢٠ ، ح١٣ . الاحتجاج : ٢٠٣/٢ . البحار : ١٥٧/٤ ـ ١٥٨ ، ح٢ . الوافي : ٣٤٦/١ ، ح٢٧٠ .

مألوها[1] ، والاسم غير المسمّىٰ ، فَمَن عَبَدَ الاسمَ دونَ المعنى فقد كَفَر و لم يعبُدْ شيئا ، ومَن عَبَدَ الاسمَ والمعنى فقد كَفَرَ وعَبَدَ اثنين[2] ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد ـ أفهمتَ يا هشام » ؟

ـ قال : ـ فقلت : « زدني » .

قال : « إنّ لله تسعة وتسعين اسما ، فلوكان الاسم هو المسمّىٰ لكان كلُّ اسم منها إلها ، ولكنّ الله معنى يُدلُّ عليه بهذه الأسماء ـ وكلُّها غيره .

يا هشام ـ الخُبزُ اسمٌ للمأكول ، والماءُ اسمٌ للمشروب ، والثوب اسمٌ للملبوس ، والنارُ اسمٌ للمحرِق ؛ أفهمت ياهشام ـ فهْما تدفع به وتناضل به أعدائَنا والمتّخذين مع الله ـ تعالى ـ غيرَه ؟ » .

---

١ ـ كتب في هامش النسخة كتعليقة على الحديث ولم يعلّم بعلامة ، ولكنها من كلام المؤلف من غير ترديد لكونها موجودا في الوافي (١/٣٤٧) بلفظها شرحا للحديث ، ولعلها مستنسخة منه بعد ولذلك لاتوجد في النسخ الأخرى ، وهي :

«قال في الصحاح : أله ـ بالفتح ـ إلهة : أي عبد عبادة ، ومنه قولنا : الله . وتقول : أله يأله إلها : أي تحيّر . والظاهر أن لفظ « إله » في الحديث فِعال بمعنى المفعول ، وقوله عليه السلام : « والإله يقتضي مألوها » معناه أن إطلاق هذا الاسم واستعماله بين الأنام يقتضي أن يكون في الوجود ذات معبود ينطلق عليه هذا الاسم ، فإن الاسم غير المسمى ، إذ الاسم عبارة عن اللفظ أوالمفهوم (كذا ، وفي الوافي : والمفهوم) منه ، والمسمى هوالمقصود (الوافي : هوالمعنى المقصود) من اللفظ الذي هو مصداقه . ويحتمل أن يكون «اله» في الحديث فعل ماض أو مصدرا ، وقوله : «والإله يقتضي مألوهاه ـ بالسكون ـ يعني أن العبادة تقتضي أن يكون في الوجود ذات معبود ، لايكفي فيها مجرد الاسم من دون أن يكون له مسمى . والمراد بالخبز ومعطوفاته إما الألفاظ أو المفاهيم ، وبالمأكول ونظائره الأعيان التي في الخارج» .

٢ ـ أي وحدث عبادتان ، إحداهما لشيء والأُخرى لغير شيء ؛ ففيه وقع الاشتراك (الأظهر : الإشراك) في نفس العبادة (كتب هذه الحاشية في هامش م و ع وعليه علامة «منه رحمه الله» ولايوجد في نسخة المؤلف ـ قده ـ) .

قلت: « نعم ».

ـ قال: ـ فقال: « نفعكَ اللهُ به وثبّتكَ ـ يا هشام » ؟.

قال هشام: « فوالله ما قَهَرني أحدٌ في التوحيد، حتّى قمتُ مقامي هذا ».

وماروي فيه وفي كتاب التوحيد[1] بإسنادهما عنه ـ قال:ـ «مَن عَبَدَ اللهَ بالتوهُّم فقد كفر[2] ومن عبَد الاسمَ دونَ المعنى فقد كفَر، ومن عبَد الاسم والمعنى فقد أشرَك، ومن عَبَدَ المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصَف بها نفسَه، فَعقَدَ عليه قلبه، ونطَق به لسانُه في سرِّ أمره وعلانيته، فأُولئك هم المؤمنون حقّا».

و في لفظ آخر[3] : «فاولئك أصحابُ أميرالمؤمنين حقا».

فالمراد بـ«الاسم» ـ في الخبرين ـ ما يُفهم من اللفظ، و بـ«المعنى»

---

١ ـ الكافي: باب المعبود: ٨٧/١، ح١. التوحيد: الباب السابق: ٢٢٠، ح١٢.
عنه البحار: ١٦٥/٤ـ١٦٦، ح٧. الوافي: ٣٤٥/١، ٢٦٨.

٢ ـ كتب النص التالي في هامش النسخة بلاعلامة:
قوله عليه السلام: «من عبد الله بالتوهم فقد كفر» أي من غير جزمٍ بوجوده، أو بما يتوهّمه من مفهوم اللفظ، أي عبد الصورة الوهميّة التي تحصل في ذهنه من مفهوم اللفظ. قوله: «ومن عبد الاسم» أي اللفظ الدال على المسمى أو مايفهم من اللفظ من الأمر الذهني. قوله عليه السلام: «دون المعنى» أي مايصدق عليه اللفظ، أعني المسمى الموجود في خارج الذهن. والحاصل أن الاسم وما يفهم منه غير المسمى، فإن لفظ الإنسان ـ مثلا ـ ليس بإنسان، وكذا مايفهم من هذا اللفظ بما يحصل في الذهن، فإنه ليس له جسمية ولانطق ولاشيء من خواصّ الإنسانيّة.
(وقد جاء صدر هذه التعليقة فقط ـ إلى قوله: من مفهوم اللفظ ـ في م و ع. وعليه علامة: منه رحمه الله).

٣ ـ نفس المصدر.

ما يصدق عليه اللفظ . فالاسم أمرٌ ذهنيٌّ ، والمعنى أمرٌ خارجيٌّ ، و هو المسمّى ، و الاسم غير المسمّى ، لأنَّ الإنسان ـ مثلا ـ في الذهن ليس بإنسان ، ولا له جسميّةٌ ولا حياةٌ ، ولا حسٌّ ، ولا حركةٌ ، ولا نطقٌ ، ولا شيءٌ من خواصّ الإنسانيّة .

فتدبّر فيه تفهم معنى الحديث ـ ومن الله الإعانةُ .[1]

فصل [٢]

[الأسماء الحسنى واندراجها تحت لفظ الجلالة]

روى في كتاب التوحيد[2] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إنَّ لله ـ تبارك وتعالى ـ تسعةً وتسعين اسما ـ مأة إلّا واحدا[3] ـ من أحصاها دخل الجنَّةَ، وهي: الله[4] ، الواحدُ ، الأحدُ ، الصمدُ، الأوّلُ ، الآخرُ ، السميعُ، البصيرُ، القديرُ، القاهرُ، العليُّ، الأعلىٰ، الباقيُ، البديعُ، الباريُ، الأكرمُ ، الظاهرُ، الباطنُ، الحيُّ ، الحكيمُ ،

١ـ هنا كتب المؤلف فصلا أو أكثر ثم رأى حذفه وأخرج الورقة من الكتاب وشطب على القسم الباقي منه في الورقة الموجودة ولذلك لم نتمكن من إيراده .

٢ـ التوحيد : باب أسماء الله تعالى ١٩٤ـ١٩٥ ، ح٨. الخصال : أبواب الثمانين ومافوقه : ٢/٥٩٣ـ ٥٩٤ ، ح٤ . البحار : ٤/١٨٦ـ١٨٧ ، ح١ .

٣ـ كذا . ولكن في المصدر : واحدة .

٤ـ أضيف هنا في التوحيد والخصال وكذا فيا نقله المجلسي ـ ره ـ عنها في البحار : «الإله» . والأظهر أن الصحيح مانقله المؤلف ـ قده ـ إذ به يصير عدد الاسماء مأة .

العليمُ ، الحليمُ ، الحفيظُ ، الحقُّ ، الحسيبُ ، الحميدُ ، الحفيُّ ، الربُّ ، الرحمنُ ، الرحيمُ ، الذاريُّ ، الرزّاقُ ، الرقيبُ ، الرؤوفُ ، الرائيُ ، السلامُ ، المؤمنُ ، المهيمنُ ، العزيزُ ، الجبّارُ ، المتكبّرُ ، السيّدُ ، السُبُّوحُ ، الشهيدُ ، الصادق ، الصانع ، الطاهر ، العدل ، العفوُّ ، الغفورُ ، الغنيُّ ، الغياثُ ، الفاطرُ ، الفردُ ، الفتّاحُ ، الفالقُ ، القديمُ ، الملِكُ ، القدُّوسُ ، القويُّ ، القريبُ ، القيُّومُ ، القابضُ ، الباسط ، قاضي الحاجات ، المَجيدُ ، المولىٰ ، المنّانُ ، المحيطُ ، المبينُ ، المُقيتُ ، المصوِّرُ ، الكريمُ ، الكبيرُ ، الكافي ، كاشفُ الضرِّ ، الوترُ ، النورُ ، الوهّابُ ، الناصرُ ، الواسعُ ، الودودُ ، الهاديُ ، الوفيُّ ، الوكيلُ ، الوارثُ ، البرُّ ، الباعثُ ، التوّابُ ، الجليلُ ، الجوادُ ، الخبيرُ ، الخالقُ ، خيرُ الناصرين ، الدّيانُ ، الشكورُ ، العظيمُ ، اللطيفُ ، الشافي» .

وبإسناده[1] عن مولانا الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه عن عليّ عليه السلام ـ قال :ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لله ـ عزّ وجلّ ـ تسعةٌ وتسعون اسما ، مَن دَعا الله بها استجاب له ، ومن أحصاها دَخَل الجنّة» . ورواها العامّة أيضا بأسانيد متعدِّدة[2] ، باختلاف بعضها في اللفظ ، واستبدال بعض من الأسماء مكان بعض ـ فيما تضمّن التفصيل منها[3] ـ .

١ـ التوحيد : الباب السابق ١٩٥ ، ح٩ . عنه البحار : ١٨٧/٤ ، ح٢ .

٢ـ روى عنهم الصدوق ـ ره ـ في التوحيد : باب أسماء الله تعالى : ٢١٩ ، ح١١ .
راجع الأسماء والصفات للبيهقي : باب بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنّة : ٢٨/١ .

٣ـ الأسماء والصفات : الصفحة المذكورة . المستدرك للحاكم : كتاب الإيمان ، ١٦/١ .
الترمذي : كتاب الدعوات ، الباب ٨٣ ، ٥٣٠/٥ ، ح٣٥٠٧ .
كنزالعمال : ٤٤٨/١ـ ٤٥٠ ، ح١٩٣٧ـ ١٩٣٩ .

وزاد في بعضها[1] : «إنَّ الله وِترٌ يحبُّ الوِتْرَ» .

وإنّما خصّ هذا العدد بالذكر ـ مع أنّ أسماء الله ـ سبحانه ـ أزيَد من ذلك، بما لايدخل تحت الضبط، كما يستفاد من تتبُّع الكتاب والسنّة ـ إمّا لاختصاص هذه بما رُتّب عليه من دخول الجنّة بإحصائها واستجابة الدعوة، أو لامتيازها من سائر الأسماء بمزيد فضل، لجمعها أنواعا من المعاني المنبِئة عن الجلال ما لايجمع غيرها .

ولابدّ أن يكون تحت كلّ منها معنى ليس في الآخر ، ولو باشتماله على زيادة دلالة لايدلُّ عليها الآخر، كالغنيّ والمِلك ، فانَّ الغنيّ هو الذي لايحتاج إلىٰ شيء ، و المِلك هو الذي لا يحتاج إلىٰ شيء ويحتاج إليه كلُّ شيء، فيكون المِلك مفيدا معنى الغنيّ وزيادة ؛ وكذلك العليم و الخبير: فإنّ العليمَ يدلُّ على العلم فقط ، والخبير يدلُّ علىٰ علمٍ بالأُمور الباطنة .

وربما عجَزنا عن التنصيص على خصوص ما به الافتراق بين اثنين منها ـ و إن كنّا لا نشكُّ في أصل الافتراق ـ كالعظيم و الكبير، فإنّه لايستعمل أحدهما مكان الآخر في لغة العرب، فلايقال: « فلانٌ أعظم سنّا » مكان قولهم: « أكبر سنّا »؛ وفي الحديث القدسيّ[2] : «العظَمةُ

١ ـ مسلم : كتاب الذكر ، باب في أسماء الله تعالى ، ٢٠٦٢/٤ ، ح٥ .
البخاري : كتاب الدعوات ، باب لله مأة اسم غير واحد ، ١٠٩/٨ .

٢ ـ أبو داود (باب ماجاء في الكبر : ٥٩/٤ ، ٤٠٩٠) : « قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري» . وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (في تفسير الفاتحة : ٣٦) : « ياموسى إنّ الفخرَ ردائي والعظمة إزاري ، ومن نازعني في شيء منها عذّبته بناري » . عنه البحار : ٢٦٧/٢٣ ، ح١٢ .

إزاري، والكبرياءُ ردائي»، ففرّق بينهما فرقا يدلُّ على التفاوت ـ و إن كنّا لانعرفه بعينه ـ.

و إنّما قلنا بوجوب الافتراق، لأنّ الأسامي لاتراد لحروفها، ومخارج أصواتها، بل لمفهوماتها و معانيها، فلا يجوز أن تكون مترادفةً محضةً، حيث دخل تحت الضبط في عدد مخصوص، وإن كانت أسماء اللهِ ـ كلُّها يندرج بعضها في بعض بالمعنى، كاندراج « النافع » تحت «اللطيف»، و «المانع» تحت «القهار» ـ إلى غير ذلك ـ.

و يندرج الكلُّ تحت «الله» لاشتماله على جميع الصفات الإلهيّة، و الأعظمُ[1] مستورٌ فيها إلّا على[2] أهله، ولها خواصٌّ عجيبةٌ، وآثارٌ غريبةٌ، ومناسباتٌ للنفوس، وتأثيراتٌ فيها، ذكرا وكتابةً و وِفقا[3] و استصحابا، بشرائط مخصوصة ذكرها جماعةٌ من أهل هذا الفنِّ في كتبهم ومصنّفاتهم.

۱ـ يعني الاسم الأعظم.

۲ـ نسخة: عن.

۳ـ وفق الاسم أن تأخذ مربعا وتقسمه إلى أجزاء معينة متساوية عرضا وطولا، فيكون أجزائها ثلاثة في ثلاثة أو أربعة في أربعة أو غيرها، ويسمى الوفق باسم عدده؛ ثم تحسب عدد اسم مخصوص وتضع في كل جزء من الجدول عددا بحيث يكون مجموع أعداد كل قطر من الجدول في كل جهة مساويا لعدد ذلك الاسم، شرط أن لايتكرر عدد في جزئين من الجدول.

فصل [٣]

[تحقيق معنى إحصاء الأسماء]

قال الشيخ الفقيه الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي ـ رحمه الله ـ[١] : « إحصاؤها هو الإحاطة بها ، والوقوف على معانيها ؛ وليس معنى الإحصاء عدّها » .

وقال السيّد فضل الله الراوندي ـ في شرح الشهاب[٢] :

« الإحصاءُ بمعنى الإطاقة ، كما قال ﷺ[٣] : « استقيموا ولن تحصوا» . وقال تعالى : ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ تُحْصُوهُ﴾ [٢٠/٧٣] أي لن تطيقوه . وفي الحديث[٤] : «إنّ لله تسعةً وتسعين اسما ، مَن

١ـ التوحيد : باب أسماء الله تعالى : ١٩٥ .

٢ـ شهاب الأخبار في الحكم والآداب للقاضي محمد بن سلامة القضاعي ، المتوفى سنة ٤٥٤ ، كتاب معروف جمع فيه ألف حديث نبوي ﷺ ، وقدشرحه جمع من الأعلام ، منهم السيد العالم ضياء الدين أبوالرضا فضل الله بن علي الراوندي ، كان معاصرا للقطب الراوندي ، قال الشيخ منتجب الدين في فهرسته : « هو علامة زمانه . . . وكان أستاد أئمة عصره ، وله تصانيف منها ضوء الشهاب في شرح الشهاب . . . » . راجع ترجمته في الرياض : ٣٦٤/٤ـ٣٧٤ . والكتاب مخطوط لم يطبع .

٣ـ ابن ماجة : كتاب الطهارة ، باب المحافظة على الوضوء : ١٠١/١ـ١٠٢ ، ح٢٧٧ـ٢٧٨ . المسند : ٢٨٢/٥ . الدارمي : كتاب الصلاة ، باب ماجاء في الطهور ، ١٦٨/١ . مستدرك الحاكم : كتاب الطهارة ، ١٣٠/١ . المعجم الكبير : ١٠١/٢ ، ح١٤٤٤ . و٢٥/٧ـ٢٦ ، ح٦٢٧٠ . المعجم الصغير : ٢٣ ، ح٨ . و٤١٨ ، ح١٠١٣ . الجامع الكبير : ٤٢٦/١ ، ح٢٩٢٥ . كنزالعمال : ٥٧/٣ ، ح٥٤٧٤ .

٤ـ مضى الحديث آنفا .

أحصاها دخل الجنّة ». ومعناه: مَن أطاق أن يقتدر بها قدر مايطيق دخل الجنّة».

وقال بعضُ أهل المعرفة[1] :

«إحصاؤها أن يجعلها أسماءً لنفسه بتحصيل معانيها فيها بقدر الإمكان ؛ وهذا كقوله ﷺ[2] : « تخلّقوا بأخلاق الله » ؛ وإلاّ فلوأنّ أحدا أحصى ألفَ ألف اسم مِن أسمائه العظام بمجرّد اللسان ، من غير أن ينطبع في طبعه ، وينتقش في نفسه تلك المعاني المدلول عليها بتلك الأسامي ، فمَثَله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [٢/١٧١]» .

أراد بذلك أن يُثبت للعبد من هذه الصفات أُمور[ا] تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ، وإن لم تماثلها مماثلةً تامّةً» .

وقال بعضُ العلماء[3] :

« إعلم أنّ مَن لم يكن له حظٌّ مِن معانى أسماء الله ـ تعالى ـ إلاّ أن يسمع لفظَه ويفهم في اللغة تفسيرَه ووضعَه ، ويشهدَ

١ـ لم أعثر على القائل .

٢ـ لم أعثر عليه في الجوامع الروائية . استشهد به السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار : القاعدة الأولى من الأصل الثالث ، ٣٦٣ . وعبدالرزاق القاساني في شرح منازل السائرين : باب الخلق ، ٢٣٥ . و الغزالي في المقصد الأسنى : خاتمة الفصل الأول من الفن الثاني : ١٦٢ . والفخر الرازي في المقاصد العالية : ٧/٣٠٠ .

٣ـ الغزالي في المقصد الأسنى : الفصل الرابع من الفن الأول : ٤٢ـ٤٤ .

بالقلبِ وجودَه ومعناه لله ـ تعالى ـ فهو مبخوسُ الحظِّ نازلُ الدرجة، ليس يُحسن أن يتبجّح بما ناله.

فإنَّ سماعَ الألفاظ لا يستدعي إلاَّ سلامةَ حاسّة السمع، التي بها تدرك الأصوات، وهذه رتبةٌ تُشارك البهيمةُ فيها.

وأمّا فهم وضعه في اللغة، فلا يستدعي إلاَّ معرفةَ العربيّة، وهذه رتبةٌ يشارك فيها الأديبُ اللغويُّ، بل الغويُّ البدَويُّ.

و أمَّا اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى ـ مِن غير كشفٍ ـ فلا يستدعي إلاَّ فهم معاني تلك الألفاظ، و التصديق بها؛ وهذه رتبةٌ يشارك فيها العاميُّ، بل الصبيُّ؛ فإنّه بعد فهم الكلام إذا أُلقي هذه المعاني إليه تلقّاها وتلقّنها واعتقَدها بقلبه، وصَممّ عليها. وهذه درجاتُ أكثر العلماء ـ فضلاً من غيرهم ـ ولا يُنكَر فضلُ هؤلاء بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث، ولكنّه نقصٌ ظاهرٌ بالإضافة إلى ذُروة الكمال[1]، فإنَّ حَسنات الأبرار سَيِّئات المقرّبين؛

بل حظوظُ المقرّبين من معاني أسماء الله ـ تعالى ـ ثلاثةٌ:

الأوّل: مَعرفةُ هذه المعاني على سبيل المكاشَفة والمشاهَدة، حتّى تتّضح لهم حقائقُها بالبرهان الذي لايجوز فيه الخطاء، وينكشف لهم اتِّصافُ الله تعالى بها انكشافا يجرى في الوضوح والبيان مجرى اليقين، الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التى

١ـ الذُروة والذِروة: أعلى الشيء.

يدركها بمشاهدة باطنة ، لا بإحساس ظاهر ؛ وكم بين هذا وبين الاعتقاد المأخوذ من الآباء والمعلِّمين تقليدا ، والتصميم عليه ، وإن كان مقرونا بأدلّة جدليّة كلاميّة .

الحظُّ الثاني من حظوظهم : استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجهٍ ينبعث من الاستعظام شوقُهم إلى الاتِّصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ، ليقربوا بها من الحقِ قُربا بالصفة ـ لا بالمكان ـ فيأخذوا من الاتِّصاف بها شبها بالملائكة المقرَّبين عندالله ـ تعالى ـ ولن يتصوَّر أن يمتلأ القلب باستعظام صفةٍ واستشرافها عليه، إلاَّ ويتبعه شوقٌ إلى تلك الصفة، وعشقٌ لذلك الكمال والجمال، وحرصٌ على التحلِّي بذلك الوصف ، إن كان ذلك ممكنا للمستعظم بكماله ؛ وإن لم يمكن بكماله فينبعث الشوقُ إلى القدْر الممكن منه لامحالة .

ولايخلو عن هذا الشوق أحدٌ إلاّ لأحد أمرين :

إمّا لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال .

و إمّا كون القلب ممتلئا بشوق آخر، مستغرقا به ؛ فالتلميذُ إذا شاهدَ كمالَ أُستاده في العلم، انبعث شوقُه إلى التَشبُّه به و الاقتداء به ، إلاّ إذا كان ممنوعا بالجوع ـ مثلا ـ فإنّ استغراق باطنه بشوق القُوت ربما منَع إنبعاثَ شوق العلم .

و لهذا ينبغي أن يكون الناظرُ في صفات الله ـ تعالى ـ خاليا بقلبه عن إرادة ما سوى الله ـ عزّوجلّ ـ فإنّ المعرفةَ بذرُ الشوق ، ولكن مهما صادف[ـت] قلبا خاليا عن حَسَكَة

الشهوات ، فإن لم يكن خاليا لم يكن البذرُ مُنجحا .

الحظُّ الثالث : السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلُّق بها ، والتحلّي بمحاسنها ، وبه يصيرالعبدُ ربّانيًا ـ أي قريبا من الربِّ ـ تعالى ـ وبه يصير رفيقا للملأ الأعلى من الملائكة ، فإنَّهم على بساط القُرب فَمَن صَرَفَ [همَّته] إلى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدرمانال من أوصافهم المقرِّبة لهم إلى الحقِّ ـ تعالى ـ» .

ـ ثمَّ قال:ـ

«فإن قلتَ : فظاهر هذا الكلام يشير إلى إثبات مشابهة بين العبد وبين الله ـ تعالى ـ لأنَّه إذا تخلَّق بأخلاق الله كان شبِها له ، ومعلومٌ شرعا وعقلا أنَّ الله تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ ﴾ [٤٢/١١] ولايشبه شيئا ولايشبهه شيءٌ .

فأقول : مهما عرفتَ معنى المماثلة المنفيَّة عن الله ـ تعالى ـ عرفتَ أنَّه لامِثل له ؛ ولاينبغي أن يُظنَّ أنَّ المشاركةَ في كلِّ وصف توجبُ المماثلة ؛ أفترى أنَّ الضدَّين يماثلان ـ وبينهما غايةُ البُعد الذي لايتصوَّر أن يكون بُعدٌ فوقه ـ وهما متشاركان في أوصاف كثيرةٍ ، إذ السوادُ يشارك البياضَ في كونه عرَضا ، وفي كونه لونا ، وفي كونه مدرَكا بالبصر ـ وأُموراُخرسواه ـ أفترى أنَّ من قال : «إنَّ الله ـ تعالى ـ موجودٌ لا في محلٍّ ؛ وإنَّه سميعٌ ، بصيرٌ ، عالمٌ ، مريدٌ ، متكلِّمٌ ، حيٌّ ، قادرٌ ، فاعلٌ ؛ وإنَّ المَلَك أو نفس الإنسان ـ أيضا ـ كذلك» فقد شبَّه وأثبت المثل ؟

هيهات ـ ليس الأمر كذلك ، ولوكان كذلك ، لكان الخَلق

كلُّهم مشبِّهةً، إذ لا أقلّ من إثبات المشاركة في الوجود، وهو موهِمٌ للمشابهة؛

بل المماثلةُ عبارةٌ عن المشاركة في النوع والماهيّة؛ والفَرَس وإن كان بالغا في الكياسة لايكون مِثلا للإنسان، لأنّه مخالف له بالنوع وإنّما شابهه بالكياسة التي هي عارضـ[ـةٌ] خارجـ[ـةٌ] من الخاصيّة المقوِّمة لذات الإنسانيّة؛ والخاصيّة الإلٰهيّة: أنّه الموجود الواجب الوجود بذاته، الذي عنه يوجد كلُّ ما في الإمكان وجودُه على أحسن وجوه النظام والكمال.

وهذه الخاصيّة، لا تتصوّر فيها مشاركةٌ ألبتّة ؛ والمماثلةُ بها تحصل؛ فكون العبد رحيا صبورا شكورا لايوجب المماثلةَ؛ ككونه سميعا، بصيرا عالِمًا، قادرا، حيًّا، فاعلا.

بل أقول: الخاصيّةُ الإلٰهيّة ليست إلاّ لله تعالى، ولايعرفها إلاّ الله، ولايتصوّر أن يعرفَها إلاّ هـو، أو مَن هو مثله، وإذ لم‌يكن له مِثل فلايعرفُها غيره، فإذن الحقُّ ماقيل[1] : « لايعرف اللهَ إلاّ اللهُ »، ولذلك لم يعط أجلّ خلقه إلاّ اسما حجبه به، فقال: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [١/٨٧].

والله ما عرف اللهَ غيرالله في الدنيا والآخرة».

ثمّ شرَع في شرح معاني أسماء الله ــ سبحانه ــ وبيان حظِّ العبد منها واحدا واحدا، ولنُورد ملخَّصَ ما ذكره ــ ومن الله التأييد ــ :

---

١ ــ في المصدر: «الحق ماقاله الجنيد حيث قال». والمؤلف أيضا كتب كذلك أولا ثم شطب عليه وكتب: «الحق ماقيل».

الله[1]

اسم للموجود الحقّ الجامع لصفات الإلٰهيّة ، المنعوت بنعت الربوبيّة ، المتفرِّد بالوجود الحقيقي ؛ فإنّ كلّ موجود سواه غير مستحقّ للوجود بذاته ، وإنّما استفاد الوجودَ منه ، فهو من حيث ذاته هالكٌ ، ومن [الـ]جهة التي تليه موجودٌ .

وهو أخصُّ الأسماء وأعظمها ، لجَمعه الصفات الإلٰهيّة كلّها ــ و سائر الأسماء لايدلُّ إلاّ على آحاد المعاني ، من علمٍ أو قدرةٍ أو فعلٍ ــ ولعدم انطلاقه على غيره ــ لاحقيقةً ولا مجازا ــ لعدم اتّصاف غيره بشوبٍ منه ، كسائر الأسماء ؛ وهذا يُعرف سائرُ الأسماء بالإضافة إليه ، فيقال : «الجبّارُ من أسماء الله» ؛ ولايقال : «الله من أسماء الجبّار» .

وحظُّ العبد من هذا الاسم التألُّه ، بأن يكون مستغرق القلب والهمّة بالله ، لايرى غيرَه ، ولايلتفت إلى سواه ، ولا يرجو ولا يخاف إلاّ إيّاه . وكيف لايكون كذلك ؟ ! وقد فهم من هذا الاسم أنّه الموجود الحقيقي الحقُّ ، وكلُّ ماسواه فانٍ وهالكٌ وباطلٌ إلاّ به ؛ فيرى أوّلا نفسَه أوّل هالكٍ وباطلٍ ، كما رآه رسولُ الله ﷺ حيث قال[2] : «أصدق شعر

١ـ المقصد الأسنى : الفصل الأول من الفنّ الثاني : ٦٤ـ١٦١ .

٢ـ الحديث مروي بألفاظ مختلفة : البخاري باب أيام الجاهلية ، ٥٣/٥ : «أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد ...» . مسلم : كتاب الشعر ، ١٧٦٨/٤ـ١٧٦٩ ، ح٢ـ٦ : «أشعر كلمة تكلمت بها العرب ... ؛ أصدق بيت قاله الشاعر ... ؛ أصدق بيت قالته الشعراء ...» . راجع أيضا : الترمذي : كتاب الأدب ، باب (٩٠) ماجاء في إنشاد الشعر ، ١٤٠/٥ ، ح٢٨٤٩ . كنزالعمال : ٥٧٧/٣ ، ح٧٩٧٧ـ٧٩٧٨ . ـــ

قاله شاعرٌ قول لبيد[1] :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ [. . . . .[2]]

الرحمٰن الرحيم

مشتقّان من «الرحمة» وهي إفاضة الخير على المحتاجين عناية بهم ورحمةُ الله ـ تعالى ـ تامّةٌ وعامّةٌ وكاملةٌ .

أمّا تمامُها : فمن حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها عنايةً بهم . وأمّا عمومُها : فمن حيث شمل المستحقّ وغيرالمستحقّ ، وعمّ الدنيا والآخرةَ ، وتناول الضرورات وغيرها . وأمّا كمالُها : فلخلوّها عن الرقّة المؤلمة التي تعتري الرحيمَ ، فتحرّكه إلى قضاء حاجة المرحوم ؛ فإنّ تلك الرقّة يكاد صاحبها [ـا] يقصد بفعله دفعَ الألم عن نفسه ، فيكون نظرَ لنفسه ، وسعى لغرض نفسه ـ لا للمرحومِ لأجل المرحوم ـ وذلك نقصانٌ عن كمال معنى الرحمة .

و ليعُلم أنّ تلك الرقّةُ لا مدخل لها في تحقُّق معنى الرحمة ، و إنّما

حلية الأولياء ، ترجمة شعبة بن الحجاج : ٢٠١/٧ . المسند : ٢٤٨/٢ و ٤٧٠ .
ابن ماجة : كتاب الأدب ، باب الشعر ، ١٢٣٦/٢ ، ح٣٧٥٧ .
الجامع الكبير : ٤٥٥/١ ، ح٣١٥١ .

١ ـ لبيد بن ربيعة العامري من فحول الشعراء المخضرمين ، صاحب المعلقة . والمعروف أنه ترك الشعر بعد إسلامه ، وهو من المعمرين ، حكي في أُسد الغابة (٢١٧/٤) عن مالك بن أنس : «بلغني أنّ لبيد بن ربيعة عاش مأة وأربعين سنة» .
راجع أُسد الغابة : ٢١٤/٤ـ٢١٧ ، الترجمة ٤٥٢١ . الإصابة : ٣٢٦/٣ـ٣٢٧ ، الترجمة ٧٥٤١ . الكامل للمبرد : ٧٨١/٢ـ٧٨٣ .

٢ ـ تمام البيت : وكل نعيم لامحالة زائل .

تحصل الرحمة بحصول ثمرتها ، و لا حظّ للمرحوم في تألُّم الراحم و تفجُّعه ، وإنّما تألّمه لضعف نفسه ونقصانها ، ولا يزيد ذلك في غرض المحتاج شيئا .

والرحمانُ أخصُّ من الرحيم ؛ ولهذا لايسمّى به غيرُالله ، فبالحريّ أن يكون المفهوم منه نوعا من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد ، وهي ما يتعلّق بالسعادة الأُخرويّة .

أقول : وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام[1] : «إنّ الرحمان هو بجميع العالَم والرحيم بالمؤمنين خاصّة» .

وحظُّ العبد من اسم « الرحمان » أن يرحم عبادَ الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله ـ تعالى ـ بالوعظ والنُصح ، بطريق اللطف ـ دون العنف ـ و أن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة ، لا بعين الإزراء[2] ، وأن يكون كلّ معصية تجري في العالَم كمصيبة له في نفسه ، فلا يألو جهدا في إزالتها بقدر وُسعه ، رحمةً لذلك العاصي أن يتعرّض لسخَط الله تعالى ويستحقّ البُعدَ عن جواره .

١ـ التوحيد : باب معنى بسم الله الرحمان الرحيم : ٢٣٠ ، ح٢ . معاني الأخبار : نفس الباب ، ٣ ، ح١ـ٢ . تفسيرالقمي : تفسير بسم الله الرحمن الرحيم : ٥٧/١ . المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ، باب جوامع التوحيد ، ٢٣٨ ، ح٢١٣ . العياشي : ٢٢/١ .
عنها البحار : ٢٢٩/٩٢ ، ح٨ . و٣٢١/٩٢ ، ح١١ـ١٢ . وعن العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم : ٥١/٨٥ ، ح٤٣ .

٢ـ أزراه : عابه ووضع من حقه . أزرى عليه عمله : عاتبه أو عابه عليه .

وحظُّه من اسم «الرحيم» أن لايدع فاقةً لمحتاجٍ إلاّ يسدُّها بقدر طاقته، ولايترك فقيرا في جواره إلاّ ويقوم بتعهُّده ورفع فقْره، إمّا بمالِه أو جاهه أو السعي في حقِّه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجَز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء له وإظهار الحزن بسبب حاجته، رقّةً عليه وعطفا، حتّى كأنّه مساهمٌ له في ضرره وحاجته.

سؤالٌ وجوابٌ:

لعلّك تقول: ما معنى كونه تعالى رحيما، وكونه أرحم الراحمين؟ والرحيم لايرى مبتلى ومضرورا ومُعدِما ومريضا ـ وهو يقدر على إماطة ما بهم ـ إلاّ ويبادر إلى إماطته، والربُّ ـ تعالى ـ قادرٌ على كفاية كلِّ بليّة، ودفع كلِّ فقرٍ، وإماطة كلِّ مرض، وإزالة كلِّ ضرر، والدنيا طافحةٌ[1] بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادرٌ على إزالة جميعها، وتاركٌ عبادَه ممتحنين بالرزايا والمحن؟

فجوابُك: أنّ الطفلَ الصغير قد ترقّ له أُمُّه فتمنعه من الحجامة، والأبُ العاقل يحمله عليها قهرا، و الجاهلُ يظنُّ أنّ الرحيمَ هي الأمُّ ـ دون الأب ـ والعاقلُ يعلم أنّ إيلام الأب إيّاه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأنّ الأمّ له عدوٌّ في صورة صَديق؛ وأنّ الألم القليل إذا كان سببا للّذة الكثيرة لم يكن شرّا ـ بل كان خيرا ـ والرحيمُ يريد الخيرَ للمرحوم لامحالة، وليس في الوجود شرٌّ إلاّ وفي ضِمنه

١ـ على هامش النسخة: طفح الإناء ـ كمنع ـ طفحا، وطفوحا: امتلأ.

خيرٌ، لو رُفع ذلك الشرُّ لبطل الخيرُ الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شرٌّ أعظم من الشرِّ الذي يتضمَّنه. فالخير مرادٌ لذاته، والشرُّ مرادٌ لغيره؛ والمرادُ لذاته قبلَ المراد لغيره، ولهذا قال تعالى[1] : «سَبَقَتْ رَحمَتي غَضَبي».

فغضبُه إرادته للشرِّ بالعرَض ، و رحمتُه إرادته للخير بالذات ؛ فالآن إن خطَر لك نوعٌ من الشرِّ لاترى تحتَه خيرا، أوخطَر لك أنَّه كان تحصيلُ ذلك الخير ممكنا ـ لافي ضمن الشرِّ ـ فاتَّهِم عقلَك القاصر في أحد الخاطرين:

إمَّا في قولك: «إنَّ هذا الشرَّ لاخير تحته»؛ فإنَّ هذا ممَّا تقصر العقول عن معرفته، ولعلَّك فيه مثل الصبيِّ الذي يرى الحجامةَ شرّا محضا، أو مِثل الغبيِّ الذي يرى القصاصَ شرّا محضا، لأنَّه ينظر إلى خصوص شخص المقتول ويراه في حقِّه شرّا محضا، ويذهل عن الخير العامِّ الحاصل للناس كافَّة، ولايدرى أنَّ التوسُّل بالشرِّ الخاصِّ إلى الخير العامِّ خيرٌ محضٌ لاينبغي للخيِّر أن يُهمله.

أو اتَّهِم عقلَك في الخاطر الثاني، وهو قولك: «إنَّ تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشرِّ ممكنٌ» فإنَّ هذا أيضا دقيقٌ غامضٌ؛ فليس كلُّ ممكنٍ ومحالٍ ممَّا يدرَك استحالتُه وإمكانُه بالبديهة، ولا بالنظر القريب، بل ربما عُرف بنظرٍ دقيقٍ غامضٍ يقصر عنه الأكثرون.

فاتَّهِم عقلَك في هذين الخاطرين، ولا تشكَّن أصلاً في أنه أرحم الراحمين، وأنَّه «سَبَقَت رَحمَتُه غَضَبه».

---

١ ـ راجع مامضى في الصفحة : ٨٣.

المَلِك

هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كلِّ موجود، ويحتاج إليه كلُّ موجود؛ بل لايستغني عنه شيءٌ في شيءٍ - لا في ذاته ولا في صفاته ولا في وجوده ولا في بقائه - بل كلُّ شيء فوجودُه منه أوممّا هو منه، فكلُّ شيء سواه فهو له مملوكٌ في ذاته وصفاته، وهو مستغنٍ عن كل شيء.

فهذا هو المَلِك المطلق؛ والعبدُ لايُتصوَّر أن يكون كذلك، فإنَّه أبدا فقيرٌ إلى الله، و لكن يُتصور أن يستغني عن بعض الأشياء و لايستغني عنه بعض الأشياء. فيكون له شوبٌ من الملك.

فالمَلِكُ من العباد هو الذي لايملكه إلاّ الله - تعالى - بل يستغني عن كلِّ شيءٍ سوى الله، وهو مع ذلك يملك مملكتَه بحيث يطيعه فيها جنودُه ورعاياه؛ وإنّما مملكتُه الخاصّة به قلبُه وقالبُه، وجندُه شهوتُه وغضبُه وهواه، ورعيَّتُه لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه. فإذا مَلِكها - ولم تملكه - وأطاعته - ولم يطعها - فقد نال درجةَ المُلك في عالَمه، فإن انضمَّ إليه استغناؤه عن كلِّ الناس، واحتياج الناس كلُّهم إليه في حياتهم العاجلة والآجلة، فهو المَلِك في العالَم الأرضي.

وذلك رتبةُ الأنبياء - صلوات الله عليهم - فإنَّهم استغنوا في الهداية إلى الحياة الأُخرويّة، عن كل أحد سوى الله تعالى، واحتاج إليهم كلُّ أحد. ويليهم في هذا المُلك العلماءُ، الذين هم ورثةُ الأنبياء وإنّما مُلكهم بقدر قدرتهم على إرشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد.

القُدُّوس

هو المنزَّه عن كلِّ وصفٍ يدركه حسٌّ أو يتصوَّره خيالٌ، أو يسبق إليه وهمٌ ، أو يختلج به ضمير، أو يفضي به فكرٌ .

لست أقول : «منزَّه عن العيوب والنقائص» ، فإنَّ ذكر ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب ، فليس من الأدب أن يقول القائل : « مَلِكُ البلدِ ليس بحائكٍ ولا حَجّامٍ » ، فإنَّ النفي يكاد يوهم الإمكان ، وفي ذلك الإيهام نقصٌ .

بل أقول : القدُّوس هو المنزَّه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنُّه أكثر الخَلق ، لأنَّ الخَلق إنَّما يصفونه بما هو كمالٌ في حقِّهم ، والله تعالى منزَّه عن أوصاف كمالهم ، كما أنَّه منزَّه عن أوصاف نقصهم ؛

بل كلُّ صفة تتصوَّر للخلق ، فهو مقدَّس عنها وعمّا يشبهها ويماثلها ؛ ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها ، لم يجز إطلاق أكثرها .

وقدسُ العبد في أن ينزِّه علمه وإرادته :

أمّا علمه : فينزِّهه عن المتخيَّلات والمحسوسات والموهومات وكلِّ ما تشارك فيها البهائم من الإدراكات ؛ بل يكون تردُّد نظره وتطواف علمه حول الأُمور الشريفة الكليَّة الإلٰهيَّة ، المتعلقة بالمعلومات الأزليَّة الأبديَّة ؛ دون الشخصيَّات المتغيِّرة المستحيلة .

وأمّا إرادته : فينزِّهها عن أن تدور حول الحظوظ البشريَّة التي ترجع إلى لذَّة الشهوة والغضب ، ومتعة المَطعَم والمَنكَح والمَلبَس

والمَنظَر، وما لايصل إليه من اللذّاتِ، إلاّ بواسطة الحسّ والقالب؛ بل لايريد إلاّ الله تعالى، ولايبق له حظٌ إلاّ فيه، ولا يكون له شوقٌ إلاّ إلى لقائه، ولا فرحٌ إلاّ بالقرب منه؛ ولوعرضت عليه الجنّة وما فيها من النعيم، لم يلتفت همّتُه إليها ولم‌يبتغ من الدار إلاّ ربّ الدار.

وعلى الجملة ـ الإدراكات الحسيّة والخياليّة تشارك البهائم فيها، فينبغي أن يترقّى عنها إلى ما هو من خواصّ الإنسانيّة؛ والحظوظُ البشريّة الشهوانيّة تزاحم البهائمُ أيضا فيها، فينبغي أن ينزّه عنها؛

فجلالة المريد على قدْر جلالة مراده، ومَن همّتُه مايدخل في بطنه فقيمته مايخرج منه، ومن لم يكن همّته سوى الله، فدرجتُه على قدْر همّتِه، ومن ترق علمُه عن درجة المتخيّلات والمحسوسات وقدس إرادته عن مقتضى الشهوات، فقد نزل بجبوحةَ حظيرة القدس[1].

السَّلام

هو الذي يسلم ذاتُه عن العيب والنقص، وصفاتُه عن النقص[2]، وأفعالُه عن الشرّ، حتّى إذاكان كذلك لم يكن في الوجود سلامةٌ إلاّ وكانت معزوّةً[3] إليه، صادرةً منه. وقد فهمت أنّ أفعاله تعالى سالمةٌ عن الشرّ المرادِ لذاته ـ لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه ـ

١ـ في هامش النسخة:

تو و طوبى و ما و قامت يار   فكر هركس به قدر همّت اوست

٢ـ كذا. وفي المصدر: يسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص.

٣ـ على هامش النسخة: أي منسوبة.

وكلُّ عبدٍ سلم من الغشِّ والحقد والحسد وإرادة الشرِّ قلبُه ، وسلم عن الآثام و المَحظورات جوارحُه ، و سلم عن الانتكاس والانعكاس صفاتُه : فهو الذي يأتي اللهَ بقلبٍ سليم ، وهو السلام من العباد ، القريب في وصفه من السلام المطلق الحقّ ، الذي لامشوبة في صفته .

وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقلُه أسيرَ شهوته وغضبه ـ إذ الحقُّ عكسه ، وهو أن يكون الشهوةُ والغضبُ أسيرَ العقل وطوعه .

المؤمن

هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان ، بإفادته أسبابَه وسدِّه طرُقَ المخاوف كلِّها ؛

و هو الله ـ سبحانه ـ إذ لا أمن و لا أمان في الدنيا من الآفات والأمراض والمهلكات ، ولا في الآخرة من العذاب والنقمات ، إلاّ وهو مُستفادٌ من الله بأسبابٍ هو متفرِّدٌ بخَلقها ، والهدايةِ إلى استعمالها .

ولايمنع ذلك خَلقه لأسباب الخوف أيضا ، كما لايمنع كونه «مذِلاً» كونه «معزًّا» ، ولا كونه «خافضا» كونه «رافعا» ؛ لكن «المؤمن» ورَد التوقيف به دون «المخوِّف» .

وحظُّ العبد من هذا الوصف : أن يأمن الخلقُ كلُّهم جانبَه ؛ بل يرجو كلُّ خائف الاعتضادَ به في دفع الهلاك عن نفسه في دينهودنياه .

وفي الحديث[١] : «المؤمنُ مَن آمَنَ جارُه بوائقَه[٢] »[٣] .

وأحقُّ العباد بهذا الاسم مَن كان سببا لأمن الخَلق من عذاب الله بالهداية والإرشاد، وهم الأنبياء والعلماء؛ ولذلك قال نبيّنا ﷺ[٤] : «إنكم تتهافتون في النار، وأنا آخذٌ بحُجَزِكم[٥] » .

أقول : وللمؤمن معنى آخر، وهو المصدِّق بالأشياء على ما هي عليها ، و عليه دلَّ كلام مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال في حديث ذعلب[٦] : «مؤمنٌ لا بعبادة» ولاشكَّ أنّه سبحانه مصدِّق بجميع الأُمور ـ معدوما وموجودا ـ تصديقا على أقصى رتب ما يمكن .

١ـ عن الصادق عليه السلام : الكافي : كتاب العشرة ، باب حقّ الجوار ، ٦٦٨/٢ ، ح١٢ . معاني الأخبار : باب معنى المسلم والمؤمن . . . ، ٢٣٩ ، ح٢ . وجاء في العيون (باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة ، ٢٤/٢ ، ح٣) «ليس منّا من لم يأمن جارُه بوائقَه» . البحار : ٢٥٩/٧١ ، ح٢ و٥١/٧٥ ، ح٣ .

٢ـ البائقة : النازلة . وهي الداهية والشرُّ الشديد . وباقت الداهية إذا نزلت . والجمع : بوائق .

٣ـ في هامش النسخة : «كذا روي عن مولانا الصادق عليه السلام . وقال عليه السلام أيضا : « المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم و أنفسهم » . وفي الحديث النبوي : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمن جارُه بوائقَه» ؛ وشارح الأسماء إنّما أورد في المقام هذا الحديث النبوي ، وإنّا عدلنا عنه إلى ماذكرناه لأنّه أوفق بمانحن فيه ـ كما لايخفى ـ منه» .

٤ـ كذا . وفي المصدر : «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم» .

المسند (عن ابن مسعود : ٣٩٠/١) : عن رسول الله ﷺ : « . . . ألا و إني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو الذباب » . وفي مسلم (كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته . . . : ١٧٨٩/٤ ، ح١٧) : « إنّما مثلي ومثل أُمتي كمَثل رجل استوقد نارا ، فجعلت الدوابُّ والفراشُ يقعن فيه . فأنا آخذٌ بحُجَزِكم ، وأنتم تَقحّمون فيه» . وأيضا مايقرب منه في مسلم : نفس الصفحة ، ح١٨ . البخاري : كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي ، ١٢٧/٨ .

٥ـ الحجز جمع حجزة . وهي مقعد الإزار والسراويل .

٦ـ مضى حديث ذعلب في الفصل التاسع من الباب السابق ، ١٢٩ .

المهيمن

معناه في حقِّ الله ـ تعالى ـ أنَّه القائم على خلْقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، باطلاعه واستيلاعه وحفظه، وكلُّ مُشرِفٍ على كُنه الأُمور مستولٍ عليه، حافظٌ له، فهو مهيمنٌ عليه[1].

ولن يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلاّ لله تعالى، ولذلك قيل: «إنَّه من أسماء الله في الكتب القديمة».

وكلُّ عبدٍ راقَبَ قلبَه حتَّى أشرف على أغواره وأسراره، واستولى مع ذلك على تقويم أحواله و أوصافه، و قام بحفظه على الدوام على مقتضى تقويمه، فهو مهيمِنٌ بالإضافة إلى قلبه، فإن اتَّسع إشرافُه واستيلاؤه حتَّى قام بحفظ بعض عباد الله على نهج السداد، بعد اطِّلاعه على بواطنهم وأسرارهم بطريق التفرّس و الاستدلال بظواهرهم، كان نصيبُه من هذا المعنى أوفر وحظُّه أتمّ.

العزيز

الخطير الذي يقلُّ وجودُ مثله، وتشتدُّ الحاجةُ إليه، ويصعب الوصولُ إليه؛ فمن يستحيل مثله ويحتاج إليه كلُّ شيءٍ في كلِّ شيءٍ، ويستحيل الوصول إليه على معنى الإحاطة بكنهه، أحقُّ بهذا الاسم ممَّن ليس كذلك.

---

١ ـ والإشراف يرجع إلى العلم، والاستيلاء إلى كمال القدرة، والحفظ إلى الفعل؛ فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن (من المصدر).

ومن العباد مَن يحتاج إليه الخَلق في أهمِّ أُمورهم ـ وهي السعادة الأبديّة .

الجبّار

هو الذي ينفذ مشيّتُه على سبيل الإجبار في كلِّ أحد ، ولاينفذ فيه مشيّةُ أحدٍ ، الذي لايخرج أحدٌ عن قبضته ، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته .

ومِن العباد مَن ارتفع عن الاتِّباع ، ونال درجةَ الاستتباع ، بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به ، كما قال نبيُّنا ﷺ[1] : «لوكانَ موسىٰ حيًّا ماوسعَه إلاّ اتِّباعي» .

المتكبّر

هو الذي يرى الكلَّ حقيرا بالإضافة إلى ذاته ، ولايرى العظمةَ والكبرياءَ إلاّ لنفسه ، فينظر إلى غيره نظرَ الملوك إلى العبيد ؛ فإن كانت هذه الرؤية صادقةً كان التكبُّر حقًّا ؛ وليس ذلك إلاّ لله ـ سبحانه ـ .

ومن العباد مَن استحقَرالدنيا والآخرة مترفِّعا عن أن يشغله شيءٌ منهما عن الله ـ جلَّ جلالُه .

---

١ ـ معاني الأخبار : باب معنى المحاقلة والمزابنة . . . وغيرذلك من المناهي ، ٢٨٢ . عنه البحار : ٣٤٧/٧٦ . وفي أمالي الصدوق (المجلس ٣٩ ، ٢٨٧ ، ح٤) : « . . . إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ، مانفعه إيمانُه شيئا ولانفعه نبوّتُه . . . » . وفي المسند (٣٣٨/٣) : «لوكان موسى حيًّا بين أظهركم ماحلّ له إلا أن يتّبعني» .

الخالق البارئ المصوِّر

كلُّ ما يخرج من العدم إلى الوجود، فيفتقر إلىٰ تقدير أوّلا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا. فالله ـ سبحانه ـ هو الخالقُ البارئُ المصوِّر بالاعتبارات الثلاث.

وحظُّ العبد من المصوِّر، أن يحصِّل في نفسه صورةَ الوجود كلّه، على ما هو عليه بهيئته ونظامه، حتّى يحيط بها كأنّه ينظر إليها؛ والخَلق والإيجاد يرجع إلى استعمال القدرة بموجب العلم؛ فإذا بلغ في مجاهدة نفسه بالرياضة، وفي سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيها باستنباط أُمور لم يسبق إليه، ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها: كان كالمخترِع لما لم يكن له وجودٌ من قبل، فينطلق عليه اللفظان ـ ولو بنوع من المجاز البعيد.

الغفَّار

هو الذي أظهرَ الجميل وستَر القبيح. والغَفْر: هو الستر.

وقد ستَر الله ـ سبحانه ـ على العبد مقابِحَ بدنه التي يستقبحُها الأعيُن، وغطّاه بجمال ظاهره ـ أوّلا.

ثمَّ خواطرَه المذمومة وإراداتِه القبيحةَ المخطرة بباله في مجاري وساوسه وما ينطوي عليه ضميرُه ـ من الغِشّ والخيانة وسوء الظنِّ بالناس ـ التي لو انكشف شيءٌ منها لهم لمَقَتوه وأهلكوه ـ ثانيا.

ثمّ ذنوبَه التي يستحقُّ الفضيحةَ بها على ملأ الخَلق، بإسبال السَتر

عليها في الدنيا ، والتجاوزِ عن عقوبتها في الآخرة ـ ثالثا ـ

وقد وعد أن يبدِّلَ سيئاتِه حسنات ، لتستر مقابحَ ذنوبه بثواب حسناته مهما ماتَ على الإيمان .

وحظُّ العبد من هذا أن يستر من غيره ما يحبُّ أن يُستَر عنه ؛ ففي الحديث[1] : « مَن سَتَرَ عَلى مؤمنٍ عورتَه ، سَتَرَ الله عليه عورتَه يومَ القيامة » .

القهّار

هو الذي يقصم ظهورَ الجبابرة من أعدائه ، فيقهرهم بالإماتة والإذلال ، بل الذي لاموجود إلاّ وهو مسخّرٌ تحتَ قهره وقدرته ، عاجزٌ في قبضته .

ومن العباد من قهرَ أعداءَه ؛ وأعدى عدوِّه نفسُه التي بين جنبَيه ، وهي أعدى له من الشيطان الذي قد حُذِّر عداوتَه ، ومهما قهرَ شهواتِ

١ـ المعجم الكبير (١٩/١٥٨ ، ح٣٥٠) : « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عليه عورته » . المسند (عقبة بن عامر ، عن رسول الله ﷺ : ٤/١٥٩) : «من ستر مؤمنا في الدنيا على عورةٍ ستره الله عزّ وجلّ يومَ القيامة» . البخاري (كتاب المظالم ، باب لايظلمَ المسلم المسلم ، ٣/١٦٨) : «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» . راجع أيضا كنز العمال : ٣/٢٤٨ـ٢٥١ ، ح٦٣٧٩ـ٦٣٩٧ . والمسند : ٢/٥٠٠ . ٤/١٥٣ . الجامع الكبير : ٧/٤٠ ، ح٢٠٧١٣ . و٧/٢٢٣ـ٢٢٤ ، ح٢٢٠٤٥ـ٢٢٠٥٣ .
وفي الكافي (كتاب الإيمان ، باب تفريج كرب المؤمن ، ٢/٢٠٠ ، ح٥) عن الصادق عليه السلام : «من ستر على مؤمن عورة يخافها ، ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة» . مثله في ثواب الأعمال : ثواب من نفّس عن مؤمن . . . ، ١٦٤ ، عنه البحار : ٧٥/٢٠ .

نفسه فقد قهرَ الشيطانَ، لأنَّه أخذ السلاح من يده؛ بل قهرَ الناسَ كافَّة فلم يقدر عليه أحدٌ، إذ غايةُ أعدائه السعيُ في إهلاك بدنه، وذلك إحياءٌ لروحِه، فإنَّ من مات عن شهواته في حياته، عاش في مماتِه.

الوهَّاب

الكثير الإعطاء من غير عوض ولا غرض ـ من عينٍ أو ثناءٍ أو فرَح أو صيتٍ أو استكمال أو تخلُّصٍ من ذمٍّ أو توصُّل إلى أن يكون على الأحسن أو على ما ينبغي ـ وكذا «الجواد».

ولن يتصوَّر ذلك حقيقةً إلّا من الله ـ سبحانه ـ فإنَّ العبدَ ما لم يكن الفعل أولى به من الترك لم يقدم عليه، فيكون إقدامه لغرض نفسه؛ ولكنَّ الذي يبذل جميعَ ما يملكه ـ حتَّى الروحَ ـ لوجه الله فقط ـ لا للوصول إلى نعيم الجنَّة أو الحذر من عذاب النار، أو لحظٍّ عاجلٍ أو آجلٍ ـ فهو جديرٌ بأن يسمَّى وهَّابا وجوادا؛ ودونه الذي يجود لينالَ نعيمَ الجنَّة، ودونه من يجود لينالَ حسنَ الأُحدوثة.

الرزَّاق

هو الذي خلق الأرزاقَ والمرتزقةَ، وأوصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتُّع بها.

والرزقُ رزقان: ظاهرٌ جسمانيٌّ للأبدان ـ وهي الأطعمةُ ـ وباطنٌ روحانيٌّ للقلوب ـ وهي العلوم والأسرار ـ وهو أشرفها إذ به حياة الأبد، وبالأوّل حياة الجسد إلى مدّة قريبة الأمد؛ ويمنع كلٌّ بموت

أهله، ولهذا وصف الجهّالَ بالأموات في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَ مَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَ لَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [٣٥/٢٢].

والمتولّي للرزقَين، هو الله ـ سبحانه ـ ولكنّه ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَ يَقْدِرُ ﴾ [١٣/٢٦].

وحظُّ العبد منه: أن يكون واسطةً بين الله ـ تعالى ـ وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم من العلوم والطعوم، ففي الحديث: «الخازن الذي يعطي ما أُمر به طيّبةً به نفسُه أحد المتصدِّقين[1]».

وأيدي العباد خزائنُ الله، فمن جعلتْ يدُه خزانة أرزاق الأبدان، ولسانُه خزانة أرزاق القلوب، فقد أُكرم بشوب من هذه الصفة.

وليكُن حظُّه منه أيضاً أن يعرفَ حقيقةَ هذا الوصف، وأنّه لايستحقُّه إلاّ الله، ولاينتظر الرزق إلاّ منه، ولايتوكّل فيه إلاّ عليه.

الفتّاح

هو الذي ينفتح بعنايته كلُّ منغلق، وينكشف بهدايته كلُّ مشكل؛ فتارةً يفتح الممالك لأنبيائه، ويُخرجها من أيدي أعدائه، ويقول: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [٤٨/١]، وتارةً يرفع الحجابَ من قلوبِ أوليائِه، ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائِه و

١ـ في المقصد الأسنى: «الخازن الأمين...». ومثله في البخاري مع فرق يسير: باب في الإجارة، ٣/١١٥.

راجع أيضا ماجاء فيه: كتاب الوكالة: باب وكالة الأمين: ٣/١٣٥.

ومسلم: كتاب الزكاة: باب أجر الخازن الأمين: ٢/٧١٠، ح٧٩.

المسند: ٤/٤٠٥. الجامع الكبير: ٤/٣٢٤، ح١١٩٢١.

يقولُ: ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكْ فَلَامُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ [٣٥/٢].

ومَن بيده مفاتيحُ الغيب ومفاتيحُ الرزق، فبالحريّ أن يكون فتّاحا.

ومن العباد من يكون بحيث ينفتح بلسانه مغاليقُ المشكلات الإلٰهيّة، ويتيسّر بمعونته ما تعسّر على الخَلق من الأُمور الدينيّة والدنيويّة.

العليم

معناه ظاهرٌ، وكمالُه أن يحيط علما بكلِّ شيءٍ ـ ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوّله وآخره، عاقبته وفاتحته ـ ويكون علمُه من حيث الوضوح والكشف على أتمِّ مايمكن، بحيث لايُتصوّر مشاهدةٌ وكشفٌ أظهر منه، و لايكون مستفادا من المعلومات، بل تكون المعلومات مستفادة منه.

وحظُّ العبد منه لايكاد يخفى، ولكن يفارق علمُه علمَ الله ـ تعالى ـ في الأُمور الثلاثة، فإنَّ معلوماته ـ وإن اتّسعت ـ فهي محصورةٌ في قلبه، وهي وإن اتّضحت له، فلا يبلغ الغاية، بل كأنّه يراها من وراء ستر رقيق، وعلمه بها تابعٌ لها، حاصلٌ بها.

القابض الباسط

هو الذي يقبض الأرواحَ عن الأشباح عند المات، و يبسط

الأرواحَ في الأجساد عند الحياة؛ ويقبض الصدقاتِ عن الأغنياء، ويبسط الأرزاقَ للضعفاء؛ يبسط الرزقَ على الأغنياء حتّى لاتبق فاقةٌ، ويقبضه عن الفقراء حتّى لاتبق طاقةٌ، ويقبض القلوب فيضيّقها بما يكشف لها من تعاليه وجلاله، ويبسطها بما يتعرّف إليها من لطفه وجماله.

ومن العباد مَن أُلهم به بدايع الحكم، وأُوتيَ جوامعَ الكلم، فتارةً يبسط قلوب العباد بما يذكّرهم من آلاء الله ونعمائه، وتارةً يقبضها بما يحذِّرهم من فنون عذابه وبلائه.

الخافض الرافع

هو الذي يخفض الكفّارَ إلى دركات، ويرفع الّذين آمنوا ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [١١/٥٨]؛ يخفض أعدائه بالإبعاد، ويرفع أوليائه بالتقريب والإسعاد؛ يخفض من قصُر مشاهدتُه على المحسوسات وهمّتُه على الشهوات إلى أسفل سافلين، ويرفع من نزّه فكرَه عن المحسوسات والمتخيّلات وإرادتَه عن رسم الشهوات إلى أُفق الملائكة المقرّبين.

ومن العباد مَن يخفض الباطلَ ويرفع الحقّ، بزَجر المُبطل ونصر المُحقِ فيعادي أعداءَ الله ليخفضهم، ويوالي أولياءَ الله ليرفعهم.

المعزُّ المذلُّ

هو الذي يؤتي المُلكَ مَن يّشاء، وينزعه مِمّن يشاء.

والملك الحقيقي في الخلاص من ذلِّ الحاجة وقهر الشهوة و وَصمة الجهل، فمَن رفع الحجابَ عن قلبه حتّى شاهَد جمالَ حضرته، ورزقه القناعةَ حتّى استغنى بها عن خلقه، وأمدّه بالقوّة والتأييد حتّى استولى بها على صفات نفسه: فقد أعزّه و آتاه الملكَ عاجلا ، و سيعزُّه في الآخرة بالتقريب ويناديه: ﴿يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [٨٩/٢٧-٣٠].

ومَن مدَّ عينَه إلى الخَلق حتّى احتاج إليهم، وسلّط عليه الحِرص حتّى لم يقنع بالكفاية، ـ واستدرجه بمكره حتّى اغترّ بنفسه، وبقي في ظلمة الجهل: فقد أذلّه وسلبه الملكَ، وسيخاطب ويقال له: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [٥٧/١٤-١٥].

وهذا غايةُ الذلِّ، فهو المعِزُّ المذِلُّ، يعِزُّ من يشاءُ ويُذِلُّ من يشاء.

وكلّ عبدٍ استُعمل في تيسّر أسباب العِزِّ على يده فهو ذو حظٍّ من هذا الوصف.

السميع

هو الذي لايعزب عن إدراكه مسموعٌ ـ وإن خفي ـ فيسمع السرَّ والنجوى، بل ماهو أدقُّ من ذلك وأخفى، ويدرك دبيبَ النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء، ويسمع حمدَ الحامدين فيجازيهم، ودعاءَ الداعين فيستجيب لهم، ويسمع بغير أصمخةٍ وآذانٍ، كما يفعل بغير جارحةٍ ويتكلّم بغير لسان؛ وسمعه منزّه عن أن يطرق إليه الحدثان.

البصير

هو الذي يشاهد و يرى حتّىٰ لا يعزب عنه ما تحت الثَرى ، و إبصاره أيضا منزّه عن أن يكون بحدقَة وأجفانٍ ، ومقدّس عن التغيُّر والحدثان .

و حظُّ العبد من الاسمَين من حيث الحسّ الظاهر ، و لكنّه ضعيفٌ قاصرٌ ، إذ لايدرِك جميعَ المسموعات والمبصَرات ، بل ما قرب منها وظهر ، فليكن حظّه منها أن يعلم أنّ الله سميعٌ ، فيحفظ لسانه ؛ ويعلم أنّه بصيرٌ فلا يستهين بنظره إليه واطّلاعه عليه ؛ ويعلم أنّه لم يُخلق له السمع إلاّ ليسمعَ كلامَ الله ـ تعالىٰ ـ وكتابَه الذي أنزله ، فيستفيد به الهداية ؛ وأنّه لم يُخلق له البصر إلاّ لينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسماوات فلا يكون نظرُه إلاّ عبرة .

الحَكَم

هو الحاكم المحكّم والقاضي المسلَّم ، الذي لارادَّ لحُكمه ولامعقِّبَ لقضائه ، ومِن حُكمه في حقِ العباد ﴿أَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوفَ يُرَىٰ﴾ ، [٥٣/٣٩-٤٠] فإنَّ ﴿الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [٨٢/١٤-١٥] . ومعنى حكمه للبرِ والفاجر بالسعادة والشقاوة أنّه جعل البرّ والفجور سببا يسوق صاحبَها إلى السعادة و الشقاوة ، كما جعل الأَدوية والسموم أسبابا تسوق متناولَها إلى الشفاء و الهلاك ، وإذ كان معنىٰ حكمه ترتيب الأسباب وتوجيهها إلى المسبَّبات ، كان حَكَما مطلقا ، لأنّه مسبِّبُ كلِّ الأسباب ـ جُملتها وتفصيلها .

وحظُّ العبد من الحَكَم ما إليه في تدبير الرياضات والمجاهدات، وتقدير السياسات التي تفضي إلىٰ مصالح الدين والدنيا، ولذلك استخلف اللهُ عبادَه في الأرض، واستعمرهم فيها، لينظر كيف يعملون.

وليكن حظّه منه ـ أيضا ـ أن يعلم أنّ الأمر مفروغٌ منه، وأنّ المقدور[1] كائنٌ، وأنّ الهمّ فضلٌ؛ فيكون في رِزقه مجمِلا في الطلب مطمئنّ النفس، غير مضطرب القلب، وهذا حظّه الدينيُّ منه.

العدْل

معناه العادل، وهو الذي يصدر منه فعلُ العدل المضادّ للجور والظلم؛ أعني: وضع كلِّ شيءٍ في موضعه كما ينبغي وعلى ما ينبغي.

ولن يعرف عدالة الله ـ سبحانه ـ من لم يحط علما بأفعاله جلّ وعزّ ـ من أعلى ملكوت السماوات إلى منتهىٰ الثرىٰ ـ حتّىٰ إذا لم يرَ في خَلق الرحمان من تفاوت، ثمّ يرجع البصر فما رأى من فطور، ثمّ يرجع مرّة أُخرىٰ فانقلب إليه البصرُ خاسئا وهو حسير[2]، قد بهَره جمالُ الحضرة الربوبيّة، وحيّره اعتدالُها وانتظامُها، فعند ذلك يعبق بفهمه شيءٌ من معاني عدل الله تعالى.

وشرح ذلك يفتقر إلى مجلّداتٍ، وكذا شرحُ معنىٰ كلّ اسم، فإنّ

١ـ كذا. والأظهر أن الصحيح: المقدّر.

٢ـ مقتبس من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [٦٧/٣-٤]

الأسامي المشتقّة من الأفعال لايفهم إلاّ بعد فهم الأفعال، وكلُّ ما في الوجود من أفعال الله ـ تعالىٰ ـ ومَن لم يحط علما بتفصيلها ولا بجملتها فلايكون معه إلاّ محض التفسير واللغة.

ولا مطمَع في العلم بتفصيلها، فإنّه لانهاية له؛ وأمّا الجملة فللعبد طريقٌ إلى معرفته، وبقدر اتّساع معرفته فيها يكون حظُّه من معرفة الأسماء، وذلك يستغرق العلومَ كلّها.

أقول: وسنذكر نبذا من آثار رحمة الله وآيات عظمته وحكمته ولطفه وعدالته في أواخر هذا المقصد ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وحظّ العبد من العدل لايخفىٰ؛ فأوّل ما عليه من العدل في صفات نفسه، وهو أن يجعلَ الشهوةَ والغضبَ أسيرا تحت إشارة العقل والدين، ومهما جعل العقلَ خادما للشهوة والغضب فقد ظلمَ.

وهذا جملة، وتفصيُله مراعاة حدود الشرع كلُّه.

وعدلُه في كلِّ عضوٍ أن يستعمله على الوجه الذي أذن الشرع فيه.

وأمّا عدلُه في أهله وذُرّيّته ثمّ في رعيّته ـ إن كان من أهل الولاية ـ فلا يخفىٰ.

وليكُن حظّه من الإيمان بعدالة الله ـ سبحانه ـ أن لايعترض عليه في تدبيره وحُكمه وسائر أفعاله ـ وافَق مرادَه أو لم يوافق ـ وأن لايسبَّ الدهرَ ولا ينسب الأشياءَ إلى الفَلَك، ولا يعترض عليه ـ كما جرتْ به العادة ـ بل يعلم أنّ كلّ ذلك أسبابٌ مسخّرةٌ، وأنّها رتّبت و وجِّهت إلى المسبّبات ـ أحسن ترتيبٍ وتوجيهٍ، بأقصىٰ وجوه العدل واللطف.

اللطيف

هو العالِمُ بدقائق المصالح وغوامضها، السالكُ في إيصالها إلى المستصلح سبيلَ الرفق ـ دونَ العنف ـ ولايتصوّر كمال ذلك في العلم والفعل إلاّ لله ـ تعالى ـ ولن يعرف اللطف في فعله سبحانه إلاّ من عرف تفاصيلَ أفعاله، وعرف دقائقَ الرفق فيها، وبقدر اتِّساع المعرفة فيها يتّسع المعرفةُ بمعنى اسم اللطيف. و شرحُ ذلك أيضا يستدعى تطويلا، ثمّ لايتصوّر أن يفي مجلّداتٌ بعُشر عشيره.

أقول: وسنُشير إلى جُمل من ذلك فيمابعد ـ إن شاء الله ـ.

وحظُّ العبد من هذا الوصف، الرفقُ بعباد الله واللطف بهم في الدعوة إلى الله والهداية إلى سعادة الأبد، من غير أذى وعُنف، ومن غير تعصّبٍ وخصام؛ وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحقِّ بالشمائل والسيرة المرضيّة، والأعمال الصالحة، فإنّها أوقع وألطف من الألفاظ المرتّبة.

أقول: وإنّما سمّي فعل ما يقرّبُ العباد إلى الله ـ تعالى ـ ويبعّدهم عن المعاصي لطفا بهم لأنّ ذلك تلطيفٌ لهم عن كثافة التجسّم، وتجريد إيّاهم عن المواد الجسمانيّة؛ وعلى هذا فإطلاق «اللطيف» على الله تعالى بمعنى فاعل اللطف.

وحظُّ العبد منه إرشاد العباد إلى مايقرّبهم إلى الله ـ تعالى ـ ويبعّدهم عن النشأة الفانية.

الخَبير

هو الذي لا يعزب عنه الأخبار الباطنة ، فلايجري في الملكِ والملكوت شيءٌ ولاتتحرّكُ ذرّة ولاتسكن ولاتضطرب نفسٌ ولاتطمئنُّ إلاّ ويكون عنده خبرُه .

وهو بمعنىٰ العليم ، ولكن العِلم إذا أُضيف إلىٰ الخفايا الباطنة سمِّي «خِبرة» ، وسمِّي صاحبُها «خبيرا» .

وحظُّ العبد منه أن يكون خبيرا بما يجري في عالَمه ، وعالَمُه قلبُه وبدنُه ، والخفايا التي يتّصف القلبُ بها من الغِشّ والخيانة ، والتطوافِ حول العاجلة ، واضمارِ الشرّ وإظهارِ الخير .

والتجمُّل بإظهار الإخلاص والإفلاس عنه لايعرفها إلاّ ذو خِبرةٍ بالغة ، قد خبَّر نفسَه ومارَسها ، وعرف مكرَها وتلبيسَها ، فحاذرها وتشمَّر لمعاداتها .

الحليم

هوالذي يشاهد معصيةَ العباد ويرى مخالفةَ الأمر ، ثمّ لايستفزُّه غضبٌ ولا يعتريه غيظٌ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام ـ مع غاية الاقتدار ـ عجلةٌ وطيشٌ . كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [١٦/٦١] .

وحظُّ العبد منه ظاهرٌ .

العظيم

في أوّل الوضع إنّما أُطلق على الأجسام، ثمّ استعمل في مدرَكات البصائر؛ وكما أنّ ما يحيط البصر بأطرافه من الأجسام ـ كالجبل ـ إنّما هو عظيمٌ بالإضافة إلى ما دونه ـ وإنّما العظيم المطلق ما لا يحيط البصرُ بأطرافه كالسماء ـ فكذلك العظيمُ المطلقُ في مدرَكات العقول ما جاوَز جميعَ حدود العقول حتّى لم يتصوَّر الإحاطةُ بكنهه لعقلٍ ما؛ وذلك هو الله ـ سبحانه ـ.

ومن العباد: الأنبياءُ والعلماءُ، والذين إذا عرف العقلاء شيئا من صفاتهم إمتلأ بالهيبة صدورُهم، حتّى لا يبقى فيهم متّسَعٌ.

وعِظَم كلّ منهم إنّما يظهر بالإضافة ـ لا مطلقا ـ فعظمتُهم ناقصةٌ، بخلاف عظمة الله ـ جلّ جلالُه ـ.

الغفورُ

هو بمعنى الغفّار، ولكنّه ينبئُ عن نوع مبالغة لا ينبئُ عنه «الغفّار» فإنّ الغفّار مبالغةٌ في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكرّرة، مرّةً بعد أُخرى، و «الغفور» مبالغة فيها بالنسبة إلى تمامها وشمولها وكمالها، حتّى يبلغ أقصى درجاتها، وقد مضى الكلام فيه.

الشَّكور

هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثيرَ الدرجات، ويعطي بالعمل

في أيّام معدودة نعمًا في الآخرة غير محدودة ؛ ومن جازى الحسنةَ بأضعافها يقال : إنّه شكَر تلك الحسنة ؛ ومن أثنى على المُحسن ـ أيضا ـ فيقال ـ أيضا ـ : إنّه شكَر ، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة ، لم يكن الشكورُ المطلق إلاّ الله تعالى ، لأنَّ زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة ، فإنَّ نعيم الجنّة لا آخرَ لها ، والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [٦٩/٢٤] .

وإن نظرتَ إلى معنى «الثناء» فثناءُ كل مثنٍ على غيره ؛ والربُّ ـ تعالى ـ إذا أثنى على أعمال عبده ، فقد أثنى على فعل نفسِه ، لأنَّ أعماله إنّما تتمّ بتوفيقه[1] .

والعبد يتصوّرأن يكون شاكرا في حقّ عبدٍ آخر مرّةً بالثناء عليه بإحسانه إليه ، وأُخرى بمجازاته بأكثر ممّا صنعه إليه ، وذلك من الخصال الحميدة .

في الحديث[2] : «مَن لَم يَشكُر الناسَ لَم يَشكُر الله» .

وأمّا شكرُه لله فلايكون إلاّ بنوع من المجازوالتوسُّع ، فإنّه إن أثنى

١ـ في هامش النسخة :

خود شكر چون كنم كه همه نعمت توام   نعمت چگونه شكر كند بر زبان خويش

٢ـ الترمذي : كتاب البرّ و الصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك : ٣٣٩/٤ ، ح١٩٥٥ . المسند :٢٥٨/٢ . ٣٢/٣ . المعجم الكبير : ٣٥٦/٢ ، ح٢٥٠١ . الجامع الكبير : ١٠٤/٧ ، ح٢١١٨٣ . كنزالعمال : ٢٥٩/٣ ، ح٦٤٤٣ .

وجاء في أبي داود(كتاب الأدب ، باب في شكرالمعروف : ٢٥٥/٤ ، ح٤٨١١) : «لايشكر الله من لايشكر الناس» . وجاء مايقرب منه عن السجاد عليه السلام في الكافي (كتاب الإيمان والكفر ، باب الشكر ، ح٣٠ ، ٩٩/٢) وعن الرضا عليه السلام (العيون : باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة : ٢٤/٢ ، ح٢) .

فثناؤه قاصرٌ، لأنّه لايُحصىٰ ثناء عليه، وإن أطاع فطاعتُه نعمةٌ أُخرىٰ من الله سبحانه، بل عينُ شكره نعمةٌ أُخرىٰ وراء النعمة المشكورة. وإنّما أحسن وجوه الشكر لنعم الله ـ تعالىٰ ـ أن لايستعملها في معاصيه، بل في طاعته، وذلك أيضا بتوفيق الله وتيسيره في كون العبد شاكرا لربّه.

العليُّ

هو الذي لا رتبة فوق رتبته، و جميع المراتب منحطّةٌ عنه، لاشتقاقه من العُلُوِّ المأخوذ من العِلو، المقابل للسُفل، والتدريجات العقليّة مفهومُه كالتدريجات الحسيّة، ولايمكن قسمةُ الموجودات إلى درجاتٍ متفاوتة في العقل إلاّ ويكون الحقُّ تعالى في الدرجة العَليّة من درجات أقسامها، حتّى لايتصوّر أن يكون فوقُه درجة، إذ هو مسبّب الأسباب، ومعلِّلُ العلل، وجاعلُ الثواني والأُوَل، ومكمّل الكاملين والفاعل في القابلين؛ فهو العليُّ المطلق، وكلُّ ماسواه فإنّما هو عَليٌّ بالإضافة إلى ما دونه، ويكون دَنيّا أو سافلا بالإضافة إلىٰ ما فوقه.

و حظُّ العبد منه أن ينال درجةً لا يكون في جنس الإنس مَن يفوقُه، وهي درجة نبيّنا ﷺ.

أقول: وبَعده درجةُ وصيّه ـ صلوات الله عليه ـ ﴿وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٤٣/٤].

الكبير

هو الذي له الكبرياءُ، والكبرياءُ عبارةٌ عن كمال الذات، الذي

يرجع إلى دوامها أزلا و أبدا ، وكونها بحيث يصدر عنها وجودُ كلِّ موجودٍ ، فكلُّ وجود مقطوعٌ بعدمٍ سابقٍ أو لاحقٍ فهو ناقصٌ ، و لذلك يقال للإنسان إذا طالت مدّة وجوده : « إنّه كبيرٌ » ـ أي كبيرُ السنِّ، طويلُ مدّةِ البقاء ـ ولايقال : «عظيمُ السنِّ» ـ

فالكِبَرُ يستعمل فيما لايستعمل فيها العِظَم ـ وكذلك مَن لايسري كماله إلى غيره فليس بكبير .

وحظُّ العبد : أن لايجالسه أحدٌ إلاّ ويفيض عليه شيءٌ من كماله ؛ وكمالُ العبد في عقله و ورعه وعلمه .

فالكبيرُ هو العالِمُ التقيُّ المرشِد للخَلق، الصالحُ لأن يكون قدوةً يُقتبس من أنواره وعلومه، ولذلك قال عيسىٰ ـ على نبيِّنا و ﷺ ـ[1] : «مَن عَلِمَ وَعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يُدعىٰ عَظيما في مَلكوتِ السماء» .

الحفيظ

هو الحافظ جدّا بإدامة وجود الموجودات وإبقائها ، وصيانة المتعاديات والمتضادّات بعض عن بعض ؛ كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، التي جمع الله بينها في إهاب الإنسان و ساير الحيوانات والنباتات .

ولولا حفظه إيّاها بتعديل قواها ـ مرّة ـ وبإمداد المغلوب منها

---

١ ـ لم يرد في المصدر ، وأورده الغزالي في الإحياء (كتاب العلم ، الباب الأول ، فضيلة التعليم : ١٩/١) وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٠ و٢/ ٤٦) .
وفيها «السماوات» بدل «السماء» .

ثانيا : لتنافرت وتباعدت ، وبطل امتزاجُها ، واضمحلّ تركيبُها ، وبطل المعنى الذي صار مستعدًا لقبوله التركيب و المزاج . و كحفظه الحيوانات[١] من أسباب خارجة لهلاكها ـ كسباع ضارية ، وأعداء منازعة ـ بآلات وأدوات هيّأها لها ، من الجواسيس المنذِرة بقرب العدوِّ كالعين والأُذُن ، ومن اليد الباطشة والأسلحة الدافعة كالدرع والتُرس ، والقاصدةِ كالسيف والسكّين ـ إلى غير ذلك ـ ؛ وحفظه لُباب النباتات بقشره الصلب ، وطراوته بالرطوبة ، وما لاينحفظ بمجرّد القشر حَفظَه بالشوك النابت منه ليدفع به بعض الحيوانات المتلِفة . بل كلُّ قطرة من ماءٍ ، فلها حافظٌ يحفظها عن الهواء المضادِّ لها ، وقد ورد في الخبر[٢] : «إنّه لاتنزل قطرة من المطر إلاّ ومعها ملكٌ يحفظها إلى أن تصل إلىٰمستقرّها من الأرض» . والكلام في شرح حفظ الله السماوات والأرض ومابينهما طويلٌ ـ كما في سائر الأفعال .

وحظُّ العبد منه : أن يحفظ جوارحه وقلبَه ، ويحفظ دينَه عن سوطة الغضب[٣] وخِلابة الشهوة[٤] وخِداع النفس وغرور الشيطان ؛ فإنّه على شفاجُرف هار ، وقد اكتنفه هذه المهلكات المفضية إلى البوار .

١ـ المصدر : الإنسان .

٢ـ المصدر : ١٢٢ . وفي علل الشرايع (الباب ٢٢٢ النوادر ، ح٨ ، ٢/٤٦٣) عن علي عليه السلام : «. . . فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملكٌ يضعها موضعها . . .» .

٣ـ المصدر : سطوة . وفي المصباح : «السوط ـ معروف ـ والجمع : أسواط وسياط ـ مثل : ثوب وأثواب وثياب ـ وضرّبه سوطا : أي ضربه بسوط . وقوله تعالى : ﴿ سوط عذاب ﴾ : أي ألم سوط عذاب . والمراد الشدّة ، لما علم أن الضرب بالسوط أعظم ألما من غيره» .

٤ـ خلبه يخلبه ـ من بابي قتل و ضرب ـ : إذا خدعه . والاسم : الخِلابة ـ بالكسر ـ والفاعل : الخَلوب ـ مثل رسول ـ أي كثير الخداع . (مصباح)

المُقيت

معناه: خالقُ الأقوات وموصِلُه[1] إلى الأبدان ـ وهي الأطعمة ـ وإلى القلوب ـ وهي المعرفة ـ فيكون بمعنى الرازق[2]، إلاّ أنّه أخصّ منه إذ الرزق يتناول القوتَ وغيرالقوت، والقوتُ ما يُكتفى به في قوام البدن. وإمّا أن يكون معناه المستولي على الشيء، القادر عليه، ويرجع إلى العلم والقدرة معا، وعليه يدلُّ قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [٨٥/٤] أي: مطّلعا قادرا.

الحسيب

هو الكافي، وهو الذي من كان له [كان][3] حسْبه، والله ـ تعالى ـ حسْب كلّ أحد وكافيه وحده، ولايتصوّر حقيقةُ هذا الوصف لغيره، فإنّ الكفاية إنّما يحتاج إليه المكفي لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده، وليس في الوجود شيءٌ هو وحده كافٍ لشيءٍ إلاّ الله ـ تعالى ـ بل الأشياءُ يتعلّق بعضُها بالبعض، وكلُّها يتعلّق بقدرة الله ـ تعالى ـ . فليكُن حظُّ العبد منه أن يكون الله وحده حَسْبه بالإضافة إلى همّته وإرادته أي لايريد إلاّ الله، فلا يريد الجنّة، ولايشغل قلبُه بالنار ليحذر منها، بل يكون مستغرق الهمّ بالله وحده.

١ـ المصدر: موصلها.

٢ـ المصدر: الرزاق.

٣ـ إضافة من المصدر.

الجليل

هو الموصوف بنعوت الجلال من الغِناء والمُلك والتقدُّس والعلم والقدرة وغيرها .

وكأنّ «الكبير» يرجع إلى كمال الذات ، و «الجليل» إلى كمال الصفات ، و العِظم إلى كمال الذات والصفات جميعا منسوبا إلى إدراك البصيرة إذا كان بحيث يستغرق البصيرة ولا تستغرقه البصيرة ؛ وصفات الجلال إذا نسبت إلى البصيرة المدرِكة لها سُمِّي «جمالا» ، وسمِّي المتَّصف به «جميلا»[1] .

والجميل الحقُّ المطلق هو الله سبحانه ، لأنَّ كلّ ما في العالم من جمال وكمال وبهاء وحُسن ، فهو من أنوار ذاته و آثار صفاته ، وكلّ جميل فهو محبوب عند مدرِك جماله ، فلذلك كان الله محبوبا عند العارفين ؛ ﴿يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ﴾ [٥/٥٤] .

والجليل الجميل من العباد : من حسُنت صفاتُه الباطنة التي تستلذّها القلوب البصيرة ، فأمّا جمال الظاهر فنازل القدْر .

الكريم

هو الذي إذا قَدر عفا ، وإذا وعَد وفىٰ وإذا أعطىٰ زاد على منتهى الرجا ، ولايبالي كم أعطىٰ ولمن أعطىٰ ، وإن وقعت حاجةٌ إلىٰ

---

١ ـ كذا . المصدر ـ نسخة ـ : سميت جمالا وسميت المتصف بها جميلا .

غيره لا يرضى، وإذا جُفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء.

فمن اجتمع له جميعُ ذلك ـ لا بالتكلُّف ـ فهو الكريم المطلق، وهو الله تعالى فقط.

وقد يتمحَّل العبدُ اكتسابها ـ ولكن في بعض الأُمور ومع نوعٍ من التكلُّف ـ فلذلك قد يوصف بالكرَم؛ وفي الحديث[1] : «لا تقولوا لِشَجَرَة العِنَبِ الكَرْم، وإنّما الكَرْمُ الرجل المُسلم».

الرقيب

هو الحفيظ العليم، فمن راعى الشيء حتّى لم يغفل عنه، ولاحَظه ملاحظة دائمة لازمة ـ لزوما لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه ـ سمّي

١ ـ المصدر : «لا تقولوا للعنب الكرم ...». مسلم : (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كرما، ١٧٦٣/٤، ح٦ و١٠) : «لا يقولنَّ أحدكم للعنب الكرْم، إنما الكرْم الرجل المسلم»؛ و في حديث آخر (نفس المصدر) : «... فإن الكرْم قلب المؤمن». الجامع الكبير (١٧٩/٨، ح٢٥٢٧٠) : «لا تقولوا : الكَرْم؛ ولكن قولوا : العِنب والحبلة». ومثله في كنزالعمال : ٤٢٧/١٦، ح٤٥٢٥٨.
قال ابن الأثير (النهاية : ١٦٧/٤) : «قيل : سمّي الكَرم كرْما لأنّ الخمر المتّخذة منه تحثُّ على السخاء والكرَم، فاشتقّوا له منه اسما، فكره أن يسمّى باسم مأخوذ من الكرَم، وجعل المؤمن أولى به». وقال الزمخشري (الفائق : ٢٥٧/٣) : «أراد أن يقرّر ويشدّد ما في قوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [١٣/٤٩] بطريقة أنيقة ومسلك لطيف ... وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العِنب كرما، ولكن الرمز إلى هذا المعنى؛ كأنه قال : إن تأتّى لكم أن لا تسمُّوه مثلا باسم الكرْم ـ ولكن بالجفنة والحبلة ـ فافعلوا ... فإنما المستحقُّ للاسم المشتقّ من الكرَم المسلم ...».

رقيبا . وكأنّه يرجع إلى العلم والحفظ ، لكن باعتبار كونه لازما دائما ، وبالإضافة إلى ممنوع عنه محروس عن التناول .

وحظُّ العبد منه : أن يعلم أنّ الله ـ تعالى ـ رقيبُه وشاهدُه في كلّ حال ، ويعلم أنّ نفسه عدوٌّ له ، والشيطان عدوٌّ له ، وإنّما ينتهزان منه الفرصَ حتّى يحملانه على الغفلة والمخالفة ؛ فيأخذ منهما حذرَه ، بأن يلاحظ مكامنَهما وتلبيسَهما ومواضع انبعاثهما ، حتّى يسدّ عليهما المنافذَ والمجاري ؛ فهذه مراقبته .

المُجيب

هو الذي يقابل مسئلةَ السائل بالإسعاف ، ودعاءَ الداعين بالإجابة وضرورةَ المضطرّين بالكفاية ؛ بل ينعم قبل النداء ، ويتفضّل قبل الدعاء .

وليس ذلك إلاّ الله ـ تعالى ـ فإنّه يعلم حاجةَ المحتاجين قبل سؤالهم ، وقد علمها في الأزل ودبّر كفايةَ الحاجات[1] بخلْق الأطعمة والأقوات وتيسير الأسباب والآلات الموصولة إلى جميع المهمّات .

والعبد ينبغي أن يكون مجيبا أوّلا لربّه فيما أمره به ونهاه ، وفيما ندبه إليه ودعاه ؛ ثمّ لعباده فيما أنعمَ الله عليه بالاقتدار عليه ، وفي إسعاف كلّ سائل بما يسأله ـ إن قدر عليه ـ وفي لطف الجواب إن عجزَ عنه ؛ قال الله تعالى : ﴿وَ أَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [٩٣/١٠] .

---

١ ـ المصدر : فدبّر أسباب كفاية الحاجات .

وفي الحديث النبوي[١] : «لو دُعيتُ إلى كُراع[٢] لأجبتُ ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ لَقَبلتُ».

الواسع

مشتقٌ من السِعَة ؛ والسِعةُ تضاف مرّةً إلى العلم ، إذا اتّسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة ، وأُخرى إلى الإحسان وبسط النِعم ، وكيف ماقُدّر وعلى أيِّ شيءٍ نزل . فالواسع المطلق هو الله ، إذ لا ساحل لبحر معلوماته ، ولا نهاية لسعة مقدوراته ، بل تنفد البحار لوكانت مدادا لكلماته ؛ وكلُّ سعة ـ وإن عظمت ـ فتنتهي إلى طرفٍ ، وتتصوّر الزيادةَ عليها ، وهي ضَيّقٌ بالإضافة إلى ما هو أوسع منها ؛ غير سعته تعالى .

---

١ ـ المسند : ٤٧٩/٢ و٤٨١ . في الكافي (كتاب المعيشة ، باب الهدية : ١٤١/٥و١٤٣ ، ح٢و٩) : «لوأُهدي إليَّ كراع لقبلته» . وفي الاختصاص (حديث أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : ٥٥) : «لو أُهدي إليَّ كراع لقبلته ، ولو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ» . وفي الفقيه (كتاب المعيشة ، باب الهدية ، ٢٩٩/٣ ، ح٤٠٧٠ . وباب النوادر ـ وهو آخر أبواب الكتاب ـ ، ٣٦٤/٤ ، ح٥٧٦٢) : «لو اهدي إليَّ كراع لقبلتُه ، ولو دعيتُ إلى كراع لأجبتُ» . وفي البخاري (كتاب الهبة ، باب القليل من الهبة ، ٢٠١/٣) : «لو دُعيتُ إلى ذراع أو كُراع لأجبتُ ، ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ أو كُراعٌ لقبلت» . الترمذي (كتاب الأحكام ، باب ما جاء في قبول الهدية ، ٦٢٣/٣ ، ح ١٣٣٨) : «لو أُهدي إلي كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت» .

راجع أيضا : المسند : ٤٧٩/٢ و٥١٢ . كنزالعمال : ١١٦/٦ ، ح١٥٠٩٥ .

٢ ـ قال في الوافي (أبواب وجوه المكاسب ، باب الهدية : ٣٦٦/١٧) : «الكراع ـ كغراب ـ : مستدقّ الساق من الغنم والبقر» . وقال أيضا(٣٧١/١٧) : «قيل : كراع الشاة . وقيل : كراع الغميم ـ وهو اسم موضع بين مكة والمدينة ، على ثلاثة أميال من عسفان . والأول مبالغة في القلة ، والثاني في البُعد» .

و سعة العبد في معارفه وأخلاقه، فإن كثرت علومُه فهو واسعٌ بقدر سعة علمه، وإن اتَّسعت أخلاقُه ـ حتّى لا يُضيِّقه خوفُ الفقر وغيظ الحسود و غلبة الحرص ، و سائرالصفات ـ فهو واسعٌ بقدر اتِّساعه.

الحكيم

ذوالحكمة ؛ و الحكمة عبارةٌ عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وأجلُّ الأشياء هو الله ـ تعالى ـ وقد ثبت أنّه لايَعرفه كنهَ معرفته غيرُه بالعلم الأزليِّ الدائم ، الذي لايتصوَّر زوالُه ، المطابق للمعلوم مطابقةً لايتطرّق إليه خفاء وشبهة ؛ فهو الحكيم الحقّ .

وقد يقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويُحكمها ويُتقن صُنعها «حكيما» وكمال ذلك ـ أيضا ـ ليس إلاّ لله جلّ جلالُه .

و من عرف جميعَ الأشياء ولم يعرف اللهَ ، لم يستحقّ أن يسمّى حكيما، لأنّه لم يعرف أجلَّ الأشياء وأفضلها ؛ ومن عرف اللهَ فهوحكيمٌ وإن كان ضعيف المُنّة في سائر العلوم الرسميّة، كليلَ اللسان، قاصرَ البيان فيها ؛ ومن عرف اللهَ كان كلامُه مخالفا لكلام غيره، فإنّه قلّما يتعرّض للجزئيّات، بل يكون كلماتُه كلُّها كلِّية، ولايتعرّض لمصالح العاجلة، بل يتعرّض لما ينفع في العاقبة .

ولمّا كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم ـ من معرفته بالله ـ ربما أطلق الناسُ اسمَ الحكمة على مثل تلك الكلمات الكليّة، ويقال للناطق بها «حكيمٌ» .

وذلك مثل قول سيّد الأنبياء ـ صلوات الله عليه وآله ـ : «رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله»[1] .

«الكَيِّسُ مَن دانَ نَفسهُ وعَمِلَ لما بعد الموتِ ، والعاجِزُ مَن اتّبعَ نَفْسَه هَواها وتَمنّى على الله ـ تعالى ـ»[2] .

«ما قَلَّ وكفىٰ ، خيرٌ مِمّا كَثُرَ وَ ألهىٰ»[3] .

« كُن وَرِعا تَكن أعبدَ الناس ، وَكُن قَنِعا تَكن أشكرَ الناس»[4] .

١ـ عن رسول الله ﷺ : الاختصاص : ٣٤٣ . تفسير القمي : في تفسير الآية : ﴿ولكن بعدت عليهم الشقّة﴾ [٩/٤٢]: ١/٣١٨ . البحار : ٧٧/١٣٥ . ٢١/١٢١ . كنزالعمال : ٣/١٤١ ، ح٥٨٧٣ . الجامع الكبير : ٤/٣٨٦ ، ح١٢٣٢٧ . وروى الصدوق في الأمالي (المجلس الرابع والسبعون ، ٥٧٦ ، ح١) : «. . . إنّ أشرف الحديث ذكرالله ورأس الحكمة طاعته . . .» . عنه البحار : ٧٧/١١٤ ، ح٨ . وأورد المجلسي في البحار (كتاب الروضة ، باب نوادر المواعظ والحكم : ٧٨/٤٥٣ ، ح٢٣) عن كتاب الغايات : «عن علي بن الحسين عليه السلام قال : كان أحد ما أوصى به الخضرُ موسى بن عمران : . . . رأس الحكمة مخافة الله» .

٢ـ المسند : شداد بن أوس ، عن رسول الله ﷺ : ٤/١٢٤ . المستدرك للحاكم : كتاب الإيمان ، ١/٥٧ . وكتاب التوبة ، ٤/٢٥١ . المعجم الكبير : ٧/٢٨١ و٢٨٤ ، ح ٧١٤١ و٧١٤٣ . حلية الأولياء : ١/٢٦٧ .وفيه (٨/١٧٤) : «. . . والفاجر من اتبع نفسه . . .» .

٣ـ الكافي : باب الكفاف ، ٢/١٤١ ، ح٤ . الاختصاص : ٣٤٢ . راجع أيضا ماجاء في كتاب الزهد للأهوازي : باب برالوالدين ، ٤٠ ، ح١٠٩ . تفسير القمي : ١/٣١٨ . راجع البحار : ٢٢/٤١٠ ، ح٢٧ . و٧٤/١٠٢ ، ح٥٧ .
مستدرك الحاكم : كتاب التفسير ، ٢/٤٤٥ . الكامل لابن عدي : ١/٢٧٨ ، ترجمة اسماعيل بن سليمان الأزرق . كنزالعمال : ٦/٣٧٥ ، ح١٦١٢٤ .

٤ـ ابن ماجة : كتاب الزهد ، باب ٢٤ ، ٢/١٤١٠ ، ح٤٢١٧ . شعب الإيمان : باب (٣٩) المطاعم ، فصل في طيب المطعم والملبس ، ٥/٥٣ ، ح ٥٧٥٠ . وباب (٧٧) أن يحبّ المسلم لأخيه مايحبّ لنفسه ، ٧/٥٠٠ ، ح١١١٢٧ . كنزالعمال : ١٥/٨٨٢ ، ح٤٣٤٩٨ . أخبار إصبهان : ٢/٣٠٢ . الجامع الصغير : ٢/٩٧ .

«القَناعةُ كَنزٌ لا يَنفد»[1] .

«الصبرُ نصفُ الإيمان، اليقينُ الإيمانُ كلُّه»[2] .

فهذه الكلمات وأمثالُها تسمّى «حكمة»، وصاحبُهايسمّى «حكيما».

الودود

هو الذي يحبُّ الخيرَ لجميع الخلق، فيحسن إليهم ويثني عليهم، وهو قريب من معنى «الرحيم»، لكن أفعالُ الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا، وأفعالُ المودّة لاتستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الوُدّ.

وكما أنّ معنى رحمته تعالى إرادته الخيرَ للمرحوم وكفايته له من غير رقّة، فكذلك وُدُّه إرادته الكرامةَ والنعمةَ من غير ميل، فإنّهما لايرادان إلاّ لثمرتها وفائدتها، دون الرقّة والميل.

والودود من عباد الله: مَن يريد لخَلق الله كلّ ما يريد[ه] لنفسه، وأعلى من ذلك مَن يؤثرهم على نفسه، كمن قال منهم «أُريد أن أكون جسرا على جهنّم يعبر عليّ الخلق ولا يتأذُّون».

وكمال ذلك أن لايمنعه من الإيثارِ والإحسانِ الغضبُ والحقدُ وما

١ـ الجامع الصغير: باب القاف، ٨٩/٢، عن القضاعي عن أنس، عن رسول الله ﷺ: «القناعةُ مالٌ لاينفد». ومثله في الكامل لابن عدي: ١٩١/٤. وفي الدرالمنثور (٩٦/٢، تفسيرالآية: ٢٧٣/٢) عن البيهقي في الزهد: «القناعة كنز لايفنى».

٢ـ الجامع الصغير (باب الصاد: ٤٩/٢): عن البيهقي في شعب الإيمان وأبي نعيم في الحلية. كنزالعمال: ٢٧١/٣، ح٦٤٩٨.

ناله من الأذى ، كما قال رسول الله ﷺ حيث كُسرت رباعيّته وضرب[١] «اللّهمّ أهدِ قومي فإنّهم لايعلَمون» . فلم يمنعه سوءُ صنيعهم عن إرادة الخير بهم .

المجيد

هو الشريفُ ذاتُه ، الجميلُ أفعالُه ، الجزيلُ عطاؤه ونوالُه ، فكأنّ شرف الذات إذا قارنه حسنُ الفعال سُمّي «مجدا» .

وهو «الماجد» أيضا ، ولكن أحدهما أدلُّ على المبالغة . وكأنّه يجمع معنى اسم «الجليل» و «الوهّاب» و «الكريم» ؛ وقد سبق الكلامُ فيها .

الباعث

هو الذي يحيي الخلقَ يومَ النشور ، ويُبعث ما في القبور ، ويحصِّل ما في الصدور ؛ والبعثُ هو النشأة الآخرة ، وللإنسان نشآت كثيرة من لدن كونه نطفةً ، إلى أن يلق الله سبحانه ، والانتقال من كلٍّ منها بعثٌ . ولن يعرف حقيقةَ هذا الاسم إلاّ مَن عرف حقيقةَ البعث ، وذلك من أغمض المعارف ـ وشرحُه طويل .

أقول : وسنورد في المقصد الآخر من هذا الكتاب ، بيان معنى البعث والنشآت ـ إن شاء الله .

١ـ إعلام الورى : ذكر غزوة أُحد : ٩٢ . مناقب آل أبي طالب : فصل في غزواته ﷺ : ١٩٢/١ . البحار : ١١٧/٢٠ ، ح٤٧ . ١٧٧/٣٥ . وفي البخاري (كتاب استتابة المرتدين ، ٢٠/٩) : «رب اغفر لقومي فإنهم لايعلمون» . ومثله في دلائل النبوة : ٢١٥/٣ .

والباعث من العباد: من رقّى غيره من موت الجهل إلى حياة العلم، ودعاهم إلى الله، فإنّه أنشأ نشأةً أُخرىٰ وأحيا حياة طيّبة.

الشهيد

يرجع معناه إلى العليم، مع خصوص إضافة، فإنّه ـ تعالى ـ عالم الغيب والشهادة، و «الغيب» عبارة عمّا بطن، و «الشهادة» عمّا ظهر، وهو الذي يشاهد ، فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو «العليم»، وإذا أُضيف إلى الغيب و الأُمور الباطنة فهو « الخبير » ، و إذا أُضيف إلى الأُمور الظاهرة فهو «الشهيد».

وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم، و الكلام في هذا الاسم يقرب من الكلام في العليم و الخبير ، فلانعيده.

الحق

فى مقابلة الباطل، والأشياءُ قد تستبان بأضدادها.

وكلُّ ما يخبَر عنه فإمّا باطلٌ مطلقا، وإمّا حقٌّ مطلقا، وإمّا حقٌّ من وجه باطل من وجه؛ فالممتنعُ بذاته هو الباطل مطلقا، والواجبُ بذاته هو الحقُّ مطلقا ، و الممكنُ بذاته الواجب بغيره ، هو حقٌّ من وجه، باطلٌ من وجه ؛ فهو من حيث ذاته لاوجود له فهو باطلٌ؛ ومن جهة غيره مستفيدٌ للوجود، فهو من الوجه الذي يلي مفيدَ الوجود موجودٌ فهو من ذلك الوجه حقٌّ، ومن جهة نفسه باطلٌ؛ فلذلك ﴿كُلُّ

شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [٢٨/٨٨] ؛ و هو كذلك أزلا وأبدا ، ليس كذلك في حالٍ دون حالٍ ، لأنَّ كلّ شيءٍ سواه ـ أزلا و أبدا ـ من حيث ذاته لايستحقُّ الوجودَ، ومن جهته يستحقُّ، فهو باطلٌ بذاته، حقٌّ بغيره .

و عند هذا يعرف أنَّ الحقَّ المطلق هو الموجود الحقيقي بذاته ، الذي منه يأخذ كلُّ حقٍّ حقيقته .

وقد يقال ـ أيضا ـ للمعقول الذي صادف به العقل «الموجود»، حتّى ظنَّ طائفةٌ أنّه حقٌّ، فهو من حيث ذاته يسمّىٰ موجودا ، ومن حيث إضافته إلى العقل الذي أدركه على ما هو عليه، يسمّى حقّا ؛ فإذن أحقُّ الموجودات بأن يسمّي «حقّا» هو الله ـ تعالى ـ و أحقُّ المعارف بأن يكون حقا هو معرفة الله وإنّه حقٌّ في نفسه، أي مطابقٌ للمعلوم ـ أزلا وأبدا ـ

وقد يطلق على الأقوال فيقال : «قولٌ حقٌّ» و «قولٌ باطلٌ»، وعلى ذلك فأحقُّ الأقوال قول «لاإله إلاّ الله»، لأنّه صادقٌ أبدا وأزلا ، لذاته لا لغيره .

وحظّ العبد من هذا أن يرىٰ نفسَه باطلا ، ولا يرى غيرَ الله حقّا .

الوكيل

هو الموكول إليه الأُمور ، فإن كان مستحقّا لأن يوكَّل إليه الأُمور كلّها بذاته لا بالتوكيل والتفويض ، مليّا بالقيام بها ، وفيّا بإتمامها : فهو الوكيل المطلق ـ وليس إلاّ الله سبحانه .

وحظّ العبد منه بقدر مدخله فيه .

القويُّ المتين

القوّة تدلُّ على القدرة التامّة ؛ والمتانة تدلُّ على شدَّة القوّة ؛ والله ـ تعالى ـ من حيث أنّه قادرٌ بالغٌ بتمامها[1] «قويٌّ»، ومن حيث أنّه شديد القوّة «متين» ؛ وذلك يرجع إلى معنى القدرة ـ وسيأتي .

الوليّ

هو المحبُّ الناصر، ومعنى وُدِّه ومحبّته قد سبق، ومعنى نصرته ظاهرٌ، فإنّه يقمع أعداءَ الدين، وينصر أولياءَه . قال ـ تعالى ـ : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٢/٢٥٧] . وقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [٤٧/١١] ـ أي لا ناصر لهم ـ . وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [٥٨/٢١] .

و من العباد : مَن يحبُّ اللهَ و يحبُّ أولياءَه و ينصرهم ، ويقهر أعداءَه ؛ ومن أعداء الله ـ تعالى ـ النفسُ والشيطانُ، فمَن خذلها ونصَرَ أمرَالله و والى أولياءَ الله، وعادى أعداءَه، فهو الوليُّ .

الحميد

هو المحمود المثنى عليه، والله تعالى هو الحميد ؛ يَحمد لنفسه أزلا وأبدا، ويحمده عبادُه أبدا ؛ ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلوّ

١ـ المصدر : بالغ القدرة تامها .

والكمال منسوبا إلى ذكر الذاكرين له، فإنَّ الحمدَ هو ذكرُ أوصاف الكمال من حيث هو كمالٌ. ومن العباد مَن حمدت عقائده وأخلاقُه وأعماله كلّها من غير مشوبة، وذلك محمّد ﷺ ومَن يقرب منه من الأنبياء ومَن عداهم من الأولياء والعلماء؛ كلٌّ منهم بقدر مدخله فيه.

المحصي

هو العالِم، ولكن إذا أُضيف العلمُ إلى المعلومات من حيث يحصي المعلومات ويعدُّها ويحيط بها، سمّي إحصاءً. والمحصي المطلق هو الذي ينكشف في علمه حدُّ كلِّ معلوم وعددُه ومبلغُه.

والعبد ـ وإن أمكنه أن يحصي بعلمه بعضَ المعلومات ـ فإنّه يعجز عن حصر أكثرها، فمدخله من هذا الاسم ضعيفٌ، كمدخله في أصل صفة العلم.

المُبدئ المُعيد

معناه الموجد، لكنّ الإيجاد إذا لم يكن مسبوقا بمثله سمّي إبداء، وإذا كان مسبوقا بمثله سمِّي إعادة، والله ـ تعالى ـ أبدءَ خَلقَ الناس، ثمّ هو يُعيدهم ـ أي يحشرهم ـ والأشياء كلُّها منه بدتْ وإليه تعود، وبه بدتْ وبه تعود.

المُحيي المُميت

هذا أيضا يرجع إلى الإيجاد، ولكن الوجود إذا كان هو الحياة،

سمِّي فعله إحياء، وإذا كان هو الموتُ، سمِّيَ فعلُه إماتةً، ولا خالق للموت والحياة إلاّ الله ـ تعالى ـ فلا مُميت ولا محيي إلاّ الله.

وقد سبقت الإشارةُ إلى معنى الحياة في الاسم «الباعث».

الحيُّ

هو الفعّال الدرّاك، حتّى أنّ مَن لا فعل له أصلاً ولا إدراك فهو ميّتٌ؛ و أقلُّ درجات الإدراك أن يشعر المدرِكُ بنفسه، فما لايشعر بنفسه، فهو الجماد الميِّت[1]، فالحيُّ الكامل المطلق الذي يندرج جميعُ المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله، حتّى لايشذّ عن علمه مدرَك ولا عن فعله مفعول؛

وذلك الله ـ تعالى ـ فهو الحيُّ المطلق، وكلُّ ما سواه فحياته بقدْر إدراكه وفعله، وكلُّ ذلك محصورٌ في قلّته. ثمّ إنّ الأحياء يتفاوتون فيه، فمراتبُهم بقدر تفاوتهم.

القيُّوم

اعلم أنّ الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل، كالأعراض و الأوصاف، فيقال فيها: «إنّها ليست قائمة بأنفسها»؛ وإلى ما لايحتاج إلى محلّ ـ فيقال: «إنّه قائم بنفسه» كالجوهر؛ إلاّ أنّ الجوهر وإن قام بنفسه مستغنيا عن محلّ يقوم به، فليس مستغنيا عن أُمورٍ لابدّ منها

١ـ المصدر: فهو الجماد والميت.

لوجوده، ويكون شرطا في وجوده، فلايكون قائما بنفسه، لأنّه يحتاج في قوامه إلى وجود غيره. وإن لم يحتج إلى محلّ، فإن كان في الوجود موجودٌ تكتفي ذاتُه بذاته ولاقوام له بغيره ولايشترط في دوام وجوده وجود غيره: فهو القائم بنفسه مطلقا؛ فإن كان مع ذلك يقوم به كلُّ موجود، حتّى لايتصوّر للأشياء وجودٌ ولا دوام وجود إلاّ به فهو «القيُّوم»، لأنّ قوامُه بذاته، وقوامُ كلّ شيءٍ به؛

وليس ذلك إلاّ الله ـ تعالى ـ.

ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عمّا سوى الله.

الواجد

هو الذي لايعوزه شيءٌ، وهو في مقابلة «الفاقد»؛ فلعلّ من فاته ما لاحاجة به إلى وجوده لايسمّى فاقدا؛ والذي يحضره ما لاتعلّق له بذاته ولا بكمال ذاته لايسمّى واجدا؛ بل الواجد ما لايعوزه شيءٌ ممّا لابدّ منه، وكلُّ ما لابدّ له منه من صفات الإلهيّة وكمالها فهو موجود لله ـتعالى ـ فهو بهذا الاعتبار واجد، وهو الواجد المطلق.

ومن عداه إن كان واجدا لشيءٍ من صفات الكمال وأسبابه، فهو فاقدٌ لأشياء، فلايكون واجدا إلاّ بالإضافة.

الماجد

بمعنى «المجيد»، كالعالِم بمعنى العليم، لكنّ الفعيل أكثر مبالغة؛ وقد سبق معناه.

الواحد

هو الذي لايتجزّء ولايتثنّى .

أمّا الذي لايتجزّء فكالجوهر الواحد الذي لاينقسم ، فيقال أنّه واحدٌ ، بمعنى أنّه لاجزء له ، وكذا النقطة طرف لاجزء له ؛ والله تعالى واحدٌ بمعنى أنّه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته .

وأمّا الذي لايتثنّى فهو الذي لانظير له ، كالشمس ـ مثلا ـ فإنّها وإن كانت قابلةً للقسمة بالوهم ، متجزّئة في ذاتها ـ لأنّها من قبيل الأجسام ـ فهي لانظير لها ، إلاّ أنّه يمكن أن يكون لها نظير .

فإن كان في الوجود موجودٌ يتفرّد بخصوص وجوده ـ تفرُّدا لايتصوّر أن يشاركه فيه غيرُه أصلا ـ فهو الواحد المطلق أزلا وأبدا .

و العبد إنّما يكون واحدا إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظيرٌ في خصلة من خصال الخير ، وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه وبالإضافة إلى الوقت ـ إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله ـ وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع ؛ فلا وحدة على الإطلاق إلاّ لله ـ تعالى ـ .

الصمَد

هو الذي يُصمد إليه في الحوائج ، ويُقصد إليه في الرغائب ، إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد .

ومن جعله الله تعالى مقصدَ عباده في مهمّات دينهم ودنياهم ، وأجرى على لسانه ويده حوائجَ خلقه ، فقد أنعم عليه بحظٍّ من معنى

هذا الوصف ؛ لكنّ الصمد المطلق هو الذي يُقصد إليه في جميع الحوائج ، وهوالله ـ تعالى ـ .

أقول : و للصمد معنى آخر ، و هو الذي لاجوف له ، وهو بهذا المعنى لا يجوز إطلاقه على الله تعالى إلاّ مجازا ، لأنّه صفة للأجسام ، والله يتعالى عنها .

قال بعضُ المحقّقين[1] : «لمّا كان كلُّ ممكنٍ فوجوده أمر زائدٌ على أصل ذاته ومقتضى ذاته ، وباطنه العدم واللاشيء ، فهو يُشبه الأجوف ، كالحُقّة الخالية عن شيء ، والكُرة المفرّغة[2] ، لأنّ باطنه ـ الذي هو ذاتُه ـ لاشيءٌ محضٌ ، والوجود الذي يحيط به ويحدّده هو غيره ؛ وأمّا الذي ذاته الوجود والوجوب من غير شائبة عدم وفرجة خلل فيستعار له الصمد» .

أقول : وحظّ العبد من هذا الوصف أن يقوّي وجوده ويحصّل من صفات الوجود ـ بما هو وجود ـ حظًّا وافرا ، حتّى يقرب منه و يبعد عن العدم .

القادرُ المقتدرُ

معناهما ذوالقدرة ؛ ولكنَّ المقتدر أكثر مبالغةً ،

و القدرةُ عبارةٌ عن المعنى الذي به يوجد الشيءُ متقدّرا بتقدير الإرادة والعلم ، واقفا على وفقهما .

١ـ صدر المتألهين ـ قده ـ : شرح الأُصول من الكافي : باب النسبة ، الحديث الثاني .

٢ـ حلقة مفرّغة : مصمتة الجوانب ، فارغٌ جوفها .

والقادرُ المطلق هو الذي يخترع كلّ موجود اختراعا يتفرّد به، ويستغني فيه عن معاونة غيره وهو الله ـ تعالى ـ .

فأمّا العبدُ فله قدرةٌ على الجملة، ولكنّها ناقصة، إذ لايتناول إلاّ بعض الممكنات، ولا يصلح للاختراع.

المقدِّم المؤخِّر

هو الذي يقرِّب ويبعِّد، ومن قرّبه فقد قدّمه، أي جعله قدّام غيره في الرتبة بالإضافة إلى نفسه؛ ومن أبعده فقد أخّره وجعله متأخِّرا عن غيره؛ وقد قدّم أنبياءه و أولياءه بتقرُّبِهم وهدايتهم وحملهم على التوقير بالعبادة والعلم بإثارة دواعيهم، وأخّر آخرين بصرف دواعيهم عن ذلك، كما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٰتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا وَلٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [١٣/٣٢].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولٰئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾ [٢١/١٠١].

وحظُّ العبد من صفات الأفعال ظاهر، فلذلك قد لانشتغل بإعادة كلّ اسم حذرا من التطويل.

الأوّل الآخر

هما مضافان متناقضان، فلا يتصوّر أن يكون الشيءُ الواحد من وجه بالإضافة إلى شيءٍ واحدٍ أوّلا وآخرا جميعا.

بل إذا نظرتَ إلى ترتيب الوجود، ولاحظتَ سلسلةَ الموجودات

المترتِّبة، فاللهُ تعالى بالإضافة إليها أوّلٌ؛ إذ الموجودات كلُّها استفادت الوجودَ منه، وأمّا هو فموجودٌ بذاته، وما استفاد الوجودَ من غيره.

و مهما نظرتَ إلى ترتيب السلوك، و لاحظتَ مراتب منازل السائرين إليه، فهو آخرٌ بالإضافة، إذ هو آخر ما يرتقي إليه درجات العارفين، وكلُّ معرفة تحصل قبل معرفته فهو مرقاة إلى معرفته، والمنزل الأقصىٰ هو معرفةُ الله ـ تعالى ـ.

فهو آخرٌ بالإضافة إلى السلوك، أوّلٌ بالإضافة إلى الوجود؛ فمنه المبدء أوّلا، وإليه المرجع والمصير آخرا.

الظاهر الباطن

هما أيضا مضافان متناقضان لايجتمعان من وجهٍ واحد، وإنّما يكون بالإضافة إلى الإدراكات؛ فالله ـ تعالى ـ باطنٌ إن طُلب من إدراك الحواسّ وخزانة الخيال، ظاهرٌ إن طُلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال؛ وإنّما خفي على أكثر العقول مع ظهوره لشدّة ظهوره، فإنّ ظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره، وكلّ ما جاوز حدّه، انعكس إلى ضدِّه.

ـ **أقول**: وقد مضى بيان ذلك وشرحه فيما سبق، فلانعيده ـ.

ولا تتعجّبنّ من هذا في صفات الله ـ تعالى ـ فإنّ المعنى الذي به الإنسان إنسانٌ ظاهر باطن؛ فإنّه ظاهرٌ إن استدلّ عليه بأفعاله المرئيّة المحكمة، باطنٌ إن طُلب من إدراك الحسّ؛ فإنّ الحسّ إنّما يتعلّق بظاهر بشَرَته، وليس الإنسان إنسانا بالبشَرة المرئيّة منه؛ بل لو تبدّلت تلك

البشَرةُ ـ بل سائر أجزائه ـ فهو هو ، والأجزاءُ متبدِّلة ؛ ولعلَّ أجزاءُ كلِّ إنسان بعد كِبَره غير الأجزاء التي كانت فيه عند صِغَره ، فإنَّها تحلَّلت بطول الزمان ، وتبدَّلت بأمثالها بطريق الاغتذاء ، و هويَّتُه لم‌تتبدَّل ؛ فتلك الهويَّة باطنةٌ عن الحواسِّ ، ظاهرةٌ للعقل بطريق الاستدلال بآثارها وأفعالها .

الوالي

هو الذي دَبّرَ أُمورَ الخلق و ولاّها[1] ـ أي تولاّها ـ وكان مليّا بولايتها ؛ وكأنَّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، وما لم يجتمع جميعُ ذلك لم يُطلق اسمُ الوالي ؛ ولا والي للأمور إلاّ الله ـ تعالى ـ فإنَّه المتفرِّد بتدبيرها أوّلا ، والمُنفِّذ للتدبير ـ بالتحقيق ـ ثانيا ، والقائم عليها بالإدامة والإبقاء ثالثا .

المتعالي

بمعنى العَليّ مع نوع من المبالغة ؛ وقد سبق معناه .

البِرُّ

هو المحسن ؛ والبِرُّ المطلق هو الذي منه كلُّ مَبرَّة وإحسان .

والعبد إنّما يكون بِرّاً بقدر ما يتعاطاه من البِرّ ، لا سيّما بوالديه وأُستاده وشيوخه .

١ـ المصدر : وليها.

التوّاب

هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرّةً بعد أُخرى بما يظهرهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويُطلعهم عليها من تخويفاته وتحذيراته، حتّى إذا اطّلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب، استشعروا الخوفَ بتخويفه، فرجعوا إلى التوبة، فرجع إليهم فضلُ الله ـ تعالى ـ بالقبول. ومن العباد: مَن قبِل معاذيرَ المجرمين من رعاياه وأصدقائه ومعارفه مرّة بعد أُخرى، فقد تخلّق بهذا الخُلق وأخذ منه نصيبا.

المنتقِم

هو الذي يقصم ظهور العُتاة، وينكل بالجناة، ويُشدّد العقاب على الطُغاة؛ وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التمكين والإمهال؛ وهو أشدُّ من المعاجلة بالعقوبة، فإنّه إذا عوجل بالعقوبة لم يُمعن في المعصية، فلم يستوجب عليه النكال في العقوبة.

والمحمود من انتقام العبد أن ينتقم من أعداء الله، وأعدى الأعداء نفسُه، وحقّه أن ينتقم منها، مهما قارَف معصيةً أو أخلّ بعبادة.

العفُوّ

هو الذي يمحو السيّئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريبٌ من «الغفور» ولكنّه أبلغ منه، فإنّ الغفران يُنبئُ عن الستر، والعفو يُنبئُ عن المحو، والمحوُ أبلغ من الستر.

وحظُّ العبد منه : أن يعفو عن كلِّ مَن ظَلَمه ، بل يحسن إليه كما يحسن الله إلى العُصاة والكَفَرة ويتوب عليهم بمحو سيِّئاتهم ، إذ «التائبُ من الذنب كمَن لا ذنبَ له»[1] .

الرؤوف

ذوالرأفة ، والرأفة شدّة الرحمة ، فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه .

مالك الملك

هو الذي ينفذ مشيّته في مملكته كيف شاء و كما شاء ، إيجادا و إعداما ، و إبقاء وإفناء ؛ و «المُلك» هنا بمعنى المَملكة ، و «المالِك» بمعنى القادر التامّ القدرة ، والموجودات كأنّها مملكةٌ واحدةٌ هو مالكُها وقادرٌ عليها لارتباط بعضها ببعض ، كارتباط أجزاء بدن الإنسان وتعاونها على مقصود واحد ، وهو إتمام غاية الخير الممكن وجوده على ما اقتضاه الجود الإلٰهي .

و مملكةُ كلِّ عبدٍ بدنُه خاصّةً ، فإذا نفَذت مشيُّته في صفات قلبه وجوارحه فهو مالكُ مملكة نفسه بقدر ما أُعطي من القدرة عليها .

١ـ عن رسول الله ﷺ : ابن ماجة : كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ، ١٤٢٠/٢ ، ح٤٢٥٠ . حلية الأولياء : ترجمة أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، ٢١٠/٤ . كنزالعمال : ٢٠٧/٤ و٢٦١ ، ح١٠١٧٤ـ١٠١٧٦ . و١٠٤٢٨ . الرسالة القشيرية : باب التوبة ، ١٦٨ . الجامع الصغير : باب التاء : ١٣٤/١ . الجامع الكبير : ١٣٦/٤ـ١٣٧ ، ح١٠٦٦٨ـ١٠٦٦٩ . وروي عن الباقر عليه السلام أيضا في الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب التوبة : ٤٣٥/٢ ، ح١٠ .

ذو الجلال والإكرام

هو الذي لا جلال ولا كمال إلاّ وهو له، ولا كرامة ولا مكرمة إلاّ وهي صادرةٌ منه، والجلال له في ذاته، والكرامة فائضةٌ منه على خلقه، وفنون إكرامه خَلقَه لا تكاد تنحصر وتتناهى، و عليه دَلّ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [٧٠/١٧].

المُقسِط

هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم، و كماله أن يضيف إلى إرضاءِ المظلوم إرضاء الظالم، بإثابة المظلومِ ـ بعفوه عن الظالم ـ ما يصغُر في جنبه العفوُ عنه، ـ كما ورد في الخبر[1] ـ و ذلك غايةُ العدل والإنصاف؛ ولا يقدر عليه إلاّ الله ـ تعالى ـ.

١ـ المستدرك للحاكم (كتاب الأهوال: ٥٧٦/٤): «... بينا رسول الله ﷺ جالسٌ إذ رأيناه ضحك حتّى بدت ثناياه، فقال له عمر: «ما أضحكَكَ يارسول الله بأبي أنت وامّي»؟ قال: رجلان من أُمّتي جثيا بين يدي ربِّ العزّة، فقال أحدهما: «يارَبِّ خذ لي مظلمتي من أخي». فقال الله تبارك و تعالى للطالب: «فكيف تصنع بأخيك، ولم يبق من حسناته شيءٌ»؟ قال: «ياربِّ ـ فليحمل من أوزاري». ـ قال: ـ وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثمَّ قال: إنَّ ذلك يومٌ عظيم، يحتاج الناس أن يُحمل عنهم من أوزارهم. فقال الله تعالى للطالب: «ارفع بصرك، فانظر في الجنان». فرفع رأسه، فقال: «يا ربِّ ـ أرى مدائنَ من ذهبٍ وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأيِّ نبيٍّ هذا أو لأيِّ صدِّيقٍ هذا أو لأيِّ شهيد هذا»؟ قال: «هذا لمن أعطى الثمنَ». قال: «ياربِّ ـ ومن يملك ذلك»؟ قال: «أنتَ تملكه». قال: «بما ذاه»؟ قال: «بعفوك عن أخيك». قال: «يا ربِّ ـ فإنّي قد عفوتُ عنه». قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «فخذ بيد أخيك، فادخله الجنّة»...

وأوفرُ العبيد حظّاً من هذا الاسم مَن ينتصف أوّلاً من نفسِه، ثمّ لغيره من غيره، ولا ينتصف لنفسه من غيره.

الجامع

هو المؤلِّف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادّات، كجَمعه الخَلق الكثير من الإنس على ظَهْرالأرض، و جمعه أجناسَ الموجودات في العالَم، و جمعه الكيفيّاتِ المتضادّة في أمزجة الحيوانات ـ إلى غير ذلك ممّا يطول شرحه.

ومن العباد من جمَع بين الآداب الظاهرة في الجوارح والحقائق الباطنة في القلوب، فمن كمُلت معرفتُه وحسُنت سيرتُه فهو الجامع. ولذلك قيل: «الكامل مَن لايطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه». وذلك لتعسُّر الجمع بين الصبر و البصيرة، فكم من صبور على الزهد والورع لا بصيرة له، وبالعكس.

الغنيُّ المُغني

الغنيّ هوالذي لا تعلُّق له بغيره ـ لافي ذاته ولافي صفات ذاته ـ بل يكون منزّهاً عن العلاقة مع الأغيار؛ ولايتصوّر ذلك إلاّ لله تعالى.

وهو المُغني أيضا، ولكنّ الذي أغناه لايتصوّر أن يصير بإغنائه غنيّا مطلقا، فإنّه في أقلِّ أموره محتاج إلى المُغني؛ فلا يكون غنيًا، بل يستغني عن غير الله بأن يُمدّه [بـ]ما يحتاج إليه، لابأن يقطع عنه أصلَ الحاجة.

وهو غاية ما يدخل في الإمكان في حقّ غيرالله، بأن لم يبقَ له حاجةٌ إلاّ إلى الله ـ تعالى ـ .

المانع

هو الذي يردُّ أسباب الهلاك والنقصان في الأبدان والأديان بما يخلقه من الأسباب المعدَّة للحفظ، وقد سبق معنى «الحفيظ»، وكلُّ حفظ فمن ضرورته منع ودفع ، فمَن فَهم معنى « الحفيظ » فَهم معنى «المانع» .

و المنع إضافة إلى سبب[1] المهلك ، والحفظ إضافة إلى المحروس عن الهلاك، وهو مقصودُ المنع وغايته، إذ المنع يراد للحفظ، والحفظ لايراد للمنع ؛ وكلّ حافظٍ دافعٌ مانعٌ[2] ، وليس كلُّ مانعٍ حافظا إلاّ إذا كان مانعا مطلقا لجميع أسباب الهلاك والنقص، حتّى يحصل الحفظ من ضرورته .

الضارُّ النافع

هو الذي يصدر منه الخيرُ والشرُّ ، والنفعُ والضرُّ ، وإن كان أحدهما بالعرَض، سواء كان بواسطة أو بغير واسطة ؛ والوسائط كلُّها مسخَّراتٌ بأمره، كالقلم في يد الكاتب .

---

١ ـ كذا . والمصدر : السبب .

٢ ـ المصدر : وكل حافظ مانع .

النور

هو الظاهرُ الذي به كلُّ ظهور، ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود، ولا ظلام أظلم من العدم، فالبريء عن ظلمة العدم ـ بل عن إمكان العدم ـ المُخرج كلّ الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود، جديرٌ بأن يسمّى «نورا». والوجود نورٌ فائزٌ على الأشياء كلّها من نور ذاته، فهو ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٣٥/٢٤]. وكما أنّه لاذرّة من نورالشمس إلّاوهي دالّة على وجود الشمس المنوّرة، فلا ذرّة من موجودات السماوات والأرض وما بينهما إلاّ وهي بجواز وجودها دالّةٌ على وجوب وجود موجدها.

الهادي

هو الذي هدى خوّاصَ عباده أوّلا إلى معرفة ذاته، حتّى استشهدوا على الأشياء به؛ وهدى عوامَّ عباده إلى مخلوقاته، حتّى استشهدوا بها على ذاته؛ وهدى كلَّ مخلوقٍ إلى ما لابدَّ له منه في قضاء حاجته، فهدى الطفلَ إلى التقام الثديِ عند انفصاله، والفَرخ إلى التقاط الحَبِّ وقت خروجه، والنحلَ إلى بناء بيته على شكل التسديس ـ لكونه أوفق الأشكال إلى بدنه وأحواها وأبعدها عن أن تتخلّلها فُرج ضايعة ـ وشرح ذلك ممّا يطول.

وعنه عبّر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [٢٠/٥٠]. وقوله: ﴿ٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [٨٧/٣].

وَ الهداةُ من العباد الأنبياءُ و العلماءُ ، الذين أرشدوا الخَلقَ إلى السعادة الأُخرويّة ، وهدوهم إلى صراط الله المستقيم ؛ بل الله الهادي بهم وعلى ألسنتهم ، وهم مسخَّرون تحتَ قدرته وتدبيره .

البديع

هو الذي لاعهد بمثله ، فإن لم يكن بمثله عهدٌ ـ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في كلِّ أمرٍ راجع إليه ـ فهو البديعُ المطلق ، وإن كان شيٌ من ذلك معهودا فليس ببديعٍ مطلق ، ولا يليق هذا الاسم مطلقا إلاّ بالله تعالى ، فإنّه ليس له قبل ـ فيكون مثله معهودا قبله ـ وكلُّ موجودٍ بعده فحاصلٌ بإيجاده ، وهو غير مناسب لوجوده[1] ؛ فهو بديع أزلا وأبدا .

وكلُّ عبد اختصَّ بخاصيّة في النبوّة والولاية والعلم ، لم يُعهد مثلُها ـ إمّا في سائر الأوقات ، أو في عصره ـ فهو بديعٌ بالإضافة إلى ما هو متفرّد به وفي الوقت الذي هو متفرِّدٌ به[2] .

الباقي

هو الموجود الواجبُ وجوده بذاته ، ولكنّه إذا أُضيف في الذهن إلى الماضي سمِّي «قديما» ، وإذا أُضيف إلى الاستقبال سمِّي «باقيا» .

١ـ المصدر : لموجده .

٢ـ المصدر : منفرد فيه .

والباقي المطلق هو الذي لاينتهي تقديرُ وجوده في الاستقبال إلى آخر، ويعبَّر عنه بأنّه «أبديّ»؛ والقديم المطلق هو الذي لاينتهي تمادي وجوده في الماضي إلى أوّلٍ، ويعبّر عنه بأنّه «أزليٌّ».

وقولُك: «واجبُ الوجود بذاته» متضمِّنٌ لجميع ذلك، وإنّما هذه الأسامي بحسب إضافة هذا الوجود في الذهن إلى الماضي والمستقبل، و إنّما يدخل في الماضي والمستقبل المتغيِّرات، لأنّهما عبارتان عن الزمان، ولايدخل في الزمان إلاّ التغيُّر والحركة، إذ الحركةُ بذاتها تنقسم إلى ماضٍ ومستقبلٍ؛ والمتغيِّر يدخل في الزمان بواسطة التغيُّر؛ فما جلّ عن التغيُّر بالحركة فليس في زمان، فليس فيه ماضٍ ومستقبلٍ.

والحقُّ تعالى قبل الزمان، وحيث خلَق الزمانَ لم يتغيّر من ذاته شيءٌ؛ وقبل خلْق الزمان لم يكن للزمان عليه جريانٌ، وبقي بعد خلْق الزمانِ على ما عليه كان.

الوارث

هو الذي إليه ترجع الأملاكُ بعد فناء المُلاّك، وذلك هو الله ـ سبحانه ـ إذ هو الباقي بعد فناء خلْقِه، وإليه مرجعُ كلِّ شيءٍ ومصيرُه، وهو القائل إذ ذاك ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [٤٠/١٦].

وهذا بحسب ظنّ الأكثرين، إذ يظنُّون لأنفسهم مُلكا ومِلكا[١]، فتنكشف لهم ذلك اليومَ حقيقةُ الحال؛ وهذا النداء عبارةٌ عن حقيقة ما ينكشف لهم في ذلك الوقت.

---

١ ـ المُلك: السلطة، والمِلك: مايُملك.

وأمّا أرباب البصائر، فإنّهم أبدا شاهدون بمعنى هذا النداء، سامعون له من غير صوت ولاحرف، موقنون بأنّ المُلكَ لله الواحدِ القهّارِ ـ في كلّ يوم وفي كلِ ساعةٍ وفي كلّ لحظةٍ؛ وكذلك كان أزلا وأبدا.

وهذا إنّما يدركه من أدركِ حقيقةَ التوحيد في الفعل، وعلم أنّ المتفرّدِ[1] في المُلك والمَلكوتِ واحدٌ.

الرشيد

هو الذي تنساق تدبيراتُه إلى غاياتها، على سَنن السداد، من غير إشارة مُشيرٍ وتسديد مسدِّدٍ وإرشاد مُرشدٍ، وهو الله ـ سبحانه ـ.

ورشد كلّ عبدٍ بقدر هدايته في تدابيره إلى إصابة شاكلة الصواب من مقاصده في دينه ودنياه.

الصبور

هو الذي لاتحمله العجلةُ على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، بل ينزّل الأمورَ بقدَر معلوم، ويُجريها على سَنن محدودة، لا يؤخِّرها عن آجالها المقدَّرة لها ـ تأخير متكاسل ـ ولا يقدِّمها على أوقاتها ـ تقديم مستعجل ـ بل يودع كلّ شيءٍ في أوانه، على الوجه الذي يجب أن يكون، وكما ينبغي، وكلُّ ذلك من غير مقاساة داعٍ على مضادّة الإرادة.

١ـ المصدر: المتفرّد بالفعل.

و صبرُ العبد لا يخلو من مقاساة ، لأنّه دفعٌ لداعي الشهوة و الغضب في مقابلة داعي الدين أو العقل ، وميل إلى باعث التأخير .

* * *

هذا آخر كلام شارح الأسماء[1] مع اقتصارٍ وتلخيصٍ .

وكلُّ ما يوهم نقصا فلايجوز إطلاقه على الله ـ سبحانه ـ مثل «العارف» و «العاقل» و «الفطِن» و «الذكيّ» ؛ لأنّ المعرفة تُشعر بسبق فكرٍ ، والعقل هو المنع عمّا لا يليق ، والفطنةُ والذكاء تشعران بسرعة الإدراك لما غاب عن المدرِك ؛ وكذا «المستهزء» و «الماكر» ـ وإن وردا في الشرع ـ ولكن على نحو آخر غير موهمٍ للنقص ، فلا يجوز التعدِّي عن مورده .

وقديقال لاينبغي لمن وُفِّق بحسن الأدب بين يدى الله ـ سبحانه ـ أن يُفرِد أحدَ الاسمين المتقابلين عن الآخر ـ كالقابض والباسط ، والمُعِزّ والمُذِلّ ، والخافِض والرافع ، ونظائر ذلك ـ لأنّ مقارنتها أدلُّ على الحكمة ، وأنبأ عن القدرة ؛ فالإفراد مفوِّتٌ للغرض .

* * *

* *

*

١ـ الغزالي في المقصد.

فصل [٤]

[الموجودات مظاهر الأسماء الحسنى، بل عينها][1]

لكلّ اسم من الأسماء الإلهيّة مظهرٌ من الموجودات، باعتبار غلبة ظهور الصفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه، فإنّ الله ـ سبحانه ـ إنّما يخلق ويدبِّر كلّ نوع من أنواع الخلائق باسم من أسمائه، وذلك الاسم هو ربُّ ذلك النوع، والله ـ سبحانه ـ ربُّ الأرباب.

وأعني بالاسم هنا إطلاقه الثاني من اطلاقيه المشار إليهما فيما سبق[2].

وإلى هذا أُشير في كلام أهل البيت عليهم السلام في أدعيتهم بقولهم[3]: «و بالاسم الذي خَلَقْتَ بِه العَرشَ، و بالاسم الذي خَلَقتَ بِه الكُرسيّ، وبالاسم الذي خَلَقتَ بِهِ الأرواح» ـ إلى غير ذلك من هذا النمط ـ.

وعن مولانا الصادق عليه السلام[4]: «نَحنُ والله الأسماءُ الحسنىٰ التي لايقبل الله مِن العباد عَمَلا إلاّ بِمَعرفَتنا».

١ـ ورد مافي هذا الفصل مع تفصيل أكثر في عين اليقين: ٣١٢.

٢ـ راجع الصفحة: ١٤٤.

٣ـ راجع مانقله المجلسي ـ قده ـ عن مصباح السيد علي بن الحسين بن باقي ـ ره ـ (البحار: كتاب الصلاة، باب صلوة النبي والأئمة عليهم السلام، ١٨٢/٩١، ح٨).
البلد الأمين: الأسماء الحسنى: ٤١٢. دلائل الإمامة: ذكر دعاء علمها رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام، ٦.

٤ـ الكافي: باب النوادر من كتاب التوحيد: ١٤٤/١، ح٤.
العياشي: سورة الأعراف، ٤٢/٢، ح١١٩. البحار: ٥/٩٤ـ٦، ح٧.

وذلك لأنّهم ﷺ وسائل معرفة ذاته ووسائط ظهور صفاته، و أرباب أنواع مخلوقاته[1] .

ولك أن تقول: إنّ حقائق الموجودات بأسرها هي بعينها أسماءُ الله ـ تعالى ـ لأنها تدلُّ على الله ـ سبحانه ـ دلالة الاسم على المسمّى ـ فإنّ الدلالة كما تكون بالألفاظ، كذلك تكون بالذوات ، من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى ؛

بل كلّ موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دالٍّ على توحيده، وتمجيده ؛

بل كلّ منها عند أُولي البصائر لسانٌ ناطقٌ بوحدانيّته ، يسبّح بحمده ويقدّسه عمّا لايليق بجنابه[2] ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [١٧/٤٤] ؛

بل كلٌّ من الموجودات ذكرٌ وتسبيحٌ له تعالى، إذ يفهم منه وحدانيّتُه وعلمُه، واتّصافُه بسائر صفات الكمال، وتقدّسُه عن صفات النقص والزوال؛ فإنّ البراهين قائمةٌ ـ بل العقول السليمة قاضيةٌ ـ بوجوب انتهاء كلّ طلبٍ إلى مطلوب ، وكلّ فقرٍ إلى غناءٍ، وكلّ نقصان إلى تمامٍ؛ كما أنّها قاضيةٌ بوجوب رجوع كل مخلوق إلى خالقٍ، وكلّ مصنوع إلى صانع، وكلّ مربوب إلى ربٍّ ؛ فنقصاناتُ الخلائق

١ـ كتب المؤلف هنا الحديث الأول من باب حدوث الأسماء من كتاب التوحيد من الكافي : ١١٢/١ ؛ ثم شطب عليه ؛ وقد أعرضنا لأن المصدر سهل الوصول. المراجعين.

٢ـ كتب في هامش النسخة :

برگ درختان سبز درنظر هوشيار هرورق دفتريست معرفت كردگار

دلائلُ كمالات الخالق ـ جلّ ذكرُه ـ و كثراتُها و اختلافاتها شواهدُ وحدانيّته ونفي الشريك عنه والضدِّ والندِّ ـ جلّ جلالُه ـ .

كما قال أميرُالمؤمنين عليه السلام[1] : «بِتَشعيره المَشاعِرَ عُرِفَ أن لا مَشْعَرَ لَه ، وبِتَجهيره الجَواهِرَ عُرِفَ أن لا جوهَرَ لَه ، وَبِمُضادَّتِه بَينَ الأشياء عُرِفَ أن لاضدّ له ، وبمقارنتِه بينَ الأشياءِ عُرف أن لا قَرين لَه»

ـ إلى أن قال ـ : « فَفَرّقَ بَينَ قَبلٍ و بَعد ، لِيُعلَمَ أن لاقَبلَ لَهُ ولا بَعد ؛ شاهدة بِغرائزها أن لا غَريزة لِمغرِّزها ، مخبرةً بتوقيتها أن لا وقت لموقِّتها ، حَجَبَ بَعضَها عَن بعضٍ ليُعلَم أنْ لا حجابَ بينَه وبينَ خَلقِهِ . . » ـ الحديث ـ

وقال بعض الحكماء[2] في هذا المعنى ـ وهو يصِفُ النرجس ـ :

عيونٌ في جفونٍ في فنونٍ بدتْ فأجاد صنعتَها المليكُ
بأبصارِ التَغنُّج طامحات كأنَّ حداقَها ذهبٌ سبيكٌ
على قصب[3] الزمرُّدِ مخبرات بأنَّ الله ليس له شريكٌ

١ـ الكافي : باب جوامع التوحيد : ١٣٩/١ ، ح٤ . وقد روي مثله عن مولانا الرضا عليه السلام أيضا في التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه ، ٣٧ـ٣٨ ، ح٢ .
عنه البحار : ٢٢٩/٤ ، ح٣ .

٢ـ الأشعار لأبي نواس ، وقد أوردها الفخرالرازي في تفسيره (٩٩/٢ ، تفسير الآية : ٢١/٢) برواية تختلف عما ذكره المؤلف :

تأمل في نبات الأرض و انظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات وأزهار كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

صدرالمتألهين ـ قده ـ في تفسيرالآية أيضا ، تفسيره : ٨٦/٢ .

٣ـ في هامش النسخة : «نسخة : قضب» .

فصل [٥]

[يسأله سبحانه من في السماوات والأرض][1]

كلُّ موجود من الموجودات يطلب من الله ـ سبحانه ـ بلسان استعداده الكمالَ الذي يستعدُّ له ؛ واستعدادُه لذلك الكمال ـ أيضا ـ من نعمه سبحانه ، وإليه أُشير في الأدعية المأثورة بقولهم[2] : «يا مُبتدءا بالنِّعم قبلَ استحقاقها» .

وإعطاؤه ـ سبحانه ـ الاستعدادَ دعاءٌ منه إلى الطلب ، فالطلبُ بهذا الاعتبار إجابة لدعوة الحقّ ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللهِ﴾ [٣١/٤٦] . وهو باعتبار آخر سؤالٌ منه سبحانه : ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٩/٥٥]

وهذا السؤال إنّما هو بلسان الحاجة والافتقار ، وعلى وجه الذُّلِّ والاضطرار ، وإنّما هو باسم من أسمائه ـ جلّ جلاله ـ مناسبٍ لحاجة السائل ، فالفقيرُ ـ مثلا ـ إنّما يدعوه بالاسم «المغني» ، والمريض بالاسم

١ـ راجع عين اليقين : ٣١٢ .

٢ـ التوحيد : باب أسماء الله تعالى ، ٢٢٢ ، ح١٤ . البلد الأمين : ١٨ . دلائل الإمامة للطبري : باب معرفة من شاهد صاحب الزمان عليه السلام في حال الغيبة و عرفه ، الرواية الأخيرة : ٥٥٢ . مصباح المتهجد : أعمال يوم الجمعة ، ٢٩٣ . البحار : ٧٥/٨٦ ، ح١٠ . ٣٠٥/٥١ ، ح١٩ . ٣٧/٩٠ ، ح٥ . الدعوات للراوندي : فصل في ألحّ الدعاء وأوجزه ، من دعاء النبي صلى الله عليه وآله : ٦٠ ، ح١٤٨ . البحار : (كتاب الصلاة ، باب الأدعية والأذكار عند الصباح والمساء : ٣١٦/٨٦ ، ح٦٧) نقلا عن مجموع الدعوات للتلعكبري ، دعاء الصادق عليه السلام عند الصباح : «. . . يا من بدء بالنعمة قبل استحقاقها . . .» .

«الشافي»، والمظلوم بالاسم «المنتقم» ـ وعلى هذا القياس ـ فكلُّ ذرّة من ذرّات العالَم تدعو اللهَ اضطرارا ـ بلسان حالها ـ باسم من أسمائه تعالى، وهو سبحانه يجيب دعوتها في حضرة ذلك الاسم الذي دعاه به، كما قال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [٢٧/٦٢].

وذلك الاسم هو صورةُ إجابته تعالى لدعوة ذلك المضطرّ من وجهٍ، وهو ربُّ ذلك المضطرّ بإذن الله من وجهٍ آخر؛ ومطالبُ الكلِّ على حسب مسؤلاتهم مبذولة دائما، وحوائجهم مَقضيّة أبدا، لا يخيبُ منه أحدٌ قطّ، إلاّ من كان على بصيرته غشاوةٌ من استعداده، فأخذ يدعو الله بلسان المقال، خلافَ ما يدعوه بلسان الحال؛ فذلك يخيبُ قولا، وإن استجيب حالا؛ وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [١٣/١٤] وسائر أفعاله عزّ وجلّ يرجع إلى هذه الإجابة لدعوة المضطرّين، وهي ترجع إلى إفاضة الوجود، وإنّما تختلف أساميها باختلاف الاعتبارات.

روي في كتاب التوحيد[1] بإسناده، عن يحيي الخزاعي[2]، قال:

١ـ التوحيد: باب أسماء الله تعالى: ٢١٩، ح١٠. معاني الأخبار: باب قول المريض آه: ٣٥٤. البحار: ٢٠٢/٨١، ح٣. ٣٩٣/٩٣، ح٣.

٢ـ إسناد الصدوق ـ قده ـ في التوحيد: «حدثنا غير واحد، قالوا: حدثنا محمّد بن همام، عن عليّ بن الحسين (عليّ بن الحسن ـ ن)، قال: حدثني جعفر بن يحيى الخزاعي، عن أبيه، قال دخلت مع أبي عبدالله عليه السلام ...». و في معاني الأخبار: «حدثنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد العلوي، قال: حدثنا محمّد بن همام، عن علي بن الحسين، قال حدثني جعفر بن يحيى الخزاعي، عن أبي اسحاق الخزاعي، عن أبيه، قال دخلت مع أبي عبدالله ...». وكما ترى يختلف الكتابين في راوي الحديث عن الصادق عليه السلام. ثم المجلسي ـ قده ـ أورده عن معاني الأخبار في موضعين من —

دخلت مع أبي عبدالله عليه السلام على بعض مَواليه نَعوده، فَرأيتُ الرجلَ يكثر من قولِ: «آه». فقلت له: «يا أخي ـ اذكر ربَّك ، واستغِث به».

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إنَّ «آه» اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ فمَن قال: «آه»، فقد استغاث بالله ـ تبارك وتعالى».

أقول: وسرُّ هذا الحديث مابُحنا[1] لكَ به ـ ولله الحمد ـ .



ـ البحار: مرّة في كتاب الطهارة (باب آداب المريض و أحكامه: ٢٠٢/٨١) بدون ذكر عن «أبي اسحاق الخزاعي»، ومرة في كتاب الذكر والدعاء (باب الاجتماع في الدعاء والتأمين . . . : ٣٩٣/٩٣) مع إضافة اسمه. ثم قال في الموضعين: «التوحيد: عن غير واحد، عن محمد بن همام، مثله». فإما أنّه نقل السند في الأول معتمدا على مافي التوحيد و لم يلتفت إلى الاختلاف في الراوي، أو كانت عنده نسختين من المعاني مختلفتين في السند واتفق النقل عن واحد منها في كل مرّة من غير التفات إلى الاختلاف ـ والاحتمال بعيد ـ . والأظهر أنَّ الصحيح مافي التوحيد، إذ لم يذكروا في مشيخة جعفر بن يحيى الخزاعي شيئا عن أبي اسحاق الخزاعي؛ وذكروا أنه روى عن أبيه يحيى بن أبي العلاء، وعن اسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام وروى عن الحسين بن الحسن، و عن بعض أصحابنا. (راجع معجم الرجال: ١٣٨/٤. جامع الرواة: ١٦٣/١) بل ولم يرد شيئا عن أبي اسحاق هذا في تراجم الرجال.

١ ـ باح الشيءُ، بوحا ـ من باب قال ـ : ظهر. ويتعدّى بالحرف، فيقال: باح به صاحبُه؛ و بالهمزة أيضا فيقال: أباحه (مصباح).

[٧]

باب

أفعاله وقضائه وقَدَره

جلّ ذكره

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ الا لَهُ الْخَلْقُ وَ الأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥٤/٧]

فصل[١] [١]

إنّ الله ـ سبحانه ـ خَلَق ـ أوّل ما خَلَق ـ جوهرةً شريفةً مَلكوتيّةً روحانيّةً وحدانيّةً، له وجوهٌ متعدِّدةٌ وجهات مختلفةٌ؛ كان له بكلِّ وجهٍ وجَهةٍ اسمٌ من الأسماء.

ولهذا اختلفت ألفاظ الشرع في تسميته:

فسُمِّي بـ « العقل » في قول النبي ﷺ: « إنّ أوّل ما خلَق الله

١ـ راجع عين اليقين: ٣١٧.

العَقل»[1] و ذلك لأنّه محلّ عِلم الله ـ سبحانه ـ كما قال : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُه ﴾ [٢١/١٥] .

و بـ «القلم» في قوله ﷺ[2] : « إنَّ أوّل ما خَلَقَ اللهُ القَلم » . لإفاضة الله الصورَ العلميَّة على ألواح النفوس بتوسُّطه ، وسيّما على النفس الكليّة التي هي اللوح الأعظم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ اِقْرَءْ وَ رَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٩٦/٣-٥] .

وسُئِل مولانا الصادق عليه السلام عن اللوح والقلم ؟ فقال[3] : « هُما مَلَكان » .

و بـ «الروح» في قوله ﷺ[4] : «أوّلُ ما خلَق اللهُ روحي » ؛ لإفاضة الله عزّ وجلّ ـ الحياةَ على كلِّ حيِّ بتوسُّطه ، وإنّما أضافه إلى

١ـ أبو نعيم في الحلية : ترجمة سفيان بن عيينة ، ٣٦٨/٧ . وجاء في الفقيه : (باب النوادر : ٤/ ٣٦٩) : « . . . يا علي ، إنّ أوّل خلْقٍ خلقه الله عزّ وجلّ العقل . . . » .

٢ـ أبو داود : كتاب السنّة ، باب في القدَر : ٢٢٦/٤ ، ح ٤٧٠٠ . الترمذي : كتاب القدَر ، الباب ١٧ : ٤٥٨/٤ ، ح٢١٥٥ . كتاب التفسير ، سورة ن ، ٤٢٤/٥ ، ح٣٣١٩ . المسند : ٣١٧/٥ . تفسير الطبري : سورة ن ، ١١/٢٩ . تفسير القمي : في قوله تعالى ﴿قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة ﴾ : ١٩٩/٢ .
وفي المعجم الكبير (٣٤٢/١١ ، ح١٢٢٢٧) : «إن أول ما خلق الله القلم والحوت . . .» . كنزالعمال : ١٢٦/١ و١٢٢/٦ ، ح٥٩٧ و١٥١١٥ـ١٥١١٧ .

٣ـ معاني الأخبار : باب معنى اللوح والقلم : ٣٠ . عنه البحار : ٣٦٩/٥٧ ، ح٦ .

٤ـ تأويل الآيات الظاهرة (المطففين/١٨ ، ٧٧٣/٢) نقلا عن الصدوق في كتاب المعراج ، عن النبي ﷺ : «ياعلي ، إنّ الله تبارك و تعالى كان ولاشيء معه ، فخلقني وخلقك ، روحين من نور جلاله . . .» . البحار عنه وعن المحتضر : ٣/٢٥ـ٤ ، ح٥ـ٦ .

نفسه، لأنّه المبعوث إلى مقام الروح الأوّل، كما قال عزّ اسمه: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ ﴾ [٣٨/٧٨].

وسُئِل مولانا الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [٥٢/٤٢] قال[1]: «خلقٌ من خلق الله، أعظم من جبرئيلَ وميكائيلَ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدّده؛ وهو مع الأئمّة من بعده».

وزاد في رواية أُخرى[2]: «وهو من الملكوت».

وفي أُخرى[3]: «إنّه لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمّة عليهم السلام يوفّقهم ويسدّدهم».

١ـ مع فرق يسير في الكافي: كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله به الأئمة عليهم السلام: ٢٧٣/١، ح١. بصائر الدرجات: باب الروح التي قال الله تعالى: وكذلك..: ٤٥٥، ح٢. تفسير القمي: الآية المذكورة، ٢٨٤/٢، وأيضا في تفسير ﴿وأيدهم بروح منه﴾، ٣٧٠/٢، (وليس فيها: يخبره ويسدده). البحار: ٢٦٥/١٨، ح٢٢. و٢٥٤/١٨، ح٣. و٢٦٧/١٨، ح٢٨. ٤٧/٢٥ـ٤٨، ح١ وح٥.

٢ـ الكافي: الصفحة السابقة، ح٣. بصائر الدرجات: باب الروح التي قال الله تعالى: يسئلونك...: ٤٦٢، ح٩. العياشي: في قوله تعالى: يسئلونك عن الروح: ٣١٧/٢، ح١٦٥، بأدنى اختلاف في اللفظ. البحار: ٢٦٥/١٨، ح٢٣. ٤٧/٢٥، ح٢. ٦٩/٢٥، ح٥٤.

٣ـ بصائر الدرجات: الباب السابق: ٤٦١، ح١. العياشي: الصفحة السابقة بأدنى اختلاف. البحار: ٦٧/٢٥، ٤٧.

وروى الصدوق ـ قده ـ في العيون (باب ٤٦، ماجاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة...: ٢٠٠/٢، ح١): «... إنّ الله عزّ وجلّ قد أيّدنا بروح منه مقدسة مطهرة، ليست بملك، لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي مع الأئمة منّا، تسددهم و توفّقهم، و هو عمود من نور بيننا و بين الله عزّ وجلّ...». البحار: ٤٨/٢٥، ح٧. و١٣٤/٢٥، ح٦.

وفي أُخرى [1] : « ليس كلّما طلب وجد » .

وفي أُخرى [2] : « منذ أنزل اللهُ ذلك الروح على محمّد ﷺ ماصعد إلى السماء ، وإنّه لفينا » .

وفي أُخرى [3] : قيل له «أليس الروحُ جبرئيل» ؟ فقال : «جبرئيلُ من الملائكة ، والروحُ خلقٌ أعظم من الملائكة ؛ أليس الله يقول : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [٤/٩٧] » ؟

كلُّ ذلك مرويٌّ في كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفّار ـ رحمه الله ـ بالأسانيد المتّصلة .



١ ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح٤ . بصائرالدرجات : الباب السابق : ٤٦١ ، ح١ـ٤ .
العياشي : في قوله تعالى : يسئلونك عن الروح : ٣١٧/٢ . البحار : ٢٦٥/١٨ ، ح٢٥ ، ٦٧/٢٥ـ٦٨ ، ح٤٧ـ٤٩ .
و روى الكشي (اختيار معرفة الرجال : ماروي في عبد الله بن طاووس : ٦٠٤) عن الرضا عليه السلام في الجواب عمّن سأله أن يحيى بن خالد سمّ أباه عليه السلام : ـ «قال :ـ نعم ، سمَّه في ثلاثين رطبة . قلت له : فما كان يعلم أنّها مسمومة ؟ قال : غاب عنها المحدّث . قلت : ومَن المحدِث ؟ قال : ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ و ليس كلّما طلب وجد...» البحار : ٢٤٢/٤٨ ، ح٥٠ . ٦٦/٤٩ ، ح٨٦ .
٢ ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح٢ . بصائرالدرجات : باب الروح التي قال الله تعالى : وكذلك أوحينا... : ٤٥٧ ، ح١١ . البحار : ٢٦٥/١٨ . ٦١/٢٥ .
٣ ـ بصائرالدرجات : باب الروح التي قال الله تعالى : تنزل الملائكة... : ٤٦٤ ، ح٤ .
وجاء مايشبهه عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا فيه : ح٣ والكافي ، الباب السابق ، ٢٧٤/١ ، ح٦ . البحار : ٦٤/٢٥ ، ح٤٥ـ٤٦ .

ومن جهة كثرته قال ﷺ [١] :

«أوّل ماخلق اللهُ أرواحُنا ، ثمّ خلق الملائكةَ» .

وقال ﷺ [٢] : «خلق اللهُ الأرواحَ قبل الأجساد» .

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [٣] : «إنّ الروحَ مَلَكٌ من الملائكة ، له سبعون ألف وجه ، في كلِّ وجهٍ سبعون ألف لسان ، في كلِّ لسانٍ سبعون ألف لغة ، يسبّح الله بتلك اللغات كلِّها ، ويخلق بكلِّ تسبيحة ملكٌ يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة» .

---

١ ـ كمال الدين : باب نصّ الله عزّ وجلّ على القائم : ٢٥٥ ، ح٤ . عيون الأخبار : الباب ٢٦ ، ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى ، ٢٦٢/١ ، ح٢٢ .
البحار : ٣٤٥/١٨ ، ح٥٦ . ٥٨/٥٧ ، ح٢٩ .
وجاء في تفسيرالفرات (سورة الزمر/٧٤ : ص٣٧٢) عن رسول الله ﷺ «... قلت : ياملائكة ربي ـ هل تعرفونا حقّ معرفتنا ؟ فقالوا : يانبي الله ـ كيف لانعرفكم ، وأنتم أول ماخلق الله ، خلقكم أشباح نور من نور في نور... ثم خلق السماوات والأرضين... ثم خلق الملائكة...» . البحار : ١٧٦/٥٧ ، ح١٣٥ .
وفي الكافي (كتاب الحجّة : باب مولد النبي ﷺ ووفاته : ٤٤٢/١ ، ح١٠) عن الباقر عليه السلام : «... إنّ الله أول ماخلق خلق محمّدا ﷺ و عترته الهداة المهديين ...» .

٢ ـ اختيار معرفة الرجال (ذكر سفيان الثوري : ٣٩٦) : عن الصادق عليه السلام ، عن رسول الله ﷺ . ورواه الصدوق ـ قده ـ في معاني الأخبار (باب معنى الأمانة التي... : ١٠٨ ، ح١) عن الصادق عليه السلام أيضا .
وفي بصائر الدرجات (باب في أميرالمؤمنين عليه السلام انه عرف مارأى في الميثاق : ٨٧) روي عدة روايات عن أميرالمؤمنين جاء فيها : «... خلق الله الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ..» .

٣ ـ الأسماء والصفات للبيهقي : باب ماجاء في تفسير الروح : ١٠٤/٢ . تفسير الطبري : في تفسير الآية : ﴿يسئلونك عن الروح ...﴾ : ١٠٥/١٥ .
راجع تخريجاته أيضا في الدر المنثور : تفسير الآية المذكورة : ٣٣١/٥ .

وسمّي بـ«النور» في قوله ﷺ[1] : «أوّلُ ما خَلق اللهُ نوري»، إذ به تنوّرت السماوات والأرض . و وجه الإضافة ما سبق .

و بـ«الإسم» في قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [١/٨٧] ، وقوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٧٨/٥٥] . لأنّه مظهر أسمائه الحسنى المشتمل عليها كلّها ، بل هو اسمه الأعظمُ الأعظم ، الأجلُّ الأكرمُ .

و بـ «اليمين» في قوله ـ عزّ اسمه ـ : ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [٦٧/٣٩] لشرفه وقوّته بالإضافة إلى الجسمانيّات .

و بـ«اليد» في قوله ـ عزّ ذكره ـ : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [١٠/٤٨] لكونه بمنزلة اليد في خلق العالم ؛ وباعتبار كثرته قال : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [٤٧/٥١] . وقال : ﴿ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [٧١/٣٦] . فله سبحانه أيدٍ ليست بجوارح جسمانيّة ، بل ذوات عاقلة روحانيّة عُمّالة بأمره .

---

١ ـ عوالي اللئالي : الجملة الثانية من الخاتمة ، ٩٩/٤ ، ح١٤٠ . البحار : السماء والعالم ، باب حدوث العالم . . . : ١٧٠/٥٧ ، ح١١٧ ، نقلا عن رياض الجنان لفضل الله الفارسي . وفي الكافي (كتاب الحجة ، باب مولد النبي ﷺ : ٤٤٠/١ ، ح٣) : عن الصادق ﷺ : «قال الله ـ تبارك و تعالى ـ : يامحمّد ـ إنّي خلقتك و عليّا نورا ـ يعني روحا بلابدن ـ قبل أن أخلق سماواتي و أرضي و عرشي و بحري ؛ فلم تزل تهللني . . .» . راجع أيضا : البحار : باب بدء خلقهم ﷺ : ٢٢/٢٥ .

و بـ «الحجب النوريّة» في قول النبيّ ﷺ [1] : «إنّ لله سبعا و سبعين حجابا من نور، لو كشفَها لأحرقتْ سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه». وهذا بالنظر إلى كثرته.

وفي رواية[2] : «من نور وظلمة»؛ وهي إشارة إلى جهاته المختلفة مع ما خلق منه ولأجله من الأجسام والجسمانيّات.

ولعلّ تسميته بـ«الحجب» ما سبق من أنّ الخلق حجاب للربِّ؛ كما قال مولانا الكاظم عليه السلام[3] : «ليس بينه وبين خَلقه حجابٌ غير خَلقه».

و بـ«العرش» و «الكُرسي» كما يأتي في الحديث[4] .



١ـ ورد الحديث بألفاظ مختلفة، سيما في عدد الحجب: أخرج الطبراني (المعجم الكبير، روايات سهل بن سعد: ١٤٨/٦، ٥٨٠٢): «لله عزّ وجلّ دون سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة، ومايسمع من نفسٍ شيئا من حسّ تلك الحجب إلّا زهقت».
و أورد الغزالي في الإحياء (قواعد العقائد، الفصل الثاني من كتاب الاعتقاد: ١٤٩/١): «إنّ لله سبحانه وتعالى سبعين حجابا من نور؛ لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره». وأخرج مسلم (كتاب الإيمان، الباب ٧٩: ١٦٢/١، ح٢٩٤): «... حجابه النور؛ لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره». واضيف في حديث آخر (ح٢٩٣): «من خلقه». وفي ابن ماجة (المقدمة، الباب ١٣: ٧١/١، ح١٩٦): «... حجابه النور، لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره».
وأما بلفظ المؤلف (سبعا وسبعين) فلم أعثر عليه.

٢ـ راجع ما أوردنا في التعليقة السابقة عن الطبراني.

٣ـ مضى في الصفحة: ٥١.

٤ـ راجع الفصل الثالث من هذا الباب.

وأمّا ما ورد من[1] : «أوّل ما خلق الله الماء» فأُريد به أوّل ما خلق من عالم الأجسام، واريد بالماء مادّة الأجسام، وما به قوامها .

و عن النبي ﷺ[2] : «أوّل ما خلَق الله جوهرةٌ، فنظر إليها بعين الهيبة، فذابت أجزاؤه فصارت ماءً؛ فتحرّك الماء وطفى فوقه زبدٌ، وارتفع منه دخانٌ، فخلَق السماوات من ذلك الدخان والأرضين من ذلك الزبد» .

وفي الكافي[3] عن مولانا الباقر عليه السلام ما يقرب منه؛ وهو إشارةٌ إلى كيفيّة تكثُّره ـ ويأتي الكلام فيه .

ولعلَّ تسمية ماذاب منه بـ«الماء» إنّما هي لسيلانه وقبوله التشكُّلات المختلفة بسهولة، فإنّ المخلوقات الجسمانيّة ـ كلّها ـ إنّما خُلقت به وبواسطته[4] .

١ـ التوحيد (باب التوحيد : ٦٧ ، ح ٢٠) : عن الباقر عليه السلام «... فأول شيء خلقَه من خلقِه ، الشيء الذي جميع الأشياء منه ، وهو الماء» .

٢ـ لم أعثر عليه بلفظه . وقد ورد مايقرب منه في البحار (١٥/٣٠ ، ح٤٨ . و٥٧/٢٠١ ، ح١٤٥) عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

٣ـ الكافي : الروضة ، حديث أهل الشام ، ٨/٩٤ ، ح٦٧ . وفيه أيضا (كتاب التوحيد ، باب العرش والكرسي ، ١/١٣٣ ، ح٧) عن الصادق عليه السلام : «إن الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أوسماء أوجنّ أو إنس أو شمس أو قمر ...» .

٤ـ كتب المؤلف هنا مايلي ثم شطب عليه :

و بـ«ادباره» و بـ«اقباله» كما رواه في الكافي (له بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله خَلق العقل وهو أوّل خلْق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره ، فقال له : أدبِرْ . فأدبَر ، ثمّ قال له : أقبِلْ . فأقبل ؛ فقال الله ـ تعالى ـ : خلقتُكَ خلقًا عظيمًا ، و كرّمتك على جميع خلقي . ـ قال ـ : ثمّ خلَق الجهلَ من البحر الأُجاج ظلمانيًا ، فقال له : أدبِرْ . فأدبَر ، ثمّ قال له : أقبِل ، فلم يُقبِلْ ، فقال ـ

وفي كتاب التوحيد بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام[1] : «أوّلُ شيءٍ خلقَه مِن خَلقه الشيءُ الذي جميعُ الأشياء منه ؛ وهو الماء» .

له : استكبرتَ ، فلعنه» ـ الحديث ـ
وفي رواية أُخرىٰ (* بعد ذكر الإقبال والإدبار : «ماخلقتُ خلقًا أحسن منك ، بك أُعطي وبك أمنع» . وفي أُخرىٰ (** : «و بك أُثيب ، وبك أُعاقبُ» .
ومعنى إقباله وإدباره غامضٌ جدًا لايحتمل هذا الكتاب ذكره ، وقد ذكرنا في كتاب «عين اليقين» بما لا مزيد عليه .

الكافي : كتاب العقل والجهل : ٢١/١ ، ح١٤ . المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ، باب العقل : ١٩٦/١ ، ح٢٢ . علل الشرايع : باب علة الطبايع والشهوات و المحبات : ١١٤/١ ، ح١٠ . الخصال : أبواب السبعين ومافوقه ، الحديث ١٣ : ٥٨٩/٢ . بفروق يسيرة . والراوي في الجميع سماعة بن مهران : «قال كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه ، فجرى ذكر العقل والجهل ، فقال أبوعبد الله عليه السلام : اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجنده تهتدوا . قال سماعة : فقلت جعلت فداك ـ لانعرف الا ماعرّفتنا . فقال أبو عبدالله عليه السلام : انّ الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو أول خلق . . .» ولكن رواه صاحب تحف العقول ضمن وصايا الإمام الكاظم عليه السلام لهشام (تحف العقول : وصيته عليه السلام لهشام و صفته للعقل : ٤٠٠) : « . . . يا هشام اعرف العقل و جنده ، والجهل وجنده تكن من المهتدين . قال هشام : فقلت : جُعلت فداك ـ لانعرف إلا ماعرّفتنا . فقال عليه السلام : يا هشام إنّ الله خلق العقل وهو أول خلق . . .» . وفي الروايتين اختلافات يسيرة والأظهر أنها رواية واحدة اختلطت عند الرواة .
* الكافي : ٢٨/١ ، ح٣٢ . والمحاسن : ١٩٢ ، ح٧ . واللفظ فيها : «بك آخذ ، وبك أُعطي» .
** الفقيه : باب النوادر ـ وهو آخر أبواب الكتاب ـ : ٣٦٩/٤ . وجاء في الكافي (٢٦/١ ، ح٢٦) والمحاسن (١٩٢/١ ، ح٦) بلفظ : «إياك أُثيب ، وإياك أُعاقب» .

١ ـ التوحيد : باب التوحيد : ٦٧ ، ح٢٠ .
الكافي : الروضة ، حديث أهل الشام : ٩٤/٨ ، ح٦٧ ، وفيه فروق يسيرة .

قيل: «فالشيء، خلقه من شيء، أو من لا شيء»؟ فقال عليه السلام: «خلق الشيء لا من شيء كان قبله؛ ولو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبدا؛ لم يزل الله إذا ومعه شيء. ولكن كان الله ولا شيء، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه ـ وهو الماء ـ»[1]

فصل [٢]

[العرش والكرسي والحجب]

روي في كتاب التوحيد[2] بإسناده عن أبي الصلت الهروي[3] قال:

١ـ هنا في نسخة س فصلان، ورد فيها قسم من الخطبة الأولى من نهج البلاغة (ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ... في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر) ثم ما أورده الشارح المحقق ابن ميثم البحراني شرحا للخطبة (شرح نهج البلاغة: ١٣٣/١ـ ١٤٦). وحيث أن الشرح بمتناول أيدي المراجعين، لم نر في إيراد هذه المطالب بعد إعراض المؤلف عنها فائدة، وأعرضنا عن ذكرها صونا عن التطويل.

٢ـ التوحيد: باب معنى قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وكان عرشه على الماء﴾، ٣٢٠، ح٢. عيون الأخبار: الباب ١١ ماجاء عن الرضا عليه السلام في التوحيد، ١٣٤/١، ح٣٣. ورواه الطبرسي ـ ره ـ مرفوعا (الاحتجاج: احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ٣٩٣/٢) وفيه فروق يسيرة.
البحار: ٣١٧/٣ـ٣١٨، ح١٤. ٣٤٢/١٠، ح٤. ٧٤/٥٧ـ٧٥، ح٥٠.

٣ـ عبد السلام بن صالح أبوالصلت الهروي من أصحاب الرضا عليه السلام وثقه الخاصة والعامة ـ إلا الشاذ منهم ـ وصرّحوا بأنّه من الشيعة؛ ونقل الكشي عنهم (اختيار: ٦١٥): «نقيّ الحديث ورأيناه يسمع، ولكن كان شديد التشيع»، إلا أنّ الشيخ قال (رجال الشيخ: أصحاب الرضا عليه السلام ١٤، ص٣٨٠): «عبدالسلام بن صالح الهروي، أبوالصلت عامي». وقال في باب الكني (رقم٥، ص٣٩٦): «أبو الصلت الخراساني الهروي عامي». راجع التحقيق حول هذا الكلام في معجم الرجال: ١٦/١٠.

سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (٧/١١) فقال : «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خلَقَ العرشَ والماءَ والملائكةَ قبل خلْقِ السماوات والأرض ، فكانت الملائكةُ تستدلُّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله ـ عزّ وجلّ ـ ثمّ جعلَ عرشَه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة ، فيعلموا أنّه على كلّ شيء قديرٌ ؛ ثمّ رفع العرشَ بقدرته ونقله ، فجعله فوق السماوات السبع ، وخلق السماوات والأرض في ستّة أيّام وهو مستولٍ على عرشه ؛ وكان قادرا على أن يخلقها في طرفة عين ، ولكنّه ـ عزّ وجلّ ـ خلقَها في ستّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئا بعد شيء ، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله ـ تعالى ـ ذكره ـ مرّة بعد مرّة ؛ ولم يخلق الله العرشَ لحاجة به إليه ، لأنّه غنيٌّ عن العرش ، وعن جميع ما خلَق ؛ لا يوصَف بالكون على العرش ، لأنّه ليس بجسمٍ ـ تعالى الله عن صفة خلْقِه علوّا كبيرا ...» ـ الحديث ـ

وبإسناده[1] عن أبي جعفر ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام قال : إنّ الله ـ عزوجل ـ خلق العرشَ أرباعا ، لم يخلَق قبله إلاّ ثلاثة أشياء : الهواءُ ، والقلمُ ، والنورُ ؛ ثمّ خلقَه من أنوار مختلفة[2] ، فمن ذلك النور ،

---

١ ـ التوحيد : باب أن العرش خلق أرباعا : ٣٢٥ ، ح١ . وجاء في الاختصاص : ٧٢ ، . تفسيرالقمي : في تفسير الآية ﴿ من كان في هذه أعمى ... ﴾ : ٢٣/٢ .
الكشي (اختيار : عبد الله بن عباس : ٥٤) مع إضافات في صدر الرواية وذيلها.
البحار : ٣٧٥/٢٤ . ٢٤/٥٨ـ٢٥ .
٢ ـ الاختصاص والتفسير : ثمّ خلقه من ألوان أنوار مختلفة .
الكشي : ثم خلقه من ألوان مختلفة .

نورٌ أخضر اخضرَّت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرَّت منه الصُفرة، ونور أحمر احمرَّت منه الحُمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار؛ ثمَّ جعله سبعين ألف طبق، غلظ كلِّ طبق كأوّل العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق إلاّ يسبِّح بحمد ربِّه ويقدِّسه بأصوات مختلفة، وألسنة غيرمشتبهة، ولو أُذن للسان منها فاسمع شيئا ممّا تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، ولخسفت البِحار[1] ولأهلك ما دونه[2].

له ثمانية أركان، على كلِّ ركنٍ منها[3] من الملائكة ما لايحصي عددهم إلاّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يسبِّحون الليل والنهار لايفترون، ولو حسَّ شيء ممّا فوقه ماقام لذلك طرفة عين[4]، بينه وبين الإحساس: الجبروت، والكبرياء والعَظمة، والقُدس، والرحمة، ثمّ العِلم[5]؛ وليس وراء هذا مقال[6]».

وبإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام[7] ـ في قول الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٢/٢٥٥] - قال: «علمه».

١ـ التفسير: وكشف البحار.
٢ـ التفسير والكشي: ولهلك مادونه.
٣ـ الاختصاص والكشي: يحمل كل ركن منها.
٤ـ التفسير: ولوأحسّ حسّ شيء ممافوقه. الاختصاص: ولوأحسّ شيئا ممافوقه ماأقام لذلك طرفة عين. الكشي: ولوحسَّ حسَّ شيءٍ ممافوقه ماأقام لذلك طرفة عين.
٥ـ على هامش النسخة: بالعين والقاف معا.
٦ـ «مقال» غير موجود في الكشي.
٧ـ التوحيد: باب معنى ﴿وسع كرسيّه السموات...﴾: ٣٢٧، ح١. معاني الأخبار: باب معنى العرش والكرسي: ٣٠، ح٢. البحار: ٨٩/٤، ح٢٧. ٩/٥٨، ح٦.

وفي رواية أُخرى، قال[1] : «السماواتُ والأرضُ وما بينهما في الكرسي، والعرشُ هو العلم الذي لايقدِر أحدٌ قدْرَه».

وفي رواية أُخرى[2] : «والعرش وكلُّ شيءٍ في الكرسي».

وعنه عليه السلام[3] ـ أنّه سُئل عن العرش والكرسي، ماهما؟ فقال: ـ «العرشُ في وجهٍ هو جملةُ الخلْق، والكرسيُّ وِعاؤه، وفي وجهٍ آخرٍ العرش هو العلم الذي أطلعَ اللهُ عليه أنبياءه ورسلَه وحججَه عليهم السلام؛ والكرسيُّ هوالعلمُ الذي لم يُطلِع عليه أحدا من أنبيائه و رسله و حججه عليهم السلام».

وعن مولانا سيّد العابدين عليه السلام[4] : «إنَّ في العرش تمثالَ جميع ما خلَق الله من البَرِّ والبحر» ـ قال: ـ «وهذا تأويلُ قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [١٥/٢١] ـ

وإنَّ بين القائمةِ من قوائم العرشِ والقائمةِ الثانيةِ خفَقان الطير المسرِع[5] مسيرَ ألف عام[6] ، والعرشُ يُكسى كلَّ يوم سبعين ألفَ لونٍ من نورٍ، لايستطيع أن ينظر إليه خلقٌ من خلق الله. والأشياء كلُّها في

١ـ التوحيد: الصفحة السابقة، ح٢. البحار: ٨٩/٤، ح٢٨. ٢٩/٥٨، ح٥٠.

٢ـ التوحيد: الصفحة السابقة، ح٤.

٣ـ معاني الأخبار: باب معنى العرش والكرسي: ٢٩، ح١.
عنه البحار: ٢٨/٥٨ـ٢٩، ح٤٧.

٤ـ روضة الواعظين: المجلس الثالث: ٥٩. البحار عنه: ٣٤/٥٨، ٥٤.

٥ـ خفَق الطائر، خُفوقا: طار.

٦ـ هذا المقطع من الرواية حكي في البحار (السماء والعالم: باب العرش والكرسي وحملتها: ٣٦/٥٨، ٦١) عن بيان التنزيل لابن شهرآشوب، عن الصادق عليه السلام، وفيه: «... خفقان الطير عشرة آلاف عام».

العرش كحلقة في فلاة»[1] .

---

١ ـ كتب المؤلف هنا رواية طويلة ثم شطب عليها وتوجد في نسخة س فقط ، وهي مايلي :

وفي التوحيد [باب العرش وصفاته : ٣٢١ـ٣٢٤ ، ح١ . البحار عنه : ٥٨/ ٣٠ ـ٣١ ، ح٥١] بإسناده إلى حنان بن سدير ، عن مولانا الصادق عليه السلام قال : سألته عن العرش والكرسي ؟ فقال :

« إنّ للعرش صفات كثيرةً مختلفة ، له في كلّ سببٍ وضعٌ في القرآن ، صفة على حِدة ، فقوله : ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [١٢٩/٩] يقول : المُلك العظيم . وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [٥/٢٠] يقول : على المُلك احتوى ؛ وهذا مُلك الكيفوفيّة في الأشياء .

ثمّ العرش في الوصل متفرِّد من الكرسيّ ، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب ، وهما جميعا غيبان ، و هما في الغيب مقرونان ؛ لأنّ الكرسيّ هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلَع البدع ، ومنه الأشياء كلّها ؛ و العرش هو الباب الباطنِ ، الذي يوجد فيه علمُ الكيف و الكونِ و القدَرِ و الحدِّ والأينِ ، والمشيّة ، وصفةُ الإرادةِ ، وعلمُ الألفاظِ والحركاتِ والترك ، وعلمُ العودِ والبدءِ . فهما في العلم بابان مقرونان ؛ لأنّ مُلكَ العرش سوى مُلك الكرسيّ و علمه أغيب من علم الكرسيّ ؛ فمن ذلك قال : ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [١٢٩/٩] أي صفتُه أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان» .

قلت : « جعلت فداك ـ فلِمَ صار في الفضل جار الكرسيّ » ؟ قال : «إنّه صارَ جارَه لأنّ علم الكيفوفيّة فيه ، و فيه الظاهر من أبواب البداء ، وأبنيتها ، وحدُّ رتْقها و فتْقها ؛ فهذان جاران ، أحدهما حمل صاحبه في الظرف ، وبمثل صرف العلماء ويستدلّوا على صدق دعواهما ؛ لأنّه يختصّ برحمته مَن يشاء ، و هو القويّ العزيز . فمِن اختلاف صفات العرش أنّه قال ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٢٢/٢١] وهو عرشُ وصْف الوحدانيّة لأقوام أشركوا ـ كما قلتُ لك ـ قال سبحانه : ﴿ ربّ العرش ﴾ ربّ الوحدانيّة ﴿ عمّا يصفون ﴾ . وقومٌ وصَفوه بيَدين ، فقالوا : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [٦٤/٥] . و قومٌ وصَفوه بالرجلين ، فقالوا : « وضَعَ رِجلَه على صخرةِ بيت المقدّس ، فمنها ارتقى إلى السماء » ؛ و وصَفوه بالأنامل فقالوا : إنّ محمدا صلى الله عليه وآله قال : «إنّي وجدتُ بَرْدَ أنامله على قلبي» . فلِمثل هذه الصفات قال : ﴿ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ يقول : ربّ المَثَل الأعلى عمّا به ـ

وبإسناده[1] إلى زيد بن وهب[2] ، أنّه قال: سُئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن الحجُب ؟ فقال: «أوّلُ[3] الحُجُبِ سَبعةٌ ، غِلظُ كلِّ حجابٍ منها

مثْلوه ، ﴿ وَ للهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٦٠/١٦] الذي لايُشبهه شيءٌ ولايوصف و لايتوهَّم ، فذلك المَثَل الأعلى ، و وصَف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم ، فوصَفوا ربّهم بأدنى الأمثال وشبّهوه بالمتشابه منهم فيما جهلوا به ؛ فلذلك قال: ﴿ وَ مَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [٨٥/١٧]. فليس له شِبهٌ ولا مِثلٌ ولا عِدْلٌ ، وله ﴿ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ التي لايسمّى بها غيره ، وهي التي وصَفها في الكتاب فقال: ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[١٨٠/٧] جهلا بغيرعِلم ، فالذي يُلحد في أسمائه بغير علم يُشرك وهو لايعلم ويَكفر به ـ وهو يظنُّ أنّه يُحسن ـ فلذلك قال: ﴿ وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [١٠٦/١٢] فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم ، فيضعونها غيرمواضعها.

ـ ياحَنّان ـ إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أمرَ أن يتخذ أقوام أولياء ، فهم الذين أعطاهم الله الفضلَ ، وخصّهم بما لم يخصّ به غيرَهم ، فأرسل محمدا صلى الله عليه وآله فكان الدليلَ على اللهِ بإذن الله ـ عزّ وجلّ ـ حتّى مضى دليلاً هاديا ؛ فقام من بعده وصيُّه عليه السلام دليلا هاديا ، على ماكان هو دلّ عليه من أمر ربّه من ظاهر علمه ؛ ثمّ الأئمةُ الراشدون عليهم السلام ».

١ـ التوحيد: باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله: ٢٧٨ ، ح٣. الخصال: باب السبعة ، ح١٠٩ ، ٤٠١/٢ . البحار عنها: ٣٩/٥٨ـ ٤٠ ، ح١.

٢ـ عدّه الشيخ في رجاله (رقم٦ ، ص ٤٢) من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام قائلا: «زيد بن وهب الجهني ، كوفي» وقال في الفهرست (ص ١٤٨): «زيد بن وهب ، له كتاب خطب أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر في الجُمع والأعياد و غيرها...». وقال الذهبي (سير أعلام النبلاء: ١٩٦/٤): «زيد بن وهب ، الإمام الحجة ، أبوسليمان الجهني الكوفي ، مخضرمٌ قديمٌ ، ارتحل إلى لقاء النبي صلى الله عليه وآله وصحبته ، فقبض صلى الله عليه وآله وزيد في الطريق على مابلغنا... توفي بعد وقعة الجماجم ، في حدود سنة ثلاث وثمانين». وحكى ابن الأثير (أسد الغابة (١٥٠/٢ ، الترجمة ١٨٧٩): «... انه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ ، الذين ساروا إلى الخوارج...».

راجع أيضا معجم الرجال: ٣٦٠/٧. طبقات ابن سعد: ١٠٢/٦. حلية الأولياء: ١٧١/٤ـ ١٧٤. تذكرة الحفاظ: ٦٢/١. غاية النهاية: ٢٩٩/١.

٣ـ «أوّل» ساقط من الخصال.

مسيرةُ خمسمأة عامٍ، بين كلِّ حجابين مَسيرةُ خمسمأة عامٍ. والحجاب الثاني سبعون حجاباً، بين كلِّ حجابين منها مسيرةُ خمسمأة عامٍ، وطولُه خمسمأة عامٍ، حَجَبةُ كلِّ حجاب منها سبعون ألف ملك، قوّةُ كلِّ ملك منها قوّةُ الثقلين؛ منها ظلمةٌ، ومنها نورٌ، ومنها نارٌ، ومنها دخانٌ، ومنها سحابٌ، ومنها برقٌ، ومنها مطرٌ، ومنها رعدٌ، ومنها ضوءٌ، ومنها رملٌ، ومنها جبلٌ، ومنها عجاجٌ، ومنها ماءٌ، ومنها أنهارٌ وهي حجبٌ مختلفةٌ، غِلظُ كلِّ حجابٍ مسيرةُ سبعين ألف عام.

ثمّ سُرادقات الجلال، وهي سبعون سُرادقا[1]، في كلِّ سُرادق سبعون ألف مَلَك، بين كلِّ سُرادقٍ وسُرادقٍ مسيرةُ خمسمأة عامٍ، ثمّ سُرادق العزِّ، ثمّ سُرادق الكبرياء، ثمّ سُرادق العظمة، ثمّ سُرادق القدس، ثمّ سُرادق الجبروت، ثمّ سُرادق الفخر، ثمّ سرادق النور الأبيض، ثمّ سُرادق الوحدانيّة، وهو مسيرةُ سبعين ألف عامٍ في سبعين ألف عامٍ، ثمّ الحجاب الأعلى».

وانقضى كلامه عليه السلام وسكت. فقال له عمر: «لابَقيتُ ليومٍ لاأراك فيه يا أبا الحسن».

قال ابن الفارسي[2]: «إنّما هذه الحجُب مضروبةٌ على العظمة العليا

١ـ الخصال: «ستون سرادقا». السرادق: الفسطاط.

٢ـ لم يتضح المقصود من «ابن الفارسي» والمنقول مقتبس مما قاله الصدوق ـ قده ـ بعد نقل الرواية في الخصال (ص ٤٠١) قائلا: «قال مصنف الكتاب ـ رضي الله عنه ـ: ليست هذه الحجب مضروبة على الله عزّ وجلّ ـ تعالى الله عن ذلك ـ لأنه لايوصف بمكان. ولكنها مضروبة على العظمة العليا من خلقه التي لايقادر قدرها ـ

من خلق الله التي لايقدّر قدرُها، وليست مضروبةً على الله ـ تعالى ـ لأنّه تعالى لايوصَف بمكان، ولا أنّه مستترٌ بحجابٍ».

فصل [٣]

اعلم أنّ صور جميع ما أوجده الله ـ سبحانه ـ من ابتداء العالم إلى آخره منتقشةٌ في العالم العقلي ـ أي الخَلق الأوّل ـ نقشا لايشاهَد بهذه العين، بل حاصلةٌ فيه على وجه بسيط عقلي، مقدّسٍ عن شائبة كثرة وتفصيل، وهو صورةُ القضاء الإلهي، وكأنّه إليه أُشير بقوله عزّوجلّ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [٢١/١٥].

وبقول مولانا زين العابدين عليه السلام:

«إنّ في العَرشِ تمثالَ جميعِ ما خلَق الله».

وهو بهذا الاعتبار، يسمّى بـ«أُمّ الكتاب»، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٤/٤٣]. ومنه يُنتقش في لوح

غيره ـ تبارك و تعالى».

والرواية غير محتاجة إلى هذا البيان، إذ الاحتجاب لايختصّ بالمكانيّ أو الماديّ، بل حجاب كل موجود بحسبه، ومن الواضح المتيقّن عند الجميع استحالة الوصول إلى كنه ذاته تعالى لخلقه، فبينَه وبين الخلق حجابٌ ـ أو حجبٌ ـ لايمكن ارتفاعُه لأحد، وإن كان هناك حُجبا قديرتفع للبعض دون آخرين فيعبر عنها، ويقرب إليه تعالى، كما قد يتّفق لكل من يشتغل بعبادة ناويا التقرب إليه تعالى وكما كان لنبيّنا صلى الله عليه وآله من العبور عن الحُجب الكثيرة العظيمة ليلة المعراج حتى ﴿دنى فتدلّى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.

راجع أيضا ما أورده المؤلف في توضيح الحجاب في الوافي: ١/٤٠٨ـ٤٠٩.

النفوس الكليّة السماويّة، كما ينتسخ بالقلم في اللوح صورٌ معلومةٌ مضبوطةٌ، منوطة بعللها وأسبابها ـ على وجه كلّيّ ـ وهي قدَرُه تعالى، كما قال: ﴿ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٢١/١٥].

ومن هذه النفوس الكلّية ينتقش في قواها المنطبعة الخياليّة، نقوشٌ جزئيّةٌ، متشخّصةٌ بأشكال وهيئات معيّنة، على طبق ما يظهر في الخارج.

وهذا العالَم هو لوحُ القدَر، كما أنّ عالَم النفوس الكليّة هو لوحُ القضاء، وكلٌّ منها ـ بهذا الاعتبار «كتابٌ مبينٌ»: ﴿ وَ لَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٥٩/٦]. ﴿ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٦/١١]. ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [٢٢/٥٧]. ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [٣٨/١٣].

إلّا أنّ الأوّل محفوظٌ من المحو والإثبات: ﴿ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٩/١٥]. ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [٢٢/٨٥]

والثاني كتاب المحو والإثبات: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [٣٩/١٣] ـ يعني اللوحَ المحفوظِ.

والثاني ـ أيضا ـ هو السماء الدنيا، التي تنزل إليها الكائنات أوّلاً من غيب الغيوب ثمّ تظهر في عالم الشهادة؛ كما ورد في الخبر[١] وهو عالَم

١.. راجع ما مضى في الفصل السابق.

الملكوت العمّالة بإذن الله، المسخّرة بأمره، المدبِّرة لأمور العالَم بإعداد الموادِّ، وتهيئة الأسباب، ومنه ينزل الشيءُ المعيَّن الخارجي الضروريّ الوجود عند تحقُّق وقته: ﴿ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [١٥/٢١].

فمنه تنزّل الشرايعُ والصُحف والكتب على الأنبياء والرسل ﷺ نجوما. ولِما فيه من المحو والإثبات يصحُّ البداء منه سبحانه، والتردُّد في الأمر ـ كما ورد في الأحاديث الصحيحة المستفيضة.

[المحو والإثبات والبداء]

فإن قلت[1]: ما السبب في المحو والإثبات؟ وما الحكمة فيها؟ وكيف تصحُّ نسبةُ البداء والتردُّدِ وإجابةِ الدعاء ونحو ذلك إلى الله ـ سبحانه ـ مع إحاطة علمه بكلِّ شيء أزلا وأبدا ـ على ما هو عليه في نفس الأمر ـ وتقدُّسه عمّا يوجب التغيُّرَ والسُنوحَ ونحوهما؟

فاعلم: أنّ القُوى المنطبعة الفلكيّة لم تُحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعةً واحدة ـ لعدم تناهيها ـ بل إنّما تنتقش فيها الحوادثُ شيئا فشيئا، وجملةً فجملةً، مع أسبابها وعللها، على نهج مستمرٍّ، ونظامٍ مستقرٍّ؛ فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخّرة لله ـ تعالى ـ ونتائج بركاتها، فهي تعلم أنّه كلّما كان كذا، كان كذا؛ فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر مّا في هذا العالم حكَمَت بوقوعه فيه، فينتقش فيها ذلك الحكمُ، وربّما تأخّر بعضُ

---

١ ـ عين اليقين: ٣١٩. الوافي: ١/٥٠٧ـ٥١٠.

الأسباب الموجِب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقيّةُ الأسباب ـ لولا ذلك السبب ـ ولم يحصل لها العلمُ بذلك السبب بعدُ، لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب، ثمّ لمّا جاء أوانُه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأوّل، فيمحى عنها نقشُ الحكم السابق، ويثبت الحكم الآخر.

مثلا: لمّا حصل لها العِلم بموت زيدٍ، بمرض كذا، في ليلةِ كذا، لأسبابٍ تقتضي ذلك؛ ولم يحصل لها العِلم بتصدُّقه الذي يأتي به قُبيل ذلك الوقت ـ لعدم اطلاعها على أسباب التصدُّق بعدُ ـ ثمّ عَلِمت به ـ وكان موتُه بتلك الأسباب مشروطا بأن لايتصدّق ـ فتحكم أوّلا بالموت، وثانيا بالبُرء. وإذا كانت الأسبابُ لوقوع أمرٍ ولا وقوعه متكافئةً، ولم يحصل لها العِلم برجحان أحدهما بعدُ ـ لعدم مجيءِ أوان سبب ذلك الرجحان بعدُ ـ كان له التردُّد في وقوع ذلك الأمر و لاوقوعه، فينتقش فيها الوقوع ـ تارةً ـ واللاوقوع أُخرىٰ؛ فهذا هو السبب في المحو والإثبات والحِكمة فيها.

* * *

وأمّا صحّةُ نسبةِ البداء والتردُّد وأمثالهما إلى الله ـ سبحانه ـ مع إحاطة علمه ـ عزّ وجلّ ـ بالكليّات والجزئيّات جميعا ـ أزلا وأبدا ـ على ما هي عليها في الواقع، من غير تطرُّقِ تغيُّرٍ وسُنوحٍ في ذاته ـ عزّ وعلا ـ فالوجه فيه ما ذكره بعضُ المحقّقين ـ قدّس سرُّه ـ قال[1]:

١ـ صدرالمتألهين ـ كما صرح به المؤلف ـ قده ـ في عين اليقين ـ راجع شرح الكافي لصدر المتألهين: الحديث الأول من باب البداء (ص ٣٨١) ملخصا. وأيضا: الأسفار الأربعة: ٦/٣٩٥ـ٣٩٩.

« لمّا كان ما يجري في العالم الملكوتي إنّما يجري بإرادة الله سبحانه، بل فِعلُهم بعينه فِعلُ الله تعالى، حيث أنّهم ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦/٦٦]، إذ لاداعي لهم على الفعل إلاّ إرادة الله ـ جلّ وعزّ ـ لاستهلاك إرادتهم في إرادته ـ تعالى ـ ومَثَلهم كَمَثل الحواسّ للإنسان: كلّما همّ بأمرٍ محسوس امتثلت الحاسّةُ لِما هَمّ به وأرادتْهُ دفعةً، فكلُّ كتابةٍ تكون في هذه الألواح والصُحف فهوأيضا مكتوب الله ـ عزّ وجلّ ـ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل.

فيصحُّ أن يصف اللهُ عزّ وجلّ نفسَه بالنسخ والبداء والتردُّد وإجابة الدعاء والابتلاء ونحوها بهذا الاعتبار، وإن كان مثلُ هذه الأُمور يشعر بالتغيُّر والسُنوح، وهو ـ سبحانه ـ منزَّهٌ عنه، فإنّ كلّ ماوُجِد أو سيوجَد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته. كما ورد في الحديث[1] :

« إنّ الله لا يأسف كأسفِنا ، إلاّ أنّه خَلَق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون ـ وهم مخلوقون مربوبون ـ فجعل رضاهم رضا نفسِه، وسخطَهم سخطَ نفسه».

ـ قال:ـ

ولو لم يكن الأمر كذلك ـ من توسيط هذه النفوس القابلة

١ـ الكافي باب النوادر من كتاب التوحيد، ١/١٤٤، ح٦. التوحيد: باب معنى رضاه عزّ وجلّ وسخطه: ١٦٨، ح٢. معاني الأخبار: نفس الباب: ١٩، ح٢. البحار: ٤/٦٥، ح٦.

لتعاقب الصور الإراديّة منها ، على حسب توارد الأرقام القلميّة عليها ـ لكانت الأُمور كلُّها حتما مقضيًا ، وكان الفيضُ الإلٰهي مقصورا على عدد معيّنٍ غير متجاوزٍ عن حدود الإبداع ، و كان قدانسدَّ طرُقُ الاهتداء للسالكين ، وإجابة الدعاء للداعين .

أقول : ليس حكمُ النسخ حكمُ البداء ، إلاّ إذا كان عبارة عن رفع الحكم السابق ، وأمّا إذا كان عبارةً عن انتهاء مدّة الحكم ـ كما هو التحقيق ـ فلا مدخل للمحو والإثبات فيه أصلا .

والدعاءُ ـ أيضا ـ يجرى فيه نظير الأمرين ، فليتدبّر .

***

وأمّا سبب الاطلاع على البداء ونحوه : فهو اتّصالُ نفس النبيّ أو الوليّ بالملائكة العمّالة ـ بإذن الله ـ وقراءتهم ما كتب في قلوبهم ؛ مما أوحى الله إليهم فيُخبرون بما رأوه بأعين قلوبهم ، أو شاهَدوه بأنوار بصائرهم أو سمعوه بآذان قلوبهم من صرير أقلام أُولٰئك الكرام ، ثمّ إذ اتّصلت أنفسُهم بها تارةً أُخرى . ورأوا في تلك الألواح غير مارأوه أوّلا ، وغير ما ناسبته الصور السابقة ، فيقال لِمثل هذا الأمر : «البداء» وما أشبهها .

فصل [٤]

[البداء في الروايات]

اعلم أنّ القول بجواز البداء على الله ـ عزّوجلّ ـ من خواصّ أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ وشيعتهم ـ رضي الله عنهم ـ :

روي في كتابي الكافي والتوحيد[1] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال : «ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ مثل البداء» .

وفي رواية صحيحة عنه عليه السلام[2] : «ما عُظِّم اللهُ بمثل البداء» .

وفي أُخرى صحيحة[3] ـ في هذه الآية : ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ

١ـ الكافي : باب البداء ، ١٤٦/١ ، ح١ ، عن أحدهما عليهما السلام .
التوحيد : باب البداء : ٣٣٢ ، ح١ . عنه البحار : ١٠٧/٤ ، ح١٩ .

٢ـ الكافي : الصفحة السابقة (ح١) .
التوحيد : باب البداء : ٣٣٣ ، ح٢ . عنه البحار : ١٠٧/٤ ، ح٢٠ .

٣ـ الكافي : ١٤٧/١ ، ح٢ . التوحيد : الصفحة السابقة ، ح٤ . عنه البحار : ١٠٨/٤ ، ح٢٢ . العياشي : سورة الرعد ، الآية ٣٩ ، ٢١٥/٢ ، ح٦٠ ، بتقديم وتأخير في اللفظ . عنه البحار ١١٨/٤ ، ح٥٣ .
والرواية صحيحة على اصطلاح المؤلف ـ راجع الأُصول الأصيلة : ٥٨ ـ وإلا فقد نصّ المجلسي (مرآة العقول : ١٣٧/٢) في هذه وتاليتها على أنها حسنتان .
ثم إنه ورد الرواية ـ بلفظها مع إضافات ـ عن الإمام العسكري عليه السلام أيضاً ، رواها الراوندي في الخرائج (أعلام الإمام العسكري عليه السلام : ٦٨٧/٢ ، ح١٠) عنه البحار : ٩٠/٤ ، ح٣٣ و ٢٥٧/٥٠ ، ح١٤ : «ومنها ماقال أبوهاشم : سأله محمّد بن صالح الأرمني عن قوله تعالى : يمحو الله . . . فقال : هل يمحو إلا ماكان ؟ وهل يثبت إلا مالم يكن ؟ فقلت في نفسي : «هذا خلاف قول هشام بن الحكم : إنه لايعلم بالشيء حتّى يكون» . فنظر إليّ ، فقال : « تعالى الجبّار العالم بالأشياء قبل كونها» . ـ

وَيُثْبِتُ﴾ [١٣/٣٩] قال ـ : «وهل يُمحي إلاّ ما كان[1] ، وهل يُثبت إلاّ ما لم يكن» ؟ .

وفي أُخرى صحيحة[2] قال : «مابعث اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ نبيًا حتّى أخذَ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبوديّة ، وخلع الأنداد ، وأنّ اللهَ يقدِّم مايشاء ويؤخِّر ما يشاء» .

وقال[3] : «لويعلم الناسُ مافي القول بالبداء من الأجر ، ما فتروا عن الكلام فيه» .

وقال[4] : «إنّ الله لم يبدُ له من جهل» .

وفي رواية صحيحة[5] : «مابدا الله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدو له» .

قلت : أشهد أنّك حجّة الله » . رواه أيضا الطوسي في الغيبة : ٤٣٠ ، ح٤٢١ ، الإربلي (كشف الغمة : ذكر الإمام الحاديعشر : ٢٠٩/٣) وأُضيف فيه : «الخالق إذ لامخلوق ، والربّ إذ لامربوب ، والقادر قبل المقدور عليه » . الثاقب في المناقب : الفصل الثاني من الباب الرابع عشر : ٥٦٦ .

١ـ الكافي : وهل يمحي إلا ماكان ثابتا . . . التوحيد : وهل يمحو الله إلا ماكان . . .

٢ـ الكافي والتوحيد : الصفحتان السابقتان . المحاسن : باب مالايسع الناس جهله : ٢٣٣/١ـ٢٣٤ ح١٨٩ . وفيه : « . . . وأن الله يمحو مايشاء ويثبت» . العياشي : ٢١٥/٢ ، ح٥٧ ، وفيه : «ثلاث خلال» بدل «ثلاث خصال» . البحار عن التوحيد والمحاسن والعياشي : ١٠٨/٤ ، ح٢١ . وروى العياشي أيضا (نفس الصفحة) مافي معناه عن العسكري عليه السلام . وعنه البحار : ١٠٨/٤ ، ح٢١ .

٣ـ الكافي : باب البداء : ١٤٨/١ ، ح١٢ . التوحيد : ٣٣٤ ، ح٧ .
البحار عنه : ١٠٨/٤ ، ح٢٦ .

٤ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح١٠ .

٥ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح٩ .

وفي الصحيح عن مولانا الباقر عليه السلام قال[1] : «العلم علمان : فعلمٌ عندالله مخزونٌ لم يطلع عليه أحدا من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكتَه ورسلَه ؛ فما علّمه ملائكتَه ورسلَه فإنّه سيكون لا يكذِّب نفسَه ولاملائكته ولا رسلَه ؛ وعلمٌ عنده مخزونٌ، يقدِّم منه مايشاء ويؤخِّر مايشاء، ويثبت مايشاء».

ومثله عن مولانا الصادق[2] وجدّ هما.

وعن مولانا الرضا عليه السلام[3] في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ [٥١/٥٤] - قال :ـ «أراد إهلاكهم، ثمّ بدا لله، فقال : ﴿ وَ

١ـ الكافي : باب البداء : ١٤٧/١، ح٦. المحاسن : باب العلم : ٢٤٣/١، ح٢٣١، مع فرق يسير. العياشي : سورة الرعد، الآية ٣٩، ٢١٧/٢، ح٦٧. البحار عن المحاسن والعياشي : ١١٣/٤، ح٣٦.
ورواه العياشي بلفظ آخر أيضا : ٢١٦/٢، ح٦٣. عنه البحار : ١١٩/٤، ح٥٦.

٢ـ حكى الرضا عن جده الصادق عليه السلام أنه قال : «إنّ لله عزّ وجلّ علمين : علما مخزونا مكنونا لايعلمه إلا هو ـ ومن ذلك يكون البداء ـ وَ علما علّمه ملائكته ورسله ، فالعلماء من أهل بيت نبوّته يعلمونه» ؛ رواه الصدوق ـ قده ـ في التوحيد : باب مجلس الرضا عليه السلام مع المروزي : ٤٤٣. والعيون : ١٨١/١، ح١. البحار عن الكتابين : ٣٣١/١٠. وفي بصائرالدرجات (باب في الأئمّة عليهم السلام أنه صار إليهم جميع العلوم ... : ١٠٩، ح٢) عن الصادق : «إنّ لله علمين : علم مكنون مخزون، لايعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء ؛ وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبيائه، ونحن نعلمه».

٣ـ التوحيد : باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي : ٤٤٣.
العيون : ١٨١/١. البحار عن الكتابين : ٣٣٠/١٠.
و أورد الراوندي ما يقرب من القصة في قصص الأنبياء (الباب السادس عشر، فصل ٢، ٢٤١) وفيه أن النبي حزقيل. والبحار عنه : ٣٨٢/١٣، ح٣. و١١٢/٤، ح٣٣. ونقل الراوندي مايقرب منه (الباب السابع عشر، ٢٤١) في ذكر شعيا النبي، البحار عنه : ١٦١/١٤، ح٢.

ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥١/٥٥] » .

ثمّ قال ﷺ : «لقد أخبرني أبي عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليهم ـ قال ـ : «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن أخبر فلان المَلِك أنّي متوفّيه إلى كذا وكذا ؛ فأتاه ذلك النّبيُّ فأخبَره ؛ فدعا اللهَ المَلِكُ ـ وهو على سريره ـ حتّى سقط من السرير ، فقال : يارَبِّ أجّلني حتّى يشبَّ طفلي وأقضي أمري ؛ فأوحى الله إلى ذلك النبيّ أن ائتِ المَلِكَ فأعلِمه أنّي قدأنسيت في أجله ، وزدتُ في عمره خمس عشرة سنة . فقال ذلك النبيُّ : «يارَبِّ إنّك لتعلم أنّي لم اكذب قطُّ» . فأوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ : إنّما أنتَ عبدٌ مأمورٌ ، فأبلغه ذلك ، والله لايُسئل عمّا يفعل» .

أقول : هذا الخبرُ لا ينافي قولَ الباقر ﷺ ـ في الحديث السابق :ـ «فما علّمه ملائكتَه ورسلَه ، فإنّه سيكون ، لايكذّبُ نفسَه ولا ملائكتَه ولارسلَه» ؛ لأنّ مثل ذلك ليس فيه تكذيبٌ في الحقيقة ، فإنّ إخبارهم بالشيءِ قديكون من اللوح المحفوظ ، فيكون حتما ، وقد يكون من لوح المحو والإثبات ، فيكون موقوفا ، ولايحكمون في الثاني على القطع ، إلاّ نادرا ؛ يدلُّ على ذلك حديث أشراط الساعة ـ كما يأتي ذكرُه في بابه ـ إن شاء الله ـ .

والأخبار في البداء عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كثيرةٌ .

و أمّا نسبةُ التردُّد إلى الله ـ سبحانه ـ فمتّفقٌ عليه بين الخاصّة والعامّة .

وقد ورد في الحديث القدسيّ[1] :

«ما تـردّدتُ في شيء أنا فـاعـلُه كـترددُي في قبض روح عـبـدي المؤمن، يكره الموت ، وأكره مسائة له، ولابدّ له منه» .

مع أنّه قد قضي عليه الموت قضاء حتما، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [٢/٦] - وقال :- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٣٤/٧] .

* * *

* *



١ـ الحديث متّفق عليه ، رواه العامّة والخاصّة مع اختلافات يسيرة لفظية ؛ راجع : الكافي : كتاب الإيمان و الكفر ، باب من آذى المسلمين واحتقرهم : ٣٥٢/٢ ح٧ و٨ . و٣٥٤/٢ ، ح١١ . التوحيد : باب أن الله لايفعل بعباده الا الأصلح لهم : ٣٩٩ ، ح١ . علل الشرايع : الباب ٩ ، علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم : ١٢/١ ، ح٧ . المحاسن : كتاب الصفوة والنور ، باب الانفراد : ١٥٩/١ـ ١٦٠ ، ح٩٩ . وكتاب مصابيح الظلم ، باب المحبوبات : ٢٩١/٢ ، ح٤٤٣ . المؤمن : باب ماخصّ الله به المؤمنين من الكرامات :٣٢ـ ٣٣ ، ح٦١ـ ٦٣ . البحار : ٢٨٣/٥ ، ح٣ . ١٦٠/٦ ، ح٢٤ . ٦٥/٦٧ـ ٦٦ ، ح١٤ و٢٣ . ١٤٨/٦٧ ، ح٥ـ ٦ . ١٥٤/٦٧ ، ح١٥ . ٢٢/٧٠ ، ح٢١ . ١٥٥/٧٥ ، . و١٥٩ . ٧/٨٦ ، ح٧ .
البخاري : الرقاق ، باب التواضع : ١٣١/٨ . المسند : ٢٥٦/٦ . حلية الأولياء : ٥/١ . المعجم الكبير (ماترددت عن شيء . . .) : ١١٣/١٢ ، ح١٢٧١٩ . الأسماء والصفات : باب ماجاء في التردد : ٢٥١/٢ .

فصل [٥]

قال بعض العارفين[١] :

«ومن هذه الحقيقة الإلٰهيّة التي كنّى عنها بالتردُّد انبعث التردُّدات الكونيّة، والتحيُّر في النفوس، وذلك أنّا قد نتردّد في أمرنا ـ هل نفعله أم لا ؟ ـ ومازلنا نتردّد حتّى يكون أحد الأُمور المتردّد فيها . فذلك الأمر الواقع هو الثابت في اللوح من تلك الأُمور ؛ وذلك أنّ القلم الكاتب في اللوح القدريّ، يكتب أمرا مّا ، وزمان الخاطر ، ثمّ يمحوه ، فيزول ذلك الخاطر ؛ لأنّ من هذا اللوح إلى النفوس رقائق ممتدّة إليها ، تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها ، فإذا صار الأمرُ محوًّا كتب غيره ، فتمتدُّ منه رقيقة إلى نفس هذا الشخص ـ الذي كُتب هذا من أجْله ـ فيخطر له خاطر نقيض الخاطر الاوّل ؛ وهكذا إلى أن أراد الحقُّ إثباته ، فلم يُمحه ؛ فيفعله الشخص أو يتركه ـ حسب ماثبت في اللوح»[٢] .

والموكّل بالمحو ملكٌ كريمٌ ، والإملاءُ عليه من الصفة الإلٰهيّة . ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت الأُمورُ كلُّها حتما مقضيًا ـ وهذا شأن الأقلام القدريّة ـ .

١ـ ملخص مما جاء في الفتوحات المكيّة : الباب السادس عشر وثلاثمأة : ٦١/٣ .

٢ـ كتب في النسخة مايلي ثم شطب عليه : «فإذا فعله وتركه وانقضى محاه الحقُّ من كونه محكوما بفعله ، وأثبت صورةَ عملٍ ، قبيحٍ أو حسنٍ ، على قدر ما يكون ؛ ثمّ إنّ القلمَ يكتب أمرا آخرا ـ وهكذا إلى غير النهاية» .

وأمّا القلم الأعلى فأثبت في اللوح المحفوظ صورةَ كلِّ شيءٍ يجري من هذه الأقلام ـ من محوٍ وإثباتٍ ـ ففيه إثباتُ المحو، وإثباتُ الإثبات، ومحوُ المحو، ومحوُ الإثبات على وجه أرفع؛ فصورتُه مقدّسةٌ عن المحو والتغيُّر، لأنّ نسبة القلم الأعلى إلى هذه الأقلام كنسبة قوّتنا العقليّة، إلى مشاعرنا الخياليّة و الحسيّة، و نسبة اللوح المحفوظ إلى هذه الألواح كنسبة الإرادة الكليّة لمطلوبٍ نوعيٍّ، إلى إرادات جزئيّةٍ وقعت في طريق تحصيله في ضمن واحد منه.

فصل [٦]

[الحكم، التدبير، القضاء، القَدَر]

قد ظهر ممّا ذكرنا معنى حكم الله ـ عزّ وجلّ ـ وقضائِه وقدَرِه:

فإنّ تدبيرَه أصل وضع الأسباب وترتيبها ليتوجّه إلى المسبّبات حكمُه ـ تعالى ـ.

و نصبَه الأسبابَ الكليّة الأصلية الثابتة المستقرّة، التي لاتزول و لاتحول ـ كالأرض، والسماوات السبع والكواكب والأفلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لاتتغيّر ولا تنعدم ـ إلى أن يبلغ الكتابُ أجلَه: قضاؤه ـ عزّ وجلّ ـ كما قال تعالى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [١٢/٤١].

وتوجيه هذه الأسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدّرة المحسوبة إلى المسبّبات الحادثة منها ـ لحظةً بعد لحظةٍ ـ قَدَرُه.

فالحكمُ هو التدبير الأوّلُ الكلِّي والأمرُ الاوّليّ الذي هو ﴿ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/٥٠].

والقضاءُ هو الوضعُ الكلِّي للأسباب الكلِّية الدائمة.

والقدَرُ هو توجيه الأسباب الكلِّية بحركاتها المقدَّرة المحسوبة، إلى مسبّباتها المعدودة المحدودة بقَدرٍ معلومٍ، لايزيد و لاينقص، ولذلك لايخرج شيءٌ عن قضائه وقَدَره.

والكلُّ إنّما يوجَد بأمر ﴿ كُنْ ﴾، فإنّ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن ﴾ بلا حرفٍ ولاصوتٍ، بل بالمعنى الذي يليقُ بجلاله ﴿ فَيَكُونُ ﴾ [٢/١١٧] كما أراد.

فصل [٧]

قال بعضُ الحكماء ما محصَّله[1]:

«إنّ وجودَ العالَم عن الباري ـ جلّ شأنُه ـ ليس كوجود الدار عن البنّاء، ولا كوجود الكتابة عن الكاتب ـ الثابتةِ العين، المستقلّةِ بذاتها، المستغنيةِ عن الكاتبِ بعد فراغه ـ ولكن كوجود الكلام عن المتكلِّم، إن سكت بطل الكلامُ؛ بل كوجود ضوء الشمس في الجوِّ المظلَم الذات مادامت الشمسُ طالعة، فإن غابت الشمسُ بطل الضوءُ من الجوِّ، لكنَّ شمس الوجود يمتنع عليه العدمُ لذاته.

١ـ الأسفار الأربعة: الفصل الخامس عشر من المرحلة الخامسة: ٢١٦/٢ و٢١٥.
راجع أيضا عين اليقين: ٣٢٠.

وكما أنّ الكلام ليس جزء المتكلّم ـ بل فعلُه وعملُه، أظهرَه بعد ما لم يكن ـ وكذا النور الذي يُرى في الجوّ، ليس بجزء الشمس، بل هو انبجاسٌ وفيضٌ منها. فهكذا الحكم في وجود العالَم عن الباري ـ جلّ ثناؤه ـ ليس بجزء من ذاته، بل فضلٌ وفيضٌ يتفضّل به ويفيض.

إلاّ أنّ الشمسَ لم تقدر أن تمنع نورَها وفيضَها، لأنّها مطبوعةٌ على ذلك؛ بخلافه ـ عزّ وجلّ ـ فإنّه مختارٌ في أفعاله بنحو من الاختيار أجلّ وأرفع ممّا يتصوّره الجهّال، وأشدّ وأقوى من اختيار مثل المتكلِّم القادر على الكلام ـ إن شاء تكلّم وإن شاء سكت ـ فهو عزّ وجلّ إن شاء أفاضَ جودَه وفضلَه وأظهر حكمته، وإن شاء أمسكَ؛ ولو أمسكَ طرفةَ عينٍ عن الإفاضة والتوجُّه، لتهافتت السماواتُ، وبادت الأفلاكُ، وتساقطت الكواكبُ، وعدمت الأركانُ، وهلكت الخلائقُ، و دثر العالمُ دفعةً واحدةً، بلا زمان؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [٣٥/٤١].

فصل [1] [٨]

[المأثور في القدر وأعمال العباد]

روي في كتاب التوحيد[2] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام ـ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَ قَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [٦٤/٥] ـ: «لم يعنوا أنّه هٰكذا، ولكنّهم قالوا: قد فرغ من الأمر، فلايزيد ولاينقص؛ فقال الله ـ جلّ جلاله ـ تكذيبا لقولهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [٦٤/٥]؛ ألم تسمع الله عزّوجلّ يقول: ﴿يَمْحُوا ٱللهُ مَايَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾ [٣٩/١٣]».

وبإسناده[3] عن مولانا الرضا عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام ـ قال: ـ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ ٱلله ـ عزّ وجلّ ـ قدّرَ المَقاديرَ ودبّرَ التدابيرَ قبل أن يخلق آدم بألفي عام»».

وفي رواية أُخرى[4]: «قدّر الله المقاديرَ قبل أن يخلق السماواتِ و الأرضَ بخمسين ألف سنة».

١ـ عين اليقين: ٣١٩ـ٣٢٠.

٢ـ التوحيد: باب معنى قوله تعالى ﴿قالت اليهود...﴾: ١٦٧، ح١. معاني الأخبار: باب معاني ألفاظ وردت...: ١٨، ح١٥. البحار عنها: ١٠٤/٤، ح١٧.

٣ـ التوحيد: باب القضاء والقدَر: ٣٧٦، ح٢٢. العيون: باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد: ١٤٠/١، ح١٤٠. البحار: ٩٣/٥.

٤ـ التوحيد: الباب السابق: ٣٦٨، ح٧. عنه البحار: ١١٤/٥، ح٤٣. رواه أيضا الترمذي: كتاب القدر، الباب ١٨: ٤٥٨/٤، ح٢١٥٦. المسند: ١٦٩/٢.

وفي مسلم (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى، ٢٠٤٤/٤، ح١٦): «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين سنة».

وبإسناده[1] عن النبي ﷺ ـ قال ـ : « لايؤمن أحدُكم حتّى يؤمن بالقدَر ، خيرِه وشرّه ، وحُلوِه ومُرّه » .

وبإسناده[2] عن العالم عليه السلام قال[3] : « عَلِمَ ، وشاءَ ، وأرادَ ، وقدّرَ ، وقضىٰ ، وأبدا[4] ؛ فأمضىٰ ما قضىٰ ، وقضىٰ ما قدّر ، وقدّر ما أراد ؛ فَبعِلمِه كانت المشيّةُ ، وبمشيّته كانت الإرادةُ ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاءُ ، وبقضائِه كان الإمضاءُ .

فالعِلم متقدّم المشيّة[5] ، والمشيّةُ ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقديرُ واقعٌ على القضاء بالإمضاء . فللّه ـ تبارك وتعالى ـ البداءُ فيما علِم متى

١ـ التوحيد : الباب السابق : ٣٨٠ ، ح٢٧ . وفي الخصال (باب الأربعة ، ١٩٨/١ ، ح٨) عن رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبدٌ حتّى يؤمن بأربعة : حتّى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، و أنّي رسول الله بعثني بالحقّ ، و حتّى يؤمن بالبعث بعد الموت ، وحتّى يؤمن بالقدَر » . ورواه الترمذي (كتاب القدر : باب ماجاء في الإيمان بالقدر : ٤٥١/٤ ، ح٢١٤٤) أيضا عن الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ وفيه : «لايؤمن عبدٌ حتى . . .» .

وفي مسلم (كتاب الإيمان ، الباب الأول : ٣٧/١ ، ح١) والترمذي (كتاب الإيمان ، باب ماجاء في وصف جبرئيل للنبي ﷺ الإيمان و الإسلام : ٧/٥ ، ح٢٦١٠) وابن ماجة (المقدمة ، باب في الإيمان : ٢٤/١ ، ح٦٣) : «[الإيمان] أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدَر خيره و شرّه» .

وجاء مايقرب منه في ابن ماجة : المقدمة ، باب في القدر : ٣٢/١ ، ح٨١ .

٢ـ التوحيد : باب البداء : ٣٣٤ ، ح٩ . عنه البحار : ١٠٢/٥ ، ح٢٧ .

الكافي : باب البداء : ١٤٨/١ ، ح١٦ .

٣ـ المصدر : لماسئل : «كيف علم الله» ؟ قال : . . .

٤ـ الكافي : وأمضى . ولعله الصحيح ، بقرينة قوله : «فأمضى ماقضى . . .» و «بقضائه كان الإمضاء . . .» .

٥ـ الكافي : متقدم على المشيّة . الوافي (٥١٧/١) : والعلم يتقدم المشية . . .

شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء؛ فإذا وقع القضاءُ بالإمضاء فلا بداء.

فالعِلمُ بالمعلوم قبل كونه، والمشيّةُ في المُشاء[1] قبل عينه، والإرادةُ في المراد قبل قيامه، والتقديرُ لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها ـ عيانا وقياما[2] ـ والقضاءُ بالإمضاء هو المبرَم من المفعولات ذوات الأجسام المدرَكات بالحواسّ، من ذي لونٍ وريحٍ، و وزنٍ وكيلٍ، ومادبّ ودرَج ـ من إنس وجنّ وطيرٍ وسباعٍ ـ وغيرذلك ممّا يُدرَك بالحواسّ؛ فللّه ـ تبارك وتعالى ـ فيه البداءُ، ممّا لاعين له، فإذا وقع العينُ المفهوم المدرَك فلابداء؛ واللهُ يفعل ما يشاء.

و بالعِلم عَلِم الأشياءَ قبل كونها، و بالمشيّة عرف صفاتِها وحدودَها، وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسَها في ألوانها وصفاتها[3]، وبالتقدير قدّر أقواتَها وعرّف أوّلَها وآخرَها، وبالقضاء أبان للناس أماكنَها، ودلّهم عليها، وبالإمضاء شرَح عللَها وأبان أمرَها، و ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [٩٦/٦]».

* * *

* *

*

١ـ التوحيد: المنشأ.

٢ـ الكافي: و وقتا.

٣ـ التوحيد: + وحدودها.

فصل [٩]

اعلم أنّ القدَر في الأفعال وخَلق الأعمال من الأسرار والغوامض التي تحيّرت فيها الأفهام، واضطربت فيها آراء الأنام، ولم يرخّص في إفشائه بالكلام ؛ فلايدوَّن إلاّ مرموزا ، ولا يعلم إلاّ مكنونا ، لِما في إظهاره من إفساد العامّة وهلاكهم .

فقد رُوي عن النبيِّ ﷺ [1] : « القَدَر سرُّ اللهِ، فلا تُظهروا سرَّ اللهِ» .

وعنه ﷺ [2] : «إذا ذُكر القَدَرُ فامسكوا» .

وسُئل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام عنه ، فقال : «إنّه طريقٌ وَعِرٌ، فلاتسلكه» ـ

ثمّ قال :ـ «إنّه صعود عَسِرٌ، فلا تتكلّفه» .

---

١ ـ الجامع الصغير (باب القاف : ٨٨/٢) : «القدر سرُّ الله ، فلاتفشوا سرَّ الله» .
وفي الكامل لابن عدي (الهيثم بن جهاز ، ١٠٢/٧) : «لاتكلموا في القدر فإنه سرالله فلاتفشوا سره» . وفيه(يحيى بن أبي أُنيسة ، ١٩٦/٧) : «القدر سرالله ، من تكلم به يسأله عنه يوم القيامة ، ومن لم يتكلم به لم يسأل عنه» . كنزالعمال (١٠٧/١ ، ح٤٨٥) : «القدر سرالله ، من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فأنا بريء منه» .

٢ ـ أخرجه ابن عدي في الكامل عن ابن عمر : ١٦٢/٦ وابن مسعود : ٢٥/٧ .
المعجم الكبير : ٩٦/٢ ، ح١٤٢٧ ، و ١٩٨/١٠ ، ح١٠٤٤٨ . الجامع الصغير (باب الالف : ٢٦/١) .
وقال الزبيدي (اتحاف السادة : ٢٢٢/١) : «ورواه الخطيب في كتاب القول في علم النجوم . . . ورواه أبوالشيخ في كتاب الطبقات . . . وقال ابن رجب : روي من وجوه في إسنادها كلها مقال» .

وفي رواية أُخرى رواها في التوحيد[1] بإسناده عن عبد الملك بن عنترة الشيباني[2] عن أبيه، عن جدِّه، قال: «جاء رجلٌ إلى أميرالمؤمنين ﷺ، فقال: «ياأميرالمؤمنين، أخبرني عن القدَر» ؟

قال: «بحرٌ عميقٌ، فلا تَلجْه».

قال: «ياأميرالمؤمنين، أخبرني عن القدَر» ؟

فقال: «طريقٌ مظلمٌ، فلا تسلكْه».

قال: «ياأميرالمؤمنين أخبرني عن القدَر» ؟

قال: «سرُّ الله، فلا تكلّفه».

قال: «ياأميرالمؤمنين أخبرني عن القدَر» ؟

فقال: له أميرالمؤمنين ﷺ: «أمّا إذا أبيت، فإنّي سائلك: أخبرني أكانت رحمةُ الله للعباد قبل أعمال العباد؟ أم كانت أعمالُ العباد قبلَ رحمة الله» ؟

ـ قال: ـ فقال له الرجل: «بل كانت رحمةُ الله للعباد قبلَ أعمال العباد».

فقال أميرالمؤمنين ﷺ: «قوموا فسلِّموا على أخيكم، فقد أسلم، وقد كان كافرا».

١ـ التوحيد: باب القضاء والقدر: ٣٦٥، ح٣. عنه البحار: ١١٠/٥، ح٣٥. وأوردها في ٥٧/٥، ح١٠٣، عن مطالب السؤل مع فروق وإضافات. وأورد الرضي ـ قدّه ـ صدر الكلام مع فروق يسيرة في نهج البلاغة: الحكمة ٢٨٧.

٢ـ قال المامقاني (تنقيح المقال: ٢٣١/٢، رقم٧٥١١) أنه عبدالملك بن هارون بن عنترة الشيباني، الذي قال فيه النجاشي (الترجمة: ٦٣٧، ص ٢٤٠): «كوفيّ، ثقة، عينٌ، روى عن أصحابنا و رووا عنه، ولم يكن متحقّقا بأمرنا».
راجع أيضا قاموس الرجال: ٢٢/٧ و٢٦، رقم ٤٦٤٣ و٤٦٤٧.

قال: فانطلق الرجلُ غير بعيدٍ، ثمّ انصرف إليه فقال له: «يا أميرالمؤمنين ـ أبالمشيّة الأُولى نقومُ ونقعُد، ونقبض ونبسط» ؟

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: «وإنّك لَبَعدُ في المشيّة؛ أمّا إنّي سائلُك عن ثلاث ـ لايجعل الله لك في شيءٍ منها مَخرجا ـ: أخبرني أخَلق الله العبادَ كما شاء، أو كما شاءوا» ؟

فقال: «كما شاء».

قال: «فخلق اللهُ العبادَ لما شاء، أو لما شاءوا» ؟

فقال: «لما شاء».

قال: «يأتونه يوم القيامة كما شاء، أو كما شاءوا» ؟

قال: «يأتونه كما شاء».

قال: «قم؛ فليس إليك من المشيّة شيءٌ».

وبإسناده[1] عن الأصبغ بن نباتة[2]، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في القدَر:

« ألا إنّ القَدَرَ سرٌّ من سرِّ الله، وسترٌ من سترالله، وحِرزٌ من حرزالله؛ مرفوعٌ في حجاب الله، مطويٌّ عن خَلق الله، مختومٌ بخاتم الله، سابقٌ في علم الله؛ وَضَع الله العبادَ عن علمه، ورفعه فوقَ شهاداتهم ومبلغ عقولهم، لأنّهم لاينالونه بحقيقة الربانيّة، ولا بقدرة الصمدانيّة، ولا بعظمة النورانيّة، ولا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحرٌ زاخرٌ خالصٌ لله

---

١ ـ التوحيد: باب القضاء والقدر: ٣٨٣، ح٣٢.

٢ ـ أصبغ بن نباتة المجاشعي معروف، قال النجاشي (٨، الترجمة ٥): «كان من خاصّة أميرالمؤمنين وعمّر بعده، روى عنه عهد الأشتر ووصيّته إلى محمّد ابنه...».

تعالى ؛ عُمقُه مابين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسودٌ كالليل الدامِس ، كثيرُ الحيّات والحيتان ؛ تعلو مرّةً وتسفل أُخرى ، في قعرها شمس تضيء .

لاينبغي أن يطّلع عليها إلاّ الله الواحد الفرد ؛ فمن اطّلع عليها فقد ضادّ الله عزّ وجلّ في حكمه ، ونازعَه في سلطانه ، وكشف عن ستره وسرِّه ، وباء بغضبٍ من الله ، ومأواه جهنّم وبئس المصير» .

وبإسناده[1] عن الزهري[2] ـ قال :ـ قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام :

«جعلني الله فداك ـ أبقدَرٍ يُصيبُ الناسَ ما أصابهم ، أم بعمل» ؟

فقال عليه السلام : «إنّ القدَر والعملَ بمنزلة الروح والجسَد ، فالروحُ بغير جسدٍ لاتُحسُّ ، والجسدُ بغير روحٍ صورة لاحراك لها ؛ فإذا اجتمعا قويا وصلحا ؛ كذلك العملُ والقدَرُ ، فلولم يكن القدَرُ واقعا على العمل لم يُعرف الخالقُ من المخلوق ، وكان القدَرُ شيئا لايحسّ ؛ ولو لم يكن العملُ بموافقة من القدَر لم يمضِ ولم يتمّ ؛ ولكنّهما باجتماعهما قوّيا ، ولله فيه العون لعباده الصالحين» .

ثمّ قال عليه السلام : «ألا ، [إنّ][3] من أجوَر الناس مَن رأىٰ جورَه عدلا ، وعدلَ المهتدي جورا ؛ ألا ـ إنّ للعبد أربعة أعيُن : عينان يُبصر بهما أمرَ

١ـ التوحيد : باب القضاء والقدر : ٣٦٦ ، ح٤ . عنه البحار : ٥/١١٢ ، ح٣٩ .

٢ـ محمد بن شهاب الزهري ، عاميّ من أصحاب السجاد عليه السلام .
راجع معجم الرجال : ١٦/١٨١ . تنقيح المقال : ٣/ ١٨٦ ، الترجمة : ١١٣٧٢ .

٣ـ إضافة من المصدر .

دنياه، وعينان يُبصر بهما أمرَ آخرته، فإذا أراد اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بعبدٍ خيرا، فتحَ له العينين اللتين في قلبه، فأبصرَ بهما الغيب؛ وإذا أراد غير ذلك تركَ القلب بمافيه».

ثمّ التفت إلى السائل عن القدَر، فقال: «هذا منه، هذا منه».

و بإسناده[١] عن مهزم[٢]، عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال: ـ قلت له: «أ جبَر اللهُ العباد على المعاصي»؟

قال: «اللهُ أقهرُ لهم من ذلك».

ـ قال: ـ قلت: «ففوّض إليهم»؟ قال: «اللهُ أقدر عليهم من ذلك»

ـ قال: ـ قلت: «فأيُّ شيءٍ هذا ـ أصلحك الله ـ»؟

ـ قال: ـ «فقلّب يدَه ـ مرّتين أو ثلاثا ـ ثمّ قال: لو أجبتُكَ فيه لكفرتَ».

وبإسناده[٣] عن معاذ بن جبل[٤] ـ قال: ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ـ التوحيد: باب نفي الجبر والتفويض، ٣٦٣، ح١١. البحار عنه: ٥/٥٣، ح٨٩.
وفي الكافي (باب الجبر والقدر، ١٥٩، ح١١): «... عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام، ـ قال: ـ قلت: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا. قلت: ففوّض إليهم؟ قال: لا. قلت: فماذا؟ قال: لطفٌ من ربّك بين ذلك».

٢ـ مهزم الأسدي، عده الشيخ من أصحاب الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، راجع رجال الشيخ: ١٣٧ و ٣٢٣ و ٣٦٠، رقم ٤٦ و٦٩٥ و٢٤. معجم الرجال: ١٩/٨٨.

٣ـ التوحيد: باب المشيّة والإرادة، ٣٤٣، ح١٣.

٤ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبدالرحمان الأنصاري الخزرجي المدني البدري. من مشاهير الصحابة؛ توفي سنة سبع أو ثمان عشرة.
راجع ابن سعد: ٢/٣٤٧. سيرأعلام النبلاء: ١/٤٤٣. المعارف: ٢٥٤. حلية الأولياء: ١/٢٢٨. أسد الغابة: ٤/٤١٨، رقم ٤٩٥٣.

«سبق العلمُ وجَفَّ القلمُ ، و مضى القَدَرُ بتحقيق الكتاب و تصديق الرسل ، وبالسعادة من الله ـ عزّ وجلّ ـ لمَن آمن واتّقى ، وبالشقاء لمن كذّب وكفر ، وبولاية الله المؤمنين وبراءته من المشركين» .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : «عن الله أروي حديثي ، إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول : يابن آدم ، بمشيّتي كنتَ أنتَ الّذي تشاءُ لنفسك ماتشاءُ ، وبإرادتي كنتَ أنتَ الذي تريد لنفسك ما تريد ، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبعصمتي وعوني وعافيتي أدّيتَ إليّ فرائضي ، فأنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيّئاتك منّي ، فالخير منّي إليك بما أوليت بداء ، والشرُّ منّي إليك بما جنيتَ جزاءً ؛ وبإحساني إليك قويتَ على طاعتي ، وبسوء ظنّك بي قطنتَ من رحمتي ؛ فلي الحمدُ والحجّةُ عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك جزاءُ الخير عندي بالإحسان ، لم أدع تحذيرك ، ولم آخذك عند عزمك ، ولم أُكلِفك فوق طاقتك ، ولم أُحمِلك من الأمانة إلاّ بما قدّرت به على نفسك ، رضيتُ لنفسي منك مارضيتَ لنفسك منّي» .

وبإسناده عن ابن عمر[1] ما يقرب منه ، وعن أهل البيت ﷺ ما يقرب منهما[2] .

وفي الكافي[3] بإسناده عن مولانا الصادق ﷺ ـ قال :ـ « أمَر اللهُ ولم يشأ وشاء ولم يأمر ؛ أمَرَإبليسَ أن يسجدَ لآدم وشاء أن لايسجد ،

١ـ التوحيد : باب المشيّة والإرادة : ٣٤٠ ، ح١٠ .

٢ـ التوحيد : باب المشيّة والإرادة : ٣٣٨ ، ح٦ .

٣ـ الكافي : باب المشيّة والإرادة : ١٥١/١ ، ح٣ .

ولوشاء لَسَجَد ؛ ونهى آدمَ عن أكل الشجرةِ، وشاء أن يأكلَ منها، ولو لم يشأ لم يأكل» .

وبإسناده[1] عن أبي الحسن عليه السلام ـ قال :ـ «إنّ للهِ إرادتين ومشيّتين : إرادة حتم وإرادة عزم، ينهي وهو يشاء، ويأمر وهو لايشاء ؛ أوَ مارأيتَ أنّه نهىٰ آدمَ وزوجتَه أن يأكلا من الشجرة، وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبتْ مشيئتُهما مشيّةَ الله»[2] .

وبإسناده[3] عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال :ـ « شاء و أرادَ ، ولم يحبّ ولم يرضَ ؛ شاءَ أن لايكون شيءٌ إلاّ بعلمه، وأراد مثلَ ذلك ؛ ولم يحبّ أن يقال : ثالث ثلاثة ، ولم يرضَ لعباده الكفرَ» .

وبإسناده[4] عن أبي بصير، عنه عليه السلام ـ قال :ـ «قلت له : شاءَ وأرادَ وقدّرَ وقضى» ؟ قال : «نعم» .

١ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب المشية والإرادة : ١٥١/١ ، ح٤ .

٢ـ وتمام الخبر فيه : «وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاقَ ، ولم يشأ أن يذبحه ؛ ولوشاء لما غلبت مشيئةُ ابراهيم مشيئةَ الله تعالى» .
والرواية شطر من رواية طويلة رواها الصدوق في التوحيد (باب التوحيد ونفي التشبيه : ٦٠ـ٦٦ ، ح١٨) عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن الرضا عليه السلام .
وحكاها عنه المجلسي في البحار : ٢٩٣/٤ ، .

٣ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح٥ . وورد مثله في معاني الأخبار : ١٧٠ . عنه البحار : ٩٠/٥ ، ح١٠ . والتوحيد : باب المشيّة والإرادة ، ٣٤٣ ، ح١٢ . عنه البحار : ٥١/٥ ، ح٨١ . ١٠٦/٥ ، ح٣٤ .

٤ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب المشيّة والإرادة ، ١٥٠/١ ، ح١ . ورواه البرقي في المحاسن بلفظ آخر : كتاب مصابيح الظلم ، باب الإرادة والمشيّة ، ٢٤٥/١ ، ح١٣٩ . وعنه البحار : ١٢١/٥ ، ح٦٦ .

قلت : «وأحبّ»؟ قال : «لا» .
قلت : «وكيف شاء وأراد وقدّر وقضى ، ولم يحبّ»؟!
قال : «هكذا خرج إلينا» .

وبإسناده[١] عنه عليه السلام ـ قال :ـ «لايكون شيءٌ في الأرض ولا في السماء إلاّ بهذه الخصال السبع : بمشيّةٍ، وإرادةٍ، وقَدَرٍ، وَقضاءٍ، و إذنٍ، و كتابٍ، و أجلٍ ؛ فمن زعم أنّه يقدر على نقض واحدة، فقد كفَرَ» .

وفي لفظ آخر[٢] : «فمن زعم غير هذا فقد كذبَ على الله، أو ردَّ على الله [عزَّ وجلَّ]» .

وبإسناده[٣] عنه عليه السلام ـ قال :ـ «ما من قبضٍ ولا بسطٍ، إلاّ و لله فيه مشيّة و قضاء و ابتلاء» .

و رُوي في الكافي بإسناده[٤] مرفوعاً إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه

١ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب في أنه لايكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة ، ١/١٤٩ ، ح١ . وروى مثله البرقي في المحاسن (كتاب مصابيح الظلم ، باب الإرادة والمشيّة ، ١/٢٤٤ ، ح٢٣٦) عن الباقر عليه السلام .

٢ـ الكافي : الصفحة السابقة ، ح٢ . الخصال : باب السبعة ، ٣٥٩ ، ح٤٦ . وهذه الرواية عن الكاظم عليه السلام .

٣ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب الابتلاء و الاختبار ، ١/١٥٢ ، ح١ . التوحيد : باب الابتلاء والاختبار ، ٣٥٤ ، ح٢ . المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ، باب الابتلاء والاختبار ، ٢٧٩ ، ح٤٠٣ . واللفظ فيه : «. . . مشية وفضل وابتلاء . . .» .
ولعله غلط الطبع إذ حكاه المجلسي ـ قده ـ عن الكتابين (البحار : ٥/٢١٦ ، ح٥) ولم يشر إلى الاختلاف .

٤ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر ، ١/١٥٥ ، ح١ .

كان جالسا بالكوفة بعد منصرَفه من صفِّين، إذ أقبل شيخٌ فجثا بين يديه[1]، ثمّ قال: «يا أمير المؤمنين ـ أخبِرنا عن مسيرِنا إلى أهل الشام، أبقضاءٍ من الله وقدَر»؟

فقال أمير المؤمنين ﷺ: «أجل ـ يا شيخ ـ ما علَوتُم تلعة[2] ولا هبَطتم بطنَ وادٍ إلاّ بقضاء من الله و قدَر».

فقال له الشيخ: «عند الله أحتسبُ عنائي ـ يا أمير المؤمنين».

فقال له: «مه ـ يا شيخ ـ فوالله لقد عظَّم اللهُ لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرَفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيءٍ من حالاتكم مكرَهين، ولا إليه مضطرِّين».

فقال له الشيخ: «وكيف لم نكن في شيءٍ من حالاتنا مكرَهين ولا إليه مضطرِّين، وكان بالقضاء والقدَر مسيرُنا ومنقلَبُنا ومنصرَفُنا»؟

فقال له: «وتظنّ أنّه كان قضاءً حتما، وقدرا لازما؟ إنّه لو كان كذلك لبطل الثوابُ والعقابُ، والأمرُ والنهيُ والزجرُ من الله، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمةٌ للمذنب، ولا محمدة للمحسِن؛ ولكان المذنبُ أولى بالإحسان من المحسن، وكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب؛ تلك مقالةُ إخوان عبدَة الأوثان وخُصماء الرحمان وحزب الشيطان، وقدريّةُ هذه الأمّة ومجوسُها؛ إنّ اللهَ ـ تعالى ـ كلَّفَ تخييرا، ونهى تحذيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يُعصَ مغلوبا، ولم يُطَع

---

١ ـ جثا يجثو: جلس على ركبتيه وأقام على أطراف أصابعه.

٢ ـ التلعة: ما ارتفع من الأرض.

مكرَها، ولم يملّك مفوّضا ولم يخلق السماوات والأرضَ وما بينهما باطلا، ولم يبعث النبيّين ـ مبشّرين ومنذرين ـ عبثا، ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [٢٧/٣٨]».

فأنشأ الشيخُ يقول:

أنتَ الإمامُ الذي نرجوا بطاعتِه يومَ النجاةِ من الرحمان غفرانا
أوضحتَ من أمرِنا ماكان ملتبِسا جزاكَ ربُّكَ بالإحسانِ إحسانا[1]

وفي روايةٍ أُخرى رواها الصدوق في التوحيد[2] مسنَدا ما يقرب منه، وزاد:

فليس معذرة في كلّ فاحشة قدكنت راكبها فسقا وعصيانا
لا، لا؛ ولاقائلا: ناهيه أوقعَه فيها؛ عبدتُ إذا يا قوم شيطانا
ولا أحبَّ ولا شاءَ الفُسوقَ ولا قتلَ الوليّ له ظلما و عدوانا
أنّى يحبُّ و قد صحّت عزيمتُه ذوالعرشَ أعلنَ ذاك اللهُ إعلانا

وفي روايةٍ أُخرى فيه[3] مسنَدا عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ: فقال الشيخ: «ياأميرالمؤمنين ـ فما القضاءُ والقَدرُ الذان ساقانا، وما هبطنا واديا، ولاعلونا تلعةً إلاّ بهما»؟

١ـ في التوحيد:
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربُّك عنّا فيه إحسانا

٢ـ التوحيد: باب القضاء والقدر، ٣٨٠، ح٢٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد، ١٣٩/١، ح٣٨. الاحتجاج: احتجاجه عليه السلام فيما يتعلق بتوحيدالله...: ٤٩١/١، مع فروق. البحار: ٩٥/٥، ح١٩.

٣ـ التوحيد: الباب السابق، ٣٨٢، ح٢٨.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « الأمرُ من الله والحكم » . ـ ثمّ تلا هذه الآيةَ :ـ ﴿ وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [٢٣/١٧] أي أمَرَ ربُّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه ، وبالوالدين إحساناً[1] » .

وبإسناده الصحيح[2] عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال :ـ « إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلَقَ الخلْقَ فعلِم ماهم صائرون إليه ، و أمرَهم و نهاهم ، فما أمرَهم به من شيءٍ ، فقد جعل لهم السبيلَ إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيءٍ ، فقد جعل لهم السبيلَ إلى تركه ، و لا يكونوا آخذين و لا تاركين إلاّ بإذن الله تعالى » .

وبإسنادهما[3] عنه عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من زعم أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم أنَّ الخيرَ والشرَّ بغير مشيّة الله ، فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أنَّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله ، ومن كذب على الله أدخله النارَ » .

---

١ ـ الأظهر أنّ قوله «أي أمر ربك . . .» من كلام الصدوق ـ قده ـ .

٢ ـ التوحيد : باب نفي الجبر والتفويض ، ٣٥٩ ، ح١ . ورواه بسند آخر في باب الاستطاعة : ٣٤٩ ، ح٨ . وعنه البحار : ٣٧/٥ ، ح٥٥ . ٥١/٥ ، ح٨٤ .
الكافي : كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر ، ١٥٨/١ ، ح٥ ، مع فروق .
ورواه الطبرسي في الاحتجاج (احتجاج موسى بن جعفر عليه السلام في أشياء شتى على المخالفين : ٣٣٠/٢) عن الإمام الكاظم عليه السلام ، وفيه زيادة . وعنه البحار : ٢٦/٥ ، ح٣٢ .

٣ ـ التوحيد : الباب السابق ، ٣٥٩ ، ح٢ . عنه البحار : ٥١/٥ ، ح٨٥ .
الكافي : ١٥٨/١ ، ح٦ . ورواه المجلسي (البحار : ١٢٧/٥ ، ح٧٩) عن العياشي عن الصادق عليه السلام غير محكيّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

يعني[1] بالخير والشرّ الصحةَ والمرضَ، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَ نَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً[2] ﴾ [٣٥/٢١].

وبإسنادهما[3] عنه وعن أبيه الباقر عليهما السلام ـ قالا ـ: «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أرحمُ بخلقه من أن يجبر خلقَه على الذنوب، ثمّ يعذّبهم عليها، والله أعزُّ من أن يريد أمرا فلايكون».

ـ قال[4] :ـ فسُئلا عليهما السلام: «هل بين الجبر والقَدَر منزلةٌ ثالثة»؟

قالا: «نعم، أوسع ممّا بين السماء والأرض».

وبإسنادهما[5] عنه عليه السلام ـ قال:ـ «لا جَبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين». قيل: «وما أمرٌ بين أمرين»؟

قال[6] : «مَثَلُ ذلك مَثَل رجلٍ رأيته على معصيةٍ فنَهيتَه، فلم يَنتهِ، فتركتَه، ففعَل تلك المعصية؛ فليس حيث لم يقبل منك فتركتَه كنتَ أنت الذي أمرتَه بالمعصية».

١ـ هذا من كلام الصدوق في التوحيد وليس من تتمة الحديث على ماهو ظاهر؛ ويؤيده عدم وجوده في الكافي. وأنّ المراد في الحديث أعمّ من الصحّة والمرض.

٢ـ في النسخة: «بالخير والشر فتنة» والصحيح ما أثبتناه.

٣ـ التوحيد: الباب السابق، ٣٦٠، ح٣. عنه البحار: ٥١/٥، ح٨٢.
الكافي: الباب المذكور، ١٥٩/١، ح٩.

٤ـ أي الراوي.

٥ـ التوحيد: الباب السابق: ٣٦٢، ح٨. عنه البحار: ١٧/٥، ح٢٧.
الكافي: الباب المذكور، ١٦٠/١، ح١٣.

٦ـ قال المؤلف في الوافي (باب الجبر والقدر... : ٥٤٥/١) توضيحا لمضمون الحديث: «هذا مثال حسنٌ لمخاطبة العامي الضعيف، الذي قصر فهمُه عن درك كيفيّة الأمر بين الأمرين، تقريبا لفهمه وحفظا لاعتقاده في أفعال العباد، حتّى لايعتقد كون العبد مجبورا في فعله ولامفوّضا إليه اختياره».

و في التوحيد[١] بإسناده الصحيح ، عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال : ـ « إنّ الناس في القَدَر على ثلاثة أوجه : رجلٌ يزعم أنّ الله تعالى أجبرَ الناس على المعاصي ، فهذا قد أظلَم اللهَ في حُكمه ، فهو كافر ؛ ورجلٌ يزعم أنّ الأمرَ مفوّضٌ إليهم ، فهذا قد وهّن اللهَ في سلطانه فهو كافر ؛ ورجلٌ يقول : إنّ اللهَ كلّفَ العباد ما يُطيقون ، ولم يكلّفهم ما لايطيقون ، وإذا أحسنَ حَمَدَ اللهَ ، وإذا أساءَ استغفر اللهَ ، فهو مسلمٌ بالغٌ » .

وبإسناده عنه عليه السلام قال[٢] : «إنّ القَدَريّةَ مجوسُ هذه الأمّة ، وهم الذين أرادوا أن يصفوا اللهَ بعَدله ، فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٥٤/٤٧-٤٨] .

وبإسناده[٣] عن مولانا الرضا عليه السلام أنّه ذُكر عنده الجبر والتفويض ، فقال : «ألا أُعطيكم في هذا أصلا لاتختلفون فيه ، ولا تخاصمون عليه أحدا إلاّ كسرتموه»؟ قيل : «إن رأيتَ ذلك» .

فقال : ـ «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يُطَع بإكراهٍ ، ولم يُعصَ بغلبةٍ ، ولم يُهمِل العباد في ملكه ، وهو المالكُ لما ملّكهم ، والقادرُ على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العبادُ بطاعته لم يكن اللهُ عنها صادّا ، ولا منها مانعا ،

١ـ التوحيد : الباب السابق : ٣٦٠ ، ح٥ . الخصال : باب الثلاثة ، ١/١٩٥ ، ح٢٧١ . عنها البحار : ٥/٩ ، ح١٤ .

٢ـ التوحيد : باب القضاء والقدر ، ٣٨٢ ، ح٢٩ .

٣ـ التوحيد : باب نفي الجبر والتفويض ، ٣٦١ ، ح٧ . العيون : باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار في التوحيد ، ١/١٤٤ ، ح٤٨ . البحار عنها : ٥/١٦ ، ح٢٢ .

وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينه[1] وبين ذلك لفعَلَ ، وإن لم يحُلْ وفعلوه ، فليس هو الذي أدخلهم فيه» .

ثمَّ قال عليه السلام : « من يضبط حدود هذا الكلام ، فقد خصمَ من خالفه » .

و في كتاب الاحتجاج[2] للشيخ أحمد بن [على بن][3] أبي طالب الطبرسي ـ رحمه الله ـ عن مولانا الزكيّ العسكري عليه السلام ـ فيما أجاب به في رسالته إلى الأهواز ، حين سألوه عن الجبر والتفويض ـ ما هو وافٍ في هذا المعنى ، فمن أراده فليرجع إليه ، وفي آخره قال الإمام :

«بذلك أخبر أميرُالمؤمنين عليه السلام لمّا سأله عباية بن ربعي الأسدي[4] عن الاستطاعة ، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : « تملكها من دون الله ، أو مع الله » ؟ فسكت عبايةُ بن ربعي .

فقال له : « يا عباية ـ قل » .

قال : « ما أقول يا أميرالمؤمنين » ؟

قال :[5] «تقول : تملكها بالله الذي يملكها من دونك ؛ فإن تملّكَكَها ، كان ذلك من عطائه ، وإن سلَبَكَها ، كان ذلك من بلائه ؛ هو المالك لِما

١ـ المصدر : بينهم .

٢ـ الاحتجاج : ٤٩٤/٢ . تحف العقول : ٤٦٨ مع فروق يسيرة .
البحار : ٢٤/٥ ، ح٣٠ . ٧٥/٥ .

٣ـ النسخة : ـ علي بن .

٤ـ كذا في النسخة . ولكن المضبوط في ترجمته «عباية» وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام
راجع معجم الرجال : ٢٥٣/٩ . قاموس الرجال : ٤٧/٦ ، رقم٣٩٢٦ .

٥ـ زاد في المصدر : «إن قلتَ : « تملكها مع الله » قتلتك . وإن قـلـتَ : « تملكها مـن دون الله» قتلتك . قال : وما أقول يا أميرالمؤمنين . قال» .

ملَكَكَ ، والمالكُ لما عليه أقدرك ؛ أما سمعت الناسَ يسألون الحولَ والقوّةَ، حيث يقولون : لاحولَ ولا قوّة إلاّ بالله » ؟.

فقال الرجل : « ما تأويلها ـ ياأميرالمؤمنين » ؟

قال : « لاحول بنا عن معاصي الله إلاّ بعصمة الله، ولا قوّةَ لنا على طاعة الله، إلاّ بعون الله» . ـ قال :ـ فوثب الرجلُ وقبّل يديه ورجليه» .

***

هـذا ما ورد من الأخبار في هذا المقام ، بعد كلام الله الملك العلاّم، وفيه بعدُ إجمالٌ، إذ الغور فيه ممنوعٌ منه، إلاّ أنّه يمكن الإشارة إلى لمعة منه لمن كان أهله، بنقل المذاهب وبيانها ؛ فإنَّ الآراء أربعة :

إثنان فاسدان ـ وهما الجبر والتفويض اللذان هلك بهما كثيرٌ من الناس ـ وإثنان دائران حولَ التحقيق، ومرجعهما إلى الأمر بين الأمرين :

أحدهما أقرب إلى الحقّ وأبعدُ من الأفهام ـ وهو طريقةُ أهل الكشف والشهود ـ والآخربالعكس ـ وهوطريقة أهل العقل والنظر .

وبيان الاوّل عسيرٌ لغموضه جدّا، فلايناسب وضع هذا الكتاب، وقد ذكرناه في غيره[1] ونكتفي هنا بالثاني كما استفدناه من أهل التحقيق[2] ـ ومن الله التأييد ـ فألقِ سمعكَ و أنت شهيدٌ .

١ـ كتب «عين اليقين» ثم شطب عليه . راجع عين اليقين : أواخر المقصد الأول : ٢٢٠ ـ٢٢٤ .

٢ـ أورد المؤلف نفس ماكتبه هنا بألفاظه في عين اليقين :٣٢٠، والوافي : ٥٣٧/١ـ٥٣٩ .
وقال في الوافي : «ونكتفي ببيان الثاني وإن لم نرتضه» . وقال فيه أيضا : «ولنذكر ... ماذكره بعض المحققين موافقا لما حقّقه المحقق الطوسي نصيرالملة والدين ـ قدس سره ـ في بعض رسائله المعمول في ذلك» . والمقصود من بعض المحققين صدر المتألهين (راجع شرح الكافي : ٤٠٥) ومأورده مقتبس مما كتبه الخواجا نصيرالدين الطوسي : في رسالته «جبر واختيار» ـ بالفارسية .

فصل [١٠]

[الإنسان مجبور على الاختيار]

قد دريتَ أنّ كلّ ما يوجد في هذا العالَم، فقد قدِّر بهيأته وزمانه في عالَم آخر ـ فوق هذا العالَم ـ قبل وجوده، وقد ثبت أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قادر على جميع الممكنات، ولم يخرج شيءٌ من الأشياء عن مصلحته و علمه و قدرته و إيجاده ـ بواسطة أو بغير واسطة ـ وإلاّ لم يصلح لمبدئيّة الكلّ.

فالهدايةُ والضلالة ، والإيمانُ والكفر ، والخيرُ والشرُّ ، والنفعُ والضرُّ، وسائرُ المتقابلات كلّها منتهيةٌ إلى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته ومشيّته ؛ إمّا بالذات أو بالعرض.

فأعمالنا و أفعالنا ـ كسائر الموجودات و أفاعيلها ـ بقضائه و قَدَره، وهي واجبةُ الصدور منّا بذلك، ولكن بتوسط أسباب وعلل من إدراكاتنا وإراداتنا وحركاتنا وسكناتنا ، وغيرذلك من الأسباب العالية الغائبة عن علمنا وتدبيرنا ، الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا .

فاجتماع تلك الأُمور ـ التي هي الأسباب والشرائط ـ مع ارتفاع الموانع علّةٌ تامّةٌ يجب عندها وجودُ ذلك الأمرالمدبَّر، والمقضيّ المقدّر؛ وعند تخلّف شيءٍ منها أو حصول مانع، بقي وجودُه في حيّز الامتناع، ويكون ممكنا وقوعيًا بالقياس إلى كلِّ واحد من الأسباب الكونيّة.

ولمّا كان من جملة الأسباب ـ وخصوصا القريبةِ منّا ـ إرادتُنا و تفكُّرنا وتخيُّلنا، وبالجملة مانختار به أحدَ طرفي الفعل والترك فالفعلُ

اختياريٌّ لنا ؛ فإنّ الله أعطانا القوّة والقدرة والاستطاعة ، ليبلونا أيّنا أحسنُ عملا ، مع إحاطة علمه .

فوجوبُه لاينافي إمكانه ، واضطراريّتُه لاتدافع كونه اختياريّا .

كيف ، وإنّه ماوجب إلّابالاختيار ، ولاشكّ أنّ القدرة والاختيار كسائرالأسباب ـ من الإدراك والعلم ، والإرادة ، والتفكّر ، والتخيُّل ، وقواها وآلاتها ـ كلّها بفعل الله ـ تعالى ـ لا بفعلنا واختيارنا ـ وإلّا لتسلسلت القُدَر والإرادات إلى غيرالنهاية .

وذلك لأنّا وإن كنّا بحيث إن شئنا فعَلنا ، وإن لم نشأ لم نفعل ؛ لكنّا لسنا بحيث إن شئنا شئنا ، وإن لم نشأ لم نشأ ؛ بل إذا شئنا فلم يتعلّق مشيّتُنا بمشيّتِنا ، بل بغير مشيّتِنا ، فليست المشيّةُ إلينا ، إذ لوكانت إلينا لاحتجنا إلى مشيّة أُخرى سابقةٍ ، وتسلسل الأمرُ إلى غير النهاية .

ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل ، نقول : جملة مشيّاتنا الغير المتناهية ـ بحيث لا يشذّ عنها مشيّةٌ ـ لا تخلو : إمّا أن يكون وقوعها بسبب أمرٍ خارجٍ عن مشيّتنا ، أو بسبب مشيّتنا .

والثاني باطلٌ ، لعدم إمكان مشيّة أُخرى خارجة عن تلك الجملة .
والأوّل هو المطلوب .

فقد ظهر أنّ مشيّتنا ليست تحت قدرتنا ، كما قال الله عزّ وجلّ :
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [٧٦/٣٠] .

فإذن نحن في مشيّتنا مضطرّون ، وإنّما تحدث المشيّةُ عقيب

الداعي ؛ وهو تصوُّرُ الشيء الملائم ـ تصوُّرا ظنّيا أو تخيُّليّا أو علميّا ـ فإنّا إذا أدركنا شيئا ، فإن وجدنا ملائمته أو منافرته لنا دفعةً بالوهم أو ببديهة العقل ، إنبعث منّا شوقٌ إلى جذبه أو دفعه ، وتأكُّدُ هذا الشوق هو العزمُ الجازم المسمّى بـ«الإرادة» . وإذا انضمّت إلى القدرة التي هي هيأة للقوّة الفاعلة ، انبعثت تلك القوّة لتحريك الأعضاء الأدويّة ـ من العضلات وغيرها ـ فيحصل الفعلُ .

فإذن إذا تحقّق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشيّةُ ، تحقّقت المشيّةُ ؛ وإذا تحقّقت المشيّةُ التي تصرف القدرةَ إلى مقدورها ، انصرفت القدرةُ لامحالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة .

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرةُ محرِّكة ضرورة عند انجزام المشيّة ، والمشيّةُ تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي .

فهذه ضروريّات ترتّب بعضُها على بعض ، وليس لنا أن ندفع وجودَ شيءٍ منها عند تحقّق سابقه ، فليس يمكن لنا أن ندفع المشيّة عند تحقّق الداعي للفعل ، ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ؛ فنحن مضطرّون في الجميع ، فنحن في عين الاختيار مجبورون ؛

فنحن إذن مجبورون على الاختيار[1]

١ـ في هامش النسخة :

كردار ماست گرچه به نيروى اختيار نبود به اختيار ولى اختيار ما

فصل [١١]

[كيف يستند الحوادث إليه تعالى]

قال بعض العلماء[1] :

الحوادثُ كلُّها مستندةٌ إلى القدرة الأزليّة، ولكن بعضها مرتَّب على البعض في الحدوث ـ ترتُّب المشروط على الشرط ـ فلا تصدر من القدرة الأزليّة والقضاء الإلهي إرادةٌ حادثة، إلّا بعد علمٍ، ولاعلم إلّا بعد حياة، ولاحياة إلّا بعد محلِّها[2] ؛ ولكنّ بعض الشروط ممّا ظهر للعامّة وبعضُها ممّا لم يظهر إلّا للخواصِ المكاشفين بنور الحقِّ.

فكلُّ ما في عالم الإمكان حادثٌ على ترتيبٍ واجبٍ وحقٍّ لازمٍ، لايتصوَّر أن يكون إلّا كما يكون، و على الوجه الذي يكون، فلا يسبق سابقٌ إلّا بحقٍّ ولا يلحق لاحقٌ إلّا بحقٍّ كما أُشير إليه بقوله سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ [٣٩/٤٤] .

فما تأخَّر متأخِّرٌ إلّا لانتظار شرطه، إذ وقوع المشروط قبل وقوع الشرط ممتنعٌ، والمحالُ لا يوصَف بكونه مقدورا ؛ فلا يتخلَّف العلمُ عن النطفة إلّا لفقْد شرطه ـ وهو الحياة ـ

---

١ ـ مقتبس من إحياء علوم الدين : كتاب التوحيد والتوكل ، بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل : ٣٧٢/٤ .

٢ ـ كتب المؤلف مايلي ثم شطب عليه : «وكما لايجوز أن يقال : حصل الحياة من الجسم الذي هو شرطها . فكذلك في سائر مراتب الترتيب ودرجات التوقيف» .

ولا الإرادة عن العلم إلاّ لفقْد شرطها ـ وهو القدرة ـ ولا الفعل عن القدرة إلاّ لفقْد شرطه ـ وهو الإرادة ؛ وكلّ ذلك على المنهاج الواجب ، و الترتيب الواجب ، ليس شيءٌ منها ببَخْت واتّفاق ؛ بل كله بحكمةٍ وتدبير .

فصل [1] [١٢]

[التوحيد الأفعالي ينفي الجبر والتفويض]

وإذا كان هذا هكذا ، فمن نظر إلى الأسباب القريبة للفعل ورآه مستقلّة ، قال بالقدَر والتفويض ؛ أي بكون أفاعيلنا واقعة بقدرتنا ، مفوَّضة إلينا ـ والله سبحانه أحكم من أن يُهمل عبدَه ، ويَكله إلى نفسِه ، وأعزُّ من أن يكون في سلطانه ما لايريد .

ومن نظر إلى السبب الأوّل ـ وقطَع النظرَ عن الأسباب القريبة مطلقا ـ قال بالجبر والاضطرار ، ولم يفرّق بين أعمال الإنسان وأعمال الجمادات ؛ واللهُ تعالى أعدلُ من أن يجبر خلقَه ثمّ يعذِّبهم ، وأكرم من أن يكلِّف الناسَ ما لايطيقون ؛

فكلاهما أعورُ لايُبصر بإحدىٰ عينيه :

أمّا القدَريّةُ فبالعين اليُمنىٰ ، أي النظر الأقوىٰ ، الذي به يُدرَك

---

١ ـ عين اليقين : ٣٢١ . راجع تفسير صدرالمتألهين : ٣٤٣/١ . وشرح أُصول الكافي له ، باب الجبر والقدر ، شرح الحديث الرابع : ٤٠٨ .

الحقائق والأسباب القصوى للأشياء ـ كالدجّال حيث يقول[1] : «أنا ربُكم الأعلى» .

وأمّا الجبريّة فباليُسرى ، أي الأضعف ، الذي به يُدرَك الظواهر والأسباب القريبة ـ كإبليس ، حيث قال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [١٥/٣٩] .

وأمّا من نظَر حقَّ النظَر ، فقلبُه ذو عينين ، يُبصر الحقَّ باليُمنى ، فيضيف الأعمال كلّها إلى الله سبحانه : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ﴾ [٤/٧٨] ؛

ويُبصر الخلْقَ باليُسرى فيثبت تأثيرَهم في الأعمال ؛ ﴿ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[2] [٢٢/١٠] ؛ لكن بالله ـ عزّ وجلّ ـ لا بالاستقلال : «لا حولَ ولا قوّة إلّا بالله» ؛

فيتحقّق بمعنى قول مولانا الصادق عليه السلام[3] : «لا جبر ولا تفويض ، بل أمرٌ بين أمرين» فيتذهّب به ـ وذلك الفوز الكبير .

* * *
* *
*

---

١ ـ راجع كمال الدين : باب حديث الدجال ، ٥٢٧ . عنه البحار : ١٩٤/٥٢ ، ح٢٦ .

٢ ـ في النسخة : «ذلك بما كسبت يداك» . والصحيح ما أثبتناه .

٣ ـ مضى في الفصل العاشر من هذا الباب . راجع أيضا : عيون أخبار الرضا عليه السلام : الباب (١١) ، ١٢٤/١ ، ح١١ . معاني الأخبار : باب معنى قول الصادق عليه السلام :التر تر حران : ٢١٢ . البحار : ٤/٦٩ ، ح٤ .

فصل[1] [١٣]

[سرّ نسبة الفعل إلى الفواعل المختلفة]

ولأجل هذا التطابق بين الجبر والتفويض، والتوافق بين الوجوب والإمكان، نسب الله الأفعال في القرآن تارةً إلى نفسه، و مرّة إلى الملائكة، وأُخرى إلى العباد. فقال تعالى: ﴿ ٱللهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٤٢/٣٩]. وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّيكُم مَلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [١١/٣٢].

وقال في نفخ الروح في مريم - على نبيّنا وعليها السلام - : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [١٢/٦٦]؛ وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [١٧/١٩] - وفي الحديث[2]: «إنّ النافخ فيه جبرئيل»

وقال - عزّ وجلّ - في القتل: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [١٤/٩]، فأضافَ القتلَ إلى العباد والتعذيبَ إلى نفسه، والتعذيب عين القتل هنا؛ وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَٰكِنَّ ٱللهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [١٧/٨].

وقال في الرمي: ﴿ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَٰكِنَّ ٱللهَ رَمَىٰ ﴾ [١٧/٨]، وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا، ولكنَّ معناه: «وما رميتَ بالمعنى الذي يكون العبدُ به راميا، إذ رميتَ بالمعنى الذي يكون الربُّ به راميا»، إذ هما معنيان مختلفان.

---

١ - مقتبس من إحياء علوم الدين: كتاب التوحيد والتوكل: ٣٧٤/٤. وأورده في عين اليقين أيضا ٣٢٢ بألفاظه.

٢ - راجع تفسيرالقمي: سورة مريم، ٤٨/٢. قصص الأنبياء: الباب الثامن عشر، ٢٦٤.

فصل[1] [١٤]

[كيف يؤثر الدعاء]

و كما أنّ الأشياء الداخلة في وجود الإنسان ـ كالعلم والقدرة و الإرادة ـ من جملة أسباب الفعل ، فكذلك الأُمور الخارجة ـ من الدعوات والطاعات والسعي والجدّ والتدبير والحذر والالتماس والتكليف والوعد والوعيد والإرشاد والتهذيب والترغيب والترهيب وأمثال ذلك ـ

فإنّ ذلك كلّه أسبابٌ ووسائطٌ ووسائلٌ وروابطٌ لوجود الأفعال ، ودواعٍ إلى الخير ، ومهيّجاتٌ للأشواق ، ومهيِّئة للمطالب ، موصلة إلى الأرزاق ، مخرجة من القوّة إلى الفعل ؛ وكلّ ذلك ممّا يقاوم القضاء لامن حيث أنّه فِعل العبد ـ فإنّه من هذه الحيثيّة ممّا يتحكّم به القضاء ، لأنّه لو لم يُقض لم يوجد ـ بل من حيث أنّ الله ـ سبحانه ـ جعله من الأسباب ، على حسب ما قدّر وقضى ، لربط وموافاة بينه وبين الفعل ؛ كما جعل شُرب الدواء سببا لحصول الصحّة في هذا المريض . فالسبب والمسبَّب كلاهما ينبعثان من القضاء ، ويستندان إلى الله ـ سبحانه ـ وإلى أمره ، أمرا ذاتيًا عقليًا . وقد يكون بالأمر القوليّ السمعيّ ـ أيضا ـ كما فيما كلّفنا به من ذلك ، كالدعاء ـ مثلا ـ فإنّه ـ سبحانه ـ أمرنا به وحثّنا عليه ؛ فقال : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠/٤٠] ، ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [١٨٦/٢] .

---

١ ـ عين اليقين : ٣٢٢ بألفاظه .

فالدعاءُ والاستجابةُ كلاهما من أمرالله، أمرا تكليفيًا، كما أنّه من أمره الذاتي؛ ولسانُ العبد ترجمان الدعاء، وكلٌّ من فعَل شيئا بأمر أحدٍ فيدُه يدُ الآمر في الحقيقة، إلاّ أنّ بعض هذه الأُمور علل و موجباتٌ، وبعضها علامات ومعرِّفات، وبعضها ينقسم إلى القسمين.

ولعلّ الدعاءَ من القسم الثالث؛ ولهذا اشتهر بين الداعين «إنّ الدعاء كالدواء، بعضها يؤثّر بالطبع، وبعضها بالخاصيّة». فالأوّل إشارة إلى الأوّل، والثاني إلى الثاني.

فصل[1] [١٥]

وأمّا الابتلاء من الله ـ سبحانه ـ فهو إظهار ما كتب ـ لنا أو علينا ـ في القَدَر، وإبرازُ ما أودع فينا، وغرّز في طباعنا بالقوّة، بحيث يترتّب عليه الثواب والعقاب، فإنّه ما لم يخرج من القوّة إلى الفعل لم يوجد بعد ـ وإن كان معلوما لله سبحانه ـ فلا تحصل ثمرتُه وتبعتُه اللازمتان.

ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [٣١/٤٧] ـ وأمثال ذلك من الآيات ـ أي نعلمُهم موصوفين بهذه الصفة، بحيث يترتّب عليها الجزاءُ؛ وأمّا قبل ذلك الابتلاء فإنّه عَلِمَهم مستعدّين للمجاهدة والصبر، صائرين إليها بعد حين.

---

١ ـ عين اليقين: ٣٢٢. الوافي: ٥٢٤/١.

فصل[1] [١٦]

وأمّا الثواب والعقاب: فهما من لوازم الأفاعيل الواقعة منّا وثمراتها، ولواحق الأُمور الموجودة فينا وتبعاتها، ليسا يردان علينا من خارج.

فالمجازاة أيضا هو إظهارُ ما كتب لنا أو علينا في القَدَر، وابرازُ ما أُودع فينا وغُرّز في طباعنا بالقوّة، كما قال سبحانه: ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [١٣٩/٦] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [٥٤/٢٩].

فمن أساء عمله وأخطأ في اعتقاده، فإنّما ظلمَ نفسَه بظلمة جوهره وسوء استعداده، فكان أهلا للشقاوة في معاده؛ وليس ذلك لأنّ الله سبحانه يستولى عليه الغضب، ويحدث له الانتقام ـ تعالى عن ذلك ـ.

وإنّما ورد أمثال ذلك في الشرع على نحوٍ من التجوُّز.

فصل[2] [١٧]

[لمّية تفاوت النفوس]

و أمّا تفاوتُ النفوس في ذلك و عدم تساويها في الخيرات و الشرور، و اختلافها في السعادة و الشقاوة فلاختلاف الاستعدادات

١ـ عين اليقين: ٣٢٢. راجع ما أورده في الوافي ٥٤٩/١ أيضا.

٢ـ عين اليقين: ٣٢٣. راجع شرح أُصول الكافي: باب الخير والشر، شرح الحديث الثاني: ٤٠٢. وقد أورد المؤلف ـ قده ـ نفس البيان في الوافي: ٥٢٨/١.

وتنوُّع الحقائق ؛ فإنَّ الموادَّ السفليَّة بحسب الخلقة والماهيَّة، متبائنةٌ في اللطافة والكثافة، وأمزجتها مختلفةٌ في القرب والبُعد من الاعتدال الحقيقي ؛ والأرواح الإنسيَّة التي بإزائها مختلفة بحسب الفطرة الأُولى في الصفاء والكُدورة، والقوّة والضعف، مترتِّبة في درجات القرب والبُعد من الله ـ تعالى ـ لِما تقرّر وتحقّق أنَّ بإزاء كلِّ مادَّة ماتناسبه من الصُور ؛ فأجودُ الكمالات لأتمِّ الاستعدادات، وأخسُّها لأنقصها، كما أُشير إليه بقوله ﷺ[1] :

«الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضَّة، خيارُهم في الجاهليَّة خيارُهم في الإسلام».[2]

وفي الحديث النبوي[3] : «من وجد خيراً فليحمد اللهَ، ومن وجدَ غير ذلك فلا يلومنَّ إلاّ نفسه».

١ـ المسند : من حديث أبي هريرة، ٥٣٩/٢ . كنزالعمال : ١٤٩/١٠، ح٢٨٧٦١ . الجامع الكبير : ٦/٨، ح٢٣٩٨٣ . وفي مسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب (٤٨) خيار الناس، ١٩٥٨/٤، ح١٩٩) : «تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». ومثله في المسند : ٤٩٨/٢ . ومستدرك الحاكم : ٢٤٣/٣ . وحلية الأولياء : ٢٥٦/٦ . وروى الكليني ـ قده ـ في الكافي (الروضة، ١٧٧، ح١٩٧) عن الصادق عليه السلام : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضَّة، فمن كان له في الجاهليَّة أصلٌ، فله في الإسلام أصلٌ».

٢ـ كتب المؤلف هنا مايلي ثم شطب عليه :

قال في فصوص الحكم [الفصّ الإبراهيمي : ٨٣] : «ما كنتَ في ثبوتك، ظهرتَ به في وجودك، فليس للحقِّ إلاّ إفاضةُ الوجود عليك، والحكمُ لك عليك ؛ فلا تحمد إلاّ نفسك، ولا تذمَّ إلاّ نفسك، وما يبقى للحقِّ إلاّ حمد إفاضة الوجود، لأنَّ ذلك له لا لك» ـ انتهى كلامه ـ .

٣ـ مسلم : كتاب البرّ والصلة، باب تحريم الظلم، ١٩٩٥/٤، ح٥٥ .

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السلام[1] : «ولايحمد حامدٌ إلاّ ربّه، ولايلُم لائمٌ إلاّ نفسَه».

و وجه آخر[2] : وهو أنّه قد علمت أنّ للهِ ـ عزّ وجلّ ـ صفات وأسماء متقابلة هي من أوصاف الكمال ونعوت الجلال، ولها مظاهر متبائنة بها يظهر أثر تلك الأسماء، فكلٌّ من الأسماء يوجب تعلُّق إرادته ـ سبحانه ـ وقدرته إلى إيجاد مخلوق يدلُّ عليه ـ من حيث اتِّصافه بتلك الصفة ـ فلذلك اقتضت رحمةُ الله ـ جلّ وعزّ ـ إيجادَ المخلوقات كلِّها، لتكون مظاهرَ لأسمائه الحسنى، ومجاليَ لصفاته العليا.

ـ مثلاً ـ لمّا كان قهّارا، أوجد المظاهرَ القهريّة التي لايترتّب عليها إلاّ أثر القهر ـ من الجحيم وساكنيه، والزقّوم ومتناوليه ـ ولمّا كان عفوًّا غفورا، أوجد مجاليَ للعفو والغفران يظهر فيها آثارُ رحمته، وقس على هذا.

فالملائكةُ و مَن ضاهاهم ـ من الأخيار و أهل الجنّة ـ مظاهرُ اللطف، والشياطينُ ومن والاهم ـ من الأشرار وأهل النار ـ مظاهرُ القهر.

و منها يظهر السعادة و الشقاوة: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ﴾ [١١/١٠٥].

فظهر أن لا وجه لإسناد الظلم والقبائح إلى الله ـ سبحانه ـ لأنّ

١ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٦ ـ أولها: «ذمّتي بما أقول رهينة...».
٢ـ عين اليقين: ٣٢٣ مع تفصيل وتوضيح أكثر.

هذا الترتيب والتمييز ـ من وقوع فريقٍ في طريق اللطف، وآخر في طريق القهر ـ من ضروريّات الوجود والإيجاد، ومن مقتضيات الحكمة والعدالة.

ومن هنا قال بعضُ العلماء: «ليت شعري لِمَ لايُنسب الظلمُ إلى المَلِك المَجازي ـ حيث يجعل بعض مَن تحت تصرُّفه وزيرا قريبا، وبعضَهم كنّاسا بعيدا؛ لأنّ كلا منهما من ضروريات مملكته ـ وينسب الظلم إلى الله تعالى في تخصيص كلٍّ من عبيده بما خصّص، مع أنّ كلا منهما ضروريٌّ في مقامه.

فصل[1] [١٨]

[ماورد من الأخبار في السعادة والشقاوة]

رُوي في الكافي[2] بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال: ـ «لو عَلِم الناسُ كيف خَلَقَ اللهُ [تبارك وتعالى][3] هذا الخَلق، لم يَلُم أحدٌ أحدا».

وبإسناده[4] عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه سُئل: «من أين لحق الشقاءُ أهلَ المعصية حتّى حكَم لهم في علمه بالعذاب على عملهم»؟

١ـ عين اليقين: ٣٢٣.

٢ـ الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب درجات الإيمان: ٤٤/٢.

٣ـ الإضافة من المصدر.

٤ـ الكافي: كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاوة: ١٥٣/١، ح٢. التوحيد: نفس الباب: ٣٥٤، ح١. البحار: ١٥٦/٥، ح٨. راجع شرح الرواية في الوافي: ٥٢٩/١.

فقال: «أيُّها السائل ـ حكَم اللهُ أن لايقوم[1] له أحدٌ من خَلقه بحقِه، فلمّا حكَم بذلك وهب لأهل محبّته القوّة على معرفته، و وضع عنهم ثِقلَ العمل بحقيقة ماهم أهله، ووهب لأهل المعصية القوّة على معصيته ـ لسبق علمه فيهم ـ ومنَعَهم[2] إطاقة القبول منه؛ فواقعوا[3] ما سبق لهم في علمه ولم يقدروا[4] أن يأتوا حالاً يُنجيهم من عذابه، لأنّ علمَه أولى بحقيقة التصديق؛ وهو معنى «شاء ماشاء»، وهو سرُّه».

وبإسناده[5] عنه عليه السلام ـ قال: ـ «إنّ الله خَلَقَ السّعادةَ والشقاء قبل أن يخلق خلقَه، فمن خَلقه اللهُ سعيدا[6] لم يُبغضه أبدا، وإن عمل شرّا أبغضَ عملَه ولم يُبغضه؛ وإن كان شقيّا[7] لم يُحبّه أبدا، وإن عملَ صالحا أحبّ عملَه، وأبغضه لما يصير إليه. فإذا أحبّ اللهُ شيئا لم يبغضه أبدا، وإذا أبغض شيئا لم يحبّه أبدا».

وبإسناده[8] الصحيح عنه عليه السلام ـ قال: ـ «إنّ ممّا أوحى اللهُ إلى

١ـ الكافي: حكم الله عزوجل لايقوم. التوحيد: علم الله عز وجل ألايقوم... فلما علم.

٢ـ التوحيد: ولم يمنعهم.

٣ـ الكافي نسخة: فوافقوا.

٤ـ في التوحيد بدلا من «ولم يقدروا أن يأتوا...»: وإن قدروا أن يأتوا خلالا (نسخة: ولم يقدروا أن يأتوا حالا) تنجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ماشاء وهو سر.

٥ـ الكافي: الباب السابق، ١٥٢/١، ح١. التوحيد: الباب السابق، ٣٥٧، ح٥.
المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب السعادة والشقاء، ٢٧٩/١، ح٤٠٥.
البحار عنها: ١٥٧/٥، ح١١.

٦ـ التوحيد: فمن علمه الله سعيدا...

٧ـ التوحيد: وإن كان علمه شقيّا...

٨ـ الكافي: كتاب التوحيد، باب الخير والشرّ، ١٥٤/١، ح١.
المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب خلق الخير والشرّ، ٢٨٣، ح٤١٤.

موسى عليه السلام وأنزل عليه في التوراة: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، خلقتُ الخلقَ و خلقتُ الخير، وأجريتُه على يديَ من أُحبُّ، فطوبىٰ لمن أجريتُه على يديه؛ وأنا الله لا إله إلاّ أنا، خلقتُ الخَلقَ وخلقتُ الشرَّ، وأجريتُه على يديَ من أُريده، فويلٌ لِمَن أجريتُه على يديه».

وفي رواية أُخرى[1] : «وويلٌ لمن يقول: كيف ذا، وكيف ذا»؟

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[2] ـ قال:ـ «الشقيُّ مَن شقي في بطنِ أُمِّهِ، والسعيدُ من سعد في بطن أُمّه».

والأخبارُ في هذا المعنى كثيرةٌ.



فصل[3] [١٩]

[القضاء والقَدر في المأثور]

لمّا كانت الحكمة الإلٰهيّة تقتضي أن يكون العبدُ معلّقا بين الرجاء والخوف، الّذين بهما تتمُّ العبوديّة، جعل اللهُ كيفيّة علمه وقضائه وقَدَره وسائر الأسباب غائبةً عن العقول، وجعل الدعوات والطاعات ـ

١ـ الكافي: الصفحة السابقة. المحاسن: الصفحة السابقة.

٢ـ التوحيد: باب السعادة والشقاوة: ٣٥٦، ح٣. تفسيرالقمي: ٢٥٥/١، تفسير قوله تعالى: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء...﴾. وفي أمالي الصدوق (المجلس الرابع والسبعون، ٥٧٦، ح١): «... والشقيُّ من شقي في بطن أُمِّه والسعيد من وعظ بغيره...». ومثله في تفسير القمي: ٣١٩/١، (تفسير قوله تعالى: ولكن بعدت عليهم الشقة...).
البحار: ٩/٥ و١٥٣ و١٥٧، ح١٣ وح١ وح١٠ و٢١٢/٢١، ح٢.

٣ـ عين اليقين: ٣٢٤.

وما يجري مجرى ذلك ـ مناطَ التكليف وملاكَ العبوديّة ليتمّ المقصودُ .

وهذا إحدى الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقا ، مع الاعتراف بإحاطة علم الله، وكون الأقدار جارية والأقضية سابقة في الكلّ .

رُوي أنّه جاء سُراقة بن مالك[1] إلى النبيّ ﷺ فقال[2] : «يارسول

١ـ سُراقة بن مالك بن جُعشُم ، أسلم بعد الفتح ، ورووا أنه ذهب في طلب رسول الله ﷺ بعد خروجه من مكة ، لما أن قريش جعلت فيه مأة ناقة لمن ردّه إليهم ، ولما وصل إليه ﷺ ساخت قوائم فرسه في الأرض وسقط منها.
راجع الاستيعاب : ١٧٩/٢ ، الترجمة ١٩٥٥ .

٢ـ مسلم : كتاب القدر : باب (١) كيفية خلق الآدمي . . . ، ٢٠٤٠/٤ ، ح٨.
وروي بألفاظ أُخر : ابن ماجة المقدمة ، باب (١٠) في القدر ، ٣٥/١ ، ح٩١. المعجم الكبير : ١١٩/٧ـ١٢١ ، ح٦٥٦٢ـ٦٥٦٧ . أخبار إصبهان : ١٠٥/١ـ١٠٦ . موضح أوهام الجمع والتفريق : ١٣١/١ .

راجع أيضا : المسند : ٨٢/١ و ٣٠٤/٣ و٦٧/٤ و٤٣١ . الترمذي : كتاب القدر ، باب (٣) ماجاء في الشقاوة والسعادة ، ٤٤٥/٤ ، ح٢١٣٦ . وكتاب التفسير ، باب (٨١) سورة الليل ، ٤٤١/٥ ، ح٣٣٤٤ . المعجم الكبير : ٢٣٧/٤ ، ح٤٢٣٥ و٤٢٣٦ . ١١٩/٧و١٢١ ، ح٦٥٦٢ و٦٥٦٦ . ١٣٠/١٨ـ١٣١ ، ح٢٦٧ـ٢٧٠ . تفسيرالطبري : ٦٥/٢٧ ، سورة القمر ، الآية ٤٩ . مسلم : كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي . . . ، ٢٠٤٠/٤ ، ح٧.

وبفرق يسير في المسند :١٤٠/١ و٣٧٥ . ٢٩٣/٣ . البخاري : كتاب التفسير ، سورة الليل ، ٢١١/٦ـ٢١٢ . وكتاب الأدب ، باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض ، ٥٩/٨ . وكتاب القدر ، باب وكان أمرالله قدرا مقدورا ، ١٥٤/٨ . وكتاب التوحيد ، باب ولقد يسرنا القرآن للذكر ، ١٩٥/٩ . أبي داود : كتاب السنة ، باب في القدر ، ٢٢٢/٤ ، ح٤٦٩٤ . المعجم الكبير : ١٢٠/٧ـ١٢٢ و١٣٠ ، ح٦٥٦٥ و٦٥٦٧ و٦٥٦٨ و٦٥٩٣ . ١٢٩/١٨ـ١٣١ ، ح٢٦٦ و٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٢ و٢٧٣ . تفسيرالطبري : ١٤٣/٣٠ .

الله ـ بيِّن لنا ديننا كأنّا خُلقنا الآن، ففيمَ العَمَل اليوم؟ فيما جفَّتْ به الأقلامُ وجرتْ به المقاديرُ؟ أم فيما يُستقبل»؟

قال: «بل فيما جفَّتْ به الأقلامُ، وجرتْ به المقاديرُ».

قال: «ففيمَ العملُ»؟

قال: «إعملوا، فكلٌّ ميسّر لما خُلق له، وكلٌّ عاملٌ بعمله».

فعلّقَنا بين الأمرين: رهّبَنا بسابق القَدَر، ثمَّ رغّبَنا في العمل، ولم يترك أحد الأمرين للآخر، فقال: «كلٌّ ميسّر لما خُلق له»، يريد أنَّه ميسّر في أيّام حياته للعمل الذي سبق إليه القَدَرُ قبل وجوده؛ ولم يقل «مسخَّر» لكيلا يغرق في لجّة القضاء والقدَر.

وسُئل النبي ﷺ[1] : «أنحن في أمرٍ فُرغ منه أو أمرٍ مستأنفٍ» ؟

قال: «في أمرٍ فُرغ منه، وفي أمرٍ مستأنفٍ».

وسُئل[2] : «هل يغيِّر الدواءُ والرُّقية[3] من قَدَر الله» ؟

١ـ ورد الحديث بألفاظ مختلفة، وفي الجواب عن سؤال عدة من الصحابة ـ منهم عمر و أبوبكر و سراقة بن مالك و أبو الدرداء و غيرهم ـ
ولم أعثر على قوله ﷺ «وفي أمر مستأنف»

راجع المسند: ٦/١ و ٢٩. ٥٢/٢ و٧٧. ٣٠٤/٣. ٤٤١/٦. الترمذي: كتاب التفسير، سورة هود، ٢٨٩/٥، ح٣.

٢ـ جاء في ابن ماجة (كتاب الطب، باب (١) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ١١٣٧/٢، ح٣٤٣٧): «سئل رسول الله ﷺ: أرأيت أدوية نتداوي بها، ورُقى نسترقي بها وتُقى نتقيها، هل تردُّ من قدَر الله شيئاً؟ قال: هي من قدَر الله».
ومثله في الترمذي: كتاب القدَر، الباب (١٢): ٤٥٣/٤، ح٢١٤٨.
ويقرب منه مافي المعجم الكبير: ١٩٢/٣، ح٣٠٩٠. و٤٨/٦، ح٥٤٦٨.

٣ـ الرقية: مايقرء من الدعاء والعزائم ويعوذ به.

قال: «والدواءُ والرُّقية ـ أيضا ـ من قدَر الله».

ومثله عن مولانا الصادق عليه السلام رواه في التوحيد[١].

وبإسناده[٢] عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه سُئل عند انحرافه عن جدارٍ يريد أن ينقضّ: «أتفرُّ من قضاء الله»؟

قال: «أفرُّ من قضائه إلى قدَره».

وبإسناده[٣] عنه عليه السلام ـ قال: «أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى داود: «يا داود، تريدُ وأُريدُ، ولايكون إلاّ ما أُريد؛ [فإن أسلمتَ لِما أُريد أعطيتُكَ ما تريد][٤] وإن لم تسلم لما أُريد أتعبتُكَ فيما تُريد، ثمّ لايكون إلاّ ما أُريد».

وفي الكافي[٥] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام كثيرا مّا يقول: اعلموا علما يقينيًا أنّ الله ـ تعالى ـ لم يجعل للعبد ـ وإن اشتدَّ جهدُه، وعظمتْ حيلتُه، وكثرت مكابدتُه ـ أن يسبق ما سمِّي له في الذكر الحكيم، ولم يحُلْ بين العبد ـ في ضعفه وقلّة حيلته ـ أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم.

١ـ التوحيد: باب القضاء والقدَر: ٣٨٢، ح٢٩؛ عن عليّ بن سالم: سألته عليه السلام عن الرُّقى: أتدفع من القدَر شيئا؟ فقال: «هي من القدَر».

٢ـ التوحيد: الباب السابق: ٣٦٩، ح٨. عنه البحار: ١١٤/٥، ح٤١. و٢/٤١، ح٢.

٣ـ التوحيد: باب المشيّة والإرادة، ٣٣٧، ح٤. عنه البحار: ١٠٤/٥، ح٢٨.

٤ـ زيادة من المصدر.

٥ـ الكافي: كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب، ٨١/٥، ح٩. وأورده الحراني أيضا مع فروق يسيرة ضمن حِكَمه عليه السلام في تحف العقول: ١٥٥. عنه البحار: ٤٠٨/٧٧، ح٣٨.

أيُّها الناس ـ إنَّه لن يزداد امرؤٌ نقيرا بحذقه، ولم ينقص امرؤٌ نقيرا بحُمقه؛ فالعالم بهذا، العامل به، أعظمُ الناس راحة في منفعة؛ والعالم بهذا، التارك له، أعظم الناس شغلاً في مضرّة، وربَّ منعَم عليه مستدرج بالإحسان إليه، وربَّ مغرور في الناس مصنوع له.

فأفِقْ أيُّها الساعي من سعيك، واقصر من عجلتك، وانتبه من سِنة غفلتك، وتفكَّر فيما جاء عن الله ـ عزّ وجلّ ـ على لسان نبيّه ـ صلوات الله عليه ـ ...» ـ الحديث.

وبإسناده[1] عن ثابت بن سعيد[2] ـ قال :ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا ثابت ـ ما لكم والناس؟ كفُّوا عن الناس، ولا تدعوا أحدا إلى أمركم، فوالله لو أنَّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدا يريدُ الله ضلالتَه مااستطاعوا على أن يهدوه، ولو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبدا يريد الله هُداه، مااستطاعوا أن يضلّوه؛

كفّوا عن الناس ولا يقول أحدٌ: عمّي وأخي وابن عمّي وجاري؛

١ـ الكافي: كتاب التوحيد، باب الهداية، ١/١٦٥، ح١. وكتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء الناس، ٢/٢١٣، ح٢. عنه البحار: ٦٨/٢٠٨، ح١٢. المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب الهداية من الله عز وجلّ: ١/٢٠٠، ح٣٤. عنه البحار: ٥/٢٠٣، ح٣٠. وورد مايقرب منه فيما رواه الحراني (تحف العقول: ٣١٢) ضمن وصيته عليه السلام لمؤمن الطاق، وأورده عنه البحار: ٧٨/٢٩١، ح٢.

٢ـ كذا ورد في الكافي: ١/١٦٥. ولكن في ٢/٢١٣ منه وكذا في المحاسن: «ثابت أبي سعيد» ولعلها صحيحان، أو أحدهما محرف، وكذا ما في البحار (٦٨/٢٠٨): «ثابت بن أبي سعيدة». ولم يذكروا عنه شيئا غير روايته هذا عن الصادق عليه السلام التي يفيد كونه من خواصّه عليه السلام، غير أنّ فيه كون الممدوح نفس الراوي.

فإنّ الله إذا أراد بعبد خيرا طيّب روحَه، فلا يسمع معروفا إلاّ عرفه، ولا منكرا إلاّ أنكره، ثمّ يقذف الله في قلبه كلمةً يجمع بها أمرَه».

وعن النبي ﷺ [1] : ـ «اعلم أنّ الأُمّة لواجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلاّ بشيء كتبه الله لك، ولواجتمعوا على أن يضرُّوكَ، لم يضرُّوك إلاّ بشيءٍ كتبه اللهُ عليك؛ رُفعت الأقلامُ وجفّت الصُحف».

أقول : وتصديق ذلك في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ قوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَ عَلَىٰ ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [٩/١٥].



فصل [2] [٢٠]

[القضاء لاتتخلف]

قد تبيّن بما ذكرنا أن لارادَّ لقضاء الله، ولا معقّب لحكمه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا ملجأ لعباده فيما قضى، ولا حجّة لهم فيما ارتضى، لم يقدروا على عمل ولا معالجة ممّا أحدث في أبدانهم المخلوقة، إلاّ بربّهم، فمن زعم أنّه يقوى على عمل لم يُرده الله عزّ وجلّ

١ـ الترمذي : كتاب صفة القيامة : الباب (٥٩)، ٦٦٧/٤، ح٢٥١٦. كنزالعمال : ١٠٢/٣، ح٥٦٩١. و٨٦٣/١٥ ح٤٣٤٣٥.
وجاء مايقرب منه في شعب الإيمان : باب ٥، ٢١٧/١، ح١٩٥. و ٢٨/٢، باب ١٢، ح١٠٧٤. مستدرك الحاكم : كتاب معرفة الصحابة، ٥٤٢/٣. الجامع الكبير : ١٩٨/٩ و١٩٩، ح٢٨٠٠٦ و٢٨٠١١.

٢ـ عين اليقين : ٣٢٤.

فقد زعم أنّ إرادته تغلب إرادة الله ـ تعالى الله عمّا يقولون ـ هذا .

وقد ثبت أنّ الأجسام تحت قهر الطبائع ، والطبائع تحت قهر النفوس ، والنفوس تحت قهر العقول ، والعقول تحت قهر كبرياء الأوّل ، وهو الله الواحد القهّار .

ومن وجه آخر : إنّ الأرضيّات تحت تأثير السماوات ـ بإذن الله ـ والسماوات في ذلّ تسخير الملكوت ، والملكوت في قيد أسر الجبروت ، والجبروت مقهورٌ بأمر الجبّار ، وهو الغالبُ على أمره ، و ﴿ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [٦/١٨] ؛ فلا مؤثّر في الوجود سواه ، ولا فاعل غيره ؛ ﴿ وَ ٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ [يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ] وَ ٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [٣٩/٦٧] ، ﴿ وَ ٱلشَّمْسَ وَ ٱلْقَمَرَ وَ ٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ [٧/٥٤] و ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [١١/٥٦] ؛ أيدي الكلّ مغلولةٌ بيد قدرته ﴿ وَ ٱللهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/٩٦] ، وأرجلهم معقولةٌ بعقال مشيّته ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [١٠/٢٢] ، وآمالُهم منقطعةٌ إلّا بحوله وقوّته ﴿ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ ٱللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [١٠/١٠٧] ، ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ ٱللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [٣/١٦٠] ؛ ﴿ فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٣٦/٨٣] و ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [٦٧/١] .

فصل [٢١]

اعلم : أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لايفعل بعباده إلاّ ما هو أصلح لهم، لأنّه سبحانه لطيفٌ بعباده، رؤوفٌ بهم، وهو قادرٌ حكيمٌ.

رُوي في التوحيد[1] بإسناده عن النبي ﷺ، عن جبرئيل ؑ، عن الله ـ تبارك وتعالى ـ : ـ قال ـ : «قال الله عزّ وجلّ : مَن أهانَ لي وليّا فقد بارَزني بالمحاربة، وما تردّدتُ في شيءٍ أنا فاعلُه ما تردّدت في[2] قبض نفس المؤمن ؛ يكره الموتَ، وأكره مساءته ـ ولابدّ له منه ـ

وما تقرّب إليّ عبدٌ بمثل أداء ما افترضت عليه، ولايزال عبدي يتنفّل لي حتّى أُحبَّه، ومتى أحببتُه كنتُ له سمعا وبصرا، ويدا ومؤيّدا، إن دعاني أجبتُه، وإن سألني أعطيتُه ؛

وإنّ من عبادي المؤمنين لَمَن يريد البابَ مِن العبادة فأكفُّه عنه لئلاّ يدخله عُجبٌ فيفسده، وإنّ من عبادي المؤمنين لَمَن لايصلح إيمانُه إلاّ بالفقر، ولو أغنيتُه لأفسَده ؛ وإنّ من عبادي المؤمنين لَمَن لايصلح إيمانُه إلاّ بالغناء، ولوأفقرتُه لأفسده ذلك ؛ وإنّ من عبادي المؤمنين لَمَن لايصلح إيمانُه إلاّ بالسقم، ولو صحّحت جسمَه لأفسده ذلك ؛ وإنّ من

---

١ ـ التوحيد : باب أنّ الله لايفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ٣٩٨. علل الشرايع : باب (٩) علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم، ١٢/١، ح٧. عنه البحار : ٢٨٣/٥، ح٣.
وجاء ما يقرب منه في الكافي : كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين، ٣٥٠/٢ـ٣٥٣ ح١ـ١١.

٢ ـ نسخة : عن (هامش النسخة).

عبادي المؤمنين لَمَن لا يصلح إيمانُه إلاّ بالصحّة، ولو أسقمتُه لأفسده ذلك؛ وإنّي أُدبِّر عبادي بعلمي بقلوبهم، فإنّي عليمٌ خبيرٌ».

وبإسناده[1] عنه ـ ﷺ ـ قال: ـ «رُبَّ أغبر أشعث[2] ذي طمرين[3] مدفَّع بالأبواب[4] لو أقسم على الله عزّ وجلّ لأبرّه».

وبإسناده[5] عن مولانا الصادق، عن أبيه، عن جدّه ـ ﷺ ـ قال: ـ «ضحك رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ حتّى بدتْ نواجذُه ـ ثمّ قال: ـ لاتسئلوني ممّ ضحكتُ؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: عجبتُ للمرء المسلم، أنّه ليس من قضاء يقضيه الله عزّ وجلّ له إلاّ كان خيراً له في عاقبة أمره».

١ـ التوحيد: الباب السابق، ٤٠٠. أمالي الصدوق: المجلس الحادي والستون، ح٦، ٤٧٠. عنه البحار: ٣٦/٧٢، ح٢٩. أمالي الطوسي: المجلس الخامس عشر، ح١٦، ٤٢٩. عنه البحار: ١٤٣/٧٥، ح٧. وفي مسلم (كتاب البر، باب (٤٠) فضل الضعفاء والخاملين: ٢٠٢٤/٤، ح١٣٨. وكتاب الجنة: باب (١٣)، ٢١٩١/٤، ح٤٨): «ربّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه».
وفي الترمذي (كتاب المناقب، باب (٥٥) البراء بن مالك: ٦٩٣/٥، ح٣٨٥٤): «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه به، لو أقسم على الله لأبرّه».

٢ـ شعِثَ الشَعرُ شعَثا، فهو شَعِث ـ من باب تعِب ـ: تغيّر وتلبّد لقلّة تعهُّده بالدهن... والشعَث أيضا: الوسخ. ورجلٌ شعِثٌ: وسِخ الجسد شعِثُ الرأس أيضا؛ وهو أشعَثُ أغبرُ: أي من غير استحداد ولاتنظّف. والشعَث أيضا الانتشار والتفرّق (مصباح ـ شعث).

٣ـ الطِمْر: الثوب الخَلِق. والجمع: أطمار.

٤ـ أي يدفع عند الدخول على الأعيان والحضور في المحافل ولايترك أن يلج الباب، فضلا أن يحضر المجالس.

٥ـ التوحيد: الباب السابق: ٤٠١. أمالي الصدوق: المجلس الحادي والثمانون، ح١٥، ٦٤٠. عنه البحار: ١٤٠/٧١ـ١٤١، ح٣٢.

وبإسناده[١] عنه ـ قال :ـ «كان فيما أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى موسى أن ياموسى : ما خلقتُ خلقا أحبُّ إليّ من عبدي المؤمن ؛ وإنّما ابتليتُه لِما هو خيرٌ له وأُعافيه لِما هو خيرٌ له ؛ وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر عبدي ، فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرضَ بقضائي ، اكتبه في الصدِّيقين عندي ، إذا عمل برضواني وأطاع أمري» .

وبإسناده[٢] عنه ـ أنّه قال :ـ «والذي بعث جدِّي بالحقّ نبيّا ـ إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لَيرزق العبدَ على قدر المروّة ، وإنّ المعونةَ تنزل من السماء على قدْر المؤونة ، وإنّ الصبر على قدر شدّة البلاء» .



والأخبار في هذه المعاني كثيرة .

* * *

* *

*

١ـ التوحيد : الباب السابق : ٤٠٥ . أمالي الطوسي : المجلس التاسع ، ح١٣ ، ٢٣٨ .
وجاء مايقرب منه في أمالي المفيد : المجلس الحادي عشر ، ح٢ ، ٩٣ . المؤمن : باب شدة ابتلاء المؤمن : ١٧ ، ح٩ . عنه البحار : ٣٤٨/١٣ ، ٣٦ . و٢٣٥/٦٧ ، ح٥٢ . و١٣٩/٧١ـ١٤٠ ، ح٣٢ . ١٤٥/٧١ و١٦٠ ، ح٤٢ و٧٧ .

٢ـ التوحيد : الباب السابق ، ٤٠١ . أمالي الصدوق : المجلس الثاني والثمانون ، ح٣ ، ٦٤٦ .
أمالي الطوسي : المجلس الحادي عشر ، ٤١ ، ٣٠١ . عنها البحار : ٣١١/٧٦ .

[٨]

باب

نبذ من آثار رحمته وآيات عظمته

ـ جلّ ذكره ـ

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾

[٥٠/٣٠]

فصل [١]

[أقسام مخلوقاته تعالى والتفكر فيها]

أكثر ما نورده في هذا الباب أخذناه من كلام بعض العلماء[١] مع تلخيص له و توشيح بآيات قرآنيّة وأخبارٍ عن أهل البيت عليهم السلام وكلمات نزرة عن غيرهم.

اعلم أنّ كلّ ما في الوجود سوى الله ـ عزّ وجلّ ـ فهو فِعل الله ـ جلّ جلاله ـ وخَلقه، وكلّ ذرّة من الذرّات ـ من جوهر وعرَض، وصفةٍ وموصوفٍ ـ ففيها عجائب تظهر بها حكمةُ الله وقدرته، وجلاله وعظمته؛ وإحصاء ذلك غير ممكن، لأنّه ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ

١ ـ الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب التفكر، التفكر في خلق الله تعالى: ٦٣١/٤ـ٦٣٧.

رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [١٨/١٠٩]؛ بل ولا عُشر عشيرٍ من ذلك ؛ ولكنّا نشير إلى جُملٍ ليكون ذلك كالمثال لما عداه ، فنقول :

الموجوداتُ المخلوقةُ منقسمةٌ إلى ما لانعرف أصلَها ، فلا يمكننا التفكُّر فيها ، وكم من الموجودات التي لانعلمها ، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٦/٣٦]؛ وقال : ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٥٦/٦١].

وإلى مانعرف أصلَها وجملتَها ، ولا نعرف تفصيلَها ، فيمكننا أن نتفكّر في تفصيلها لنَزداد معرفةً وبصيرةً بخالقها ـ جلّ جلاله ـ

و هي منقسمةٌ إلى ما أدركناه بحسّ البصر ، و إلى ما لاندركه بالبصر :

أمّا الذي لاندركه بالبصر فكالملائكةِ والجنّ والشياطين .

وأمّا المدرَكات بحسّ البصر فهي السماواتُ السبع ، والأرضون ، وما بينها . والسماوات مشاهَدة بكواكبها وشمسها وقمرها ، وحركاتها ودورانها في طلوعها وغروبها ؛ والأرضُ مشاهَدة بما فيها من جبالها ومعادنها و أنهارها و بحارها و حيوانها و نباتها ؛ و ما بين السماء والأرض ـ وهو الجوُّ ـ مدرَكٌ بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشُهبها وعواصف رياحها .

فهذه هي الأجناس المشاهَدة من السماوات والأرض وما بينها . وكلُّ جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكلُّ نوع ينقسم إلى أقسام ، وينشعب

كلُّ قسم إلى أصناف ؛ ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة ، وجميعُ ذلك مجال الفكر والتدبُّر لتحصيل المعرفة والبصيرة .

فلا تتحرّك ذرّةٌ في السماوات والأرض ـ من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب ـ إلاّ ومحرّكها هو الله ـ عزّ وجلّ ـ وفي حركتها حِكمة أو حِكمتان أو عَشر أو ألف حِكمة ؛ كلّ ذلك شاهدٌ[1] لله ـ تعالى ـ بالوحدانيّة ، ودالٌّ على جلاله وكبريائه ، وهي الآياتُ الدالّةُ عليه .

وقد ورد القرآنُ بالحثّ على التفكُّر في هذه الآيات ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ ٱلَّذِينَ ... يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٩١/٣] .

وقال : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ ﴾ [١٩٠/٣] .

وكما قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ... وَمِنْ آيَاتِهِ ... ﴾ [٢٥-٢٠/٣٠] من أوّله إلى آخره .

فلنُشر إلى طرف من ذلك وكيفيّة التفكُّر فيه في فصول :

---

١ ـ النسخة : شاهدة .

فصل [٢]

[عجائب خلقة الإنسان]

فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة:

فانظر يا أخي أوّلا في نفسك وبدنك ، فإنّه أقرب شيء إليك ، وفيك من العجائب الدالّة على عظمة الله ـ تعالى ـ ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عُشر عشيرها ، وأنت غافلٌ عنها ؛ فيامَن هو غافلٌ عن نفسه وجاهلٌ بها ، كيف تطمع في معرفة غيرها[1] ؟!

وقد أمرك الله ـ تعالى ـ بالتدبّر في نفسك في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [٢١/٥١] .

وذكر أنّك مخلوق من نطفة قذرة، فقال ـ تعالى ـ : ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [٨٠/١٧-٢٢] .

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [٧٥/٣٧-٣٨] . ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [٧٧/٢٠-٢١] . ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [٣٦/٧٧] .

﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

١ـ في هامش النسخة :

توكه در نفس خود زبون باشى عارف كردگار چون باشى

فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٢٣/١٢-١٤].

فانظر إلى النطفة ـ وهي قطرةٌ من الماء قذرة، ولو تُركت ساعة لِيضربها الهواءُ فسدت وأنتنَت ـ كيف أخرجها ربُّها ـ ربُّ الأرباب ـ من الصُلب والترائب ؟ وكيف جمع بين الذَكر والأُنثى، وألقى الإلفَ والمحبَّةَ في قلبها ؟ وكيف قادهما بسلسلة المحبّة والشهوة إلى الاجتماع ؟ وكيف استخرج النطفةَ عن الرجل بحركة الوقاع ؟ وكيف استجلب دمَ الحيض من أعماق العروق وجمعَه في الأرحام ؟ ثمَّ كيف خلقَ المولود من النطفة و سقاه بماء الحيض[1] ، و غذّاه و ربّاه ؟ و كيف جعل النطفةَ ـ وهي بيضاءُ مشرِقةٌ ـ علَقةً حمراءَ ؟ فشكَّلها وأحسن تشكيلَها وقدَّرها فأحسن تقديرَها ، وصوَّرها فأحسن تصويرَها ؟! وقسّم أجزائها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة، فأحكم العظام في أرجائها . وحسّن أشكال أعضائها ، وزيّن ظاهرَها وباطنَها ، ورتَّب عروقَها وجعلها مجرىً لغذائها، ليكون ذلك سببا لبقائها . وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا .

فخلق لها الظَهرَ أساسا لبدنها، حاويا لآلات غذائها ؛ والرأسَ جامعا لحواسِها .

ففتح العينَ ورتَّب طبقاتِها، وأحسنَ شكلَها ولونَها وهيئتَها، ثمّ

---

١ ـ الغرض بيان العجائب الموجودة في تكوين الإنسان ، فلايقدح فيه ذكر بعض المصطلحات الغير الصحيحة المعروفة قديما ، كتغذية الجنين بدم الحيض ؛ فمن الواضح الآن أنّ الجنين يشترك في التغذية مع أمِّها ويتغذّي بغذائهامن طريق جريان الدم الجارية إلى عروقه منها. وفي ذلك من لطائف الحكم والعجائب مالايحصى.

حماها بأجفان لتسترها، وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها؛ ثمّ أظهر في مقدار عدسة منها صورةَ السماء مع اتِّساع أكنافها وتباعُد أقطارها؛ فهو ينظر إليها.

وشقّ الأُذنَ وأودعها ما يحفظ سمعَها[1]، ويدفع الهوامّ عنها، وحوطها بصدفة الأُذن لتجمع الصوت فتردّه إلى صاحبها[2]، وليحسّ بدبيب الهوامّ إليها، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات، لتكثر حركة ما يدبُّ فيها، ويطول طريقها فينتبه عن النوم صاحبُها إذا قصدته الدابّة في نوم.

ثمّ رفع الأنفَ من وسط الوجه وأحسن شكلَه، وفتح منخريه، وأودع فيها حاسّة الشمّ، ليستدلّ باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته، وليتنشق بمنفَذ المنخرين روحَ الهواء غذاء لقلبه، وترويحا لحرارة باطنه.

وفتح الفمَ وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومُعرِبا عمّا في القلب؛ وزيّن الفمَ بالأسنان ليكون آلةً للطحن و الكسر والقطع، فأحكم أُصولَها وحدّد رؤوسها، وحسّن لونَها، ورتّب صفوفَها، متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب، كأنّها الدرُّ المنظوم.

وخلق الشفتين وحسّن لونَها وشكلها لتنطبقا على الفم، وتسدّا منفذه، وليتمّ بهما حروفُ الكلام.

ثمّ خلق الحنجرةَ وهيأها لخروج الأصوات. وخلق للّسانَ قدرة

١ـ المصدر: وأودعها ماء مرّا ليحفظ سمعها.

٢ـ المصدر: صماخها.

الحركات والتقطيعات، ليقطع الصوتَ في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف، ليتّسع طريق النطق بكثرتها؛ ثمّ خلق الحناجرَ مختلفةَ الأشكال في الضيق والسعة، و الخشونة والملاسة، وصلابة الجوهر ورخاوته، و الطول و القصر، حتّى اختلفت بسببها الأصوات؛ فلاتتشابه صوتان، بل يظهر بين كلّ صوتين فُرقان، حتّى يُميّز السامعُ بعضَ الناس عن بعض بمجرّد الصوت في الظلمة.

ثمّ زيّن الرأسَ بالشعور والأصداغ، وزيّن الوجهَ باللحية، وزيّن الحاجبين بدقّة الشَعر، واستقواس الشكل، وزيّن العينين بالأهداب.

ثمّ خلق الأعضاء الباطنة، وسخّر كلّ واحد لفعل مخصوص:

فسخّر المعدة لنضج الغذاء، والكبدَ لإحالة الغذاء إلى الدم، والطحال و المرارة و الكلية لخدمة الكبد؛ فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنه، والمرارةُ تخدمه بجذب الصفراء عنه، والكلية تخدمه بجذب المائيّة، و المثانةُ تخدم الكليةَ بقبول الماء عنها ثمّ تخرجه عن طريق الإحليل، والعروقُ تخدم الكبدَ في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن.

ثمّ خلق اليدين وطوّلها لتمدّ إلى المقاصد، وعرّض الكفّ وقسّمَ الأصابع الخمس، وقسّم كلّ إصبع بثلاث أنامل، ووضع الأربعَ في جانب والإبهامَ في جانب، ليدور الإبهامُ على الجميع؛ ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الأصابع ـ سوى ما وضعت عليه من بُعد الإبهام عن الأربع، وتفاوت الأربع في الطول، وترتيبها في صفٍّ واحد ـ لم يقدروا عليه؛ إذ بهذا الترتيب صلحت للقبض والإعطاء، فإن بسَطها كانت له طبَقا يضع

عليها مايريد ، وإن جمَعها كانت آلة للضرب ، وإن ضمَّها ـ ضمّا غير تامّ ـ كانت مغرفةً له ، وإن بسطها وضمّ أصابعها كانت مخرقةً له .

ثمّ خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل ، وعمادا لها من وراءها حتّى لاتنقطع ، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل ، وليحكّ بها بدنه عند الحاجة ، فالظفرُ الذي هو أخسُّ الأعضاء لوعدمه الإنسان وظهرت به حكّةٌ لكان أعجزُ الخلق وأضعفهم ، ولم يقم شيءٌ مقامه في حكِ بدنه ، ثمّ هدى اليد إلى موضع الحكِ حتّى يمتدّ إليه ـ ولوفي النوم والغفلة ـ من غيرحاجة إلى طلب ، ولواستعان بغيره لم يعثر على موضع الحكِ إلاّ بعد تعب طويل .

ثمّ خلَق هذا كلّه في النطفة ، وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلاث ، و لو كشف الغطاء و امتدّ البصر إليه لكان يرى التخطيط و التصوير يظهر عليها شيئا [ف]شيئا ، ولا يرى المصوّر ولا آلته ؛ فهل رأيتَ مصوِّرا [أو] فاعلا لايمسُّ آلتُه مصنوعَه ولا يلاقيه ـ وهو يتصرّف فيها ؟!

فسبحانه ، ما أعظم شأنه وأظهر برهانه .

* * *
* *
*

فصل[1] [٣]

[مراحل خلق الإنسان]

ثمّ انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته، فإنّه لمّا ضاق الرحمُ عن الصبيّ ـ لمّا كبُر ـ كيف هداه السبيل حتّى تنكّس و تحرّك، وخرج من ذلك المضيق، وطلب المنفذَ كأنّه عاقلٌ بصيرٌ بما يحتاج إليه.

ثمّ لمّا خرج واحتاج إلى الغذاء، كيف هداه إلى التقام الثدْيِ.

ثمّ لمّا كان بدنُه سخيفا ـ لايحتمل الأغذية الكثيفة ـ كيف دبّر له في خلْق اللبن اللطيف، واستخرجه من بين الفرث والدم خالصا صائغا، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن، وأنبت منهما الحُلمة على قدر ما ينطبق عليه فم الصبيّ، ثمّ فتح في حُلمة الثديِ ثقْبا ضيّقة جدًّا، حتّى لايخرج اللبن إلاّ بعد المصِّ تدريجا ـ فإنّ الطفل لايطيق منه إلاّ القليل ـ ثمّ كيف هداه إلى الامتصاص حتّى يستخرج من المضيق اللبن الكثير عند شدّة الجوع به.

ثمّ انظر إلى عطفه ورأفته كيف أخّر خلقَ الأسنان إلى تمام الحولين، لأنّه في الحولين لا يتغذّي إلاّ باللبن، فيستغني عن السنّ، وإذا كبُر لم يوافقه اللبن السخيف، ويحتاج إلى طعامٍ غليظ، ويحتاجَ الطعامُ إلى المضغ والطحن؛ فأنبت له الأسنانَ عند الحاجة، لاقبلها ولابعدها.

فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة من اللثات اللّيِنة، ثمّ

---

١ ـ إحياء علوم الدين: الفصل السابق: ٤/٦٣٧ـ٦٣٨.

حنّن قلوبَ الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه ؛

ثمّ انظر كيف رزقه القدرةَ والتمييزَ والعقلَ والهدايةَ تدريجا حتّى بلغ وتكامل ، فصار مُراهقا ، ثمّ شابًا ، ثمّ كهلا ، ثمّ شيخا ـ إمّا كفورا أو شكورا ، مطيعا أو عاصيا ، مؤمنا أو كافرا ـ تصديقا لقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [٧٦/١-٣] .

فانظر إلى اللطف والكرم ثمّ إلى القدرة والحكمة ، تُبهرك عجائبُ الحضرة الربوبيّة ؛ والعجبُ ـ كلُّ العجب ـ لِمَن[1] يرى خطّا عجبا ، أونقشا حسَنا على حائط ، فيستحسنه ، فيصرف جميعَ همّه إلى التفكّر في الخطّاط والنقّاش وأنّه كيف خطّه ونقّشه ، وكيف اقتدر عليه ؛ ولا يزال يستعظمه ويقول : «ما أحذقه ، وما أجمل صنعته وأحسن قدرته» ، ثمّ ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ويغفل عن صانعه ومصوِّره ، فلا تُدهشه عظمتُه ولا يحيّره جلالُه وحكمتُه .

فهذه نبذةٌ من عجائب بدنك التي لايمكن استقصاؤها ، وهي أقرب مجالِ تفكّرك وأجلى شاهدٍ على عظمة خالقك ؛ ولوذهبنا نَصِفُ ما في آحاد الأعضاء من العجائب والآيات لانقضت فيه الأعمارُ ؛ وما فيما لاتدركه الحواسُّ ـ من الروح والمعاني والصفات الإنسانيّة ـ أكثرُ وأعظمُ ؛ وسنشير إلى بعضها فيما بعد إن شاء الله .

١ـ المصدر : ممن .

فتبارك ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [٣٢/٧-٩].

فصل [٤]

[رواية في بدء خلق الإنسان]

رُوي في الكافي بأسناده الصحيح[1] عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال :ـ «إذا أراد الله أن يخلق النطفةَ التي هي ممّا أُخذ عليه الميثاق في صلب آدم أومايبدوله فيه[2] ويجعلها في الرحم، حرَّكَ الرجلَ للجماع، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابَك، حتّى يلجَ فيكِ خَلقي وقضائي النافذ وقدَري ؛ فتفتح الرحمُ بابها، فتصل النطفةُ إلى الرحم، فتردّد فيه أربعين يوما، ثمّ تصير علقةً أربعين يوما، ثمّ تصير مضغةً أربعين يوما، ثمّ تصير لحما ثمّ تجري فيه عروقٌ مشتبكة.

ثمّ يبعث الله ملكين خلاّقين، يخلقان في الأرحام مايشاء، يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء.

فينفخان فيها روحَ الحياة و البقاء، و يشقّان له السمعَ و البصرَ وجميع الجوارح وجميع ما في البطن ـ بإذن الله تعالى ـ.

١ـ الكافي : كتاب العقيقة، باب بدء خلق الإنسان... : ٦/١٣. عنه البحار : ٦٠/٣٤٤.

٢ـ أي يبدو له في خلقه فلايتمّ خلقه بأن يجعله سقطا (الوافي).

ثمّ يوحي الله إلى الملكين : « اكتبا عليه قضائي و قدَري و نافذَ أمري ، واشترطا لي البداءَ فيما تكتبان » .

فيقولان : « يارب ـ ما نكتب » ؟

ـ قال :ـ فيوحي الله إليهما : «أن ارفعا رؤوسَكما إلى رأس أمّه» . فيرفعان رؤوسَهما ، فإذا اللوح يقرع جبهةَ أُمِّه ، فينظران فيه ، فيجدان في اللوح صورتَه و زينتَه وأجلَه وميثاقَه ـ شقيًا أو سعيدا ـ و جميعَ شأنه .

ـ قال :ـ فيملي أحدهما على صاحبه ، فيكتبان جميعَ ما في اللوح ، ويشترطان البداءَ فيما يكتبان ، ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ، ثمّ يقيمانه قائما في بطن أُمّه .

ـ قال :ـ وربّما عتَىٰ فانقلب ، ولا يكون ذلك إلاّ في كلّ عاتٍ أو ماردٍ .

فإذا بلغ أوان خروج الولد ـ تامًّا أوغيرتامٍّ ـ أوحى الله إلى الرحم : «أن افتحي بابَكِ ، حتّى يخرج خَلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري ، فقد بلغ أوان خروجه» .

ـ قال :ـ ففتح الرِحمُ باب الولد ، فيبعث الله إليه مَلَكا يقال له : «زاجر» ، فيزجره زجرةً ، فيفزع منها الولدُ فينقلب ، فيصير رِجلاه فوقَ رأسه ، و رأسُه في أسفل البطن ، ليسهل الله على المرأة و على الولد الخروجَ .

ـ قال :ـ فإذا احتبس ، زجرَه الملكُ زجرةً أُخرى ، فيفزع منها ، فيسقط الولد إلى الأرض باكيا فزِعامن الزجرة .

فصل [٥]

[لست هذا البدن المحسوس]

ومن آياته العظام نفسُك وحقيقتُك ؛ فارجع البصر إلى نفسك كرّتين ، فإنّك لست هذا البدن المحسوس ، بل لك حقيقةٌ أُخرى غير هذا من عالم الملكوت ، وأنت في الحقيقة تلك الحقيقة ـ لاهذا البدن ـ فاعرف نفسَكَ ، تعرف ربَّكَ ؛ فإنَّ : «مَن عَرفَ نَفسَه فَقَد عَرفَ رَبَّه»[1] و «أعرَفُكم بِنَفسِه ، أعرَفُكم برَبِّه» ـ كما ورد في الحديث[2] ـ

فاعلم أنَّ الله ـ سبحانه ـ خلق في إهابك حيوانا آخر من عالم الغيب ، هو في الحقيقة يسمعُ ويرى ويشمُّ ويذوق ويلمس ويبطش و يمشي ، ولهذا تفعل هذه الأفاعيل وإن ركدت هذه القوى والحواسُّ

---

١ ـ مصباح الشريعة ، الباب الثاني والستّون (ص٤١) عن رسول الله ﷺ . عنه البحار : ٣٢/٢ ، ح٢٢ . وجاء في رسالة «الباب المفتوح إلى ماقيل في النفس والروح» التي نقلها المجلسي ـ قده ـ في البحار (السماء و العالم : باب حقيقة النفس و الروح : ٩١/٦١) : «و قد قال العالم الربّاني الذي أوجب الله حقّه : من عرف نفسه فقد عرف ربّه» . ونسبه الآمدي إلى أميرالمؤمنين عليه السلام : الغرر والدرر : الرقم ٧٩٤٦ . وكذا ابن أبي الحديد : الحكم التي أوردها في آخر شرحه و التقطها من كلماته عليه السلام الغير الموجودة في نهج البلاغة ، رقم ٣٣٩ : ٢٩٢/٢٠ . و جاء أيضا في صحيفة إدريس النبي عليه السلام (التي أوردها المجلسي ـ قده ـ في البحار بترجمة ابن متّويه عن السريانية : خاتمة كتاب الذكر و الدعاء : ٤٥٦/٩٥) : «الصحيفة الرابعة ، صحيفة المعرفة : من عرف الخلق عرف الخالق ، ومن عرف الرزق عرف الرازق ، ومن عرف نفسه عرف ربّه . . .» . وأما في كتب أهل العرفان فقد اشتهر نسبته إلى النبي ﷺ : جامع الأسرار : ٢٧٠ و٣٠٨ و٣١٥ .

٢ ـ جامع الأخبار : الفصل الأول : ٣٥ . روضة الواعظين : ٢٥/١ .

البدنيّة منك ـ كما في النوم و الإغماء و السكر ـ فلك في ذاتك هذه المشاعرُ و القوى و الآلات من غيرعوز ، إلاّ أنّها ليست ثابتة في عالم الحسّ والشهادة ؛ وهذه المشاعر الظاهرة بمنزلة ظلال لتلك ، وكذلك هذا البدن الظاهر بمنزلة قشر وغلاف وقالب لذلك البدن ، وإنّما حياة هذه كلّها بذاك ، وهو الحيوان بالذات . وإليه الإشارة بقوله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [١٤/٢٣] . وقال في حقّ آدم : ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [٢٩/١٥] . وفي حقّ عيسى : ﴿ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَيهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ ﴾ [١٧١/٤] . وهذه الإضافة تؤذن على شرف الروح ، وكونها عريّة عن عالم الأجرام .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [٢٧/٨٩-٢٨] والرجوع يدلّ على السابقة . وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَ لا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ ﴾ [١٦٩/٣-١٧٠] وذلك لبقاء تلك الحقيقة بعد الموت ، إذ لاسبيل للموت إليها بوجهٍ .

* * *

روى الشيخُ الطبرسي ـ رحمه الله ـ في كتاب الاحتجاج[1] ، عن مولانا الصادق عليه السلام إنّه قال : «الروح لا توصف بثقل ولا خفّة . وهي جسمٌ رقيقٌ قد أُلبس قالبا كثيفا ... فهي بمنزلة الريح في الزقّ فإذا نفخت فيه امتلأ الزقُّ منها ، فلا يزيد في وزن الزقّ ولوجها فيه ، ولاينقصه خروجها منه . وكذلك الروح : ليس لها وزنٌ ولا ثقل ...»

١ ـ المنقول هنا ملتقات من أجوبته عليه السلام عن سؤالات الزنديق الذي سئله عن مسائل كثيرة ، الاحتجاج : ٢٤٥/٢ .

قيل[1] : «أفيتلاشي الروحُ بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ» ؟ قال : «بل هو باقٍ إلى وقتٍ يُنفخ في الصور ، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفني ، فلا حسّ ولا محسوس ، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرُها ، وذلك أربعمأة سنة نسيت فيها الخَلق[2] ، وذلك بين النفختين» .

و قال أيضا[3] : « إنّ الروح مقيمةٌ في مكانها ، روحُ المحسن في ضياء وفسحة ، وروحُ المسيء في ضيق وظلمة ، والبدنُ يصير ترابا . . .» ـ الحديث ـ .

وروي أنّه قال[4] : «وبها يؤمر البدنُ ويُنهى ، ويُثاب ويُعاقب ، وقد تفارقه ويلبسها الله ـ سبحانه ـ غيره كما تقتضيه حكمته» .

قوله ﷺ «وقد تفارقه ويلبسها الله غيره» صريحٌ في أنّها مجرّدةٌ عن البدن مستقلّةٌ ، وأن ليس المراد بها الروح البخاريّة ؛ وأمّا إطلاق الجسم عليها : فلأنّ نشأة الملكوت ـ أيضا ـ جسمانيّة من حيث الصورة ، وإن كانت روحانيّة من حيث المعنى ، وغير مدرَكة بهذه الحواسّ الظاهرة .

روى محمّد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات[5] بإسناده عنه

١ـ الاحتجاج : ٢/٢٤٥ .

٢ـ المصدر : يسبت فيها الخلق .

٣ـ الاحتجاج : ٢/٢٤٦ .

٤ـ لم أعثر على مستند الرواية ، وقد أشار إليه المجلسي في البحار (٦١/٣٦) ولكنه أيضا محكي قول المصنف كما يظهر مما أورده بعده :«وقال بعضهم قوله ﷺ وقد تفارقه . . . صريح في أنها . . .» وذلك نص كلام المصنف هنا .

٥ـ بصائرالدرجات : الجزء ٩ ، باب (١٨) الروح التي قال الله تعالى : يسئلونك . . . : ٤٦٣ ، ح١٢ . عنه البحار : ٦١/٤٠ ، ح١١ .

ﷺ ـ أنّه قال: ـ «مثَلُ المؤمنِ وبدنِه كجوهرة في صندوق، إذا أُخرجت الجوهرة منه طُرِح الصندوقُ ولم يُعبأ به».

ـ قال: ـ «إنَّ الأرواح لا تُمازج البدنَ و لا تُداخله، إنّما هي كالكلل للبدن محيطة به».

وممّا يدلُّ على ذلك دلالةً واضحة أنَّ بدن الإنسان وأعضاءه دائمُ الذوبان والسيلان، لعكوف الحرارة الغريزيّة على التحليل والتنقيص، وكذا غيرها من الأسباب ـ كالأمراض الحارّة، والمسهلات ـ وذاته منذ أوّل الصبي باقية؛ فهو هو لا ببدنه.

ومن هذا يظهر أنَّ هٰذيّة البدن ـ من حيث هو بدنٌ لهذه النفس ـ إنّما هي بهذه النفس، وإن تبدّل تركيبُه؛ وكذا هٰذيّة الأعضاء ـ كهذه اليد، وهذا الإصبع ـ إذ كلُّها متحفّظُ الهويّة تبعا لهويّة النفس.

و إلى مثل هذا أُشير فيما روي عن مولانا الصادق ﷺ[1] في قوله سبحانه: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [٥٦/٤] حيث سُئل: «ما ذنبُ الغير»؟ قال: «ويحك ـ هي هي، وهي غيرُها»[2] ـ فافهم واغتنم فسينفعك.

ومن الشواهد أنّك ـ مع شواغلك ـ إذا فكرت في آلاء الله أو

١ـ أمالي الطوسي: المجلس الرابع والعشرون، ٥٨١، ح٩. عنه البحار: ٣٩/٧، ح٧. و ٢١٩/١٠، ح١٩.

الاحتجاج: احتجاج الإمام الصادق ﷺ: ٢٥٦/٢. عنه البحار: ٣٨/٧، ح٦.

٢ـ السائل ابن أبي العوجاء وتمام الحديث: قال: «أعقِلني هذا القول». فقال ﷺ: «أرأيتَ لو أنّ رجلا عمدَ إلى لبنة فكسرها، ثمّ صبَّ عليها الماء وجبلها، ثمّ ردَّها إلى هيئتها الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرُها»؟ قال: «بلى ـ أمتع الله بك».

سمعتَ آية تشير إلى الأُمور الإلهيّة وأحوال المآب، انظر كيف يقشعرُّ جلدُك، و يقفُ شَعرُك و يهون عليك حينئذ رفضُ البدن وقواه، وهوسُه وهواه؛ وذلك لأجل نور قُذف في قلبك من الجنبة العالية، وانعكس أثرُه إلى ظاهر جِلدك من جهة الباطن ـ على عكس ما ينفعل الداخلُ من الخارج ـ فباطنُك غيرظاهرِك.

و كذلك إذا أردتَ إخلاصَ نيّةٍ في التقرُّب إلى الله ـ سبحانه ـ لم يتيسّر لك ذلك إلاّ بمجاهدة تامّة؛ فالجوهر النطقي منك من عالَم آخر وقع غريبا في الجسد بيد الشهوة والغضب والوهم وغيرها.

وتمام الكلام في النفس يأتي فيما بعد إن شاء الله.



فصل[1] [٦]

[عجائب خلق الأرض]

إذا نظرت في بدنك ونفسك وعرفت نبذا من عجائبها، فانظر إلى الأرض التي هي مقرُّك، ثمّ في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ونباتها وحيوانها، ثمّ ارتفع منها إلى السماوات والملكوت:

و من آياته ـ عزّ وجلّ ـ أن خلق ﴿ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ [٢٢/٢] و ﴿مِهَادًا﴾ [٦/٧٨]، و ﴿ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ [٥٣/٢٠] وجعلها ذلولاً لتمشوا في مَناكِبها[2].

---

١ ـ راجع إحياء علوم الدين: الباب السابق: ٦٣٨/٤.

٢ ـ اقتباس من ﴿ وَ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [١٥/٦٧]

ثمّ وسّع في أكنافها حتّى عجز الآدميّون عن بلوغ جميع جوانبها ـ و إن طالت أعمارُهم وكثر تطوافُهم ـ وجعلها وَقورا لا تتحرّك، وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [٧٨/٥-٦] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ... هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [٣١/١٠-١١].

فظهرُها مقرٌّ للأحياء، وبطنُها للأموات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [٧٧/٢٥].

قال مولانا زين العابدين عليه السلام[1] في قوله تعالى ﴿الذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ فِرَاشًا﴾ [٢/٢٢]: «إنّه جعلها ملائمةً لطبايعكم، موافقةً لأجسادكم؛ لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين ـ كالماء ـ فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم؛ ولكنّه ـ عزّ وجلّ ـ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون عليها، وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم وجعل فيها ما ينقاد به لدوركم وقبوركم، وكثير من منافعكم» ـ رواه في التوحيد.

---

١ ـ التوحيد: باب أنّ الله لايفعل بعباده إلا الأصلح لهم: ٤٠٤، ح١١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ماجاء عنه عليه السلام من الأخبار في التوحيد، ١/١٣٧، ح٣٦.
وقد ورد مثله في التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السلام (١٤٢، تفسير الآية ٢/٢٢) والاحتجاج (احتجاج الإمام العسكري عليه السلام: ٢/٥٠٦) عن أبي محمّد العسكري عليه السلام؛ البحار عن العيون والاحتجاج والتفسير: ٣/٣٥، ح١٠. و٦٠/٨٢، ح٩. ولعل الأظهر اشتباه أبي محمد العسكري عليه السلام بأبي محمد الباقر عليه السلام.

«فسبحان من أمسكها بعدَ مَوَجَان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لِخَلقه مِهادا، وبسطها لهم فِراشا، فوق بحرٍ لجّيّ راكد لايجري، وقائم لايسري، تكركره[1] الرياحُ العواصف، وتمخُضه الغَمام الذوارف»[2]

«أمسَكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الأوَد والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادَها، وضرب أسدادَها».

ـ كذا في كلام أمير المؤمنين عليه السلام[3].



فصل[4] [٧]

[آيات الله تعالى في خلق الجبال والنبات]

أما تأمّلت ـ يا أخي ـ إلى آيات عظمته وآثار رحمته في الجبال الراسيات، والشوامخ الصمّ الصلاب؛ كيف أُودعت المياهُ تحتها، ففجرت العيون وأُسيلت الأنهار تجري على وجهها، وإنّما أخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالاً، وجعل به كلَّ شيءٍ حيًّا، فأخرج به فنونَ الأشجار والنبات ـ من حبٍّ

١ـ تكركره: تذهب به وتعود بكركرة.

٢ـ نهج البلاغة: من الخطبة ٢١١ التي أولها: «وكان من اقتدار جبروته...» والذوارف: جمع ذارفة من «ذرف الدمعُ» إذا سال.

٣ـ نهج البلاغة، من فقرات الخطبة: ١٨٦. التي أولها: ماوحّده من كيّفه...

٤ـ احياء علوم الدين: الباب السابق: ٦٣٨/٤.

وعنَبٍ وقضبٍ وزيتونٍ ونخلٍ ورمّانٍ، وفواكه كثيرة لاتُحصى ـ مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأراييح، ففضّل بعضها على بعض في الأُكل يُسق جميعا بماءٍ واحد، ويخرج من أرضٍ واحدة.

ثمّ [انظر] إلى أراضي البوادي، وفتّش ظاهرَها وباطنَها، فترى بها ترابا متشابها ، فإذا أنزل ﴿ عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٢٢/٥]، ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغيرمتشابه، لكلِّ واحد طَعمٌ وريحٌ ولونٌ وشكلٌ يخالف الآخرَ.

فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها، ثمّ اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها، وكيف أودع العقاقيرَ المنافعَ الغريبة.

فهذا النبات يغذّي، وهذا يقوّي، وهذا يحيي، وهذا يقتل، وهذا يبرد، وهذا يسخّن، وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق ، و هذا يستحيل إلى الصفراء ، و هذا يقمع البلغمَ والسوداء، وهذا يستحيل إليها، وهذا يصفّي الدمَ ، وهذا يفرّح ، وهذا ينوّم، وهذا يقوي، وهذا يضعّف؛ فلم تنبت من الأرض ورقةٌ ولا نبتةٌ إلاّ وفيها منافع لايقوي البشرُ على الوقوف على كنهها.

وكلّ واحد منها يحتاج الفلاّح في تربيتها إلى عمل مخصوص ؛ فالنخيلُ يؤبَر، والكرْم يُقطع، و الزرع يُنق منه الحشيشَ ؛ وبعضها يستنبت ببثّ البذر في الأرض ، وبعضُها يُغرس كالأغصان ، وبعضها يُركّب في الشجر.

ثمّ لمّا [لم] يجد الجرم الصلب غذاء يتشبّه به دفعة بلا تدريج، انظر كيف خلق الله في الأشجار الصلبة لُبّا يشبه المخّ في العظام، عناية

من الله تعالى في حقِّها . وأمّا الأشجار الضعيفة القوام المتخلخلة ، فهي بمعزل عن ذلك لعدم حاجتها إليه ؛ و ما كان الغرض فيه أن يعظم حجمُه ويطول قدُّه في مدّة قصيرة امتنع أن يكون صلبا ، لأنّ الصلب يحتاج إلى مادّة عاصية وقوّة طابخة ، والتصرُّف في مثلها يحتاج إلى مدّة طويلة .

ولو ذهبنا نذكر أحوالَ النباتات وصفاتِها ، واختلاف أجناسها ومنافعها وعجائبها ، لأنقضت الأيامُ في وصفها ؛ فيكفيك من كلّ جنس نبذة يسيرة ، تدلُّك على عظمة الله ولطيف صُنعه ، وكمال عدله وَجُوده .

فسبحان من ﴿ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً ﴾ فأخرج ﴿ بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فأخرج ﴿ مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَ مِنَ ٱلنَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ ٱلزَّيْتُونَ وَ ٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ ٱنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦/٩٩] .

﴿ وَ فِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [١٣/٤] .

فصل[1] [٨]

[الحكم والآيات في خلق المعادن]

ألَم ترَ إلى آياته في أصناف الجواهر المودَعة تحت الجبال، والمعادن الحاصلة من الأرض، ففي الأرض قِطعٌ متجاورات مختلفة:

فانظر إلى الجبال، كيف يخرج منها الجواهر النفيسة ـ من الذهب والفضّة والفيروزج واللعل وغيرها ـ بعضها منطبعة تحت المطارق ـ كالذهب و النحاس و الرصاص و الحديد ـ و بعضها لاينطبع ـ كالفيروزج و اللعل ـ و كيف هدى الله ـ عزّ وجلّ ـ الناسَ إلى استخراجها وتنقيتها واتّخاذ الأواني والآلات والنقود والحلى منها؟

ثمّ انظر إلى معادن الأرض ـ من النفط والكبريت والقار وغيرها ـ وأقلّها الملح، ولا يُحتاج إليه إلاّ لتطييب الطعام، ولو خلتْ عنه بلدةٌ لتسارع الهلاك عليها. فانظر إلى رحمة الله، كيف خلق بعضَ الأراضي سبِخة بجوهرها، بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر، فيصير ملحا بحيث لايمكن تناول مثقال منه، ليكون ذلك تطييبا لطعامك إذا أكلتَه، فيتهنّأ عيشُك. وما من جماد وحيوان ونبات إلاّ وفيه حكمةٌ وحِكم من هذا الجنس، ما خُلق شيءٌ منها ضايعا ولا هزلا، بل خلَق الكلّ بالحقّ، وكما ينبغي، وعلى ما ينبغي، وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه، ولذلك قال: ﴿وَ مَا خَلَقنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ [٤٤/٣٨-٣٩].

---

١ ـ إحياء علوم الدين: الباب السابق: ٤/٦٣٩.

فصل[1] [٩]

[الحكم والآيات في خلق الحيوانات]

أوَ ماتدبّرت في آيات حكمته وآثار رحمته في أصناف الحيوانات وانقسامها إلى مايطيرُ وإلى ما يمشي ؛ وانقسام ما يمشي إلى مايمشي على بطنه ، وما يمشي على رِجلين ، وما يمشي على أربع ، وعلى عشر ، وعلى مأة ؛ واختلافها في الصوَر والأشكال والأخلاق والطبايع والمنافع ، وفي إعداد الله عزّ وجلّ بلطيف صُنعه وبلاغ حكمته ، لكلٍّ منها آلات وقوى لخاص أفاعيلها و حاجات تناسبها ، و فيها من العجائب ما لايُشكُ معها في عظمة خالقها وقدرة مقدِرها وحكمة مصوِّرها ، ولايمكن أن يستقصى ذلك .

وكيف ، ولو أردنا أن نذكر عجائب البقّة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت ـ و هي من صغار الحيوانات ـ في بنائها بيتها ، وفي جمعها غذائها ، وفي إلفها لزوجها ، وفي اِدّخارها لنفسها ، وفي حذقها في هندسة بيتها ، وفي هدايتها إلى حاجاتها : لم نقدِر .

فترى العنكبوتَ يبني بيته على طرَف نهر ، فيطلب أوّلاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونها ، حتّى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ، ثمّ يبتدئ فيلقي اللعاب ـ الذي هو خيطُه ـ على جانبٍ ليلتصق به ، فيعدو إلى الجانب الآخر ، فيُحكِم الطرف الآخر من الخيط ثمّ يُحكم كذلك ـ ثانيا و ثالثا ـ ويجعل بُعد ما بينهما متناسبا ـ تناسبا

١ ـ إحياء علوم الدين : الباب السابق : ٤/٦٤٠ .

هندسيًا ـ حتّى إذا أحكم معاقِدالقِمط ورتّب الخيوط كاللُحمة فيشتغل بالتسدية[1] ، فيلتصق السدي إلى اللُحمة، ويُحكم العقد على موضع التقاء السدي باللُحمة، ويرعى في جميع ذلك تناسبَ الهندسة، ويجعل ذلك شبكةً يقع فيها البقُّ والذبابُ ، ويقعد في زاوية مترصّدا لوقوع الصيد في الشبكة ؛ فإذا وقع فيها بادَر إلى أخذه وأكله، فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاويةً من حائط، و وصل بين طرفي الزاوية بخيطه، ثمّ علّق نفسه منها بخيط آخر، وبقي منكّسا في الهواء ينتظر ذبابةً تطير، فاذا طارت ذبابةٌ رمى بنفسه إليها، فأخذها وأحكم خيطه على رِجلها وأحكمها ثمّ أكَلَها .

وما من حيوان ـ صغير ولا كبير ـ إلاّ وفيه من هذه العجائب ما لايحصى ؛ أفترى أنّ شيئا منها تعلّم مثلَ هذه الصنائع من نفسه، أو تكوّن بنفسه، أو كوّنه آدميٌّ، أو علّمه، أو لاهادي له ولا معلِم، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [٣٥/٥٢] .

أيشكُّ ذوبصيرة في أنّه مسكينٌ عاجزٌ ضعيفٌ ؛ بل الفيلُ العظيمُ شخصه ، الظاهرُ قوّتُه ، عاجزٌ عن أمر نفسه ؛ فكيف بهذا الحيوان الضعيف . ! أفلا يشهد هو ـ بنفسه وشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته ـ لفاطره الحكيم، وخالقه القادر العليم .

فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغيرمن عظمة الخالق المدبّر وجلاله وكمال قدرته وحكمته، ما تتحيّر فيه الألباب والعقول فضلا

١ـ القِمط في الأصل حبل من ليف أو خوص تشدُ به الأخصاص. اللُحمة في النسيج ما يمدُّ عرضا، وهو خلاف السدي وهو ما يمدُّ طولا . يقال لها في الفارسية : تار و پود .

عن ساير الحيوانات . وهذا الباب أيضا لاحصر له ، فإنّ الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة ، وإنّما سقط تعجُّب القلوب منها لأُنسها بكثرة المشاهدة .

نعم ، إذا رأى حيوانا غريبا ـ و لو دُودا ـ تجدّد تعجُّبه و قال : «سبحان الله ما أعجبه» ، والإنسان أعجب الحيوانات ، وليس يتعجّب من نفسه .

بل لونظر إلى الأنعام التي ألفها ، ونظر إلى أشكالها وصوَرها ، ثمّ إلى منافعها وفوائدها ـ من جُلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها الّتي جعلها لباسا لخَلقه و أكنانا لهم في ظعنهم و إقامتهم ، وآنيةً لأشربتهم ، و أوعيةً لأغذيتهم ، وصوانا لأمواهم[1] ؛ وجعل ألبانَها ولحومَها أغذيةً لهم ؛ ثمّ جعل بعضَها زينةً للركوب ، وبعضَها حاملةً للأثقال قاطعةً للبراري والمَفازات ، وإلى بلاد لم يكونوا بالغيه إلاّ بشقِّ الأنفس ـ لأكثرَ الناظرُ التعجُّبَ من حِكمة خالقها ومصوّرها ، فإنّه ما خلقها إلاّ بعلم محيط بجميع منافعها ، سابقٍ على خَلقه إيّاها .

***

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السلام[2] : « ابتدعهم خَلقا عجيبا من حَيوانٍ ومَوات ، وساكنٍ وذي حركات ، و أقام من شواهد البيّنات على لطيفِ صَنعته وعظيم قدرتِه ما انقادت له العقولُ معترفةً به ومسلّمةً له ، ونعقت في أسماعِنا دلائله على وحدانيّته ، و ما ذرأ من مختلف صور

١ـ المصدر : لأقدامهم .

٢ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٦٥ . عنه البحار : ٦٥/٣٠ ، ح١ .

الأطيار، التي أسكنها أخاديد[1] الأرض وخروقَ فجاجها[2] ، ورواسي أعلامها[3] ـ من ذوات أجنحةٍ مختلفة وهيئات متباينةٍ مصرَّفة في زمام التسخير، ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوِّ المنفسخ[4] ، والفضاء المنفرج ـ كوّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة ، و ركّبها في حِقاق مفاصل محتجبة[5] ، ومنع بعضَها بعبالة خلقه أن يسمو في الهواء خُفوفا[6] ، وجعَلَه يدِفُّ دَفيفا[7] ، ونسقها[8] على اختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته، فمنها مغموسٌ في قالب لون[9] لايشوبه غير لون ما غمس فيه، و[منها] مغموس في لون صبغ، قد طوّق بخلاف ما صبغ فيه[10] .

ومن أعجبها خلقا الطاووس ، الذي أقامه في أحكم تعديل ، ونضّد ألوانه في أحسن تنضيد ...»

ـ الحديث ـ وتمامُه مذكورٌ في نهج البلاغة .

---

١ ـ الأخاديد : جمع أخدود ؛ وهو الشقّ في الأرض.

٢ ـ الفجاج : جمع فجّ . وهو الطريق الواسع ؛ وقديستعمل في متّسع الفلاة.

٣ ـ الأعلام : جمع عَلَم ؛ وهو الجبل.

٤ ـ رفرف الطائرُ : إذا بسط جناحيه.

والمخارق : جمع مَخرق ؛ وهي الفلاة ؛ وشبّه الجوّ بالفلاة للسعة فيها.

٥ ـ الحِقاق : جمع حُقّ ؛ وهو مجتمع المفصلين . واحتجاب المفاصل استتارها باللحم والجلد.

٦ ـ العبالة : الضخامة . و يسمو : يرتفع . و خُفوفا : سرعة وخفة.

٧ ـ دفيف الطائر : مروره فويق الأرض ؛ أوأن يحرك جناحيه و رجلاه في الأرض.

٨ ـ نسقها : زينها.

٩ ـ القالب : مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . و الطائر ذو اللون الواحد كأنما أُفرغ في قالب من اللون.

١٠ ـ أي جميع بدنه بلون واحدإلا لون عنقه ، فإنه مخالف لسائربدنه ، كأنه طوق صيغ لحليته.

فصل [1] [١٠]

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له يصف فيها عجيب خلق أصناف الحيوان[2] : « ولو فكّروا في عظيم القدرةِ و جسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريقِ ، وخافوا عذابَ الحريق ، ولكن القلوبَ عليلةٌ ، والأبصار[3] مدخولةٌ ، ألا تنظرون إلى صغيرِ ما خَلق ، كيف أحكمَ خلْقَه وأتقنَ تركيبَه ، وفلَقَ له السمعَ والبصرَ ، وسوّىٰ له العَظْمَ والبَشَرَ[4] .

انظروا إلى النملة في صِغَر جثّتِها ولطافةِ تركيبِها[5] ـ لاتكاد تُنال بلحظِ البصرِ ، ولا بمستدرَكِ الفِكرِ ـ كيف دبّت على أرضِها ، وصُبّتْ على رزقِها ، تَنقُل الحبّةَ إلى جُحْرِها ، وتُعِدُّها في مستقرّها ، تجمع في حرّها لبردِها ، وفي وِردها لصَدَرِها[6] ، مكفولةٌ برزقِها ، مرزوقةٌ بوِفْقِها[7] ، لايُغفلها المنّانُ ولا يَحرمها الديّانُ ، ولو في الصفَا اليابسِ والحجَرِ الجامِسِ[8] ؛ ولو فكّرتَ في مجاري أكلِها في عُلوِها وسُفلِها ،

١ـ عين اليقين : ٣٥٢.

٢ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ أولها : «الحمد لله الذي لاتدركه الشواهد . . .» عنه البحار : ٣٩/٦٤ ، ح١٩ . وأورده الطبرسي ـ قده ـ في الاحتجاج : احتجاجه عليه السلام فيما يتعلق بتوحيد الله . . . : ٤٨١/١ وفيه فروق . عنه البحار : ٢٦/٣ ، ح١ .
وأورد الزمخشري بعض فقراتها في ربيع الأبرار : ٤٨١/٤ و٤٥٩ .

٣ـ نهج البلاغة : البصائر .

٤ـ البَشَر : جمع بشَرَة ، ظاهر الجلد .

٥ـ نهج البلاغة : لطافة هيئتها .

٦ـ الصَدَر ـ محركا ـ : الرجوع بعد الورود .

٧ـ بكسر الواو أو فتحها : أي بما يوافقها من الرزق و يلائم طبعها .

٨ـ الصفاـ جمع الصفاةـ : الحجر الصلد الضخم . الجامس : الجامد .

وما في الجوفِ من شراسيفِ بطنها[1] ، وما في الرأس من عَينِها وأُذُنِها ، لقَضيتَ من خَلْقِها عجَبا ، ولقيتَ من وصْفها تعَبا ؛ فتعالى اللهُ الذي أقامها على قوائمِها ، وبناها على دعائمِها ، لم يَشرَكْه في فِطرتِها فاطرٌ ، ولم يُعِنْهُ على خَلقِها قادرٌ .

ولوضربتَ في مذاهب فكرِكَ لتَبلغَ غاياتِه ، ما دلَّتك الدلالةُ إلاّ على أنَّ فاطرَ النملةِ هو فاطرُ النحلةِ ، لدقيق تفصيل كل شيءٍ ، وغامضِ اختلافِ كلِّ شيء[2] ، وما الجليلُ واللطيفُ ، والثقيلُ والخفيفُ ، و القويُّ والضعيفُ ـ في خلقِه ـ إلاّ سواءٌ .

وكذلك السماءُ والهواءُ والرياحُ والماءُ ؛ فانظرإلى الشمسِ والقمرِ ، والنباتِ والشجرِ ، والماءِ والحجَرِ ، واختلافِ هذا الليلِ والنهارِ ، وتفجُّرِ هذه البحار ، وكثرةِ هذه الجبالِ ، وطولِ هذه القِلالِ[3] ، وتفرُّقِ هذه اللغات والألسُنِ المختلفاتِ ؛

فالويلُ لمن جحَدَ المقدِّرَ وأنكرَ المُدبِّرَ .

وزعموا أنَّهم كالنبات مالهم زارعٌ ، ولالاختلافِ صوَرهم صانعٌ ، ولم يلجأوا إلى حجَّة فيما ادَّعَوا ، ولاتحقيقٍ لما أوعَوا . وهل يكون بناءٌ من غيرِ بانٍ ، أو جنايةٌ من غير جانٍ .

وإن شئتَ قلت في الجرادةِ ؛ إذ خلَق لها عَينين حَمراوَين ، وأسرجَ لها حدقتين قمراوَين[4] ، و جعل لها السمعَ الخفيَّ ، و فتح لها الفمَ

---

١ ـ الشراسيف : أطراف الأضلاع التي تشرف على البطن .

٢ ـ المصدر : كل حي .

٣ ـ القِلال : جمع قُلّة . وهي رأس الجبل .

٤ ـ أي مضيئتين ، كأنّ كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر .

السويّ، وجعل لها الحسّ القويّ ، ونابَين بهما تقرضُ، ومِنجَلَين بهما تقبض[١] ، يَرهَبُها الزُرّاعُ في زرعِهم، ولا يستطيعون ذبَّها ولو أجلبوا بجمعهم، حتّى ترد الحرْثَ في نزَواتِها[٢] ، وتقضي منه شهواتِها، وخَلقُها كلُّه لايكون إصبَعا مستدَقّة.

فتبارك اللهُ الذي يسجُد له من في السماوات و الأرض طوعا و كرها، و يعفّر له[٣] خدًّا ووجها، ويُلقِي إليه بالطاعة سِلما وضَعفا، و يُعطي له القِيادَ رَهبةً وخوفا؛ فالطيرُ مسخَّرةٌ لأمره؛ أحصى عددَ الريشِ منها والنفَسِ، وأرسىٰ قوائمَها على النَدىٰ واليَبَسِ؛ قدَّرَ أقواتَها وأحصى أجناسَها.

فهذا غُرابٌ وهذا عقابٌ، وهذا حَمامٌ وهذا نعام، دعا كلَّ طائرٍ باسمه، وكفَل له برزقِه، وأنشأ السحابَ الثقالَ، فاهطلَ دِيَمَها[٤] ، و عدَّد قِسَمَها[٥] ، فبلَّ الأرضَ بعدَ جُفوفِها ، و أخرج نبتَها بعد جدوبِها.

١ـ المنجل ـ كمنبر ـ آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع ؛ قالوا : أراد عليه السلام بهما هنا رجليها، لاعوجاجها وخشونتها.

٢ـ نزواتها : أي وثباتها.

٣ـ نهج البلاغة : يعنو له.

٤ـ الهَطْل ـ بالفتح ـ تتابع المطر والدمع.

الدِيَم ـ كالهمم ـ جمع ديمة ؛ وهي مطرٌ يدوم في سكون بلارعد وبرق.

٥ـ تعديد القسم : إحصاء ما قدر منها لكل بقعة.

فصل [1] [١١]

[حِكَم وجود الآلام وأكل الحيوانات جثث الموتى]

ومن عناية الله ـ عزّ وجلّ ـ ولطفه أن جعل في جبلّة الحيوانات الآلام والأوجاع والجوع والعطش، حثّا لنفوسها على حفظ أجسادها من الآفات العارضة لها، إذ كانت الأجساد لاتقدر على جرّ منفعة ودفع مضرّة، فلولا ذلك لتهاونت النفوس بالأجساد؛ وأسلمتها إلى المهالك قبل فناء أعمارها وتقارب آجالها، ولمّا علم أنّه لايدوم بقاؤها أبد الآبدين، جعل لكلّ منها عمرا طبيعيًا أكثر ما يمكن، ثمّ يجيئه الموتُ الطبيعي ـ شاء أم أبى ـ.

وقد علم الله أنّه يموت كلّ يوم منها ـ في البرّ والبحر، والسهل والجبل ـ عدد لايحصيه إلاّ هو، فجعل بواجب حكمته جُثث جِيف موتاها غذاءً لأحيائها، ومادّةً لبقائها، لئلاّ يضيع شيءٌ ممّا خلق بلاانفع وفائدة، فكان في هذا منفعة للأحياء، ولم يكن فيه ضررٌ على الموتى؛ وهذا أحدُ وجوه الحكمة في أكل بعض الحيوانات بعضا.

ومن جملة تلك الوجوه: أنّه لو لم يكن الأحياءُ تأكل جثَثَ الموتى لبقيت تلك الجثَثُ واجتمع منها على مرّ الأيام والدهور ما كاد يمتلئ بها وجهُ الأرض وقعر البحار، وتفسد المياه وريحها؛ فتصير تلك سبب هلاك الأحياء.

فالغرضُ الأصلي من ذلك إنّما هو جلبُ المنفعة ودفعُ المضرّة؛ وإن

---

١ ـ عين اليقين: ٣٥٢.

كان ينال بعضها الآلام والأوجاع عند الذبح والقتل والقبض، فإنّ ذلك إنّما هو بالعرَض.

ولنقتصر في هذا النمط من الكلام في حيوان البرِّ على ذلك فإنّه بحرٌ لاساحل له، إذ بدائع حِكَم الله ـ سبحانه ـ وعناياته في خَلقه أكثر من أن تصل إلى صفته عمائق الفِطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفَه أقوالُ الواصفين.

فصل [١] [١٢]

[الآيات في خلق البحار والماء]

أو لم تنظر إلى آثارِ عظمة الله ـ عزّ وجلّ ـ وآياتِه في خَلق البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض، التي هي قِطع من البحر الأخضر [٢] المحيط بجميع الأرض، حتّى أنّ جميع المكشوف من البوادي والجبال بالإضافة إلى الماء، جزيرةٌ صغيرة في بحر عظيم؛ وبقيّةُ الأرض مستورةٌ بالماء.

قال النبيُّ ﷺ [٣]: «الأرضُ في البحر كالإصطبل في الأرض» فأنسب إصطبلا إلى جميع الأرض.

واعلم أنّ الأرض بالإضافة إلى البحر مثلُه، قد شاهدتَ عجائبَ

١ـ إحياء علوم الدين: الباب السابق: ٦٤١/٤.

٢ـ الإحياء: البحر الأعظم.

٣ـ أورده الغزالي في الإحياء (٤٦٠/٤ و٦٤١). وقال العراقي في تخريجه (المغني: ذيل الإحياء من الطبعة القديمة: ٣٦٨/٤ و ٤٤٢/٤): «لم أجد له أصلا».

الأرض والتي فيها، فتأمّل عجائبَ البحر، فإنّ عجائب ما فيها[1] ـ من الحيوان والجواهر ـ أضعافُ عجائب ما تُشاهده على وجه الأرض، كما أنّ سعته أضعافُ سعتها[ها]؛ ولعِظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يُرى ظُهورها في البحر فيُظنُّ أنّها جزيرة، فينزل الركبان عليها، فربما يحسُّ بالنيران إذا استُعملت فيتحرّك، فيُعلم أنّها حيوانٌ[2] وما [من] صنفٍ من أصناف حيوان البرّ ـ من فرس و طير و بقر وإنسان[3] ـ إلاّ وفي البحر أمثالها وأصنافها، وفيه أجناسٌ لايُعهد لها نظيرٌ في البرّ، قد ذُكرت أوصافُها في مجلّدات، وجمَعها أقوامٌ عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه.

ثمّ انظر كيف خلق اللؤلؤ[4] ودوّرها في صدفه تحت الماء؛ وانظر كيف أنبتت المرجان من صمّ الصخور تحت الماء ـ وإنّما هو نبات على هيئة شجرة تنبت من الحجر ـ.

ثمّ تأمّل ماعداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر ويستخرج منها، كما قال عزّوجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ

١ـ كذا. ولكن في الإحياء والمحجة البيضاء: فيه.

٢ـ الغرض ذكر عظم الحيوانات الموجودة في البحار بالنسبة إلى موجودات البرّ، ولاشك في صحّة ذلك، فلايقدح فيه ماجاء في مطاوي الكلام شيئا من هذه المسائل التي ربما كانت مذكورة في القصص والحكايات القديمة أمثال «ألف ليلة وليلة» الواضحة البطلان.

٣ـ الإنسان البحريّ و وجودها أيضا من قبيل ما ذكرنا من الأباطيل المذكورة في القصص والأساطير.

٤ـ في هامش النسخة:

زابر آورد قطره‌اى سوي يم	زصلب افكند نطفه‌اى در شكم
ازان قطره لولوى لالا كند	وزين صورتى سرو بالا كند

لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٦/١٤] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ [٤٢/٣٢-٣٣] .

فانظر إلى عجائب السُفن ، كيف أمسكها اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ على وجه الماء و سيَّر فيها التجّارَ وطلاّبَ الأموال و سخَّرها لهم لتحمل أثقالَهم ، ثمَّ أرسل الرياح لتسُوقها ، ثمَّ عرَّف الملاَّحين مواردَ الرياح ومهابَّها ومواقيتَها .

و لا يُستقصى ـ على الجملة ـ عجائبُ صُنع الله في البحر في مجلَّدات .

وأعجب من ذلك كلِّه ما هو أظهر من كلِّ ظاهرٍ ، وهو كيفيَّة قطرة الماء ؛ وهو جسمٌ رقيقٌ لطيفٌ سيَّالٌ مشفٍ متَّصلُ الأجزاء كأنَّه شيءٌ واحدٌ ، لطيفُ التركيب ، سريعُ القبول للتقطيع ، كأنَّه منفصل مسخَّر للتصرُّف ، وقابل للانفصال والاتِّصال ، به حياتُ كلِّ ماعلى وجه الأرض ـ من حيوان ونبات ـ فلواحتاج العبدُ إلى شربة ومُنِع ، لَبَذَلَ جميعَ خزائن الدنيا في تحصيلها ـ لو مَلِك ذلك ـ ثمَّ ـ إذا شربها ـ لومُنع من اخراجها ، لَبذَل جميعَ خزائن الأرض في إخراجها .

فصل [1] [١٣]

[الآيات في خلق الهواء والسحاب]

أوَ ماتشاهد الهواءَ اللطيف ؟ المحبوس بين مقعّر السماء ومحدّب الأرض ، يدرَك بحسّ اللمس عند هبوب الريح جسمُه ، ولا يُرى بالعين شخصُه ، وجملتُه مثلُ البحر الواحد ، والطيورُ مختلفة في جوّ السماء، سبّاحة فيها بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء ؛ قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ ٱلرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [١٩/٦٧] . ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ مَايُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ ٱللهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٧٩/١٦] .

أوَ ماترى كيف تضطرب جوانبُ الهواء وأمواجُه عند هبوب الرياح ، كما تضطربُ أمواجُ البحر ، فإذا حرّك الله الهواءَ وجعله ريحا هابّة ؛ فإن شاء جعلَه بُشرىٰ بين يدي الرحمة ، كما قال : ﴿ وَ أَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [٢٢/١٥] فيصل بحركته رَوحُ الهواء إلى الحيوانات و النباتات ، فيستعد للنماء .

وإن شاء جعلَه عذابا على العُصاة من خليقته ، كما قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَومِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ * تَنْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [٥٤/١٩-٢٠] .

ثمّ انظر إلى لطف الهواء ، ثمّ شدّته و قوّته مهما ضبط في الماء ،

---

١ ـ إحياء علوم الدين : الباب السابق : ٦٤٣/٤ .

فالزقُّ المنفوخ يتحامل عليه الرجلُ القويُّ ليغمسه في الماء، فيعجز عنه؛ والحديد الصلب تضعه على وجه الماء[1] فيرسب فيه، فانظر كيف ينقبض الهواءُ من الماء بقوّته مع لطافته.

ولهذه الحكمة أمسك اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ السُفنَ على وجه الماء، وكذلك كلّ مجوّف فيه هواءٌ لا يغوص في الماء، لأنّ الهواء ينقبض عن الغوص في الماء ولا ينفصل عن السطح الداخل في السفينة، فتبقى السفينةُ الثقيلةُ مع قوّتها وصلابتها معلّقةً في الهواء اللطيف، كالذي يقع في البئر فيتعلّق بذيل رَجلٍ قويّ يمتنع عن الهُويّ في البئر؛ والسفينة بمقعّرها تتشبّث بأذيال الهواء لتقوى على أن تمتنع عن الهُويّ والغوص في الماء، فسبحان من علّق المَركَب الثقيل من هواءٍ لطيف من غير علاقة تشاهده، وعُقدة تشدُّ.

ثمّ انظر إلى عجائب الجوّ، وما يظهر فيها من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق، فهي عجائب ما بين السماء والأرض؛ وقد أشار القرآنُ إلى جملته في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾ [٣٨/٤٤].

وأشار إلى تفصيله في مواضع شتّى حيث قال: ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٦٤/٢] وحيث تعرّضَ للرعد والبرق والسحاب والمطر.

فإذا لم يكن لك حظّ من هذه الجملة إلاّ أن ترى المطرَ بعينك، وتسمع الرعدَ بأُذُنك، فالبهيمةُ تشاركك في هذه المعرفة، فارتفع من

---

١ ـ في النسخة: «على وجه الأرض». والصحيح ما أثبتناه مطابقاً للمصدر.

حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى ، فقد فتحت عينك فأدركتَ ظاهرَها ، فغمّض عينَك الظاهرة ، وانظر ببصيرتك الباطنة ، لترى عجائبَ باطنها ، وغرائبَ أسرارها . وهذا ـ أيضا ـ باب يطول الفكرُ فيه ، ولامطمعَ في استيفائه .

فتأمّل السحاب الكثيف المظلم ، كيف تراه يجتمع في جوّ صافٍ لاكدورة فيه ، وكيف يخلقه اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ إذا شاء ومتى شاء ؟ وهو مع رَخاوته حاملٌ للماء الثقيل ، وممسكٌ في جوِ السماء ، إلى أن يأذن اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ في إرساله الماء ، وتقطيع القطرات ، كلُّ قطرة بالقدْر الذي أراده اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ وعلى الشكل الذي شاءه .

فترى السحابَ يرشُّ الماءَ على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة ، لاتدرِك قطرةٌ منها أُخرىٰ ، ولا تتصل واحدة بأُخرىٰ ، بل تنزل كلُّ واحدة في الطريق الذي تُرسم فيه ، لاتعدل عنه ، ولايتقدّم المتأخِر ، ولايتأخّر المتقدّم ، حتّى يصيب الأرض قطرةً قطرةً .

فلو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرةً واحدةً ، أو يعرفوا عددَ ما ينزل منها في بلدة واحدة ، أو قريةٍ واحدةٍ لعجز حُسّابُ الجنّ والإنس عنه ، فلا يعلم عددَها إلاّ الذي أوجدها .

ثمّ كلُّ قطرة منها عُيّنت لكلِّ جزء من الأرض ، ولكلِّ حيوان من طير و وحش و دُود ، مكتوب على تلك القطرة بخطٍّ إلهيّ لايُدرك بالبصر الظاهر : « إنّه رزقُ الدودُ الفلاني ، الذي هو في ناحية الجبل الفلاني ، يصل إليه عند عطشه في الوقت الفلاني » .

ـ هذا ـ مع ما في انعقاد البَرد الصلب من الماء اللطيف ، وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف ، ومن العجائب التي لاتحصى ؛ كلُّ ذلك

فضل من الجبّار القادر، وقهرٌ من الخالق القاهر؛ ما لأحدٍ فيه شركة ومدخل، بل ليس للمؤمن من خلقه إلاّ الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته، ولا للعميان الجاحدين إلاّ الجهل بكيفيّته ورجم الظنّ بسببه وعلّته. فسبحان من ﴿ يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [١٣/١٣].

فصل [١٤]

[السماء ومافيها من الآيات]

أوَ ما ترفع رأسَك إلى السماء و تنظر فيها و في تزيُّنها بزينة الكواكب، وتتدبّر في عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها وكيفيّة أشكالها المرتسمة من اجتماعها، وفي دورانها وطلوعها وغروبها، وسيّما في شمسها وقمرها اللذين جعلهما الله ـ سبحانه ـ ضياءً ونورا[١]، وجعل أعظمهما سراجا وهّاجا[٢]، وصيّرها رئيسَ السماء، واهبَ الضياء، فاعلَ النهار والليل بالحضور والغيبة، وجاعلَ الفصول الأربعة بالذهاب والأوبة ـ بأمر الله سبحانه وطاعته ـ قرّةَ عين الدنيا، وهاديَ سبيل العقبىٰ؛ ما ازدادت على الكواكب بمجرّد المقدار والقرب، بل بالشدّة، فإن ما يتراءا من الكواكب بالليل مقدار مجموعها أكبر من الشمس بما لايتقايس، ولا يضيء ضوؤها.

فسبحان من صوّرها ونوّرها، وفي عشق جماله دوّرها.

١ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [١٠/٥].
٢ـ ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [٧٨/١٣].

وفي الخمسة المتحيّرة في جمال بارئها، المعبّر عنها في القرآن المجيد: بـ﴿ٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [٨١/١٥-١٦] وعن أعلاها بـ﴿ٱلطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [٨٦/١-٣] ثمّ في اختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتورٍ في حركتها، ولا تغيُّرٍ في سيرها؛ بل يجري جميعُها في منازل مرتّبة بحساب مقدّر لايزيد ولا ينقص، إلى أن يطويها الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿طَيَّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [٢١/١٠٤] قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [٥٥/٥] ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٣٦/٤٠].

فانظر[1] إلى هذين النيّرين ولطيفِ عناية الله وَجُودِه ورحمته فيهما، فإنّ الشمس مع كونها تسير في فلكها في مدّة سنة، تطلع كلّ يوم وتغرب بسير آخر سخّرها خالقُها، ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار، ولم تُعرف المواقيت، وأطبق الظلام على الدوام، أو الضياء على الدوام، ولفسدت بإحراقها موادُّ الكائنات، أو هلكت بالبرودة المفرطة وبقيت في وحشة شديدة وليل مظلم لاأوحش منه، و لم يكن محلُّ سكن للحيوانات، وكان لايتميّز وقتُ المعاش عن وقت الاستراحة:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ

١ـ إحياء علوم الدين :الباب السابق : ٤/٦٤٧.

ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] [٢٨/٧١-٧٣] .

فانظر كيف جعل ﴿ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [١٠/٧٨] و ﴿ ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [١١/٧٨] وانظر إلى إيلاجه الليلَ في النهار ، والنهارَ في الليل ، وإدخاله الزيادةَ والنقصانَ عليهما على ترتيبٍ مخصوص ، وإلى إمالته سيرَ الشمس عن وسط السماء حتّى اختلف بسببه الزمان ، وحصلت الفصولُ الأربعة التي بها يتمُّ الكون والفساد ، وتنصلح أمزجةُ البقاع والبلاد ؛ فإذا انخفض عن وسط السماء مسيرُه برد الهواءُ فظهر الشتاءُ ، وإذا استوى في وسط السماء اشتدَّ القيظُ ، وإن كان فيما بينهما اعتدل الزمانُ .

وعجائبُ السماوات لامطمعَ في إحصاء عُشر عشيرِ جزء من أجزائها .

وهذا تنبيهٌ على طريق التفكُّر ، واعتقد على الجملة أنّه ما من كوكبٍ من الكواكب إلاّ ولله تعالى حِكمةٌ كثيرةٌ في خَلقه ، ثمّ في مقداره ، ثمَّ في شكله ، ثمّ في لونه ، ثمّ في وضعه في السماء وقُربه من وسط السماء وبُعده عنه ، وقُربه من الكواكب التي بجنبه وبُعده عنها ، وقس ذلك بما ذكرناه في أعضاء بدنك ، إذ ما من جزء إلاّ وفيه حِكمة ، بل حِكم كثيرة ، وأمرُ السماء أعظم :

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَ لَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤٠/٥٧] ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ

---

١ ـ كتب الآية الأُولى بعد الثانية وأثبتناها حسب الكتاب الكريم .

سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ [٧٩/٢٧-٣٠] .

بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء ـ لا في كِبَر جسمه ولا في كثرة معانيه ـ وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في الكِبر، مع أنّ كِبَر الأرض واتّساع أطرافها بحيث أنّه لايقدر آدميٌّ على أن يدورَ بجوانبها. و قد اتّفق الناظرون على أن الشمس مثلُ الأرض مأة ونيّفا وستين مرّة[1] ، وفي الأخبار ما يدلُّ على عظمتها ، والكواكب التي تراها أصغرها هي مثل الأرض ثماني مرّات ، وأكبرها ينتهي إلى قريب من مأة وعشرين مرّة مثل الأرض ؛ وبهذا يعرف ارتفاعها وبُعدها ؛ فللبُعد صارت تُرى صغارا ، و لذلك أشار الله تعالى إلى بُعدها فقال: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ [٧٩/٢٨] .

وفي الأخبار[2] : «إنّ بين كلّ سماء إلى أُخرى مسيرة خمسمأة عام» .

فإذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الأرض ، فانظر إلى كثرة الكواكب ، ثمّ انظر إلى السماء التي الكوكب مركوزٌ فيها ، وإلى عظمتها ،

١ـ هذا على ما كان معروفا في الهيئة القديمة ، وأما على مايحسب اليوم فالشمس أكبر من ذلك بكثير.

٢ـ في الترمذي : (كتاب صفة الجنة ، باب (٨) ماجاء في صفة ثياب أهل الجنة : ٤/٦٧٩ ، ح٢٥٤٠) : «. . . مابين السماء والأرض مسيرة خمسمأة سنة . . .» .
وجاء مايقرب منه فيه أيضا : كتاب صفة جهنم ، باب (٦) : ٤/٧٠٩ ، ح٢٥٨٨ .
راجع الدرالمنثور : تفسير الآية ٢٩ من سورة البقرة ، ١/١٠٨ـ١٠٩ . وفي تفسير القمي (سورة مريم ، ٢/٥٠) : «. . . وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمأة عام ، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمأة عام ، و من السماء الثالثة إلى الثانية خمسمأة عام ، وكل سماء ومابينها كذلك . . .» البحار : ٥٨/٩٠ ، ح٦ .

ثمَّ انظر إلى سرعة حركتها ، وأنت لاتُحسُّ بحركتها ، فضلاً من أن تُدرك سرعتَها ، لكن لاتشكَ في أنّه في لحظة تسير مقدارَ عرضِ كوكب ، لأنّ الزمان من طلوع أوّل جزء من كوكب إلى تمامه يسير ، وذلك الكوكبُ هو مثلُ الأرض مأة مرّة وزيادة ، فقد دارَ الفلكُ في هذه اللحظة مثلُ الأرض مأة مرّة ، وهكذا يدور على الدوام ، وأنت غافلٌ عنه ، وانظر كيف عبَّر جبرئيل ﷺ عن سرعة حركته إذ قال له النبيُّ ﷺ[1] : «هل زالت الشمسُ» ؟ فقال : «لا ، نعم» . فقال : «كيف تقول : لا ، نعم» ؟

فقال : « من حيث أن قلت : «لا» ، إلى أن قلت : «نعم» ، سارت الشمسُ مسيرةَ خمسمأة عام » .

فانظر إلى عظم شخصها ، ثمَّ إلى خفَّة حركتها ، ثمَّ انظر إلى قُدرة الفاطر الحكيم ، كيف أثبتَ صورتَها ـ مع اتِّساع أكنافها ـ في حدقة العين مع صِغَرها ، حتّى أنكَ تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعَها .

فهذه السماء لعظمتها وكثرة كواكبها لاتنظرْ إليها ، بل انظرْ إلى بارئها ، كيف خلقَها ، ثمَّ أمسكها من غير عمدٍ ترونها ، ومن غير علاقة من فوقها متدلٍ بها .

فكلُّ العالَم كبيت واحدٍ والسماءُ سقفُه ، فالعجبُ منك أنّك تدخل في بيت غنيّ فتراه مزوّقا بالصبغ ، مموّها بالذهَب ، فلا تنقطع تعجُّبك عنه ، ولاتزال تُذكِّره وتصف حسنَه طولَ عمرك ؛ وأنت أبدا

---

١ ـ قال الزبيدي (الإتحاف : ٢١٥/١٠) : «هكذا ذكره صاحب القوت» . وقال العراقي (المغني : ذيل الطبعة القديمة من الإحياء : ٤٤٦/٤) : «لم أجد له أصلا» .

تنظر إلى هذا البيت العظيم، وإلى أرضه، وإلى سقفه، وإلى هوائه، وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدايع نقوشه، ثمّ لاتتحدّث به ولاتلتفت بقلبك إليه ؛ فما هذا البيتُ دونَ البيت الذي تصفه، بل ذلك البيتُ هو ـ أيضا ـ جزءٌ من الأرض التي هي أخسُّ أجزاء هذا البيت، ومع هذا فلا تنظر إليه.

أوَ﴿ لَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَ ٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَ ذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [٥٠/٦-٨]. ﴿ وَ جَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعرِضُونَ ﴾ [٢١/٣٢]. ﴿ وَ بَنَيْنَا فَوقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [٧٨/١٢] إشارة إلى صلابتها وحفظها عن التغيُّر إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

وهذا بخلاف الأرضيّات فإنّها متغيّرةٌ على القرب، ولهذا عظّم اللهُ أمرالسماوات والنجوم وأقسم بها في غيرموضع من كتابه كقوله: ﴿ وَ ٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [٨٥/١] ﴿ وَ ٱلسَّمَاءِ وَ ٱلطَّارِقِ ﴾ [٨٦/١] ﴿ وَ ٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [٥١/٧] ﴿ وَ ٱلسَّمَاءِ وَ مَا بَنَيٰهَا ﴾ [٩١/٥] ﴿ وَ ٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَٱلقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا ﴾ [٩١/١-٢] ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [٥٣/١] ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ *ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ [٨١/١٥-١٦] ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [٥٦/٧٥-٧٦] إلى غير ذلك.

وأحال الأرزاقَ إليها: ﴿ وَ فِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٥١/٢٢] ـ يعني الجنّة ـ.«[1] وجعلها موضعا لعرشه، ومَسكنا لملائكته،

١ـ اقتباس من نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢. أولها: «الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق...»

ومَصعدا للكلم الطيّب والعمل الصالح من خَلقه، وجعل نجومَها أعلاما يَستدِلُ بها الحيرانُ في مختلَف فِجاج الأقطار، لم تمتنع ضوء نورها ادلهام سجف الليل المظلم[1]، ولا استطاعت جلابيبُ سواد الحنادِس[2] أن تردّ ماشاع في السماوات من تلألؤ نور القمر».

«[3] أمسكها من أن تمورَ في خرق الهواء بأيده، وأمرها أن تقف مستسلمةً لأمره، وجعل شمسَها آية مبصرة لنهارها، وقمرَها آية ممحوّة من ليلها، وأجراهما في مناقل مجراهما، وقدّر مسيرَهما في مدارج درَجِهما لِيميّز بين الليل والنهار بهما، وليُعلم عددَ السنين والحساب بمقاديرهما ؛ ثمّ علّق في جوِّها فلكا، وناط بها زينتَها من خفيّات دراريها ومصابيح كواكبها، ورمى مسترِقي السمع بثواقب شُهبها، وأجراها على إذلال تسخيرها، من ثبات ثابتها، ومسير سائرها، وهبوطها وصعودها، ونحوسها وسعودها».

وكلٌّ له قانتون، مقرُّون بالربوبيّة مذعنون بالطوّاعيّة، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات غير متلكّيات ولا مبطِئات، حيث ﴿ قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [٤١/١١-١٢].

﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

١ـ السجف ـ بالفتح والكسر ـ : الستر.

٢ـ الجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها. الحنادِس جمع حِندس، وهو الليل المظلم.

٣ـ من نهج البلاغة : الخطبة ٩١، وهي المعروفة بخطبة الأشباح.

عِلْمًا﴾ [٦٥/١٢]. ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ﴾ [٦٧/٣-٤].

فسبحان الله ربِّ السماوات السبع، وربِّ الأرضين السبع، وما فيهنَّ وما بينهنَّ وربِّ العرشِ العظيمِ.

فصل [١٥]

[الملكوت]

ثمَّ أجِلْ - يا أخي فكرَك في الملكوت؛ وما أدراك ما الملكوت؟

الملكوتُ ماغاب عن الأبصار، كما أنَّ المُلك ما ظهَر لها، وهو عالَم الغيب والباقي، كما أنّ هذا العالَم عالَم الشهادة والفاني ﴿وَ كَذٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [٦/٧٥].

﴿أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [٧/١٨٥].

فانظر ـ ياأخي ـ في الملكوت، عسى أن تُفتحَ لك أبوابُ السماء، فترى من عجائبِ العزِّ والجبروتِ، ويضيء لك من سناء برق اللاهوت.

والمَلَكوتُ قسمان:

قسمٌ لاتعلُّق له بهذا العالم أصلا ـ لا تعلُّق الحلول ولا التدبير ـ وهم إمّا وسائطُ جود الله ـ سبحانه ـ وفيضه، وهم العقول والأرواح

ـ و قد مرَّ ذكرهم ـ و إمَّا المستغرقون في ذكرالله ـ عزَّ وجلَّ ـ من الكرُّوبيِّين وغيرهم، وسيأتي الكلام فيها إن شاء الله.

وقسمٌ له تعلُّقٌ بهذا العالم بالتصرّف والتدبير والتحريك ـ ويقال له: **الروحانيَّات** ـ فمنهم ما يتعلّق بالسّماوات ـ ويقال له **الملكوت الأعلى** ـ ومنهم ما يتعلّق بالأرضيّات ـ ويقال له: **الملكوت الأسفل** ـ ولكلٍّ منها أجناس وطبقات كثيرة، حسب تفاوت طبقات الأجسام. فما من جسم ـ علويٍّ أو سفليٍّ ـ إلاّ وله جوهرٌ ملكوتيٌّ، وقد أشرنا إلى ذلك في الإنسان، وسنتمُّ الكلامَ فيه في المقاصد الآتية إن شاء الله.

﴿ فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣/٣٦].



فصل [١٦]

[وراء هذا العالم]

قال بعض الحكماء[1]:

«من وراء هذا العالم سماءٌ وأرضٌ وبحرٌ وحيوانٌ ونباتٌ وناسٌ سماويُّون، وكلُّ من في ذلك العالم سماويٌّ، وليس هناك شيءٌ أرضيٌّ، والروحانيُّون الذين هناك ملائمون للإنس الذين هناك، لاينفر بعضهم عن بعض، وكل واحد لاينافر صاحبه ولا يضادّه؛ بل يستريح إليه».

١ـ اثولوجيا: الميمر الرابع. وقدأورده في عين اليقين (٢٨٨) أيضا.

وروى محمد بن الحسن الصفّار ـ ره ـ في بصائر الدرجات[1] بإسناده عن هشام الجواليقي[2]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ لله مدينة خلفَ البحر سعتُها مسيرةُ أربعين يوما للشمس، فيها قومٌ لم يعصوا الله قطُّ، ولا يعرفون إبليس، ولا يعلمون خَلقَ إبليس؛ نلقاهم في كل حين، فيسألونا عمّا يحتاجون إليه، ويسألون الدعاءَ فنُعلِّمهم، ويسألونا عن قائمنا: ـ متى يظهر ؟ ـ وفيهم عبادةٌ واجتهادٌ شديدٌ.

لمدينتهم أبوابٌ مابين المصراع إلى المصراع مأة فرسخ؛ لهم تقديسٌ واجتهادٌ شديدٌ، لو رأيتموهم لاحتقرتم عملَكم، يصلِّي الرجلُ منهم شهرا لايرفع رأسَه من سجوده؛ طعامُهم التسبيحُ، ولباسُهم الورعُ، و وجوهُهم مشرِقةٌ بالنور؛ إذا رأوا منّا واحدا لحسوه[3] واجتمعوا إليه وأخذوا من أثره من الأرض يتبرّكون به؛ لهم دويٌّ إذا صلّوا أشدّ من دويِّ الريح العاصف؛ فيهم جماعةٌ لم يضعوا السلاح منذ كانوا، ينتظرون قائمَنا، يدعون الله أن يُريهم إيّاه؛ وعمر أحدهم ألف سنة.

إذا رأيتهم رأيتَ الخشوعَ والاستكانة، وطلبَ ما يقرِّبهم إليه، إذا احتبسنا ظنُّوا أنّ ذلك من سخط الله؛ يتعاهدون أوقاتنا التي نأتيهم فيها، لا يسأمون ولا يفترون، يتلون كتابَ الله كما علّمناهم؛ وإنّ فيما نعلِّمُهم ما لو تُلي على الناس لكفروا به ولأنكروه؛ ويسألونا عن الشيء إذا ورد

١ـ بصائرالدرجات: الجزء العاشر، باب (١٤) أنّ الخلق الذين خلف المشرق و المغرب يعرفونهم ...: ٤٩٠، ح٤. عنه البحار: ٤٢/٢٧، ح٣.

٢ـ يظهر أنه هشام بن سالم الجواليقي، وقد مضت الإشارة إليه في ص (٦٥) والله أعلم.

٣ـ في هامش النسخة: « نحيوه (نسخة). تقول: لحست الشيء إذا أخذته بلسانك. و يقال: ألحست منه حقي: أي أخذته. واللاحوس: الحريص ـ قاله الجزري ـ منه ».

عليهم من القرآن لايعرفونه ، فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورُهم لِما يسمعون منّا ، وسألوا الله لنا طولَ البقاء، وأن لا يفقدونا ، ويعلمون أن المنّة من الله عليهم فيما نعلّمهم عظيمةٌ . ولهم خرجة مع الإمام إذا قاموا يسبقون فيها أصحاب السلاح منهم ويدعون الله أن يجعلهم ممّن ينتصر به لدينه .

فيهم كهولٌ وشُبّان ، إذا رأى شابٌ منهم الكُهلَ جلس بين يديه جلسةَ العبد ، لايقوم حتّى يأمره ، لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام ، فإذا أمرَهم الإمامُ بأمرٍ قاموا عليه أبداً ، حتّى يكون هو الذي يأمرهم بغيره .

لو أنّهم وردوا على ما بين المشرق والمغرب من الخَلق لأفنوهم في ساعة واحدة ، لايختلُّ الحديدُ فيهم ، ولهم سيوفٌ من حديد غير هذا الحديد ، لو ضرب أحدُهم بسيفه جبلا لقدّه حتّى يفصله ؛ يغزو بهم الإمامُ الهندَ والديلمَ والكرك والتركَ والرومَ وبربر ، ومابين جابرس إلى جابلق ـ وهما مدينتان : واحدةٌ بالمشرق وأُخرى بالمغرب ـ

لا يأتون على أهل دين إلاّ دعوهم إلى الله ، وإلى الإسلام ، وإلى الإقرار بمحمد ﷺ ، ومن لم يقرّ بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتّى لايبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلاّ أقرّ »[1] .

---

١ ـ لوصحّت الرواية ـ وكذا الروايات الآتيات ـ فلااستغراب فيها ، إذ الظاهر من القرائن المتعدّدة المذكورة فيها كونهم خلقا غيرنا لايشبهونا ، ولعلّهم غير جسمانيين ، كما يومي إليه قوله : «طعامهم التسبيح» و «لايختل فيهم الحديد» و «يصلي الرجل منهم شهرا لايرفع رأسه من السجود» و «لايعرفون إبليس ، ولايعلمون خلق إبليس» .

وبإسناده[1] عن الحسن بن عليّ ـ قال :ـ « إنَّ لله مدينتين إحداهما بالمشرق، والأُخرى بالمغرب. عليهما سورٌ من حديد، وعلى كلِّ مدينة منها سبعون ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة، يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرفُ جميعَ اللغات، وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجّةٌ غيري وغير الحسين أخي ».

وبإسناده[2] عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن علي بن الحسين عن أميرالمؤمنين ـ قال :ـ «إنَّ لله بلدة خلفَ المغرب، يقال لها جابلقا، وفي جابلقا سبعون ألف أُمّة، ليس منها أُمّةٌ إلاّ مثل هذه الأُمّة، فما عصوا الله طرفةَ عين، فما يعملون من عمل[3] ولا يقولون قولاً إلاّ الدعاء على الأوّلين، والبراءة منهما، والولاية لأهل بيت رسول الله ».

وبإسناده[4] عن أبي عبد الله ـ قال :ـ «إنَّ من وراء أرضكم هذه أرضا بيضاء، ضوؤها منها، فيها خلقٌ يعبدون الله لايشركون به شيئا، يتبرّؤون من فلان وفلان ».

وبإسناده[5] عن أبي جعفر ـ قال :ـ «إنَّ الله خلقَ جبلا محيطا بالدنيا من زبرجد خضر ـ وإنّما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل ـ وخلَق خلفَه خَلقا لم يفترض عليهم شيئا مما افترض على خلقِه من صلاة

١ـ بصائرالدرجات : الباب السابق : ٤٩٤، ح١١.
عنه البحار : ٤٤/٢٧، ح٤. و٣٣٧/٤٣. و٣٢٧/٥٧، ح٦.
٢ـ بصائر الدرجات : الباب السابق : ٤٩٠، ح١. عنه البحار : ٣٢٩/٥٧، ح١١.
٣ـ المصدر : عملا.
٤ـ بصائر الدرجات : الباب السابق : ٤٩٠، ح٢. عنه البحار : ٣٢٩/٥٧، ح١٢.
٥ـ بصائر الدرجات : الباب السابق : ٤٩٢، ح٦. راجع البحار : ٤٧/٢٧، ح١٠.

وزكاة، وكلُّهم يلعن رجلين من هذه الأُمّة» ـ وسمّاهما.

وبإسناده[1] عن أبي عبد الله عليه السلام ـ قال: ـ «إنَّ من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس، فيها خلقٌ كثير؛ و إنَّ من وراء قمركم أربعين قمرا، فيها خلقٌ كثير، لايدرون أنَّ الله خَلَق آدمَ أم لم يخلقه، أُلهموا إلهاما لعنة فلان وفلان».

وفي كتاب الكافي[2] بإسناده عن أبي حمزة الثمالي[3]، عن أبي جعفر عليه السلام ـ قال: ـ قال في ليلة وأنا عنده ونظر إلى السماء فقال: «يا [أ]باحمزة، هذه قبّة أبينا آدم عليه السلام وإنَّ لله ـ تعالى ـ سواها تسعة وثلاثين قبّة، فيها خلقٌ ماعصوا اللهَ طرفة عين».

وروى الشيخُ الصدوق ـ محمد بن علي بن بابويه ـ في كتاب الخصال[4] بإسناده عن جابر بن يزيد[5]، قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن

---

١ ـ بصائر الدرجات: الباب السابق: ٤٩٠، ح٣. عنه البحار: ٣٢٩/٥٧، ح١٣.

٢ ـ الكافي: الروضة، حديث القباب: ٢٣١/٨، ح٣٠٠.

٣ ـ قال النجاشي (الترجمة: ٢٩٦، ص ١١٥): «ثابت بن أبي صفيّة أبوحمزة الثمالي، واسم أبي صفية: دينار، مولى، كوفي، ثقة... لقي علي بن الحسين و أباجعفر و أباعبدالله، وأباالحسن عليهم السلام، وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم...». راجع معجم الرجال: ٣٨٥/٣ و١٣٥/٢١. قاموس الرجال: ٤٤٤/٢.

٤ ـ الخصال: باب مابعد الألف: ٦٥٢/٢، ح٥٤. التوحيد: باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله: ٢٧٧، ح٢. البحار: ٣٢١/٥٧، ح٣. و٣٧٥/٨، ح٢.

٥ ـ جابر بن يزيد الجعفي، روى عن الباقر والصادق عليهما السلام وكان من خواص أصحابهم. راجع: معجم الرجال: ١٧/٤. قاموس الرجال: ٣٢٣/٢، ٥١٤/٢. ونقل الذهبي (ميزان الاعتدال: ٣٧٩/١) أقوال علماء العامة فيه وتوثيقهم له وتوصيفهم له بأنه «من أوثق الناس» و «أورع الناس في الحديث» إلا أنهم ضعفوه بأنه شيعي و مؤمن بالرجعة.

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [١٥/٥٠] فقال :

«ياجابر ـ تأويل ذلك أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ إذا أفنى هذا الخَلق وهذا العالمَ، وسكّن أهلَ الجنّةِ الجنّةَ، وأهلَ النارِ النارَ، جدّد الله عزّ وجلّ عالًما غير هذا العالَم، وجدّد خلقًا من غير فحولة ولا أناث، يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم، وسماءً غير هذه السماء تُظلُّهم ؛ لعلّك ترى أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ إنّما خَلق هذا العالم الواحد، وترى أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يخلُق بشرا غيرَكم ؛ بلى ـ والله خَلَق ـ تبارك وتعالى ـ ألف ألف عالَم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميّين».

وروى العامّةُ عن النبيّ ﷺ ما يقرب من بعض هذه، والروايات في أمثال ذلك كثيرة.

***

وقال بعض أهل المعرفة[1] :

«في كلّ نفْس خلق الله فيها عوالم يسبّحون الليل والنهار لايفترون، وخلَق الله من جملة عوالمها عالَما على صورَتنا إذا أبصرها العارفُ يشاهد نفسَه فيها. وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن عبّاس فيما روي عنه في حديث: «هذه الكعبة، وإنّها بيت واحد من أربعة عشر بيتا، وإنّ في كل أرض من الأرضين

---

١ ـ مقططفات من الفتوحات المكية : الباب الثامن : ١/١٢٦ـ ١٣٠.
راجع عين اليقين : ٢٨٩. الوافي : ٢٦/٤٨٠.

السبع خلقا مثلنا، حتّى أنّ فيهم ابن عبّاس، مثلي».

وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف... وكلٌّ ما فيها حيٌّ ناطقٌ... وهي باقيةٌ لاتفنى ولاتتبدّل... وإذا دخلها العارفون إنّما يدخلون بأرواحهم لا بأجسامهم، فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجرّدون... وفيها مدائن لاتحصى... بعضها يسمّى مدائنُ النور ـ لايدخلُها من العارفين إلاّ كلُّ مصطفى مختار... وكلُّ حديثٍ وآيةٍ وردت عندنا فصرَفها العقلُ عن ظاهرها، وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض، وكلُّ جسدٍ يتشكّل فيه الروحاني من ملك وجنّ، و كلُّ صورةٍ يرى الإنسانُ فيها نفسَه في النوم فن أجساد هذه الأرض».

وقال الغزالي في المقالة الحادية والثلاثين من كتاب سرّ العالمين[1] :

---

١ ـ طبع الكتاب (على ماجاء في مؤلفات الغزالي : ٢٢٥) في بومباي سنة ١٣١٤ هـ ، والقاهرة سنة ١٣٢٤ و١٣٢٧ ، وطهران بغير تأريخ . وأما الموجود عندي فطبعة المكتبة الثقافة الدينية ، النجف الأشرف ، سنة ١٣٨٥ هـ . ويشتمل الكتاب على ثلاثين مقالة ، ويوجد النصّ في المقالة الثلاثين منه ـ مع فروق ـ فاقاله المؤلف ـ قده ـ إما سهو جرى على القلم ، أو لاختلاف في ترتيب نسخته مع ما بأيدينا.

ويجدر بنا الإشارة إلى تشكيكات وقعت في نسبة الكتاب إلى الغزالي (راجع ٢٨١ من مؤلفات الغزالي) ؛ و من مستندات النافين قوله فيه (المقالة السادسة و العشرون : ١٤٢) : «أنشد المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الإسلام . . .» ـ ثم أورد أشعارا يوجد بعضها في اللزوميات لأبي العلاء المعري . وأبوالعلاء ـ هذا ـ قد توفي سنة (٤٤٨) بينا الغزالي ولد سنة (٤٥٠) .

و تحقيق الأمر يطلب مجالا آخر و نطاقا من البحث أوسع ، فإن وضوحها ذا أهمّية ، إذ به يصح ما اعتقده بعض الباحثين ـ منهم المؤلف في مقدمة كتابه «المحجة البيضاء في إحياء الإحياء» ـ بأن الغزالي تشيّع في أواخر عمره.

«قال رسول الله ﷺ[١] : « إنَّ بالمغرب عنّا لأرضا بيضاء من وراء قاف، لاتقطعها الشمسُ في أربعين سنة » .

قالوا : «يارسول الله، أوَ فيها خَلقٌ» ؟

قال : «نعم ؛ فيها قوم مؤمنون لايعصون الله طرفة عين، لايعرفون آدم ولا إبليس، بينهم الملائكةُ يعلِّمونهم شريعتَنا، ويحكمون بينهم ويدرسونهم الكتابَ العزيز » .

قالوا : «يارسول الله، زدنا من هذه الأعاجيب» .

فقال : «إنَّ لي صدِّيقة من مؤمني الجنّ غابت عنّي سنين، فسألتها أين كنت ؟ فقالت : كنت عند أُختي من وراء الأرض البيضاء التي من وراء قاف . فقلت : أوَهم مؤمنون ؟ فقالت : نعم ؛ قرأت عليهم كتابَك فآمن بذلك كلّهم .... فقلت : أوَتصعد الشمس في ذلك البلاد ؟ قالت : نعم........

« [٢] وأمّا قصّة زعيم بن بلعام، فهي عجيبة : فإنّه أراد أن ينظر من أين منبع النيل، فلم يزل يسير حتّى وجد الخضر عليه السلام فقال له «ستدخل مواضع» ـ ثمّ أعطاه علائمَها ـ فوصل إلى جبل وفيه قبّة من ياقوت على أربعة أعمدة، والنيل يخرج من تحتها، وفيه فاكهة لاتتغيّر .

ـ قال :ـ فرقيتُ رأسَ الجبل ، فرأيت وراءه بساتين وقصورا ودورا وعالَما غزيرا، وكنت شيخا أبيضَ الشعر فهبّ

---

١ ـ لم أعثر على الحديث على ما فيه من أمارات الوضع .

٢ ـ سرالعالمين : ١٨١ .

عليّ نسيمٌ سوَّد شَعري و أعاد شبابي ، فنوديتُ من تلك القصور «إلينا يازعيم ، إلينا ، فهذه دارالمتّقين» فجذبني الخضر ومنعني .

* * *

فهذا سرُّ قوله ﷺ[1] : سبعة أنهار من الجنَّة : جيحون، وسيحون، ودجلة ، والفرات ، والنيل ، وعين ماليرون[2] ، وبالمقدس عين سلوان[3]

* * *

«[4] و أعجب من هذا الحديث حديث بلوقيا و عفّان ؛

١ـ هذا الحديث ليس في سرالعالمين . والأظهر كونه من إضافات المؤلف ، ولعله كان في نسخته .
وجاء في الخصال (٢٥٠ ، باب الأربعة ، ح١١٦) والمسند (٢٦١/٢) : «أربعة أنهار من الجنة : الفرات والنيل وسيحان وجيحان». وجاء مايقرب منه في مسلم : كتاب صفة الجنة ، باب (١٠) مافي الدنيا من أنهار الجنة ، ٢١٨٣/٤ ، ح٢٦ .
والمعجم الكبير : ١٧/١٨ـ١٩ ، ح١٩ . وكنزالعمال : ٣٤٤/١٢ و٣٣٥ ، ح٣٥٣٣٤ و٣٥٣٣٥ و٣٥٣٤٠ و٣٥٣٤٢.
وقال السيوطي (الدرالمنثور : تفسيرالآية المؤمنون/١٩ : ٩٥/٦) : «أخرج ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ ـ قال :ـ «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وهو نهرالهند ؛ وجيحون وهو نهر بلخ ؛ ودجلة والفرات وهما نهري العراق ؛ والنيل وهو نهر مصر . . .». وأما عدد السبعة فلم أعثر عليه .

٢ـ عين ماليرون لم أعثر عليه .

٣ـ قال ياقوت (معجم البلدان : عين سلوان) : «قال أبو عبدالله البشاري المقدسي : سلوان محلة في ربض ، مدينة بيت المقدس ، تحتها عين عذبة ، تسقي جنانا عظيمة ، وقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد ، تحتها بير أيوب ، . . . قال عبيد الله الفقير : ليس من هذا الوصف اليوم شيء ، لأن عين سلوان محلة في وادي جهنم ، في ظاهر المقدس ، لاعمارة عندها ألبتة ، إلا أن يكون مسجدا أو ما يشبهه . و ليس هناك جنان ولاربض ، ولعل هذا كان قديما ـ والله أعلم .

٤ـ سرالعالمين : ١٨١ .

فحديثها طويل، وإشارة منه كافية:

فقد بلغ من سفرهما حتّى وصلا إلى المكان الذي فيه النبيّ سليمان عليه السلام، فتقدّم بلوقيا إلى سليمان ليأخذ الخاتمَ من إصبعه، فنفخ فيه التنِّين الموكِّل معه فأحرقه، فضربه عفّان بقاذورة فأحياه، ثمّ مدَّ يده ثانيةً وثالثةً فأحياه بعد ثلاث، فمدَّ يده رابعةً، فاحترق وهلك.

فخرج عفّان وهو يقول: «أهلك الشيطان، الشيطان».

فناداه التنِّين: «اُدن أنت وجرِّد، فهذا الخاتم لايقع في يد أحد إلّا في يد محمّد إذا بعث؛ فقل له: إنّ الملأ الأعلى قد اختلفوا في فضلك و فضل الأنبياء قبلك فاختارك الله على الأنبياء».

ـ قال عفّان: ـ ثمّ أتيت فانتزعتُ خاتمَ سليمان، فجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه عليًّا عليه السلام، فوضعه في إصبعه، فحضر الطير و الجان و الناس يشاهدون ويشهدون....

فلمّا كانوا في صلاة الظهر تصوّر جبرئيلُ بصورة سائل طائف بين الصفوف، فبيناهم في الركوع، إذ وقف السائل من وراء عليّ طالبا، فأشار عليٌّ بيده، فطارت الخاتم إلى السائل، فضجّت الملائكةُ تعجّبا، فجاء جبرئيلُ مهنّيًا وهو يقول: «أنتم أهل بيت أنعم اللهُ عليكم، الذين أذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيرا».

فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك عليًا، فقال عليٌّ عليه السلام: «ما نصنع

بنعيم زائلٍ، وملكٍ حائل ، ودنيا [في] حلالها حساب ، و [في] حرامها عقاب»[١] . ـ انتهى كلام الغزالي[٢] .

وأمثال هذه الحكايات العجيبة والقصص الغريبة أكثر من أن تحصى ، سيّما عن أئمّتنا المعصومين ، وخصوصا عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام ، مثل حديث الغمامة[٣] وغيره ، وحديث صاحب الأمر عليه السلام ومدنه ومملكته وأولاده مشهور[٤] .

---

١ ـ في هامش النسخة : «قال الغزالي بعد هذا الكلام بلافصل (ص١٨٢) : فإن اعترض المفتي وقال : «كيف قاتل معاوية على الدنيا»؟ فالجواب أنه قاتل على حق هو له ، ليصل به إلى حق ، وقد قال أبوحازم : «أول حكومة تجري بين العباد في المعاد بين علي عليه السلام ومعاوية ، والباقون تحت المشية». وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعمار : «تقتلك الفئة الباغية» ، ولاينبغي للإمام أن يكون باغيا ـ هذا كلامه قدس سره ـ (منه)».

٢ ـ سرالعالمين : ١٨٢ . والقصتان ـ كماترى ـ ممّا يضعه القاصّ لجلب السامعين وقد يستفاد فيها عما له أصل ـ كتصدق علي عليه السلام خاتمه راكعا في الصلاة ، ونزول آيه التطهير في شأن أهل الكساء ـ وأما كون بقية الكلام موضوعا مما لايخفى على أحد. وإنّما أورده المصنّف استطرادا ولحسن ظنه بالكتاب واعتقاده بكونه من الغزالي . إذ لوصحّ القصة يمكن توجيهها بتأويلات بعيدة جدا .

٣ ـ حديث الغمامة أيضا من ضعاف الروايات ولم يرد في الجوامع المعتبرة ، وقد نقله صاحب المحتضر . ولتلميذ المؤلف القاضي سعيد القمي ـ ره ـ عليه شرح غير مطبوع .

٤ ـ النظر في قصة مدن صاحب الأمر عليه السلام التي أوردها المجلسي (ره) أيضا في البحار ـ مع شك منه في صحتها ـ مما لايُبقي شكا ـ لقاربها المتأمل ـ في كونها موضوعة من قبيل القصص الخرافية التي يضعها القاص ، ولو أحسنّا الظنّ فمن قبيل مايراه النائم أوالمكاشف . وقد ألمح المؤلف بذلك أيضا فيما نقله آنفا عن أثولوجيا «في كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون . . .» ؛ ثمّ إنّ العجائب الموجودة في خلقه تعالى ـ وقد أُشير إلى نزر قليل منها ـ أكثر و أعظم بكثير من أن يحتاج إلى ذكر هذه المطالب الغير الثابتة أو الغير المأنوسة . و قد نقل عن أميرالمؤمنين و إمام الموحدين عليه السلام : «لاتحدّث بماتخاف تكذيبه» (غررالحكم : رقم ١٠١٧٣) .

فصل [١٧]

اعلم أنّه لو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضّل الله ـ عزّ وجلّ ـ علينا بمعرفته، وكلُّ ما عرفناه قليلٌ نزرٌ بالإضافة إلى ما عرفه جملة الأولياء والعلماء، وما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء، والملائكة المقرّبون ـ كجبرئيل وإسرافيل وغيرهما ـ صلوات الله عليهم ـ.

ثمّ جميعُ علوم الأنبياء والملائكة والجنّ والإنس إذا أُضيف إلى علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يستحقّ أن يسمّى علما، بل هو إلى أن يسمّى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب؛ فسبحان من عرّف عباده ما عرّف، ثمّ قال مخاطِبا جميعَهم: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٨٥/١٧].

فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكّرين في خَلق الله ـ عزّ وجلّ ـ وليس فيها فكر في ذات الله، ولكن تستفاد من الفكر في الخَلق لامحالة معرفةُ الخالق، وعظمته، وجلاله وقدرته، وكلّما استكثرت من معرفة عجيب صُنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته أكثر.

وهذا كما أنّك إن تعظِّم عالِما بسبب معرفتك بعلمه، فلا تزال تطّلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شِعره، فتزداد به معرفة، وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما، حتّى أنَّ كلّ كلمة من كلماته وكلّ بيت من أبيات شعره يزيده محلاً في قلبك، ويستدعي التعظيم له من نفسك.

فهكذا تأمّل في خلق الله وتصنيفه وتأليفه، وكلّ مافي الوجود من

خلق الله وتصنيفه ؛ فالنظر والفكر فيه لايتناهي أبدا ، وإنّما لكلِّ عبد منها بقدر ما رُزق .

* * *

فسبحان بديع السماوات والأرض ،
ما أعظم ما نرى من خلقك ،
وما أصغر عظيمه في جنب قدرتك ،
وما أهول ما نرى من ملكوتك ،
وما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من سلطانك ،
وما أسبغ نعمك في الدنيا
وما أصغرها في نعم الآخرة .

* * *

هذا آخر الكلام في العلم بالله ـ والحمد لله وحده .

* * *

* *

المقصد الثاني

في العلم بالملائكة



﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1]

[٢١/٢٦-٢٧]

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

[١٦/٥٠]

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾

[٢١/٢٠]

---

١ ـ في هامش النسخة :

الآية الأولى في سورة الأنبياء .

﴿ مكرمون ﴾ : أي مقربون .

﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ : لايقولون شيئا حتى يقوله ، كما هو شيمة العبيد المؤدبين .

﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ : لايعملون قط مالم يأمره به .

[١]

باب

الملائكة المقرّبين

﴿لَن يَستَنكِفَ ٱلمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ وَ لا ٱلْمَلائِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾

[١٧٢/٤]



فصل [1] [١]

[الملائكة الكروبيون]

الملائكةُ المقرّبون منهم الكرُوبيُّون[2] المهيّمون، المستغرقون في بحار الأحديّة، المتحيِّرون في عظمة ربِّ العالمين، المتواجِدون في جلال أوّل الأوّلين، المستهتِرون بذكر آلائه، المتواضعون لجبروته و كبريائه ؛ لاالتفات لهم إلى ذواتهم المنوَّرة بنور الحقّ ـ فضلاً عن غيرهم ـ لِوَلَهِهم وهيَمانهم في جمال الحقِّ ـ أبدا سرمدا ـ وكأنّه إليهم أُشير في الحديث حيث قيل[3] : «إنَّ للهِ ملائكةً لايعلمون أنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ وذريّتَه» .

١ـ راجع مفاتيح الغيب : الفصل الثالث من المفتاح الثامن : ٣٣٩ .

٢ـ في القاموس : الكروبيون ـ مخففة الراء ـ : سادة الملائكة .

٣ـ لم أعثر عليه . وجاء في شرح القاساني لمنازل السائرين (باب السر : ٤٧٧) : «الملائكة الذين قيل فيهم : إنهم لايعلمون أنّ الله خلق آدم» .

وروى محمّد بن الحسن الصفّار[1] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الكرُّوبيّين قومٌ من شيعتنا من الخَلق الأوّل، جعلَهم اللهُ خلفَ العرش لو قسّم نور أحدهم على أهل الأرض لكفاهم».

ـ ثمّ قال: ـ «إنّ موسى عليه السلام لمّا أنْ سئل ربّه ما سأل، أمَرَ واحدا من الكرُّوبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكًّا».

أقول: لا منافاة بين الحديثين عند أُولى الألباب، وإن حملنا الأوّل على الكرُّوبيِّين، لأنّ التشيُّع لايتوقّف على العلم بخلق آدم وذرّيتِه، كما يظهر عند تفسيرنا الشيعة ـ إن شاء الله.



فصل[2] [٢]

[الملائكة العقلية]

ومنهم الملائكةُ العقليّة الذين أبدعهم اللهُ عزّ وجلّ وسائطَ جودِهِ ورحمتِه، وحُجبَ جلاله وعظمته، وهم مبادئ سلسلة الموجودات وغاياتها، ومنتهى أشواق النفوس ونهاياتها.

وقد أشرنا إليهم فيماسبق[3]، وذكرنا أنّهم أوّل ماخلَق اللهُ، وأنّ لهم

١ـ بصائر الدرجات: الجزء الثاني، باب نادر من الباب (٦)، ما خصَّ به الأئمّةُ من ولاية الملائكة: ٦٩.

عنه البحار: ٢٢٤/١٣، ح١٨. ٣٤٢/٢٦، ح١٢. ١٨٤/٥٩، ح٢٦.

٢ـ راجع مفاتيح الغيب: الباب السابق: ٣٤٠.

٣ـ راجع مامضى في الفصل الأول من الباب السابع من المقصد الأول.

أسامٍ متعدّدة باعتبارات مختلفة ، و أنّ لهم جهتي وحدة و كثرة ، وأنّ كثرتهم بإزاء كثرة المخلوقات نوعا .

كما روينا[١] عن مولانا زين العابدين عليه السلام : «إنّ في العرش تمثالَ جميع ما خلَق اللهُ » ، و إنّه تأويل قوله سبحانه : ﴿ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [٢١/١٥] .

وكأنّه إليهم أُشير في حديث المعراج[٢] حيث قيل :

«أنزل الله العزيز الجبّار عليه محملا من نور ، فيه أربعون نوعا من أنواع النور ، كانت محدقة حول العرش ـ عرش الله ـ يغشي أبصار الناظرين ، أما واحدٌ منها فأصفر ، فمن أجل ذلك اصفرّت الصُفرة ؛ وواحدٌ منها أحمر ، فمن أجل ذلك احمرّت الحُمرة ؛ وواحدٌ منها أبيض ، فمن أجل ذلك أبيضّ البياضُ ، والباقي على قدر ما خلَق الله من الأنواع والألوان » .

وكذا ما نقلناه عن بعض الحكماء[٣] : «إنّ من وراء هذا العالم سماء وأرضا ...» ـ إلى آخر ماقال ـ .

وإنّما خلَق اللهُ سبحانه بسبب تراكيب جهاتها ومشاركتها ومناسبتها وهيئاتها النوريّة وأشعّتها العقليّة ـ من المحبّة واللذّة ، والعزّ والذلّ ، والقهر و الانقهار ، و الاستغناء والافتقار ، وغير ذلك من المعاني والهيئات ـ أُمورا في هذا العالم تُناسبها من عجائب الترتيبات ولطائف

١ـ راجع الصفحة : ٢٣٥ .

٢ـ يأتي حديث المعراج مفصلا في باب المعراج .

٣ـ مضى في الصفحة : ٣٤٠ .

النسب وبدائع النظم في السماوات والأرضين، وما فيهما من الأجسام وتوابعها، وفي عالم النفوس ـ من العجائب الروحانيّة والغرائب الجسمانيّة من أحوال قواها وكيفيّة تعلقها بالأبدان وغيرذلك ـ كما أُشير إليه في حديث المعراج بقوله: «ومن أجل ذلك اصفرّت الصُفرة... ومن أجل ذلك احمرّت الحُمرة» ـ وما يشبه ذلك.

فصل [٣]

وإذ ليس للملائكة المقرّبين حجابٌ ـ لبراءتهم من الغواشي ـ فذواتهم ظاهرة لأنفسهم، معقولة لهم؛ وكذا ذواتُ بعضهم لبعض؛ وبهم ظهورمَن دونهم من الموجودات.

فهم إذن أنوارٌ مجرّدةٌ وأشعّةٌ إلهيّة وأضواءٌ قاهرةٌ؛ وكلُّهم أحياءٌ ناطقون، عالِمون، وعالَمهم عالَم القدرة؛ وللعالي منهم قهرٌ على السافل، وإشراق وإحاطةٌ؛ وللسافل عشقٌ إلى العالي، ومحبّةٌ له ومشاهدة من دون إحاطة، لانقهاره عنه ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/٢٠] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/٦١].

والكلُّ مبتهجون بالله ـ تعالى ـ وبذواتهم، لا من حيث هم هم، بل من حيث كونهم مبتهجين به، لأنّهم يعرفون أنفسَهم به تعالى، فلذّتهم ـ أيضا ـ بذاته سبحانه.

وأمّا لذّتهم بأنفسهم فهي من حيث رأوا أنفسَهم عبيدا وخدَما له مسخّرين، فهي ترجع إلى لذّتهم به، فهم على الدوام في مطالعة ذلك الجمال، لايرتدّ إلى أنفسهم طرْفُهم طرفةَ عين، لاستهلاكهم في ذات الحبيب الأوّل، لا فرق بينهم وبين حبيبهم ـ كذا قال بعضُ المحققين.

[٢]

باب

الملائكة المدبّرين

﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾
[٥/٧٩]



فصل [١]

الملائكةُ المدبِّرون هم الروحانيّات[1] المتعلِّقة بعالم الأجسام، على كثرة أجناسها وأنواعها، وطبقاتها المتخالفة المتفاوتة حسب تخالف طبقات الأجسام السماويّة والأرضيّة وتفاوتها ـ كما مرّت الإشارة إليهم.

ونسبتهم إلى النفس الكليّة ـ المسمّاة بـ«اللوح» ـ كنسبة سائر العقول والأرواح إلى العقل الأوّل المسمّى بـ«القلم»؛ وإليهم الإشارة في كلمات الأنبياء الماضين ﷺ[2] «إنَّ لكلِّ شيءٍ ملكا».

---

١ ـ كذا.

٢ ـ لم أعثر عليه.

وعن النبي ﷺ أنّه قال في كثرة ملائكة السماء[1] : «أطّت السماءُ و حقٌّ لها أن تئِطّ[2] ، مافيها موضع قدم إلاّ وفيه مَلَك ساجد أو راكع » .

و قال في كثرة ملائكة الأرض[3] : «ما من قطرةٍ تنزل من السماء إلاّ ومعها مَلَك ، حتّى يضعَها موضعَها » .

وقد يكون الواحد منهم ذاقوىً متعدِّدة يفعل بكل قوّة فِعلا من الأفاعيل ، وتلك القوىٰ ملائكةٌ أُخرىٰ مسخّرة تحت سلطانه ـ كأنّها أجزاؤه وجوارحه وأجنحته ـ وهو جهة وحدتها والمشتملُ عليها كلّها .

وذلك[4] لأنّ الملائكةَ كلُّهم وحدانيّة الصفات ، ليس فيهم خلطٌ وتركيبٌ ـ ألبتة ـ فلايكون لكلِّ واحد منهم بجهة واحدة وقوّة واحدة ـ إلاّ فعلٌ واحدٌ ـ كما أُشيرإلى ذلك بقوله سبحانه حكايةً عنهم : ﴿ وَ مَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [١٦٤/٣٧] .

فلذلك ليس لهم تنافسٌ وتقابلٌ ، بل مثال كلُّ واحد في مرتبته

١ـ بلفظ : « . . . موضع أربع أصابع . . . » في المسند : ١٧٣/٥ . الترمذي : كتاب الزهد ، باب (٩) ، ٥٥٦/٤ ، ح٢٣١٢ . مستدرك الحاكم : كتاب التفسير ، سورة هل أتى ، ٥١٠/٢ . وكتاب الفتن : ٥٤٤/٤ ، وكتاب الأهوال ، ٥٧٩/٤ . حلية الأولياء : ترجمة مورق العجلي ، ٢٣٦/٢ . كنزالعمال : ٣٦٧/١٠ ، ح٢٩٨٣٨ .
راجع أيضا تخريجاتها في الدرالمنثور : الصافات/١٦٤ ، ١٣٥/٧ ـ ١٣٦ .

٢ـ قال ابن الأثير (النهاية : أطط : ٥٤/١) : «الأطيط : صوت الأقتاب ، وأطيط الإبل : أصواتها وحنينها ، أي إن كثرة مافيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت ، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة ، وإن لم يكن ثَمَّ أطيطٌ ، وإنما هو كلامُ تقريب أُريد به تقرير عظمة الله تعالى » .

٣ـ مضت الإشارة إليه في الصفحة : ١٨٦ .

٤ـ إلى آخر الفصل مقتبس من إحياء علوم الدين : كتاب الشكر ، الطرف الثامن : ١٧٧/٤ .

وفِعله مثال الحواسِّ ، فإنَّ البصرَ لايزاحم السمعَ في إدراك الأصوات ، ولاالشمَّ يزاحمهما ، ولا هما يزاحمان الشمّ ، بل هي ـ أيضا ـ نوع منهم كما سنشير إليه .

وهذا بخلاف اليد والرِجل ، فإنّك قد تبطش بأصابع الرِجل ـ بطشا ضعيفا ـ وقد تضرب غيرَك برأسك ، فتزاحم بذينك اليدَ التي هي آلةُ البطش و الضرب ؛ وكذلك الإنسان الذي يتولّى بنفسه الأفاعيل المختلفة ، فإنّ هذا نوعٌ من العدول والاعوجاج عن العدل ، سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه ، فإنّه ليس وحدانيُّ الصفة ، فلم يكن وحدانيّ الفعل ؛ فلذلك تراه يطيع اللهَ تارةً ، ويعصيه أُخرىٰ ، لاختلاف دواعيه وصفاته .

وذلك غير ممكن في طباع الملائكة ، بل هم مجبولون على الطاعة لامجال للمعصية في حقِهم ، فلاجرم ﴿ لايَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٦/٦٦] ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ لايَفْتُرُونَ ﴾ [٢٠/٢١] ، والراكعُ منهم راكعٌ أبدا ، والساجدُ منهم ساجدٌ أبدا ، والقائمُ منهم قائمٌ أبدا .

وطاعتُهم لله ـ عزّ وجلّ ـ من حيث لامجال للمخالفة فيهم يمكن أن يُشبه بطاعة أطرافِك لك ، فإنّك مهما جزمتَ الإرادةَ بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردُّدٌ ولا اختلاف في طاعتك مرّةً ومعصيتك أُخرىٰ ، بل كأنّه منتظرٌ لأمرك و نهيك ، ينفتح و ينطبق متّصلاً بإشارتك ، فهذا يُشبهه من وجه ، ولكن يُخالفه من وجه ، إذ الجفن لاعلم له بما يصدر عنه من الحركة ـ فتحا و إطباقا ـ والملائكة أحياءٌ عالِمون بما يفعلون .

فصل [٢]

[الملائكة الموكلة بالإنسان]

لمّا كانت الأجسام الأرضيّة منحصرةً في الجماد والنبات والحيوان والإنسان وكلُّ لاحقٍ من الأربعة مشتمل على سابقه وزيادة أمرٍ، فانّ النبات جمادٌ مع زيادة معنى ـ لحفظه التركيبَ مع قوّة ناميةٍ ـ والحيوانُ نباتٌ مع زيادة معنى ـ لنموّه في الأقطار مع حسّ وحركة ـ والإنسانُ حيوانٌ مع زيادة معنى ـ لإحساسه وحركته مع نطق وإدراك أمور كليّة ـ فالملائكةُ الموكِلة بكلٍّ منها موجودةٌ في الإنسان، مطيعةٌ إيّاه، خاضعةٌ له، لاشتماله على النفوس الأربع كلّها.

لست أقول: «إنّه ذو أربع أنفس»، بل أقول: «إنَّ نفسَه الواحدة تفعل أفاعيلَ الأنفس الأربع باستخدام الملائكة، لكمالها وتماميّتها وشرفها وقوّتها بالإضافة إلى مادونها».

فالملائكةُ المدبّرةُ الحافظةُ لبنيته: منها ما تعلّق به من حيث جسميّته ونموّه ويسمّى بـ«**القُوى**».

ومنها ماتعلّق به من جهة حيوانيّته، ويسمّى بـ«**الحواسّ**».

ومنها ماتعلّق به من حيث إنسانيّته ويسمّى بـ«**الأرواح البشريّة**»

ومنها ماتعلّق به من حيث أعماله وأخلاقه وخواطره ويسمّى بـ«**الكرام الكاتبين**» و «**الملكات**» و «**مبادئ اللمم**».

ومنها ماتعلّق به من جهة حفظه عن الشرور والآفات، ويسمّى بـ«**المعقّبات**».

إلى غير ذلك من الأنواع وأساميها ، ويتعدّد كلٌّ منها حسب تعدُّد الأفاعيل المتعلِّقة بذلك النوع .

و كذلك المدبِّرة للأجسام العلويّة و غيرها إنّما تعدُّدها بتعداد الأفاعيل التي فيها ، لِما دريتَ من وحدة فعل الملائكة .

و لنُشر إلى ما يتعلّق بالنبات و الحيوان و الإنسان من الملائكة والشياطين إشارة مقنعة ـ ومن الله التأييد ـ :

فصل[1] [٣]

[الملائكة الموكلة بالنبات]

أمّا النبات فلابدّ فيه من ملكٍ يزيد في أقطاره الثلاثة على نسبة لائقة محفوظة ، إلى أن يبلغ إلى كمال النشوء، ومن ملكٍ يقطع فضلة من مادّته ليكون مبدءا لشخص آخر، ولمّا توقّف فعلُ الأوّل على التغذِّي فلابدّ من سبعة أملاك أُخر لاأقل يخدمونه في هذا الأمر .

أوّلهم عملا : ملكٌ لابدّ منه لجذب الغذاء إلى جوارالجسم المغتذي وذلك لأنّ الغذاء لايمكن أن يصل بنفسه إلى جميع الأطراف ، لأنّه لامحالة إمّا أن يكون ثقيلا ، فلا يصل إلى الأطراف العالية ، أو خفيفا فلايصل إلى الأطراف السافلة .

والثاني لابدّ منه لإمساك الغذاء في جواره، وذلك لأنّ الغذاء بعيد المشابهة ـ أوّلا ـ فلابدّ فيه من الاستحالة حتّى يحصل الشبه ،

١ـ عين اليقين : ٣٤٨ .

والاستحالة حركةٌ، والحركة انّما تكون في زمان، فلابدَّ من زمان في مثله تحصل الاستحالة والتشبُّه.

والثالث لابدَّ منه لنزع الصورة عن الغذاء وخلعِها، وذلك لأنَّ تشبيه الغذاء بالعضو إنّما يحصل إذا قرب استعداده لحصول الصورة العضويّة فلابدَّ من مَلَك يجعله قريب الاستعداد لذلك.

والرابع لابدَّ منه ليكسو الغذاء صورةَ العضو، فإنَّ إفادة الصورة غير نزعها، وكونها غيرفسادها.

والخامس لابدَّ منه ليدفع ما لايقبل المشابهة من الغذاء وإلاّ لأدّى إلى السداد و ثقل البدن، بل الفساد والإفساد سيّما في الحيوان.

والسادس لابدَّ منه ليلصق ماكتست بصورة العضو بالعضو، حتّى لايكون منفصلاً.

والسابع لابدَّ منه ليراعى المقادير في الإلصاق؛ و يسمّى هؤلاء الأملاك في عرف الجمهور بالقوىٰ.

فالذي يزيد فيالأقطار يسمّى بـ«القوّة النامية»، والقاطع للفضلة بـ«القوّة المولِّدة»، والخوادم بـ«الجاذبة» و «الماسكة» و «الهاضمة» و «الدافعة» وكلّها بـ«الغاذية».

* * *

* *

*

فصل[1] [٤]

[الملائكة الغاذية]

وهؤلاء الأملاك دائما في شغلهم ، لا يمسكون عن أفعالهم طرفة عين ، فإنَّ الشجر ـ مثلا ـ إذا سقي الماء ، أو الحيوان أكل الغذاء فذلك ليس بغذاء ولا أكْل على الحقيقة ، وإنَّما مَثلها كمَثل الجابي الجامع للمال في خزانته ـ وهي المعدة في الحيوان وما يجري مجراها في النبات ـ فاذا اختزن ما فيها و أمسكا عن السقي والأكْل ، فحينئذ يتولاّه الملائكةُ بالتدبير ، وتُحيله من حالٍ إلى حالٍ ، وتُغذيها به في كلِّ آنٍ ونفَسٍ ؛ فهما لايزالان في غذاء دائم .

ولولا ذلك لبطلت الحكمةُ في نشأة كلِّ متغذٍّ ؛ والله حكيمٌ ، فإذا خلت الخزانةُ حرّكت الملائكةُ الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به ، فاذا لم يوجد غذاءٌ يحلِّلون الموادَّ والفضلات التي في البدن ؛ ولايزال الأمر كذلك أبدا .

فهذه صورةُ الغذاء في كلِّ نفْس ، فكلُّ نفْس أُكلها دائمٌ في هذه النشأة ـ أيضا ـ كما في الآخرة .

* * *

* *

*

---

١ ـ عين اليقين : ٣٥٠ .

فصل[1] [٥]

[الملائكة المغيّرة والمصوّرة]

ويخدم المولِّدَ ملكان: أحدهما يجعل فُضلةَ الهضم الأخير منيًا أو ما يجرى مجراه من بيضة أو بذر، والثاني يهيِّئ كلَّ جزء من أجزاء تلك المادة لقبول صورة مخصوصة من واهب الصور، وهو إنّما يوجد في تلك المادّة المفروزة عند كونها في الرحم أو ما يجرى مجراه خاصّة، وهذان الملكان ربما اجتمعا في شخص واحد ـ كما في أكثر النباتات ـ وربما افترقا في شخصين، ذَكرٍ وأُنثىٰ ـ كما في أكثر الحيوانات ـ وإذا اجتمعا حصل التوليدُ.

ويسمّى الأوّل عند الجمهور بالمغيّرة، والثاني بالمصوّرة.

أمّا واهبُ الصوَر فهو الله ـ سبحانه ـ بتوسُّط المَلَك العقلي الذي هو ربُّ نوع النفس النباتيّة المخدوم لهذه الأملاك جميعا، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٣/٦] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ﴾ [٥٦/٥٨-٥٩].

وعن النبي ﷺ في وصف مَلَك الأرحام[2]: «إنّه يدخل الرحمَ، فيأخذ النُطفةَ في يده، ثمّ يصوّرها جسدا، فيقول يارب ذَكَر أم أُنثى؟

١ـ عين اليقين: ٣٥٠.

٢ـ راجع الحديث بألفاظه المختلفة في مسلم: كتاب القدر، ٤/٢٠٣٦ـ٢٠٣٨، ح١ـ٤.

وورد مايقرب منه عن علي عليه السلام في علل الشرائع: باب (٨٥)، ١/٨٥، ح٤.

عنه البحار: ٥/١٥٥، ح٦. ٦٠/٣٤٠، ح٢٠.

سَويٌّ أم معوج ؟ فيقول الله ما شاء، ويخلق الملكُ» .

وفي لفظ آخر: « و يصوّر الملكُ ثمّ ينفخ فيها الروحَ بالسعادة أو بالشقاوة » . وقد مرّ حديث آخر في هذا الباب عن مولانا الباقر عليه السلام .

فصل [٦]

[القوى المحركة والمدركة]

وأمّا الحيوان فلابدّ فيه من محرّكٍ ومدرِكٍ .

والمحرِّكُ: منه باعثٌ على الحركة، ومنه فاعلٌ لها ؛ والباعثُ: منه باعث على جلب النافع طلبا للذّة، ومنه حامل على دفع الضارِّ ـ طلبا للانتقام ـ .

والمدرِك: منه ظاهر مشهور، ومنه باطن مستور .

أمّا الظاهر: فلامِسٌ وذائقٌ وشامٌّ وسامعٌ وباصرٌ .

وأمّا الباطن: فمدرِكٌ للصور المحسوسة دفعة وحافظ لها ، ومدرِكٌ للمعاني الجزئيّة وحافظ لها، ومتصرِّفٌ في الأمرين بالتركيب والتحليل .

وبالأوّل يشاهَد النقطةُ الجوّالةُ بسرعةٍ دائرةً ، و القطرةُ النازلةُ خطًّا مستقيما، مع أنّ المشاهدة بالبصر ليست إلاّ للمقابل، وما قابَل منهما إلاّ نقطة وقطرة .

وبالثاني يحكم على شيء شاهَده ثمّ ذهل عنه ثمّ شاهده مرّة أُخرى: بأنّه هو الذي شاهَده من قبل .

وبالثالث يُدرك الصفات الغيرالمحسوسة الموجودة في المحسوسات ،

ويحكم أحكاما جزئيّةً ، كإدراك السنُّور معنى في الفأر يحمله على الطلب ، وإدراك الفأر معنى في السنُّور يوجب الهرَب ؛ وهذا في الإنسان ينازع عقلَه ، لأنّه قوّةٌ جرمانيّةٌ لايعترف بما يعترف به العقل ، ولهذا ينفر الإنسان من البيات في بيت فيه ميّتٌ .

والرابع نسبته إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الأوّل .

وبالخامس يجمع أجزاء أنواع مختلفة ، كجمعها حيوانا من رأس إنسان وعُنق بعير وظهر فيلٍ ـ مثلا ـ ويفرِّق أجزاء نوعٍ واحد ـ كإنسان بلارأس ولايسكن عن فعله ـ لانوما ولايقظة ـ ويحاكي للمدركات والهيئات المزاجيّة ، وينتقل من الشيء إلى ضدِّه وشبيهه ، ويسمّى هؤلاءِ كلّها ـ أيضا ـ بـ«القُوى» .

ففاعلُ الحركة بـ«**القوّة المحرِّكة**» والباعث على المنفعة بـ«**الشهويّة**» . والدافع للمضرّة بـ«**الغضبيّة**» . والمدركات الظاهرة بـ«**اللامسة**» ، و«**الذائقة**» ، و«**الشامّة**» ، و«**السامعة**» ، و«**الباصرة**» . والباطنة بـ«**الحسّ المشترَك**» ، و«**المصوِّرة**» ، و«**الواهمة**» ، و«**الحافظة**» و«**المتصرِّفة**» .

وربّما يقال للمصوِّرة : «**الخيال**» ، وللمتصرِّفة عند استعمال النفس إيّاها بواسطة الواهمة : «**المتخيّلة**» ، وعند استعمالها إيّاها بواسطة القوّة العقليّة ـ الآتية ذكرها ـ : «**المفكّرة**» .

وربّما يسمّى الثلاث الأخيرة منها بـ«**المسترجعة**» وأُولاها بـ«**الذاكرة**» و«**المتصرّفة**» و«**المتذكِّرة**» ، كأنّها يدٌ روحانيّة للنفس ، كما أنّ الواهمة عينٌ روحانيّةٌ لها .

فسبحان خالقُ البشَر ، وحمدا لواهبِ القُوىٰ والقُدَر .

فصل[1] [٧]

[العقل العملي والنظري]

وأمّا الإنسان بما هو إنسان فله في ذاته ـ باعتبار ما يخصّه من القبول عمّا فوقه والفعل فيما دونه ـ ملكان: **علاّمٌ وفعّالٌ**.

فبالأوّل يُدرك التصوُّرات والتصديقات، ويعتقد الحقّ والباطل فيما يعقل ويدرك، ويسمّى بـ«**العقل النظري**».

وبالثاني يستنبط الصناعات الإنسانيّة ويعتقد الجميل والقبيح فيما يفعل ويترك، ويسمّى بـ«**العقل العملي**»، وهو الذي يستعمل الفكرَ والرويّة في الأفعال والصنائع مختارا للخير ـ أو ما يظنُّ خيرا ـ وله الجربزة والبلاهة والتوسُّط بينهما المسمّى بـ«**الحكمة الخُلقيّة**».

وكلُّ ما ورد في الأخبار من مدح العقل والعاقل فهو راجع إليهما وإلى صاحبهما، كقول مولانا الصادق عليه السلام[2] «العقلُ دَليلُ المؤمن».

وفي الحديث القدسي[3]: «ما خلقتُ خلقا أحسن منك، إيّاك آمُر وإيّاك أنهي، وإيّاك أُثيب وإيّاك أُعاقِب».

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[4]: «بالعقل استخرج غور الحكمة،

١ـ عين اليقين: ٣٥٨.

٢ـ الكافي: كتاب العقل والجهل: ١/٢٥، ح٢٤.

٣ـ راجع ما مضى في الصفحة: ٢٣١.

٤ـ الكافي: كتاب العقل والجهل، الحديث الرابع والثلاثين: ١/٢٨.

و بالحكمة استخرج غور العقل ، و بحسن السياسة يكون الأدبُ الصالح » .

وكان عليه السلام يقول[1] : «التفكُّر حياةُ قلبِ البصير ، كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلُّص وقلّة التربُّص» .

ـ إلى غيرذلك من الروايات .

فصل[2] [٨]

[النفوس أربعة]

رُوي عن كميل بن زياد[3] أنّه قال : سألتُ مولانا أمير المؤمنين عليّا عليه الصلوة والسلام ، فقلت : « يا أميرالمؤمنين أُريد أن تُعرِّفني نفسي » .

قال : « يا كميل ـ وأيّ الأنفس تريد أن أُعرّفك » ؟

قلت : « يا مولاي ـ هل هي إلاّ نفسٌ واحدة » ؟

قال : « ياكميل ـ إنّما هي أربعة : النامية النباتيّة ، والحسيّة

١ـ الكافي : تتمة الحديث السابق . وورد فيه (كتاب فضل القرآن ، ٢/٥٩٩ ، ح٢) أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « فإن التفكّر حياة قلب البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربّص» . وفي البحار (٧٧/١٣٥ ، ح٤٦ و٩٢/١٧ ، ح١٧) عن النوادر للراوندي مع تغيير في الألفاظ .

٢ـ عين اليقين : ٣٨٢ .

٣ـ كميل بن زياد النخعي من خواصّ أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام قتله الحجاج ، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام أخبره بذلك . راجع الإرشاد للمفيد ـ قده ـ : ١/٣٢٧ .
و الرواية أوردها الجلي (البحار : ٦١/٨٥) عن بعض كتب الصوفية ـ و لم يسم المصدر ـ ثم قال : «وهذه الاصطلاحات لم تكد توجد في الأخبار المعتبرة . . .»

الحيوانيّة، والناطقة القدسيّة، والكليّة الإلهيّة؛ ولكلٍ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان:

فالناميّة النباتيّة لها خمس قوى: ماسكةٌ، وجاذبةٌ، وهاضمةٌ، ودافعةٌ، ومربيّةٌ. ولها خاصيّتان: الزيادة والنقصان؛ وانبعاثها من الكبد.

والحسيّة الحيوانيّة لها خمس قوى: سمعٌ، وبصرٌ، وشمٌّ، وذوقٌ، ولمسٌ. ولها خاصيّتان: الرضا والغضب؛ وانبعاثها من القلب.

والناطقة القدسيّة لها خمس قوى: فكرٌ، وذكرٌ، وعلمٌ، وحلمٌ، ونباهةٌ. وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكيّة[1] ولها خاصيّتان: النزاهة والحكمة.

والكليّة الإلهيّة لها خمس قوى: بقاءٌ في فناء، ونعيمٌ في شقاء، وعزٌّ في ذلٍ، وفقرٌ في غناء، وصبرٌ في بلاء؛ ولها خاصيّتان: الرضا، و التسليم؛ وهذه التي هي مبدؤها من الله وإليه تعود، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [١٥/٢٩] وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [٨٩/٢٧-٢٨].

والعقل وسط الكلّ.

١ـ في هامش النسخة:

«قوله عليه السلام: «وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكيّة» أراد بالملك نوعا خاصّا منه، لما دريت أن مرتبة كثير من الملائكة السفليّة دون مرتبة الإنسان، وكذلك يكون أكثر إطلاقاته في الكتاب والسنّة. ولهذا أيضا لم تسمّ به القوى الحيوانيّة في هذا الحديث، وسمّيت بالروح في أخبار كثيرة؛ مع أنّ الروح أعظم من الملك. وتحت هذا الحديث أسرار ليس هنا محل ذكرها (منه ـ ره)».

[٣]

باب

الأرواح البشريّة

﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾
[٥٨/٢٢]

فصل [1] [١]

الأرواح البشريّة هي الملائكة المدبِّرة لبنية الإنسان ـ كما ذكرناه مفصّلاً ـ وجملتها ما في حديث كميل المذكور آنفا .

وإنّما سمِّيت بالأرواح لإعطائها الحياة، فإنَّ للإنسان بكلٍّ منها حياة غير حياته التي تكون بالآخر ، وتسميتها بالأرواح إنّما تكون في الكتاب والسنّة ، ولاسيّما في كلمات أهل البيت عليهم السلام :

روى محمد بن الحسن الصفَّار رحمه الله في كتاب بصائر الدرجات[2] بإسناده عن جابر ـ قال :ـ سألتُ أباجعفر عليه السلام عن الروح ؟ قال :

١ـ عين اليقين : ٣٧٩ .

٢ـ بصائر الدرجات : الجزء التاسع ، باب (١٤) ماجعل الله في الأنبياء والأولياء والمؤمنين وسائر الناس من الأرواح . . . : ٤٤٧ـ٤٤٩ ، ح٥ . وفي الباب أخبار أُخر في معناه . عنه البحار : ١٩١/٦٩ـ١٩٢ ، ح٦ .

«يا جابر ـ إنّ الله خَلَق الخَلق على ثلاث طبقات ، وأنزلَهم ثلاث منازل ، وبيّن ذلك في كتابه حيث قال : ﴿ فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَ أَصْحَابُ ٱلْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْئَمَةِ * وَ ٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُولٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٥٦/٨-١١] .

فأمّا ماذكره من أمر السابقين : فهم أنبياءٌ مرسلون وغير مرسلين ، جعل الله فيهم خمسةَ أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوّة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ؛ وبيّن ذلك في كتابه حيث قال : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [٢/٢٥٣] ؛ ثمّ قال في جميعهم : ﴿ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [٥٨/٢٢] .

فبروحِ القُدس بعثوا أنبياء مرسلين [وغير مرسلين][1] وبروح القدس علموا جميعَ الأشياء ، وبروح الإيمان عبَدوا الله ولم يشركوا به شيئا ، وبروح القوّة جاهَدوا عدوَّهم وعالَجوا معايشَهم ، وبروح الشهوة أصابوا لذّةَ الطعام ونكحوا الحلال من النساء ، وبروح البدن يدبُّ ويدرج .

وأمّا ماذكره من أصْحاب الميمنة : فهم المؤمنون حقّا ، جعل فيهم أربعة أرواح : روح الإيمان ، وروح القوّة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ؛ ولايزال العبد مستكملا هذه الأرواح الأربعة حتّى يهمّ بالخطيئة ، فإذا همّ بالخطيئة زيّن له روحُ الشهوة ، وشجّعه روحُ القوّة ، وقاده روحُ البدن حتّى يوقعه في تلك الخطيئة ؛ فاذا لامَس الخطيئةَ

---

١ ـ إضافة من المصدر .

انتقص روحُ الإيمان[1] ، وانتقص الإيمانُ منه ؛ فإن تاب ، تاب الله عليه .

وقد تأتي على العبد تاراتٌ ينتقص منه بعضُ هذه الأربعة ، وذلك قول الله : ﴿ وَ مِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [١٦/٧٠] ؛ فينتقص منه روحُ القوّة ، ولا يستطيع مجاهدةَ العدوِّ ولا معالجةَ المعيشة ، وينتقص منه روح الشهوة ، فلو مرّت به أحسنُ بنات آدم لم يحن إليها ؛ ويبقى فيه روحُ الإيمان وروحُ البدن ؛ فبروح الإيمان يعبدُ اللهَ ، وبروح البدن يدبُّ ويدرج ، حتّى يأتيه ملكُ الموت .

وأمّا ما ذكره من أصحاب المشئمة فهم[2] أهل الكتاب ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [٢/١٤٦-١٤٧] عرفوا رسولَ الله والوصيَّ من بعده ، وكتموا ما عرفوا من الحقِّ بغيا وحسَدا ، فسلبهم اللهُ روحَ الإيمان ، وجعل لهم ثلاثة أرواح : روحَ القوّة ، وروحَ الشهوة ، وروحَ البدن ؛ ثمّ أضافهم إلى الأنعام فقال : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [٢٥/٤٤] ؛ لأنّ الدابّة ـ ياجابر ـ إنّما تحملُ بروح القوّة ، وتعتلفُ بروح الشهوة ، وتسيرُ بروح البدن» .

وبإسناده عن اميرالمؤمنين عليه السلام ما يقرب من هذا الحديث[3] .

---

١ ـ المصدر : من الإيمان (بدلا من : روح الإيمان) .

٢ ـ المصدر : فنهم .

٣ ـ بصائر الدرجات : الباب السابق : ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ، ح٦ . البحار : ١٨١/٦٩ ، ح٣ .

ورواه ـ أيضا ـ محمد بن يعقوب ـ رحمه الله ـ في الكافي عنه عليه السلام[1]

وفي رواية أُخرى لجابر : قال عليه السلام في المقربين[2] :

« فبروح القدس ـ ياجابر ـ عرفوا ماتحت العرش إلى ماتحت الثرىٰ ـ ثمّ قال :ـ ياجابر ، إنّ هذه الأربعة الأرواح تصيبها الحدثان إلاّ روح القدس ، فإنّها لاتلهو ولا تلعب » .

وعن مولانا الصادق عليه السلام[3] مايقرب منه ، وفي آخره : « وروحُ الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة ، فاذا عمل بكبيرة فارَقه الروح ، وروحُ القدس من سكن فيه فإنّه لايعمل بكبيرة أبدا » .

وفي الحديث النبوى صلى الله عليه وآله[4] : « من قارَف ذنبا فارَقه عقلٌ لم يعُد إليه أبدا » .

وفيه أيضا[5] : «إذا زنا الرجلُ فارَقه روحُ الإيمان» . قال مولانا

١ـ الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبائر ، ٢/٢٨١ـ٢٨٤ ، ح١٦ . تحف العقول : ذكره عليه السلام الإيمان والأرواح واختلافها : ١٨٨ . عنها البحار : ٦٩/١٧٩ .

٢ـ الكافي : كتاب الحجة ، باب ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام ، ١/٢٧٢ ، ح٢ .
بصائر الدرجات : الباب السابق ، ٤٤٧ ، ح٤ . عنه البحار : ٢٥/٥٥ ، ح١٥ .

٣ـ بصائر الدرجات : الباب السابق ، ٤٤٧ ، ح٣ . عنه البحار : ٢٥/٥٤ ، ح١٤ .

٤ـ أورده الغزالي في الإحياء (كتاب شرح عجائب القلب ، بيان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة : ٣/٢٣ . وكتاب التوبة ، الركن الرابع : ٤/٧٧ ، وكتاب المراقبة والمحاسبة ، بيان حقيقة المراقبة : ٤/٥٨٣) . وقال العراقي في تخريجه (المغني : ذيل الإحياء الطبعة القديمة : ٣/١٣) : «لم أر له أصلا» .

٥ـ الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبائر ، ٢/٢٨٠ ، ح١١ . ثواب الأعمال : عقاب الزاني والزانية ، ٣١٣ ، ح٨ . المحاسن : كتاب عقاب الأعمال ، باب (٤٦) عقاب الزاني : ١/١٠٦ ، ح٩٠ . وجاء مثله عن الصادق عليه السلام في الكافي : الباب المذكور ، ٢/٢٨٤ ، ح١٧ . البحار : ٦٩/١٩٥ ، ح١١ . و٧٩/٢٦ـ٢٧ ، ح٢٩ .

الباقر ﷺ: «هو قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [٢٢/٥٨]، ذاك الذي يفارقه».

وعن مولانا الكاظم ﷺ ـ قال ـ[1]: «إنّ الله أيّد المؤمنَ بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتّقي، وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتزُّ سرورا عند إحسانه، وتسيخ في الثرىٰ عند إساءته...» ـ الحديث. والروايات في هذا الباب كثيرة.

فصل [٢]

[الأوصياء محدَّثون]

رُوي في بصائر الدرجات[2] بإسناده عن أبي جعفر الثاني ﷺ، قال: قال أبو جعفر الباقر ﷺ: «إنّ الأوصياء محدَّثون، يحدِّثهم روحُ القدس ولايرونه، وكان عليٌّ ﷺ يعرض على روح القدس ما يسأل عنه، فيوجس في نفسه أن قد أُصيب بالجواب، فيخبر فيكون كما قال».

وبإسناده[3] عن مولانا الصادق ﷺ أنّه سُئِل: «بما تحكمون إذا حَكَمتم»؟ فقال: «بحكم الله، وحكم داود، وحكم محمّد؛ فاذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليٍّ تلقّانا به روحُ القدس أو ألهمنا الله إلهاما».

١ـ الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الروح الذي أُيّد به المؤمن، ٢/٢٦٨، ح١.
عنه البحار: ٦٩/١٩٤، ح١٠.

٢ـ بصائر الدرجات: الجزء التاسع، باب في الأئمة ﷺ إن روح القدس يتلقّاهم إذا احتاجوا إليه: ٤٥٣، ح٩. عنه البحار: ٢٥/٥٧، ح٢٤.

٣ـ بصائر الدرجات: الباب السابق، ٤٥٢، ح٦. وفي الباب عدة أحاديث تقرب منه.
عنه البحار: ٢٥/٥٦، ح١٨.

وبإسناده الصحيح[1] عن أبي بصير ، ـ قال :ـ سألتُ أباعبدالله عليه السلام عن قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَ كَذٰلِكَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَ لَا ٱلإِيمَانُ ﴾ [٥٢/٤٢] قال : «خَلقٌ مِن خَلق الله أعظمُ من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدِّده ، وهو مع الأئمّة من بعده» .

وفي رواية أُخرى[2] ـ قال :ـ « مَلكٌ منذ أنزل الله ذلك المَلَك لم يصعد إلى السماء ، كان مع رسول الله وهو مع الأئمّة ، يسدِّدهم » .

وفي رواية أُخرى[3] صحيحة عن أبي جعفر عليه السلام ـ قال :ـ «لقد أنزل الله ذلك الروح على نبيّه وما صعد إلى السماء منذ أنزل ، وإنّه لفينا» .

وبإسناده[4] الصحيح عن إبراهيم بن عمر[5] ـ قال :ـ قلت لأبي

١ـ بصائرالدرجات : الجزء التاسع ، باب الروح التي قال الله : ﴿ وكذلك أوحينا... ﴾ ، ٤٥٥ ، ح٢ . عنه البحار : ٥٩/٢٥ و٦١ ، ح٢٨ . الكافي : كتاب الحجة ، باب الروح التي يسدد بها الأئمة عليهم السلام ، ٢٧٣/١ ، ح١ . عنه البحار : ٢٦٥/١٨ ، ح٢٢ . تأويل الآيات : ٥٥١/٢ ، ح٢١ . عنه البحار : ٣١٨/٢٤ ، ح٢٥ .

٢ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٤٥٦ ، ح٧ . عنه البحار : ٦٠/٢٥ ، ح٣٢ .

٣ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٤٥٧ ، ح١٢ ، بلفظ : لقد أنزل... وفيه رواية أُخرى مثله عن الصادق ، ح١١ . عنه البحار : ٦١/٢٥ ، ح٣٦ـ٣٧ .
الكافي : الباب السابق : ٢٧٣/١ ، ح٢ . عنه البحار : ٢٦٥/١٨ ، ح٢٤ .

٤ـ بصائرالدرجات : باب مايسأل العالم عن... :٤٥٩ ، ح٣ . البحار : ٦٢/٢٥ ، ح٤٠ .

٥ـ يظهر أنه إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني ، قال النجاشي (الترجمة ٢٦ ، ص ٢٠) : «شيخ من أصحابنا ثقة ...» . وعده الشيخ (رجال الشيخ : ١٠٣ ، رقم٧ و١٤٥ ، رقم٥٨) من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام . راجع معجم الرجال : ٢٦٣/١ . قاموس الرجال : ٢٥٢/١ . ويظهر أنه سقط عن سند البصائرالمطبوعة «حماد بن عيسى» في البحار : «محمد بن عيسى ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر» وبقرينة روايته عن إبراهيم بن عمر .

عبدالله عليه السلام : «أخبرني عن العلم الذي تعلمونه ؟ أهو شيءٌ تعلمونه من أفواه الرجال ـ بعضكم من بعض ـ أو شيءٌ مكتوبٌ عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟ ـ قال ـ :

فقال : «الأمرُ أعظم من ذلك ، أما سمعت قول الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [٤٢/٥٢] » ؟

ـ قال :ـ قلت : «بلى» .

قال : «فلمّا أعطاه اللهُ تلك الروحَ علِمَ بها ، وكذلك هي إذا انتهت إلى عبد علِم بها العلمَ والفهمَ» ـ تعرّض بنفسه عليه السلام ـ .

وفي رواية أُخرى[1] : «وهي الروحُ التي يعطيها اللهُ من يشاء ، فإذا أعطاها اللهُ عبدا علّمه الفهمَ والعلمَ» .

وبإسناده الصحيح[2] عن هشام بن سالم ، قال : سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [١٧/٨٥] قال : «خَلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحدٍ ممّن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله ، وهو مع الأئمّة يوفِّقهم ويسدِّدهم ؛ وليس كلّما طلب وجد» .

و في رواية أُخرى صحيحة[3] قال : « مَلَكٌ أعظم مِن جبرئيل وميكائيل ...» ـ الحديث .

١ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٤٦٠ ، ح٥ . عنه البحار : ٢٥/٦٢ ، ح٤٠ .

٢ـ بصائرالدرجات : باب الروح التي قال الله تعالى : ﴿يسئلونك ...﴾ ، ٤٦٠ ، ح١ .
وفي الباب روايات أُخر مثله . عنه البحار : ٢٥/٦٧ ، ح٤٧ .

٣ـ بصائرالدرجات : الباب السابق : ٤٦١ . عنه البحار : ٢٥/٦٨ .

وفي لفظ آخر[1] : « وهو من الملكوت » .

وفي رواية أُخرى[2] في هذه الآية قال : «إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ وصمدٌ ، والصمدُ : الذي ليس له جوفٌ ؛ وإنّما الروح خلقٌ مِن خلقه له بصر[3] وقوّة وتأييد ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين» .

وبإسناده[4] عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام ـ قال :ـ سألته عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [٢/١٦] فقال : « جبرئيل الذي نزل على الأنبياء ، والروحُ يكون معهم ومع الأوصياء لايفارقُهم ، يفقّهم ويسدِّدهم من عندالله ... » . ـ الحديث .

وبإسناده[5] عن أبي بصير ـ قال :ـ كنتُ مع أبي عبدالله عليه السلام ، فذكر شيئا من أمر الإمام إذا ولد ، قال : « استوجب زيادةَ الروح في ليلة القدر » .

١ـ بصائرالدرجات : الباب السابق : ٤٦٢ ، ح٩ . عنه البحار : ٦٩/٢٥ ، ح٥٤ .
وروى العياشي (٣١٧/٢ في تفسير الآية ، ح١٦٥) عن الصادق عليه السلام : «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، وهو مع الأئمة يفقّههم ، وهو من الملكوت» .
عنه البحار : ٤٢/٦١ ، ح١٥ .

٢ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٤٦٣ ، ح١٢ . عنه البحار : ٧٠/٢٥ ، ح٥٧ .
وفي التوحيد (باب معنى قوله عزّ وجلّ : ونفخت فيه من روحي ، ١٧١ ، ح٢) : «عن أبي عبد الله عليه السلام ـ قال :ـ إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ صمد ، ليس له جوف ، وإنّما الروح خلقٌ من خَلقه ، نصرٌ و تأييدٌ وقوّة ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين » . عنه البحار : ٢٢٨/٣ ، ح١٧ . و١٣/٤ ، ح١٠ .

٣ـ كذا في المصدر والبحار . والأنسب «نصره» كما جاء في التوحيد . وليس فيه : «له» .

٤ـ بصائرالدرجات : باب الروح التي قال الله تعالى ، ينزل الملائكة . . . : ٤٦٣ ، ح١ .

٥ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٤٦٤ ، ح٤ .

فقلتُ : «جعلتُ فداك ـ أليس الروحُ جبرئيل» ؟

فقال : «جبرئيل من الملائكة ، والروح خَلق أعظم من الملائكة ؛ أليس الله يقول : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [٣/٩٧] » ؟

فصل [٣]

قال بعض العلماء(١) في بيان مراتب الأرواح البشريّة النوريّة :

إنّ الأول منها : الروح الحسّاس وهوالذي يتلقّى ماتورده الحواسُّ الخمس ، وكأنّه أصل الروح الحيواني وأوله ، إذ به يصير الحيوان حيوانا ، وهو موجود للصبيّ الرضيع .

الثاني : الروح الخيالي ، وهو الذي يستثبت ما أورده الحواسُّ ويحفظ[ـه] مخزونا عنده ، ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة إليه ، وهذا لايوجد للصبيّ الرضيع في بداية نشوءه ، ولذلك يولع بالشيء ليأخذه ، فإذا غاب عنه فينساه ولاتنازعه نفسه إليه ، إلى أن يكبر قليلا فيصير بحيث إذا غُيِّب عنه بكى وطلب ، لبقاء صورته محفوظةً في خياله .

وهذا قد وجد لبعض الحيوانات دون بعض ، ولا يوجد للفراش المتهافت على النار ، لأنّه يقصد النار لشغفه بضياء النار ، فيظنُّ أنّ السراج كوّة مفتوحة إلى موضع الضياء ، فيلقي نفسه فيتأذّى به ، لكنّه إذا جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرّة

١ـ الغزالي في مشكاة الأنوار : الفصل الثاني ، القطب الثاني : ٦٢ .

بعد مرّة، ولوكان له الروحُ الحافظِ المستثبِت لما أدّاه الحسُّ إليه من الألم لما عاوده مرّة بعد أن تضرّر مرّة به ؛ فالكلبُ إذا ضرب مرّة بخشَبة، فإذا رأى الخشبةَ بعد ذلك من بُعد هَرب .

الثالث : الروح العقلي، الذي تدرك به المعاني الخارجة عن الحسّ والخيال وهو الجوهر الإنسي الخاصّ، ولايوجد للبهائم ولا للصبيان ومدرَكاته المعارف الضروريّة الكليّة .

و اعلم[1] أنَّ في قلب الإنسان عينا، هذه صفةُ كمالها، وهي [التي] يعبّر عنها تارةً بـ«العقل»، وتارةً بـ«الروح»، وتارةً بـ«النفس الإنساني» . ودع عنك العبارات ... ونعني بها المعنى الذي يتميّز به العاقلُ عن الطفل الرضيع ، وعن البهيمة وعن المجنون ....

فالعقل يدرك غيرَه ويدرك نفسَه، ويدرك صفاته، إذ يُدرك نفسَه عالِما وقادرا، ويُدرك علمَ نفسه، ويُدرك علمَه بعلم نفسه ... إلى غيرنهاية ؛ فهذه خاصيّة لاتتصوَّر أن تُدرك بآلة الأجسام بل الحقائق كلُّها لاتحتجب عن العقل ...

وأمّا حجاب العقل ـ حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات هي مقارنة له ـ تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الأجفان ... وله حواسٌّ خمس في الظاهر جواسيسُه و كلّها بأخسِّ مراتبه لأنَّ المسموعات والمبصَرات والمشمومات والمذوقاتِ والملموسات ـ التي مدرَكات الحواسِّ الخمس

١ـ مشكاة الأنوار : الفصل الأول ، الدقيقة الثانية : ٣٩ـ٤٠ تلخيصا واقتباسا .

الظاهرة ـ أعراضُ الأجسام ، و الأجسام أخسُّ أقسام الموجودات ؛ وله في الباطن جواسيسُ سواها ـ من خيال ووهم وذكر وفكر وحفظ .

فإن قلت[١] : نرى العقلاء يغلطون في نظرهم ؟

فاعلم أنَّ فيهم خيالاتٍ وأوهاما واعتقاداتٍ يظنُّون أحكامَها أحكامَ العقل ، فالغلطُ منسوبٌ إليها ... وأمَّا العقلُ إذا تجرَّد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصوَّر أن يغلط ؛ بل رأى الأشياء كما هي ، وفي تجريده عسر عظيم ؛ وإنَّما يكمل تجرُّده عن هذه النوازع بعد الموت ... وعنده يقال ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٥٠/٢٢] .

الرابع[٢] : الروح الفكري وهو الذي يأخذ المعارف العقليَّة المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة ، ثمَّ إذا استفاد نتيجتين ـ مثلاً ـ ألَّف بينهما مرَّةً أُخرىٰ واستفاد نتيجةً أُخرىٰ ، ولا يزال يتزايد كذلك إلى غير النهاية .

الخامس : الروح القدسي ، الذي يختصُّ به الأنبياءُ وبعضُ الأولياء ، ومنه تتجلَّى لوائحُ الغيب وأحكام الآخرة ، وجملة من معارف ملكوت السماوات والأرض ، بل من المعارف الربانيَّة التي يقصر دونها الروح العقلي والفكري ، وإليه

---

١ ـ مشكاة الأنوار : ٤١ .

٢ ـ مشكاة الأنوار : ٦٣ ـ ٦٤ . تتمة المقطع الأول ؛ والمقطعان السابقان منقولان عن مواضع أُخرى من الكتاب تتميا ، وقد أشرنا إلى مواضعها .

الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَ كَذٰلِكَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَ لَا ٱلإِيمَانُ وَ لٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ـ الآية ـ [٥٢/٤٢]

ولا تُبعد ـ أيها العاكف في عالم العقل ـ أن يكون وراء العقل طورا آخر، يظهر فيه ما لايظهر في عالَم العقل، كما لايبعد كون العقل طورا وراء التميز والإحساس، تنكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الإحساس والتميز ـ ولا تجعل أقصى الكمال وقفا على نفسك.

وان أردت مثالاً ممانشاهده من جملة خواصّ بعض البشر، فانظر إلى ذوق الشِعر، كيف يختصُّ به قومٌ من الناس ـ وهو نوع إحساس وإدراك ـ ويحرم عنه بعضهم، حتّى لاتتميّز عندهم الألحانُ الموزونةُ من المنزحفة[1]. وانظر كيف عظمت قوّةُ الذوق في طائفة حتّى استخرجوا بها الموسيقي والأغاني والأوتار وصنوف الدستانات ـ التي منها المُحزِن، ومنها المُطرِب، ومنها المنوِّم، ومنها المضحِك، ومنها المُجنِّن، ومنها القاتل، ومنها الموجب للغشي؛ وإنّما تقوي هذه الآثارُ فيمن له أصلُ الذوق، وأمّا العاطل عن خاصيّة الذوق،

١ـ في هامش النسخة:

«المنزحفة: مافيه بعض الزحافات العروضيّة. والزحف في الأصل: تداني الجيش في القتال؛ وفي الشعر ـ على وزن كِتاب ـ هو أن تسقط بين الحرفين حرفا أو أزيد، أو حركة؛ فزاحَف أحدهما إلى الآخر. والشعر مزاحَف ـ بفتح الحاء ـ ومنه: يزحف إليه: إذا يمشي. (منه ـ ره)».

فيشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار ـ وهو يتعجّب من صاحب الوجد والغشي ـ ولو اجتمع العقلاء كلُّهم من أرباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه .

فهذا مثالٌ في أمرٍ خسيس ، لكنّه قريبٌ إلى فهمك ، فقسْ به الذوقَ الخاصَّ النبويّ ، واجتهد أن تصير من أهل الذوق بشيء من ذلك الروح ؛ فإنَّ للأولياء منه حظًّا وافرا ؛ فإن لم تقدر فاجتهد أن تصير ... من أهل العلم بها ، فإن لم تقدر فلاأقلَّ من أن تكون من أهل الإيمان بها . و ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [٥٨/١١] .

و العلمُ فوق الإيمان ، و الذوقُ فوق العِلم ؛ فالذوق وجدان ، والعِلم قياس وعرفان ، والإيمان قبولٌ مجرّد بالتقليد وحسن الظنِّ بأهل الوجدان أو بأهل العرفان .

فإذا عرفت هذه الأرواح الخمسة فاعلم أنّها بجملتها أنوار إذ بها تظهر أصناف الموجودات ، والحسّي والخياليّ منها ، وإن كان يشارك البهائم في جنسها لكنّ الذي للإنسان منه نمط آخر أشرف وأعلى ، وخلق الإنسان لأجل غرض أجلّ وأسمى ، وأمّا الحيوانات فلم يخلق لها إلاّ لتكون آلتها في طلب غذائها في تسخُّرها للآدميّ ، و إنما خلق للآدميّ لتكون شبكة له يقتنص بها من العالَمَ الأسفل مباديْ المَعارف الدينيّة الشريفة ، إذ الإنسان إذا أدركَ بالحسّ شخصا معيّنا اقتبس عقلُه منه معنى عامّا مطلقا» .

[٤]

بــاب
المعقّبات والشياطين

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾
[١٣/١١]

وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام : بأمرالله .

فصل [١]

قيل[١] في تفسير المعقّبات : إنّها الملائكة تتعاقبون ، تُعقِّب ملائكةُ الليل ملائكةَ النهار ، وملائكةُ النهار ملائكةَ الليل ؛ وهم الحفظةُ ، يحفظون على العبد عملَه .

وعن أئمّتنا عليهم السلام[٢] : «إنّهم أربعة أملاك ، يجتمعون عند صلاة الفجر ، و هو معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [١٧/٧٨] » .

١ـ مجمع البيان : ٢٨١/٦ ، في تفسير الآية عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي .
راجع تفسيرالطبري : ١٣/٧٦ـ٧٩
٢ـ مجمع البيان : الصفحة السابقة .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام[1] : « إنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير ، فيخلّون بينه وبين المقادير » .

قيل[2] : «هم عشرة أملاك على كلِّ آدميّ تحفظه» .

وروى أبو أُمامة[3] عن النبيّ صلى الله عليه وآله[4] ـ إنّه قال : «وكِّل بالمؤمن مأة وستّون ملكا[5] يذبّون عنه ما لم يقدّر عليه ؛ من ذلك سبعة أملاك يذبّون عنه كما يُذبُّ عن قصعة العسل الذي[6] في اليوم الصائف . وما لو بدا

---

١ ـ مجمع البيان : الصفحة السابقة . وروى مايقرب منه الكليني (الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب فضل اليقين ، ٥٩/٢ ، ح٨) .
والعامّة عنه عليه السلام ، راجع الدرالمنثور : تفسير الآية المذكورة : ٦١٥/٤ .
وروى القمي في تفسيره (٣٨٩/٢) مايقرب منه عن أبي جعفر عليه السلام أيضا .

٢ ـ مجمع البيان : الصفحة السابقة . تفسير الطبري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : ٧٦/١٣ في تفسير الآية . وحكى مثله ابن طاوس ـ قده ـ في سعدالسعود (٢٢٥) عن كتاب قصص القرآن للهيصم بن محمد النيسابوري ، عنه البحار : ٣٢٤/٥ ، ح١٢ .

٣ ـ قال الطبراني في المعجم الكبير (٨٩/٨) : «صديّ بن العجلان أبو أمامة الباهلي نزل الشام و مات بها» . وحكى الذهبي (سير أعلام النبلاء : ٣٦٣/٣) عن المدائني وجماعة أنه توفّي سنة ستّ وثمانين ، وعن إسماعيل بن عياش : أنّه مات سنة إحدى وثمانين . راجع طبقات ابن سعد : ٤١١/٧ .

٤ ـ معجم الطبراني : ١٦٧/٨ ، ٧٧٠٤ . وأورده الغزالي في الإحياء : كتاب شرح عجائب القلب ، تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب : ٦٠/٣ـ٦١ . وقال العراقي : «أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطات والطبراني في المعجم بإسناد ضعيف» .

٥ ـ في معجم الطبراني : « . . . تسعون ومأة ملك . . . من ذلك النفر تسعة أملاك يذبون . . . » ولعله خطأ الطبع . وفي الدر المنثور(٦١٥/٤) : « أخرج ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، والطبراني والصابوني في المأتين عن أبي أُمامة . . . وكل بالمؤمن ثلاثمأة وستون ملكا . . .» . كنز العمال (٢٥٤/١ ، الحديث ١٢٧٩) : «وكل بالمؤمن ستون وثلاثمأة ملك . . . تسعة أملاك يذبون . . . » ولايحضرني من مصادره غير المعجم الكبير وقد حكيت مافيه .

٦ ـ في معجم الطبراني والدرالمنثور : قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف .

لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل، كلُّهم باسطٌ يده، فاغرٌ فاه؛ ولو وكِل العبدُ إلى نفسه طرفةَ عين لاختطفته الشياطين».

وعن كعب[1]: «لولا أنّ الله وكّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم و مشربكم وعوراتكم لتخطّفتكم[2] الجنُّ».

* * *

قال شارح نهج البلاغة[3]: «الحفَظةُ منهم حفَظةٌ للعباد كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [١١/١٣]، ومنهم حفَظة على العباد كما قال تعالى: ﴿وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [٦١/٦]. والمراد من الأوّلين حفظ العباد بأمرالله من الآفات التي تعرض لهم، و من الآخرين ضبط الأعمال والأقوال من الطاعات والمعاصي كما قال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٢/١١-١٢]. وكقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [٥٠/١٨].

ـ قال: ـ «و يحتمل أن يكون تعدُّدهما تعدُّدا بحسب الذوات، ويحتمل أن يكون بحسب الاعتبار» ـ انتهى ـ.

ويأتي الكلام في الحفَظة على العباد والكِرام الكاتبين في باب آخر[4] ـ إن شاء الله ـ.

١ـ كعب الأحبار. حكاه عنه في مجمع البيان: ٢٨١/٥. والطبري: ٧٩/١٣.
٢ـ مجمع البيان: لتخطفنكم. الطبري: لتخطفتم (وليس فيه كلمة «الجن»).
٣ـ شرح نهج البلاغة للبحراني: شرح الخطبة الاولى: ١٦٣/١.
٤ـ راجع الباب الآتي.

فصل [1] [٢]

[الإلهام والوسوسة]

والسرُّ في ذلك يتبيّن ممّا حقّقه بعض العلماء[2] وملخّصه :

«إنّ الجوهر النطقي من الإنسان ـ المسمّى بالقلب الحقيقي ـ مثالُه مثالُ هدف تنصبُّ إليه السهام من الجوانب، أو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور، فيتراءا فيها صورة بعد صورة، ولا يخلو عنها دائما...

ومداخل هذه الآثار المتجدِّدة فيه إمّا من الظاهر ـ كالحواسِّ الخمس ـ وإمّا من الباطن ـ كالخيال، والشهوة، والغضب، والأخلاق والصفات ؛ فإنّه مهما أدرك الإنسانُ بالحواسّ شيئا حصل منها[3] أثرٌ في قلبه وكذلك إذا هاجت الشهوة أوالغضب، حصل منها أثرٌ في القلب، وإن كفّ عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبق وتنتقل المتخيِّلة من شيء إلى شيء، وبحسب انتقالها ينتقل باطنُ الإنسان من حال إلى حال ؛ فباطنُه إذن في التغيُّر دائما من هذه الأسباب .

وأحضر الأسباب الحاصلة فيه هي الخواطر ـ أي الأفكار

١ـ عين اليقين : ٣٧٧ .

٢ـ الغزالي : إحياء علوم الدين : كتاب شرح عجائب القلب ، بيان تسلط الشيطان على القلب ... : ٤٢/٣ ، اقتباسا .

٣ـ المصدر : منه .

والأذكار التي من أنواع الإدراكات والعلوم، إمّا على سبيل الورود التجدّدي، وإمّا على سبيل التذكُّر من المحفوظات في الحافظة.

وهذه الخواطرُ هي المحرِّكات للإرادات، فإنَّ النيّة والعزم والإرادة إنّما تكون بعد [خطور[1]] المنويّ بالبال ؛ فبدأ الأحوال الخواطرُ، ثمّ الخاطر تحرّك الرغبةَ، والرغبةُ تُحرِّك العزمَ، و[العزمُ تُحرِّك][2] النيّة، والنيّةُ تُحرِّك الأعضاء.

و الخواطرُ المحرِّكة للرغبة: إمّا تدعوا إلى الخير ـ أعني ماينفع في الدار الآخرة ـ وإمّا تدعوا إلى الشرّ ـ أعني مايضرُّ في العاقبة ـ فهما خاطران مختلفان، لهما سببان مختلفان، لأنّهما حادثان، وكلُّ حادث يفتقر إلى سبب، والمعلولات المختلفةُ تستدعي عللاً مختلفة، فيسمّى السببُ الداعي إلى الخير ملكا وفعلُه إلهاما ، والآخر شيطانا ، وفعلُه وسوسة[3] ؛ وهما جوهران مسخّران لقدرة الله ـ سبحانه ـ في تقليب القلوب.

ولعلّهما المراد بقوله ﷺ : « قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان، يقلّبه كيف يشاء »[4] .

١ـ النسخة : حضور . وما أثبتناه مطابق للمصدر وأنسب مع السياق .

٢ـ إضافة من المصدر .

٣ـ في هامش النسخة :

« فالوسوسة في مقابلة الإلهام ، والشيطان في مقابلة الملك ، والتوفيق في مقابلة الخذلان ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ـ منه ـ» .

٤ـ المستدرك للحاكم : كتاب الدعاء : ٥٢٥/١ . وكتاب الرقاق : ٣٢١/٤ . واللفظ فيها : «ما

والقلب لصفائه ولطافته صالحٌ بأصل الفطرة لقبول آثار المَلكيّة والشيطانيّة ـ صلاحا متساويا ـ وإنّما يترجّح أحدُ الجانبين باتِّباع الهوى والإكباب على الشهوات، أوالإعراض عنها ومخالفتها. فإن اتّبع الإنسانُ مقتضى شهوته وغضبه ظهر تسلّطُ الشيطان بواسطة اتِّباع الهوى والشهوات بالأوهام والخيالات الفاسدة الكاذبة، وصار القلبُ عشَّ الشيطان ومعدنه، لأنّ الهوى مرعىٰ الشيطان ومرتعُه، لمناسبة ما بينهما ونحو من الاتِّحاد. وإن جاهد الشهوات ولم يسلِّطها على نفسه، وعارَض بقوّة اليقين الظنونَ والأوهامَ الكاذبة المستدعية للشهوات والركون إلى الدنيا وتشبّه بأخلاق الملائكة: صار قلبُه مستقرَّ الملائكة ومهبطَها[1].

و لمّا كان الإنسان لا يخلو عن شهوة و غضب وحرص

من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمان، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه». وفي كنز العمال (٣٩١/١، ح١٦٨٤ عن الدارقطني): رواه بلفظ «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين، إن شاء يقيمه، وإن شاء يزيغه» و(ح١٦٨٦) «مامن آدميّ إلا وقلبه بين اصبع (كذا) من أصابع الله، ماشاء منها أقام، وماشاء أزاغ» و (ح١٦٨٧): «إنّ قلب ابن آدم بين أصابع الله، إن شاء أن يقلبه إلى هداية، وإن شاء أن يقلبه إلى ضلالة قَلَبَه». أيضا راجع الجامع الكبير: ٣٦٥/٥ و٣٩٢، ح١٩٣٣٢ و١٩٤٩٩.

١ ـ كتب المؤلف ـ قده ـ هنا مايلي ثم شطب عليه:
فمن البواطن والصدور ماتنزل فيه لزيارته كل يوم أُلوف من الملائكة لغاية صفائه، ومنها مايقع فيه كل يوم ألف وسواس وكذب وفحش وخصومة ومجادلة بين الناس، فهو مرتع الشياطين. أقول: وتصديق ذلك قول الله ـ عزوجل ـ: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ [٣٠/٤١] وفي مقابله: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم﴾ [٢٢١/٢٦-٢٢٢].

وطمع وطول أمل ـ إلى غير ذلك من الصفات البشريّة المنشعبة عن الهوى، المتّبع للقوّة الوهميّة التي شأنها إدراك الأمور على غير وجهها ـ : فلاجرم لم يخل باطنُه من جوَلان الشيطان فيه بالوسوسة ـ إلاّ من عصمه اللهُ ـ

ولذلك قال النبي ﷺ[1] : «ما منكم إلاّ وله شيطان».

قالوا : «وأنت يارسول الله» ؟

قال : «وأنا ؛ إلاّ أنّ الله أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأمرني إلاّ بخير» .

فمها غلب على النفس ذكرُ الدنيا و مقتضيات الهوى و الشهوات ، وَجَد الشيطانُ للتدرُّع بها مجالا ، فوسوسَ لها ؛ ومهما انصرفت النفسُ إلى ذكرالله ارتحل الشيطانُ وضاق مجالُه فاقبل الملكُ وألهم ؛ فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة النفس الإنسانيّة دائمٌ، لهيولانيّة وجوده وقابليّتها للأمرين بتوسّط قوّتيه العقليّة والوهميّة ، إلى أن ينفتح لأحدهما ويستوطن فيها ، ويكون اجتياز الثاني اختلاسا ...

و كما أنّ الشهوات ممتزجة بلحم الآدميِّ ودمه ، فسلطنةُ

---

١ ـ مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٦٧/٤ ، ح٦٩) : « قال ﷺ : مامنكم من أحد إلا وكّل به قرينه من الجن . قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإيايَ إلا أنّ الله أعانني عليه فأسلم ، فلايأمرني إلا بخير» . وفيه (رقم ٧٠) : «قالت عائشة : يارسول الله ـ أوَ معي شيطانٌ ؟ قال : نعم . قالت : ومعك يارسول الله ؟ قال : نعم ؛ ولكن ربي أعانني عليه حتّى أسلم» . راجع الحديث بألفاظ أخر في كنز العمال : ٢٥٣/١ ، ح١٢٧٥ ـ ١٢٧٧ . و ٢٤٧/١ ، ح١٢٤٢ـ١٢٤٣ .

الشيطان ـ أيضا ـ سارية في لحمه ودمه ومحيطة بقلبه الذي هو منبع الدم، المركّب للروح البخاريّة الحاملة للقوى الوهميّة والشهويّة والغضبيّة.

ومن هنا قال النبي ﷺ[1] : «إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيّقوا مجاريه بالجوع».

ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه، قال الله ـ تعالى ـ حكايةً عن إبليس: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ [١٦/٧].

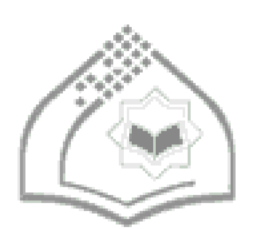
هذا ملخّص ماذكره؛ ويصدّقه جملةً ما رواه في الكافي[2] بسند حسن عن مولانا الصادق ﷺ إنّه قال: «ما من قلبٍ إلاّ وله أُذنان: على

١ـ رواه العامة في صحاحهم، غير أني لم أعثر على الفقرة الأخيرة من الحديث: «فضيقوا مجاريه بالجوع»، راجع البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ١٥٠/٤. كتاب الصوم الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، ٦٥/٣. ابن ماجة: كتاب الصيام باب (٦٥) في المعتكف يزوره أهله في المسجد، ٥٦٦/١، ح١٧٧٩. دارمي: كتاب الرقائق، باب أن الشيطان يجري . . . ، ٣٢٠/٢. المسند: ١٥٦/٣، ٢٨٥، ٣٠٩. ٣٣٧/٦. أبي داود: كتاب الصوم، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، ٣٣٣/٢، ح٢٤٧٠. كتاب الأدب: باب حسن الظن: ٢٩٩/٤، ح٤٩٩٤. كتاب السنة: باب في ذراري المشركين، ٢٣٠/٤، ٤٧١٩.

٢ـ الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب أن للقلب أُذنين، ٢٦٦/٢، ح١.
عنه البحار: ٢٠٥/٦٣، ح٣٤. ٣٣/٧٠، ح١.
وجاء مايقرب منه في تفسير القمي: البقرة، قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب . . . ، ٦١/١. سورة الناس: ٤٩٢/٢. عنه البحار ٢٤٥/٦٣، ح٩٩.

إحداهما ملكٌ مرشد، وعلى الأُخرى شيطان مفتِنٌ، هذا يأمره وهذا يزجره؛ الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها؛ وهو قول الله ـ تعالى ـ : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٥٠/١٧-١٨].

وعن النبي ﷺ[1] : «إنَّ للشيطان لِمّة بابن آدم، وللمَلك لِمّة[2]، أمّا لِمّة الشيطان: فإيعادٌ بالشرِ وتكذيبٌ بالحقِ، وأمّا لِمّةُ المَلك: فإيعاد بالخير و تصديقٌ بالحقِّ، فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله فليحمدالله، ومن وجد الأُخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم» ـ ثمّ قرأ ﷺ: ﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءِ﴾[٢/٢٦٨].



فصل[3] [٣]

وكما أنّ في الملائكة الذين يدبّرون أُمورَ الإنسان كثرةً، لاستدعاء تعدُّد الأفعال والآثارنوعا تعدّدَ الفواعل والمؤثرات ـ كما مضى بيانه[4] ـ

١ـ الترمذي: كتاب التفسير، الباب (٣)، ٥/٢١٩، ٢٩٨٨.

كنز العمال: ١/٢٤٦، ح١٢٤٠. الدرالمنثور (٢/٦٥، في الآية: الشيطان يعدكم الفقر...) عن الترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والبيهقي.

وفي الكافي (كتاب الإيمان والكفر، باب القسوة، ٢/٣٣٠، ح٣) عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «لمّتان: لمّة من الشيطان، ولمّة من الملك؛ فلمّة الملك: الرقّة والفهم. ولمّة الشيطان السهو والقسوة».

٢ـ اللِمّة: النزول والقرب.

٣ـ مقتبس من إحياء علوم الدين: كتاب شرح عجائب القلب، بيان تفصيل مداخل الشيطان...: ٣/٦٠. راجع مفاتيح الغيب: ٢١٠.

٤ـ راجع الفصل الأول من الباب الثاني من هذا المقصد.

فكذلك الشياطين الموسوِسين، الداعين له إلى المعاصي، جنودٌ مجنَّدةٌ حسب تعدُّد المعاصي ؛ و هم فروعٌ لشيطان واحد يخصُّ بذلك الإنسان .

وهو المشار إليه بقوله ﷺ[1] : «ما منكم إلاّ وله شيطان» .

قال بعض المفسّرين[2] : لإبليس خمسة من الأولاد، قد جعل كلّ واحد منهم على شيءٍ من أمره ؛ فذكر : ثبر، والأعور، ومِسوَط[3]، وداسم، و[زَلَنْبُور][4] .

فأمّا ثبر : فهو صاحب المصائب ، الذي يأمر بالثبور و شقّ الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهليّة . وأمّا الأعور : فهو صاحب الرياء[5] ، يأمر به ويزيّنه . وأمّا مِسوَط : فهو صاحب الكذب . وأمّا داسم : فهو يدخل مع الرجل إلى أهله ويُريه العيب فيهم ويُغضبه عليهم . وأمّا [زلنبور] : فهو صاحب السوق وبسببه لايزالون متلطّمين[6] .

١ـ مضى في الفصل السابق .

٢ـ القائل مجاهد ؛ راجع الإحياء : ٦٠/٣ ، تهذيب اللغة : ٢٨٨/١٣ . والدرالمنثور : ٤٠٣/٥ ، تفسير الآية الكهف/٥٠ .

٣ـ في الإحياء (٦٠/٣) والمحجة البيضاء (٧٠/٥) : مبسوط (بدلا من : مسوط) ، والأظهر أن الصحيح ما أورده المؤلف هنا ، ويؤيده ما في الدرالمنثور (٤٠٣/٥) . وجاء في شرح الإحياء (إتحاف : ٢٨٨/٧) : ... مِسوَط ـ كمنبر ـ كأنه مِفعَل من السوط .

٤ـ في النسخ ـ هنا وفيما يأتي ـ : «زلينور» والأظهر كونه من سهو القلم ، والصحيح ماأثبتناه كما جاء في الإحياء (٦٠/٣ ، و١٢٨/٢) والمحجة البيضاء (٧٠/٥) ، والدرالمنثور (٤٠٣/٥) و تهذيب اللغة : ٢٨٨/١٣ ، وغيرها من المصادر .

٥ـ الإحياء : صاحب الزنا .

٦ـ الإحياء : متظلّمين .

و شيطان الصلاة يسمّى «خنزب»[١] ، و شيطان الوضوء: الوَلهان[٢] ؛ قيل[٣] : وقد ورد بذلك أخبار .

وقال يونس بن يزيد[٤] : « بلغَنا أنّه يولد مع أولاد الإنس من أولاد الجنِّ ، ثمَّ ينشئون معهم » .

وقال جابر بن عبدالله[٥] : إنّ آدم ﷺ لمّا أُهبط إلى الأرض ، قال : «ياربِّ هذا العبد الذي جعلتَ بينه وبيني عداوة إلاّ تُعنّي[٦] عليه لا أقوِ عليه» . قال : «يا آدم ، لايولَد لك ولدٌ إلاّ وكِّل به مَلَكٌ» . قال : «ياربِّ زدني» . قال : «بالسيّئة السيّئة[٧] ، وبالحسنة عشرا إلى ما أُريد» .

١ـ مسلم : كتاب السلام ، باب (٢٥) التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة : ١٧٢٩/٤ ، ح٦٨ . كنز العمال : ٤٠٠/١ ، ح١٧١١ .
حكاه في البحار (٣٦٤/٢١ ، ح١) عن إعلام الورى أيضا .

٢ـ ابن ماجة : كتاب الطهارة وسننها ، باب (٤٨) باب ماجاء في القصد في الوضوء . . . ، ١/ ١٤٦ ، ح٤٢١ . مستدرك الحاكم : كتاب الطهارة ١٦٢/١ . المسند : ١٣٦/٥ .

٣ـ إحياء علوم الدين : ٦٠/٣ .

٤ـ كذا . وفي الإحياء (٦١/٣) : أيوب بن يونس بن يزيد . وفي المحجة (٧٠/٥) : أيوب بن يونس . وفي شرح الإحياء (الإتحاف : ٢٨٩/٧) : «أيوب بن يزيد بن زيد ، روى عن التابعين ، قال الرازي : مجهول . كذا في المغني للذهبي» .

٥ـ جابر بن عبدالله الصحابي المعروف .
والحديث منقول من الإحياء (٦١/٣) وورد مايقرب منه عن جابر ، عن رسول الله ﷺ في العياشي : تفسير الآية النحل/١١٩ ، ٢٧٦/١ ، ح٢٧٧ . عنه البحار : ٣٣/٦ ، ح٤٤ . و٢١٢/١١ ، ح٢٠ . و٢١٩/٦٣ ، ح٥٨ . وفي الدر المنثور : تفسير الآية الإسراء/٦٤ ، ٣١٣/٥ ، عن ثابت . و١٣٥/١ .
راجع أيضا : الكافي : ٤٤٠/٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب فيما أعطى الله عز وجل آدم ﷺ وقت التوبة ، ح١ .

٦ـ الإحياء : تعينني . (وكذا فيما يأتي) .

٧ـ الإحياء : سيئة .

قال: «ربِّ زدني». قال: «باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح».

قال إبليس: «ياربّ هذا العبد الذى كرّمته إلاّ تُعنّي عليه لاأقوِ عليه». قال: «لايولد له ولد إلاّ ويولد لك ولد». قال: «ربّ زدني». قال: «تجري منهم مجرى الدم، وتتخذون في[1] صدورهم بيوتا». قال: «ربّ زدني». قال: « ﴿اجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَالِ وَ ٱلْأَولَادِ وَ عِدْهُمْ وَ مَايَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [٦٤/١٧]»[2].

وشيطان كلّ إنسان في المكر والحيلة على قدر عقله وذكائه، وكذلك الملائكةُ الذائبُون عنه، الحافظون له بأمرالله.



١ـ «في» غير موجود في الإحياء.

٢ـ في هامش النسخة:

«وقال الشعبي: إبليس أبوالجنّ، كما أنّ آدم أبوالإنس، وقيل: أبوالجنّ هو الجانّ، وإبليس أبوالشياطين، فالشياطين أولاد إبليس، وكلهم في النار، إلا شيطان رسول الله ﷺ، فإنّ الله أعانه عليه فأسلم. وأمّا أولاد الجانّ: فسلمهم في الجنّة وكافرهم في النار. ومع كلّ جنّي شيطان، كما أنّ مع كلّ آدميّ شيطانٌ. والجانُّ خلق من خضرة النار، والشيطان من بجمومها، والملائكة من نورها.

(منه ـ ده)».

فصل [٤]

قال بعض أهل المعرفة[1] :

«إنّ إلهام المَلَك و وَسوَسة الشيطان تقع في النفوس على وجوه وعلامات :

أحدها : كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس ، ويقابله الهوى والشهوة الحاصل[تـ]ين من جانب الشمال .

وثانيها : كالنظر إلى الآفاق والأنفس ، على سبيل النظام والإحكام المزيل للشكوك والأوهام ، و المحصِّل للمعرفة و الحكمة في القوّة العاقلة التي هي على الجانب الأيمن من النفس ، ويقابله النظر إليها على سبيل الاشتباه والغفلة والإعراض عنها ، الناشئة منها الشُبه والوسواس في الواهمة والمتخيّلة التي على الجانب الأيسر منها ، فإنّ الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدّسة من العقول والنفوس الكليّة ، لأنّها مبادئ العلوم اليقينيّة ؛ والمتشابهات الوهميّات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانيّة ، لأنّها مبادئ المقدّمات السفسطيّة .

و ثالثها : كطاعة الرسول المختار و الأئمّة الأطهار ﷺ في مقابلة أهل الجحود والإنكار وأهل التعطيل والتشبيه من

١ـ أورده في عين اليقين (٣٧٨) أيضا وهومقتبس من مفاتيح الغيب : المشهد الرابع من المفتاح الرابع : ١٦٢ .

الكفّار ؛ فكلّ مَن سلكَ سبيلَ الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهِمين للخير ، ومن سلك سبيلَ الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرِّ .

و رابعها : كتحصيل العلوم و الإدراكات التي هي في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والبعث وقيام الساعة ومثول الخلائق بين يدي الله ، وحضور الملائكة والنبيّين والشهداء والصالحين ؛ في مقابلة تحصيل العلوم والإدراكات الّتي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة ، والتأمُّل في الأمور الدنياويّة الغير الخارجة عن دار المحسوسات .

فإنّ الأوّل يشبه الملائكةَ الروحانية وجنودَ الرحمان ، الذين هم سكّان عالم الملكوت السماوي ؛ والثاني : يشبه الأبالسةَ المطرودة عن باب الله ، الممنوعة من ولوج السماوات ، المحبوسة في الظلمات ، المحرومة في الدنيا من الارتقاء ، والمحجوبة في الآخرة عن دارالنعيم» .

* * *

* *

*

فصل [1] [٥]

[النفوس تصير شيطانا أوملكا]

قال بعض الحكماء[2] :

«إنّ النفوس المتجسِّدة الخيِّرة ملائكةٌ بالقوّة، فإذا خرجت قوّتها إلى الفعل وفارقت أجسادَها صارت ملائكةً بالفعل.

وكذلك النفوسُ المتجسِّدة الشريرة هي شياطين بالقوّة، فإذا فارقت أجسادَها كانت شياطين بالفعل.

فهذه النفوسُ الشيطانيّة توسوس أهلَ الشيطنةِ بالقوّة، لتخرجها من القوّة إلى الفعل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [١١٢/٦].

وشياطين الإنس هي النفوس المتجسِّدة الشريرة، آنست بالأجساد.

وشياطين الجنّ هي النفوس الشريرة المفارقة للأجساد، المستحجبة عن الأبصار.

ومثَل وسوسة هذه النفوس المفارقة، لهذه النفوس المتجسِّدة، كَمَثل مَن قوِيت شهوتُه للطعام والشراب،

---

١ ـ عين اليقين : ٤٠٦.

٢ ـ رسائل إخوان الصفاء : الرسالة السادسة عشرة : ٨١/٣.

وضعفت حرارتُه الهاضمة عن نضجها، فهو يشتهي ولا يستمرئ [1] فعند ذلك يكون همّته أن يرى الطعامَ والآكلين له، لينظر إليهم فيستروح من ألم شهواته الممنوع عنها، لضعف الآلة وبطلان فعل القوّة؛ فهكذا حكم تلك النفوس المفارقة، كما أُشير إليهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ﴾ [١١٤/٤-٦]».

ـ قال ـ :[2] «ولمّا كانت الجنسيّة علّة الضمّ، فالنفوس البشريّة الطاهرة النورانيّة تنضمّ إليها الأرواح الطاهرة النورانيّة، من النفوس الكاملة المفارقة للأبدان، الواقعين في عالم الملكوت مع الملائكة الذين هنالك، فيعينونها على أعمالها التي هي من باب الخيرات والمَبرّات، والنفوس الشريرة الخبيثة تنضمّ إليها الأرواحُ الخبيثة من النفوس الشريرة المفارقة للأبدان، الواقعين هنالك مع الشياطين، فيعينونها على أعمالها التي هي من باب الشرور والآثام، والظلم والعدوان.

ويسمّى الأوّل: إلهاما، والثاني: وسوسة».

أقول: ويشهد لهذا قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ ٱلإِنْسِ وَ قَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ ٱلإِنْسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَيكُمْ﴾ [٦/١٢٨]. وقوله

١ـ استمرأ الطعامَ: استطيبه ووجده أو صار له مريئا.

٢ـ راجع مفاتيح الغيب: المشهد العاشر من المفتاح الرابع ١٨٤.

سبحانه : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَ ٱلْغَاوُونَ * وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [٢٦/٩٤] .

قيل[1] في التوراة : إنّ أهل الجنّة يمكثون في الجنّة خمسة عشر ألف سنة ، ثمّ يصيرون ملائكة ، وإنّ أهل النار يمكثون في الجحيم كذا ، أو أزيد ، ثمّ يصيرون شياطين .

وفي الإنجيل : إنّ الناس يحشرون ملائكة لايطعمون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون .

فصل[2] [٦]

[الجن وأصنافها]

الجنّ من الاجتنان ـ بمعنى الاختفاء ـ سمّيت به لاستتارهم عن الأبصار ؛

ولهذا سمّيت به الملائكة ـ أيضا ـ في قوله سبحانه : ﴿ وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [٣٧/١٥٨] .

والشياطين في قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [١٨-٥٠] .

وهي أجسام لطيفة نفّاذة حيّة ، ذوات نفوس قويّة غالبة على أجسادها ، قادرة على التمدّد والانقباض ، وعلى تشكيل أنفسها بأشكال مختلفة بعضها ممّا يوجب لها سهولة النفوذ في المنافذ وعلى الأعمال الشاقّة .

١ـ ذكر في الأسفار الأربعة : ١٨١/٩ أيضا ، ولم أعثر عليه .

٢ـ عين اليقين : ٤٠٤ .

قال الله عزّ وجلّ: في قصّة سليمان ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾ ـ إلى أن قال ـ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [١٣-١٢/٣٤].

ولها علوم وإدراكات من جنس علومنا وإدراكاتنا الوهميّة وأوائل العقليّات، قال الله ـ جلّ جلاله ـ: ﴿وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ [٢٩/٤٦].

فنهم مؤمن صالحٌ، ومنهم كافرٌ ماردٌ، قال الله تعالى حكايةً عنهم: ﴿إِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ﴾ [١٤/٧٢]. وقال أيضا عنهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللهِ شَطَطًا﴾ [٤-١/٧٢].

قال مولانا الصادق عليه السلام[١]: «الجنّ على ثلاثة أجزاء: فجزء مع الملائكة، وجزء يطيرون في الهواء، وجزء كلاب وحيّات» رواه في الكافي[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله[٣]: «خلق الله الجنّ ثلاثة أصناف: صنف حيّات

١ـ الخصال: باب الثلاثة: ١٥٤. عنه البحار: ٧٨/٦٣، ح٣٢.

٢ـ الرواية غيرموجودة في الكافي، وتوجد في الخصال وقد أشرنا إلى موضعها.

٣ـ الجامع الصغير: باب الخاء: ٥/٢. كنزالعمال: ١٤٣/٦، ح١٥١٧٩.
ومع فرق يسير في حياة الحيوان: الجن، ٢٨٨/١. عنه البحار: ٢٩١/٦٣.

وعقارب و[خشاش][1] الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب. وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لايَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لايُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [١٧٩/٧] ـ الآية ـ وصنف أجسادهم أجسادُ بني آدم، وأرواحهم أرواحُ الشياطين؛ وصنف كالملائكة في ظلّ الله ـ يوم لاظلّ إلاّ ظلّه ـ.

فصل[2] [٧]

[الشيطان وتسلطه على الناس]

قال بعضُ أهل التحقيق[3]:

«إنّ أوّل من سلك سبيلَ الغواية والضلالة، وطرده الحقّ عن عالم رحمته ووقع عليه اسم «إبليس» هو جوهرٌ نطقيٌّ شرّيرٌ متولِّد من طبقة دخانيّة ناريّة، لها نفسٌ ملكوتيّة، شأنه الإغواءُ وسبيلُه الإضلال، كما في قوله ـ تعالى ـ حكاية عن اللعين: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [٣٨/٨٢-٨٣]. وقوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [١٦/٧].

و ذلك لأنّ له سلطنة ـ بحسب الطبع ـ على الأجسام

١ـ في النسخ: «حشايش» والصحيح ما أثبتناه مطابقا لما في المصادر. والخشاش: قال ابن الأثير (النهاية: خشش، ٣٣/٢): «أي هوامها وحشراتها. الواحدة: خشاشة».

٢ـ عين اليقين: ٤٠٦ـ٤٠٧.

٣ـ مقتبس من المبدء والمعاد: ١٩٦.

الدخانيّة والبخاريّة ونفوسها الجزئيّة والطبايع الوهمانيّة، وتطيعها تلك النفوس والقوى الوهمانيّة لمناسبة النقص والشرارة، وكونه مجبولاً على الإغواء والإفساد والاستكبار.

وادّعاؤه العُلوّ ـ كما في قوله ـ سبحانه ـ : ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [٣٨/٧٥] - إنّما هو بمقتضى طبعه الغالب عليه الناريّة الموجبة للإهلاك وَالعُلوّ.

و وجه تأثيره في نفوس الآدميّين: أمّا من جانب المؤثِّر: فللطافته و سرعة نفوذه في عروقهم و لطائف أعضائهم وأخلاطهم ـ التي هي محالُّ الشعور والاعتقاد ـ واقتداره على إغوائهم بالوسوسة والإضلال.

وأمّا من جانب القابل: فلقصور القوى الإدراكيّة لأكثر الإنسان وضعفها عن المعارضة والمجاهدة مع جنوده وأعوانهم من القوى الغضبيّة والشهويّة وغيرهما ـ لاسيّما الوهميّة ـ إلاّ من عصمه الله من عباده المخلَصين، الذين أيّدهم الله بالعقل، وهَداهم إلى الصراط المستقيم ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ﴾ » [٥٨/٢٢].

أقول: ويشبه أن يكون عن هذا الملعون المطرود عبّر بـ«الجهل» فيما رواه في الكافي[1] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام ـ قال:ـ

«إنَّ الله خلَقَ العَقلَ ـ وهو أوّل خلْق من الروحانيّين ـ عن يمين

١ ـ الكافي: كتاب العقل والجهل: ١/٢١.

العرش من نوره، فقال له: «أدبِر» فأدبَر. ثمّ قال له: «أقبِل» فاقبَل. فقال الله تعالى: «خلقتُك خلقًا عظيما، وكرّمتُك على جميع خلْقي».

ـ قال: ـ «ثمّ خلَق الجهلَ من البحر الأُجاج ظلمانيّا، فقال له: «أدبِر» فأدبَر. ثمّ قال له: «أقبِل» فلم يُقبِل. فقال له: «استكبرتَ» فلعَنه.

ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جندا، فلمّا رأى الجهلُ ما أكرم اللهُ به العقلَ وما أعطاه، أضمرَ له العداوةَ، فقال الجهل: «ياربِّ ـ هذا خَلْق مِثلي، خلقتَه وكرّمته و قوّيته، وأنا ضدُّه ولا قوّة لي به، فأعطني من الجند مثلَ ما أعطيتَه».

فقال: « نعم؛ فإن عصيتَ بعد ذلك أخرجتُك و جندكَ من رحمتي».

قال: «رضيتُ». فأعطاه خمسة وسبعين جندا »

ـ الحديث بطوله ـ

فصل[1] [٨]

[حكمة خلق الشياطين]

قال بعض أهل المعرفة والتحقيق[2] :

«إنّ الإنسان كما ينتفع من إلهام المَلَك كذلك ينتفع من وسوسة الشيطان بوجه، و ذلك لأنّ وجودَ الشياطين من الله

١ـ عين اليقين: ٣٧٨.

٢ـ مفاتيح الغيب: المشهد الخامس من المفتاح الرابع: ١٦٥. تفسير سورة يس: ٢٤٥.

ـ سبحانه ـ لا محالة لحِكمة و مصلحة ، و إلاّ لم توجد ، لاستحالة العبَث والتعطيل عليه تعالى ـ .

وذلك أنّ : أتباع الشياطين كلُّهم تبعةُ الوهم والخيال ، ولولم يكن أوهام المعطِّلين وخيالات المتفلسفين والدهريّين وسائر أولياء الطاغوت ومراتب جربزتهم وفنون اعوجاجهم ، لما انبعث أولياء الله في تحقيق الحقائق ، وتعليم العلوم ، وطلب البراهين لبيان التوحيد وعلّة حدوث العالم بالكشف واليقين وغيرذلك .

وكذلك في الأخلاق والأعمال ـ مثلاً ـ لو لم يكن اغتياب المغتابين وتجسُّس المتجسِّسين لعيوب الناس لم يتجنّب كلّ التجنُّب من العيوب الخفيّة التي لايراها أحبّاؤه ، وإنّما يظهرله ثبوتُها من تدقيقات أعدائه وتجسُّسهم عيوبَه وإظهارهم إيّاها .

فكم من عدوٍّ خبيث الذات انتفع الإنسانُ من عداوته أكثر ممّا انتفع من محبّة صديقه ، فإنّ المحبّة ممّا يورث الجهلَ بعيوب المحبوب والعمىٰ والصمَم عن معاينة معايبه وسماع مثالبه ؛ كما قيل : « حبُّك الشيء يعمي ويصمُّ » .

فظهر أنّ لوجود الأعمال الشيطانيّة منافع عظيمة للناس ، وما لانعلمه أكثر» .

[٥]

باب

ملائكة الأعمال والكرام الكاتبين

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

[١١/٨٢]

فصل [1] [١]

[الملك، الشيطان، الملكة]

قيل[2] : كلّ هيئةٍ وصفةٍ ترسّخت في النفس وتأكّدت فيها من تكرُّر أفاعيله وأعماله يسمّى في الشرع «ملكا» إن كانت حسنة، و «شيطانا» إن كانت سيّئة، وفي الحكمة كلتاهما «مَلَكَة».

ويؤيّد هذا ماورد في الحديث[3] «أنّ كلّ من عَمِل حَسَنَة يخلق الله منها مَلَكا يثاب به، ومن اقترف سيّئة يخلق الله منها شيطانا يعذّب به».

١ـ عين اليقين : ٣٧٨.

٢ـ راجع الأسفار الأربعة : ٢٩٢/٩ـ٢٩٣.

٣ـ لم أعثر عليه ، و قال صدرالمتألهين (الأسفار : ٢٩٢/٩) : «وقد ورد في الخبر إن من عمل حسنة كذا يخلق الله منها ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة . . .».

وفي حديث القبر[1] : « ... فإن كان لله وليّا أتاه أطيبُ الناس ريحا وأحبُّهم منظرا وأحسنُهم رياشا ؛ فقال : أبشر برَوح وريحان وجنّة نعيم ، ومَقدمك خير مقدم . فيقول له : مَن أنت ؟ فيقول : أنا عملُك الصالح ، ارتحل من الدنيا إلى الجنّة» ...

ـ قال :ـ «وإذا كان لربِه عدوًا فإنّه يأتيه أقبحُ مَن خَلَق الله زيّا وأنتنُه ريحا ، فيقول : أبشر بنُزل من حميم وتصلية جحيم» .

فصل [٢]

[الملك والشيطان وارتباطهما مع الإنسان]

وفي الحديث[2] : «من زار أخاه في الله ـ عزّ وجلّ ـ شيّعه سبعون ألف مَلَك ، يقولون : ألا طِبت وطابت لك الجنّةُ» .

وفيه[3] : «مَن عَطَسَ ثمّ وضع يدَه على قصبة أنفه ثمّ قال : «الحمد

١ـ الكافي : كتاب الجنائز ، باب أن الميت يمثل له ماله وولده ... : ٢٣٢/٣ ، ح١ .
تفسير القمي : تفسير الآية : إبراهيم/٢٧ ، ٣٩٩/١ـ٤٠٠ .
أمالي الطوسي : ٣٤٨ ، المجلس الثاني عشر ، ح٥٩ ، مع فروق يسيرة .

٢ـ الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب زيارة الإخوان : ١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ . مع فروق يسيرة عنه البحار : ٣٤٢/٧٤ و٣٥٠ .
وفي الاختصاص (١٨٨) عن أمير المؤمنين عليه السلام : «من زار أخاه المسلم في الله ، ناداه الله عزّ وجلّ : أيها الزائر ، طبت وطابت لك الجنة» . عنه البحار : ٣٥٥/٧٤ .

٣ـ مايقرب منه في فقه الرضا ، عنه البحار : ٥٥/٧٦ ، ح١٣ . وفي الدعوات للراوندي (فصل أدعية مفردة لأوجاع معينة ، ١٩٨ ، ح٥٤٣) : «وقال الصادق عليه السلام : من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه ، ثمّ قال : الحمد لله كثيرا ... و سلم ، يستغفر الله له طائر تحت العرش إلى يوم القيامة» . عنه البحار : ٥٣/٧٦ ، ح٢ .

لله ربِّ العالمين كثيرا كما هو أهله، وصلى الله على محمد النبيّ وآله وسلّم» خرج من منخره طائرٌ أصغر من الجراد وأكبر من الذباب، حتى يصير تحت العرش، يستغفرالله له إلى يوم القيامة».

وأمثال ذلك من الأخبار كثيرة.

وقد قيل: «إنّ من البواطن والصدور ماينزل فيه لزيارته كلّ يوم ألوف من الملائكة ـ لغاية صفائه ـ و منها ما يقع فيه كلّ يوم ألف وسواس و كِذب و فحش و خصومة و مجادلة بين الناس فهو مَرتع للشياطين».

ويصدِّقه قولُ الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ﴾ [٤١/٣٠].

وفي مقابله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [٢٦/٢٢١-٢٢٢] ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [٤٣/٣٦].

* * *

* *

*

فصل [1] [٣]

[كتابة الأعمال والكرام الكاتبون]

قيل[2] : إنّ الآثار الحاصلة من الأفعال و الأقوال والعقائد في النفوس، بمنزلة النقوش الكتابيّة في الألواح، كما قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [٥٨/٢٢].

وهذه الألواح النفسيّة يقال لها « صَحائف الأعمال ». وهذه النقوش والصوَر كما تفتقر إلى قابل يقبلها ، كذلك تفتقر إلى ناقش ومصوِّر، فالمصوِّرون والكُتّاب هم «الكرام الكاتبون».

وهم طائفتان: « ملائكة اليمين» و « ملائكة الشمال»؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [٥٠/١٧].

أقول: قد روي[3] : «إنّ كلُّ إنسان معه مَلكان: أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات من غير شهادة صاحبه ، والآخر عن يساره يكتب السيّئات ولا يكتبها إلاّ بشهادة صاحبه، وإن قعَد فأحدُهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن مشى فأحدهما خلفه والآخر أمامه، وإن نام فأحدهما عند رأسه والآخر عند رِجليه».

١ـ عين اليقين : ٣٧٩.

٢ـ راجع الشواهد الربوبية : الإشراق التاسع من المشهد الرابع : ٢٩٣. الأسفارالأربعة : ٢٩١/٩. مفاتيح الغيب : المشهد الثاني عشر من المفتاح التاسع عشر : ٦٤٧.

٣ـ قال السيوطي (الدرالمنثور : ٥٩٤/٧ ، سورة ق/١٧) «أخرجه ابن المنذر وأبوالشيخ في العظمة من طريق ابن المبارك عن ابن جريج ...».

وفي رواية أُخرى[1] : خمسة أملاك : ملكان لليل ، وملكان للنهار ، وملكٌ لايفارقه في وقت من الأوقات .

وفي الكافي بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام[2] أنّه قال : «إنّ العبدَ إذا همّ بالحسنة خرج نفَسُه طيِّب الريح ، فقال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال : «قف ، فإنّه قد هَمَّ بالحسنة» ؛ فإذا هو عَمِلها كان لسانُه قلمَه وريقُه مدادَه ، فأثبتها له . واذا هَمَّ بالسيِّئة خرج نفَسُه منتن الريح ، فيقول صاحبُ الشمال لصاحب اليمين : «قف ، فإنّه قد هَمَّ بالسيِّئة» ، فاذا هو فعَلها كان ريقُه مدادَه ولسانُه قلمَه ، فأثبتها عليه» .

وروى أيضا بأسانيد متعدّدة[3] عنه عليه السلام : «إنّ العبد إذا عَمِل سيِّئة وأراد صاحبُ الشمال أن يكتبها ، قال له صاحبُ اليمين : « أمسك » ، فيمسكُ سبع ساعات ، فإن استغفرالله لم يكتب ، وإن لم يستغفر كتب سيِّئة واحدة » .

وروى[4] غيره مثل ذلك ، وفي آخره : «وإذا قُبض العبدُ و وُضع في قبره قال المَلَكان : «يارَبِّ وكَّلتَنا بعبدك نكتب عملَه ، قد قبضت روحَ عبدك ، فأذن لنا نصعد إلى السماء» . فيقول الله ـ تعالى ـ : «السماء

١ـ نفس المصدر عن ابن المبارك .

٢ـ الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب من يهمّ بالحسنة أو السيئة : ٤٢٩/٢ ، ح٣.
والرواية فيه وكذا في الوافي (١٠٢٢/٥) والبحار (٣٢٥/٥ ، ح١٦) عن موسى بن جعفر عليه السلام ، والأظهر أن نسبتها إلى الصادق عليه السلام من سهو القلم .

٣ـ مايقرب منه في الكافي : ٤٣٠/٢ ، ح٤ و٤٣٧ ، ح٢ـ٣ .

٤ـ جاء ما يقرب منه في البحار (٣٢٧/٥ـ٣٢٨ ، ح٢٣ . و٦٧/٦٨ ، ح١٢١) عن فضائل الشيعة للصدوق قده .

مملوٌّ من الملائكة يسبِّحون، فسبِّحا على قبر عبدي وهلِّلا، واكتبا ذلك لعبدي حتَّى أبعثُه من قبره».

* * *

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ في اعتقاداته[١] : «اعتقادنا في ذلك أنَّه ما من عبد إلاّ وله مَلكان موكّلان يكتبان جميعَ أعماله، ومن هَمَّ بحسنة ولم يعملها كُتب له حسنة، فإن عَملَها كُتب له عشر، وإن هَمَّ بسيِّئة لم يكتب حتَّى يعملها، فإن عمِلها[أُجِّل سبع ساعات فإن تاب قبلها لم يُكتب عليه، وإن لم يتب][٢] كتب عليه سيِّئة واحدة؛ والمَلكان يكتبان على العبد كلَّ شيءٍ حتَّى النفخ في الرماد. وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٨٢/١٠-١٢].

ومرَّ أميرالمؤمنين ﷺ برجل ـ وهو يتكلَّم بفضول الكلام ـ فقال: «يا هذا ـ إنَّك تملي على مَلكيك كتابا إلى ربِّك، فتكلَّم بما يعنيك، ودع مالا يعنيك».

وقال ﷺ: «لايزال الرجلُ المسلم يُكتب محسنا مادام ساكتا، فإذا تكلَّم كُتب إمَّا محسنا وإمَّا مسيئا».

وموضع المَلكين من ابن آدم: التَرقوتان، فإنَّ صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيِّئات؛ ومَلكا النهار يكتبان عملَ العبد بالنهار، ومَلكا الليل يكتبان عملَ العبد بالليل».

ـ انتهى كلام الصدوق ـ.

١ـ الاعتقادات: باب الاعتقاد فيما يكتب على العبد.

٢ـ إضافة من المصدر.

* * *

وقال المفسّرون : فائدة ذلك أنّ المكلّف إذا علم أنّ الملائكة موكّلون به ، يحصرون عليه أعماله ، ويكتبونها في صحائف تُعرض على رؤوس الأشهاد في موقف القيامة : كان ذلك أزجر له عن القبائح .

قيل : ويشبه أن يكون الإشارة بانتظار مَلَك اليسار ـ كاتب السيّئات ـ توبةَ العبد : إلى أنّه مادامت السيّئة حالة غير متمكّنة من جوهر نفس العبد فإنّ رحمة الله تَسَعه ، فإذا تاب من تلك السيّئة لم تكتب في لوح نفسه ، وإن لم يتب حتّى صارت مَلَكة راسخةً في نفسه كُتبت وعُذّب بها يوم تقوم الساعة .

قيل : وإنّما سمّوا : «كِراما» لأنّهم إذا كتبوا حسنةً يصعدون به إلى السماء ويعرضون على الله ـ تعالى ـ ويشهدون على ذلك ، فيقولون : «إنّ عبدك فلان ، عمل حسنةً كذا وكذا» ، وإذا كَتبوا من العبد سيّئة يصعدون به إلى السماء مع الغمّ والحزن ، فيقول الله ـ تعالى ـ : «ما فعل عبدي» ؟ فيسكتون حتّى يسأل الله ثانيا ، وثالثا ، فيقولون : «إلهي ـ أنت ستّارٌ ، وأمرتَ عبادَك أن يستر عيوبهم ، استر عيوبهم وأنت علاّم الغيوب» .

ولهذا يسمّون : «كراما كاتبين» .

[٦]

باب

أصناف الملائكة

﴿ وَٱلصَّافَّاتِ صَفًّا * فَٱلزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَٱلتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [٣٧/١-٣]

﴿ وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَٱلسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [٧٩/١-٥]

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٤/٤٨]

فصل [١]

[أكابر الملائكة]

إنَّ للملائكة ـ على كثرة شعوبها وقبائلها وضروبها وطبقاتها ـ أنواعا شتّى وأجناسا مختلفة، حتّى أنّه لايتفاوت مايطلق عليه اسم من الأسماء مايتفاوت ما يطلق عليه إسم «المَلَك»، ولنُشر إلى ما ورد في الكتاب والسنّة من أصنافهم وبعض صفاتهم ـ على سبيل الإجمال ـ وإن تداخل بعضُها في بعض من وجه:

فمن أصنافهم[1] **الأكابر الأربعة المشهورون** ، وهم: **جبرئيل و ميكائيل** اللذان تكرّرذكرهما في القرآن المجيد ، **وإسرافيل وعزرائيل** اللذان تكرر ذكرهما في الحديث .

أمّا جبرئيل : فهو صاحبُ الوحي ، وروح القدس ، وروح الأمين ؛ ينصر أولياءَ الله ويقهر أعداءَه ، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ في شأنه : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [٨١/١٩-٢١] . فرسالتُه أنّه رسول الله إلى جميع أنبيائه ؛ وكرمُه على ربّه أنّه جعله واسطة بينه وبين أشرف عباده ؛ وقوّتُه أنّه رفع مدائنَ قوم لوط إلى السماء وقلّبها ؛ ومكانتُه عندالله أن جعله ثاني نفسه في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ﴾ [٦٦/٤] ؛ وكونه مُطاعا أنّه إمامُ الملائكة ومقتداهم ؛ وأمّا كونه أمينا فلأنّه ائتمنه الله على الرسالة ، وائتمنه الأنبياء على ما نزل به إليهم[2].

١ـ في هامش النسخة :

قال شارح النهج [البحراني : ١/١٥٦] : «اتّفق الكل على أنّ الملائكة ، ليس عبارة عن أشخاص جسمانيّة كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم ، بل القول المحصَّل فيه قولان : الأول هو قول المتكلّمين : أنّها أجسام نورانيّة إلهيّة خيّرة سعيده قادرة على التصرُّفات السريعة والأفعال الشاقّة ، ذوات عقول وأفهام ، وبعضها عند الله أقرب من البعض وأكمل درجة ؛ كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [٣٧/١٦٤] .

والقول الثاني قول غيرهم ، وهي أنّها ليست بأجسام ، لكنّ منها ماهو مجرّدٌ عن الجسميّة وعن تدبير الأجسام ، ومنها من له الأمر الأول دون الثاني ، ومنها من ليس بمجرّد ، بل جسمانيّ حالٌّ في الأجسام و قائم بها . ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل» . (منه) .

٢ـ كتب هنا مايلي ثم شطب عليه : فهو قوله عزّ وجلّ : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [٢٦/١٩٣] .

قيل : وفعلُه الخاصّ بالذات الوحي والتعليم وتأدية الكلام من الله سبحانه إلى عباده ؛ وسائر أفعاله إنّما يصدر عنه بالعرَض ، وله ارتباط مع القوّة النطقيّة ، ولو لم يكن هو لم يستفد أحدٌ معنى من المعاني بالبيان والقول ، ولم يقبل قلبُ أحدٍ إلهامَ الحقّ وإلقاءه في الروع .

وأمّا ميكائيل : فهو صاحب الأرزاق والأغذية .

قيل : وفعلُه الخاصّ بالذات إعطاؤه الرزق بالتغذية والتنمية على قدر لائق وميزان معلوم ؛ وله ارتباط مع الحفظ والإمساك ؛ ولو لم يكن هو لم يحصل النشوء والنماء في الأبدان ، ولا التطوُّر في أطوار الملكوت في الأرواح ولا الأرزاق الحسّية للمخلقة ، ولا العلوم الجمّة الغفيرة للفطرة .

وأمّا إسرافيل : فهو صاحب الصُور ، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [١٨/٩٩] .

وفي الخبر : «إنّ إسرافيل صاحب القرن» ـ ويأتي تمام الحديث[١] ـ .

قيل : وفعلُه الخاصّ بالذات نفخ الأرواح في قوالب الأجساد ، وإعطاء الحياة وقوّة الحسّ والحركة لانبعاث الشوق والطلب ؛ وله ارتباط مع المفكِّرة ، ولولم يكن هو لم ينبعث الشوق والحركة لتحصيل الكمال .

---

١ ـ راجع الفصل الأول من الباب الثامن من هذا المقصد .

وأمّا عزرائيل : فهو مَلَك الموت ، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [١١/٣٢] .

قيل : و فعلُه الخاصّ بالذات نزعُ الصوَر من الموادِّ ، وتجريد الأرواح عن الأجساد ، و إخراجُ النفوس من الأبدان ، ونقلها من الدنيا إلى الآخرة . وله ارتباط مع المصوِّرة ، ولو لم يكن هو لم يمكن الاستحالات والانقلابات في الأجسام ولا الاستكمالات والانتقالات الفكريّة في النفوس ، ولا الخروج من الدنيا والقيام عندالله للأرواح ؛ بل كانت الأشياء كلّها واقفة في منزل واحد ومقام أوّل .

ولكلٍّ من هؤلاء الأربعة جنودٌ وأتباع لايعلم عددَها إلاّ الله
كما قال : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٣١/٧٤]

* * *
* *
*

فصل [٢]

[حملة العرش]

ومن أصنافهم حمَلة العرش والحافّين حوله ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [١٧/٦٩] وقال سبحانه : ﴿ وَ تَرَى ٱلْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ [٧٥/٣٩]

والحمَلةُ في الدنيا أربعة ، فيصيرون يوم القيامة ثمانية .

وعن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[1] : «إنّ الذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله عِلمَه ، وليس يخرج عن هذه الأربعة[2] شيء ممّا خلق الله في ملكوته ، و هو الملكوت الذى أراه أصفياءه و أراه خليله ـ صلوات الله عليه ـ» .

وعن مولانا الصادق عليه السلام[3] : «حمَلةُ العرش ـ والعرشُ العلم ـ ثمانية : أربعة منّا ، وأربعة ممّن شاء الله» .

وفي الكافي[4] عن مولانا الكاظم عليه السلام : «إذا كان يوم القيامة كان

---

١ ـ الكافي : كتاب التوحيد ، باب العرش والكرسي : ١٣٠/١ ، ح١ ، وفيه فروق يسيرة . عنه البحار : ٩/٥٨ ، ح٨ .

٢ ـ إشارة إلى ماسبق ذكرها في الحديث : السماوات والأرض والعرش والكرسي . راجع بيان المؤلف لهذه الأحاديث في الوافي أيضا : ٥٠٤/١ .

٣ ـ الكافي : الباب السابق : ١٣٢/١ ، ح٦ .

٤ ـ لم أعثر عليه في الكافي ، وقدورد في تفسيرالقمي (قوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك ... ﴾ : ٤٠٣/٢) ولم ينسب إلى الكاظم عليه السلام .

حملةُ العرش ثمانية: أربعة من الأوّلين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى. وأربعة من الآخرين: محمّد وعليٌّ والحسن والحسين».

وعن مولانا الصادق عليه السلام[1]: «إنّ حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم، والثاني: على صورة الديك، يسترزق الله للطير، والثالث: على صورة الأسد، يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور، يسترزق الله للبهائم ـ ونكس الثورُ رأسَه منذ عبد بنوإسرائيل العجلَ ـ فإذاكان يوم القيامة صاروا ثمانية».

وروي من طريق العامّة[2]: «إنّهم ثمانيةُ صفوف لايعلم عددهم إلاّ الله، لكلِّ مَلَك منهم أربعةُ وجوه، لهم قرونٌ كقرون الوعلة، من أُصول القرون إلى منتهاها مسيرةُ خمسمأة عام، والعرش على قرونهم وأقدامهم في الأرض السفلى ورؤوسهم في السماء العليا، ودون العرش سبعون حجابا من نور».

وقال شيخنا الصدوق ـ رحمه الله ـ في اعتقاداته[3]:

«اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق، والعرشُ في وجه آخر هو العلم»

١ـ الخصال: باب الثمانية: ٤٠٧، ح٥. عنه البحار: ٧/١٣٠ـ١٣١، ح٥. وفي ٥٨/٧، ح٥، عن عقائد الصدوق. وجاء مايقرب منه في الفقيه: أبواب الصلاة، باب القول عند صراخ الديك: ١/٤٨٣، ح١٣٩٧.
وأورد القمي مايقرب منه (تفسير آية الكرسي: ١/١١٢) غير أن فيه «النسر» بدلا من الديك. عنه البحار: ٥٨/٢١ـ٢٢، ح٣٨. ويقرب منه مافي الدرالمنثور: ٧/٢٧٥. في تفسير الآية: ﴿الذين يحملون العرش...﴾.

٢ـ جاء مايقرب منه في الدرالمنثور: ٧/٢٧٤.

٣ـ الاعتقادات: باب الاعتقاد في العرش.

ـ ثمّ قال :ـ

«فأمّا العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحمَلَته أربعة من الملائكة، لكلٍّ منهم ثمانية أعين طباق الدنيا ، واحدٌ منهم على صورة بني آدم ...» ـ إلى آخر الحديث الذى ذكرناه آنفا بأدنى تغيير في اللفظ ـ .

ـ قال :ـ

«وأمّا العرش الذي هو العلم ، فحمَلته أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين ؛ فأمّا الأربعة من الأوّلين : فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . وأمّا الأربعة من الآخرين : محمد وعليٌّ والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم ـ» .

هكذا رُوي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمّة عليهم السلام في العرش وحملته .

وإنّما صار هؤلاء حمَلة العلم : لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبيّنا صلى الله عليه وآله على شرايع الأربعة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ؛ ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلم من بعد محمد وعليّ والحسن والحسين إلى مَن بعد الحسين من الأئمّة عليهم السلام .

وقال ابن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة[1] :

«وأمّا حملة العرش : فالأرواح الموكّله بتدبير العرش ؛

١ ـ شرح الخطبة الأولى : ١٥٦/١ .

وقيل: هم الثمانية المذكورة في القرآن الكريم: ﴿ وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ فَوْقَهُمْ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [١٧/٦٩] وهم رؤساء الملائكة المدبِّرين للكرسي، والسماوات السبع. وذلك أنّ هذه الأجرام لها كالأبدان، فهي بأبدانها أشخاص حاملون للعرش فوقهم.

و أمّا الحافّون حول العرش فقيل: هم صفوف، و أقربهم إلى العرش[1] هي الأرواح الحاملة للكرسيّ، الموكِلة والمتصرِّفة فيه.

فصل [٣]

[خزنة الجنان وزبانية النار]

ومنهم سكّان الجنان وخزنتها، قال في شرح النهج[2]:

أمّا السكّان: فهم الذين عند ربك ﴿ لاَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ لاَيَفْتُرُونَ ﴾ [٢١/١٩-٢٠]، وهم الذين يتلقّون عبادَ الله الصالحين بالشفقة والبشارة بالجنّة.

وذلك أنّ الإنسان الطائع إذا كملت طاعتُه، وبلغ النهاية في الصورة الإنسانيّة واستحقّ بأعماله الصالحة وما اكتسبه من الأفعال الزكيّة صورة ملكيّة ورتبة سماويّة، تلقّته الملائكة الطيِّبون بالرأفة والرحمة والشفقة، وتقبّلوه بالروح والريحان،

١ـ «فقيل... العرش» غير موجود في المصدر.

٢ـ شرح الخطبة الأولى: ١/١٥٨.

وقبلوه كما تقبل القوابلُ والدايات أولادَ الملوك بفاخر أُمور الدنيا وطيّبات روائحها، من مناديل السندس والاستبرق، وبالفرح والسرور، ومرّوا به إلى الجنّة، فيعاين من البهجة والسرور مالاعين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطَر على قلب بشر، ويبق معهم عالِما درّاكا ماشاء ربُّك عطاء غيرمجذوذ، ويتّصل بإخوانه المؤمنين في الدنيا أخباره وأحواله، ويتراءا لهم في مناماتهم بالبشارة والسعادة وحُسن المنقلَب؛ وإذا كان يوم القيامة الكبرى عرجت به ملائكةُ الرحمة إلى جنان النعيم والسرور المقيم، ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوتَ إِلَّا ٱلْمَوتَةَ ٱلأُولَىٰ ﴾ [٥٦/٤٤]، في ﴿ غُرَفٌ مِنْ فَوقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ ﴾ [٢٠/٣٩] ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِم ٱلأَنْهَارُ ﴾ [٩/١٠]، ﴿ وَ آخِرُ دَعْوَيٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ ﴾ [١٠/١٠]».

قال[١]:

«وأمّا الخزَنة للجنان فيشبه أن يكون هم السكّان لها أيضا باعتبار آخر، وذلك أنّه لمّا كان الخازن هو المتولّي لأحوال أبواب الخزانة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقِها ـ باذن ربّ الخزانة ومالكها ـ وغلقها ومنعها عن غيرمستحقِها، وكانت الملائكةُ هم المتولّون لإفاضة الكمالات، وتفريق ضروب الإحسان والنعم على مستحقِها، وحفظها ومنعها من غيرمستحقِها والمستعدّ بالطاعة لها ـ باذن الله وحكمته ـ

---

١ ـ شرح نهج البلاغة: ١٥٩/١.

لاجرم صدقَ أنّهم خُزّان الجنان بهذا الاعتبار ، وهم الذين يدخلون على المؤمنين ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١٣/٢٣-٢٤] .

قال بعضُ الفضلاء : إنَّ العبد إذا راضَ نفسَه حتَّى استكمل مراتبَ القوّة النظريّة ومراتب القوّة العمليّة ، فإنّه يستعدُّ بكلِّ مرتبة من تلك المراتب لكمال خاصٍّ يفاضُ عليه من الله تعالى ، ويأتيه الملائكة فيدخلون عليه من كلِّ باب من تلك الأبواب بالسلام والتحيّة والإكرام ، ثمّ إنَّ الرضا بقضاء الله ـ من خير وشرٍّ ـ بابٌ عظيمٌ من تلك الأبواب ، فالمَلَك الذي يدخل على الإنسان منه برضاء الله ـ كما قال تعالى : ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [٥/١١٩] ـ هو رضوان خازن الجنان ـ والله أعلم .

وأمّا ملائكة النار : فقال بعض الفضلاء : هي تسعة عشر نوعا من الزبانية ، لايعصون الله ما أمرهم ؛ وهم الخمسة الذين ذكرنا أنّهم يوردون عليه الأخبار من خارج ، ورئيسهم ، والخازنان ، والحاجب ، والملك المتصرِّف بين يديه بإذن ربّه ، وملكا الغضب والشهوة ، والسبعة الموكّلون بأمر الغذاء .

وذلك أنّه إذا كان يوم الطامّة الكبرى وكان الإنسان ممّن ﴿طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حتّى كانت ﴿الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [٧٩/٣٨-٣٩] كانت أُولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين له إلى الهاوية بسبب مااستكثر من المشتهيات ، واقترف من السيّئات ، وأعرض عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَن لَّيْسَ

لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَيٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [٥٣/٣٩-٤٢].

واعلم ـ وفّقك الله ـ أنّ هؤلاء الذين ذكر هذا القائل أنّهم ملائكةُ النار ربّما كانوا ـ أيضا ـ مع إنسان آخر من ملائكة الجنّة، وذلك إذا استخدمهم ذلك الإنسان في دارالدنيا على وِفق أوامر الله، وأوقفهم على طاعة الله دون أن يطلب منهم فوق ما خُلقوا لأجله، وأُمروا به من طاعته ويعبر بهم إلى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه ـ وبالله التوفيق ـ».

إنتهى كلام شارح النهج[1].



فصل [٤]

قال مولانا سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام في بعض أدعية الصحيفة الكاملة[2] بعد تحميدالله ـ عزّ وجلّ ـ والثناء عليه والصلاة على سيد المرسلين وآله مصلّيا على حمَلة العرش وأصناف من الملائكة ما هذا لفظه:

«اللّهمَ، وَحمَلةُ عرشِك الذينَ لايفتُرون من تسبيحِكَ، ولايسئَمونَ من تقديسكَ، ولا يستحسِرونَ من عبادَتك، ولايؤثِرونَ التقصيرَ على الجِدِ في أمركَ، ولا يغفلون عن الوَلَهِ إليكَ.

١ـ شرح نهج البلاغة للبحراني: شرح الخطبة الأولى: ١/١٥٩.

٢ـ الدعاء الثالث من أدعية الصحيفة السجادية على منشئها آلاف التحيّة والسلام.

وإسرافيلُ صاحب الصُّور الشاخص الذي ينتظر منك الإذنَ، وحلولَ الأمرِ، فينبِّه بالنفخةِ صرعى رهائن القبورِ ـ

وميكائيلُ ذوالجاه عندك، والمكانِ الرفيع من طاعتك ـ

وجبريلُ الأمينُ على وحيِك، المطاعُ في أهلِ سماواتِك، المكينُ لديك المقرَّبُ عندك ـ

والروحُ الذي هو على الملائكة الحُجبِ، والروحُ الذي هو من أمرِك ـ

فصلِّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكّان سماواتِك، وأهلِ الأمانة على رسالاتك، والذين لاتدخلهم سئمةٌ من دؤوب، ولا إعياءٌ من لُغوب ولا فتور، ولاتشغلهم عن تسبيحك الشهواتُ، ولايقطعهم عن تعظيمك سهوُ الغفلات؛ الخُشّعِ الأبصارِ، فلايرومون النظرَ إليك، النواكسِ الأذقان الذين قد طالت رغبتُهم فيما لديكَ، المستهترون بذكر آلائك، المتواضعون دونَ عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنَّم تزفرُ على أهل معصيتك: «سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك»؛

فصلِّ عليهم وعلى الروحانيِّين من ملائكتك وأهلِ الزُلفة عندك، وحمّالِ الغيب إلى رسلك، والمؤتمنين على وحيِك، وقبائلِ الملائكة الذين اختصصتَهم لنفسك، وأغنيتَهم عن الطعام والشرابِ بتقديسك، وأسكنتَهم بطونَ أطباقِ سماواتِك، والذين هم على أرجائِها إذا نزل الأمرُ بتمام وعدِك، وخُزّانِ المطر وزواجرِ السحاب، والذي بصوت زَجره يسمع

زجل الرعود، وإذا سبحت به حفيفةُ السحاب التمعت صواعقُ البروق، ومشيِّعي الثلج والبَرد، والهابطين مع قَطر المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرياح، والموكِّلين بالجبال فلا تزول، والذين عرَّفتَهم مثاقيلَ المياه، وكيلَ ما تحويه لواعجُ الأمطار وعوالجُها، ورسلِك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء، والسفرةِ الكرام البرَرة، والحفَظةِ الكرام الكاتبين، وملكِ الموت و أعوانه ومنكر ونكيرٍ ومبشّرٍ وبشيرٍ، ورومان فتّانِ القبور، والطائفين بالبيتِ المعمور، ومالك والخزَنةِ، ورضوان وسدنةِ الجنان، والذين ﴿لا يَعصُون اللهَ مَا أمرَهمْ وَ يَفعَلونَ مَا يُؤمَرُون﴾ [٦/٦٦]، والذين يقولون: ﴿سلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدّار﴾ [٢٤/١٣]، والزبانيةِ الذين إذا قيل لهم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [٣٠/٦٩-٣١]، ابتدروه سراعا ولم يُنظِروه، ومَن أوهمنَا ذِكرَه، ولم نعلم مكانَه منك، وبأيِّ أمر وكَّلته، وسكّان الهواء والأرض والماء، ومَن منهم على الخَلق.

فصلِّ عليهم يَوم يأتي كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ»[1].

---

١ ـ كتب مايلي ثم شطب عليه: «وسيأتي لبعض هذه شرحٌ فيما بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ».

[٧]

باب

كثرة الملائكة

﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

[٣١/٧٤]

فصل [١]

قد ورد في الخبر[1] : «إنّ بني آدم عُشر الجنّ ، والجنّ وبني آدم عُشرُ حيوانات البَرّ، وهؤلآء كلّهم عُشر حيوانات البحرِ ، وكلُّهم عُشر ملائكةِ البحر ، وكلُّهم عُشرُ ملائكة الأرض الموكّلين بها ، وكلّ هؤلاء عُشرُ ملائكةِ السماء الدنيا ، وكلّ هؤلآء عُشر ملائكة السماء الثانية ـ وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ـ ثمّ الكلُّ في مقابلة ملائكة الكرسي نزرٌ قليلٌ .

ثمّ كلّ هؤلاء عُشر ملائكة السُرادق الواحد من سُرادقات العرش ـ التي [عددها][2] ستمأة ألف ، طولُ كلّ سُرادق وعَرْضه وسَمكه إذا

١ـ أورده الفخر الرازي في تفسير الآية البقرة/٣١ ، ٢/١٦١ـ١٦٢ .

٢ـ إضافة من تفسير الفخر الرازي .

قويلت بها السماوات والأرضون وما فيهما وما بينهما، فإنّها كلّها تكون شيئا يسيرا وقدْرا صغيرا ؛ وما من مقدار موضع قدَم إلاّ وفيها ملكٌ ساجدٌ أو راكعٌ أو قائمٌ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتقديس .

ثمّ كلُّ هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حولَ العرش كالقطرة في البحر، ولا يعرف عددَهم إلاّ الله تعالى ، ثمّ هؤلاء مع ملائكة اللوح الذين هم أشياعُ إسرافيل و الملائكة الذين هم جنودُ جبرئيل عليه السلام ـ كلُّهم ـ سامعون مطيعون لأمْرالله لايفترون، مشتغلون بعبادة الله، مطاب الألسنة بذكره وتعظيمه، يتسابقون بذلك مذ خلَقهم لايستكبرون عن عبادته آناء الليل و النهار لايسأمون ، لاتحصى أجناسهم ولا مدَّة أعمارهم وكيفيَّة عباداتهم » .

فصل [٢]

وعن مولانا الصادق عليه السلام[1] : « ليس خَلْق أكثر من الملائكة ، إنَّه لينزل كلَّ ليلة من السماء سبعون ألف مَلَك ، فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم ، وكذلك في كلِّ يوم» .

وسأله رجلٌ ـ فقال ـ : «الملائكةُ أكثر ، أم بنو آدم» ؟

١ـ الكافي : الروضة ، ٢٧٢ ، ح٤٠٢ . عنه البحار : ١٩١/٥٩ ، ح٤٧ . وورد ما يقرب منه في تفسير القمي : قوله تعالى : ﴿الحمد لله فاطر السموات والارض . . . ﴾ : ٢٠٧/٢ . ثواب الأعمال : ثواب من زار قبرالحسين عليه السلام ، ١٢١ ، ح٢٦ . وأمالي الطوسي : ٢١٤ ، المجلس الثامن ، ح٢٢ . البحار : ١٧٥/٥٩ ، ح٤ . ١٧٦/٥٩ ، ح٨ . ١١٧/١٠٠ ، ح٧ـ٨ . ٢٥٧/١٠٠ ، ح١ .

فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده ـ لملائكةُ الله في السماوات أكثرُ من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضعُ قَدَم إلاّ وفيه ملكٌ يسبّح له ويقدِّسه، ولا في الأرض شجرةٌ ولاعُودةٌ إلاّ وفيها مَلَك موكّل يأتي اللهَ في كلّ يوم بعملها[1]، الله أعلم بها؛ ومامنهم أحدٌ إلاّ ويتقرّبُ إلى الله بولايتنا أَهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعدائنا، ويسأل اللهَ أن يُرسل عليهم من العذاب إرسالا».

رواه في بصائرالدرجات[2].

وفيه وفي الكافي[3] بإسنادهما عن مولانا الباقر ﷺ: «والله ـ إنّ في السماء لسبعين صنفا من الملائكة، لواجتمع أهلُ الأرض كلُّهم يحصون عددَ كلّ صنف منهم ما أحصوهم، وإنّهم ليدينون بولايتنا».

وعنه ﷺ[4] قال: «إنّ في الجنّة نهرا يغتمس فيه جبرئيل ﷺ كلّ غداة، ثمّ يخرج منه فينتفض، فيخلق الله ـ تعالى ـ من كلّ قطرة يقطر منه ملكا».

١ـ يحتمل القراءة: بعلمها.

٢ـ بصائرالدرجات: باب ماخصَّ الله به الأئمة من ولاية الملائكة، ٦٩، ح٩.
ورواه القمي في تفسير الآية غافر/٧، ٢/٢٥٨.
البحار: ٢٤/٢١٠، ح٧. ٢٦/٣٣٩، ح٥. ٥٩/١٧٦، ح٧.

٣ـ بصائرالدرجات: الباب السابق، ٦٧، ح١. عنه البحار: ٢٦/٣٤٠، ح٦.
الكافي: كتاب الحجة، باب جوامع الرواية في الولاية: ١/٤٣٧، ح٥.

٤ـ الكافي: الروضة، ٢٧٢، ح ٤٠٤. وجاء مايقرب منه في أمالي الصدوق: المجلس السادس والخمسون، ٤٣٥، ح١٠. عنه البحار: ٥٩/٢٤٨، ح١.
و أيضا ما يقرب منه في الدر المنثور: تفسير الآية ﴿من كان عدوا لله و ملائكته و رسله ...﴾، ١/٢٢٨.

ورُوي[1] «إنّ رسول الله ﷺ ـ حين عرج به ـ رأى ملائكةً في موضع بمنزلة سوق، بعضهم يمشي تجاه بعض. فسأل رسول الله ﷺ: «إلى أين يذهبون»؟ قال جبرئيل: «لا أدري؛ إلاّ أنّي أراهم منذ خلقتُ، ولاأرى واحدا منهم قد رأيتُ قبلَ ذلك».

ثمّ سألوا واحدا وقيل له: «منذكم خُلقتَ»؟

قال: «لا أدري، غير أنّ الله يخلق كوكبا في كلِّ أربعمأة ألف سنة، فخلق مثلَ ذلك الكوكب منذ خلقني أربعمأة ألف مرّة».



١ ـ حكاه الفخر الرازي (في تفسير قوله تعالى ﴿وإذ قال ربُّك للملائكة...﴾: ١٦٢/٢) قائلا: «رأيت في بعض كتب التذكير أنه عليه السلام...» ولايخفى للمتدبّر ضعف الرواية متنا، فإنها أشبه شيء بموضوعات القاص الذي قصده نقل المطالب العجيبة لجلب السامعين، على أنها غيرواردة في الجوامع الروائية؛ وأما بيان كثرة الملائكة فلايحتاج فيها إلى ذكر هذه القصص.

[٨]

باب

أصناف الملائكة وبدائع خلقهم

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَايَشَاءُ ﴾

[١/٣٥]

فصل [١] [١]

[صفات الملائكة]

إنَّ للملائكة صفاتٍ عجيبةً ونعوتا غريبةً في لسان الشرع، تدلُّ على شيءٍ من عظمة الله ـ جلَّ جلاله ـ وبديع خلقه؛ فلنذكر جملةً منها في فصول:

فمن أوصافهم الواردة في الشرع كونهم رسل الله أُولي أجنحة ـ كما في الآية المذكورة.

---

١ ـ أكثر مافي هذا الفصل مقتبس من مفاتيح الغيب، الفصل الثالث من المفتاح التاسع: ٣٥١ـ ٣٥٣. كما أنها أيضا مقتبس مما جاء في تفسير الفخر الرازي: تفسير الآية ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾ ج٢/ص١٥٩ـ١٦٥.

وعن النبي ﷺ أنّه قال[1] : « الملائكة على ثلاثة أجزاء: جزء له جناحان ، وجزء له ثلاثة أجنحة ، وجزء له أربعةأجنحة » .

رواه في الكافي .

وفي بعض الأخبار[2] : « إنّ جبرئيل له ستمأة جناح »[3] .

و منها: قربهم من الله بالشرف و الكرامة : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَايَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٢١/١٩] ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [٢١/٢٦] .

و منها: عصمتهم عن الذنوب و المعاصي : ﴿ لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٦٦/٦]، وذلك لأنّ المعصية في الحقيقة

١ـ الكافي : كتاب الروضة : ٢٧٢ ، ح٤٠٣ . الخصال : ١٥٣/١ ، باب الثلاثة ، ح١٩١ .
عنها البحار : ١٧٧/٥٩ ، ح١٢ .

٢ـ البخاري بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين... ١٤٠/٤ . المسند : ٣٩٨/١ و٤٠٧ .

٣ـ في هامش النسخة :

قال بعض العارفين : « إنّ أجنحةَ الملائكة إنّما ينزل بها إلى من هو دونها ، وليس لها قوّةٌ تصعد بها فوقَ مقامها ، فإذا نزلت بها من مقامها إلى من هو دونها ، رجعت علوا من ذلك الذي نزلت عليه إلى مقامها ـ لايتعدّاه ـ فما أعطيت الأجنحةُ إلاّ من أجل النزول ، كما أنّ الطائرَ ما أُعطي الجناحَ إلاّ من أجل الصعود ، وإذا نَزَلَ نزَلَ بطبعه ، وإذا عَلا عَلا بجناحه .

والمَلَكُ على خلاف ذلك ، إذا نَزَلَ نَزَل بجناحه ، وإذا عَلا عَلا بطبعه ، فأجنحةُ الملائكة للنزول إلى ما دون مقامها ، والطائر جناحُه للعلو إلى ما فوق مقامه .

وذلك ليعرف كلُّ موجود عجزَه ، وأنّه لايتمكّن له أن يتصرّف بأكثر من طاقته التي أعطاه الله ، فالكلُّ تحت ذلّ الحصر والتقييد والعجز ، ليتفرّد جلال الله بالكمال على الإطلاق ، لا إله إلاّ هو العليُّ الكبير . . .

وللملائكة مدارج ومعارج يعرجون عليها ، ولا يعرج منهم إلاّ مَن نَزَل ، فيكون عروجُه رجوعاً» . ـ منه ـ

[مقتبس من الفتوحات المكيّة : الباب الرابع عشر وثلاثمأة : ٥٤/٣ .]

عبارةٌ عن مخالفة القوّة السافلة للقوّة العالية فيما لها أن يفعل للغرض الأعلى عند تخالف الأغراض والدواعي، وذلك إنّما يتصوّر فيما يتقوّم ذاتُه و وجوده من تركيب قُوى وطبائع متضادّة، والملائكةُ ـ سيّما العِليّون ـ منزّهون عن ذلك.

ومنها: مواظبتُهم على العبادة ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيلَ وَ ٱلنَّهَارَ لايَفْتُرُونَ﴾ [٢١/٢٠]، ﴿وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [٢/٣٠]، ﴿وَ إِنَّا لَنَحنُ ٱلصَّافُّونَ * وَ إِنَّا لَنَحنُ ٱلمُسَبِّحُونَ﴾ [٣٧/١٦٦].

ومنها: مبادرتهم إلى امتثال أمرالله ـ تعظيماً له ـ: ﴿فَسَجَدَ ٱلمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [١٥/٣٠].

ومنها: أنّهم لايفعلون إلاّ بوحيه وأمره: ﴿لايَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/٢٧].

ومنها: كونهم مع كثرة عباداتهم و عدم إقدامهم على المعاصي و الزلّات خائفين وَجِلين، كأنّ عباداتهم معاصي ـ تذلّلا لعظمته، وحياءً من قهّاريّته ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ﴾ [١٦/٥٠] ﴿وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [٢١/٢٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلحَقَّ﴾ [٣٤/٢٣].

رُوي في بعض التفاسير[1]: «إنّ الله ـ سبحانه ـ إذا تكلّمَ بالوحي سمعه أهلُ السماوات مثلَ صوت الصلصلة على الصفوان ففزعوا، فاذا

١ـ الفخر الرازي: تفسير قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة...﴾: ٢/١٦٤.
وفي الدرالمنثور، ٦/٦٩٧ـ٦٩٨، تفسير الآية سبأ/٢٣، مايقرب منه. وكذا تفسيرالقمي: ٢/٢٠٣.

انقضى الوحيُ قال بعضُهم لبعضهم : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : الحقَّ وهو العليُّ الكبير» .

وروى البيهقي في شعب الإيمان[1] ، عن إبن عبّاس ـ رضى الله عنه ـ قال : «بينا رسول الله ﷺ بناحية ومعه جبرئيل ﷺ ، إذا انشقَّ أُفقُ السماء فأقبل جبرئيل يتضاءل ويدخل بعضُه في بعض ويدنو من الأرض ؛ فإذا المَلَكُ مَثَلَ بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : «يا محمّد ـ إنَّ ربّك يقرئك السلام ، ويخيِّرك بين أن تكون نبيًّا مَلَكا ، وبين أن تكون نبيًّا عبدا» ؟

ـ قال النبيّ ﷺ :ـ فأشار جبرئيل ﷺ بيده أن تواضَع ؛ فعرفتُ أنّه لي ناصحٌ ، فقلت : «عبدا نبيًّا» . فعرج ذلك المَلَكُ إلى السماء . فقلت : «يا جبرئيل قد كنت أردتُ أن أسألَكَ عن هذا ؟ فرأيتُ مِن حالك ما شغلني عن المسألة ، فمَن هذا يا جبرئيل» ؟

فقال : «هذا إسرافيل ، خلَقه الله يومَ خلقه بين يديه صافًّا قدميه لايرفع طرفَه ، وبين الربِّ وبينه سبعون نورا ، ما منها نورٌ يدنو منه إلاّ احترق ؛ بين يديه اللوح المحفوظ ، فاذا أذن الله في شيء من السماء والأرض ارتقم ما فى ذلك إلى جبينه فيه[2] ، فإن كان من عملي أمرني

---

١ ـ شعب الإيمان : ١٧٧/١ ، الباب ٣ ، في الإيمان بالملائكة ، فصل في معرفة الملائكة ، ح١٥٧ . وحكاه المؤلف عن تفسيرالفخر الرازي (١٦٤/٢) وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٢٢٦/١ ، تفسير الآية البقرة/٩٨ ، عن الطبراني وأبوالشيخ والبيهقي . وجاء في البحار (٢٥٠/٥٩ ، ح٨) مايقرب منه عن تفسير القمي .

٢ ـ المصدر : «ارتفع ذلك اللوح بضرب جبهته . . .» . الدر المنثور : «ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته ، فينظر فيه . . .» . وفي تفسير الفخر : «ارتفع ذلك اللوح بقرب جبينه فينظر فيه . . .» .

به ، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به ، وإن كان من عمل عزرائيل أمره به» . قلت : «يا جبرئيل ـ على أي شيء أنت» ؟

قال : «على الرياح والحياة» .

قلت : «وعلى أي شيء ميكائيل» ؟ فقال : «على النبات» .

قلت : «على أي شيء ملك الموت» ؟ قال : «على قبض الأنفس . وما ظننتُ أنّه هبطَ إلاّ لقيام الساعة ، و ما ذلك الذي رأيتَ منّي إلاّ خوفا من قيام الساعة » .

* * *

ومنها شدّة قوّتهم ؛ فإنّ ثمانية منهم يحملون العرش ، المشتمل على الكرسي ـ الذي وسع السماوات والأرض ـ وينزلون من العرش في لحظة واحدة ، مع أنّ علوّ العرش لا يحيط به الفهمُ ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٧٠/٤] . وجبرئيل بلغ من قوّته : إلى أن حمَل جبالَ آل لوط وبلادَهم دفعة واحدة ، وصاحبُ الصور بلغ في القوّة إلى حيث أنّ بنفخةٍ واحدة منه يصعق من في السماوات ومن في الأرض ، وبالنفخة الثانية منه يعودون أحياء .

وفي الخبر[1] : أنّ إسرافيل صاحب القَرن ، وخَلَق الله ـ تعالى ـ اللوحَ المحفوظ من درّة بيضاء ما بين السماء والأرض سبع مرّات ، وعلّقه بالعرش ، مكتوب فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة .

و لإسرافيل أربعة أجنحة : جناح بالمشرق و جناح بالمغرب

---

١ ـ لم أعثر عليه ، ولعله مقتطف من أخبار متفرقة ، فإن محتواه يوجد في مجموعة من الأخبار متفرقة .

وجناح ليستر عليه ويغطِّي به رأسَه و وجهه من خشية الله الجبّار ، وناكسٌ رأسَه نحو العرش ، وأحدُ قوائم العرش على كاهله ، ولا يحمل العرش إلاّ بقدرة الله ، فإنّه يصغر من خشية الله مثل العصفور .

وإذا قضى اللهُ بشيءٍ في اللوح فيكشف الغطاء عن وجهه وينظر إلى ماقضى الله من حكم وأمر . وليس من الملائكة أقرب مكانا من العرش من إسرافيل ، بينه وبين العرش سبعة حجب ، من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمأة عام . و بين جبرئيل و إسرافيل سبعون حجابا وأنّه قائم قد وضع الصُورَ على فخذه الأيمن ورأس الصُورِ على فَمِه ، فينتظر متى يؤمَر فينفخ فيه ، فاذا قضت مدّة الدنيا يدنو الصور إلى جهة إسرافيل ، فيضمُّ إسرافيلُ أجنحتَه الأربعة ، ثمّ ينفخ في الصور ، ويجعل ملكُ الموت إحدى كفَّيه تحتَ الأرض السابعة ، فيأخذ أرواحَ أهل السماوات و الأرض ، و لايبقى في الأرض إلاّ إبليس ، وفي السماء فيبقى جبرئيلُ و ميكائيلُ و إسرافيلُ و عزرائيلُ ، وهم الذين استثنى الله ـ تعالى ـ في قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [٨٧/٢٧] .

و عن مولانا سيّد العابدين عليه السلام[1] : « إنّ لله مَلَكا يقال له خرقائيل ، له ثمانية عشر ألف جناح ، مابين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام ، فخطر له خاطرٌ : «هل فوق العرش شيءٌ» ؟ فزاده الله ـ تعالى ـ مثلها أجنحة أُخرىٰ ، فكان له ستٌّ وثلاثون ألف جناح ، ما بين الجناح

١ـ روضة الواعظين : ٥٩/١ . عنه البحار : ٣٤/٥٨ ، ح٥٤ . والرواية مرفوعة وغير موجودة في الجوامع المعتبرة ، ولايخفى على الناظر فيها أمارات الوضع ، ولعل المؤلف ـ قده ـ لوأعرض عن ذكر أمثال هذه الأخبار الضعاف ـ مما لوصحّ صدورها لاحتاج تصديق معناها إلى تكلفات في التأويل ـ لكان أحسن .

إلى الجناح خمسمأة عام؛ ثمّ أوحى الله إليه: «أيُّها المَلَك طِرْ»؛ فطار مقدار عشرين ألف عام، لم ينل رأسَ قائمة من قوائم العرش؛ ثمّ ضاعف اللهُ له في الجناح والقوّة، وأمرَه أن يطيرَ، فطار مقدار ثلاثين ألف عام، لم ينل ـ أيضا ـ . فأوحى اللهُ: «أيُّها المَلَك ـ لو طِرتَ إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشي».

فقال المَلَك: «سُبحانَ رَبِيّ الأعلىٰ».

فقال النبيّ ﷺ[1] : «اجعلوها في سجودكم».

فصل [٢]

و في كتاب نهج البلاغة عن مولانا أميرالمؤمنين ؑ أنّه قال في بعض خُطبه[2] في وصف الملائكة ما هذا لفظه:

« ثمّ خلق سبحانه لإسكانِ سماواتِه وعمارةِ الصفيحِ الأعلىٰ من ملكوتِه خلقا بديعا من ملائكتِه، فملأ بهم فروجَ فجاجِها[3] ، وحشا بهم فتوقَ أجوائِها، وبينَ فجواتِ تلك الفُروج زَجَل[4] المسبِّحين منهم في حظائر القدس، وسُتَرات الحُجُب، وسُرادقات المجد، و وراء ذلك الزجيج[5] الذي تستكّ منه الأسماع؛ سُبُحات نور تَردعُ الأبصار عن

١ـ أُضيف في روضة الواعظين: فأنزل الله عزوجل: سبح اسم ربك الأعلى، فقال النبي . . .

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ٩١. وهي المعروفة بخطبة الأشباح.

٣ـ الفجاج: جمع فجّ. وهوالطريق الواسع بين جبلين وحائطين.

٤ـ الزجل: رفع الصوت.

٥ـ في هامش النسخة: «الزجيج: الصوت الهائل». وفي النهج: «الرجيج» والرجيج: الزلزلة والاضطراب. ومافي المتن أنسب مع مابعده. تستكّ منه: تصمّ منه.

بلوغها، فتقفُ خائبة[1] على حدودها. أنشأهم على صوَر مختلفات، وأقدار متفاوتات، أُولي أجنحةٍ تُسبّحُ جلالَ عزّته، لاينتحلون ماظهرَ في الخلق من صُنعه، ولا يدّعون أنّهم يخلقون شيئا ممّا انفرد به؛ ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَايَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢١/٢٦-٢٧].

جعلهم الله فيما هنالك أهلَ الأمانة على وحيه، وحمّلهم إلى المرسلين ودائع أمرِه ونهيِه، وعصمَهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغٌ عن سبيل مرضاتِه، وأيّدهم[2] بفوائدِ المعونة، وأشعرَ قلوبَهم تواضعَ إخباتِ السكينة، وفتَحَ لهم أبوابا ذُلُلاً إلى تماجيده، ونصَبَ منارا واضحة على أعلام توحيدِه.

لم تثقلهم موصرات الآثام[3] ولم ترتحلهم عُقَب[4] الليالي والأيّام، ولم تَرْمِ الشكوكُ بنوازغِها[5] عزيمةَ إيمانِهم، ولم تعترك الظنونُ على معاقدِ يقينِهم، ولا قدَحتْ قادحةُ الإحنِ فيما بينهم، ولاسلبَتهم الحيرةُ مالاقَ من معرفته بضمائرهم، وسكَنَ من عظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوساوسُ فتقترعَ برَيْنها على فكرهم.

منهم مَن هو في خَلق الغَمام الدُّلَّح[6]، وفي عِظَم الجبال الشُّمَّخِ، وفي قترَة الظلام الأيهَمِ، ومنهم من قد خرَقت أقدامُهم تخومَ الأرضِ

١ـ هامش النسخة: «خ ل: خاسئة».
٢ـ هامش النسخة: «خ ل: أمدهم».
٣ـ في هامش النسخة: «موصرات الآثام: مثقلاتها».
٤ـ في الهامش: «العقب: جمع العقبة، وهي المرة من التعاقب».
٥ـ في الهامش: «النوازغ ـ بالغين المعجمة ـ: الخواطر المفسدة. وبالمهملة: القسي. وكلاهما مروي هٰهنا».
٦ـ في الهامش: «الدُّلَّح: جمع دالحة، وهي الثقال. الشمخ: أي العالية».

السُفلىٰ، فهي كَراياتٍ بيضٍ قدنفذَت في مخارق الهواءِ، وتحتها ريحٌ هفّافةٌ[1] ، تحبسُها على حيث انتهت من الحدود المتناهيَةِ، قد استفرغتْهم أشغالُ عبادتِه، و وسلت[2] حقائقُ الإيمان بينهم وبينَ معرفتِه، وقطعَهم الإيقان به إلى الوَلَه إليه، ولم تُجاوِز رَغباتُهم ماعندَه إلى ماعند غيرِه.

قد ذاقوا حلاوةَ معرفتِه، وشربوا بالكأس الرويَّة مِن محبَّتِه، وتمكّنتْ من سويداء قلوبهم وشيجةُ خيفتِه[3] ، فحنَوا بطول الطاعة اعتدالَ ظُهورهم، ولم يُنفِد طولُ الرغبةِ إليه مادَّةَ تضرُّعهم، ولا أطلق عنهم عظيمُ الزلفةِ رِبَقَ[4] خشوعهم، ولم يتولَّهم الإعجابُ فيستكثروا ما سلفَ منهم، ولاتركتْ لهم استكانةُ الإجلال نصيبا في تعظيم حسَناتهم، ولم تجْرِ الفتراتُ فيهم على طول دُؤوبِهم، ولم تَغِضْ رغباتُهم فتخالفوا[5] عن رجاء ربِّهم، ولم تجفَّ لطول المناجاة أسَلاتُ ألسنتهم[6] ولاملكتهم الأشغالُ فتنقطعَ بهَمْسِ الحنينَ[7] إليه أصواتُهم، ولم تختلف في مقادمِ[8] الطاعةِ مناكبُهم، ولم يثنَوا إلى راحةِ التقصيرِ في أمرِه رقابهم، ولا تعدوا على عزيمةِ جِدِّهم بلادةُ الغفَلات، ولا تنتضل[9] في هِممهم خدائعُ

١ـ في هامش النسخة : «الريح الهفافة : الساكنة الطيبة».
٢ـ في هامش النسخة : «وسلت أي وصلت». وفي النهج بدلا منها : وصلت .
٣ـ سويداء القلب : حبّة القلب . الوشيجة : عرق الشجرة ؛ استعير هنا لبواعث الخوف .
٤ـ هامش النسخة : «الربق ـ جمع ربقة ـ : وهي الحلقة من الحبل».
٥ـ هامش النسخة : «أي تعدلوا». دأب في العمل : بالغ في المداومة .
٦ـ الأسلات : جمع أسلة . وأسلة اللسان طرَفه . أي لم تيبس أطراف ألسنتهم .
٧ـ هامش النسخة : «خ ل : الخير».
٨ـ هامش النسخة : «مقاوم».
٩ـ هامش النسخة : «الانتضال : الرمي بالسهام».

الشهوات، قد اتّخذوا ذا العرشِ ذخيرةً ليوم فاقتِهم، ويمّموه[1] عند انقطاع الخَلق إلى المخلوقين برغبتهم؛ لايقطعون أمدَ غايةِ عبادته، ولايرجع بهم الاستهتارُ[2] بلزوم طاعته، إلاّ إلى موادٍّ مِن قلوبهم غير منقطعةٍ من رجائه ومخافتِه.

لم تنقطع أسبابُ الشفقةِ منهم، فيَنُوا في جِدِّهم[3]، ولم تأسرهم الأطماعُ فيؤثروا وشيكَ السعي على اجتهادهم[4]، ولم يستعظموا مامضى من أعمالهم؛ ولو استعظموا ذلك لنَسخَ الرجاءَ منهم شفقاتُ وجَلِهم[5]، ولم يختلفوا في ربِّهم باستحواذ الشيطان عليهم، ولم يفرِّقهم سوءُ التقاطع، ولا تولاّهم غِلُّ التحاسُد، ولا أشعبتهم مصارفُ الريب، ولا اقتسمتهم أخيافُ الهمم[6]، فهم أُسراء إيمان لم يفكّهم من ربقته زيغٌ، ولا عدولٌ ولا ونيً ولا فتورٌ، وليس في أطباق السماء موضع إهاب[7] إلاّ وعليه ملكٌ ساجد، أو ساعٍ حافد؛ يزدادون على طول الطاعة بربِّهم علما، وتزداد عزّةُ ربِّهم في قلوبهم عِظَما.

---

١ ـ يمموه: قصدوه.

٢ ـ هامش النسخة: «استهتر بالأمر: أعجبه وتظاهر به».

٣ ـ ونى، يني: تأنّى. فيَنوا: فيضعفوا.

٤ ـ وشيك السعي: مقاربه وهينه.

في هامش النسخة: «أي يؤثروا ماقرب السعي في تحصيله على مايستعدونه من تحصيل السعادة الأُخرويّة».

٥ ـ أي ولو استعظموا أعمالهم لأذهب خوفُهم رجاءَهم بها.

٦ ـ الأخياف: جمع خيف؛ وهو ماانحدر من سفح الجبل. والمراد هنا سواقط الهمم. وفي هامش النسخة: «أي مختلفاتها. واحده: أخيف».

٧ ـ الإهاب: جلد الحيوان.

فصل [٣]

وفي الكتاب المذكور[1] عنه ﷺ أيضا أنّه قال في خطبة أُخرى في وصفهم:

ثمّ فتقَ مابين السماوات العُلىٰ، فملأهنّ أطوارا من ملائكتِه، منهم سجودٌ لا يركعون، و منهم ركوعٌ لاينتصِبون، وصافُّون لايتزايلون، ومسبِّحون لايسأمون، لا يغشاهم نومُ العيون، ولا سهوُ العقول، ولا فترةُ الأبدان، ولا غفلةُ النسيان.

ومنهم أُمناءُ على وحيِه، وألسِنة إلى رسُله، ومختلفون بقضائِه وأمره، ومنهم الحفَظةُ لعباده، والسدَنة لأبواب جنانِه.

ومنهم الثابتةُ في الأرضين السُفلى أقدامُهم، والمارقةُ من السماء العُليا أعناقُهم، والخارجةُ من الأقطار أركانُهم، والمناسبةُ لقوائم العرشِ أكتافُهم، ناكسة دونَه أبصارُهم، متلفِّعون[2] تحتَه بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين مَن دونهم حُجبُ العزّة وأستارُ القدرة؛

لايتوهّمون ربَّهم بالتصوير، ولا يُجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يَحُدُّونه بالأماكن، ولايُشيرون إليه بالنظائر.

١ـ نهج البلاغة: الخطبة الأُولى.

٢ـ تلفّعَت بالثوب: التحفت به. وفي هامش النسخة: «تلفع: تغطى».

فصل [٤]

وفي كتاب التوحيد[1] عنه ﷺ إنّه قال في بعض خطبه ـ بعد أن سُئل عن قدرة الله ـ جلّت عظمته ـ :

«إنّ لله ـ تبارك وتعالى ـ ملائكةً لو أنّ مَلَكا منهم هَبَطَ إلى الأرض ما وسعتْه ـ لعِظم خَلْقه وكثرة أجنِحته ـ ومنهم من لو كُلِّفت الجنُّ والإنسُ أن يصفوه ماوصَفوه ـ لِبُعد ما بين مفاصِله وحسْن تركيب صورته ـ وكيف يوصَف مِن ملائكته مَن سبعمأة عام ما بين منكبيه وشحمة أُذُنيه .

ومنهم مَن يسدُّ الأُفقَ بجناحٍ من أجنحته ، دون عِظَم بدَنه .

ومنهم مَن السماواتُ إلى حِجزته[2] .

ومنهم مَن قدمُه على غيرقرار في جوِّ الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبتيه .

ومنهم مَن لو أُلقي في نقرة إبهامه جميعُ المياه لوسعتْها .

ومنهم مَن لو أُلقيت السفُن في دموع عينيه لجرتْ دهرَ الداهرين ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ» .

---

١ ـ التوحيد : باب ذكر عظمة الله ـ جلّ جلاله ـ ، ٢٧٨ ، ح٣ . الخصال : ٤٠٠ ، باب السبعة ، ح١٠٩ . عنهما البحار : ١٧٨/٥٩ ، ح١٣ .

٢ ـ هامش النسخة : «الحجزة ـ بالضم ـ : مقعد الازار ، ومن السراويل : موضع التكة» .

فصل [٥]

وفي الكتاب المذكور[1] بإسناده عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ ـ أنّه قال :ـ

«إنّ لله ـ تبارك وتعالى ـ ديكا رِجْلاه في تُخوم الأرض السابعة، ورأسُه عند العرش، ثاني عنقِه تحتَ العرش.

وهو مَلَك من ملائكة الله ـ عزّ وجلّ ـ خَلَقه الله ـ تبارك وتعالى ـ ورِجلاه في تخوم الأرض السابعة السُفلىٰ، مضى مُصعِدا فيها مدّ الأرضين، حتّى خرج منها إلى أُفق السماء، ثمّ مضى فيها مُصعدا حتّى انتهى قرَنُه إلى العرشِ؛ وهو يقول: «سبحانك ربّي».

و إنّ لذلك الديك جناحين إذا نشرَهما جاوزَ المشرقَ والمغربَ؛ فاذا كان في آخر الليل نشرَ جناحَيه وخفقَ بهما وصرخَ بالتسبيح يقول: «سبحان الملِك القدّوس، سبحان الكبير المتعال القدّوس، لاإله إلاّ الله الحيُّ القيُّوم»؛ فإذا فعَل ذلك سبّحت ديكةُ الأرض كلّها، وخفقت بأجنحتها، وأخذت في الصراخ؛ فاذا سكن ذلك الديكُ في السماء سكنَت الديكةُ في الأرض؛ فإذا كان في بعض السحر [نشر جناحَيه][2] فجاوز[ا] المشرقَ والمغربَ وخفق بهما، وصرخَ بالتسبيح : «سبحان الله العظيم، سبحان الله العزيز القهّار، سبحان الله ذي العرش المجيد،

١ـ التوحيد : الباب السابق، ٢٧٩، ح٤ . عنه البحار : ١٨١/٥٩، ح٢٠. ١٧٩/٩٣. وجاء مايقرب منه فيا نقله القمي في رواية المعراج (١٠/٢، الإسراء/١). عنه البحار : ٣٢٧/١٨، ح٣٤. و١٧٣/٥٩، ح٣.

٢ـ إضافة من المصدر.

سبحان الله ربِّ العرش الرفيع»، فإذا فعَل ذلك سبّحت ديكةُ الأرض فاذا هاجَ هاجت الديكةُ في الأرض تجاوبه بالتسبيح و التقديس لله ـ عزّ وجلّ ـ .

ولذلك الديك ريشٌ أبيض ـ كأشدّ بياض رأيته قطّ ـ وله زغبٌ أخضر[١] تحت ريشه الأبيض ـ كأشدّ خضرة رأيتها قطّ ـ فما زلتُ مشتاقا إلى أن أنظر إلى خضرة ريش ذلك الديك».

وبهذا الإسناد[٢] عن النبيّ ﷺ ـ قال :ـ «إنَّ لله ـ تبارك وتعالى ـ مَلكا من الملائكة نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل ثلج ؛ فلا النارُ تذيب الثلجَ، ولا الثلجُ يطفيء النارَ ؛ وهو قائمٌ ينادي بصوت له رفيع : «سبحان الذي كفَّ حرَّ هذه النار فلايذيب هذا الثلج، وكفَّ برد هذا الثلج فلايطفئ حرّ النار، اَللّهمّ مؤلّف بين الثلج والنار، أَلِّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك».

وبهذا الإسناد[٣] عن النبيّ ﷺ : «إنَّ لله ـ تبارك وتعالى ـ ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلاّ وهو يسبِّح لله ـ عزّ وجلّ ـ ويحمده من ناحية بأصوات مختلفة، لايرفعون رؤوسهم إلى السماء ولايخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله ـ عزّ وجلّ ـ» .

١ـ هامش النسخة : «الزغب : صغار الشعر».

٢ـ التوحيد : الباب السابق : ٢٨٠، ح٥. عنه البحار : ١٨٢/٥٩، ح٢١. تفسير القمي، ضمن الحديث المذكور : ٦/٢. عنه البحار : ٣٢٣/١٨، ح٣٤. ١٧٢/٥٩، ح٢.

٣ـ التوحيد : الباب السابق : ٢٨٠، ح٦. تفسير القمي، ضمن الحديث المذكور : ٧/٢.

فصل [٦]

وفي الكتاب المذكور[1] بإسناده إلى أصبغ بن نباتة، قال: جاء ابن الكوّاء[2] إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

« يا أمير المؤمنين ـ والله إنّ في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ لآية قد أفسدت عليّ قلبي وشكّكتني في ديني ».

فقال له عليٌّ عليه السلام «ثكلتك أُمُّك وعدمتك، وما تلك الآية» ؟

قال: «قول الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [٤١/٢٤] ».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «يابن الكوّاء ـ إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ

١ـ التوحيد: الباب السابق: ٢٨٢، ح١٠. عنه البحار: ١٨٣/٥٩، ح٢٤ و ١٨٢/٨٧، ح٣، ١٨٠/٩٣. تفسير القمي: ١٠٧/٢، الآية النور/٤١. وجاء مايقرب منه في تفسير الفرات: سورة الأعراف، ص ١٤٣. عنه البحار ٢٥٤/٢٤، ح١٦. والاحتجاج: احتجاجه عليه السلام على ابن الكواء: ٥٤٢/١. وتأويل الآيات الظاهرة: سورة النور، ٣٦٥/١. وأورد مايقرب منه في البحار عن كتاب صفوة الأخبار: ٢٨٣/٤٠، ح٤٥.

٢ـ ابن الكواء هو عبد الله بن أبي بكر اليشكري (البحار ٧٢/٥٣) وقال الطبري (التاريخ: ٢١٢/٥): «اسم أبي الكواء عبدالله بن أبي أوفى». وكان ممن طردوا بأمر عثمان إلى حمص والأمير عليه يومئذ عبدالرحمن بن خالد (ابن أبي الحديد: ١٣٤/٢) وكان من أصحاب علي عليه السلام (مروج الذهب: ٢٣٢/٣) وكان معه عليه السلام في صفين (ابن أبي الحديد: ٢٣١/٢) وصار من أمراء الخوارج (ابن أبي الحديد: ٢٧١/٢، ٢٧٥، ٣١١. تاريخ الطبري: ٦٣/٥، ٦٥، ٩١. مروج الذهب: ١٤٤/٣) وله أسئلة سأل أمير المؤمنين عليه السلام، راجع البحار: ٣٢٤/٥٩، و ٣٧٠، و ٣٧٧. ٢٠٠/٦٠. ٥٠/٦٦. الطبري: ٧٥/١ـ٧٦.

خَلَقَ المَلائكةَ في صوَر شتَّى، إلا أنَّ لله مَلَكاً في صورة ديك أبحَّ أشهب[1] ، براثنُه في الأرض السابعة السفلىٰ، وعرفه مثنًّى تحت العرش؛ له جناحان: جناح في المشرق، وجناح في المغرب؛ واحدٌ من نار، والآخر من ثلج؛ فاذا حضر وقتُ الصلاة قام على براثنه، ثمّ رفعَ عنقَه من تحت العرش، ثمّ صفّق بجناحيه، ثمّ تصفّق الديوك في منازلكم؛ فلا الذي من النار تذيبُ الثلج، ولا الذى من الثلج يطفئ النارَ؛ فينادي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا سيّد النبيّين، وأنّ وصيّه سيّد الوصيّين، وأنّ الله سُبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح».

ـ قال:ـ فقال: «فتخفق الديكةُ بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله؛ وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَ ٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ﴾ [٤١/٢٤] - من الديكة في الأرض»[2] انتهى كلامه صلوات الله عليه.

فسبحان من يسبّح الرعدُ بحمده، والملائكةُ من خيفته،

قدُّوسٌ سبُّوح، ربُّ الملائكة والروح.

هذا آخرالكلام في العلم بالملائكة

والحمد لله وحده.

* * *

١ـ في هامش النسخة: «الابح: السمين. البرائن: المخالب».

٢ـ ورد هنا في المطبوعة الحجرية من الكتاب فصولا تتضمن شرح الخطب الماضية مقتبسا من شرح ابن ميثم البحراني ـ قده ـ(٢/٣٥٤ و١/١٦٠).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقصد الثالث

العلم بالكتب والرسل

(صلوات الله عليهم)



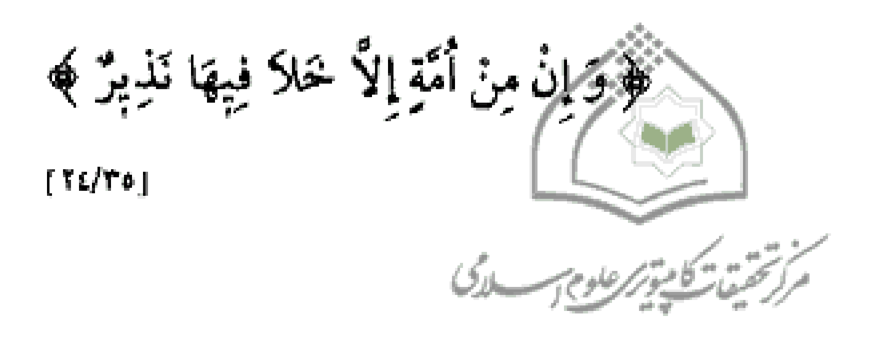
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ
لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [٢٥/٥٧]

[١]

بـاب

الاضطرار إلى الرسل والشرايع

وأسرار التكاليف



﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[٣٥/٢٤]

فصل [١]

[الاضطرار إلى الشرع والشارع][1]

اعلم أنَّ الدنيا مَنزِلٌ مِن مَنازِلِ السائِرين إلى الله ـ عزّ و جلّ ـ و البدن مَركَب ، ومن ذهَل عن تدبير المنزل والمركَب لم يتمّ سفرُه ، وما لم ينتظم أمرُ المعاش في الدنيا لايتمُّ أمرُ التبتُّل والانقطاع إلى الله ، الذي هو السلوك، ولا يتمُّ ذلك حتّى يبقى بدنُه سالما ، ونسلُه دائما ، وإنّما يتمُّ كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما ، و أسباب الدفع لمُفسداتها و مُهلكاتها .

١ ـ راجع الشفاء : الإلهيات ، المقالة العاشرة ، الفصل الثاني : ٤٤١ . الشواهد الربوبيّة : المشهد الخامس ، الشاهد الثاني ، الإشراق الأول : ٣٥٩ . المبدء والمعاد : ٤٨٨ .

أمّا أسباب الحفظ لوجودهما : فالأكل والشُرب ـ وذلك لبقاء البدن ـ والمناكحةُ ـ وذلك لبقاء النسل ـ وقد خلق اللهُ الغذاءَ سببا للحياة، والأُناثَ محلا للحراثة ؛ إلاّ أنّه ليس يختصُّ المأكول والمنكوح ببعض الآكلين والناكحين بحكم الفطرة، مع أنّهم محتاجون إلى تمدُّن واجتماع وتعاون، إذ لايمكن لكلٍّ منهمْ أن يعيش وحده، يتولّى تدبيراتِه المتكثِّرة المختلفة من غير شريك يعاونه على ضروريّات حاجاته ؛

بل لابدّ ـ مثلا ـ لأنْ ينقل هذا لهذا ، ويطحن هذا لهذا ، ويخبز هذا لهذا ـ وعلى هذا القياس ـ

فافترقت أعدادٌ، واختلفت أحزابٌ، وانعقدت ضياعٌ وبلادٌ، فاضطرُّوا في معاملاتهم ومناكحاتهم وجناياتهم إلى قانون مرجوعٍ إليه بين كافّتهم، يحكمون به بالعدل، وإلاّ لتهارَشوا وتقاتلوا، بل شغَلهم ذلك عن السلوك للطريق، بل أفضى بهم إلى الهلاك، وانقطع النسل، واختلّ النظامُ، لما جُبِل عليه كلُّ أحد من أنّه يشتهي لما يحتاج إليه ويغضب على من يزاحمه فيه .

وذلك القانون هو الشرع .

و لابدّ من شارعٍ يُعيِّن لهم ذلك القانون و المنهج ، لينتظم به معيشتُهم في الدنيا ، ويسنّ لهم طريقا يصلون به إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ بأن يفرض عليهم ما يذكِّرهم أمرَ الآخرة والرحيل إلى ربّهم، ويُنذِرهم يوم ينادون فيه ﴿ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [٥٠/٤١]،

و ينشقّ ﴿ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ [٥٠/٤٤]،

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥/١٦]،

لئلاً ينسوا ذكرَ ربِّهم ويذهلوا بدنياهم عن عُقباهم التي هي الغاية القصوى والمقصد الأقصى[1] .

- فصل [٢]

وبوجه آخر : لمّا كان الإنسان في أوّل أمره ومبدء نشوءه خاليا عن كماله الذي خلق له، قاصرا عن الغاية التي ندب إليها ـ كما قال تعالى : ﴿وَ ٱللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [٧٨/١٦] - قابلا إيّاه بفطرته التي فطر عليها، يمكن له الوصول إليه بما أُوتي من أسبابه، وهيئ له من شرائطه ـ كما قال : ﴿ وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ وَ ٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرون ﴾ [٧٨/١٦] وقال : ﴿ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٠٣/٣] ـ

ـ لكنّه ممنوعٌ بمقتضيات نشأته التي جبِل عليها ـ لو خلّي وشأنه ـ لتشاكله على مايقتضيه مزاجُه وطبيعتُه بحسب الغالب من قواه، وموجب طينته وهواه، ـ كما قال : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ [٨٤/١٧] ـ إذ كلُّ مزاج يناسب قوّة دون أُخرى، ويسهل له فعل بعضها ممّا يلائم حالها دون بعض، على ما عبّر عنه في القرآن مرّة بقوله : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، [٣٧/٢١] و أُخرى : ﴿ كَانَ ٱلْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾، [١٠٠/١٧] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، [١٩/٧٠] ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [٧٢/٣٣] .

---

١ ـ كتب المؤلف هنا مقاطع ثم شطب عليها وكتب بدلا منها الفصل الآتي، وأورد القسم المشطوب عليه كفصل مستقل سيجيء في الفصل الرابع .

فمن الواجب أن يكون له سياسةٌ تسوسه وتربّيه لصلاحيّته الكمال، وتُدبِّره وتُجريه في طريق الخير والسعادة؛ وإلاّ لبقي في مرتبة البهائم، وحيل بينه وبين النعيم الدائم.

فصل [٣]

[وجوب بعث الأنبياء][1]

و كما لابدّ في العناية الإلٰهيّة لنظام العالم من المطَر ، ورحمة الله لم‌تقصر عن إرسال السماء مدرارا لحاجة الخلْق؛ فنظام العالم لايستغني عمّن يعرّفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة.

نعم ـ من لم يُهمل إنبات الشعر على الحاجبين للزينة، وكذا تقعير الأخمص في القدمين ـ كيف أهمل وجودَ رحمة للعالمين؟ مع ما في ذلك النفع العاجل السلامة في العقبى، والخير الآجل؟ أم من لم يترك الجوارحَ والحواسَّ حتّى جعل لها رئيسا يصحّح لها الصحيح، ويتيقّن به ماشكّت فيه ـ وهو الروح ـ كيف يترك الخلائقَ كلّهم في حيرتهم وشكِّهم وضلالتهم، لايقيم لهم هاديا يردّون إليه شكّهم وحيرتهم؟!

رُوي في الكافي[2] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال للزنديق

١ـ راجع المبدء والمعاد: ٤٤٨. الشفاء: الفصل السابق: ٤٤٢.

٢ـ الكافي: كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ١٦٨/١، ح١. التوحيد: باب الرد على الثنوية والزنادقة، ٢٤٩، ح١. عنه البحار: ٢٩/١١، ح٢٠. علل الشرايع: باب (٩٨) علة إثبات الأنبياء والرسل...، ١٢٠/١، ح٣. الاحتجاج: ٢١٣/٢. البحار: ١٦٤/١٠، ح٢. ١٩٩/١٠، ح٣. ٢٩/١١، ح٢٠.

الذى سأله : «من اين أثبتّ الأنبياء والرسلَ» ؟ :

«إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنّا وعن جميع ما خلَق ، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا ، لم يجز أن يشاهده خلقُه ولا يلامسوه ، فيباشرهم ويباشروه ، ويحاجّهم ويحاجُّوه : ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم ؛ فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ ؛ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدّبين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس ـ على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ـ في شيء من أحوالهم ، مؤيّدين[1] عند الحكيم العليم بالحكمة . ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرسلُ والأنبياءُ من الدلائل والبراهين ، لكيلا تخلوا أرضُ الله من حجّةٍ يكون معه علمُ يدلُّ على صدقِ مقالته وجواز عدالته» .

فصل [٤]

[النبي إنسان صاحب معجزة][2]

و يجب أن يكون ذلك السانّ إنسانا ، لأنّ مباشرة المَلَك لتعليم الإنسان على هذا الوجه مستحيل ـ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَ لَو جَعَلنَاهُ مَلَكا لَجَعَلنَاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ [٩/٦] ودرجة باقي الحيوانات أنزل .

١ـ المصدر : مؤيدين من عند . /المصدر نسخة : مؤيدون عند .

٢ـ راجع الشواهد الربوبية : ٣٦٠ . الشفاء : الصفحة السابقة .

ولابدَّ من تخصُّصه بآيات من الله ـ سبحانه ـ دالّةٍ على أنّ شريعته من عند ربِّهم العالمِ، القادرِ، الغافرِ، المنتقِم؛ ليخضعوا له، ويلزم لمن وقف لها أن يقرّ بتقدُّمه ورياسته؛ وهي المعجزة؛ وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام[1] :

«يكون معه علمٌ يدلُّ على صدق مقالته وجواز عدالته».

فصل [٥]

[ما يجب على النبي أن يقرره ويأتي به]

قال بعض أهل العلم والحكمة[2] :

«يجب على النبي أن يسنّن للناس في أُمورهم سُننا بإذن الله وأمره ووَحيه، وإنزاله الروح القدس عليه؛ ويكون الأصل الأوّل فيما يسنُّه تعريفه إيّاهم أنّ لهم صانعا واحدا قادرا، وأنّه عالمٌ بالسرِّ والعلانية، وأنّه من حقِّه أن يطاع بأمره ـ فإنّه يجب أن يكون الأمر لمن له الخَلق ـ وأنّه قد أعدَّ لمن أطاعه النعيمَ، ولمن عصاه الجحيمَ، حتّى يتلقّوا رسمه المُنزَل على لسانه من الله والملائكة بالسمع والطاعة.

ولا ينبغي له أن يُشغلهم بشيء من معرفة الله فوق معرفة أنّه واحد، حقٌّ، لاشبيه له؛ لئلاّ يعظم عليهم الشغل ويشوّشِ

١ـ في الحديث الماضي آنفا.

٢ـ راجع الشفاء الصفحة السابقة.

فيما بين أيديهم الدين، ويوقعهم فيما لا مخلص عنه - من الشكوك والشُبه - إلاّ لمن كان المُعان الموفَّق، الذي يشذُّ وجودُه ويندر كونُه؛ فإنّهم لايمكنهم تصوُّر ذلك على وجهه إلاّ بكَدٍّ، فيقعوا في تنازع وآراء مختلفة مخالفة لصلاح المدينة.

بل يجب أن يعرفهم جلالةَ الله وعظمته برموز وأمثلة من الأشياء التي هي عندهم جليلة وعظيمة، ويلقي إليهم مع هذا أنّه لانظير له ولا شريك ولا شبيه.

وكذلك يقرر لهم أمرَ المعاد على وجه يتصوّرون كيفيّته ويسكن إليه نفوسُهم، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصوّرونه، وإن اشتمل مع ذلك على رموز و إشارات يستدعي المستدعين بالجبلّة للنظر إلى البحث الحكميّ فلا بأس».

فصل [٦]

[يلزم على النبي إيجاب العبادات][1]

ويجب أن يُلزمهم الطاعات والعبادات ليسوقهم بالتعويد عن مقام الحيوانيّة إلى مقام المَلَكيّة:

إمّا أُمورا وجوديّة يخصُّهم نفعُها - كالصلوات والأذكار على هيئة الخشوع والخضوع ليحرّكهم بالشوق إلى الله - أو يعمّ نفعُها لهم ولغيرهم - كالصدقات والقرابين في هيكل العبادات -

---

١ - راجع المبدء والمعاد: ٤٨٨. الشفاء: الإلهيات، المقالة العاشرة، الفصل الثالث: ٤٤٣.

وإمَّا أُمورا عدميَّة تُزكِّيهم ؛ إمَّا تخصُّهم كالصيام ؛ أوتعمُّهم وغيرَهم كالكفِّ عن الكذب وإيلام النوع والحبس ، والصمت .

وأن يسنَّ عليهم أسفارا ينزعجون فيها عن بيوتهم طالبين رضاء ربِّهم ، ويتذكَّرون يوما ﴿ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [٣٦/٥١] ، فيزورون الهياكلَ الإلٰهيَّة ، والمَشاهد النبويَّة ونحوها .

ويشرع لهم عبادات يجتمعون عليها ـ كالجمعة والجماعات ـ فيكسبون مع المَثوبة التودُّدَ والإيتلاف والمصافاة ؛ ويكرِّر عليهم العبادات والأذكار في كل يوم لئلاّ ينسوا ذِكرَ ربِّهم فيهملوا .

فصل [٧]

[يلزم على النبي إيجاب قواعد مدنية][1]

ويجب أيضا : أن يقنِّن للناس قوانينَ الاختصاصات في الأموال وعلاماتها ، من عقود المعاوضات و المداينات ، وقسمةِ المواريث والغنائم والصدقات ؛ ويعرِّف كيفيَّةَ التخصيص عند الاستبهام بالأقارير والأيمان والشهادات .

ويقنِّن قوانينَ الاختصاص بالأُناث وعلاماتها ، من أحكام النكاح والطلاق والرجعة والعِدَّة ، ومحرَّمات النسب والرضاع ، والمصاهرات وسائر المعاملات ؛ و أن يفرض في المعاملات المؤدِّية إلى الأخذ والإعطاء سُننا تمنع وقوعَ الغَرر والحيف ، وأن يحرِّمَ المعاملات التي فيها غَرر .

١ـ راجع الشفاء : المقالة السابقة ، الفصل الرابع : ٤٤٧ .

وأن يسنّ على الناس معاونة الناس والذبّ عنهم، ووقاية أموالهم وأنفسهم من غير أن يغرم متبرِع فيما يلحق بتبرُّعه.

وأن يُحرِّم البطالةَ والتعطُّل والصناعات التي تقع فيها انتقالات الأملاك والمنافع من غير مصالح تكون بإزائها، ولو منفعة أو ذكر جميل كالقمار، و كذا الذي تدعوا إلى أضداد المصالح والمنافع كالسرقة والقيادة والحِرَف التي تغني الناسَ عن تعلُّم الصناعات الداخلة في الشركة كالربا، والأفعال التي تؤدِّي إلى ضدِّ ما عليه بناءُ التمدُّن كالزنا واللواطة المؤدِّيين إلى الاستغناء عن التزويج، الذي به يحصل التناسلُ الضروري لحفظ النوع.

وأن يدعو إلى التزويج ويحرِّض عليه، لأنّ في بقاء الأنواع دليل وجود الله ـ سبحانه ـ وعبادته المطلوبة من الخَلق.

وأن يؤكِّد الأمورَ في ثبوت هذه الوصلة، حتّى لايقع بأدنى سببٍ فُرقةٌ، فتؤدّي إلى تشتُّت الشمل الجامع للأولاد و والديهم، وإلى تجدُّد احتياج كل إنسان إلى المزاوجة ـ وفي ذلك أنواعٌ من الضرر ـ.

وأن يكون إلى الفُرقة سبيلٌ مّا، لأنّ من الطبايع ما لايتؤالف، فكلّما اجتهد إلى الجمع زاد الشرُّ والنبوّ وتبغّضت المعايش، وربّما كان الزوج غير كفؤ ولا حسَن المذاهب في العِشرة، فتدعوا الرغبة في غيره، إذ الشهوةُ طبيعيّةٌ فيؤدِّى ذلك إلى وجوه من الفساد؛ وربّما كان المتزاوجان لايتعاونان على النسل، فاذا بُدِّلا بآخرين تعاونا.

ويجب أن تكون الفُرقة مشدَّدا فيها، ولاتكون في يدي المرأة، لأنّها واهية العقل، مبادرة إلى متابعة الهوى والغضب.

وأن يسنّن فيها التستُّر والتخدُّر، لأنّ من حقّها أن تصان، لكثرة شهوتها وانخداعها وقلّة عقلها، وكون الاشتراك فيها ممّا يوقع أنفةً وعارا عظيما - وهي من المضارّ المشهورة - بخلاف الاشتراك في الرجل، فإنّه لايوقع عارا، بل حسدا، والحسدُ غير ملتفت إليه لأنّه طاعةٌ للشيطان، ولذلك يجب أن يسنّ لها أن تُكفى من جهة الرجل، فيُلزم الرجلَ نفقتها، لكن الرجل يجب أن يعوّض من ذلك عوضا، وهو أنّه يملكها ولاتملكه، فلا يكون لها أن تنكح غيرَه، وأمّا الرجل فلايحجر عليه في هذا الباب، وإن حرِّم عليه تجاوزَ عددٍ لايفي بإرضاء ماوراءه وعوله.

ويسنّ في الولد أن يتولاّه كلٌّ واحد من الأبوين في التربية، أمّا الوالدة فبما تحضنه، وأمّا الوالد فبالنفقة.

وكذلك الولدُ - أيضا - يسنُّ عليه خدمتها وطاعتها وإكبارهما وإجلالهما، فهما سببا وجوده، ومع ذلك فقد احتملا مؤنته.

وأن يسنّ في الأخلاق والعادات سُننا تدعو إلى العدالة التي هي الوساطة لتزكية النفوس ولمصالح دنيويّة، فإنّ الرذائل الإفراطية، تضرُّ في المصالح الإنسانيّة، والتفريطيّة تضرُّ في التمدُّن.

و أن يسنّ مقاتلةَ الكفّار و أهل البغي - بعد أن يدعوهم إلى الحقّ - دفعا لما يعرض من الجاحدين للحق من تشويش أسباب الديانة والمعيشة، اللتين بهما الوصول إلى الله .

وأن يباحَ أموالَهم وفروجَهم، لأنّها ليست عائدة بالمصلحة التي تُطلب الأموالُ والفروجُ لها، بل معِينة على الفساد والشرِّ.

وإذ لابدَّ للناس من الخدم فيجب أن يكون أمثالِ هؤلاء يُجبَرون على خدمة أهلِ الحقّ، وكذا كلّ من كان بعيدا عن تلقّن الفضيلة ممّن لم تكن له قريحةٌ صحيحة ـ مثل الترك والزنج ـ

وإذا كانت لقوم سنّةٌ حميدةٌ لم يتعرّضِ لهم، إلاّ أن يكون الوقتُ يوجِب التصريح بأن لاسنّة غير السنّة النازلة، فحينئذ يؤدّب هؤلاء ـ أيضا ـ ويجاهَدوا ـ لكن مجاهدة دون مجاهدة أهل الضلال الصِرف ـ أو يُلزَموا غرامةً على ما يؤثِرونه، فيسالموا على فداء أو جزية.

وبالجملة يصحّح عليهم أنّهم مبطلون، وكيف لايكونون مبطلين، وقد امتنعوا من طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى؟!

ويجب عليه أن ينصب خليفةً يكون إماما للناس بعده، يحفظ ويُبقي سنّته وشرعَه إلى بعثة نبيّ آخر، لأنّ النبيّ ليس ممّا يتكرّر وجودُ مثله في كلّ وقت، ولا الناس يحتاجون إلى شريعة متجدِّدة في كلِّ حين.

وأن لايكون الاستخلاف إلا من جهته بوحيٍ من الله ـ سبحانه ـ إليه ونصٍّ منه، لئلاّ يؤدّي إلى التشعُّب والتشاغب والاختلاف.

وأن يفرض على الناس جميعا طاعةَ من يخلفه، ويحكم في سنّته أنّ من خرج وادّعى خلافتَه بفضل قوّة أومالٍ فعلى كافّتهم قتالُه وقتلُه، فإن قدروا ولم يفعلوا فقد عصوا الله وكفروا به، ويُحلُّ دمَ من قعَد عن ذلك وهو متمكِّنٌ بعد أن يصحَّ على رأس الملأ ذلك منه.

ويجب أن يسنَّ أن لاقُربة عندالله بعد الإيمان بالنبيّ أعظم من إتلاف هذا المتغلّب، لينضبط السياسةُ الدينيّة التي يتولاّها حارسُ السالكين وكافلُ المحقِّين نائبا عن رسول ربِّ العالمين.

هذا ملخّص ما ذكره بعض أهل العلم والحكمة في هذا الباب[1] ، وقد ورد عن أهل البيت ﷺ في علل الأحكام و الشرايع أخبار و نصوص مفصّلة ، منعَنا عن إيرادها خوفُ الإطالة والإطناب ، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى كتاب **علل الشرايع للصدوق** ـ رحمه الله ـ وإلى كتاب **عيون أخبار الرضا** ﷺ له وإلى غير ذلك .

فصل [٨]

قد ذكر بعضُ العلماء[2] ضابطةً يُعلَم بها كبائرُ المعاصي عن صغائرها ، بل مراتبُ التكاليف الشرعيّة كلِّها أو جلِّها ، وملخّصها :

« إنّا نعلم بشواهد الشرع وأنوارالبصائر ـ جميعا ـ أنّ مقصودَ الشرايع ـ كلّها ـ سياقةُ الخلْقِ إلى جوارالله وسعادة لقائه ، وأنّه لا وصول لهم إلى ذلك إلّا بمعرفة الله ـ تعالى ـ و معرفة صفاته ورسله وكتبه ، وإليه الإشارة بقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥١/٥٦] أي ليكونوا عبيدا ولايكون العبدُ عبدا ما لم يعرفْ ربّه بالربوبيّة ونفسَه بالعبوديّة ؛ فلابدّ وأن يعرف نفسَه وربّه .

فهذا هو المقصود الأصلي ببعثة الأنبياء ؛ ولكن لايتمُّ هذا إلّا في الحياة الدنيا ، وهو المعنيُّ بقوله ﷺ :

---

١ ـ ماذكره ـ قده ـ كما أشرنا إليه اقتباس و تلخيص مما أورده ابن سينا في الشفاء : الإلهيات ، المقالة العاشرة ، الفصل الرابع والخامس ، ٤٤٧ـ٤٥٥ .

٢ ـ إحياء علوم الدين : كتاب التوبة ، بيان أقسام الذنوب : ٣١/٤ .

« الدنيا مزرعة الآخرة »[1] .

فصار حفظُ الدنيا ـ أيضا ـ مقصودا تابعا للدين ، لأنَّه وسيلةٌ إليه ، والمتعلِّق من الدنيا بالآخرة شيئان : النفوس والأموال .

فكلُّ ما يسدُّ بابَ معرفة الله ، فهو أكبرُ الكبائر ، ويليه مايسدُّ بابَ حياة النفوس ، ويلي ذلك ما يسدُّ بابَ المعايش التي بها حياةُ النفوس .

فهذه ثلاث مراتب : فحفظ المعرفة على القلوب والحياةِ على الأبدان والأموالِ على الأشخاص ضروريٌّ في مقصود الشرايع كلِّها .

وهذه ثلاثة أُمور لايتصوَّر أن يختلف فيها المللُ ، فلا يجوز أن يبعث الله ـ تعالى ـ نبيًّا يريد ببعثتِه إصلاحَ الخلق في دينهم ودنياهم ، ثمّ يأمرُهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ، ويأمرُهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال ؛

فحصل من هذا أنَّ الكبائرَ على ثلاث مراتب :

الأُولى : مايمنع من معرفة الله ومعرفةِ رُسله ـ وهو الكُفر ـ

---

١ ـ نسبه الغزالي في الإحياء (كتاب التوبة ، الركن الثاني ، ٣١/٤) إلى رسول الله ﷺ . وقال العراقي في تخريجه (المغني ، ذيل الطبعة القديمة من الإحياء ١٩/٤): «لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا ، وروى العقيلي في الضعفاء وأبوبكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم : نعمت الدار الدنيا لمن تزوّد منها لآخرته ـ الحديث ـ وإسناده ضعيف». وورد الحديث الذي ذكره العراقي في مستدرك الحاكم أيضا : كتاب الرقاق ، ٣١٢/٤.

فلا كبيرة في المعاصي فوق الكفر، كما لا فضيلة فوق الإيمان ـ على مراتبه في قوّة المعرفة وضعفها ـ لانّ الحجاب بين العبد وبين الله هو الجهل ؛

ويتلو الجهلَ بحقائق الإيمان ـ أعني الكفرَ ـ الأمنُ من مكرالله والقنوطُ من رحمته، فانّ هذا بابٌ من الجهل بالله ـ بل عينُه ـ فمن عرف اللهَ لم يتصوّر أن يكون آمنا من مكره ، و لايكون آيسا من رحمته ؛

ويتلو هذه الرتبة البِدعُ ـ كلُّها ـ المتعلِّقة بذات الله وصفاته وأفعاله ـ وبعضها أشدُّ من بعض ـ .

المرتبة الثانية : قتلُ النفوس ، إذ ببقائها تدوم الحياةُ و بدوامها تحصل المعرفةُ والإيمانُ بالله وآياتِه ؛ فهو لامحالة من الكبائر ـ و إن كان دونَ الكفر ـ لانّه يصدم عن المقصود ، وهذا يصدم عن وسيلته ؛

و يتلو هذه الكبيرةَ قطعُ الأطراف ، وكلُّ ما يفضي إلى الهلاك ـ حتّى الضرب ـ وبعضُها أكبرُ من بعض ؛

ويقع في هذه الرتبة تحريمُ الزنا واللواطةُ، لأنّه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور لانقطع النسلُ، ودفعُ الوجودِ قريبٌ من رفعِه ؛ وأمّا الزنا فإنّه وإن لم يفوّت أصلَ الوجود، ولكن يشوّش الأنسابَ ويُبطل التوارثَ والتناصرَ وما يتعلّق بها، من عدم انتظام العيش ، وتحريك أسباب تكاد تفضي إلى التقاتل .

المرتبة الثالثة : تلفُ الأموال لأنّها معايش الخَلق، فلابدّ

من حفظها ؛ إلاّ أنّه إذا أُخذت أمكن استردادُها ، وإن أُكلت أمكن تغريمها ؛ فليس يعظّم الأمرُ فيها ؛ نعم إذا أُخذ بطريق يعسر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر ، وذلك بطرق خفيّة ـ كالسرقة ، وأكل الولي مالَ اليتيم وتفويته بشهادة الزور وباليمين الغموس ـ فإنّ في هذه الطُرق لايمكن الاسترداد والتدارك ، و لايجوز أن يختلف الشرائعُ في تحريمها أصلاً ؛ وبعضها أشدُّ من بعض ، وكلُّها دون الرتبة الثانية المتعلِّقة بالنفوس .

وأمّا أكل الربا : فلايبعد أن يختلف فيه الشرايع ، إذ ليس فيه إلاّ أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرطٍ وضَعه الشارعُ ، إلاّ أنّ الشارعَ عظّم الزجرَ عنه وعدّه من الكبائر لمصلحة يراها ، وإن لم يجعل الغصبَ ـ الذي هو أكلُ مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع ـ منها ؛

والله أعلم .

* * *
* *
*

فصل [٩]

وليُعلم أنَّ الغرض الأصلي من إرسال الرسل و وضع الشرايع إنّما هو استخدامُ الغيب للشهادة، وسياقةُ الخَلق إلى الله، وخدمةُ الشهوات للعقول، وإرجاع الدنيا إلى الآخرة، والحثّ على هذه الأمور والزجر على عكسها، لكي ينجو الخلائقُ من عذاب الآخرة والوبال، ووخامة العاقبة وسوء المآل، ويفوزوا بالسعادة القصوى على قدر استعداداتهم؛ وإلاّ فيكفي الإنسانَ ـ في أن يعيش ـ نوعٌ من السياسة يحفظ اجتماعَهم الضروريَ، وإن كان ذلك منوطا بتغلُّبٍ أو ما يجري مجراه ـ كما ترى من تعيُّش سكّان أطراف العمارة بالسياسات الضروريّة ـ

فالسياسةُ الدنيويّة بالنسبة إلى النبي إنّما هو بالعرَض ـ لا بالذات ـ مع أنّه لا شيء منها إلاّ وفيه حكمةٌ أُخرويّةٌ، إذا باشرها النبيُّ أو نائبُه ؛ فإنّك إذا تدبّرتَ في الأحكام الشرعيّة لم تجد شيئا منها خاليا عن تقوية الجنبة العالية ـ وإن كان ممّا يتعلّق بأمور الدنيا ـ .

قال بعض الحكماء: «إذا قام العدلُ خدمت الشهواتُ للعقول، وإذا قام الجورُ خدمت العقولُ للشهوات»؛ فطلب الآخرة أصلُ كلِّ سعادة، وحبُّ الدنيا رأسُ كلّ خطيئة. وليلاحظ العاقلُ اللبيبُ هذا الأصل في حكمة كلِّ ما أُمِرَ به أو نُهي عنه في الشريعة.

قيل[1] : نسبةُ النبوّة إلى الشريعة كنسبةِ الروح إلى الجسَدِ الذي فيه الروحُ؛ والسياسةُ المجرّدةُ عن الشرع كجسدٍ لا روح فيه.

---

١ ـ الشواهد الربوبية : المشهد الخامس، الشاهد الثاني، الإشراق الرابع : ٣٦٤.

[٢]

باب

صفات النبي وأصول المعجزات

﴿يُلقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
[٤٠/١٥]



فصل [١]

النبيُّ من اطّلعه الله من صفوة خلقه على ما يشاء من أحكام وحيه وأسرار غيبه وأمره، تارةً بالمشافهة، وتارةً بواسطة مَلَك، وتارةً بإلقاء ذلك في قلبه.

قال بعض المحقّقين[1] :

«ومن صفاته أن يكون صافي النفس في قوّتها النظريّة، صفاء تكون شديدة الشبه بالروح الأعظم، فيتّصل به متى أراد من غير كثير تعمُّل وتفكُّر؛ حتّى يفيض عليه العلوم اللدنيّة من غير توسُّط تعليم بشري، بل يكاد زيت عقله يضيءُ

---

١ ـ راجع الشواهد الربوبيّة : المشهد الخامس ، الشاهد الأول ، الإشراق الثالث و الرابع : ٣٤١ـ٣٤٥.

ولو لم تمسسه نارُ التعليم البشري، بمقدحةِ الفكر وزندِ البحث والتكرار. فإنّ النفوس متفاوتةٌ في درجات الحدس والاتّصال بعالم النور. فمن محتاج إلى التعلُّم في جُلِّ المقاصد ـ بل كلّها ـ ومن غبيّ لايفلح في فكره ولا يؤثر فيه التعليم أيضا، حتّى خوطب النبيُّ الهادي في حقّه: ﴿إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [٥٦/٢٨] و لاتسمع ﴿مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [٢٢/٣٥] و ﴿لَاتُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَ لَاتُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ﴾ [٨٠/٢٧ و٥٢/٣٠].

و ذلك لعدم وصولهم بعدُ إلى درجة استعداد الحياة العقليّة؛ فلم يكن لهم سمعٌ باطنيٌّ يسمع به الكلام المعنوي والحديثَ الربّانيّ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا [وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا][1] وَ لَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا﴾[١٧٩/٧].

ومن شديد الحدس كثيره ـ كيفا وكمّا ـ سريع الاتّصال بعالم الملكوت، يدرك بحدسه أكثرَ المعلومات في زمانٍ قليل إدراكا شريفا نوريّا سمِّيت نفسا قدسيّة، ينتهي بقوّة حدسه إلى آخر المعقولات في زمان قصير من غيرتعلُّم، فيدرك أُمورا يقصر عن دركها غيرُه من الناس إلاّ بتعب الفكر والرياضة في مدّة كثيرة، فيقال له «نبيٌّ»، أو «وليٌّ»، وأنّ ذلك منه أعلى ضروب المعجزة والكرامة، وهو من الممكنات الأقليّة، وبينهما مراتب ودرجات.

وأن يكون قوّتُه المتخيّلة قويّةً، بحيث يشاهد في اليقظة

١ـ إضافة من القرآن الكريم.

عالمَ الغيب، وتتمثّل له الصورُ المثاليّة الغيبيّة، ويسمع الأصوات الملكوتيّة ، ويتلقّى المغيّبات والأخبار الجزئيّة من الملكوت، فيطّلع على الحوادث الماضية والآتية .

وأن يكون قوّتُه الحسّاسةُ والمحرّكةُ في القوّة بحيث تؤثّر في مادّة العالم بإزالة صورة وإلباس أُخرى ؛ فيحيل الهواءَ إلى الغيم بإذن الله، ويُحدث الأمطارَ والزلازلَ لاستهلاكه أُمّةً فجرتْ وعتَتْ عن أمرِ ربِّها ورسله ، ويُسمَع دعاؤها في المُلك والملكوت لعزيمة قوّته، فيستشفي المرضىٰ، ويستسقي العطشى، ويخضع له الحيوانات .

فإنَّ الأمزجة يجوز أن تتأثّر عن الأوهام بإذن الله ـ إمّا عن أوهام عاميّة، أو عن أوهام شديدة التأثير في بدءِ الفطرة أو بالتعويد والاكتساب ـ فلا عجب من أن يكون لبعض النفوس قوّةً كماليّة مؤيَّدة من عندالله ـ عزَّ وجلَّ ـ تؤثّر في غير بدنها تأثيرها في بدنها، فتُطيعها مادّةُ العالم طاعةَ البدن للنفس ؛ فتؤثّرُ في إصلاحها وإهلاك ما يُفسدها أو يضرُّها ؛ كلّ ذلك لمزيد قوّة شوقيّة واهتزاز علويّ يوجب شفقةً على خَلق الله، شفقةَ الوالد لولده .

وكيف لايجوز ذلك، و قد جاز في جانب الشرّ من النفوس الشريرة الدنيّة كالعين ؛ فجوازُه في جانب الخير من النفوس العظيمة الشديدة البَطش ـ المستحقّة لمسجوديّة الملائكة وتعليمهم الأسماء ـ أرجح وأولى .

والجمهور يعظِّمون هذه الخاصيّة أكثر من الأوّلين، لغلبة

الجسمانيّة عليهم ، ثمّ يعظِّمون أمرَ الإخبار عن الحوادث الجزئيّة أكثر من الاطلاع على المعارف الحقيقيّة .

وأمّا أُولي الألباب : فافضلُ أجزاء النبوّة عندهم هو الضربُ الأوّلُ ، ثمّ الثاني ، ثمّ الثالث ؛ و مجموعُ الأُمور الثلاثة على الوجه المذكور يختصُّ بالأنبياء ﷺ ، وكل جزء منها ربّما يوجد في غيرهم .

والأوّل لايكون إلاّ خيرا و فضيلة ، و هو قد يوجد في الأولياء على وجه التابعيّة لهم ، وكلٌّ من الآخرين ينقسم إلى الخير والشرِّ ، فإنَّ ضربا من الإخبار ببعض المغيّبات الجزئية من الحوادث ربّما يوجد في أهل الكهانة والمستنطقين ، وكذا قوّة التأثير للنفس ، المتعدّي من النفوس الشريرة .



فصل [٢]

[خوارق العادات والمعجزات]

قيل : الفرق بين النبيّ والمتنبّي ، والمحقّ والمبطِل ـ إذا صدر منهما الخوارقُ ـ أنّ صدورها عن الأنبياء والأولياء إنّما هو لاتّصالهم التامِّ بالملأ الأعلى ، بل بالمبدء ـ تعالى شأنه ـ وهذا الارتباط التامُّ لايحصل إلاّ بعد أن كانت النفس منسلخة عن الرذائل ، منطبعة على الفضائل .

فمن تحقّقته على أنّه مَرَنَ على الصدق والصفا ، والوفاء بالعهد والاجتهاد في العبادة ، والورع عن المحارم ، وغوث الملهوف ونصرة المظلوم ، وإجابةِ المضطرِّ ، وحبِّ المساكين ـ إلى غير ذلك من صفات

الملائكة المقرَّبين ـ ثمَّ ظهر منه خارقُ عادةٍ: تحقَّقت أنَّه صدر منه ذلك لقُربه من الله وملائكته.

ومن عرفتَه على ضدِّ تلك الصفات، عرفت أنَّ صدورَ الخوارق منه لقُربه من الشيطان وأوليائه.

ومن هنا يظهر فرقٌ آخر، و هو أنَّ ما يصدر من غير المؤمن ـ من خوارق العادات ـ لايتجاوز عن مقدورات الشياطين، بخلاف المؤمن.

فصل [٣]

[الطرق المختلفة للهداية]

قال بعضُ العلماء ما حاصله[1]:

إنَّ أشرف معجزات الأنبياء وأفضلها العلم والحكمة ـ وهما للخواصِّ ـ وخوارقُ العادات ـ للعوام البُلْه ـ وأمَّا أهل الشَّغب والعناد منهم فلا ينفعهم إلاّ السيف.

وإلى الثلاثة أشارالله ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [٢٥/٥٧].

فأسرارُ الكتاب والميزان ـ وهو البرهان العقلي بأقسامه ـ للخواصِّ الذين لهم قريحةٌ نافذةٌ وفطنةٌ قويّةٌ، وقد خلق

١ ـ راجع رسالة القسطاس المستقيم للغزالي (رسائل الغزالي ٣): ٤٨ـ٥٤. ولعله مقتبس من كتاب آخر لم أعثر عليه.

باطنُهم عن تقليد وتعصُّبٍ لمذهبٍ موروث ومسموع، فإنّهم يؤمنون للنبيّ بميزان العلم و المعرفة و الحكمة على قرب، و لايحتاجون إلى خوارق العادات.

وأمّا الذين ليس لهم فطنةٌ لفهم الحقائق، أو كان لهم ذلك ولكن ليست لهم داعية الطلب، بل شغَلهم الصناعاتُ والحِرَف، وليس فيهم - أيضا - داعيةُ الجدل وتحذلق المتكايسين في الخوض في العلم، مع قصور فهمهم عنه: فإنّهم يعالَجون بالموعظة وإظهار المعجزات، ثمّ يُحالون على ظواهر الكتاب، ليس لهم التجاوز عنها إلى أسراره.

والحديدُ لأهل الجدل والشغب، الذين يتَّبعون ﴿مَا تَشَابَهَ﴾ من الكتاب مع عدم أهليّتهم له ﴿ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [٣/٧] فإنّهم يُتلطّف بهم أوّلا ويُجادَل معهم بالتي هي أحسن، بأخذ الأُصول المسلّمة عندهم و استنتاج الحقّ منها بالميزان و القسط، فإن لم ينفعهن فـ﴿ٱلْحَدِيد ٱلَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [٥٧/٢٥]. وإلى الثلاثة - أيضا - الإشارة بقوله - عزّ وجلّ -: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَ ٱلْمَوعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [١٦/١٢٥].

أقول: قد عامَلَ نَبيُّنا ﷺ الناسَ بما أُمر به، وبما يليق بحالهم؛ فقومٌ أخذهم بالرفق واللين، لصفاء قلوبهم ورقّة أفئدتهم، فانقادوا له عاجلاً، ودخلوا في شرعه سريعا؛ والفريق الآخر أخذهم بالسنان والحسام، والشدّة والقتال، حتّى أدخلهم في دينه قهرا وقادهم إليه

قسرا، ثمّ تألّفهم بإحسانه، واستمالهم بموعظة لسانه، حتّى طابت له نفوسُهم، وانشرحت صدورُهم؛ وذلك معنى قوله ﷺ [1]: «عَجِبَ ربُّكَ من قوم يدخلون الجنّة في السلاسل»، أي يدخلون في الإسلام الذي هو سببُ دخولهم الجنّة ـ

فجزاه الله عنّا خيرَ الجزاء بما بلّغ عن ربّه وصدعَ بأمره.

فصل [٤]

[اتصال النبي بالحق والخلق]

قال بعض المحقّقين[2]:

ومن صفات النبي أن يكون جالسا في الحدِّ المشترك بين عالَم المعقول وعالَم المحسوس؛ فهو تارةً مع الحق بالحبِّ له، وتارةً مع الخلق بالرحمةِ عليهم والشفقةِ لهم؛ فاذا عادَ إلى الخلق كان كواحدٍ منهم، كأنّه لايعرف اللهَ وملكوتَه، وإذا خلا بربِّه مشتغلا بذكره وخدمته فكأنّه لايعرف الخلقَ؛ يأخذ من الله ويتعلّم من لدنه، ويعطي لعباده ويُعلِّمهم ويهديهم[3]؛ فيسأل ويجاب، ويُسأل ويجيب؛ ناظرا للطرفين، واسطةً بين العالَمين؛ سمعا من جانبٍ، ولسانا إلى جانب.

١ـ البخاري: فضل الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، ٧٣/٤ (بلفظ: عجب الله).
أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، ٥٦/٣، ح٢٦٧٧، (بلفظ: عجب ربنا) وكذا في المسند: ٣٠٢/٢ و٤٠٦ و٤٤٨. ويقرب منه ٤٥٧/٢ و ٢٥٦/٥.

٢ـ راجع الشواهد الربوبية: المشهد الخامس، الشاهد الأول، الإشراق التاسع، ٣٥٥.

٣ـ في النسخة: يهدي لهم (التصحيح قياسي).

فلقلبه بابان مفتوحان : أحدُهما ـ وهو البابُ الداخلاني ـ إلى مطالعة اللوح والذكر الحكيم ، فيعلّمه علما يقينيًا لَدُنيًا ، من عجائب ماكان أو سيكون ، وأحوال العالَم ـ ما مضى وما سيقع ـ وأحوال القيامة والحشر والحساب ، ومآل الخلق إلى الجنّة أو النار ؛ وإنّما ينفتح هذا الباب لمن توجّه إلى عالم الغيب ، وأفرد ذكرَ الله على الدوام .

والثاني : إلى مطالعة ما في الحواسّ ليطّلع على سوانح مهمّات الخَلق ويهديهم إلى الخير ، ويردعهم عن الشرّ ؛ فيكون قد استكملتْ ذاتُه في كلتي القوّتين ، آخذا بحظٍّ وافر من نصيب الوجود والكمال من الله سبحانه بحيث يسع الجانبين ، ويوفي حقّ الطرفين ؛ وهذا أكمل مراتب الإنسانيّة[1] .

فصل [٥]

[صفات النبي]

ومن لوازم الخصائص المذكورة اثنتا عشرة صفة مفطورة له ، عدّدها بعض المحقّقين[2] وهي :

[١] أن يكون جيّد الفهم لكلِّ ما يسمعه و يقال له على مايقصده القائل ، وعلى ماهو الأمر عليه ـ

١ـ النسخة : المراتب الإنسانية (التصحيح قياسي) .
٢ـ الشواهد الربوبية : المشهد الخامس ، الشاهد الأول ، الإشراق العاشر : ٣٥٧ .
راجع أيضا آراء أهل المدينة الفاضلة : الفصل الثامن والعشرون : ١٢٧ .

وكيف لا ؟ وهو في غاية إشراق العقل ونوريّة النفس .

[٢] وأن يكون حفوظا لِما يفهمه ويحسُّه ، لايكاد ينساه ـ وكيف لا ؟ ونفسُه متّصلة باللوح المحفوظ .

[٣] وأن يكون صحيح الفطرة والطبيعة ، معتدل المزاج ، تامّ الخلقة ، قويّ الآلات على الأعمال التي من شأنه أن يفعلها ـ كالمناظرة في العلوم مع أهل الجدال ، والمباشرة في الحروب مع الأبطال ـ لإعلاء كلمة الله ، وهدْم كلمةِ الكفر ، وطردِ أولياء الطاغوت ، ليكون ﴿ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [٣٩/٨] ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [٣٣/٩] ؛ وكيف لا ؟ والكمالُ الأوفى إنّما يفيض على المزاج الأتمّ .

[٤] وأن يكون حَسَن العبارة ، يواتيه لسانُه على إبانة كلِّ ما يُضمره ـ إبانةً تامّةً ـ وكيف لا ؟ وشأنُه التعليمُ والإرشادُ والهدايةُ إلى طريق الخير للعباد .

[٥] وأن يكون محبًا للعلم والحكمة ، لا يؤلمه التأمُّل في المعقولات ، ولا يؤذيه الكدُّ الذي ينالُه منها ؛ وكيف لا ؟ والملائمُ للشيء ملذٌّ إدراكه ، لأنّه يتقوّى به .

[٦] وأن يكون بالطبع غير شرهٍ على الشهوات ، متجنِّبا بالطبع عن اللعب ، ومُبغِضا للّذات النفسانيّة ؛ وكيف لا ؟ وهي حجابٌ عن عالم النور ، ووصلةٌ بعالم الغرور ، فيكون ممقوتا عند أهل الله ومجاوري عالم القدس .

[٧] وأن يكون كبيرالنفس محِبًا للكرامة ، تكبر نفسُه عن

كلِّ ما يشينُ ويضعُ من الأُمور ، وتسمو نفسُه بالطبع إلى الأرفع منها ، و يختار من كلِّ شيءٍ عقيلته ، ويجتنب عن سفساف الأُمور ، ويكره خداجها وسقطها ؛ اللهمّ إلاّ لرياضة النفس والاكتفاء بأيسر أُمور هذهالدار وأخفِّها ، وذلك لأنّ في الأشرف مزيد قرب من العناية الأُولى .

[٨] وأن يكون رؤوفا عطوفا على خَلق الله أجمع لايعتريه الغضب عند مشاهدة المنكر ، ولايعطِّلُ حدودَ الله من غير أن يهمَّه التجسُّس ؛ و كيف لا ؟ و هو شاهدٌ بسرِّالله في لوازم القَدَر .

[٩] وأن يكون شجاعَ القلب غير خائفٍ من الموت ؛ وكيف لا ؟ والآخرةُ خيرٌ له من الأُولى ، فيكون قويَّ العزيمة على مايرى ينبغي أن يفعل ، جسورا مِقداما عليه ـ لا ضعيف النفس .

[١٠] وأن يكون جوادا ، لأنّه عارفٌ بأنّ خزائن رحمة الله لاتبيد ولا تنقص .

[١١] وأن يكون أهشَّ خلق الله إذا خلا بربّه ، لأنّه عارفٌ بالحقِّ وهو أجلُّ الموجودات بهجة وبهاء .

[١٢] وأن يكون غير جموحٍ ولا لجوجٍ ، سلس القياد إذا دُعي إلى العدل ، صعبَ القياد إذا دُعي إلى الجور والقبيح .

والمفطورعلى هذه الصفات لايكون إلاّ الآحاد كما قيل :

«جلّ جنابُ الحقِّ أن يكون شريعةً لكلِّ واردٍ أو يطّلع عليه إلاّ واحد بعد واحدٍ»[1] .

فصل [٦]

[نزاهة النبي وعصمته]

ويجب أن يكون منزّها عن كلِّ ما يدنِّسه ويَشينه ـ من الغِلظة، والفَظاظة، والحسَد، والبخلِ، ودَناءة الآباء، وعهْر الأُمّهات، والأُنوثة، والخُنوثة، وما شابَهَ ذلك.

وأن يكون معصوما من الذنوب، محفوظا عن الكبائر والصغائر ـ عمدا وسهوا.

كلُّ ذلك لئلاّ تتنفّر عنه الطباعُ، بل تطيعه طوعا ورغبة.

* * *

وروى الشيخُ الفقيهُ محمد بن عليّ بن بابويه القمّي ـ رحمه الله ـ في كتاب معاني الأخبار[2] ، بإسناده عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعتُ وما استفدتُ من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئا أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام. فإني سألتُ يوما عن الإمام: «أهو معصوم»؟

١ـ ابن سينا في الإشارات والتنبيهات: النمط التاسع: ٣/٣٩٤.

٢ـ معاني الأخبار: باب معنى عصمة الإمام، ١٣٣، ح٣. ورواه أيضا في الخصال: باب الأربعة، ١/٢١٥، ح٣٦. والأمالي: المجلس الثاني والتسعون، ٧٣١، ح٥. والعلل: ٢٠٤، باب (١٥٥) العلة التي من أجلها يكون الإمام معروف القبيلة ...، ح٢.

فقال : «نَعم» .

قلت : «فما صفةُ العصمةِ فيه ، وبأيِّ شيءٍ يُعرف» ؟

فقال : « إنَّ جميعَ الذنوب لها أربعةُ أوجه ـ و لا خامس لها ـ : الحرصُ والحسدُ والغضبُ والشهوةُ ؛ فهذه منفيّةٌ عنه :

لايجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا ؛ وهي تحت خاتمه ، لأنَّه خازنُ المسلمين ـ فعلى ما ذا يحرص ؟

ولايجوز أن يكون حسودا ، لأنَّ الإنسان إنّما يحسدُ مَن فوقه ـ وليس فوقَه أحدٌ ـ فكيف يحسدُ من هو دونه ؟

ولايجوز أن يغضب لشيء من أُمور الدنيا ، إلاّ بأن يكون غضُبه لله تعالى ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فرضَ عليه إقامةَ الحدود ، وأن لايأخذه في الله لومةُ لائمٍ ولا رأفةٌ في دينِه ، حتّى يُقيمَ حدودَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

ولايجوز أن يتّبع الشهواتِ ، ويؤثر الدنيا على الآخرة ، لأنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حبّب إليه الآخرةَ ـ كما حبّب إليه الدنيا ـ فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا ؛ فهل رأيتَ أحدا يؤخّر وجها حسنا لوجهٍ قبيحٍ ؟ وطعاما طيّبا لطعامٍ مُرّ ؟ وثوبا ليّنا لثوبٍ خشنٍ ؟ ونعمةً دائمةً باقيةً لدنيا زائلةٍ فانيةٍ ؟ » .

وهذا الكلام وإن ورد في عصمة الإمام ، ولكنّه يجري في عصمة النبي ﷺ بطريقٍ أولى لأنّه أخصّ .

وقال في الإشارات [1] : «العارفُ شجاعٌ، وكيف لا ؟ وهو بمعزل عن تقيَّة الموت ؛

وجوادٌ، وكيف لا ؟ وهو بمعزل عن محبّة الباطل ؛

وصفاحٌ، وكيف لا ؟ ونفسُه أكبرُ من أن يخرجها زَلّة بشر .

ونسّاءٌ للأحقاد، وكيف لا ؟ وذكره مشغول بالحقّ» .

وكلُّ ما ورد في القرآن والأخبار من نسبة الذنوب إلى الأنبياء والأئمّة ﷺ فهو مأوّل، وله محملٌ آخر غير ظاهره، كما ورد عن أهل البيت ﷺ في نصوصٍ مستفيضةٍ ، وأنّهم ﷺ لمّا كانوا مستغرقين في طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ فإذا اشتغلوا أحيانا عن ذلك ببعض المباحات ـ زيادةً على الضرورة ـ عُدَّ ذلك ذنبا في حقّهم ﷺ ـ هكذا ينبغي أن يعتقد في المصطفين الأخيار ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ .

* * *

* *

*

١ ـ الإشارات والتنبيهات : النمط التاسع : ٣/٣٩٣ .

[٣]

باب

صفة نزول الوحي

والفرق بينه وبين الإلهام

﴿ وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ إِلاَّ وَحْياً أَو مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾

[٥١/٤٢]

فصل [١]

[طرق تحصيل العلوم وموانعه][1]

قد أشرنا فيما سلف[2] إلى أنّ حقائقَ الأشياء كلّها مسطورةٌ في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقرّبين، ومن هنالك يخرج إلى الوجود، وقد نبّه القرآنُ على ذلك في غير موضعٍ؛ فالعلوم الحقّة كلها إنّما تُفيض على قلوبنا من ذلك العالم بواسطة القلمِ العقلي الكاتب في ألواح نفوسنا.

١ـ هذا الفصل مقتبس من إحياء علوم الدين، كتاب شرح عجائب القلب، بيان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة: ٢٣/٣ وما بعدها. وقد أورده المؤلف ـ قده ـ في الوافي أيضا بألفاظه: ٧٦/٢.

٢ـ راجع الفصل الخامس والسابع من الباب السابع من المقصد الأول.

كما قال عزّوجلّ: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [٥٨/٢٢]، وقال سبحانه: ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٩٦/٤-٥].

وقلبُ الإنسان صالحٌ لأن ينتقش فيها العلومُ كلها، وهو كمرآة مستعدّة لأن يتجلّى فيها حقيقةُ الحقِ في الأمور كلّها من اللوح المحفوظ، وإنّما خلا عمّا خلا عنه من العلوم:

إمّا لنقصان في ذاته، كقلب الصبيّ ـ وهو يُشبه نقصانَ صورة المرآة، كجوهر الحديد قبل أن يُصقل ـ

أو لكثرة المعاصي والخبَث الذي تراكم عليه من كثرة الشهوات المانعة من صفائه وجلائه ـ وهذا يُشبه خبث المرآة وصدأها ـ

أو لعدوله عن جهة الحقيقة المطلوبة، لاستيعاب همّه بتهيئة أسباب المعيشة، أو تفصيل الأعمال والطاعات البدنيّة المانعة من التأمُّل في الحضرة الربوبيّة، والحقائق الخفيّة الإلهيّة، فلا ينكشف له إلاّ ما هو متفكِّر فيه ـ وهذا يُشبه كونَ المرآة معدولا بها عن جهة الصورة.

أو لحجابٍ بينه وبينَ المطلوب من اعتقاد سبقَ إليه منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظنّ، فإنّ ذلك يحولُ بينه وبينَ حقائق الحقِ، ويمنع أن ينكشف في قلبه خلافُ ما تلقّفه من ظاهر التقليد ـ وهذا يُشبه الحجابَ المرسَل بين المرآة وبين الصورة المطلوبة رؤيتها.

أو لجهل بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب، فإنّ طالبَ العلم ليس يمكنه أن يحصِلَ العلمَ المطلوب إلاّ بالتذكُّر للعلوم التي تناسب مطلوبَه، حتّى إذا ذكرَها ورتّبها في نفسه ـ ترتيبا مخصوصا ـ حصل له المطلوبُ فإذا لم يكن عنده العلوم المناسبة لذلك لم يحصل له المطلوب ـ وهذا يُشبه الجهلَ بالجهة التي فيها الصورةُ المطلوبةُ.

فهذه هي الأسبابُ المانعةُ من إدراك الحقائق .

[1] ثمّ إنّ العلومَ التي ليست ضروريّةً إنّما تحصل في القلب تارةً بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلّم ـ و يسمّى « اعتبارا » و «استبصارا » ـ ويختصُّ به العلماءُ والحكماءُ .

وتارة بهجومه على القلب ، كأنّه أُلقي فيه من حيث لايدري ؛

وهذا قد يكون مع عدم الاطلاع على السبب الذي منه استفيد ذلك العلمُ ، وهو مشاهدةُ المَلَك المُلقي في القلب ـ ويسمّى «إلهاما» و «نفثا في الرّوع» ـ إن كان نكتا في القلب ـ و «حديث مَلك» ، إن كان نَقرا في السمع ـ ويختصُّ بها الأولياءُ والأئمّةُ ـ

وقد يكون مع الاطلاع على ذلك ـ ويسمّى «وَحيا» ـ ويختصُّ به الأنبياءُ والرُسلُ .

وكما أنّ الحجاب بين المرآة والصورة يزال تارةً بتعمُّل اليَد المتصرِّفة ، وتارةً بهبوب ريح تُحرّكه ؛ فكذلك استفادة العلوم بالقلم الإلهي للإنسان ، قدتكون بقوّة فكرته المتصرِّفة في تجريد الصُوَر عن الغواشي ، والانتقال من بعضها إلى بعض ، وقد تهبُّ رياحُ الألطاف الإلهيّة ، فتكشفُ الحجبَ والغواشي عن عين بصيرته ، فيتجلّى فيها بعضُ ما هو مثبت في اللوح الأعلى ، فيكونُ تارةً عند المنام ، فيظهر به ماسيكون في المستقبل ؛ وتمام ارتفاع الحجاب يكون بالموت ـ وبه ينكشف الغطاءُ .

---

١ ـ راجع احياء علوم الدين : كتاب شرح عجائب القلب : ٣١/٣ .

وتارةً ينقشعُ الحجابُ بلطفٍ خفيّ من الله، فيلمعُ في القلب من وراء ستر الغيب شيءٌ من غرائب أسرار الملكوت في اليقظة، فربّما يدوم، وربّما يكون كالبرق الخاطف ـ ودوامُه في غاية الندور ـ

فلم يفارق الإلهامُ وحديثُ المَلَك الاكتسابَ في العلم ولا في محلّه ولا في سببه، ولكن يفارقُه في طريقة زوال الحجاب، وجهته.

ولم يفارق الوحيُ الإلهامَ والحديثَ في شيء من ذلك، بل في شدّة الوضوح والنوريّة ومشاهدة المَلَك المفيد للعلم.

والكلُّ مشتركٌ في أنّه بواسطه المَلَك الذي هو القلم، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [٩٦/٤].

ولعلّ الإشارة إلى هذه المراتب الثلاث في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [٤٢/٥١].

قال بعض العارفين[١]:

«إذا كان الحقُّ هو المكلِّم عبدَه في سرِّه بارتفاع الوسائط، فإنّ الفهمَ يستصحب كلامَه، فيكون عينُ الكلام منه عينَ الفهم منك، لايتأخّر عنه، فإن تأخّر عنه فليس هو كلامُ الله، ومن لم يجد هذا فليس عنده علمٌ بكلام الله عباده، فإذا كلّمه بالحجاب الصوري بلسان نبيّ أو مَن شاء الله من العالَم فقد يصحبه الفهمُ، وقد يتأخّر».

١ـ ابن عربي: الفتوحات المكية، الباب السادس والستون وثلاثمأة: ٣٣٤/٣.

أقول : وهذا فرقٌ آخر بين الاكتساب وبين الثلاثة ، ولعلّه أراد بارتفاع الوسائط ارتفاعَ الوسائط البشريّة خاصّة ، لتوقُّف الثلاثة ـ أيضا ـ على توسُّط المَلك كما دريت .

* * *

قال بعض العلماء[1] في الفرق بين مقام الأنبياء والأولياء و بين مقام العلماء :

«إنّا لوفرضنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يُساق إليه الماءُ من فوقه بأنهار يفتّح إليه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقرِّ الماء الصافي ، فينفجر الماءُ من أسفل الحوض ، ويكون ذلك أصفى وأدوم ، وقديكون أغزَر وأكثرَ .

فكذلك القلبُ مثلُ الحوض ، والعلمُ مثلُ الماء ، والحواسُّ الخمسُ مِثل الأنهار ، ويمكن أن يُساق العلومُ إلى القلب بواسطة أنهار الحواسِ والاعتبار بالمشاهدات ، حتّى يمتلئ علما ، ويمكن أن يسدَّ عنه هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغضِ البصر ، ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحُجب عنه ، فينفجر ينبوعُ العلم من داخله .

وحديث أهل الصين والروم في تصوير جانبي الصفّة المُرخى بينهما سترا ـ بكدّ الروميّين وصبغهم بالأصباغ الغريبة ، وتجلية

---

١ ـ مقتبس من إحياء علوم الدين : كتاب شرح عجائب القلب ، بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس : ٢٣/٣ .

أهل الصين وتصقيلهم من غير صبغ ـ مشهورٌ، وهو مثال حسَن للفرق بين المقامين[1].

وإلى الفرق بينهما ـ أيضا ـ أشار من قال[2] : «أخذتُم علمَكم ميِّتا عن ميِّتٍ، وأخذنا علمَنا عن الحيِّ الذي لايموت».

١ـ جاء تفصيل الحكاية في الإحياء : ٣/٣٥ـ٣٦ وفي الدفتر الأول من المثنوي المعنوي (الأبيات ٣٤٦٦ـ٣٤٨٨) :

ورمثالى خواهى از علم نهان	قصه گو از روميان وچينيان
چينيان گفتند : «ما نقّاش تر»	روميان گفتند : «مارا كرّ و فرّ»
گفت سلطان : امتحان خواهم درين	كز شماها كيست در دعوى گُزين
اهل چين وروم چون حاضر شدند	روميان در علم واقف تر بُدند
چينيان گفتند : يك خانه به ما	خاص بسپاريد ، و يك آنِ شما
بود دو خانه مقابل ، در به در	زان يكى چينى ستد ، رومى دگر
چينيان صد رنگ از شه خواستند	پس خزينه باز كرد آن ارجمند
هرصباحى از خزينه رنگها	چينيان را راتِبه بود وعطا
روميان گفتند : نه نقش ونه رنگ	در خور آيد كار را جز دفع زنگ
در فروبستند و صيقل مى زدند	همچو گردون ساده و صافى شدند
از دوصدرنگى ، به بيرنگى رهيست	رنگ چون ابرست وبيرنگى مهيست
هرچه اندر ابر ضَو بينىّ وتاب	آن زاختر دان وماه وآفتاب
چينيان چون از عمل فارغ شدند	از پى شادى دُهلها مى زدند
شه درآمد ديد آنجا نقشها	مى ربود آن عقل را وفهم را
بعد از آن آمد به سوى روميان	پرده را بالا كشيدند از ميان
عكس آن تصوير وآن كردارها	زد برين صافى شده ديوارها
هرچه آنجا ديد اينجا به نمود	ديده را از ديده خانه مى ربود

٢ـ نسب إلى أبي يزيد البسطامي : شطحات الصوفية : ٧٧. راجع الفتوحات المكية : ٣١/١، مقدمة الكتاب. وجاء في قوت القلوب (الفصل الثلاثون : ١٢١/١) وإحياء العلوم (كتاب شرح عجائب القلب ، ٣٩/٣) : «وقدكان أبويزيد وغيره يقولون : ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله ، فإذا نسي ماحفظ صار جاهلا ، إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه عزّ وجلّ أي وقت شاء بلاتحفظ ولادرس».

فصل [٢]

[الوحي وكيفية أخذه]

قيل[1] :

«السرُّ في اطِّلاع النبيّ على المَلَك الموحي دون غيره أنّه لمّا صقل روحه بصقالة العَقل للعبوديّة التامّة، وزالت عنه غشاوةُ الطبيعة ورين المعصية بالكلّيّة وكانت قدسيّة شديدة القوى، قويّة الإنارة لما تحتها، لم يشغلها جهةُ فوقها عن جهة تحتها، فيضبط الطرفين ويسع الجانبين، ولا يستغرقها حسُّها الباطن عن حسِّها الظاهر، فإذا توجّهت إلى الأُفق الأعلى، وتلقّت أنوار المعلومات بلا تعليم بشريّ من الله، يتعدّى تأثيرُها إلى قواها، وتتمثّل صورة ما يشاهده لروحها البشري، ومنها إلى ظاهر الكون، فتمثّل للحواسِّ الظاهرة سيّما السمع والبصر ـ لكونهما أشرف الحواسِّ الظاهرة وألطفها ـ فيرى شخصا محسوسا، ويسمع كلاما منظوما في غاية الجودة والفصاحة، أو صحيفة مكتوبة.

فالشخص هو المَلَك النازل الحامل للوحي الإلهي، والكلام هو كلام الله، والكتاب كتابه، وقد نزل كلٌّ منها من عالم الأمر القول القضائي، وذاتِه الحقيقيّة، وصورته الأصليّة،

---

١ ـ راجع مفاتيح الغيب : ٣٤، الفاتحة الثامنة من المفتاح الأول. الأسفار الأربعة : ٢٥/٧. وقد أورده المؤلف ـ قده ـ في الوافي (٧٨/٢) أيضا بألفاظه.

إلى عالم الخلق الكتابي القدري في أحسن صورة و أجمل كسوة ؛ كتمثُّل جبرئيل عليه السلام لنبيِّنا صلى الله عليه وآله في صورة دِحية بن خليفة الكلبي الذي كان أجمل أهل زمانه[1] .

وما رآه في صورته الحقيقيّة إلاّ مرّتين[2] : وذلك أنّه صلى الله عليه وآله سأله أن يُرِيَه نفسَه على صورته ، فواعده ذلك بحراء ، فطلع له جبرئيل عليه السلام ، فسدَّ الأُفق من المشرق إلى المغرب .

وفي رواية كان له ستّمأة جناح .

ورآه مرّةً أُخرىٰ على صورته ليلةَ المعراج عند سدرة



المنتهى .

ـ انتهى ـ .



١ـ دِحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي صاحب النبي صلى الله عليه وآله ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى هرقل ،راجع ترجمته في سيرأعلام النبلاء :٥٥٠/٢ . طبقات ابن سعد : ٢٤٩/٤ . معجم الطبراني : ٢٢٤/٤ . أُسد الغابة : ٦/٢ الترجمة ١٥٠٧ . وغيرها من الكتب . وورد تمثّل جبرئيل عليه السلام بصورته في عدة روايات ، راجع مصادرالترجمة وأيضا : الكافي : كتاب الدعاء ، باب دعوات موجزات لجميع الحوائج ، ٥٨٧/٢ ، ح٢٥ . أمالي الطوسي : المجلس السابع والعشرون ، ح٧ ، ٦٠٤ . اليقين : الباب الخامس عشر : ١٨ . البحار : ٢٦٧/١٨ ، ح٢٩ . ٢١٠/٢٠ و٢٢٣ . ٤٠٠/٢٢ ، ح٩ . ٩٠/٢٨ ، ح٣ . ٢٩٥/٣٧ ، ٣٠٧/٣٧ . المسند : ١٠٧/٢ .

٢ـ راجع مسلم : كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ولقد رآه . . .﴾ ، ١٥٩/١ ، ح٢٨٧ . البخاري : بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين . . . ، ١٤٠/٤ . دلائل النبوة : باب الدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله عرج به إلى السماء : ٣٧٠/٢ .

وفي الخبر[1] : «إنّ بين عيني إسرافيل لوح، فإذا أراد الله أن يتكلّم بالوحي ضرب اللوحُ جبينَ إسرافيل فنظر فيه، فيقرءُ مافيه، فيُلقيه إلى ميكائيل، ويُلقيه ميكائيل إلى جبرئيل، ويُلقيه جبرئيل إلى الأنبياء عليهم السلام» .

وربّما يعاشر النبيُّ الملائكةَ ويسمع صريفَ أقلامهم؛ كما حكاه نبيُّنا صلى الله عليه وآله[2] أنّه بلغ ليلة المعراج إلى مقامٍ كان يسمع صريفَ أقلام الملائكة .

وربّما يخاطبه الله ـ عزّ وجلّ ـ بلا حجاب، كما وقع له صلى الله عليه وآله في تلك الليلة، فسمع كلامَ الله ـ سبحانه ـ من دون واسطة؛ وكما وقع للكليم عليه السلام .

* * *

ولضبطه الجانبين واستعماله المشاعر الحسيّة وتشييعها في سبيل معرفة الله وطاعة الحق وانجذاب قوّة الحسِّ الظاهر إلى فوق: ربّما يقعُ لحواسِّه الظاهرة شِبه دهش ونوم؛ ولنفسه شبهُ الغشي، ثمّ يرى ويسمع، وبذلك يقع الإنباءُ.

رُوى في التوحيد[3] بإسناده عن زرارة: أنّه سئل مولانا الصادق

١ـ مضى مايقرب منه في الصفحة ٤٣٣ . راجع أيضا الاعتقادات للصدوق : باب الاعتقاد في الوحي . تفسير القمي : الآية : البروج/ ٢١ ، ٢/ ٤٤٣ . راجع أيضا ماجاء في معاني الأخبار : باب معنى الحروف المقطعة ، ٢٣ ، ح١ .
البحار : ١٨/ ٢٤٨ ، ح١ . ١٨/ ٢٥٨ ، ح١٠ . ٥٧/ ٣٦٨ ، ح٥ .

٢ـ البخاري : كتب الصلاة ، الحديث الأول ، ١/ ٩٨ : «. . . ثمّ عُرج بي حتّى ظهرتُ لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام . . .» .

٣ـ التوحيد : باب ماجاء في الرؤية ، ١١٥ ، ح١٥ . عنه البحار : ١٨/ ٢٥٦ ، ح٦ .

عليه السلام عن الغشيةِ التي كانت تصيبُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحيُ ؟
ـ قال :ـ

فقال : «ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ، ذاك إذا تجلّى اللهُ له» .

ـ قال :ـ ثمّ قال : «تلك النبوّةُ ـ يازرارة» ـ وأقبلَ يتخشّع ـ .

وفي رواية أُخرىٰ رواها في إكمال الدين[١] بإسناده عنه عليه السلام : أنّه سُئل عن الغشيةَ التي كانت تأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله : « أكانت تكون عند هبوط جبرئيل عليه السلام » ؟

فقال : «لا ، إنّ جبرئيل كان إذا أتى النبيّ عليه السلام لم يدخل عليه حتّى يستأذنه ، فإذا دخل عليه قعدَ بين يديه قعدةَ العبد ـ وإنّما ذلك عند مخاطبة الله ـ عزّ وجلّ ـ إيّاه بغير ترجمان وواسطة » .

ورُوي [٢] أنّه سأل الحارث بن هشام[٣] رسولَ الله صلى الله عليه وآله : « كيف يأتيكَ الوحيُ » ؟

١ـ كمال الدين : مقدمة المصنف : ٨٥. عنه البحار : ١٨/٢٦٠ ، ح١٢ .

٢ـ البخاري : بدء الوحي ، ١/٢ـ٣. مسلم ، بلفظ يقرب منه : كتاب الفضائل ، باب عرق النبي صلى الله عليه وآله في البرد وحين يأتيه الوحي ، ٤/١٨١٦ ، ح٨٧. أُسد الغابة : ترجمة الحارث بن هشام : ١/٤٢٠ـ٤٢١ ، الترجمة ٩٧٩ .

٣ـ حارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أخو أبي جهل . قال ابن سعد (الطبقات : ٥/٤٤٤) : «أسلم الحارث بن هشام يوم الفتح ، فلم يزل مقيما بمكة ، حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله . . .» وفي أسد الغابة (١/٤٢١) : «خرج إلى الشام مجاهدا أيام عمر بن الخطاب بأهله وماله ، فلم يزل يجاهد حتّى استشهد يوم اليرموك ، في رجب من سنة خمس عشرة . وقيل بل مات في طاعون عمواس سنة سبع عشرة ؛ وقيل سنة خمس عشرة» . راجع سير أعلام النبلاء : ٤/٤١٩ . المستدرك للحاكم : ٣/٢٧٧ . تهذيب التهذيب : ١/٤٢٠ . خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : ٦٩ .

فقال : « أحيانا مثل صلصلة الجرَس ـ وهو أشدُّه عليَّ ، فيفصم عنّي وقد وعيتُ عنه ماقال ـ و أحيانا يتمثّل لي الملكُ رجلاً ، فيكلِّمني فأعي ما يقول» .

قيل : إنّما كان يأتيه مثل صلصلة الجرَس ـ وهو وقْع بعضِ الحديد على بعض ، شُبِّه شدّةَ صوت المَلَك وقوّته بذلك ـ فيشتغل بالوحي عن أمور الدنيا ؛ والمعنى أنّ الوحي كان إذا ورد عليه يتغشّاه كرب ـ و ذلك لثقل ما يُلق إليه ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [٥/٧٣] ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا ﴾ [٢١/٥٩] .

وقد أُوحي إليه مرّة وهو على فخذ بعض الصحابة ؛ قال[١] : «فثقلَ عليَّ فخذي نبيُّ الله حتّى خشيتُ أن يرضّ فخذي» . ولذلك كان يعتريه مثلُ حال المهموم ، كان جبينُه يتفصّد عرَقا ، وذلك لبيان صبره ولحسن تأدُّبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلَّفه من أعباء الرسالة .

قيل : نزل جبرئيلُ على ﷺ آدم اثنتي عشرة مرّة ، وعلى إدريس أربع مرّات ، وعلى نوح خمسين مرّة ، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرّة ـ مرّتين في صِغَره وأربعين في كِبَره ـ وعلى موسى أربعمأة مرّة ، وعلى عيسى عشر مرّات ـ ثلاث مرّات في صغَره وسبع مرّات في كبَره ـ وعلى نبيِّنا محمّد ﷺ أربعا وعشرين ألف مرّة ـ صلوات الله عليهم ـ

---

١ ـ أخرج البخاري (كتاب الصلاة ، باب مايذكر في الفخذ ، ١/١٠٣) عن زيد بن ثابت ، قال : «أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي ، فثقلت عليّ حتّى خشيت أن يرضّ فخذي» . وأورده بلفظ يقرب منه في كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، ٦/٦٠ . وكذا في الترمذي : كتاب التفسير ، سورة النساء ، ح٣٠٣٣ ، ٥/٢٤٢ .

[٤]

باب

الفرق بين الرسول والنبيّ

والإمام والوليّ

﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَ لانَبِيٍّ ﴾

وفي قراءة أهل البيت : «ولا محدَّث» _ الآية

[٢٢/٥٢]

فصل [١]

النبيُّ : مَن أُوحي إليه بالعمل .

والرسولُ : مَن أُوحي إليه بالعمل والتبليغ .

والوليُّ : مَن حدَّثه المَلَكُ ، أو أُلهم إلهاما بالعمل .

والإمامُ : مَن حدَّثه المَلَكُ بالعمل والتبليغ .

فكلُّ رسول نبيٌّ ولا عكس ، وكلُّ رسولٍ أو نبيّ أو إمامٍ فهو وليٌّ ومحدَّثٌ ولاعكس ، وكلُّ رسولٍ إمامٌ ولاعكس .

ولا نبيّ إلاّ وولايتُه أقدمُ على نبوّته ، ولا رسول إلاّ ونبوّته أقدمُ على رسالته ، ولاإمام إلاّ وولايتُه أقدمُ على إمامته .

والولايةُ باطن النبوّة والإمامةُ، والنبوّة باطنُ الرسالة؛ وباطنُ كلّ شيءٍ أشرف وأعظم من ظاهره، لأنّ الظاهر محتاجٌ إلى الباطن، و الباطن مستغنٍ عن الظاهر؛ ولأنّ الباطن أقرب إلى الحقِ، فكلٌّ مرتبة من المراتب المذكورة أعظم من لاحقته وأشرف.

وأيضا فإنّ كلاّ من النبوّة والولاية صادرة عن الله ومتعلِّقةٌ بالله، وكلٌّ من الرسالة والإمامة صادرة عن الله ومتعلِّقة بعباد الله ؛ فيكون الأُوليان أفضل.

وأيضا كلٌّ من الرسالة والإمامة متعلِّقٌ بمصلحة الوقت، والنبوّة والولاية لاتعلّق لها بوقتٍ دون وقتٍ.

وقيل: بل الأخيرتان أفضل، لأنّ نفعها متعدّ، ونفعُ الأوليين مقصورٌ على صاحبيها ـ وله وجهٌ، إلاّ أنّ التحقيق هو الأوّل.

وكيف ما كان فليس يجب أن يكون الوليُّ أعظم من النبيّ، ولا من الرسول، ولا من الإمام؛ ولا النبيُّ أعظمُ من الرسول؛ بل الأمر في الكلِّ بالعكس في وليّ يتّبع نبيًا أو رسولاً أو إماما؛ أو نبيٍّ يتّبع رسولاً؛ لأنّ لكلٍّ من النبيّ والإمام مرتبتان، وللرسول ثلاث مراتب، وللولي الواحدة.

فمن قال: «إنّ الوليّ فوق النبيّ» فإنّما يعني بذلك في شخص واحد، يعني أنّ النبيّ من حيث أنّه وليٌّ أشرفُ منه من حيث أنّه نبيٌّ ورسول؛ وكذا الإمام من حيث أنّه وليٌّ أشرف منه من حيث أنّه إمامٌ.

كيف يكون الوليُّ أفضل من النبيّ مطلقا ولا وليّ إلاّ وهو تابعٌ للنبيِّ أو الإمام، والتابع لايدرك المتبوع أبدا فيما هو تابعٌ له فيه؛ إذ

لوأدركه لم يكن تابعا ؛ نعم، قد يكون وليٌّ أفضل من نبيّ، إذا لم يكن تابعا له، كماكان أميرالمؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء ـ بعد نبيِّنا صلى الله عليه وآله ـ وكذا أولاده المعصومون عليهم السلام[1].

فصل [٢]

رُوي في الكافي والبصائر[2] بإسنادهما الصحيح، عن مولانا الباقر عليه السلام أنّه سُئِل عن الرسول والنبيّ والمحدَّث ؟ ـ قال :ـ

«الرسولُ: الذي يأتيه جبرئيلُ قُبلاً، فيراه ويكلِّمه ؛ فهذا الرسول.

وأمّا النبيُّ: فهو الذي يَرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ماكان رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوّة قبل الوحي، حتّى أتاه

١ـ كتب أولا ما يلي ثم شطب على قسم منه وبقي كما في المتن :

ومايقوله أصحابنا رحمهم الله ـ : «كان أميرالمؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وكذا أولاده المعصومين عليهم السلام» ـ يرجع عندالتحقيق إلى هذا المعنى ؛ يعني أنّ مرتبتهم من حيث الولاية أعظم من مرتبة الأنبياء والرسل من حيث الولاية ـ لاغير ـ ولاشك أنه كذلك، وإلا فرتبة النبوة والولاية أعظم من أن يكون فوقها مرتبة ـ دنيا وآخرة ـ ولهذا كان الأولياء والأوصياء دائما محتاجين إلى الأنبياء والرسل ـ سلام‌الله عليهم أجمعين ـ في القوانين الشرعية والأحكام الإلهية ؛ ومن عدم التفطن لهذا وسوء الفهم نشأ إلحاد الإسماعيلية وأمثالهم وشرك النصيرية وأضرابهم ـ فافهم ـ ولنذكر الأخبار الواردة في هذا المقام عن أهل البيت عليهم السلام تأكيدا لما قرّرناه وتشييدا لما أصّلناه.

٢ـ الكافي : كتاب الحجة، باب الفرق بين الرسول والنبيّ والمحدَّث، ١/١٧٦، ح٣.
عنه البحار : ١٨/٢٦٦، ح٢٧. وجاء مايقرب منه في بصائرالدرجات : الجزء الثامن، باب (١) الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة، ٣٧٢، ح١٣. عنه البحار : ١١/٥٤، ح٥١. وعن الصادق عليه السلام في الاختصاص : ٣٢٩. الوافي : ٢/٧٤.

جبرئيلُ عليه السلام من عندالله بالرسالة ؛ وكان محمّد صلى الله عليه وآله حين جُمع له النبوّة وجاءته الرسالة من عندالله يجيئه بها جبرئيلُ ويكلِّمه بها قُبلاً ؛ ومن الأنبياء من جُمع له النبوّةُ ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلِّمه ويحدِّثه، من غير أن يكون يرى في اليقظة .

وأمّا المحدَّث فهو الذي يحدَّثُ فيسمع ، ولا يعاين ولا يرى في منامه» .

وبإسنادهما[1] الحسَن عن الحسن بن العبّاس المعروفي[2] أنّه كتب إلى الرضا عليه السلام :

«جعلتُ فداك ـ أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام ؟» .

ـ قال : فكتب أوقال ـ :

«الفرقُ بين الرسول والنبيِّ والإمام هو أنّ الرسول الذي نزل عليه جبرئيلُ ، فيراه ويسمع كلامَه ، وينزل عليه الوحيُ ، وربّما أُرِيَ في منامه ـ نحو رؤيا إبراهيم ـ ؛ والنبيُّ ربّما يسمع الكلامَ ، وربّما رأى الشخصَ ولم يسمع الكلام[3] . والإمامُ هو الذي يسمع الكلامَ ولا يرى الشخصَ» .

١ـ الكافي : الباب السابق ، ١/١٧٦ ، ح٢ . عنه البحار : ١١/٤١ ، ح٤٢ . الوافي : ٢/٧٤ . بصائرالدرجات : ٣٦٩ ، الجزء الثامن ، الباب ١ ، ح٤ ، مع فروق يسيرة . وأيضا الاختصاص : ٣٢٨ . عنها البحار : ٢٦/٧٥ ، ح٢٨ .

٢ـ لم يذكر عنه شيءٌ غير روايته هنا . راجع معجم الرجال : ٤/٣٧١ . وفي البصائر : «حسن بن العباس بن معروف» ولكن المنقول عنه في البحار «حسن بن العباس المعروفي» كما في سائر المصادر .

٣ـ قال المؤلف بيانا للحديث في الوافي (٢/٧٤) : كأن المراد به أنه لم يجمع له بين الأمرين ، كما يجمع للرسول .

وفي البصائر[1] بإسناده الصحيح عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال :ـ «الأنبياءُ على خمسة أنواع[2] : منهم مَن يسمع الصوتَ ـ مثل صوت السلسلة ـ فيعلم ما عُني به ؛ ومنهم مَن ينبّأ في منامه ـ مثل يوسف و إبراهيم ـ . ومنهم مَن يعاين . ومنهم من يُنكت في قلبه ، ويوقر[3] في أُذُنه» .

وبإسنادهما[4] عنه وعن مولانا الصادق عليهما السلام[5] : ـ قالا :ـ «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات :

فنبيٌّ منبّأٌ في نفسه لايعدو غيرَها ؛

ونبيٌّ يرى في النوم ويسمع الصوتَ ، ولايعاين في اليقظةِ ولمْ يُبعث إلى أحد ، وعليه إمامٌ ـ مثل ما كان إبراهيم على لوط ـ ؛

ونبيٌّ يرى في نومه ويسمع الصوتَ ويعاين المَلَك ، وقد أُرسل إلى طائفة ـ قلّوا أو كثُروا ـ كما قال الله ليونس : ﴿ وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [٣٧/١٤٧] ـ قال : يزيدون ثلاثين ألفا ـ ؛

١ ـ بصائر الدرجات : الباب السابق ، ٣٦٩ ، ح٦ . البحار عنه و عن العياشي : ٥٣/١١ ، ح٥٠ .

٢ ـ كذا . والمذكور في الحديث أربعة . قال المجلسي ـ ره ـ :«لعله كان مكان خمسة أربعة ؛ أو النقر في الأُذن هو الخامس» .

٣ ـ كذا ، ولعله مصحف «ينقر» كما لمح إليه توضيح المجلسي ـ ره ـ أيضا .

٤ ـ الكافي : كتاب الحجة ، باب طبقات الأنبياء والرسل ، ١٧٤/١ ، ح١ . بصائر الدرجات : الباب السابق ، ح٢٠ ، ص ٣٧٣ . عنه البحار : ٥٥/١١ ، ح٥٢ .
الاختصاص : ٢٢ . عنه البحار : ٢٠٦/٢٥ ، ح١٨ .

٥ ـ في الكافي «قال أبو عبدالله عليه السلام» ،
وفي البصائر : «عنهما عليهما السلام» ، وفي الاختصاص «عنهم عليهم السلام» .

ونبيٌّ يرى في نومِه ويسمع ويصوّت ويعاين في اليقظةِ، وهو إمامٌ، مثل أُولي العزم، وقد كان إبراهيمُ عليه السلام نبيّا وليس بإمام[1] حتّى قال الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي [2] قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [١٢٤/٢] أي من عبد صنمًا أو وثنا»[3] .

فصل [٣]

[المحدَّث]

رُوي في بصائرالدرجات[4] بإسناده عن الحكم بن عتيبة[5] ، قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام يوما، فقال لي: « ياحكم ـ هل تدري ما الآية التي كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعرف بها صاحبَ قتله ويعلم بها الأمورَ العظام الذي كان يحدِّث بها الناس» ؟

١ـ في هامش النسخة : «أي لم يكن مكلفًا بالتبليغ ـ منه ـ».
٢ـ أضيف في البصائر : «بأنه يكون في ولده كلهم».
٣ـ قال ابن الأثير (النهاية : وثن ، ١٥١/٥) : «الفرق بين الوثن والصنم : أنّ الوثن كل ماله جثّة معمولة من جواهرالأرض ، أو من الخشب والحجارة ، كصورة الآدميّ تعمل وتنصب فتُعبد ، والصنم : الصورة بلاجثّة . ومنهم من لم يفرق بينها وأطلقها على المعنيين ، وقديطلق الوثن على غيرالصورة . . .».
٤ـ بصائر الدرجات : الجزء السابع ، باب أنّهم محدَّثون مفهَمون ، ح٣ ، ٣١٩ . عنه البحار : ٦٧/٢٦ ، ح٥ . الكافي : باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون ، ٢٧٠/١ ، ح٢ ، مع فروق يسيرة .
٥ـ كذا في النسخ . ولكن في المصدر والمنقول عنه في البحار والكافي «الحكم بن عيينة» .
قال صاحب قاموس الرجال :«إنه (الحكم بن عيينة ، و بن عتيبة) رجل واحد ، إلا أنه لايعلم الأصل في اسم أبيه : هل هو من العتب ، أو من العين» . والرجل منحرف عن الأئمة وقد ورد في ذمه عدة روايات . راجع الكشي : ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٧٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣ . معجم الرجال : ١٧٢/٦ .

قال الحكم : «فقلت في نفسي : قد وقعتُ على علمٍ من علم عليّ بن الحسين ، أعلمُ بذلك تلك الأمور العظام ـ قال :ـ فقلت : لا والله ، لا أعلم الآية ، أخبرني بها يابن رسول الله» .

قال : «هو و الله قول الله : ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رَّسُولٍ وَ لَانَبِيٍّ﴾ ولا محدَّث» .

فقلت : «وكان عليٌّ بن أبيطالب محدَّثا» ؟

قال : «نعم ، وكلُّ إمامٍ منّا أهل البيت فهو محدَّث » .

وبإسناده[1] عن حمران ، عنه ﷺ ـ قال :ـ قلتُ له : «أليس حدَّثتني أنّ عليّا ﷺ كان محدَّثا» ؟

قال : «بلى» . قلت : «من يحدِّثه» ؟

قال : «مَلَكٌ يحدِّثه» ؟ قلتُ : «أقول : إنّه نبيٌّ أو رسول» ؟

قال : «لا ، ولكن قل : بل مِثل صاحب سليمان ، ومِثل صاحب موسى ، ومَثَله مثل ذي القرنين» .

وبإسناده[2] عن مولانا الصادق ﷺ ـ قال :ـ «كان عليٌّ ﷺ محدَّثا ، وكان سلمان محدَّثا» ـ قال :ـ قلت : «وما آيةُ المحدَّث» ؟

١ـ بصائرالدرجات : الجزء السابع ، باب أن المحدَّث كيف صفته ، ح١١ ، ٣٢٣ . عنه البحار : ٦٨/٢٦ ، ح٨ . الكافي : الباب السابق : ٢٧١/١ ، ح٥ . مع فروق . راجع أيضا ماجاء في الكشي : ١٧٧ .

٢ـ بصائرالدرجات : الباب السابق : ٣٢٢ ، ح٤ . أمالي الطوسي : المجلس الرابع عشر ، ح٦٢ ، ٤٠٧ . عنه البحار : ٣٢٧/٢٢ ، ح٣١ . وعنها : ٦٧/٢٦ ، ح٤ .

قال : «يأتيه مَلَكٌ فينكت في قلبه كيت وكيت» .

وفي رواية أُخرى[١] : «يبعث الله ملكا ، يوقر[٢] في أُذنه كيت وكيت وكيت» .

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام[٣] «إنَّ عليا عليه السلام كان يوم بني قريظة وبني النضير ، كان جبرئيل عليه السلام عن يمينه ، وميكائيل عن يساره يحدِّثانه» .

وفي أُخرى[٤] صحيحة عن أبيه عليه السلام ـ قال :ـ «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يملي على عليّ عليه السلام ، فنامَ نومةً ونَعَسَ نَعسة ، فلمّا رجع نظر إلى الكتاب ، فمدَّ يده ، قالَ : من أملى عليك هذا ؟ قال : أنت . قال : لا ، بل جبرئيل» .

وبإسناده[٥] عنه عليه السلام ـ قال :ـ قال رسول الله : «من أهل بيتي إثناعشر محدَّثا» .

١ـ بصائر الدرجات : الباب السابق ، ح٨ ، ٣٢٣ . عنه البحار : ٢٦/٢٦ ، ح١٥ .

٢ـ كذا في النسخ والبحار . وفي المصدر المطبوع : ينقر . ويوقر ـ من الوَقار ـ قال ابن الأثير (النهاية : وقر) أي سكن فيه وثبت .

٣ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٣٢١ ، ح٧ .
الاختصاص : ٢٨٦ . عنه البحار : ٢٦/٧١ ، ح١٤ . ٤٠/١٤١ ، ح٤١ .

٤ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ٣٢٢ ، ح٥ . عنه البحار : ٢٦/٧١ ، ح١٢ . ١٨/٢٧٠ ، ح٣٤ . ومايقرب منه في الاختصاص : ٢٧٥ .

٥ـ بصائرالدرجات : باب أنهم عليهم السلام محدّثون ، ٣٢٠ ، ح٤ . عنه البحار : ٢٦/٦٧ ، ح٤ . ٤٧/٣٤١ ، ح٢٧ . الغيبة للنعماني : ٦٦ ، ح٦ . البحار : ٣٦/٢٧٢ ، ح٩٥ .
وفي الخصال (أبواب الإثنى عشر ، ح٤٥ ، ٢/٤٧٨) والعيون (باب النصوص على الرضا عليه السلام ، ح٢٣ ، ١/٥٦) عن الصادق عليه السلام : «نحن إثناعشر محدَّثا» . البحار : ٣٦/٣٩٣ ، ح٧ . وفي الغيبة للنعماني ، عن الباقر عليه السلام : «منّا إثناعشر محدَّثا» . وفيه مثله عن الصادق عليه السلام . البحار : ٣٦/٣٩٥ ، ح١١ . ٣٦/٣٩٩ ، ح٦ .

وبإسناده[1] عن الحارث بن المغيرة النصري[2] : قلت لأبي عبدالله ﷺ : «جُعلتُ فداك ـ الذي يُسئل عنه الإمام ليس عنده فيه شيء، مِن أين يعلمه» ؟

قال : «يُنكت في القلب نَكتا ، أو يُنقر في الأُذن نقرا»[3] .

وسأله غيره[4] : «إنَّا نسئلكَ أحيانا فتسرع في الجواب ، وأحيانا تطرق ثمَّ تجيبنا» ؟

قال : «نعَم ـ إنَّه يُنكت في آذاننا وقلوبِنا ، فإذا نُكت نطقْنا ، وإذا أُمسك عنَّا أمسكنا» .

وفي رواية أُخرىٰ[5] : «يكون سماعا ويكون إلهاما ويكونان معا» .

وفي أُخرىٰ[6] : «وحيٌ كوَحي أُمِّ موسى» .

١ـ بصائرالدرجات : باب مايفعل بالإمام من النكت . . . : ٣١٦ ، ح١ . عنه البحار : ٥٧/٢٦ ، ح١٢١ . أمالي الطوسي : المجلس الرابع عشر ، ح٦٤ ، ٤٠٨ . عنه البحار : ١٩/٢٦ ، ح٢ .

٢ـ قال النجاشي (١٣٩ ، الترجمة : ٣٦١) : «حارث بن المغيرة النصري ، من نصربن معاوية ، بصريّ ، روى عن أبي جعفر و جعفر و موسى بن جعفر وزيد بن عليّ ﷺ ، ثقة ثقة . . .» . راجع اختيار معرفة الرجال : ٣٣٧ . معجم الرجال : ٢٠٤/٤ . وجاء في البصائر والمنقول عنه في البحار «النضري» بدلا من النصري .

٣ـ وأُضيف بعده في الأمالي : «وقيل لأبي عبدالله ﷺ : إذا سئل الإمام ، كيف يجيب ؟ قال : إلهامٌ أو إسماعٌ ، وربما جميعاً» .

٤ـ بصائرالدرجات : الصفحة السابقة ، ح٣ . عنه البحار : ٥٧/٢٦ ، ح١٢٣ .

٥ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ح٨ ، ٣١٧ .
الاختصاص : ٢٨٦ . عنها البحار : ٥٨/٢٦ ، ١٢٧ .

٦ـ بصائرالدرجات : الصفحة السابقة ، ح١٠ .
الاختصاص : ٢٨٦ . البحار : ٥٨/٢٦ ، ح١٢٨ .

وفي أُخرى[1] : «وأيُّ شيءٍ المحدَّث» ؟ فقال : « يُنكت في أُذُنه ، فيسمع طنينا كطنين الطست ، أويُقرع على قلبه ، فيسمع وقْعا كوقع السلسلة على الطست»

فقلتُ : «إنّه نبيٌّ» ؟ قال : «لا ، مثلُ الخضر ، ومثلُ ذي القرنين» .

وبإسناده[2] عنه ﷺ أنّه سُئِلَ عن مبلغ علمهم ؟ فقال : «مبلغُ علمنا ثلاثة وجوه : ماضٍ ، وغابرٍ ، وحادثٍ . فأمّا الماضي فمفسّر ؛ وأمّا الغابر فزبور ؛ وأمّا الحادث فقذفٌ في القلوب ، ونقْرٌ في الأسماع ، وهو أفضلُ علمِنا ؛ ولا نبيّ بعد نبيِّنا» .

وبإسناده[3] عن محمّد بن الفضيل[4] - قال :- قلتُ لأبي الحسن ﷺ : روينا عن أبي عبدالله ﷺ أنّه قال : «إنّ علمَنا غابرٌ ، ومزبورٌ ، ونكتٌ في القلب ، ونقرٌ في الأسماع» ؟

١ـ بصائرالدرجات : باب في أن المحدّث كيف صفته . . . ، الرواية الأخيرة ، ٣٢٤ عنه البحار : ٢٦/ ٧٠ و٧٨ ، ح١٠ و٣٥ . الاختصاص : ٢٨٧ .

٢ـ بصائرالدرجات : باب فيه تفسير الأئمة لوجود علومهم الثلاثة ، ح١ عن الصادق ﷺ وح٣ عن الكاظم ﷺ : ٣١٨ـ٣١٩ . عنه البحار : ٢٦/ ٥٩ ، ح١٣٢ .
ورواية الكاظم ﷺ قسم من كتاب له ورد تفصيله في الكافي : الروضة ، ح٩٥ ، ١٢٥/٨ . عنه البحار : ٤٨/ ٢٤٤ ، ح٥١ و ٧٨/ ٣٣١ ، ح٦ .

٣ـ بصائرالدرجات : الباب السابق ، ح٢ ، ٣١٨ . عنه البحار : ٢٦/ ٦٠ ، ح١٢٣ .

٤ـ قال النجاشي (٣٦٧ ، رقم ٩٩٦) : «محمد بن فضيل بن كثير الصيرفي ، الأزدي ، أبوجعفر الأزرق ، روى عن أبي الحسن موسى والرضا ﷺ ، له كتاب ومسائل . . .» .
راجع معجم الرجال : ١٧/ ١٤٥ـ١٤٨ .

قال: «أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا؛ وأمّا المزبور فما يأتينا؛ وأمّا النكتُ في القلوب فإلهامٌ؛ وأمّا النقر في الأسماع فإنّه من المَلَك».

وروى زرارة[1] مثلَ ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام - قال:- قلتُ: «كيف يعلم أنّه من المَلَك، ولايخاف أن يكون من الشيطان - إذا كان لايرى الشخص -»؟

قال: «إنّه يُلقى عليه السكينةُ، فيعلم أنّه مِن المَلَك؛ ولوكان من الشيطان اعتراه فزع؛ وإن كان الشيطانُ - يازرارة - لايتعرّض لصاحب هذا الأمر».

وبإسناده[2] عن مولانا الباقر عليه السلام، أنّه سأله أبوبصير: «بمايعلم عالِمكم - جُعلت فداك»؟

قال: «يا أبامحمّد، إنّ عالمَنا لايعلم الغيبَ، ولو وكّل اللهُ عالمَنا إلى نفسه، كان كبعضكم؛ ولكن يحدّث إليه ساعة بعد ساعة».

وبإسناده[3] عن مولانا الصادق عليه السلام: «إنّ عندنا صُحف إبراهيم، وألواح موسى».

١ـ بصائر الدرجات: الصفحة السابقة. عنه البحار: ٢٦/ ٦٠، ح١٣٤.

٢ـ بصائر الدرجات: باب مايلق شيء بعد شيء...، ح٢، ٣٢٥.
البحار: ٢٦/ ٦٠، ح١٣٦.

٣ـ بصائر الدرجات: الباب السابق، ح٤ و٦، ٣٢٥.
عنه البحار: ٢٦/ ٦١، ح١٣٨. و٢٦/ ١٨٣ح١٢. و١٧/ ١٣٢، ح٨.
مثله في الكافي: ١/ ٢٢٥، ح٤. عنه البحار: ١٧/ ١٣٢، ح٨. ٢٦/ ٢٢١، ح٤٦.

فقال له أبو بصير[1] : «إنّ هذا لهُو العلم» .

قال : «يا أبا محمّد ، ليس هذا هو العلم ؛ إنّما هو الاثرة[2] ؛ إنّما العلم ما يحدث بالليل والنهار ، يوم بيوم ، وساعة بساعة » .

وبإسناده[3] الصحيح أنّه عليه السلام سُئل عن علم عالمهم : «أحكمةٌ تُقذف في صدره ، أو وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، أو نكتٌ يُنكت في أُذُنه» ؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «ذاك وذاك» ثمّ قال : «وراثةٌ من رسول الله ، ومن عليّ بن أبي طالب عليه السلام علمٌ يُستغنى به عن الناس ، ولا يستغنى الناسُ عنه» .



١ـ كما أشرت يوجد روايتان في المصدر والراوي فيهما «ضريس الكناسي» ولكن السائل في أحدهما ضريس نفسه ، وفي الأُخرى أبو بصير ، ولعل هناك سهو في النسخ .

٢ـ في البحار (٢٦/٦١) : «قال الفيروزآبادي : الأثر ـ محركة ـ : بقية الشيء ، ونقل الحديث وروايته ، كالاثارة . والأُثرة ـ بالضم ـ : المكرمة المتوارثة ، والبقيّة من العلم يؤثر كالأثرة والأثارة» .

٣ـ بصائر الدرجات : باب في الأئمة عليهم السلام ورثوا العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله . . . ، ح٢ ، ٣٢٦ .
عنه البحار : ٢٦/٦٢ ، ح١٤٢ .

[٥]

بـاب

الاضطرار إلى الإمام

وذكر صفاته

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
[١٣/٧]

فصل [١]

[ضرورة وجود الإمام]

إنَّ ما ذكر في بيان الاضطرار إلى الرسل ، فهو بعينه جارٍ في الاضطرار إلى أوصيائهم وخلفائهم ـ الأئمّة من بعدهم إلى ظهور نبيّ آخر ـ لأنَّ الاحتياج إليهم غير مختصٍ بوقت دون آخر ، وفي حالةٍ دون أُخرىٰ ؛ ولا يكفي بقاءُ الكتب والشرايع من دون قيّم لها ، عالم بها ؛ ألاترى إلى الفِرق المختلفة كيف تستندون في مذاهبهم كلّها إلى كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لجهلهم بمعانيه وزيغ قلوبهم وتشتّت أهوائهم .

فظهر أنّه لابدَّ لكلِّ نبيّ مرسَل بكتاب من عندالله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن ينصب وصيًا يودع فيه أسرارَ نبوّته ، وأسرارَ الكتاب المنزَل عليه ، ويكشف له مبهمَه ، ليكون ذلك الوصيُّ هو حجّة ذلك النبيّ على قومه ، ولئلاّ تتصرّف الأُمّة في ذلك الكتاب بآرائها وعقولها ، فتختلف وتزيغ

قلوبُها . كما أخبر اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ به فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَ ٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَايَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللهُ وَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [٣/٧] .

فالرسولُ والإمامُ والكتابُ هم الحجّةُ على الأُمّة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [٨/٤٢] .

وأيضا وجودُ الإمام لطف مِن الله ـ تعالى ـ بعبيدِه، لأنّه بوجوده فيهم يجتمع شملهم، ويتّصل حبلهم، وينتصف الضعيفُ من القويّ، والفقيرُ من الغنيّ، ويرتدع الجاهل، ويتيقّظ الغافلُ ؛ فإذا عَدِمَ بطل الشرعُ وأكثرُ أحكام الدين وأركان الإسلام ـ كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضايا، ونحو ذلك ـ فتنتفي الفائدةُ المقصودة منها .

وأمّا غيبةُ بعض الأئمّة في بعض الأحيان، وتعطُّل الأحكام في المُدد المتطاولة : فإنّما ذلك من جهة الرعيّة دون الإمام، فليس ذلك نقصا على لطف الله ـ سبحانه ـ فإنّما على الله ـ عزّ وجلّ ـ إيجادُ الإمام للرعيّة ليجمع به شملهم، فإن لم يمكّنوه من فِعله ـ لعدم قابليّتهم وسوءِ استعدادهم ـ فما على الله من ذلك حجّة : ﴿ فَمَا كَانَ ٱللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣٠/٩] ؛ و ذلك كما في سائر الكمالات والخيرات، فإنّها إنّما تفيض على العباد بقدر قابليّتهم . مع أنّ ما في الغيبة من الخيرات والحِكَم ـ من تضاعف مثوبات المؤمنين بها، المصدِّقين بوجود الإمام في أعمالهم الصالحات ـ ما يسهل معها فواتُ إقامةِ الحدود ونحوها . وسيأتي تمامُ الكلام في ذلك إن شاء الله .

فصل [٢]

[صفات الإمام]

ويجب أن يكون أفضل الأمّة ، و أقربهم إلى الله ـ سبحانه ـ وأن تجتمع فيه خصال الخير المفرّقة في غيره ـ مثلُ العلم بكتاب الله وسنّة رسوله ، والفقْهِ في دين الله ، والجهاد في سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله ، والزهد فيما بيَد خلْق الله ، إلى غير ذلك من الخيرات ـ .

وأن يكون معصوما من الزيغ والزلل والخطأ في القول والعمل ، منزّها عن أن يحكم بالهوى أو يميل إلى الدنيا .

وقد مرّ حديثُ عصمة الإمام[1] .

وفي معاني الأخبار[2] بإسناده عن مولانا الكاظم ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن السجّاد عليه السلام قال : «الإمام منّا لايكون إلاّ معصوما ؛ وليست العصمة في ظاهر الخَلْق فيُعرف بها ، ولذلك لايكون إلاّ منصوصا» .

فقيل له : «يابن رسول الله ، فما معنى المعصوم» ؟

فقال : «هو المعتصِمُ بحبلِ الله ، وحبلُ الله هوالقرآن ؛ لايفترقان إلى يوم القيامة ؛ والإمام يهدي إلى القرآن ، والقرآن يهدي إلى الإمام ؛ وذلك قولُ الله ـ عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [١٧/٩] .

١ـ راجع الفصل السادس من الباب الثاني من هذا المقصد ، ص٤٧٤ .

٢ـ معاني الأخبار : باب معنى عصمة الإمام ، ١٣٢ ، ح١ . عنه البحار : ١٩٤/٢٥ ، ح٥ .

وبالجملة، كلُّ ما اشترط في النبيِّ من الصفات فهو شرطٌ في الإمام، ما خلا النبوّة.

قال مولانا الصادق عليه السلام[1] : «كلُّ ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فلنا مثلُه إلاّ النبوّة والأزواج».

أقول: وذلك لما دريت أنّ الغرضَ الأصلي من بعثة الأنبياء والرُسل تقويةُ الجنبة العالية، واستخدام الغيب للشهادة؛ لا لمجرّد السياسة الحافظة للاجتماع الضروري؛ ولأجل ذلك عبءُ الأمانة ثقيلٌ، وخَطْبُها جليلٌ، وأمرُها عظيمٌ، وخطَرُها جسيمٌ.



فصل [٣]

[الإنسان الكامل غرض الخلقة]

إعلم أنّ الغاية القصوىٰ والفائدة العظمىٰ من إيجاد العالم الحسّي إنّما هي خِلقةُ الإنسان؛ و غايةُ خِلقة الإنسان بلوغُه إلى أقصى درجة الكمال، واتّصاله بالملأ الأعلى، ومعرفتُه للمعبود الحقّ، والعبوديّةُ الكاملة له ـ عزّ وجلّ ـ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥١/٥٦].

فخِلقةُ سائر الكائنات ـ من الجمادات والنباتات والحيوانات ـ إنّما هي لضرورة تعيُّش الإنسان واستخدامه إيّاها وانتفاعه بها، ولئلاّ يهمل

١ـ حكاه المجلسي ـ قده ـ في البحار (٢٦/٣١٧، ح٨٣) نقلا عن كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء للحسن بن سليمان.

فضالةُ الموادِّ التّي قد صُرِف صفوُها وزُبدتُها في تكوُّن الإنسان ؛ فإنَّ الحكمة الإلٰهيّة والرحمة الرحمانيّة تقتضي أن لايفوت حقٌّ من الحقوق ؛ بل يصيب كلُّ مخلوق من السعادة قدرا يليق به ويحتمله ويستعدُّ له .

و الدليلُ[1] على أنّ الإنسان هو الغرضُ الأصلي من بين الكائنات تسخيرُالله ـ عزّ وجلّ ـ له كلّها كما قال ـ جلّ جلالُه ـ : ﴿ وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤٥/١٣] .

﴿ وَ سَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ وَ ٱلشَّمْسَ وَ ٱلْقَمَرَ وَ ٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [١٦/١٢-١٣] .

قال بعض المحقّقين :

« التسخيرُ على ضربين : حقيقيٌّ ، وغير حقيقيّ . أمّا الغير الحقيقي فهو على ثلاثة أقسام :

أدناها الوضعيُّ العرضيُّ ؛ كتسخيرالله ـ سبحانه ـ للإنسان وجهَ الأرض وما فيها للحرث والزرع وغيرذلك ، و ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢٢/٦٥] جميعا .

ومن ذلك تسخيرُ الجبال والمعادن : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ [١٦/٨١] .

---

١ ـ عين اليقين : ٣٩١ .

ومنه تسخيرُ البحار : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٦/١٤] .

ومنه تسخيرُ الفُلك : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾[١٤/٣٢] .

ومنه تسخيرُ الأشجار للغرس وأخذ الثمار وغيرها : ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ ﴾[1] [٦/١٤١] ﴿ كُلُوا وَٱرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ [٢٠/٥٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ ﴾ [١٦/١٠-١١] ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [١٦/٦٧] ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [٣٦/٨٠] .

ومنه تسخيرُ الدوابّ والأنعام للركوب والزينة وحمل الأثقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [٣٦/٧١-٧٢] ﴿ وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [١٦/٥-٨] .

ومنه تسخيرُ النسوان والجواري للنسل والتوليد ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [٢/٢٢٣] .

١ـ في النسخ : كلوا من الثمرات . والصحيح ما أثبتناه .

وأوسطها التسخير الطبيعي : وهو تسخيرُ جنود القوىٰ النباتيّة ومواضعها له للتغذية والتنمية والتوليد والجذب والإمساك والهضم والدفع والتصوير والتشكل .

وأعلاها التسخير النفساني : وهو تسخير الحواسّ :

وهي على صنفين : صنفٌ من عالم الشهادة ، وصنف من عالم الغيب :

أمّا الأوّل فلايستطيعون له خلافا ، ولا عليه تمرُّدا ، فإذا أمرَ العينَ بالانفتاح انفتحت ، وإذا أمَر اللسانَ بالتكلُّم وجزم الحكمَ به تكلّم ، وإذا أمَر الرِجلَ بالحركة تحرّكت ـ وكذا سائرُ الأعضاء الظاهرة .

وأمّا الثاني فكذلك ، إلاّ أنّ الوهمَ له شيطنةٌ بحسب الفطرة ، يقبل إغواء الشيطان فيعارض العقلَ في مقاصِده البرهانيّة الإيمانيّة ، فيحتاج إلى تأييد جديد أُخرويّ من جانب الله ليقهره ويغلب عليه ويطرد ظلماته .

وأمّا التسخير الحقيقي فهو عبارةٌ عن تسخيرالله المعاني العقليّة الإلهيّة للكامل من الإنسان ، وجعلِه بقوّته الباطنيّة إيّاها صوَرا روحانيّة ، أو أمثلة غيبيّة موجودة في عالمه العقلي والخيالي ، ونقله الأشياءَ من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتزاعه من الجزئيّات ، وقبضِه الأرواحَ من موادِّ الأجسام والأشباح بإمداد الله من اسمه «القابض» ، راجعا من عالم الدنيا إلى الآخرة ، ومنقلبا من حالة التفرقة والافتراق إلى حالة الجمع والتلاق ـ انتهى كلامه ـ

[لايخلو الأرض من خليفة الله تعالى]

ولمّا ثبت أنّ خلق هذا العالم الجسماني إنّما هو لأجل الإنسان، فالملائكةُ المدبِّرون له كلُّهم خادمون له، مسخّرون لأجله، مطيعون إيّاه، سماويين كانوا أم أرضيِّين، موكّلين به أم بسائر ماخُلق لأجله[1].

وبالجملة ـ فالغرض الأصلي من خلق الموجودات مطلقا إنّما هو وجودُ الإنسان الكامل، الذي هو خليفةُ الله في أرضه؛ كما أُشير إليه في الحديث القدسي[2]: «يابن آدم، خَلَقتُ الأشياء لأجلك، وَخَلَقتُكَ لأجلي».

وفي حديث آخر مشهور ـ خطابا لنبيّنا ـ[3]: «لولاك لما خلقتُ الأفلاك».

وعن أهل البيت[4]: «نحن صنائعُ الله، والناسُ بعدُ صنائع لَنا، مصنوعين لأجلنا».

وعن النبيّ[5] ـ في حديث طويل قاله لأميرالمؤمنين : «إنّ

---

١ ـ كتب أولا مايلي ثم شطب عليه: «وكأن هذا هوتأويل السجود المأموربه الملائكة لآدم ـ والله أعلم ـ».

٢ ـ لم أعثر عليه في الجوامع الروائية، و ورد كثيرا في مكتوبات العرفاء؛ جاء في الفتوحات المكية (٢٩٥/١، الباب الستون): «وأنزل الله في التوراة: يابن آدم، خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي».

٣ ـ أورده المجلسي ـ ره ـ في البحار (٢٨/١٥ و١٩٩/٥٧) عن كتاب الأنوار المنسوب إلى الشيخ أبي الحسن البكري؛ وقد ورد مضمونه في عدة من الروايات منها الذي تذكر بعد الرواية التالية.

٤ ـ جاء في نهج البلاغة (الكتاب ٢٨): «... فإنّا صنائع ربّنا والناس بعد صنائع لنا».

٥ ـ كمال الدين: باب نصّ الله عزّ وجلّ على القائم : ٢٥٤، ح٤.

الله ـ تبارك وتعالى ـ فضّل أنبياءه المرسَلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك ـ ياعلي ـ وللأئمة منْ بعدك، وإنَّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا.

ياعلي: الذين يحملون العرش ومَن حوله يسبِّحون بحمدِ ربِّهم ويستغفرون للذين آمنوا بربّهم وبولايتنا.

ياعلي: لولا نحن ماخلَق الله ـ تعالى ـ آدم، ولاحوّاء، ولا الجنّة ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض» ـ الحديث ـ

وسيأتي تمامُه فيما بعد.

وعن مولانا الصادق ﷺ، عن أبيه الباقر، عن أبيه السجّاد ﷺ، قال: «نحن أئمّة المسلمين، وحُجج الله على العالمين، وسادةُ المؤمنين، وقادةُ الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل السماء، ونحن الذين بنا يُمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميدَ بأهلها، وبنا ينزِّل الغيثَ، وتنشر الرحمةَ، ويخرج بركات الأرض، ولولا مافي الأرض منّا لساخَتْ بأهلها».

ثمّ قال: «ولم تخلُ الأرضُ منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهرٍ مشهورٍ، أو غائبٍ مستورٍ، ولاتخلو إلى أن تقوم الساعةُ من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله».

ـ قال الراوي: ـ فقلتُ للصادق ﷺ: «فكيف ينتفعُ الناسُ بالحجّة الغائب المستور»؟

قال : « كما ينتفعون بالشمس إذا سترَها سحابٌ» .

رواهما الشيخ الصدوق في إكمال الدين وإتمام النعمة[1] ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

وإذا ثبت ذلك ، ثبت أنّه لابدّ في كلِّ زمان من وجود خليفة يقومُ به الأمر ويدومُ به النوع ، ويحفظ به البلاد ، ويهتدي به العباد ، ويُمسك به السماوات والأرضون ، وإلاّ فيكون الكلُّ هباءً و عبثا ، إذ لاترجع إلى غاية ، ولا تؤول إلى عاقبة ، ففنيَتْ إذن وخربتْ ، وساخت الأرضُ بأهلها . كما في الحديث المذكور :

«فلو خلقَ الله الخليقةَ خلوا من الخليفة لكان قد عرضَهم للتلف»[2]

ولهذا لمّا أراد الله ـ عزّ وجلّ ـ خلق الناس قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٢/٣٠] فبدأ بالخليفة قبل الخليقة ؛ والحكيمُ العليم يبدؤ بالأهمِ دون الأعمّ .

وتصديق ذلك قول مولانا الصادق عليه السلام[3] في الصحيح : «الحجّةُ قبل الخَلق ، وبعد الخَلق ، ومع الخَلق» .

---

١ ـ إكمال الدين : باب العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام ، ٢٠٧ ، ح٢٢ .
أمالي الصدوق : الحديث الأخير من المجلس الرابع والثلاثون : ٢٥٢ـ٢٥٣ .
وأورده الطبرسي ـ ره ـ في الاحتجاج : ١٥١/٢ . عنها البحار : ٥/٢٣ ، ح١٠ .

٢ ـ إكمال الدين : مقدمة المصنف : ٤ .

٣ ـ لفظ الحديث : «الحجّة قبل الخلق ، ومع الخلق ، وبعد الخلق» الكافي : كتاب الحجّة ، باب أن الحجّة لاتقوم على خلقه إلا بإمام : ١٧٧/١ ، ح٤ .
كمال الدين : الصفحة السابقة . و٢٢١ ، ح٥ . و ٢٣٢ ، ح٣٦ .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ يَكفُرْ بِهَا هٰؤلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَومًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [٨٩/٦] ، دلَّ على أنَّه لايخلو كلُّ زمان من حافظٍ للدين ، إمّا نبيّ أو إمام .

وقال عزّ وجلّ ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [٢٤/٣٥] . وهذا عامٌّ في سائر الأُمم ، وعمومُه يقتضي أنَّ في كلِّ زمانٍ ـ حصلت فيه أُمَّةٌ مكلَّفةٌ ـ نذيرا ؛ ففي أزمنة الأنبياء ﷺ هم النُذُر للأُمم ، وفي غيرها الأئمَّةُ ﷺ .

وقال سبحانه : ﴿ وَيَومَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [٨٩/١٦] ، وقال : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ [٤١/٤] .

وقال النبيُّ ﷺ ـ في طرقٍ متعدِّدة وألفاظ متكثّرة[1] :ـ « في كلّ خَلَفٍ من أُمَّتي عدلٌ من أهل بيتي ، ينفون عن الدين تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين » .

ولنزد من الأخبار تأكيدا وتشييدا .

١ـ كمال الدين : باب أن الأرض لاتخلو من حجة ، ٢٢١ ، ح٧ . وما يقرب منه في قرب الإسناد : ٧٧ ، ح٢٥٠ . عنه البحار : ٣٠/٢٣ ، ح٤٦ . والتفسير المنسوب إلى العسكري ﷺ : في تفسير ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ : ص٤٧ . عنه البحار : ٢٢٢/٢٧ ، ح١١ . اختيار معرفة الرجال : ٤ . عنه البحار : ٩٢/٢ ، ح٢٢ .
وقريب منه ماروي عن الصادق ﷺ في بصائر الدرجات : ١٠ـ١١ .
الاختصاص : ٤ . عنها البحار : ٩٢/٢ .
الكافي : كتاب فضل العلم ، باب صفة العلم وفضله . . . : ٣٢/١ ، ح٢ .

فصل [٤]

[وجوب وجود الحجة بالنصوص]

روى كميل بن زياد عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل مشهور[1] : «إنّه لا تخلو الأرض من قائم لله بحُجّة : إمّا ظاهر مشهور، وإمّا خائف[2] مغمور» .

وروى في إكمال الدين[3] ـ بإسناده ـ عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي

١ـ كمال الدين : ما أخبر به عليّ عليه السلام من وقوع الغيبة : ٢٩٠ـ٢٩٤ ، ح٢ بألفاظه و أسانيده المختلفة . عنه البحار : ٢٣/٤٦ـ٤٩ ، ح٩١ . الخصال : باب الثلاثة ، ح٢٥٧ ، ١٨٧/١ . عنه البحار : ١٨٨/١ ، ح٤ . ومايقرب منه في أمالي الطوسي : المجلس الأول ، ٢٠ ، ح٢٣ . الغيبة للطوسي : ٢٢١ ، ح١٨٣ . نهج البلاغة : الحكمة (١٤٧) . تحف العقول : من كلامه عليه السلام لكميل بن زياد : ١٧٠ . الغارات : ١٥٣/١ . عنها البحار : ١٨٩/١ . تفسيرالقمي : في تفسير الآية الرعد/٧ ، ٣٨٩/١ . علل الشرايع : باب (١٥٣) العلة التي من أجلها لاتخلو الأرض من حجة . . . ، ١٩٥/١ ، ح٢ . عنها البحار : ٢٣/٢٠ ، ح١٦ و١٧ . الغيبة للنعماني : الباب ٨ ، ح١ ، ١٣٦ . عنه البحار : ٢٣/٥٥ ، ح١١٦ .

٢ـ في المصدر : إما خاف .

٣ـ كمال الدين : باب العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام : ٢٠١ ، ح١ . علل الشرايع : باب (١٥٣) العلة التي من أجلها لاتخلو الأرض من حجة الله عزوجل ، ١٩٦ ، ح٥ . عنها البحار : ٢٣/٢١ ، ح٢٠ . و ٢٣/٢٦ ، ح٣٤ . و٢٣/٢٨ ، ح٤٠ . الكافي : كتاب الحجة ، باب أن الأرض لاتخلو من الحجة ، ١٧٩/١ ، ح١٠ . الغيبة للطوسي : ٢٢٠ ، ح١٨٢ . الغيبة للنعماني : باب أن الله لايخلو أرضه بغير حجة ، ١٣٨ ، ح٨ . عنها البحار : ٢٣/٢٤ ، ح٣٠ . ومايقرب منه في بصائرالدرجات : الجزء العاشر ، باب (١٢) أن الأرض لاتبق بغير إمام . . . ، ص٤٨٨ ، ح٢ . عنه البحار : ٢٣/٢٨ ، ح٤٠ . ومثله عن الرضا عليه السلام في كمال الدين : الباب المذكور ، ٢٠٢ ، ح٥ . و٢٠٤ ، ح١٥ . عيون الأخبار : باب (٢٨) فيما جاء عن الرضا عليه السلام ـ

عبدالله عليه السلام ـ قال :ـ قلتُ له : «أتبقى الأرضُ بغير إمام» ؟

قال : «لو بقيت الأرضُ بغير إمامٍ ساعةً لساختْ» .

وبإسناده[1] عن أبي جعفر عليه السلام قال : «لو أنَّ الإمام رُفع من الأرض ساعةً لماجت[2] بأهلها كما يموجُ البحرُ بأهله» .

وبإسناده[3] عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث له في الحسين بن عليّ عليه السلام[4] إنّه قال في آخره : « و لولا مَن على الأرض من حجج الله : لنفضت[5] الأرض ما فيها ، و ألقت ما عليها ؛ إنَّ الأرضَ لاتخلو ساعةً من الحُجَّة» .

وبإسناده[6] عن الحسن بن زياد ـ قال ـ : سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول : «إنَّ الأرضَ لاتخلو من أن يكون فيها حُجَّةٌ عالمٌ ، إنَّ الأرض لايُصلحها إلاّ ذلك ، ولايُصلح الناسَ إلاّ ذلك» .

ـ من الأخبار المتفرقة ، ٢٧٢/١ ، ح١ـ٤ . بصائر الدرجات : الباب المذكور ، ٤٨٨ـ٤٨٩ ، ح٣ـ٧ . عنها البحار : ٢٩/٢٣ ، و٣٤ .

١ـ كمال الدين : الباب المذكور ، ٢٠٢ ، ح٣ . الكافي : الصفحة السابقة ، ح١٢ . الغيبة للنعماني ، ١٣٩ ، ح١٠ . ومايقرب منه في بصائر الدرجات : الباب السابق ، ٤٨٨ ، ح٣ . البحار : ٣٤/٢٣ ، ح٥٦ . وعن الرضا عليه السلام مايقرب منه : كمال الدين : الصفحة المذكورة . البحار : ٣٥/٢٣ .

٢ـ ماج البحرُ ، موجا : اضطرب (مصباح) .

٣ـ كمال الدين : الباب المذكور : ٢٠٢ . عنه البحار : ٣٤/٢٣ .

٤ـ في النسخ : في علي بن الحسين عليه السلام ، والتصحيح من المصدر والمنقول عنه في البحار .

٥ـ في النسخ : لنقضت . والتصحيح من المصدر والبحار .

٦ـ كمال الدين : الباب السابق ، ٢٠٣ ، ح٧ . عنه البحار : ٣٥/٢٣ ، ح٦٠ .

وبإسناده[١] عنه عليه السلام ـ قال ـ : «إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع الأرض إلاّ وفيها عالمٌ يعلمُ الزيادةَ والنقصانَ، فإذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم، وإذا نقصوا شيئا أكمَله لهم، ولولا ذلك لالتبستْ على المؤمنين أُمورهم».

وفي رواية[٢] : «ولولا ذلك لماعُرف الحقُّ من الباطل».

وبإسناده[٣] عنه عليه السلام ـ قال ـ : «لو لم يبق في الأرض إلاّ إثنان لكان أحدهما الحُجّة».

وزاد في رواية[٤] : «ولو ذهب أحدُهما بقي الحُجّةُ». وفي لفظ آخر[٥] : «لو لم يكن في الدنيا إلاّ إثنان لكان الإمامُ أحدهما».

وفي الكافي بأسانيده إلى الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام : «إنّ الحجّة لاتقوم لله تعالى على خلقه إلاّ بإمامٍ حتّى يُعرف»[٦] .

١ـ كمال الدين : الصفحة السابقة ، ح١١ . ويقرب منه ما في العلل : الباب السابق ، ١٩٩ ، ح٢٢ . وبصائرالدرجات : الجزء العاشر ، باب (١٠) الأرض لاتخلو من الحجة . . . ، ٤٨٤ . عنه البحار : ٢١/٢٣ و ٢٥ و ٢٦ .

٢ـ المصادر السابقة .

٣ـ كمال الدين : الباب السابق ، ٢٠٣ ، ح١٠ و ٢٣٠ ، ح٣٠ . علل الشرايع : الباب السابق ، ١٩٧/١ ، ح١٠ . عنها البحار : ٢٢/٢٣ ، ح٢٤ . ٣٦/٢٣ ، ح٦١ . ٤٣/٢٣ ، ح٨٥ . الكافي : كتاب الحجة ، باب أنه لولم يبق إلا رجلان . . . ، ١٧٩/١ ، ح١ . بصائرالدرجات : الجزء العاشر ، باب (١١) في الأئمة إن الأرض لاتخلو منهم . . . ، ٤٨٨ ، ح٢ و٥ . عنه البحار : ٥٢/٢٣ ، ح١٠٧ . الغيبة للنعماني : ١٤٠ ، ح٤ .

٤ـ راجع كمال الدين وبصائرالدرجات : الصفحات المذكورة .

٥ـ الكافي : الباب السابق : ١٨٠/١ ، ح٥ .

٦ـ الكافي : كتاب الحجة ، باب أن الحجة لاتقوم على خلقه إلا بإمام ، ١٧٧/١ ، ح١ـ٣ . بصائرالدرجات : الجزء العاشر ، باب (١٠) الأرض لاتخلو من الحجة . . . ، ـــ

وفي الحديث النبويّ المشهور المتّفق عليه بين الخاصّة والعامّة[1] :
«مَن مات ولم يَعرف إمامَ زمانِه فقد مات ميتة الجاهليّة» .

---

٤٨٦ ، ح١٣ . عنه البحار : ٥١/٢٣ ، ح١٠٣ . وقال المجلسي ـ قده ـ : «في بعض النسخ : (حتى يعرف) يمكن أن يقرأ : «يعرّف» ، على بناء التفعيل المعلوم . . . وفي بعضها (الا بامام حيّ يعرف) وفي بعضها (حتى يعرف) » .
الاختصاص : ٢٦٨ـ٢٦٩ . و فيه : «حيّ يعرف» .

١ ـ ورد بهذا اللفظ مسندا في كمال الدين : باب (٢٨) ما روي عن العسكري عليه السلام من وقوع الغيبة ، ٤٠٩ ، ح٩ . عنه البحار : ١٦٠/٥١ ، ح٧ .
وفي أعلام الدين للديلمي (باب ما جاء من عقاب الأعمال ، ٤٠٠) : «من مات لايعرف إمام زمانه . . .» . عنه البحار : ٢٠١/٢٧ ، ح٦٨ . ومثله في الفصول المختارة : ١٠٢/٢ ، . عنه البحار : ٢٧/٣٧ .
وحكى البحار (٨٩/٢٣) عن الكشي «من مات لايعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ولكن ليس في المصدر (ص ٤٢٥) كلمة «زمانه» .

وجاء بلاكلمة «زمانه» وبألفاظ مختلفة في عدة من المصادر ، منها في الكافي (كتاب الحجة ، باب من مات وليس له إمام . . . : ٣٧٦/١ـ٣٧٧ ، ح١ـ٣) عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية » و « من مات لايعرف إمامه مات ميتة جاهليّة» .
الاختصاص (ص ٢٦٩) عن الصادق عليه السلام : «من مات وليس عليه إمام حيّ ظاهر مات ميتة جاهليّة» . المحاسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله والباقر والصادق عليهما السلام : (كتاب الصفوة والنور : باب من مات لايعرف إمامه : ١٥٣/١ـ١٥٥ ، ح٧٨ و٨٠ـ٨٢) : «من مات وهو لايعرف إمامه . . .» و«من مات ليس له إمام . . .» و«من مات بغير إمام جماعة . . .» .
راجع أيضا : كمال الدين : ٤١٢ ، ح١٠ـ١١ . و٤١٣ ، ح١٥ . و٦٦٨ ، ح١١ ، عن رسول الله والباقر والصادق والرضا عليهم السلام . البحار : كتاب الإمامة ، باب وجوب معرفة الإمام : ٧٦/٢٣ـ٩٥ .

و عن طرق العامة : «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» المسند : ٩٦/٤ . حلية الأولياء : ترجمة زيد بن أسلم ، ٢٢٤/٣ . المعجم الكبير : ٣٨٨/١٩ ، ح٩١٠ . كنزالعمال : ١٠٣/١ و٦٥/٦ ، الحديث ٤٦٤ و١٤٨٦٣ .

وفي بصائر الدرجات[1] : بإسناده عنه ـ أيضا ـ قال : «مازالت الأرضُ إلاّ ولله الحجّة، يعرف الحلالَ والحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا ينقطع الحجّة من الأرض إلاّ أربعين يوما قبلَ يوم القيامة، فإذا رُفعت الحجةُ، وغُلق بابُ التوبة فـ﴿ لاَيَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾[٦/١٥٨] أن يُرفع الحجّة؛ أُولئك شرارُ مَن خَلق الله، وهم الذين تقوم عليهم القيامةُ».

والأخبارُ في هذه المعاني ـ في الكافي وغيره ـ كثيرةٌ جدًا، ولنقتصرعلى ماذكرنا، فإنّ فيه كفايةً.



١ـ بصائرالدرجات : الجزء العاشر، باب أن الأرض لاتخلو من الحجّة، ٤٨٤، ح١. كمال الدين : باب اتصال الوصية، ٢٢٩، ح٢٤.
المحاسن : كتاب مصابيح الظلم، باب لاتخلو الأرض من عالم : ٢٣٦/١، ح٢٠٢.
البحار : ١٨/٦، ح١. و٤١/٢٣، ح٧٨. راجع أيضا البحار : ٣٤٨/٥١.

[٦]

باب

تفاصيل الأنبياء والأولياء

- عليهم الصلاة والسلام - وما يتبع ذلك

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
[٢/٢٥٣]

فصل [١]

[عدد الأنبياء والرسل وأولي العزم منهم]

قد روينا أنّ الأنبياء والرسل والأئمّة ﷺ من زمن آدم ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ إلى الخاتم ﷺ على طبقاتهم مأة وأربعة وعشرون ألف نبيّا . منهم من جمع إلى النبوّةِ الرسالةَ والإمامةَ ؛ كنبيّنا ﷺ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَ لَكِن رَّسُولَ ٱللهِ وَ خَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ [٣٣/٤٠] . وكموسىٰ ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ كما قال الله تعالى في حقّه : ﴿ وَ كَا نَ رَسُولاً نَبِيًّا ﴾ [١٩/٥١] . وكإبراهيم ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [٢/١٢٤] .

وأُولوا العزم منهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ـ صلوات الله عليهم ـ.

ومعنى أُولي العزم ما رواه في الكافي[1] بإسناده عن سماعة[2]، عن مولانا الصادق عليه السلام في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [٤٦/٣٥]. فقال: «نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ـ صلوات الله عليهم». قلت: «كيف صاروا أُولي العزم»؟

فقال: «لأنّ نوحا بُعث بكتاب وشريعة، وكلُّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعتِه ومنهاجه، حتى جاء إبراهيمُ عليه السلام بالصُحف وبعزيمة ترك كتاب نوح ـ لاكفرا به ـ فكلُّ نبيٍّ جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصُحف، حتّى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحُف، وكلُّ نبيٍّ جاء بعد موسى أخذ بتوراته وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، وكلّ نبيٍّ جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتّى جاء محمدٌ صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وشريعته ومنهاجه، فحلالُه حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامُه حرامٌ إلى يوم القيامة، فهؤلاء أُولوالعزم من الرسل عليهم السلام».

١ـ الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الشرايع، ٢/١٧، ح٢. المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، ١/٢٦٩، ح٣٥٨، وفيه فروق. عنها البحار: ١٦/٣٥٣ـ٣٥٤، ح٣٨ ١١/٥٦، ح٥٥. ٦٨/٣٢٦، ح٢. ومايقرب منه في العيون: باب (٣٢) في ذكر ماجاء عن الرضا عليه السلام من العلل، ٢/٨٠، ح٢٢. عنه البحار: ١١/٣٤، ح٢٨.

٢ـ سماعة بن مهران بن عبدالرحمان الحضرمي، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام، قال النجاشي (١٩٣، رقم ٥١٧): «ثقة ثقة». قال الصدوق (الفقيه: ٢/١٢١): «كان واقفيا». راجع قاموس الرجال: ٥/٣٠٢ـ٣٠٧، رقم ٣٤٢٠.

وبإسناده[1] عن مولانا الباقر عليه السلام: «وإنّما سمّوا أُولوالعزم لأنّه عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده والمهدى وسيرته، فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك، والإقرار به»[2] .

فصل [٢]

[أكابر الأنبياء ومعجزاتهم]

و الأكابر الأشراف من الأنبياء هم المشاهيرُ الذين ذكرهم اللهُ سبحانه في كتابه في مواضع:

منها قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ إِنَّا أَوحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمٰعِيلَ وَ إِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَىٰ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هٰرُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [٤/١٦٣-١٦٥] .

ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ

١ـ الكافي : كتاب الحجة ، باب نكت من التنزيل في الولاية : ٤١٦/١ ، ح٢٢ . تفسير القمي : تفسير الآية طه/١١٥ ، ٦٤/٢ـ٦٥ . علل الشرايع : باب (١٠١) العلة التي من أجلها سمي أُولوالعزم . . . ، ١٢٢/١ ، ح١ . عنها البحار ٣٥/١١ـ٣٦ ، ح٣١ . ١١٢/١١ ، ح٣٠ . بصائرالدرجات : الجزء الثاني ، باب (٧) ماخصّ الله به الأئمة من ولاية أولي العزم . . . ، ٧٠ ، ح١ . عنه البحار : ٢٧٨/٢٦ ، ح٢١ .

٢ـ في هامش النسخة : «و قيل : هم أُولوالعزم الذين يبلغون رسالات ربّهم و يُلزمون من أُرسلوا إليهم بالإيمان ، فإن أبوا قاتلوهم ـ منه ـ» .

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمٰنَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَىٰ وَ هٰرُونَ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَ إِسْمٰعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [٦/٨٣-٨٩].

* * *

ولكلٍّ منهم آياتٌ ومعجزاتٌ تدلُّ على صِدقه وحقيَّتِه وتناسبه وتناسب أهل زمانه، فمن الناس مَن آمن به، ومنهم مَن صَدَّ عنه كما ذكَرالله ـ عزَّ وجلّ ـ تفصيل حكاياتهم وقصصهم في كتابه.

* * *

روى في الكافي: بإسناده[١] عن أبي يعقوب البغدادي[٢] ـ قال: ـ

١ـ الكافي: كتاب العقل والجهل، ٢٤/١، ح٢٠. عنه البحار: ٢١٠/١٧، ح١٥.
علل الشرائع: باب (٩٨) علة احتجاب الله جل جلاله عن خلقه، ١٢١/١، ح٦. عيون أخبارالرضا عليه السلام: باب (٣٢) في ذكر ماجاء عن الرضا عليه السلام من العلل، ٧٩/٢ـ٨٠، ح١٢.
الاحتجاج: ٤٣٧/٢. عنها البحار: ٧٠/١١، ح١.

٢ـ مجهول لم يذكر عنه شيئا غير روايته هذه؛ راجع تنقيح المقال: فصل الكنى من الجزء الثالث: ٣٩. معجم رجال الحديث: ٨٩/٢٢.

قال ابن السكّيت[1] لأبي الحسن عليه السلام: «لماذا بعثَ الله موسى بن عمران بالعصا ويدِه البيضا وآلةِ السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطِبّ؟ وبعث محمدا ـ صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء ـ بالكلام والخُطب»؟

فقال أبوالحسن عليه السلام: «إنَّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالبُ على أهل عصره السحرُ، فأتاهم من عندالله بما لم يكن في وُسعهم مثلُه، وما أبطل به سحرَهم، وأثبت به الحجّةَ عليهم. وإنَّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقتٍ قد ظهرت فيه الزَمانات[2]، واحتاج الناسُ إلى الطبّ، فأتاهم من عندالله بما لم يكن عندهم مثلُه ـ بما أحيا لهم الموتى، وأبرأ الأكمهَ والأبرصَ بإذن الله، وأثبت به الحجّةَ عليهم ـ.

وإنَّ الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقتٍ كان الغالبُ على أهل عصره الخُطب والكلامُ ـ وأظنُّه قال: الشعر ـ فأتاهم من عندالله من مواعظه وحِكَمه ما أبطلَ به قولَهم، وأثبت به الحجّةَ عليهم».

ـ قال: ـ فقال ابن السكّيت: «تالله ـ مارأيتُ مثلَك قطُّ؛ فما الحجّةُ على الخَلق اليوم»؟

ـ قال: ـ فقال عليه السلام: «العقل؛ يَعرف به الصادقَ على الله، فيصدِّقه، والكاذبَ على الله فيكذِّبه»،

ـ قال: ـ فقال ابن السكّيت: «هذا ـ والله ـ هو الجواب».

١ـ قال النجاشي (الترجمة: ١٢١٤، ص ٤٤٩): «يعقوب بن اسحاق السكيت أبويوسف، كان متقدما عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام، وله عن أبي جعفر رواية ومسائل، وقتله المتوكل لأجل التشيُّع ـ وأمره مشهور ـ وكان وجها في علم العربية.

٢ـ الزَمانات ـ جمع الزَمانة ـ: الآفات الواردة على بعض الأعضاء، فيمنعها عن الحركة.

فصل [٣]

[اتصال الوصية]

روي في إكمال الدين و الفقيه[١] ، بإسناده عن مولانا الصادق ﷺ ـ قال :ـ

قال رسول الله ﷺ : «أنا سيّد النبيّين ، و وصيّي سيّد الوصيّين ، وأوصياؤه سادةُ الأوصياء ؛

إنَّ آدم ﷺ سأل اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ أن يجعلَ له وصيًا صالحا ، فأوحى اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ إليه : إنّي أكرمتُ الأنبياء بالنبوّة ، ثمّ اخترتُ خلقا[٢] ، وجعلتُ خيارَهم الأوصياء .

فقال آدم ﷺ : ياربّ فاجعلْ وصيّي خير الأوصياء ؛

فأوحى اللهُ عزّ وجلّ إليه : يا آدم ، أوصِ إلى شيث ـ وهو هبةُ الله بن آدم[٣] ـ .

فأوصى إلى شيث ، وأوصى شيثُ إلى ابنه شبّان ـ وهو ابن نزلة الحوراء[٤] التي أنزلها الله ـ عزّ وجلّ ـ على آدم من

---

١ ـ كمال الدين : باب (٢٢) اتصال الوصية . . . ، ٢١١ـ٢١٣ ، ح١ . الفقيه : كتاب الوصية ، باب الوصية من لدن آدم ﷺ ، ٤/١٧٥ـ١٧٧ ، ح٥٤٠٢ . أمالي الصدوق : المجلس الثالث والستون ، ح٣ ، ٤٨٦ـ٤٨٨ . عنه البحار : ١٧/١٤٨ ، ح٤٣ .

٢ ـ نسخة : خلقي .

٣ ـ نسخة : هبة الله له .

٤ ـ نسخة : ابن له من الحوراء .

الجنّة ، فزوّجها شيث ـ و أوصى شبّان إلى ابنه مجليث[1] و أوصى مجليث إلى محوق ، وأوصى محوق إلى عثميشا[2] وأوصى عثميشا إلى أُخنوخ ـ وهو إدريس النبيّ صلى الله عليه ـ وأوصى إدريس إلى ناخور .

ودفعها ناخورُ إلى نوح ﷺ ، وأوصى نوح إلى سام ، وأوصى سام إلى عثامر ، وأوصى عثامر إلى برعيثاشا ، وأوصى برعيثاشا إلى يافث ، وأوصى يافث إلى برّه ، وأوصى برّه إلى حسفية[3] وأوصى حسفية إلى عمران .

ودفعها عمرانُ إلى إبراهيم الخليل ﷺ ، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل ، وأوصى إسماعيلُ إلى إسحق ، وأوصى إسحق إلى يعقوب ، وأوصى يعقوب إلى يوسف ، وأوصى يوسفُ إلى بثريا ، وأوصى بثريا إلى شعيب .

وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران ﷺ وأوصى موسى إلى يوشع بن نون ، وأوصى يوشع بن نون إلى داود ، وأوصى داود إلى سليمان ، و أوصى سليمان إلى آصف بن برخيا ، و أوصى آصف إلى زكريّا .

ودفعها زكريّا إلى عيسى ﷺ ، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا ، وأوصى شمعون إلى يحيي بن زكريّا ، وأوصى

١ـ كذا هنا و فيا يليه والياء مهملة . كمال الدين والأمالي : مجلث . الفقيه : محلث .

٢ـ كمال الدين ، نسخة في الأمالي : غثميشا .

٣ـ هنا وفيا يليه نسخة : خفسية .
كمال الدين : جفيسة . الفقيه ، الأمالي ، نسخة في كمال الدين : جفسية .

يحيى بن زكريّا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة».

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إليّ بردةُ، وأنا أدفعها إليك ـ ياعليّ ـ، وأنت تدفعُها إلى وصيِّك، ويدفعها وصيُّك إلى أوصيائك من وُلدك، واحد بعد واحد، حتّى تدفعَ إلى خير أهل الأرض بعدك؛ ولتكفرنَّ بك الأمّة، ولتختلفنَّ عليك اختلافا شديدا؛ الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذُّ عنك في النار، والنار مثوى للكافرين».

* * * *

وفي الإكمال[1] بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال: ـ

«إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ عهد إلى آدم عليه السلام أن لايقرب الشجرةَ، فلمّا بلغ الوقتَ الذي كان في علم الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يأكلَ منها، نسي فأكل منها، وهو قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [٢٠/١١٥].

فلمّا أكلَ آدمُ من الشجرة، أُهبط إلى الأرض، فوُلد له هابيلُ وأُختُه توأم ووُلد له قابيل وأُخته توأم.

ثمّ إنّ آدم عليه السلام أمَر قابيلَ وهابيلَ أن يُقرّبا قربانا، وكان

١ ـ كمال الدين: الباب الثاني والعشرون، اتصال الوصية...، ٢١٣ـ ٢٢٠، ح٢.
الكافي: الروضة، حديث آدم مع الشجرة، ١١٣/٨ـ ١٢٠، ح٩٢، مع اختلاف في الألفاظ. عنها البحار: ٤٣/١١ـ ٥٢، ح٤٩.

هابيلُ صاحبَ غنم ، وكان قابيلُ صاحبَ زرع ، فقرَّب هابيلُ كبشا ، وقرَّب قابيلُ من زرعه ما لم ينقِّ ؛ وكان كبشُ هابيل من أفضل غنمه ، وكان زرعُ قابيل غير منقًّى ، فتُقبِّل قربانُ هابيل ، ولم يُتقبّل قربانُ قابيل ؛ وهو قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ [٢٧/٥] .

وكان القربانُ إذا قُبل تأكله النارُ ، فعمد قابيلُ[1] فبنى لها بيتا ، وهو أوّل من بنى للنار البيوتَ ، وقال لأعبدنَّ هذه النار حتّى تقبلَ قرباني .

ثمّ إنَّ عدوَّ الله ـ إبليس ـ قال لقابيل : «إنّه قد تُقبّل قربانُ هابيل ، ولم يُتقبّل قربانُك ، وإن تركته يكون له عقبٌ يفتخرون على عقبِك» ؛ فقتله قابيلُ ؛ فلمّا رجع إلى آدم عليه السلام قال له : «يا قابيل ـ أين هابيل» ؟ فقال : «ما أدري ؛ وما بعثتني راعيا له» . فانطلق آدمُ فوجدَ هابيل مقتولاً ، فقال : «لُعنت من أرض كما قبلت دمَ هابيل» . فبكى آدمُ على هابيل أربعين ليلة .

ثمّ إنَّ آدمَ سأل ربّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يهبَ له ولدا ، فوُلد له غلامٌ سمّاه «هبةالله» ، لأنّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهبَه له ، فأحبَّه آدمُ حبّا شديدا ؛ فلمّا انقضت نبوّة آدم واستكملت أيّامُه أوحى الله ـ تعالى ـ إليه : «أن يا آدم قد انقضت نبوّتُك واستكملت أيّامُك ، فاجعل العلمَ الذي عندك ، والإيمانَ

---

١ ـ في المصدر والكافي : فعمد قابيل إلى النار فبنى . . .

والاسمَ الأكبر ، وميراثَ العلم وآثارَالنبوّة في العقب من ذرِّيّتك عند ابنك هبة الله ، فإنّي لن أقطع العلمَ و الإيمانَ و الاسمَ الأكبر وميراثَ العلم و آثارالنبوّة من العقب من ذريّتك إلى يوم القيامة ، و لن أدع الأرضَ إلاّ وفيها عالِم يُعرف به ديني ، ويعرف به طاعتي ، ويكون نجاةً لمن يولد فيما بينك وبين نوح .

وذَكَر آدم ﷺ نوحا ﷺ وقال : «إنّ الله تعالى باعثٌ نبيّا اسمه نوح ، وأنّه يدعو إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فيكذِّبونه ، فيقتلهم اللهُ بالطوفان ، وكان بين آدم وبين نوح عشرة آباء كلُّهم أنبياء .

وأوصى آدم إلى هبة الله أن « من أدركه منكم فليؤمن به وليتّبعه وليصدِّق به ، فإنّه ينجو من الغرق » .

ثمّ إنّ آدم ﷺ مرضَ المرضَة التي قُبض فيها ، فأرسل إلى هبةالله ، فقال : إن لقيتَ جبرئيلَ أو مَن لقيتَ من الملائكة ، فاقرأه السلامَ ، وقل له : «ياجبرئيل ، إنّ أبي يستهديك من ثمار الجنّة » .

ففعلَ ؛ فقال له جبرئيل : « يا هبة الله ـ إنّ أباك قد قُبض ، وما نزلتُ إلاّ للصلاة عليه ؛ فارجع » .

فرجَعَ ، فوجد أباه وقد قُبض ؛ فاراه جبرئيلُ ﷺ كيف يغسله ؛ فغسله ، حتّى إذا بلغ الصلاةَ عليه قال هبةُ الله : «يا جبرئيل ـ تقدّم فصلِّ على آدم» . فقال له جبرئيلُ : «يا هبة الله إنّ الله أمرَنا أن نسجدَ لأبيك في الجنّة ، فليس لنا أن نؤمّ أحدا من ولده » .

فتقدّمَ هبةُ الله فصلّى على آدم، وجبرئيلُ خلفه وحزبٌ من الملائكة، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرةً؛ فأمر جبرئيلُ[1] فرفع من ذلك خمسا وعشرين تكبيرة[2]، والسنّة اليوم فينا خمس تكبيرات، وقد كان يكبّر على أهل بدر سبعا وتسعا[3].

* * *

ثمّ إنّ هبةَ الله لمّا دفَن آدمَ أتاه قابيلُ، فقال له: «ياهبة الله إنّي قد رأيتُ آدمَ ـ أبي ـ قد خصّك من العلم بما لم أخصّ به، وهو العلم الذي دعا به أخوك هابيلُ فتُقبِّل قربانُه، وإنّما قتلتُه لكيلا يكون له عقبٌ فيفتخرون على عقبي، فيقولون «نحن أبناءُ الذي تُقبِّل قربانُه، وأنتم أبناءُ الذي لم يُتقبّل قربانُه»؛ وإنّك إن أظهرتَ من العلم الذي اختصّك به أبوكَ شيئا، قتلتُك كما قتلتُ أخاكَ هابيل».

فلبث هبةُ الله والعقبُ منه مستخفين بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة، حتّى بُعث نوح وظهرت وصيّةُ هبة الله حين نظروا في وصيّة آدم، فوجدوا نوحا عليه السلام قد بشّر به أبوهم آدم، فآمنوا به واتّبعوه

١ـ في المصدر: «بأمر جبرئيل». والأظهر أنه خطأ الطبع، إذ المنقول عنه في البحار أيضا يطابق المتن.

٢ـ كذا في النسخ والكافي. وفي المصدر: «خمسا وعشرون».
وهو ظاهر الخطأ وفي البحار: «خمس وعشرون». وأظهر أنه الصحيح.

٣ـ كذا. وفي المصدر: «وقد كان ﷺ يكبّر على أهل بدر سبعا وتسعا».
البحار: «وقدكان يكبّر على أهل بدر سبع وتسع».
الكافي: «وقدكان يكبّر على أهل بدر تسعا وسبعا».

وصدّقوه؛ وقد كان آدم ﷺ أوصى هبةَ الله أن يتعاهد هذه الوصيّةَ عند رأس كلِّ سنةٍ، فيكون يوم عيد لهم، فيتعاهدون بعثَ نوح وزمانه الذي يخرج فيه[١].

وكذلك جرى وصيّةُ كلِّ نبيٍّ[٢] حتّى بعث اللهُ - عزّ وجلّ - محمّدا ﷺ.

وإنّما عرفوا نوحا بالعلم الذي عندهم، وهو قول الله - عزّ وجلّ -: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ [٧/٥٩] - إلى آخر الآية -

وكان مابين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرُهم في القرآن، فلم يُسمُّوا كما سمِّي مَن استعلن من الأنبياء، وهوقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [٤/١٦٤] يعني: مَن لم نسمّهم من المستخفين، كما سمّى المستعلنين من الأنبياء. فمكث نوح ﷺ ﴿ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [٢٩/١٤] لم يشاركه في نبوّته أحد، ولكنّه قدم على قوم مكذِّبين للأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم وذلك قوله - عزّ وجلّ -: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٢٦/١٠٥] يعني من كان بينه وبين آدم إلى أن انتهى إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٦/١٢٢].

* * *

١ـ المصدر: «فيتعاهدون بعث نوح ﷺ في زمانه الذي بعث فيه». الكافي: «فيتعاهدون نوحا وزمانه الذي يخرج فيه».

٢ـ المصدر: «وكذلك جرى في وصيّة كل نبيّ» الكافي: «وكذلك جاء في وصية كل نبيّ».

ثمّ إنّ نوحا لمّا انقضت نبوّته واستكملت أيّامه، أوحى اللهُ إليه أنّه «يانوح قد انقضتْ نبوّتُك واستكملت أيّامُك، فاجعل العلمَ الذي عندك والإيمانَ والاسمَ الأكبر وميراثَ العلم وآثارَ علمِ النبوّة في العقب من ذرّيّتك عند سام، فإنّي لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين بينك وبين آدم، ولن أدعَ الأرضَ إلاّ وفيها عالِمٌ يُعرف به ديني، ويُعرف به طاعتي، ويكون نجاةً لمن يولد فيما بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر». وليس بعد سام إلاّ هود، وكانَ ما بين نوح وهود من الأنبياء مستخفين ومستعلنين.

وقال نوح: «إنّ الله تبارك وتعالى باعثٌ نبيّا يقال له هود وإنّه يدعو قومَه إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فيكذّبونه، وأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يُهلكهم[1]؛ فمَن أدركه منكم فليؤمن به وليتّبعْه، فإنّ الله تبارك وتعالى يُنجيه من عذاب الريح».

وأمَر نوحٌ إبنَه سامَ أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلِّ سَنة، ويكون يوم عيد لهم، فيتعاهدون فيه بعثَ هود وزمانه الذي يخرج فيه.

* * *

فلمّا بعث الله ـ تبارك وتعالى ـ هودا نظروا فيما عندهم من العلم، والإيمان، وميراث العلم، والاسم الأكبر، وآثار علم النبوّة، فوجدوا هودا نبيّا قد بشّرهم أبوهم نوحٌ به، فآمنوا به

---

١ ـ المصدر: مهلكهم بالريح. الكافي والبحار: مهلكهم.

وصدّقوه واتّبعوه ، فنجوا من عذاب الريح ، و هو قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودا ﴾ [٦٥/٧] . وقوله : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [١٢٣/٢٦-١٢٤]، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ ﴾ [١٣٢/٢] . وقوله : ﴿ وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ لنجعلها في أهل بيته ﴿ وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [٨٤/٦] لنجعلها في أهل بيته، فآمن العقب من ذريّة الأنبياء مَن كان قبل إبراهيم لإبراهيم عليه السلام .

وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة أنبياء، و هو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَ مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ [٨٩/١١] . وقوله : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [٢٦/٢٩] سيهدين [١] وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَ ٱتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [١٦/٢٩] .

فجرى بين كلِّ نبيّ وبين نبيّ عشرة آباء وتسعة آباء وثمانية آباء كلّهم أنبياء[٢] ، وجرى لكلِّ نبيّ ماجرى لنوح ، وكما جرى لآدم ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وإبراهيم ، حتّى انتهى إلى يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

---

١ ـ كذا في النسخ والمصدر والكافي والبحار . غير أن مصحح المصدر رأى السياق يلمح إلى سقوط فقرة هناك ، فأضاف [وقول إبراهيم : ﴿إني ذاهب إلى ربي] سيهدين ﴾ . ولعله الصحيح .

٢ ـ كذا . وفي المصدر : «فجرى بين كل نبيّ عشرة آباء . . . كلهم أنبياء» . الكافي : «فجرى بين كل نبيين عشرة أنبياء وتسعة وثمانية أنبياء كلهم أنبياء» . والأظهر أن ما في كمال الدين أصح .

ثمّ صارت بعد يوسف في الأسباط إخوته، حتّى انتهت إلى موسى بن عمران ـ صلى الله عليهم ـ وكان بين يوسف وبين موسى عشرة من الأنبياء.

* * *

فأرسل الله ـ عزّ وجلّ ـ موسى و هارون إلى فرعون و هامان و قارون . ثمّ أرسل الله ـ عزّ وجلّ ـ الرسل ﴿ تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ [٢٣/٤٤].

وكانت بنوإسرائيل تقتلُ في يوم نبيّين وثلاثة وأربعة، حتّى أنّه كان تقتل في اليوم الواحد سبعين نبيًّا، فيقوم سوق قتلهم [١] في آخر النهار.

فلمّا أُنزلت التوراةُ على موسى بن عمران عليه السلام بشّر [٢] بمحمّد صلى الله عليه وآله، وكان بين موسى ويوسف عليهما السلام أنبياء [٣] وكان وصيُّ موسى بن عمران يوشع بن نون ـ و هو فتاه الذي قال الله تبارك و تعالى في كتابه [٤] ـ .

فلم تزل الأنبياءُ عليهم السلام تبشّر بمحمّد صلى الله عليه وآله، و ذلك قوله : ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارى [﴿ مَكْتُوبًا ﴾] يعني صفة

١ـ البحار : سوق بقلهم.

٢ـ المصدر : تبشر.

٣ـ المصدر والبحار : « وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء عشرة».

الكافي : «وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء».

٤ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [١٨/٦٠].

محمّد و اسمه[1] ﴿عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [١٥٧/٧] . وهو قول الله ـ عزّ وجلّ ـ يحكي عن عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [٦/٦١] . فبشّر موسى وعيسى بمحمّد ، كما بشّرت الانبياءُ بعضُهم بعضا ، حتّى بلغت محمدا صلى الله عليه وآله .

* * *

فلمّا قضى محمّدٌ نبوّتَه واستكملت أيّامُه ، أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه « أن يا محمّد ـ قد قضيتَ نبوّتك و استكملت أيّامُك ، فاجعل العلمَ الذي عندك والإيمان والاسمَ الأكبر وميراثَ العلم و آثارَ علم النبوّة عند علي بن أبي طالب ، فإنّي لم أقطعِ العلمَ والإيمانَ والاسمَ الأكبر وميراثَ العلم و آثارَ علم النبوّة من العقب من ذرّيّتك ، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٤/٣] .

فإنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يجعل العلمَ جهلاً ، ولم يكل أمرَه إلى مَلَك مقرّب ، ولا نبيّ مرسَل ، ولكنّه أرسل رسولاً من ملائكته إلى نبيّه ، فقال له كذا وكذا ، وأمرَه بما يحبُّه[2] ؛ ونهاه عمّا ينكِر ، فقصّ عليه ماقبله وما خلفَه بعلم ، فعلم ذلك

---

١ ـ النسخ و المنقول عن المصدر في البحار : « يعني اليهود و النصارى يعني صفة محمد واسمه مكتوبا عندهم . . . » والأظهر أن الصحيح ماأثبتناه مطابقا للمصدر والكافي .

٢ ـ كمال الدين والكافي والبحار : عمّا يحبّ .

العلمَ أنبياؤه وأصفياؤه[1] من الآباء والإخوان بالذريّة التي بعضها من بعض، فذلك قوله ـ عزّ وجلّ: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [٥٤/٤].

فأمّا الكتاب: فالنبوّة. وأمّا الحكمة: فهم الحكماء من الصفوة[2]، وكلُّ هؤلاء من الذريّة التي بعضها من بعض، الذين جعل اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ فيهم النبوّة، وفيهم العاقبة، وحفظ الميثاق حتّى تنقضي الدنيا؛ فهم العلماء و ولاةُ الأمر و[أهل][3] استنباط العلم والهداة.

* * *

فهذا بيان الفضل في الرسل و الأنبياء و الحكماء وأئمّة الهدى والخلفاء، الذين هم ولاة أمر الله وأهل استنباط علم الله، وأهل آثار علم الله، من الذريّة التي بعضُها من بعض، من الصفوة بعد الأنبياء، من الآل والإخوان والذريّة من بيوتات الأنبياء، فمَن عمل بعلمهم[4] وانتهى إلى أمرهم فجاء بنصرهم.

١ـ المصدر: فعلم ذلك العلم أنبياءه وأصفياءه...

٢ـ المصدر والبحار: «فهم الحكماء من الأنبياء والأصفياء من الصفوة».
الكافي: «فهم الأنبياء من الصفوة وأما الملك العظيم فهم الأئمة من الصفوة».

٣ـ إضافة من المصدر. وفي الكافي: «حتى تنقضي الدنيا والعلماء، ولولاة الأمر استنباط العلم وللهداة؛ فهذا شأن الفضّل من الصفوة والرسل والأنبياء والحكماء...».

٤ـ كذا في النسخ والمحكي عن المصدر في البحار. لكن في المصدر: «فمن عمل بعملهم».
الكافي: «فمن اعتصم بالفضّل انتهى بعلمهم، ونجا بنصرتهم، ومن وضع ولاة أمر الله عزّ وجلّ وأهل استنباط علمه في غير الصفوة من بيوتات الأنبياء ﷺ فقد خالف أمر الله عزّ وجلّ...».

ومن وضع ولايةَ الله وأهل استنباط علم الله في غيرالصفوة من بيوتات الأنبياء، فقد خالف أمرَ الله ـ عزّ وجلّ ـ وجعل الجهّال ولاة أمرالله، والمتكلّفين بغيرهدى، وزعموا أنّهم أهل استنباط علم الله، فكذبوا على الله، وزاغوا عن وصيّة الله وطاعته، فلم يضعوا فضلَ الله حيث وضعَه الله تبارك وتعالى، فضلّوا واضلّوا أتباعَهم فلايكون لهم يومُ القيامة حجّةٌ، إنّما الحجّة في آل إبراهيم، لقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [٤/٥٤].

والحجّةُ الأنبياءُ وأهلُ بيوتات الأنبياء حتّى تقومَ الساعةُ لأنّ كتاب الله ينطق بذلك، ووصيّةُ الله جرت بذلك في العقب من البيوت التي رفعها الله ـ تبارك وتعالى ـ على الناس، فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ﴾ [٢٤/٣٦]. وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمّة الهدى.

فهذا بيانُ عروة الإيمان التي بها نجا من نجا قبلكم، وبها ينجو من اتّبع الأئمّة.

وقد ذكر اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه: ﴿ وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ * وَ إِسْمَٰعِيلَ وَ ٱلْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ ٱجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * [ذَٰلِكَ هُدَى ٱللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

وَ لَو أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *[1]] أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحُكْمَ وَ ٱلنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [٨٩/٦] .

فإنّه من وكّل بالفضّل من أهل بيته من الأنبياء والإخوان والذرّيّة، وهو قول الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه[2] : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ ـ أُمّتك ـ ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا ﴾ أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به فلايكفرون بها أبدا، ولا أُضيّع الإيمان الذي أرسلتك به، وجعلت أهل بيتك من بعدك علماء أُمّتك [3] وولاة أمري بعدك ، و أهل استنباط علمي الذي ليس فيه كذب و لاإثم ولا زور ولابطر ولارياء.

* * *

فهذا تبيان ما بيّنه الله ـ عزّ وجلّ ـ من أمر هذه الأُمّة بعد نبيّها ﷺ .

«إنّ الله طهّر أهل بيت نبيّه، وجعل لهم أجر المودّة، وأجرى لهم الولاية وجعلهم أوصياءه وأحبّاءه وأئمّته في أُمّته من بعده. فاعتبروا أيّها الناس فيما قلت، وتفكّروا حيث وضع الله ـ عزّ وجلّ ـ ولايته ومودّته واستنباط علمه وحجّته، فإيّاه فتعلّموا، وبه فاستمسكوا تنجوا، ويكون لكم به حجّة

١ـ مابين المعقوفين إضافة من القرآن الكريم .

٢ـ كتب فوق «في كتابه» : نسخة .

٣ـ في بعض نسخ المصدر : «علما على امتك» وكان المكتوب في النسخة أيضا ذلك غير أنه استدرك بعد الكتابة بباقي المتن .

يوم القيامة والفوز، فإنّهم صلةٌ ما بينكم وبين ربّكم، لاتصل الولاية إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلاّ بهم، فمن فعل ذلك كان حقّا على الله ـ جلّ وعزّ ـ أن يكرمه ولا يعذّبه، ومن يأتي الله بغير ماأمره كان حقّا على الله أن يذلّه ويعذّبه[1].

* * *

وإنّ الأنبياء بُعثوا خاصّة وعامّة:

فأمّا نُوح: فإنّه أرسل إلى مَن في الأرض بنبوّة عامّة ورسالة عامّة.

وأمّا هُود: فإنّه أُرسل إلى عاد، بنبوّة خاصّة.

وأمّا صالح: فإنّه أُرسل إلى ثمود، وهي قرية واحدة ولاتكمل أربعين بيتا على ساحل البحر صغيرة.

وأمّا شعيب: فإنّه أُرسل إلى مَديَن، وهي لاتكمل أربعين بيتا.

وأمّا إبراهيم: فكانت نبوّته بكوثى ربا[2]، وهي قرية من قرى السواد، فيها مبدء أوّل أمره، ثمّ هاجَرَ منها، وليست بهجرة قتال، وذلك قوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[3] [٣٧/٩٩] وكانت هجرة إبراهيم بغيرقتال.

١ـ هنا آخر الخبر في الكافي. واحتمل محقق المصدر أن مايجيء بعد من كلام الصدوق تلقته من الأخبار.

٢ـ في هامش النسخة: «كوثى ـ كطوبى ـ بالثاء المثلثة، وربى ـ كهدى ـ بالراء والباء الموحدة ـ منه ـ».

٣ـ في النسخة: إني مهاجر الى ربي سيهدين.

وأمّا إسحاق: فكانت نبوّته بعد إبراهيم.

وأمّا يعقوب: فكانت نبوّته بأرض كنعان، ثمّ هبط إلى أرض مصر فتوفّى فيها، ثمّ حُمل بعد ذلك جسدُه حتّى دفن بأرض كنعان، والرؤيا التي رأى يوسفُ ـ الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ـ فكانت نبوّته في أرض مصر بدؤها.

ثمّ إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أرسل الأسباط اثناعشر بعد يوسف. ثمّ موسى وهارون إلى فرعون وملئه إلى مصر وحدها.

ثمّ أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أرسل يوشع بن نون إلى بني إسرائيل من بعد موسى، فنبوّته بدؤها في البريّة التي تاه فيها بنوإسرائيل.

ثمّ كانت أنبياء كثيرة منهم من قصّه الله ـ عزّ وجلّ ـ على محمد ﷺ ومنهم من لم يقصصه على محمّد.

ثمّ إن الله ـ عزّ وجلّ ـ أرسل عيسى ؈ إلى بني إسرائيل خاصّة، و كانت نبوّته ببيت المقدّس، و كان من بعد[ه]: الحواريين[1] إثناعشر، فلم يزل الإيمان يستسرُّ في بقية أهله منذ رفع اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ عيسى ؈.

وأرسل الله ـ عزّ وجلّ ـ محمّدا ﷺ إلى الجنّ والإنس عامّة، وكان خاتم الأنبياء، وكان مِن بعده الاثناعشر الأوصياء: منهم من أدركنا و منهم من سبقَنا، ومنهم من بقي

١ـ النسخة: من بعدالحواريين. (التصحيح من المصدر).

ـ فهذا أمر النبوّة والرسالة ـ . فكلُّ نبيّ أُرسل إلى بني إسرائيل ـ خاصّ أو عامّ ـ له وصيٌّ جرتْ به السنّة ، وكان الأوصياء الذين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله على سنّة أوصياء عيسى عليه السلام . وكان أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ على سنّة المسيح عليه السلام .

فهذا تبيان السنّة ، وأمثال الأوصياء بعد الأنبياء عليهم السلام » .

* * *

وروي في الكافي[1] ما يقرب منه إلى قوله : « كانَ حَقّا عَلي اللهِ أن يذلّه وَ أن يُعذّبه » .

ويشبه أن يكون المراد «بالعلم الذي عندك» معرفته بالله و ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، على سبيل المشاهدة والعيان .

وبـ«الإيمان» التصديق بهذه الأُمور مع الانقياد المقرون بالإيقان .

وبـ«الاسم الأكبر» الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام ، ولا سيّما الكتاب الذي يعلم به كلُّ شيء الذي يكون معهم ـ كما فسّر به في بعض الأخبار .

وبـ«ميراث العلم» التخلّق بأخلاق الله .

وبـ«آثار علم النبوّة» علم الشرايع والأحكام .

* * *

وفي بصائرالدرجات[2] بإسناده إلى مولانا الباقر عليه السلام ـ قال : ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

١ـ أشرنا إليه في صدر الرواية .

٢ـ بصائر الدرجات : الجزء الثالث ، نادر من الباب الثالث ، ١٢١ ، ح١ .

عنه البحار : ٦/٣٨ ، ح١٢ . ٦/٢٧ ، ح١٣ . ٤١/١١ ، ح١ .

« إنَّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبةُ الله بن آدم ، وما من نبيّ مضى إلاّ وله وصيٌّ . وكان جميعُ الأنبياء مأة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ . منهم خمسة أولوالعزم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ـ صلوات الله عليهم ـ وإنَّ علي بن أبي طالب كان هبةُ الله لمحمّد ، ورث علمَ الأوصياء وعلمَ مَن كان قبله ، كما أنَّ محمّدا ورثَ علمَ مَن كان قبله مِن الأنبياء والمرسلين ؛ وعلى قائمة العرش مكتوب : «حمزةُ أسدالله وأسد رسوله وسيّدالشهداء» . وفي ذوّابة العرش[1] عن يمين ربّها ـ وكلتا يدي ربّنا عزّ وجلّ يمين ـ : «عليٌّ أميرالمؤمنين» .

فهذه حجّتنا على من أنكر حقّنا ، وجحدَنا ميراثنا وما منعَنا من الكلام ، وأمامنا اليقين ؛ فأيُّ حجّة تكون أبلغ من هذا ؟ » .

وبإسناده[2] عن أبي الحجار[3] ، قال :

قال أميرالمؤمنين عليه السلام : « إنَّ رسول الله ختمَ مأةَ ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ ، وختمتُ أنا مأة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ ، وكلِّفتُ ما كلِّفَت الأوصياءُ قبلي ـ والله المستعان ـ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه : لست أخاف عليك أن تضلَّ بعد الهدى ، ولكن أخاف عليك فسّاق قريش وعاديتهم ـ حسبنا الله ونعم الوكيل ـ .

١ـ قال في المصباح : «الذؤابة ـ بالضم ، مهموز ـ : الضفيرة من الشَعر إذا كانت مرسلة . فإن كانت ملوية فهي عقيصة . والذؤابة أيضا طرف العمامة ، والذؤابة طرف السوط» فذؤابة العرش طرفها .

٢ـ بصائر الدرجات : الباب السابق ، ١٢١ ، ح٢ . عنه البحار : ٣٤٢/٣٩ .

٣ـ في النسخة بحائين مهملتين . وفي المصدر والبحار : أبو الحجاز . ولم أعثر على ترجمته .

على أنّ ثلثي القرآن فينا و في شيعتنا ، فما كان من خير فلنا و لشيعتنا ، و الثُلث الباقي أشركنا فيه الناس ، فما كان فيه من شرّ فلعدوّنا .

ـ ثمّ قال : ـ ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ ٱلَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ ﴾ ـ الآية ـ [٩/٣٩] . فنحن ـ أهلَ البيت ـ الذين يعلمون ، وشيعتُنا أُولوالألباب ؛ والذين لايعلمون عدوُّنا ؛ وشيعتُنا هم المهتدون» .

فصل [٤]

[خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله]

روى السيّد الجليل الحسن بن أبي كبش[1] بإسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا نظرَ إليّ قال :

---

١ ـ لم أعثر على ترجمته .

و الأظهر أن المؤلف رواه حكاية عن كتاب المختصر لحسن بن سليمان الحلي ، كما حكى عنه المجلسي ـ قده ـ في البحار (٦/٢٥ ، ح٩) : «كتاب المختصر . . . مما رواه من كتاب السيد حسن بن كبش (كذا) ، مما أخذه من كتاب المقتضب ووجدته في المقتضب أيضا . . .» راجع أيضا ما أورده في ٩/١٥ من البحار .

والرواية موجودة في كتاب «مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثناعشر» لأحمد بن محمّد بن عبيد الله بن عيّاش الجوهري (ص ٦) مع اختلافات في الألفاظ : «حدثنا أبو علي أحمد بن محمّد بن جعفر الصولي البصري ، قال حدثنا عبدالرحمن بن صالح بن رعيدة ، قال حدثني الحسين بن حميد بن الربيع ، قال حدثنا الأعمش ، عن محمّد بن خلف الطاطري ، عن زاذان ، عن سلمان . . .» . ورواه مسندا (باختلافات يسيرة) الطبري في دلائل الإمامة : معرفة وجوب القائم ، ٤٤٧ـ ٤٥٠ ، ح٢٨ . والحضيني في الهداية الكبرى : الباب الرابع عشر : ٣٧٥ .

«يا سلمان إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيًّا ولا رسولاً إلاّ جعل له اثناعشر نقيبا».

ـ قال: ـ قلت: «يارسول الله ـ قد عرفت هذا من الكتابين».

قال: «ياسلمان ـ فهل علمتَ نقبائي الاثناعشر، الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي ؟». فقلت: «الله ورسولُه أعلم».

قال: «ياسلمان ـ خلقني الله من صفاء نوره، فدعاني فأطعتُه؛ وخلقَ من نوري عليًّا، فدعاه إلى طاعته فأطاعه؛ وخلق من نوري ونور عليّ فاطمةَ، فدعاها فأطاعته؛ وخلق منّي ومن عليّ ومن فاطمة: الحسنَ والحسينَ، فدعاهما فأطاعاه؛ فسمّانا الله ـ عزّ وجلّ ـ بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود، وأنا محمّد؛ والله العليُّ، وهذا عَليٌّ؛ والله فاطر، وهذه فاطمة؛ والله الإحسان، وهذا حسن؛ والله المحسن، وهذا الحسين. ثمّ خلق من نورالحسين تسعة أئمّة، فدعاهم فاطاعوا قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة، أو أرضا مدحيّة، أو هواء أوماء، أو ملكا أو بشرا؛ وكنّا نعلمه[1] أنوارا نسبّحه ونسمع له ونطيعه».

ـ فقال سلمان ـ: قلت: «يارسول الله بأبي أنت وأُمّي ـ ما لمَن عرف هؤلاء» ؟

فقال: « ياسلمان، من عرفهم ـ حقَّ معرفتهم ـ واقتدى بهم و والىٰ وليّهم وتبرّءَ من عدوِّهم؛ فهو والله منّا، يَرِدُ حيثُ نرِد ويسكن حيثُ نسكن ».

قلت: «يارسول الله ـ يكون إيمانٌ بهم بغير معرفتهم بأسمائهم

---

١ ـ كذا. وفي المصادر: بعلمه.

وأنسابهم» ؟ فقال : «لا ـ ياسلمان» .

فقلت : «يارسول الله ـ فأنّى لي بهم» ؟

قال : «قد عرفتَ إلى الحسين ؛ ثمّ زين العابدين عليّ بن الحسين ، ثمّ ابنه محمّد بن عليّ باقر علم الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسَلين ، ثمّ ابنه جعفربن محمّد لسان الله الصادق ، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبرا في الله ، ثمّ عليُّ بن موسى الرضا لأمرالله ، ثمّ محمّد بن عليّ الجواد المختار من خَلق الله ، ثمّ عليّ بن محمّد الهادي إلى الله ، ثمّ الحسن بن عليّ الضامن الأمين العسكريَ ، ثمّ ابنه محمّد بن الحسن المهدي الناطق القائم بحقّ الله» .

قال سلمان : فسكتُّ ، ثمّ قلت : «يارسول الله ـ أُدع لي بإدراكهم» .

قال : «ياسلمان ـ إنّك مدركُهم وأمثالك ومن تولاهم بحقيقة المعرفة» .

قال سلمان : فشكرت الله كثيرا ، ثمّ قلت : «يارسول الله ـ مؤجّل إلى عهدهم» ؟ .

فقال : «ياسلمان اقرء : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [١٧/٦٥]» .

قال سلمان : فاشتدّ بكائي وشوقي ، وقلت : «يارسول الله ـ بعهدٍ منك» ؟ .

فقال : «إي والذي أرسل محمّدا ـ إنّه لعهدٌ منّي ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمّة ، وكلُّ مَن هو منّا ومظلوم فينا ؛ إي والله

يا سلمان ـ ثمّ لتحضرنّ إبليس وجنوده وكلّ من محض الإيمان محضا ومحض الكفرَ محضا، حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار والتُراث ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [١٨/٤٩]. ونحن نأول هذه الآية: ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَ نُرِىَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [٢٨/٦٥]».

قال سلمان: «فقمتُ من بين يدي رسول الله ﷺ ـ ومايبالي سلمانُ متى لقى الموتَ، أو لقيه».

* * *

وروى الصدوق في إكمال الدين[1] بإسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول:

«لمّا أنزل اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ على نبيّه محمّد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَ أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [٤/٥٩]، قلت: «يارسول الله ـ عرّفنا اللهَ وَ رسولَه، فمَن أُولي الأمر الذين قرن اللهُ طاعتهم بطاعتِك»؟

فقال ﷺ: «هم خلفائي ـ ياجابر ـ وأئمّة المسلمين من بعدي؛ أوّلهم عليُّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر ـ وستدركه ياجابر، فإذا

---

١ ـ كمال الدين: باب نصّ الله عزّ وجلّ على القائم ﷺ، ٢٥٣، ح٣. كفاية الأثر: باب ماجاء عن جابر بن عبد الله...، ٥٣.
عنها البحار: ٣٦/٢٥٠، ح٦٧. راجع أيضا ٢٣/٢٨٩، ح١٦.

لقيته فاقرأه منّي السلام ـ ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليُّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سَميّي وكَنيّي حجّةُ الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذاك الذي يفتح اللهُ ـ تعالى ذكره ـ على يديه مشارقَ الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لايثبت فيها على القول بإمامته إلاّ مَن امتحن اللهُ قلبَه للإيمان».

ـ قال جابر: ـ فقلت له: «يارسول الله ـ فهل ينتفع الشيعةُ به في غيبته»؟

فقال ﷺ: «إي ـ والذي بعثني بالنبوّة ـ يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب. ـ ياجابر ـ هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله؛ فاكتُمه إلاّ عن أهله».

ـ قال جابر بن يزيد: ـ فدخل جابر بن عبدالله على عليّ بن الحسين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فبينما هو يحدّثه إذ خرج محمّدُ بن عليّ الباقر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من عند نسائه وعلى رأسه ذؤابةٌ[1] وهو غلام، فلمّا بصر به جابر ارتعدت فرائصه[2]، وقامت كلُّ شَعرةٍ على بدنه، ونظر إليه مليّا، ثمّ قال له: «ياغلام، أقبِل» فأقبلَ؛ ثمّ قال له: «أدبِر» فأدبرَ؛ فقال جابر: «شمائل رسول الله ـ وربِّ الكعبة». ثمّ قام فدنا منه وقال له: «ما اسمك ياغلام»؟ فقال: «محمّد».

١ـ الذؤابة: الضفيرة من الشَعر إذا كانت مرسلة. فإذا كانت ملويّة فهي عقيصة.

٢ـ لسان العرب (فرص): «الفريصة: اللحم الذي بين الكتف والصدر، ومنه الحديث «فجيء بها تُرعَد فرائصها» أي: ترجف».

قال: «أبنُ مَن» ؟ قال: «ابن عليّ بن الحسين».

قال: «يا بنيَّ ـ فَدَتكَ نفسي ؛ فأنت إذا الباقر». قال: «نعَم».

قال ـ صلوات الله عليه ـ: « فأبلِغني ما حمَّلك رسولُ الله ﷺ ».

فقال جابر: «يا مولاى ـ إنَّ رسول الله ﷺ بَشَّرني بالبقاء إلى أن ألقاك، وقال لي:

«إذا لقيته فاقرأه منِّي السلامَ»

ـ فرسولُ الله ـ يامولايَ ـ يقرء عليك السلامَ».

فقال أبو جعفر ـ صلوات الله عليه ـ: «ياجابر ـ على رسول الله السلام ما قامت السماوات والأرض، وعليك ـ ياجابر ـ كما بلَّغتَ السلام».

فكان جابرُ بعد ذلك يختلف إليه ويتعلَّم منه ؛ فسأله محمَّدُ بن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ عن شيء، فقال جابر: «والله لادخلتُ في نهي رسول الله ﷺ ؛ فقد أخبرني أنّكم الأئمّة الهداة من أهل بيته من بعده، أحلمُ الناس صغارا وأعلم الناس كبارا، وقال: لاتُعلِّموهم، فهم أعلمُ منكم».

فقال أبوجعفر ـ صلوات الله عليه ـ: «صدق جدِّي رسولُ الله ﷺ، والله إنِّي لأعلمُ منكَ بما سألتكَ عنه، ولقد أُوتيتُ الحُكمَ صبيًّا، كلُّ ذلك بفضل الله علينا ورحمته لنا أهل البيت».

* * *

وبإسناده[١] عن جابر بن عبدالله الأنصاري ـ قال : ـ «دخلتُ على فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ وبين يديها لوحٌ فيه أسماء الأوصياء من ولدها ؛ فعددتُ اثناعشر ، آخرهم القائم ؛ ثلاثة منهم محمّد ، وأربعة منهم عليٌّ ـ صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ـ» .

وبإسناده[٢] عن ثابت بن دينار[٣] ، عن سيِّد العابدين عليّ بن الحسين ، عن سيِّد الشهداء الحسين بن عليّ ، عن سيِّد الأوصياء أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليهم ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « الأئمّةَ بعدي اثناعشر ، أوّلهم أنتَ ـ ياعلي ـ وآخرهم القائم الذي يفتح اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ على يديه مشارقَ الأرض ومغاربها» .

وبإسناده[٤] عن مولانا الصادق ﷺ عن أبيه ، عن أميرالمؤمنين ﷺ ، قال : ـ قال رسول الله ﷺ : «الأئمّة[٥] اثناعشر من أهل بيتي ، أعطاهم

١ـ كمال الدين : باب خبر اللوح ، ٢٦٩ ، ح١٣ . و رواه بسند آخر فيه : ٣١١ـ٣١٢ ، ح٣ . وعيون أخبارالرضا ﷺ باب في النصوص على الرضا ﷺ بالإمامة ، ٤٦ـ٤٧/١ ، ح٦ـ٧ . وليس فيها كلمة «من ولدها» . وكذا في الخصال : أبواب الاثناعشر ٤٧٧ـ٤٧٨ ، ح٤٢ ، على أن فيه : «ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي» . ولكن في الغيبة للطوسي : ١٣٩ ، ح١٠٣ ، والكافي : كتاب الحجة ، ٥٣٢/١ ، ح٩ : «. . .من ولدها . . . ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي» . والذي يظهر أن كلمة «ولدها» خطأ في الرواية الأولى من كمال الدين وساقطة من الخصال .

٢ـ كمال الدين : ماروي عن النبي ﷺ في النصِ على القائم ﷺ ، ٢٨٢ ، ح٣٥ .

٣ـ هو أبوحمزة الثمالي ، وقد مضى ذكره .

٤ـ كمال الدين : الباب السابق ، ٢٨١ ، ح٣٣ . عيون الأخبار : الباب السابق ، ٦٤/١ ، ح٣٢ . الاختصاص : ٢٠٨ . عنها البحار : ٢٤٣/٣٦ ، ح٥٢ .

٥ـ كذا في كمال الدين . وأما في غيره (العيون والاختصاص والمنقول عنه في البحار) لايوجد هذه الكلمة وشروع الحديث : «اثناعشر من أهل بيتي . . .» .

الله[1] فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي؛ فويلٌ للمتكبِّرين عليهم بعدي، القاطعين فيهم صِلتي؛ ما لهم، لا أنالهم الله شفاعتي».

و رواه العامّة بأسانيد وألفاظ متعددة[2] .

فصل [٥]

[نصوص على الأئمة الاثناعشر]

روى الحافظ ابوعبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله الحميدي[3] من العامة في الجمع بين الصحيحين المتّفق عليه، عن جابر بن سمرة[4] ،

---

١ ــ الاختصاص : من أعطاهم الله .

٢ ــ أحاديث أن الأئمة اثناعشر سيذكر في الفصل الآتي من طرق العامة . وأما ماجاء في ذيل الحديث (أعطاهم الله فهمي ...) فقد جاء مايقرب منه في حلية الأولياء : آخر ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام : ٨٦/١ . تاريخ دمشق ، ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام : ٩٥/٢ الحديث ٥٩٦ . كنز العمال : ١٠٣/١٢ ، ح٣٤١٩٨.

٣ ــ من رواة العامة وحفاظهم وفقيه ظاهري ، تلميذ ابن حزم الأُندلسي . قال الذهبي : (سير أعلام النبلاء : ١٢٦/١٩) : «توفى الحُميدي في سابع عشر ذي الحجة ، سنة ثمان وثمانين وأربع مأة ، عن بضع وستين سنة أو أكثر». جاءت ترجمته في أكثر كتب التراجم : راجع الأنساب : ٢٦٣/٤ . معجم الأُدباء : ٢٨٢/١٨ . تذكرة الحفاظ : ١٢١٨/٤ . مرآة الجنان : ١٤٩/٣ . شذرات الذهب : ٣٩٢/٣. معجم المؤلفين : ٥٨٣/٣ ، الترجمة ١٥١٦٤ . وغيرها .والكتاب غير مطبوعة بعد ولذلك أرجعنا المنقول إلى أصله من الصحيحين .

٤ ــ جابر بن سَمُرة ابن جُنادة ، أبوخالد السُوائي وقيل أبو عبدالله . قال في أُسدالغابة (٣٠٤/١ ، الترجمة ٦٣٨) : «روى عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث كثيرة» قال ابن سعد (الطبقات : ٢٤/٦) : «نزل الكوفة و ابتنى بها دارا في بني سُواءة ، وتوفي بها في أول خلافة عبد الملك بن مروان» راجع أيضا : الإصابة :٢١٢/١ ، الترجمة ١٠١٨ . الاستيعاب : بحاشية الإصابة ٢٢٤/١. المعجم الكبير : ١٩٤/٢ . سير أعلام النبلاء : ١٨٦/٣ .

قال : سمعت النبي ﷺ يقول[1] : «يكون بعدي اثناعشر أميرا» ـ فقال كلمةً لم أسمعها ، فقال أبي : إنّه قال : ـ « كلُّهم من قريش » .

وزاد في رواية[2] : «وكلّهم لايرى مثله» .

وفي رواية أبي عيينة[3] ـ قال : ـ «لايزال أمر الناس ماضيا ماولاّهم اثناعشر رجلاً»

وفي رواية عامربن سعد بن أبي وقّاص[4] : «لايزال الدين قائما حتّى تقومَ الساعة ، ويكون عليكم إثنا عشر خليفة كلُّهم من قريش» .

---

١ ـ لفظ البخاري (كتاب الأحكام ، باب ماقبل آخره ، ١٠١/٩) : «يكون اثنا عشر أميرا ـ فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي إنه قال : ـ كلهم من قريش» .
و أما مسلم فرواه بألفاظ مختلفة قريبة من المعنى : كتاب الإمارة ، باب الناس تبع لقريش . . . ، ١٤٥٢/٣ـ١٤٥٣ ، ح٤ـ١٠ .
وقدخرّج مسانيد الحديث مستوفى في ملحقات إحقاق الحق : ١/١٣ـ٨٤ .

٢ ـ لم أعثر بهذا اللفظ في البخاري أومسلم . وورد في كمال الدين : باب (٢٤) ماروي عن النبي ﷺ في النص على القائم ﷺ . . . ، ٢٧٣ ، ح٢١ . الخصال : ابواب الاثناعشر ، ح٢٩ ، ٤٧٣/٢ .

٣ ـ كذا في النسخ ، الأظهر كونه خطأ ، والصحيح «ابن عيينة» وهو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي من مشايخ الرواة المشهورين .
والحديث رواه مسلم (الصفحة السابقة ، ح٦) عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ، عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة . و رواه أحمد في المسند (٩٧/٥ـ٩٨ و ١٠١) بلفظ «لايزال هذا الأمر ماضيا حتى يقوم اثناعشر أميراه» .

٤ ـ عامر بن سعد بن أبي وقّاص روى عن أبيه و أُسامة بن زيد وعائشة وأبي هريرة وجابر بن سمرة . مات سنة أربع ومأة . راجع طبقات ابن سعد : ١٦٧/٥ . خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : ١٨٤ . سير أعلام النبلاء : ٣٤٩/٤ .
والحديث في مسلم : الباب السابق ، ح١٠ ، ١٤٥٣/٣ .

وفي رواية عامر الشعبي[1] : « لايزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى إثنا عشر خليفة» .

وفي مسند أحمد بن حنبل[2] عن مسروق[3] قال : كنّا مع عبدالله جلوسا في المسجد يقرأ بنا ، فأتاه رجلٌ فقال : «يابن مسعود ـ هل حدَّثكم نبيُّكم كم يكون من بعده خليفة »؟

قال : «نعَم ، كعدَّة نقباء بني إسرائيل» .

وروى أبو عبد الله جعفربن محمد بن أحمد الدوريستي[4] منهم مرفوعا عن ابن عباس[5] ـ قال : ـ سألتُ رسولَ الله ﷺ حين حضرته

١ـ عامر بن شراحيل الشعبي معروف من مشائخ الرواة ، مات بعد المأة . راجع طبقات ابن سعد : ٢٤٦/٦ . المعارف : ٤٤٩ . سير أعلام النبلاء : ٢٩٤/٤ . تقريب التهذيب : ٣٨٧/١ .

والحديث في مسلم : الصفحة السابقة ، ح٩ .

٢ـ المسند : ٤٠٦/١ ، ومايقرب منه في ٣٩٨/١ .

٣ـ مسروق بن الأجدع بن مالك من أعلام العامة ، روى عن جمع من الصحابة وحكى ابن سعد أنه مات سنة ثلاث وستين . راجع طبقات ابن سعد : ٧٦/٦ـ٨٤ . سير أعلام النبلاء : ٦٣/٤ . المعارف : ٤٣٢ . حلية الأولياء : ٩٥/٢ . تاريخ بغداد : ٢٣٢/١٣ . أسد الغابة : ٣٨٠/٤ الترجمة : ٤٨٦٣ .

٤ـ قال منتجب الدين في فهرسته (ص٣٧ . الترجمة : ٦٧) : «الشيخ الجليل أبو عبدالله جعفر بن محمد الدوريستي ، ثقة ، عين ، عدل ؛ قرأ على شيخنا المفيد . . . وعلى السيد الأجل المرتضى ـ قدس الله أرواحهم ـ وله تصانيف . . .» . راجع أيضا معجم الرجال : ١٠٣/٤ و١٢٦ .

٥ـ الحديث حكاه الطبرسي في أعلام الورى (الركن الرابع ، القسم الأول ، الفصل الأول في ذكر بعض الأخبار التي جاءت في النص على عدد الأئمة الاثناعشر من الأئمة من طريق العامة . . . ، ٣٦٥) قال : «ومما ذكره الشيخ أبوعبدالله جعفر بن محمد بن أبي أحمد الدوريستي في كتابه في الردّ على الزيديّة ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرني الشيخ

الوفاةُ، فقلت: «إذا كان ما نعوذ بالله منه، فإلى مَن» ؟

فأشار إلى عليّ ﷺ فقال: «إلى هذا، فإنّه مع الحقِ والحقُّ معه ؛ ثمّ يكون من بعده أحدَ عشر إماما مفترضةً طاعتُهم بطاعته[1] ».

وعن عايشة[2] أنها سُئلت: «كم خليفة يكون لرسول الله ﷺ» ؟ فقالت: «أخبرني رسولُ الله ﷺ أنّه يكون بعده اثناعشر خليفة».

ـ قال: ـ فقلت لها: «مَن هُم» ؟

فقالت: «أسماؤهم عندي مكتوبةً بإملاء رسول الله ﷺ».

فقلت لها: «فأعرضيه». فأبت.

وعن العباس بن عبد المطلب[3] أنّ النبي ﷺ قال له: «يا عمِّ ـ يملك من ولدي اثناعشر خليفة، ثمّ يكون أمورٌ كريهة وشدائد عظيمة ؛ ثمّ يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة، فيملأ الأرض قسطا وعدلاً، كما مُلئت جورا، ويمكث في الأرض ماشاء الله، ثمّ يخرج الدجّال».

ـ أبوجعفر بن بابويه، قال: حدثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد الأسدي، عن الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله ﷺ حين حضرته وفاته...».

والظن الغالب أن الكتاب (الرد على الزيدية) لم يكن بيد المؤلف وأنّه ينقل الأحاديث الثلاثة الآتيات منه اعتمادا على مارواه الطبرسي ؛ ثم الأظهر أنّ هذا الحديث مسند ـ كماترى ـ وليس بمرفوعة ؛ وأنّ رواته ليسوا من العامة ـ على ماهو معروف عنهم ـ وإن أورده الدوريستي ضمن الروايات المروية عنهم.

١ـ كذا. وفي أعلام الورى: «كطاعتي».

٢ـ إعلام الورى: الصفحة السابقة، عن كتاب الدوريستي المذكور.

٣ـ عن الكتاب المذكور.

وقد استفاض هذا النقل وأمثاله في كتب العامّة[1] . وأمّا عندنا فقد بلغ حدَّ التواتر بنصوص واضحة جليّة مفصّلة لا شكَّ فيها[2] ، وقد نصّ كلٌّ منهم ـ صلوات الله عليهم ـ على لاحِقه ، وأخبر أصحابَه بإمامته واسمه وصفته ، وقد ثبت طهارتُهم وصِدقُهم جميعا عند معتبري أهل الإسلام كافّة ، وهذا من أدلِّ الدلائل على حجيّتهم دون غيرهم ممّن اختلف في فضله وحاله ، وكذلك عصمتُهم ثابتةٌ عندنا ، و ولايتُهم لله ، وشرفُهم وفضلهم وحجيّتهم معلومةٌ من التتبُّع لآثارهم ومعارفهم بحيث لايبقى للشك مجال .

***

قال الشيخ الصدوق محمّد بن عليٍّ بن بابويه القمي ـ رحمه الله ـ في إكمال الدين وإتمام النعمة[3] :

«ومن أوضح الأدلّة على الإمامة أنّ الله عزّ وجلّ جعل آية النبيّ ﷺ أنّه أتى بقصص الأنبياء الماضين ﷺ وبكلّ علم توراة وإنجيل وزبور ، من غير أن يكون يعلم الكتابة ظاهرا ، أو لقي نصرانيا أو يهوديا ، فكان ذلك أعظم آياته .

وقُتل الحسين بن عليّ ﷺ وخلّف علي بن الحسين ﷺ

١ـ راجع الأحاديث وتخريجاتها في ملحقات الإحقاق : ١٣/١ ـ ٧٤ . معجم أحاديث المهدي ﷺ : ج١ .

٢ـ راجع البحار : أبواب النصوص على أميرالمؤمنين والنصوص على الأئمة الاثناعشر ﷺ : ٣٦/ ١٩٢ـ ٤١٨ . عوالم العلوم : الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر ٣٣ـ٣١٣ . وغيرهما من المصادر .

٣ـ كمال الدين : مقدمة المؤلف ، أجوبة النوبختي عن المخالفين : ٩١ .

متقارب السنّ ـ كانت سِنُّه أقلّ من عشرين سنة ـ ثمّ انقبض عن الناس فلَم يلقَ أحدا ولا كان يلقاه إلاّ خواصّ أصحابه، وكان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلاّ يسيرا لصعوبة الزمان وجور بني أُميّة ـ.

ثمّ ظهر ابنُه محمّد بن عليّ المسمّى بالباقر ﷺ لفَتْقه العلمَ، فأتى من علوم الدين والكتاب والسُنّة والسِيَر والمغازي بأمر عظيم.

وأتى جعفربن محمّد ﷺ من بعده من ذلك بما كثر وظهر، فلم يبق فنٌّ من فنون العلم إلاّ أتى فيه بأشياء كثيرة، وفسّر القرآنَ والسننَ، و رُويت عنه المغازي وأخبارالأنبياء من غير أن يُرى هو وأبوه ـ محمّد بن عليّ أوعليُّ بن الحسين ﷺ عند أحد من رواة حديث العامّة أو فقهائهم يتعلّمون منهم شيئا، وفي ذلك أدلُّ دليل على أنّهم إنّما أخذوا ذلك العلم عن النبي ﷺ، ثمّ عن عليّ ﷺ، ثمّ عن واحد واحد من الأئمّة ﷺ.

وكذلك جماعةُ الأئمّة ﷺ هذه سنّتُهم في العلم؛ يُسألون عن الحلال والحرام فيُجيبون جوابات متّفقة، من غيرأن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس.

فأيُّ دليل أدلُّ من هذا على إمامتهم، وأنّ النبيّ ﷺ نصَبهم وعلّمهم وأودعهم علمَه وعلومَ الأنبياء ﷺ قبله؛ وهل رأينا في العادات من ظهر عنه مثلُ ماظهر عن محمّد بن علي وجعفر بن محمّدٍ ﷺ من غيرأن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس»؟ ـ انتهى كلامه ـ.

* * * *

وأمّا النصوصُ الواردةُ في فضائلهم ومناقبهم، فأكثر من أن تُحصى وأشهر من أن تخفى، وسنأتي بطرف منها في بابٍ على حِدَة إن شاء الله.

قال عليُّ بن عيسى الإربلي ـ رحمه الله ـ[1] بعد نقل نبذ من أخبار خلافتهم:

«ولايقدح في ذلك كونهم ـ صلوات الله عليهم ـ مُنعوا من الخلافة، وعُزلوا عن المنصب الذي اختارهم الله له، واستُبِدَّ به دونهم، إذ لم يقدح في نبوّة الأنبياء تكذيبُ من كذّبهم، ولا وقعَ الشكُّ فيهم لانحراف مَن انحرف عنهم، و لاشوّه وجوهَ محاسنهم تقبيحُ مَن قبّحها، ولا نقّص شرفَهم خلافُ من عاندهم ونصب لهم العداوة، وجاهرهم بالعصيان.

و قد قال أميرالمؤمنين عليه السلام[2]: « و ما على المؤمن من غضاضة في دينه أن يكون مظلوما ـ مالم يكن شاكّا في دينه، ولا مرتابا بيقينه».

وقال عمّار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ في أيّام صفّين[3]:

١ـ كشف الغمّة: في ذكر الإمامة وكونهم خصُّوا بها: ٥٨/١.

٢ـ نهج البلاغة: الكتاب ٢٨. بلفظ: «وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما...»

٣ـ وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢. السعَف: أغصان النخلة. وقيل: ورقها. هَجَر: بلد بالبحرين موصوفة بكثرة النخيل، وبها يضرب المثل، وجاء في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية (نهج البلاغة: الكتاب: ٢٨): «فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر». وإنما خصّها بالذكر لبُعدها.
راجع أيضا معجم البلدان: هجر، ٩٥٢/٤ـ٩٥٣.

«والله ـ لو ضربونا حتّى يُبلغونا سَعَفات هَجَر، لعلِمنا أنّا على الحقّ، وأنّهم على الباطل».

ـ وهذا واضح بحمد الله لمن تأمّله».

وسيأتي له مزيد تحقيق وتبيان إن شاء الله (*

* ـ كتب المؤلف هنا فصلا كاملا ثم أعرض عنه وأسقط الورقة المكتوب عليها من النسخة. وحيث أن هذا الفصل كانت موجودة في المطبوعة الحجرية من الكتاب رأينا الإتيان بها لازما على ماهو سياق عملنا في هذا الطبع، والفصل مايلي:

فصل

قال بعضُ أهل التحقيق:

[1] «اعلم أنّ أصحاب الشريعة من لدن آدم إلى محمد ﷺ ستّة، كلٌّ واحد منهم جاء بشريعة واحد مدّة، فالأوّل فاتحتُه والآخر خاتمتُه، وما بينهما ينسخ الأوّل الأخيرَ ليعود الخاتمةُ فاتحةً، والفاتحةُ خاتمةً، وإلى ذلك أشار النبيُّ ﷺ باستدارة الزمان وهو قوله[2]: «قد استدار الزمانُ كهيئته يوم خلق الله فيه السماوات والأرض».

فالستّة: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ـ صلوات الله عليهم أجمعين.

١ ـ لم أعثر على القائل، غير أن السيد حيدر الآملي أيضا أورده في كتابه جامع الأسرار (٢٤٠ـ ٢٤١) حاكيا عن بعض الفضلاء ـ على حد تعبيره ـ ولعل المؤلف أيضا حكى عنه، ويوجد بينها اختلافات في ضبط الأسامي لم نتعرض لها.

٢ ـ لفظ الحديث: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض...».
البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في سبع أرضين، ١٣٠/٤. كتاب التفسير، سورة براءة، ٨٣/٦. مسلم: كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء...، ١٣٠٥/٣، ح٢٩. أبو داود: كتاب المناسك، باب الأشهر الحُرم: ١٩٥/٢، ح١٩٤٧. المسند: ٣٧/٥ و ٧٣.

. . . .

- وإنّه لكلّ واحد منهم من الأوصياء المتواصلين به في الأزمنة المتباعدة والمتقاربة إثنا عشر وصيّا ، يحفظون كلمته ويُقيمون شريعته ، مادام التكليف باقيا .
والوصيُّ هوالحجّة بعد ذلك النبيّ ، والإمامُ الناطق بتأويل الكتاب الصامت ، يحفظ الشريعةَ ، ويقيم الحدودَ ، ويسدُّ الثغورَ ، ويقصّر يدَ الظالم عن المظلوم .

فالشريعةُ الفاتحة لآدم عليه السلام ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا ؛ وهم : شيث ، هابيل ، قينال ، ميسم ، شيسم ، قادس ، قيدق ، اميتح ، إينوخ ، إدريس ، دينوخ ، ثاخور .

الشريعةُ الثانية لنوح عليه السلام ، وأوصياؤها اثناعشر ، وهم : سام ، يافث ، ارشخ ، فرشخ ، فاقو ، شالح ، هود ، صالح ، ديمنح ، معدل ، وريخا ، هجان .

الشريعةُ الثالثةُ لإبراهيم عليه السلام ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا ، وهم : إسماعيل وإسحاق ويعقوب ، يوسف ، إيلون ، إيتم ، أيّوب ، زينون ، دانيال الأكبر ، إينوخ ، اناخا ، ميدخ .

الشريعةُ الرابعة لموسى عليه السلام ، وأوصياؤها اثناعشر ، وهم : يوشع ، عروف ، فيدوف ، عزير ، اريسا ، داود ، سليمان ، آصف ، اتواخ ، منيقا ، ارون ، واعث .

الشريعةُ الخامسة لعيسى عليه السلام ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا ، وهم : شمعون ، عروف ، فيدق [فيدوف] ، عبير [عسير] ، زكريّا ، يحيى ، اهدى ، مشحا ، طالوت ، قسّ ، استين ، بحيرا الراهب .

الشريعةُ السادسة لمحمّد صلى الله عليه وآله ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا ، وهم : أميرالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب ، الحسن الزكيُّ ، الحسين الشهيد ، عليٌّ زين العابدين ، محمّد الباقر ، جعفرالصادق ، موسى الكاظم ، عليّ بن موسى الرضا ، محمد التقيُّ ، عليٌّ النقيُّ ، الحسن العسكريُّ ، المهدي القائم ، وبه ختمت الأوصياء ، وعددهم : اثنان وسبعون وصيّا لستّة أنبياء مرسلين .

==

وفي كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة[٢] : «إنّ الرسل الذين تقدموا قبل عصر نبيّنا ﷺ كان أوصياؤهم أنبياء، فكلُّ وصيٍّ قام بوصيّة حجة تقدّمه ـ من وفات آدم ﷺ إلى عصر نبيّنا ﷺ ـ كان نبيّا ... وأوصياء نبيّنا ﷺ لم يكونوا أنبياء، لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ جعل محمّدا خاتما لهذا الاسم كرامة له وتفضيلاً» .



فإن حصل بين الوصيّ المتّصل بالنبيّ بالله فترةٌ من الزمان إلى وصيٍّ آخر ، حفظ ذلك الوصيّة الرجال المؤمنون بشريعة ذلك النبي ﷺ وإيمان ذلك الوصيّ ؛ ولايزالون ينقلونها سرّا إلى أن يظهرها الله جهرا ؛ لقول النبيّ ﷺ : «ولو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحدٌ ، لطوّل الله ـ تعالى ـ ذلك اليوم ، ليُخرج رجلاً من ولدي اسمُه اسمي ، وكنيتُه كنيتي ، يملأ الأرضَ قسطا وعدلا ، كما مُلئت جورا وظلما .

٢ـ مقدمة المصنف : ٢٦ .

[٧]

باب

أخذ ميثاق النبيّين لنبيّنا

والبشارة به قبل ظهوره ﷺ

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [٨١/٣]

فصل [١]

[ماذا أخذ عليه الميثاق]

إنّ الله عزّ وجلّ أخذ العهود على الأنبياء ﷺ أنّ من أدرك محمّدا يؤمن به وينصره، ومن لم يُدركه فليُخبر قومَه عن صفته، ويُلقي إليهم نعتَه ويأمرهم باتّباعه ونصره، فإن لم يدركه أحدٌ منهم فليوص به مَن بعده، كوصيّة من سَبَقه، وهلم جرّا ـ كما مرّ بيانه مفصّلا في حديث اتّصال الوصيّة ـ وذلك لئلا يقع لبسٌ في أمره، ولا يرتاب من أدرك نبوّته في صفته وفي قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ تشديدٌ للتأكيد من الله ـ تعالى ـ وتوثيق للميثاق والعهد بعد إقرارهم.

قيل : « فأشهدوا » على أنفسكم ، أو على أُممكم ، « وأنا شاهد عليكم » ، أو لكم عليهم ، بتبليغكم وإقرارهم على أنفسهم بقبول رسالتكم ؛ و هذا غاية التعظيم لشرفه ﷺ و نهاية التشديد عليهم بتصريحه بشهادة نفسه الكريمة المقدّسة على هذه المواثيق و مخاطبة أنبيائهم بهذا ، وكذا أخذ الميثاق منهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من ولده عليهم السلام كما ورد في الأخبار المستفيضة :

ففي بصائر الدرجات[1] بإسناده عن مولانا الكاظم عليه السلام ـ قال : ـ «ولايةُ عليٍّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولم يبعث[2] الله رسولاً إلاّ بنبوّة محمّد ، و وصيّة عليٍّ» .

وبأسانيده[3] المتعدِّدة عنهم عليهم السلام : «مانبِئ نبيٌّ قطُّ إلاّ بمعرفة حقِّنا وتفضيلنا[4] على مَن سوانا» .

وبأسانيده المتعدِّدة[5] عنهم عليهم السلام : «ولايتُنا ولاية الله الّتي لم يبعث نبيّا قطُّ إلاّ بها» .

١ـ بصائر الدرجات : الجزء الثاني ، باب (٨) ماخصَّ الله به الأئمّة من آل محمد عليهم السلام من ولاية الأنبياء لهم . . . ، ٧٢ ، ح١ . عنه البحار : ٢٨٠/٢٦ ، ح٢٤ .

٢ـ في المصدر والبحار : «لن يبعث» . ولايخلو عن تكلف .

٣ـ بصائر الدرجات : باب (٩) آخر في ولاية الأئمة عليهم السلام ، ٧٤ـ٧٥ ، ح١ـ٥ .
عنه البحار : ٢٨١/٢٦ ، ح٢٩ . كنز الفوائد : ٢٥٩ . عنه البحار : ٢٩٩/١٨ .

٤ـ في المصدر والبحار : بفضلنا .

٥ـ بصائر الدرجات : الباب السابق ، ٧٥ ، ح٦ـ٩ . عنه البحار : ٢٨١/٢٦ ، ح٣٠ـ٣٣ .
أمالي المفيد : المجلس السابع عشر ، ح٩ ، ١٤٢ . عنه البحار : ٢٦٢/١٠٠ ، ح١٥ .
أمالي الطوسي : المجلس السادس والثلاثون ، ح١٩ ، ٦٧١ .

وفي كتاب التوحيد[١] بإسناده عن داود الرقِّي[٢] قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [١١/٧] فقال لي: «ما يقولون في ذلك»؟

قلت: «يقولون: إنّ العرش كان على الماء، والربُّ فوقَه».

فقال: «كذبوا؛ مَن زعم هذا فقد صيّر الله محمولا، و وصَفه بصفة المخلوقين، ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه».

قلت: «بيِّن لي ـ جعلتُ فداك ـ».

فقال: «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ حمّل دينَه وعلمَه الماءَ، قبل أن يكون أرضٌ أو سماءٌ، أو جنٌّ أو إنسٌ، أو شمسٌ أو قمرٌ؛ فلمّا أراد أن يخلق الخلقَ نثرهم بين يديه، فقال لهم: «مَن ربُّكم»؟ فكان أوّلُ من نطق رسول الله وأميرالمؤمنين والأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ فقالوا: «أنت ربُّنا»؛ فحمّلهم العلمَ والدينَ ثمّ قال للملائكة: «هؤلاء حمَلَةُ علمي وديني، وأُمنائي في خلقي، وهم المسؤلون». ثمّ قيل لبني آدم: «أقِرُّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة». فقالوا: «نعَم ـ ربّنا أقررنا». فقال للملائكة: «أشهدوا». فقالت الملائكة: «شهدنا على أن لاتقولوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً

١ـ التوحيد: باب معنى ﴿وكان عرشه على الماء﴾، ٣١٩، ح١. عنه البحار: ٣/٣٣٤، ح٤٥. و٢٦/٢٧٧، ح١٩. الكافي: كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ١/١٣٢ـ١٣٣، ح٧. عنها البحار: ٥٧/٩٥، ح٨٠.

٢ـ داود بن كثير الرقي، عده الشيخ (الرجال: ١٩٠، رقم ٩، و٣٤٩، رقم ١) من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام؛ ضعفه النجاشي وابن الغضائري، ووثقه الشيخ والعلامة وآخرون. راجع النجاشي: ١٥٦، الترجمة ٤١٠. معجم رجال الحديث: ٧/١٢٢. تنقيح المقال: ١/٤١٤، رقم ٣٨٦١. اختيار معرفة الرجال: ٤٠٢.

مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [٧/١٧٢-١٧٣]؛ يا داود، ولايتُنا مؤكّدةٌ عليهم في الميثاق».

وفي إكمال الدين[1] بإسناده عن مولانا الصادق ﷺ:

«إنّ الله ـ تبارك و تعالى ـ علّم آدمَ أسماءَ حجج الله كلّها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ وهم أرواح ﴿عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنّكم أحقُّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم؛ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَاعَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ﴾ الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره، فعلموا أنّهم أحقُّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه، وحُججه على بريّته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم و ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٢/٣١-٣٣].

والأخبار في هذه المعاني كثيرةٌ جدّا.

* * *
* *
*

---

١ ـ كمال الدين: المقدمة، ١٤. عنه البحار: ١١/١٤٥، ح١٥. و٢٦/٢٨٣، ح٣٨.

فصل [٢]

[البشائر على النبيّ قبل ولادته وبعثته]

و قد جاءت الأخبار في كتب الله المنزَلة مِمّا دلَّ على شرف نبيّنا ﷺ وعلوّ قدره والتنويه بأوصافه على ثبوت نبوّته، إذا آن ظهورُه ليتحقّق أهلُ زمانه صحّةَ ما جاء به بما تعاقب و استفاض عندهم وتداولوه في كتبهم ملّةً بعد ملّةٍ، وقرنا بعد قرن، و ﴿ ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ﴾ ـ وذلك كثير جدّا ـ

وقد ورد في بعض الأقوال[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [١٠/٩٤] أنَّ معناه «إن كُنتَ في شكٍّ ممّا شرّفناكَ به، فاسألهم عن صفتك في الكتب وتشريفاتك».

أي أنَّ الكتبَ دالّةٌ على علوِّ مكانك عندنا ، و هي مشحونةٌ بأوصافك الشاهدة بصدقك في دعوى نبوّتك وعموم رسالتك.

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَ إِذْ قَالَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [٦١/٦].

وعن ابن عبّاس ـ قال ـ : أوحى الله ـ تعالى ـ إلى عيسى بن مريم عليه السلام : «ياعيسى ـ آمِنْ بمحمّد ، وأمُر مَن أدركه مِن أُمّتك أن يؤمنوا به ؛

---

١ ـ راجع تفسير الطبري : ١١/١١٥.

فلولا محمّد ماخلقتُ آدمَ، ولولا محمّد ماخلقتُ الجنّةَ والنارَ».

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [١٥٧/٧].

وفي الدرالنظيم[1] :

فصل [٣]

في البشائر به ﷺ:

من ذلك[2] بشائر موسى ﷺ في السِفْر الأوّل[3] . وبشائر إبراهيم ﷺ

---

١ ـ لم أعثر على الكتاب أو على مؤلفه ، وقد ذكر صاحب كشف الظنون (٧٣٦/١) : الدرالنظيم في تفسيرالقرآن الكريم ، للشيخ تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ . والدرالنظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم ، في التفسير للشيخ مجدالدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي ، المتوفى سنة ٨١٧ . والدرالنظيم في خواص القرآن العظيم ، للشيخ أبي عبدالله بن سهل الخزرجي المعروف بابن الخشّاب اليمني ، المتوفى سنة ٥٦٧ .

وذكر صاحب الذريعة (٨٦/٨) الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم . للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي ، تلميذ المحقق الحلي . وذكروا كتباً أخرى بهذا الاسم أيضا مما أُلِّف بعد الفيض ـ قده ـ أو لايلائم موضوعه مع النص المنقول هنا .

وقد أورد ابن شهرآشوب ـ قده ـ النصّ بلفظه في المناقب : باب ذكر سيدنا رسول الله ﷺ :١/١٣ـ١٤ من غير نسبة إلى كتاب ، لكن تطابق الألفاظ دالة على وحدة المصدر . ثم الأظهر أن مايلي من العنوان (فصل) محكي مافي المصدر ، ولكن لعدم عثورنا عليه ذكرناه كعنوان لهذا الكتاب أيضا .

٢ ـ صدر هذا الفصل ـ إلى قوله : وقيل ـ مقتبس عن مناقب ابن شهرآشوب : ١/١٣ـ١٤ .

٣ ـ لعله يشير إلى ماجاء في سفرالتكوين ، الفصل ١٧ ، الآية ٢٠ـ٢١ .

في السِفْر الثاني . وفي السِفْر الخامس عشر[1] ، وفي الثالث والخمسين من مزامير داود ﷺ .

ومنها بشائر : عويديا[2] وحبقوق[3] وحزقيل ودانيال وشعيا[4] .

وقال داود في زبوره[5] : «اللّهُم ابعثْ مُقيمَ السُنّة بعد الفترة» .

وقال عيسى ﷺ في الإنجيل[6] : «إنّ البرّ ذاهب والبارقليطا جاء من بعده ، وهو يخفّف الاصار ويفسّر لكم كلّ شيء ، ويشهد لي كما شهدتُ له ، أنا جئتُكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل» .

وكان كعب بن لؤيّ بن غالب[7] يجتمع الناس إليه في كلِّ جمعة وكانوا يسمُّونها «عرُوبة» ، فسمّاه كعب «يوم الجمعة» ؛ وكان يخطب

١ ـ كذا في النسخة والمناقب ، ولعل كلمة «عشر» زائدة ، والصحيح : «السفر الخامس» كما هو في تفسير الفخر الرازي أيضا ، والإشارة إلى ماجاء في السفر الخامس ، الفصل ١٨ ، الآية ١٥ . وأيضا : السفر الخامس ، الفصل ٣٣ ، الآية ٢ـ٣ .

٢ ـ كذا في النسخة ، ولكن في العهد العتيق : عوبدياه .

٣ ـ لعله إشارة إلى ماجاء في الباب الثالث من كتاب حبقوق النبي .

٤ ـ لعله إشارة إلى ماجاء في كتاب أشعياء النبي : الفصل ٦٠ ، الآية ١ـ٧ .

٥ ـ كذا في المناقب ولم أعثر عليه ، ولايخفى أن الكتب الموجودة الآن تختلف كثيرا في المضامين والتقسيمات مع ما كانت بأيدي المتقدمين على مايظهر من منقولاتهم من هذه الكتب ، راجع أيضا تفسير الفخر الرازي : ٣/٣٦ـ٣٨ .

٦ ـ راجع إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٤ ، الآية ١٧ و٢٦ و٢٩ . والإصحاح ١٦ ، الآية ٧ـ١٣ .

٧ ـ أحد آباء رسول الله ﷺ ، فإنه : محمّد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ؛ راجع سيرة ابن هشام : ١/١ وأنساب الأشراف : ١/٤١ .

فيه بالناس، ويذكر خبَرَ النبي ﷺ[1] - انتهى كلامه[2] -.

قيل[3] : وفي الفصل الحادي عشر من السِفر الخامس من التوراة : «إنّ الربَّ إلهكم قال : إنّي أُقيم لهم نبيّا مِثلك مِن أحبّهم ، وأجعلُ كلامي على فمه ، وأيّما رجل لم يسمع كلماتي التي يرويها عنّي ذلك الرجل باسمي فإنّي انتقم منه» .

وفي الإسرائيليّات[4] : أوحى الله - تعالى - إلى عيسى ﷺ : «اسمع قولي ، وأطِع أمري - يابن الطاهرة البتول - فإنّي خلقتُكَ مِن غير فَحلٍ وجعلتكَ آيةً للعالمين ؛ فإيّايَ فاعبُدْ ، وعليَّ فتوكّلْ ، وخذ الكتابَ بقوّة وبلّغ مَن بين يديك .

أخبِرهم أنّي أنا الله البديعُ الدائمُ الذي لايزول ، صدِّقوا النبيَّ الأُميَّ الذي أبعثُ في آخر الزمان ، صاحب الجمل ، صاحب النسل والنسب ، الكثير الأزواج ، القليل الأولاد ، نسله من المباركة التي مع

١- قال السهيلي (الروض الأُنف : ١/ ٨) : «وكعب بن لؤي هذا أول من جمع يوم العروبة ، ولم تسمّ العُروبةُ جمعةً إلا مذ جاء الإسلام ، - في قول بعضهم - وقيل : هو أول من سمّاها الجمعة ، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم ، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتّباعه والإيمان به ، وينشد في هذا أبياتا ، منها قوله :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته إذا قريش تُبغّي الحقَّ خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر في كتاب الأحكام له» .

٢- يعني كلام صاحب الدرالنضيم .

٣- حكاه الفخرالرازي (التفسير : ٣/ ٣٦) والذي يظهر أنه إشارة إلى ماجاء في السفرالخامس ، الفصل ١٨ ، الآية ١٥ . وهذا أيضا مؤيد لما أشرنا إليه أن التقسيمات في كتب العهدين الموجودة الآن تختلف مع ماكانت من هذه الكتب بأيدي القدماء .

٤- لم أعثر على مصدره ، ولكنه قريب المأخذ - كماترى - مما يحكى بعده من كمال الدين .

أُمّك في الجنّة، له منها إبنةٌ لها فرخان يستشهدان، دينه الحنيفيّة، وقبلته يمانيّة، وهو رحمة العرب والعجم؛ له حوضٌ أبعد من مكّة إلى أن تطلع الشمس، فيه آنيةٌ عدد نجوم السماء، له لون كلِّ شراب في الجنّة، وطعم كلِّ ثمار الجنّة، مَن شَرِب منه لم يظمأ أبدا، يصفُّ لي قدميه كما تصفُّ الملائكة، ويخشع لي قلبُه، النورُ من صدره، والحقُّ على لسانه، تنام عيناه ولاينام قلبُه، له تدخّر الشفاعةُ، وعلى أُمّته تقوم القيامة.

* * *

وفي إكمال الدين[1] بإسناده إلى عبدالله بن سليمان[2] ـ وكان قارئا للكتب ـ قال: «قرأتُ في الإنجيل: ياعيسىٰ جدّ في أمري ولا تهزل، واسمع وأطِع يابن الطاهرة الطهر البكر البتول، أنت مِن غير فحل؛ أنا خلقتُك آيةً للعالمين، فإيّاي فاعبُدْ، وعليّ فتوكّلْ؛ خذ الكتابَ بقوّة، فسِّرْ لأهل السوريا السريانيّة، بلّغ مَن بين يديك: إنّي أنا الله الدائم الذي لا أزول، صدِّقوا النبيَّ الأُمّي صاحب الجمل والمدرعة[3] والتاج ـ وهي العمامة ـ والنعلين والهراوة[4] ـ وهي القضيب ـ الأنجل العينين[5]

١ ـ كمال الدين: باب بشارة عيسى عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله، ١٥٩، ح١٨.
أمالي الصدوق: المجلس السادس والأربعون، ٣٤٥ـ٣٤٧، ح١٠.
عنه البحار: ١٦/١٤٤، ح١. ١٤/٢٨٤، ح٦.

٢ ـ في بعض نسخ المصدر: حماد بن عبد الله بن سليمان. ولكن المنقول في البحار ونسخ علم اليقين مثل ما في المتن (عن حماد، عن عبدالله بن سليمان)؛ ولعله الأصح. ولم أعثر على ترجمته. واستظهر محقق المصدر أن الصحيح: حماد بن أبي سليمان.

٣ ـ المدرعة: ثوب كالدراعة، ولاتكون إلا من صوف.

٤ ـ الهراوة: العصا.

٥ ـ النجل: سعة العين، فهو أنجل.

الصلت الجبين[١] ، الواضح الخدّين ، الأقنى الأنف[٢] ، مفلّج الثنايا[٣] كأنّ عنقه إبريق فضّة ، كأنّ الذهب يجري في تراقيه ، له شَعرات من صدره إلى سُرّته ، ليس على بطنه ولا على صدره شَعر ، أسمرُ اللون ، رقيقَ المسربة[٤] ، شثن الكفِّ[٥] والقدم ، إذ التَفَتَ التَفَتَ جميعا ، وإذا مشى فكأنّما ينقلع من الصخر ، وينحدر من صَبَب ، وإذا جاء مع القوم بذّهم ؛ عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسك تنفح منه ، لم يُرَ قبله مثلُه ولابعده ؛ طيّب الريح ، نكّاح النساء ، ذوالنسل القليل ؛ إنّما نسلُه من مباركة لها بيت في الجنّة ، لاصخب فيه ولانصب ، يكفِلها في آخرالزمان كما كفّل زكريّا أُمّك ، لها فرخان مستشهدان ، كلامُه القرآن ودينه الإسلام ـ وأنا السلام ـ طوبى لِمَن أدرك زمانه و شهد أيّامَه وسمع كلامَه » .

قال عيسى : «ياربّ وما طوبى» ؟

قال : «شجرةٌ في الجنّة أنا غرستُها بيدي[٦] ، تظلُّ الجنان ، أصلها مِن رضوان ، ماؤها مِن تسنيم ، بردُه بردُ الكافور ، وطعمُه طعمُ الزنجبيل ؛ مَن يشرب من تلك العين شربة لايظمأ بعدها أبدا » .

فقال عيسى عليه السلام : «اللّهم اسقني منها» ؟

١- الصلت الجبين : واسعه .
٢ـ أقنى الأنف : محدبه ، أي ارتفع وسط قصبة أنفه وضاق منخراه .
٣ـ مفلج الثنايا : منفرجها .
٤ـ السرب : الشَعر وسط الصدر إلى البطن .
٥ـ شثنت كفُّه : خشنت و غلظت .
٦ـ المصدر : ـ بيدي .

قال: «حرامٌ ـ ياعيسى ـ على البشر أن يشربوا منها حتّى يشرب ذلك النبيُّ، وحرامٌ على الأُمم أن تشرب منها حتّى تشرب أُمّة ذلك النبيّ؛ أرفعك إليّ ، ثمّ أهبطك في آخرالزمان، لترى من أُمّة ذلك النبيّ العجائبَ، ولتعينهم على اللعين ـ الدجّال ـ أهبطك في وقت الصلوة لتصلّي معهم، إنّهم أُمّة مرحومة».

وقال في كشف الغمّة[1] : «وفي التوراة ماحكاه لي بعضُ اليهود ورأيتُه ـ أنا ـ في توراة معرّبة، وقد نقله الرواةُ ـ أيضا ـ : «اسماعيلُ قبلتُ صلاته، وباركتُ فيه وأنميته وكثّرتُ عددَه بمادماد ـ معناه: محمّد ـ وعددُ حروفه إثنان وتسعون حرفا[2]، سأُخرج اثناعشر إماما ملكا من نسله، وأُعطيه قوما كثير العدد» ـ وأوّل هذا الفصل بالعبري: لاشموعيل شمعيتخو[3]» ـ انتهى.

وعن وهب بن منبه[4] قال: «قرأت في بعض الكتب المنزّلة على بعض أنبياء بني إسرائيل: «أن قُمْ في قومك؛ فقل: يا سماء اسمعي، ويا أرض أنصتي، لأنّ الله يريد أن يقصّ على بني إسرائيل أنّي ربّيتُهم

١ـ كشف الغمّة: ذكر آياته ومعجزاته: ٢١/١.

٢ـ م ٤٠ + ح ٨ + م ٤٠ + د ٤ = ٩٢.

٣ـ المصدر: شمعيوخو.

٤ـ وهب بن منبه تابعيّ معروف، عالم بالإسرائيليات، ولد زمن عثمان، مات سنة عشر ومأة، وقيل: أربع عشر ومأة، وقيل سنة ثلاث عشرة.
راجع سير أعلام النبلاء: ٥٤٤/٤. طبقات ابن سعد: ٥٤٣/٥. المعارف: ٤٥٩. معجم الأدباء: ٢٥٩/١٩.

بنعمتي و آثرتهم بكرامتي واخترتهم لنفسي ، وأنَّ بني إسرائيل كانوا كالغنم الشاردة التي لا راعيَ لها فرددتُ شاردَها ، وجمعت ضالَّتها ، وداويتُ مريضَتَها ، وجبرتُ كسيرَها ، وحفظت سمِيْنَها ، فلمّا فعلت ذلك لها بطرت ، فتناطح كباشُها ، فقتل بعضُها بعضا ؛ فويل لهذه الأمَّة الخاطئة وويل لها وللقوم الظالمين .

إنِّي قضيتُ يومَ خلقتُ السماوات والأرض قضاء حتما ، وجعلتُ لها أجلاً مؤجّلا لابدَّ منه ، فإن كانوا يعلمون الغيب فليُخبروك متى حتمه وفي أيِّ زمان يكون ذلك ؟ فإنِّي مُظهره على الدين كلِّه ، وليُخبروك متى يكون هذا ؟ ومَن القيِّم به ؟ ومَن أعوانه وأنصاره ؟ إن كانوا يعلمون .

فإنِّي باعثٌ بذلك رسولا مِنَ الأُمِّيِّين ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولاصخّابٍ ، ولا عيّابٍ ولا مدّاحٍ ، ولاقوّال للفحش والخنا ، أُسدِّده لكلِّ جميل ، وأهب له كلّ خُلق كريم ، أجعل التقوى شعارَه ، والحكمةَ منطقَه ، والصدقَ والوفاءَ طبيعتَه ، والعفوَ والمعروفَ خُلقَه ، والحقَّ شريعتَه ، والعدلَ سيرتَه ، والإسلامَ ملَّته .

أرفعُ به من الوضيعة ، وأُغني به من العيلة ، وأُهدي به من الضلالة ، و أُولف به بين قلوب متفرِّقة وأهواء لي وإخلاصا لما جاء به رسولي الأعظم ، وأُلهِمُهُم التسبيحَ والتقديسَ والتحميدَ في مساجدهم وصلواتهم ومنقلَبهم ومَثواهم .

يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ، يقاتلون في سبيلي صفوفا ، ويصلُّون لي قياما وركوعا وسجودا ، ويكبِّروني على كلِّ شرف ؛ رُهبان الليل ، أُسد النهار ـ ذلك فضلي أُوتيه من أشاء وأنا ذوالفضل العظيم ـ » .

و في بعض مزامير داود ﷺ: « إنَّ الله مُظهر من صهيون إكليلا محمودا». وصهيون: العرب. والإكليل النبوّة، ومحمود: محمّد ﷺ.

وفي مزمور آخر: «تقلّد ـ أيُّها الجبّار ـ السيفَ، فإنَّ ناموسَك وشرايعَك مقرونة بهيبة يمينِك، وسهامَك مسنونة، والأُمم يخرُّون تحتَك.

وفي مزمور آخر في صفته: «إنّه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وإنّه يخرُّ أهلُ الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحسن أعداؤه التراب، تأتيه الملوكُ بالقرابين، وتسجدُ وتدينُ له الأُمم بالطاعة والاعتقاد، لأنَّه يخلص البائسَ والمضطهدَ ممّن هو أقوى منه، ويُنقذ الضعيفَ الذي لاناصرَ له، ويرؤف بالضعفاء والمساكين، وإنَّه يُعطي من كلِّ ذهب بلاد شيئا ويصلِّي عليه ويبارك في كلِّ يوم، ويدوم ذكرُه إلى الأبد».

***

وعن كعب الأحبار[1] : إنّ سليمان ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ مرَّ في مسيره إلى اليمن بمدينة طيّبة، فقال لمَن معه: «هذه دار هجرة نبيّ في آخرالزمان، طوبى لمَن آمن به وطوبى لمن اتّبعه وطوبى لمن اقتدى به».

وإنَّه مرَّ بمكّة فقال: «هذه مَخرج نبيّ عربيّ صفته كذا وكذا، يعطي النصر على جميع من ناواه، القريب والبعيد عنده في الحقِّ سواء، لاتأخذه في الله لومة لائم».

فقالوا: «أيُّ دين يدين به» ؟ فقال: «بدين الحنيفيّة».

١ـ أورد المجلسي ـ قده ـ مايقرب منه (البحار: ١٤/٨٣ـ٨٤) عن تفسير الثعلبي، عن كعب.

قالوا: «كم بيننا وبين ظهوره»؟ قال: «زهاء ألف عام، فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فإنّه سيِّد الأنبياء وخاتم الرسل، وأنّ اسمَه مكتبٌ[1] في زمرة الأنبياء».

فلمّا فارقَ مكّة بكى البيتُ، فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه: «ما يبكيك»؟ فقال: «يا ربِّ أنت أعلم، هذا نبيٌّ من أنبيائك في قوم من أوليائك مرُّوا بي، فلم يهبطوا فيَّ، ولم يصلّوا عندي، ولم يذكروكَ بحضرتي، والأصنام تُعبد حولي».

فأوحى الله تعالى إليه: إنّي سوف أملؤكَ وجوها سُجّدا، وأُنزل فيك قرآنا جديدا، وأبعث منك نبيّا في آخر الزمان ـ أحبُّ أنبيائي إليَّ ـ وأجعل فيك عمّارا من خَلْقي يعبدونني، وأفترض على عبادي فريضة يزفّون إليك زفيفَ النُّسور إلى أوكارها، ويحنّون إليك حنينَ الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها، وأُطهّرك من الأوثان وعَبَدةِ الشيطان».

فصل [٤]

[من البشائر بالنبي ﷺ]

وممّن بشّر به العالم الحكيم قُسُّ بن ساعدة الأيادي فإنّه قال[2]:

١ـ كذا في النسخة، ولعل الصحيح: مكتوب.

٢ـ وردت أخبار قسّ في كتب التراجم والأدب؛ وهذا الكلام من خطبة له رواها الجاحظ في البيان والتبيين (باب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء: ٣٠٨/١) والسجستاني في المعمَّرون (ص ٧٨). وتراه في كمال الدين :باب خبر قسّ: ١٦٧. كنز الكراجكي: ٢٥٥. البحار: ١٨٤/١٥، ح٨ـ٩. ٢٣٥/١٥، ح٥٦.

«يحلف قُسٌّ يمينا غيركاذبة ، أنّ لله دينا هو خيرٌ من الدين الذي أنتم عليه» .

وقُسّ هذا هو أوّل مَن آمن بالبعث من أهل الجاهليّة ، وأوّل من توكّأ على عصا ؛ ويقال إنّه عاش ستّمأة سنة .

وكان يعرف نبيّنا ﷺ باسمه ونسبه ، ويبشّر الناسَ بخروجه ، وكان يستعمل التقيّة ويأمر بها في خلال مايعظ الناسَ ، وكان يتكلّم بما يخفى معناه على العوامّ ، ولا يستدركه ألاّ الخواصّ .

وترحّم عليه النبيُّ ﷺ وقال[1] : « إنّه يُحشَر يوم القيامة أُمّة واحدة[2] » .

* * *

ومنهم : تُبّع الملك[3] ، فإنّه بشّر به وانتظر لخروجه .

١ ـ كمال الدين والبحار وكنز الكراجكي : الصفحة السابقة .

٢ ـ في المصادر : أُمّة وحده .

٣ ـ التبابعة من ملوك اليمن ، قال المسعودي (مروج الذهب : الباب السادس والأربعون : ٢٣٦/٢) : «وقد كان لليمن ملوك لايدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخّر منهم ، حتّى ينقاد إلى ملكهم أهل الشِحر وحضرموت ، فحينئذ يستحقّ أن يسمّى تُبّعاء .

وأما تبع الأكبر : فهو تبع بن الأقرن بن عمرو بن شمر بن افريقس ـ على قول المسعودي (٢٠٩/٢) ، ملِك اليمنَ مأة سنة وثلاثا وخمسين سنة ، بعد أبيه الذي ملك بعد ينعم بن أبي يعفر ، وكان ملكا بعد أرخبعم بن سليمان النبي عليه السلام .

راجع أيضا تاريخ الطبري : ٥٦٦/١ . والمعارف : ٦٣٠ .

كمال الدين : باب خبر تبع : ١٦٩ .

الكشاف : تفسير قوله تعالى ، ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ ، ٢٧٩/٤ ـ ٢٨٠ . أيضا مجمع البيان : ٦٦/٩ .

قال مولانا الصادق عليه السلام[1] : إنّه قد أخبر أنّه «سيخرج من هذه ـ يعني مكّة ـ نبيٌّ يكون مهاجَره يثرب» ، وقال : «أمّا أنا فلو أدركته لخدمتُه ولخرجتُ معه» .

* * *

ومنهم سيف بن ذي يزن[2] ، فإنّه قال لعبد المطلب :

إذا ولد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الدعامة ، إلى يوم القيامة»

ثمّ قال : «هذا حينُه الذي يولَد فيه ـ أو قد ولد ـ اسمه محمّد ؛ يموت أبوه وأُمُّه ، ويكفله جدُّه وعمُّه . وقد ولّداه سرارا ، والله باعثُه جهارا ، وجاعلٌ له منّا أنصارا ، ليعزّ بهم أولياءه ، ويذلّ بهم أعداءه ، يضرب بهم الناس عن عرض ، ويستفتح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويُخمد النيران ، ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان ؛ قوله فَصلٌ وحُكمه عدلٌ ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله» .

* * *

١ ـ كمال الدين : الباب السابق ، ١٧٠ ، ح٢٦ . عنه البحار : ١٨٢/١٥ ، ح٦ .

٢ ـ سيف بن ذي يزن ، كان من ملوك اليمن في زمن عبد المطلب ، راجع أخباره في مروج الذهب : الباب الثالث والأربعون ، ذكر اليمن وملوكها :٢٠٣/٢ . كمال الدين : باب في خبر سيف بن ذي يزن ، ١٧٩ ، ح٣٢ . عنه البحار : ١٨٨/١٥ ، ح١١ . كنز الكراجكي : ٨٢ـ٨٤ . دلائل النبوّة : باب ماجاء في إخبار سيف بن ذي يزن . . . : ٩/٢ـ١٤ . سيرة ابن هشام : ٦٢/١ـ٦٦ .

فصل [٥]

[بشارة بحيرا وأبو الموهب]

وممّن عرفه بصفته ونعته ونسبه واسمه قبل ظهوره بالنبوّة، وكان من المنتظرين لخروجه: بُحيراء الراهب وأبو الموهب الراهب، وغيرهما من أكابر الرهبان.

وقد بصر به بحيرا في طريق الشام[1]، وكان ﷺ قد خرج إليه مع عمِّه أبي طالب للتجارة، وقد ظلّلته الغمامة، فاستقبلته صومعةُ بحيرا، فنزل تحت شجرة عظيمة، قليلة الأغصان ليس لها حمل، فاهتزّت وألقت أغصانها عليه وحملت من ثلاثة أنواع من الفاكهة ـ فاكهتان للصيف وفاكهة للشتاء ـ.

فعرفه بحيرا بعلاماته، وأضافه بطعام قليل، فشبع منه رجالٌ كثير، ثمّ سأله عن نومه ويقظته وهيأته وجميع شأنه، فأخبره ﷺ بجميع ذلك؛ فوافَق ـ ما عند بحيرا من صفته ـ التي عنده.

فانكبَّ عليه بحيرا يقبّل رِجله ويقول: «يا بُنيّ ـ ما أطيبَك وأطيب ريحُك، يا أكثر النبيّين أتباعا، يا مَن بهاء نور الدنيا من نوره، يا مَن بذكره تعمر المساجد، كأنّي بك قد قدتَ الأجناد والخيل الجياد،

---

١ ـ ماأورده ـ قده ـ اقتباس مما جاء في كمال الدين: باب في خبر بحيرا الراهب: ١٨٢ـ١٨٨، ح٣٣. عنه البحار: ١٥/١٩٣.

راجع أيضا سيرة ابن هشام: ١/١٨٠. دلائل النبوّة: باب ما جاء في خروج النبيّ مع أبي طالب حين أراد الخروج إلى الشام...، ٢/٢٤ـ٢٩. الروض الأنف: ١/٢٠٥ـ٢٠٧.

وقد تبعك العرب والعجم طوعا وكرها ، وكأنِّي باللات والعزّى قد كسَّرتها ، وقد صارالبيت العتيق لايملكه غيرك ، تضع مفاتيحه حيث تريد ، كم من بطل من قريش والعرب تصرعه ، معك مفاتيح الجنان والنيران ، معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام ، أنت الذي لاتقوم الساعة حتّى يدخل الملوك كلّها في دينك صاغرة قمئة[1] » .

فلم يزل يقبِّل يديه مرّة ورِجليه مرّة ، ويقول : «لئن أدركتُ زمانك لأضربنَّ بين يديك بالسيف ضرب الزنْد بالزنْد ؛ أنت سيِّد ولد آدم ، وسيِّد المرسلين وإمام المتّقين وخاتم النبيِّين . والله لقد ضحكت الأرضُ يوم ولدتَ فهي ضاحكة إلى يوم القيامة ــ فرحا بك ــ والله لقد بكت البِيَع والأصنام والشياطين ، فهي باكية إلى يوم القيامة ؛ أنت دعوةُ إبراهيم ، وبشرى عيسى ، أنت المقدّس المطهّر من أنجاس الجاهليّة » .

ثمّ التفت إلى أبي طالب فقال : «مايكون هذاالغلام منك ؟ فإنّي أراك لاتفارقه» .

فقال أبوطالب : «هو ابني » .

فقال : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون والده الذي ولَّده حيّا ولا أُمُّه» .

فقال : «فإنّه ابن أخي ، وقد مات أبوه وأُمُّه حامل[ـةٌ] به ، وماتت أُمُّه وهوابن ستّ سنين» .

فقال : «صدقتَ ــ هكذا هو ــ ولكن أرى لك أن تردّه إلى بلده عن هذا الوجه ، فإنّه ما بقي على ظهْر الأرض يهوديٌّ و لا نصرانيٌّ و

---

١ ــ القمىء : الذليل الصغير .

لاصاحب كتاب إلاّ وقد علم بمولد هذا الغلام ؛ ولئن رأوه وعرفوا منه ما قد عرفتُ أنا منه لابتغوه شرّا ، وأكثر ذلك هؤلاء اليهود» .

فقال أبوطالب : «ولِمَ ذلك» ؟

قال : « لأنّه كائنٌ لابن أخيك هذا النبوّة و الرسالة ، ويأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى» .

فقال أبوطالب : «كَلاّ ـ إن شاء الله لم يكن الله ليضيعه» .

وفي رواية أُخرى[1] : ثم التفت إلى أبي طالب وقال :

«أمّا أنت يا عمّ فارعَ فيه قرابتَك الموصولة ، واحفظ فيه وصيّة أبيك ؛ فإنّ قريشا سيهجرك فيه ، فلا تبال ؛ وإنّي أعلم أنّك لاتؤمن به ظاهرا ، ولكن ستؤمن به باطنا .

و ولدٌ تَلِدُه وسينصره نصرا عزيزا ، اسمه في السماوات : البطلُ الهاصر[2] والشجاع الأنزع ، منه الفرخين المستشهدين ، وهو سيّد العرب وربانيها[3] وذوقرنيها ؛ وهو في الكتب أعرَفُ من أصحاب عيسى عليه السلام » .

فقال أبوطالب : « لقد رأيتُ ـ والله كلّ ـ الذي وصفه بحيرا وأكثر » .

* * *

١ـ كمال الدين : الباب السابق : ١٨٧ ، ح٣٥ .

٢ـ الهاصر : الأسد الشديد الذي يفترس ويكسر .

٣ـ في كمال الدين : سيد العرب ورئيسها وذوقرنيها .

وقال أبو المويهب ـ لمّا رآه في الشام[1] :

«هذا والله نبيُّ هذا الزمان، سيخرج إلى قريب، فيدعو الناسَ إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، فإذا رأيتم ذلك فاتّبعوه».

ثمّ قال: «هل وُلِد لعمّه أبي طالب ولد يقال له عليٌّ» ؟

فقلنا[2] : «لا».

قال: «إمّا أن يكون قد وُلد أو يولد في سَنته، هو أوّل من يؤمن به نعرفه، وإنّا لنجدُ صفتَه عندنا بالوصيّة، كما نجد صفةَ محمّد ﷺ بالنبوّة، وإنّه سيّد العرب وربّانيها وذوقرنيها. يعطي السيفَ حقّه، اسمه في الملأ الأعلى «عَليٌّ»، هو أعلى الخلائق يوم القيامة ـ بعد الأنبياء ـ ذكرا وتسمّيه الملائكةُ «البطل الأزهر المفلح[3] »، لايتوجّه إلى وجه إلاّ أفلح وظفر، والله لهو أعرف بين أصحابه في السماوات من الشمس الطالعة».

***

ومنهم ابن حوَّاش الحبر[4] ، الذي أقبلَ من الشام فقال:

«تركت الخَمر والخمير، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبيٍّ يُبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكّة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتّال، يجتزي بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار العارى، في

١ ـ كمال الدين: باب خبر أبي المويهب: ١٩٠.
٢ ـ أي رواة الحديث، وهم كانوا مع النبي في السفر.
٣ ـ في كمال الدين: المفلج، لايتوجه إلى وجه إلا أفلج وظفر.
٤ ـ كمال الدين: باب خبر ابن حواش، ١٩٨، ح٤٠.
عنه البحار: ٢٠٦/١٥، ح٢٤. ٢٤٧/٢٠، ح١٥.

عينه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفَه على عاتقه، لايبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانُه منقطَع الخفِّ والحافر».

فصل [٦]

و ممن كان يعرف أمره و ينتظر خروجه و خرج في طلبه طالبا للدين الحنيف: **زيد بن عمرو بن نفيل**، وقد قتل في الطريق[1].

وقال النبيُّ ﷺ: «إنّه يجيءُ يوم القيامة أُمّة وحده».

* * *

ومنهم: **سلمان الفارسي** ـ رضي الله عنه ـ وقصّته مشهورة[2].

* * *

ومنهم: **عبد المطّلب و أبوطالب**. فإنّهما كانا من أعرف العلماء وأعلمهم بشأن النبيّ ﷺ، وكانا يكتمان ذلك عن الجهّال وأهل الكفر والضلال، وكانا يعظِّمانه غايةَ التعظيم والإجلال[3].

وكان عبد المطّلب يقول: «والله إنّ له لشأنا عظيما، إنِّي أرى أنّه سيأتي عليكم يومٌ وهو سيِّدكم، إنِّي أرى غرّته غرّةً تسود الناس». ثمّ

١ـ راجع أخباره و قول النبي ﷺ فيه في كمال الدين: باب خبر زيد بن عمرو بن نفيل: ١٩٨ـ٢٠٠، ح٤١. سيرة ابن هشام: ١/٢٢٤ـ٢٣٢.

٢ـ كمال الدين باب خبر سلمان (قده)، ١٦١ـ١٦٦، ح٢١. سيرة ابن هشام: ٢١٤ـ٢٢٢.
وقد ورد أخبار سلمان في غير واحد من المراجع المعتبرة و أفرد المحدث النوري ـ ره ـ فيه كتابا سماه «نفس الرحمن في أخبار سلمان».

٣ـ كمال الدين: باب في خبر عبد المطلب وأبي طالب: ١٧١ـ١٧٦.
وجاء مايقرب منه في سيرة ابن هشام: ١/١٦٨.

وصّى بحفظه وحسن تربيته ومتابعته أباطالب ، فقبل أبوطالب ذلك وأشهد الله عليه .

قال الصدوق في إكمال الدين [١] :

«إنّ أباطالب كان مؤمنا و لكنّه يُظهر الشرك ويسرُّ الإيمان ليكون أشدّ تمكُّنا من نصرة رسول الله ﷺ [٢] » .

وروى بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام قال[٣] : «إنّ أباطالب أظهرَ الكفرَ وأسرَّ الإيمان ، فلمّا حضرته الوفاةُ أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى رسول الله ﷺ : «أُخرج منها ، فليس لك بها ناصر» . فهاجَرَ إلى المدينة» .

و بإسناده[٤] إلى الأصبغ بن نباتة قال : سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام

١ـ كمال الدين : الباب السابق : ١٧٤ .

٢ـ كون أبي طالب مسلما مؤمنا بالنبيّ ﷺ من الواضحات التي لولا بغض معاوية وشيعته لابنه أميرالمؤمنين وإمام الموحّدين عليه السلام لم يتردد فيه أحد ، ولكن كثرة الحقد وثوران العناد وما وضع المخالفون فيه من الأحاديث و الأقاويل المختلفة ألزم المحققين للخوض في هذا البحث ، فأوردوا فيه أبوابا مفصلة في الكتب المختلفة ، وأفرد البعض في ذلك كتابا مفردة ـ فجزاهم الله عنه خير جزاء المحسنين .

راجع : البحار : ١٣٨/٣٥ ـ ١٧٨ . الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخّار بن معدّ الموسوي . الغدير : ٣٣٠/٧ و٣/٨ـ٢٩ . أبوطالب مؤمن قريش . وغيرها . ولله درالعلامة الأميني ـ قده ـ حيث قال في هذا المقام (الغدير : ٤٠٠/٧) : «نعم ـ إنّ في أبي طالب سرّا لايثبت إيمانه بألف دليل ، وإيمان غيره يثبت بقيل مجهول ودعوى مجردة» .

٣ـ كمال الدين : الباب السابق ، ١٧٤ ، ح٣١ .

٤ـ نفس المصدر : ح٣٢ .

يقول : «والله ماعَبَد أبي ولاجَدِّي عبد المطّلب ولاهاشم ولاعبد مناف صنماً قطُّ » .

قيل : « فما كانوا يعبدون » ؟

قال : «كانوا يصلُّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسّكين به» .

وفي درِّ النظيم[1] عن الصادق عليه السلام : « نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمَّد إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقرؤك السلام ويقول : إنّي قد حرَّمتُ النار على صُلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفَّلك » .

يعني : عبدالله و آمنة ، وأباطالب ، وفاطمة بنت أسد .

وفي كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى[2] بإسناده عن مفضَّل بن عمر ، عن أبي عبدالله ، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال ـ : «كان ذات يوم جالسا بالرحبة والناس حوله مجتمعون ، فقام إليه رجل ، فقال : «يا أمير المؤمنين إنَّك بالمكان الذي أنزلك الله به ، وأبوك يعذَّب بالنار» .

---

١ ـ لم أعثر علي الكتاب ـ كماذكرت سابقا ـ . والحديث وارد في الكافي : كتاب الحجة ، باب مولد النبيّ ، ٤٤٦/١ ، ح٢١ . معاني الأخبار : باب معنى تحريم النار على . . . ، ١٣٦ ، ح١ . أمالي الصدوق : المجلس الثامن والثمانون ، ح١٢ ، ٧٠٣ . عنهما البحار : ١٠٨/١٥ ، ح٥٢ . الحجة على الذاهب إلى إيمان أبي طالب للفخار الموسوي : . وأُضيف فيه : «وأهل بيت آواك» عنه البحار : ١٠٩/٣٥ ، ح٣٦. وجاء في معاني الأخبار (باب معنى قول النبي صلى الله عليه وآله ما أظلت الغبراء . . . : ١٧٩ ، ح١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «أتاني جبرئيل عليه السلام فقال : إن الله عزّ وجلّ حرم النار على ظهر أنزلك ، وبطن حملك ، وثدي أرضعك ، وحجر كفلك» .

٢ ـ بشارة المصطفى : ٢٤٩ . أمالي الطوسي : المجلس الأربعون ، ح٢ ، ٧٠١ . الاحتجاج : ٥٤٦/١ . كنز الفوائد : ٨٠ . البحار : ٦٩/٣٥ ، ح٣ و ١١٠ ، ح٣٩.

فقال له: «مه ـ فضّ الله فاك ـ والذي بعث محمّدا بالحقّ لو شفّع أبي في كلّ مذنبٍ على وجه الأرض لشفّعه الله ـ تعالى ـ فيهم؛ لأبي يعذّب بالنار وابنه قسيم النار»!؟

ثمّ قال: «والذي بعث محمّدا بالحقّ إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخَلق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد و نوري و نور فاطمة ونور الحسن و الحسين، ومن ولده من الأئمّة، لأنّ نورنا الذي خلقه الله ـ عزّ وجلّ ـ من قبل خلق آدم بألفي عام».

فصل [٧]

رُوي أنّ حسّان بن ثابت قال[1]: كنت على سطح في المدينة فسمعت يهوديًا يصرخ: «هذا كوكب أحمد قد طلع، وهو لايطلع إلاّ بالنبوّة، ولم يبق من الأنبياء إلاّ أحمد».

قال: و كان أبوقيس ـ أحد بني عبد النجار ـ قد ترهّب، فسمعه، فقال: «صدق اليهوديُّ، هذا أوان انتظار أحمد، وهوالذي صنع بي ماصنع». فلمّا ظهر النبيُّ ﷺ بمكّة، آمن به أبوقيس بالمدينة، ولم يقدر على الذهاب إليه لكِبَر سنِه.

* * *

ورأى بعض اليهود في ليلة ولادته ﷺ النجوم وانفضاضها،

١ـ جاء مايقرب منه في سيرة ابن هشام: ولادة رسول الله ﷺ ورضاعته، ١/١٥٩. دلائل النبوة: ١/١١٠. المستدرك للحاكم: ٣/٤٨٦.

فقال[1] : «في هذه الليلة وُلد نبيٌّ ، فإنّا نجد في كتبنا : أنّ الشيطان تُمنع من استراق السمع ، فتُرجَم بالنجوم لذلك» .

وفي رواية أُخرى أنّه قال : « ولد هذه الليلة نبي العرب ، بين منكبيه شامة عليها شَعرات » .

وحُكي أنّ حِبرا قال لعبد المطّلب : «يا سيِّد البطحاء إنّ المولود الذي كنتُ أُحدِّثكم عنه وُلد البارحة» .

فقال له عبد المطّلب : «لقد وُلد لي البارحة غلام» .

قال : «فما سمَّيته» ؟

قال : «محمّدا» .

فقال : هذه ثلاثة دلائل شاهدة بنبوّته : إحداها أنّ نجمه طلع البارحة . والثانية : أنّ اسمه محمد . والثالثة : أنّه من صميم قومه ـ أي من أشرفهم ـ .

* * *

إلى غير ذلك من الأخبار عن الأحبار ـ وهي كثيرة ـ .

وقصّة رؤيا المؤيذان[2] ، وانفاذ عمرو بن نفيلة إلى شقّ وسطيح

١ـ جاء مايقرب منه في كمال الدين : باب خبر يوسف اليهودي ، ١٩٧ ، ح٣٩ .

٢ـ قال ابن الأثير (النهاية : باب الميم مع الواو : ٣٦٩/٤) : «الموبذان للمجوس : كقاضي القضاة للمسلمين ، والموبذ : كالقاضي» . وفي القاموس : «الموبذان ـ بضمّ الميم وفتح الباء ـ فقيه الفرس وحاكم المجوس ، كالموبذ ؛ والجمع : الموابذة . والهاء فيها للعجمة» .

يظهر أنها كلمة فارسية وملخص «موبَدِ موبَدان» وكان صاحب أعلى المقامات بعد الملك عند المجوس ومشاوره في جميع الأمور المرتبطة بالروحانيات . راجع لغت نامهٔ دهخدا : موبد و موبد موبدان .

الكاهنين[1] وإخبارهما بقرب أيّامه وظهوره مشهورة قد نقلَها الرواةُ وتداولها الأخباريون[2] .

فصل [٨]

رُوي[3] أنّ آمنة أُمّه لمّا حملت به فكانت تقول: «ما شَعرتُ أنّي حملتُ ، ولا وجدتُ ثقلاً كما تجد النساء، إلاّ أنّني أنكرتُ رفعَ حيضتي ، وأتاني آتٍ ـ وأنا بين النائم واليقضان ـ فقال: «هل شعرتِ أنّك حملتِ» ؟ ـ وكأنّي أقول: «لا أدري» ـ .

---

١ ـ قال المسعودي (مروج الذهب : الباب الثاني والخمسون في ذكر الكهانة . . . : ٣١٧/٢) : «وقد كان سطيح الكاهن ـ وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسّان ـ يدرج سائر جسده ، كما يدرج الثوب ؛ لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد أثرت فيها للين عظمها. وكان شقّ بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار معه في عصر واحد . . .» . راجع أيضا ٢٣٣/٢ منه . سيرة ابن هشام : ١٥/١ـ١٨ . حياة الحيوان (شق) . تاريخ الطبري : ١١٢/٢ـ١١٤ .

٢ ـ لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجّ أيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ـ ولم تخمد قبل ذلك ألف سنة ـ ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها . . .

راجع تفصيل الأخبار وماقيل فيها عن شقّ وسطيح في كمال الدين : باب خبر سطيح الكاهن : ١٩١ـ١٩٦ ، ح٤٨ . دلائل النبوة : باب ماجاء في ارتجاس أيوان كسرى . . . ، ١٢٦/١ ـ ١٣٠ . حياة الحيوان : شق . سيرة ابن هشام : ١٥/١ . الروض الأُنف : ٢٦/١ـ٣٠ .

٣ ـ جاء ما يقرب منه في طبقات ابن سعد : ذكر حمل آمنة برسول الله ﷺ : ٩٨/١ . صفة الصفوة : ذكر حمل آمنة برسول‌الله ﷺ : ٥٠/١ . راجع أيضا سيرة ابن هشام : ١٥٧/١ـ١٥٨ . دلائل النبوة : ١١١/١ .

فقال: «إنّكِ حملت بسيّد هذه الأمّة ونبيّها».

ـ قالت: ـ ثمّ أمهلني حتّى دنت ولادتي، أتاني فقال: «قولي: أُعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد؛ ثمّ سمّيه محمّدا».

ـ قالت: ـ «فذكرتُ ذلك لنسائي، فقلن: «علّقي في عضدكِ حديدة»؛ فعلّقتُ فكان ينقطع مرارا، فتركته».

وفي رواية[1] أنّها قالت: «لمّا وضعتُه خرج معه نورٌ أضاء له مابين المشرق والمغرب، ثمّ وقع على الأرض ـ معتمدا على يديه ـ ثمّ أخذ قبضةً من تراب و رفع رأسه إلى السماء».

فاوّله بعضُ الأحبار: بأنّه يملك الأرضَ وتصير في قبضته، ويأتيه أمرٌ من قِبَل السماء.

و رُوي: أنّه ﷺ لمّا وُضع رفع رأسه إلى السماء ثمّ خرّ ساجدا لله ـ تعالى ـ.

وأنّه وُلد مسرورا[2] ـ أي مقطوع السرّة ـ مختونا ـ غير محتاج إلى علاج الداية والطبيب ـ نظيفا ليس معه دم ولا شيءٌ من أقذار النفاس المعتادة.

١ـ طبقات ابن سعد: ذكر مولد رسول الله ﷺ: ١/١٠٢.

٢ـ أخرج البيهقي (دلائل النبوة: ١/١١٤، عن العباس بن عبدالمطلب): «ولد رسول الله ﷺ مختونا مسرورا...».

وفي بعض الأحاديث المرفوعة أنّه قال: «من كرامتي على ربّي أنّي وُلدتُ مختونا مسرورا، ولم يرَ أحدٌ سوأتي».

وارتجّ أيوان كسرى يوم ولادته، وسقط منه أربع عشر شرفة[1]، وخمدت نيران فارس ـ ولم تخمد قبل ذلك منذ ألف سنة ـ وغاضت بحيرةُ ساوة[2].

وصرفت الشياطين عن خبر السماء ورجمت بالشُهب لولادته، وكانت قبل ذلك تصعد السماء، ثمّ تُجاوز سماءَ الدنيا إلى غيرها، فلمّا ولد عيسى عليه السلام مُنعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون منها السمع، فيستمع الجنّي الكلمةَ يتكلم بها الملك من أمرالله، فيُلقيها لوليّه من الإنس، فيخلط فيها الكذب؛ حتّى وُلد نبيُّنا ﷺ فمُنعوا من التردُّد إلى السماء إلاّ قليلاً، حتّى بعث النبيُّ ﷺ، فمُنعوا أصلا.

قال الله ـ تعالى ـ حكايةً عنهم: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ [٧٢/٨-٩].

* * *

١ـ أخرج البيهقي رواية ارتجاس أيوان كسرى وخمود نيران فارس وغياض بحيرة ساوة في الدلائل: باب ماجاء في ارتجاس أيوان كسرى... ، ١/١٢٦ـ١٢٧.

٢ـ في هامش النسخة: «بحيرة ساوة كانت عظيمة، لكنها صغّرت للتعظيم، من الأضداد كالمفازة. وغاض الماء: أي ذهب؛ روي أنها ذهبت حتّي أن واردها لم يجد قطرة ـ منه ـ».

قيل[1] : كان لكل قبيل من الجنّ مقعدٌ من السماء يستمعون فيه ، فلمّا وُلد محمدﷺ رُجموا بالكواكب ؛ فقال إبليس : «هذا أمرٌ حدث في الأرض ، إيتوني من كلِّ أرضٍ بتُربة ، فكان يؤتى بالتربة فيشمُّها ويلقيها ، حتّى أُتي بأرض تهامة فشمّها وقال : «من ههنا الحدَث» .

إلى غير ذلك من الآيات والشواهد
وهي كثيرة جدًا وفيما ذكر كفاية ـ إن شاء الله ـ
فصلى الله عليه وسلّم[2] .



١ـ الدرالمنثور : ٣٠٢/٨ ، تفسير الآية المذكورة ، قال : أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس .

٢ـ لايخفى أن الدليل القاطع على نبوّة نبيّنا ﷺ هو القرآن ؛ وقد تحدي به على جميع الخلق بأنّكم ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [٢٣/٢] وهذا الخطاب يقرء ليلا ونهارا ولم يتمكّن أحد من العرب والعجم طوال القرون المتمادية على الإتيان بسورة مثل القرآن ، على ماكان فيهم من الدواعي المختلفة والمتعددة على معارضة النبيّ و المسلمين و القرآن ؛ فلايبقى ريبٌ مع هذا الدليل الحيّ الواضح بأنه ليس من قِبل أحدٍ من البشر ؛ ولانحتاج معه إلى دليل آخر .
و أمّا ما ذكره المؤلف من البشارات و الوقايع فتأييدات و أمارات تنفع لغير المعاندين .

[٨]

باب

أخلاق نبيّنا ﷺ وأوصافه

وأسمائه وخصائصه

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٦٨/٤]

فصل [١]

[خُلقه ﷺ]

قال بعضُ العلماء[١] :

«كان نبيُّنا ﷺ كثيرَ الضراعة والابتهال ، دائمَ السؤال من الله تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق ، فكان يقول في دعائه :

«اللّهُمّ حَسِّن خَلقي وَخُلقِي»[٢]

ويقول : «اللّهم جَنِّبني مُنكَراتِ الأخلاق»[٣] .

١ـ إحياء علوم الدين : كتاب آداب المعيشة و أخلاق النبوة ، بيان تأديب الله حبيبه ﷺ بالقرآن : ٥١٨/٢ ملخصا.

٢ـ في المسند (٤٠٣/١ و٦٨/٦ و١٥٥) بلفظ : «اللهم أحسنت خَلقي فأحسِن خُلقي».
وفي طبقات ابن سعد (٣٧٧/١) : «اللهم كما حسّنت خَلقي فحسّن خُلقي».

٣ـ المستدرك للحاكم : ٥٣٢/١ بلفظه . وجاء في الترمذي (كتاب الدعوات ، باب (١٢٧) دعاء أم سلمة ، ٥٧٥/٥ ، ح٣٥٩١) : «اللهم أعوذ بك من منكرات الأخلاق».

فاستجاب الله دعاءه وأنزل عليه القرآنَ وأدَّبه به، فكان خُلقه القرآن[1]، وأدَّبه بمثل قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ :

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾ [١٩٩/٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [٩٠/١٦].

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [١٧/٣١].

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [١٣/٥].

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [٩٦/٢٣] - إلى غيرذلك ـ .

ثمّ لمّا أكمل الله خَلقه وخُلقه أثنى عليه وقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٤/٦٨] فانظر إلى عميم فضل الله كيف أعطى ثمّ أثنى.

ثمّ بيّن رسولُ الله ﷺ[2] للخلق: «إنَّ الله يحبُّ مكارمَ الأخلاق، ويُبغض سفسافها[3]». وقال[4]: «بُعِثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق».

ثمّ رغّب الخَلق في ذلك أشدّ ترغيب».

١ـ دلائل النبوة: باب ذكر شمائله وأخلاقه ﷺ، ٣٠٩/١.

٢ـ في المستدرك للحاكم (كتاب الإيمان: ٤٨/١): «إنّ الله يحبُّ معالي الأخلاق...».

وفي البحار (١٣٧/٧٥، ح٥ و١٨٤/٩٢، ح٢١ عن نوادر الراوندي): «إنّ الله تعالى جوادٌ يحبُّ الجواد ومعالي الأمور، ويكره سفسافها...».

٣ـ السفساف: الرديّ من كل شيء.

٤ـ مجمع البيان: ٣٣٣/١٠، تفسير الآية القلم/٥.

وحكاه في كنز العمال: ٤٢٠/١١، ح٣١٩٦٩، عن مستدرك الحاكم، ولكن في المستدرك (٦١٣/٢) والمسند (٣٨١/٢): «بعثت لأتمم صالح الأخلاق». وفي موطأ مالك (باب ماجاء في حسن الخلق: ٩٧/٣): «بعثت لأتمم حسن الأخلاق».

أقول : ولنُشر إلى جملة من محاسن أخلاقه التي جمَعها بعضُ علماء العامّة[1] والتقطها من الأخبار ملخّصا ـ ومن الله التأييد ـ .

فصل [٢]

[جمل من محاسن أخلاقه ﷺ]

قال : كان رسول الله ﷺ أحلم الناس[2] و أشجع الناس[3] و أعدل الناس[4] و أعفّ الناس ، لم تمسّ ـ قطّ ـ يدُه يدَ امرأة لايملك رقّها أو عصمةَ نكاحها أوتكون ذات محرم منه[5] .

١ـ اقتباس مما أورده الغزالي أيضا في الإحياء (كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة ، بيان جمل من محاسن أخلاقه : ٥٢٠/٢ـ٥٢٦) نقلا عن بعض العلماء ـ ولم يسمه ـ وكذلك ابن شهرآشوب في المناقب : فصل في آدابه ومزاحه ﷺ ، ١٤٥/١ـ١٤٩ .

٢ـ قال العراقي (المغني : ذيل الإحياء الطبعة القديمة ، ٣٥٩/٢) : «أخرجه أبوالشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عبدالرحمن بن أبزي ، وهو مرسل» .

٣ـ البخاري : كتاب الجهاد ، باب الحمائل وتعليق السيف ، ٤٧/٤ . مسلم : كتاب الفضائل ، باب (١١) في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب ، ١٨٠٢/٤ ، ح٤٨ . ابن ماجة : كتاب الجهاد ، باب (٩) الخروج في النفير ، ٩٢٦/٢ ، ح٢٧٧٢ . الترمذي : كتاب الجهاد ، باب (١٤) ماجاء في الخروج عند الفزع ، ١٩٩/٤ ، ح١٦٨٧ . طبقات ابن سعد : ٣٧٣/١ و٤١٩ .

٤ـ في المسند (٦٥/٣) عن رسول الله ﷺ : «والله لاتجدون بعدي أعدل عليكم منّي» . راجع أيضا : ٤٢١/٤ و٤٢٥ .

٥ـ مسلم (كتاب الإمارة ، باب (٢١) كيفية بيعة النساء : ١٤٨٩/٣) : عن عائشة « مامسّ رسول الله ﷺ بيده امرأة قطّ » . ويقرب منه ما في ابن ماجة : كتاب الجهاد ، باب بيعة النساء ، ٩٦٠/٢ ، ح٢٨٧٥ . والمسند : ١١٤/٦و٢٧٠ .
وفي الترمذي (كتاب التفسير ، سورة الممتحنة ، ٤١١/٥ ، ح٣٣٠٦) والمسند (١٥٣/٦) : «ما مسّت يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة إلا إمرأة يملكها» .

وكان أسخى الناس[١] ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد مَن يعطيه ـ ويجيئه الليل ـ لم يأو إلى منزله حتّى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه[٢] ، لا يأخذ ممّا آتاه الله إلاّ قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله[٣] ، لا يسأل شيئا إلاّ أعطاه[٤] ثمّ يعود على قوت عامه فيؤثر منه ـ حتّى ربّما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء ـ[٥] .

وكان يخصف النعل ويرقّع الثوب[٦] ، ويخدم في مهنة أهله[٧]

١ـ في الحديث : «كان ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس . . . » ذكر مسانيده آنفا في التعليق على قوله : «وأشجع الناس» .

٢ـ راجع شواهد ذلك في إتحاف السادة المتقين : ٩٦/٧ .

٣ـ في مسلم (كتاب الجهاد ، باب (١٥) حكم الفيء ، ١٣٧٩/٣ ، الحديث ٥٠) « . . . يحبس قوت أهله منه سنة ثم يجعل مابقي منه مجعل مال الله» . وجاء في البخاري (كتاب النفقات ، باب حبس نفقة الرجل قوت سنته على أهله ، ٨١/٧) : «أنّ النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم» .

٤ـ راجع مسلم : كتاب الفضائل ، باب ماسئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا ، ١٨٠٥/٤ ـ١٨٠٦ ، ح٥٦ و٥٧ . المسند : ١٣٠/٦ . طبقات ابن سعد : ٣٦٨/١ .

٥ـ أخرج ابن ماجة (كتاب الرهون ، باب (١) ، ٨١٥/٢ ، الحديث ٢٤٣٩) : «إن رسول الله ﷺ مات ودرعه رهن عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير» .
راجع أيضا ح ٢٤٣٦ـ٢٤٣٨ منه . وابن ماجة : كتاب البيوع ، باب (٧) ماجاء في الرخصة في الشراء إلى أجل ، ٥١٩/٣ ، ح ١٢١٤ـ١٢١٥ . مسند : ٣٠٠/١ و٣٠١ و٣٦١ . طبقات ابن سعد : ٤٠٨/١ .

٦ـ المسند (١٠٦/٦ و٢٤٢) عن عائشة : «كان ﷺ يخصف النعل ويرقع الثوب» .

٧ـ روى البخاري (كتاب النفقات ، باب خدمة الرجل في أهله : ٨٤/٧ـ٨٥) عن عائشة ـ وقد سئل : ماكان النبي ﷺ يصنع في البيت ؟ فقالت :ـ «كان في مهنة أهله ، فإذا سمع الأذان خرج» . ومثله في الترمذي (باب ٤٥ من كتاب صفة القيامة : ٦٥٤/٤ ، ح٢٤٨٩) إلا أنّ فيه : «فإذا حضرت الصلاة قام فصلى» .
ويقرب منها ما في المسند : ٤٩/٦ و١٢٦ و٢٠٦ . طبقات ابن سعد : ٣٦٥/١ .

ويقطع اللحم معهنّ[1] ، أشدّ الناس حياء[2] لايثبت بصره في وجه أحد ، يجيب دعوة الحرّ والعبد[3] ، ويقبلُ الهديّة ـ ولوأنّها جرعة لبن ـ ويكافئ عليها ويأكلها[4]

١ـ المسند (٦/٩٤ و٢١٧) عن عائشة : «أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا ، فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ ـ أوقالت : أمسك رسول الله ﷺ وقطعت».
راجع أيضا طبقات ابن سعد : ١/٤٠٥ .

٢ـ في البخاري (كتاب التفسير ، سورة الأحزاب : ٦/١٤٩) : «... و كان النبي ﷺ شديد الحياء ...». وفيه (كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب : ٨/٣٢ ، وباب الحياء : ٨/٣٥) : «كان النبيّ ﷺ أشدُّ حياء من العذراء في خدرها».
ومثله في مسلم : كتاب الفضائل ، باب (١٦) كثرة حيائه ﷺ ، ٤/١٨٠٩ ، ح٦٧ . وابن ماجة : كتاب الزهد ، باب (١٧) الحياء ، ٢/١٣٩٩ ، ح٤١٨٠ .
طبقات ابن سعد : ١/٣٦٨ .

٣ـ الترمذي (باب ٣٢ من كتاب الجنائز : ٣/٣٣٧ ، ح١٠١٧) : «كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ... ويجيب دعوة العبد». وفي ابن ماجة (كتاب التجارات ، باب (٦٦) ما للعبد أن يعطي ويتصدّق ، ٢/٧٧٠ ، ح٢٢٩٦ . و كتاب الزهد ، باب (١٦) البراءة من الكبر : ٢/١٣٩٨ ، ح٤١٧٨) : «... يجيب دعوة المملوك». ومثله في مستدرك الحاكم : كتاب التفسير ، سورة ق : ٢/٤٦٦ .
وطبقات ابن سعد : ١/٣٧٠ .

٤ـ في البخاري (كتاب الهبة ، باب المكافأة في الهبة ، ٣/٢٠٦) : «كان رسول الله ﷺ يقبل الهديّة ويثيب عليها». ومثله في الترمذي : كتاب البر ، باب (٣٤) ماجاء في قبول الهدية ... ، ٤/٣٣٨ ، ح١٩٥٣ . وأبي داود : كتاب البيوع ، باب في قبول الهدايا ، ٣/٢٩٠ ، ح٣٥٣٦ . راجع أيضا طبقات ابن سعد : ١/٣٨٨ـ٣٩٠ .
وفي البخاري (كتاب الأشربة ، باب شرب اللبن : ٧/١٤٠) عن أُمّ الفضل : «... فأرسلت إليه بإناء فيه لبن ، فشرب». ومثله في المسند : ٦/٣٤٠ .
وفي البخاري (كتاب الهبة ، باب قبول هدية الصيد : ٣/٢٠٢) عن أنس أنّ أباطلحة ذبح إرنبا «وبعث بها إلى رسول الله ﷺ بوركها أو فخذيها ... فقبله». ومثله في مسلم : كتاب الصيد ، باب (٩) إباحة الإرنب ، ٣/١٥٤٧ ، ح٥٣ . والترمذي : كتاب الأطعمة ، باب (٢) ماجاء في أكل الإرنب ، ٤/٢٥١ ، ح١٧٨٩ . وابن ماجة : كتاب الصيد ، باب (١٧) الإرنب ، ٢/١٠٨٠ ، ح٣٢٤٣ .

ولا يأكل الصدقة[1] ، ولا يستكبر عن إجابة الأمَة والمسكين[2] .

يغضب لربِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يغضب لنفسه[3] ، وينفذ الحقّ[4] وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، عُرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين ـ وهو في قلّة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه ـ فأبى وقال : «إنّا لانستنصر بمشرك[5] » .

و وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مرّ الحلق ، بل ودّاه بمأة ناقة[6] ـ وكان لأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوّون به ـ وكان يعصب الحجرَ على بطنه مرّة

١ـ راجع أحاديث تحريم الصدقة عليه في مسلم : كتاب الزكاة ، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله . . . ، ٧٥١/٢ـ٧٥٢ . الترمذي : كتاب الزكاة ، باب (٢٥) ماجاء في كراهية الصدقة للنبيّ ﷺ وأهل بيته ومواليه ، ٤٥/٣ . أبي داود : كتاب الزكاة ، باب الصدقة على بني هاشم ، ١٢٣/٢ . المسند : ٢٧٩/٢ .

٢ـ مضى آنفا في التعليق على قوله « يجيب دعوة الحرّ والعبد » الحديث : «يجيب دعوة العبد» و« . . . المملوك» .

٣ـ جاء في حديث هند بن أبي هالة في صفة رسول الله ﷺ : «لاتُغضبه الدنيا وماكان لها ، فإذا تُعوطي الحقّ لم يعرفه أحد و لم يقم لغضبه شيء حتّى ينتصر له ؛ لا يغضب لنفسه ولاينتصر لها . . .» راجع معاني الأخبار : باب معاني أخبار وردت في صفة النبي ﷺ ، ٨١ . ودلائل النبوة : ٢٨٨/١ . والمعجم الكبير : ١٥٦/٢٢ .

٤ـ يدل عليه الحديث المذكور في التعليقة السابقة .

٥ـ أخرج مسلم (كتاب الجهاد ، الحديث الأخير : ١٤٥٠/٣) : « . . . لن أستعين بمشرك » . و مثله في الترمذي : كتاب السير ، باب (١٠) ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين . . . ، ١٢٨/٤ . وفي المسند (٤٥٤/٣) : « . . . لانستعين بالمشركين على المشركين» .

٦ـ راجع مسلم : كتاب القسامة ، باب (١) القسامة ، ١٢٩١/٣ـ١٢٩٥ .
البخاري : كتاب الديات ، باب القسامة ، ١٠/٩ـ١٣ وكتاب الأدب ، باب إكرام الكبير : ٤١/٨ . وأبا داود : كتاب الديات ، باب القسامة ، ١٧٧/٤ .

من الجوع[1] ومرّة يأكل ما حضر ولا يردّ ما وجد ، ولا يتورّع من مطعم حلال[2] .

إن وجد تمرا دون خبز أكله[3] ، وإن وجد شواء أكله[4] ، وإن وجد خبز برٍّ أو شعير أكله ، وإن وجد حلوا أو عسلاً أكله[5] ، وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به ، وإن وجد بطِّيخا أو رطبا أكله[6] .

---

١ ـ في حديث البخاري (باب غزوة الخندق : ١٣٨/٥) : «... ثمّ قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقا...».
وفي الترمذي (كتاب الزهد ، باب (٣٩) ماجاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ ، ٤/ ٥٨٥ ، ح٢٣٧١) : «عن أبي طلحة ، قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين».

٢ ـ في الترمذي (كتاب الأطعمة ، باب (٣٥) ماجاء في الخلّ ، ٢٧٩/٤ ، ح١٨٤١) : «... فقال ﷺ : هل عندكم من شيء ؟ فقلت : لا ، إلا كِسر يابسة وخلّ . فقال النبي ﷺ : قرّبيه ، فما أفقر بيت من أدم فيه خلّ».

٣ ـ مسلم (كتاب الأشربة ، باب (٢٤) استحباب تواضع الآكل ، ١٦١٦/٣ ، ح١٤٨) : «أنس بن مالك ، قال : رأيت النبي ﷺ مقعيا يأكل تمرا».
ويقرب منه المسند : ١٨٠/٣ .

٤ ـ الترمذي (كتاب الأطعمة ، باب (٢٧) ما جاء في أكل الشواء ، ٢٧٢/٤ ، ح١٨٢٩) : «أُم سلمة ... قرّبت إلى رسول الله ﷺ جَنبا مشويّا ، فأكل منه». المسند : ٢٠٧/٦ .

٥ ـ راجع البخاري : كتاب الأشربة ، باب شراب الحلواء والعسل ، ١٤٣/٧ .
طبقات ابن سعد : ٣٩١/١ .

٦ ـ الترمذي (كتاب الأطعمة ، باب (٢٦) ماجاء في أكل البطيخ بالرطب ، ٢٨٠/٤ ح١٨٤٣) : «عن عائشة ، إن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب». ويقرب منه ابن ماجة : كتاب الأطعمة ، باب (٣٧) القثاء والرطب يجمعان ، ١١٠٤/٢ ، ح٣٣٢٦ .
طبقات ابن سعد : ٣٩٣/١ .
وكتب هنا في هامش النسخة : «وفي رواية أنه ﷺ لايأكل الثوم ولاالبصل ولاالكراث ولاالعسل الذي فيه المغافير . والمغافير : مايبق من الشجر في بطون النحل فيلقيه في العسل فيبق له ريح في الفم ـ منه».

لا يأكل متّكئا[١] ولا على خوان[٢] ، لم يشبع من خبز ـ برّ ولا شعير ـ ثلاثة أيّام متوالية حتّى لقي الله[٣] إيثارا على نفسه ـ لا فقرا ولا بخلا ـ

يجيب الوليمة[٤] ويعود المرضى ويشيّع الجنائز[٥] ، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس[٦] .

---

١ ـ البخاري (كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكئا : ٩٣/٧) عن رسول الله ﷺ : «لا آكل متّكئا» . ومثله في الترمذي : كتاب الأطعمة ، باب (٢٨) ، ٢٧٣/٤ . وابن ماجة : كتاب الأطعمة ، باب (٦) الأكل متكئا ، ١٠٨٦/٢ . وأبي داود : كتاب الأطعمة ، باب ماجاء في الأكل متكئا ، ٣٤٨/٣ . طبقات ابن سعد : ٣٨٠/١ .

٢ ـ البخاري (كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان : ٩١/٧) عن أنس : «ما أكل النبيّ ﷺ . . . ولا أكل على خوان » . ويقرب منه ما في الترمذي : كتاب الأطعمة ، باب (١) ماجاء علام كان يأكل رسول الله ﷺ ، ٢٥٠/٤ . وابن ماجة : كتاب الأطعمة ، باب (٢٠) الأكل على الخوان والسفرة ، ١٠٩٥/٢ .

٣ ـ ابن ماجة (كتاب الأطعمة ، باب (٤٨) خبز الشعير ، ١١١٠/٢ ، ح٣٣٤٣) : «ماشبع نبي الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى توفاه الله عز وجل» . المسند (٤٢/٦) : «ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز برّ حتى مضى لسبيله» . وفي ابن ماجة (ح٣٣٤٤) : «ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاث ليال تباعا من برّ ، حتى توفّي ﷺ» . وفيه (ح٣٣٤٦) : «ماشبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير حتى قبض» . المسند (٤٢/٦) : «ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز برّ حتى مضى لسبيله» . راجع أيضا طبقات ابن سعد : ٤٠١/١ـ٤٠٣ . الشمائل النبوية : الباب (٢٥) ، ح١٤٣ ، ١٩٤ .

٤ ـ البخاري (كتاب الهبة ، باب القليل من الهبة : ٢٠١/٣) : «لو دعيت إلى كُراع لأجبت» وفي مسلم (كتاب النكاح ، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة : ١٠٥٣/٢) : «إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليُجب» .

٥ ـ الترمذي (كتاب الجنائز ، باب (٣٢) ، ٣٣٧/٣ ، ح١٠١٧) : «كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة . . .» .

٦ ـ في المستدرك للحاكم (٣١٣/٢) : «كان النبيّ ﷺ يُحرس حتّى نزلت هذه الآية : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ، فأخرج النبيّ ﷺ رأسه من القبّة فقال لهم : «أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمني الله» .

أشدّ الناس تواضعا و أسكنهم في غير كبر[١] ، وأبلغهم من غير تطويل[٢] ، وأحسنهم بشرا[٣] . لايهوله شيءٌ من أمر الدنيا[٤] .

ويلبس ما وجد : فمرّة شملة ، ومرّة بُرد حبرة يمانيًا ، ومرّة جبّة صوفٍ ، ما وجد من المباح لبس[٥] ،

١ـ قال العراقي (المغني) : رواه أبوالحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري : «. . .متواضع في غير كبر. . .» ـ انتهى ـ
والأحاديث الدالة على تواضعه ﷺ كثيرة .

٢ـ البخاري (باب صفة النبي : ٢٣١/٤) : «كان ﷺ يحدّث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه».
وفي حديث هند بن أبي هالة (معاني الأخبار : ٨١) : «. . . لايتكلم في غير حاجة ، يفتتح الكلام يختمه بأشداقه ، يتكلم بجوامع الكلم ، فصلا ، لافضول فيه ولاتقصير . . .». راجع أيضا المعجم الكبير : ١٥٦/٢٢ ، دلائل النبوة : ٢٨٧/١ .

٣ـ الترمذي (كتاب المناقب : باب ١٠ في بشاشة النبي ﷺ ، ٦٠١/٥) : «ما رأيت أحدا أكثر تبسّما من رسول الله ﷺ». وفي الشمائل للترمذي (باب ٤٨ ، ماجاء في خلق رسول الله ﷺ ، ٤٣ ، ح٣٥٣) من حديث علي بن أبي طالب : «كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق . . .».

٤ـ المسند (٦٩/٦) عن عائشة : «ما أعجب النبي ﷺ بشيء ولا أعجبه شيء من الدنيا ، إلا أن يكون فيه ذوتقى».

٥ـ المسند (٤٤٣/٥) : «. . . وقد تبع ﷺ جنازة من أصحابه عليه شملتان . . .» وفيه (٥/ ٦٤) : «أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة له . . .».
وفي البخاري (كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشملة : ١٨٨/٧) : «قال خباب : شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسّد بردة له». وفي حديث آخر (١٨٩/٧) عن أنس : «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ و عليه برد نجراني غليظ . . .». وفي الباب أحاديث أُخر .
وفي مسلم (كتاب اللباس ، باب (٥) فضل ثياب الحبرة ، ١٦٤٨/٣) : «كان أحبّ اللباس إلى رسول الله ﷺ الحبرة». ومثله في الشمائل النبوية : الباب ٨ ، ح٦٢ ، ١٠٧ .
وجاء في البخاري (كتاب اللباس ، باب جبة الصوف في الغزو : ١٨٦/٧) : «. . . فغسل ﷺ وجهه ويديه و عليه جبة من صوف . . .».

وخاتمه فضّة يلبسه في خنصره الأيمن، وربّما يلبس في الأيسر[١] .

يردف خلفَه عبدَه أوغيرَه[٢] .

يركب ما أمكنه ـ مرّة فرسا ومرّة بغلة شهباء ومرّة حمارا ـ ومرّة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة[٣] .

يعود المرضى في أقصى المدينة[٤] ، يحبُّ الطيب و يكره الرائحة

١ـ البخاري : (كتاب اللباس ، باب الخاتم في الخنصر : ٢٠٣/٧) عن أنس : «... فاتخذ خاتما من فضّة ونقشه محمد رسول الله ...». ومثله مع فرق يسير في الشمائل النبوية : الباب (١٢) ، ١٤٤ ، ح٩٢. وفي البخاري أيضا (نفس الباب) عن أنس : «صنع النبي خاتما... فإني لأرى بريقه في خنصره». الترمذي (كتاب اللباس ، باب (١٥) ماجاء ما يستحب في فصّ الخاتم ، ٢٢٧/٤) : «كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة...». و فيه (باب (١٦) ماجاء في نقش الخاتم في اليمين ، ٢٢٨/٤) عن ابن عباس : «رأيت رسول الله ﷺ يتختم في يمينه» . وفي الباب مثله عن ابن أبي رافع . وفي مسلم (كتاب اللباس ، باب (١٦) في لبس الخاتم في الخنصر من اليد ، ١٦٥٩/٣) عن أنس : «كان خاتم النبيِّ ﷺ في هذه ـ و أشار إلى الخنصر من يده اليسرى».

٢ـ البخاري (كتاب التفسير ، سورة آل عمران : ٤٩/٦) : «إن رسول الله ركب على حمار ، على قطيفة فدكية ، وأردف أسامة بن زيد وراءه...».
راجع أيضا ماجاء في ٦٨/٤ منه .

٣ـ مسلم (كتاب الجنائز ، باب ركوب المصلي على الجنازة إذا انصرف : ٦٦٤/٢) : «أُتي النبي بفرس معروري ، فركبه حين انصرف من جنازة أبي الدحداح...».
وفي البخاري (كتاب الحج ، باب استلام الركن بالمحجن ، ١٨٥/٢) : «طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير...». ومضى في التعليقة السابقة ركوبه ﷺ على حمار . وفي مسلم (كتاب الحج ، باب (٩٧) فضل مسجد قباء... ، ١٠١٦/٢) : «إنّ رسول الله ﷺ كان يأتي قباء راكبا وماشيا». وفيه (كتاب الجنائز ، باب (٧) في عيادة المرضى : ٦٣٧/٢) : «... فقام ﷺ وقمنا معه ، ونحن بضعة عشر ، ماعلينا نعال ولا خفاف ولاقلانس ولاقمص ...».

٤ـ راجع ما مضى في التعليقة السابقة .

الرديّة[1] ، ويجالس الفقراء[2] ويؤاكل المساكين[3] ويُكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالبرّ لهم ، يَصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لا يجفو على أحد ، يقبل معذرة المعتذِر إليه .

يمزح ولا يقول إلاّ حقّا[4] ، ويضحك من غير قهقهة[5] ، يرى

١ـ الحديث معروف عنه ﷺ « حبّب إليّ من دنياكم النساء و الطيب وجعل قرة عيني في الصلاة» . الخصال : باب الثلاثة ، ١٦٥/١ ، ح٢١٧ـ٢١٨ . المسند : ١٢٨/٣ و٢٨٥ . مستدرك الحاكم : كتاب النكاح ، ١٦٠/٢ .
كنزالعال : ٢٨٨/٧ ، ح١٨٩١٣ . طبقات ابن سعد : ٣٩٨/١ .

و أخرج الحاكم (المستدرك : كتاب اللباس ، ١٨٨/٤) عن عائشة : «أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف ، فلبسها ، فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها ، وكان يعجبه الريح الطيب» .

٢ـ أخرج أبوداود (كتاب العلم ، باب (١٣) ، ٣٢٣/٣) عن أبي سعيد : «جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين ـ إن بعضهم ليستتر ببعض من العرى ـ . . . فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا» .

٣ـ البخاري (الرقاق ، ١٢٠/٨) : « . . . و أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . . . » .

٤ـ المسند (٣٤٠/٢) : « قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله . فقال : إني لا أقول إلا حقا» .

ومايقرب منه فيه : ١٦٠/٢ . والترمذي : ٣٥٧/٤ ، كتاب البر والصلة ، باب (٥٧) ماجاء في المزاح ، ح١٩٩٠ . الشمائل النبوية : الباب (٣٦) ، ٢٩٥ ، ح٢٣٧ .

٥ـ في معاني الأخبار (باب معاني ألفاظ وردت في صفة النبي ﷺ ، حديث هند بن أبي هالة ، ٨١) : «ضحكه التبسم» . مثله في المعجم الكبير : ١٥٦/٢٢ ، ودلائل النبوة : ٢٨٨/١ . وجاء في الترمذي (كتاب المناقب ، باب (١٠) في بشاشة النبي ﷺ ، ٦٠١/٥ ، ح٣٦٤٢) : «ماكان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسّما» .
راجع أيضا طبقات ابن سعد : ٤٢٠/١ .

اللعب المباح فلا ينكره، ويسابق أهله، وتُرفع الأصواتُ عليه فيصبر.

وكان له لقاح وغنم يتقوّت هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد وإماء لايرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس[1].

لا يمضي له وقت في غير عمل الله أو فيما لابدّ له من صلاح نفسه، يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحقّر مسكينا لفقره وزمانه، ولا يهاب مَلِكا لمُلكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا.

قد جمع له الله السيرةَ الفاضلة والسياسةَ التامّة وهو أُمّيٌّ ـ لايكتب ولا يقرأ ـ نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لاأب له ولا أمّ، فعلّمه اللهُ جميعَ محاسن الأخلاق والطُرُق الحميدة وأخبار الأوّلين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والصلاح والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول.

وفّقنا الله لطاعته في أمره والتأسّي به في فعله.

أقول: ويأتي كلام آخر في معنى الأمّي[2] من طريق أهل البيت عليهم السلام إن شاء الله.

١ـ مسلم (كتاب الأيمان، باب (١٠) إطعام المملوك مما يأكل ...، ١٢٨٢/٣، ح٢٨): «... هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تطعمون، و ألبسوهم مما تلبسون ...».

٢ـ راجع الفصل التاسع من هذا الباب.

فصل [٣]

قال[١] : وفي رواية أُخرى[٢] :

وكان من خُلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام[٣] ، ومن قام معه بحاجة صابَرَه حتّى يكونَ هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتّى يكون يرسلها الآخذ[٤] ، وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ، ثمّ أخذ يده فشابكه ، ثمّ شدّ قبضه عليها[٥] .

وكان لايقوم ولا يقعد إلاّ على ذكرالله[٦] ، وكان لايجلس إليه أحد وهو يصلّي إلاّ خفّف صلاته و أقبل عليه فقال : «ألك حاجة» ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته .

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليها ـ

١ـ إحياء علوم الدين : كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة ، بيان جملة أُخرى من آدابه وأخلاقه ﷺ ، ٥٢٦/٢ـ٥٢٨ .

٢ـ قال في الإحياء : «ومما رواه أبوالبختري . . . .». وهو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي ؛ قال في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (١٤٢) : «وثقه أبوزرعة وابن معين . قال أبونعيم : مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين» .

٣ـ في معاني الأخبار (باب معاني ألفاظ وردت في صفة النبي ﷺ ، ٨١ ، حديث هند بن أبي هالة) : «يبدر من لقيه بالسلام . . .» . ومثله في المعجم الكبير : ١٥٦/٢٢ ، هند بن أبي هالة . ودلائل النبوة : ٢٨٧/١ . طبقات ابن سعد : ٤٢٢/١ .

٤ـ طبقات ابن سعد : ٣٧٨/١ و٣٨٢ .

٥ـ مصافحته ﷺ وارد في عدة من الروايات ، منها ماأخرجه أبوداود (كتاب الأدب ، باب في المعانقة ، ٣٥٤/٤ ، ح٥٢١٤) عن أبي ذر : «ما لقيته قط إلا صافحني» . وأما ذيل الرواية فلم أعثر عليه .

٦ـ معاني الأخبار : باب معاني ألفاظ وردت في صفة النبي ﷺ ، ٨٢ .

شبه الحبوة ـ[1] ولم يُعرف مجلسه من مجالس أصحابه ـ لأنّه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس ـ[2] ومارُئي قطّ مادًا رِجليه بين أصحابه ـ حتّى يضيق بها على أصحابه، إلاّ أن يكون المكان واسعا لاضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة.

وكان يُكرم من يدخل عليه، حتّى ربّما بسط ثوبَه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولارضاع ـ يُجلسه عليه ـ[3] وكان يؤثر الداخلَ عليه بالوسادة التي تكون تحته، فإن أبى أن يقبَلها عزم عليه حتّى يفعل.

وما استصغاه أحدٌ إلاّ ظنَّ أنّه أكرمُ الناس عليه، حتّى يعطي كلَّ من جلس إليه نصيبَه من وجهه، حتّى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف مجلسه وتوجّهه للجالس إليه؛ ومجلسه مع ذلك مجلس حياء و تواضع وأمانة[4].

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [٣/١٥٩].

١ـ أخرج أبوداود (كتاب الأدب، في جلوس الرجل، ٣/٢٦٢) : «إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس احتبى بيده». ومثله في الشمائل النبوية : الباب (٢١)، ح١٢٩، ١٨٢.

٢ـ معاني الأخبار : باب معاني ألفاظ وردت في صفة النبي ﷺ، ٨٢. وأخرج ابوداود (كتاب السنة، باب في القدر، ٤/٢٢٥، ح٤٦٩٨، «كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه، فيجيء الغريب فلايدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب ...».

٣ـ راجع ما أورده أبونعيم في الحلية : ٦/٢٠٥، عن جرير بن عبدالله وروده مجلس رسول الله ﷺ.

٤ـ في معاني الأخبار (باب معاني ألفاظ وردت في صفة رسول الله ﷺ، ٨٢) : «... يعطي كل جلسائه نصيبه، ولايحسب من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه... مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة...».

ولقد كان يدعو أصحابَه بكُناهم ـ إكراما لهم واستمالة لقلوبهم ـ ويكنّي من لم تكن له كُنية ؛ فكان يُدعى بما كنّاه به[1] ، وكان يكنِّي أيضا النساء اللاتي لهنّ أولاد ، واللاتي لم يلدنَ يبتدئُ لهنّ الكنى ، ويكنِّي الصبيانَ فيستلين به قلوبُهم .

وكان أبعدُ الناس غضبا وأسرعُهم رضا ، وكان أرقُّ الناس بالناس وخير الناس للناس ، وأنفع الناس للناس ، ولم تكن تُرفع في مجلسه الأصواتُ[2] .

وكان إذا قام من مجلسه قال : «سبحانك اللّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلاّ أنت ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك» ـ ثمّ يقول :ـ «علّمنيهن جبرئيل ﷺ»[3] .

*

---

١ ـ تكنية رسول الله لأصحابه ورد في عدة من الروايات ، منها ماقاله صهيب لعمر ـ حين عابه باكتنائه بـ«أبي يحيى» ولم يكن له ولد ـ : «أما اكتنائي بأبي يحيى فإن رسول الله ﷺ كناني بها ، فلاأدعها حتى ألقاه . . .» المسند : ٣٣٣/٤ .

٢ ـ في معاني الأخبار (باب معاني ألفاظ وردت في صفة النبي ﷺ ، ٨٢) : «مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة ولاترتفع فيه الأصوات» .

٣ ـ في مستدرك الحاكم (كتاب الدعاء ، ٤٩٦/١ـ٤٩٧) : «ماكان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال : سبحانك اللهم ربي وبحمدك لاإله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك» .

فصل[1] [٤]

قيل : كان ﷺ أفصحُ الناس منطقا وأحلاهم كلاما ، ويقول[2] : «أنا أفصح العرب» و«إنَّ أهل الجنَّة يتكلَّمون فيها بلغة محمَّد» .

وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار ، وكان كلامه كخرزات النظم ، وكان أوجز الناس كلاما ، وبذلك جاءه جبرئيل عليه السلام .

وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد ، وكان يتكلَّم بجوامع الكلم[3] لافضول ولا تقصير[4] ، كلام يتبع بعضه ، بين كلامه توقُّف يحفظه سامعُه ويعيه .

وكان جهيرُ الصوت أحسن الناس نغمة[5] .

وكان طويل السكوت لايتكلَّم في غير حاجة[6] .

١ـ الفصل مقتبس مما أورده الغزالي في إحياء علوم الدين : كتاب آداب المعيشة و أخلاق النبوة ، بيان كلامه وضحكه ﷺ : ٥٢٩/٢ .

٢ـ في المعجم الكبير (أبوسعيد الخدري ، ٣٦/٦ ، ح٥٤٣٧) : «قال رسول الله ﷺ : . . . أنا أعرب العرب . . .» .

٣ـ حديث متفق عليه معروف منه ﷺ : أُعطيت جوامع الكلم . راجع الفصل السادس من الباب الحاديعشر من هذا المقصد .

٤ـ مضى في حديث هند بن أبي هالة .

٥ـ أخرج مسلم (كتاب الصلاة ، باب (٣٦) القراءة في العشاء ، ٣٣٩/١) عن البراء بن عازب : «سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون ، فماسمعت أحدا أحسن صوتا منه» .

ويقرب منه ابن ماجة : كتاب إقامة الصلاة ، باب (١٠) في القراءة في صلاة العشاء ، ٢٧٣/١ ، ح٨٣٥ . المسند : ٢٩٨/٤ و٣٠٢ .

٦ـ معاني الأخبار : باب معاني ألفاظ وردت في صفة النبي ﷺ ، ٨١ .

و لا يقول في المنكر ولا يقول في الرضا و الغضب إلا الحق[١] ، ويعرض عمّن تكلّم بغير جميل[٢] ، و يكنّي عمّا اضطرّه الكلام إليه مِمّا يُكرَه .

وكان إذا سكت تكلّم جلساؤه، ولا يُتنازع عنده في الحديث[٣] ، ويعظ بالجدّ و النصيحة[٤] ، و يقول[٥] : « لاتضربوا القرآنَ بعضَه ببعض ، فإنّه أُنزل على وجوه» .

وكان أكثر الناس تبسُّما وضحكا في وجوه أصحابه ، وتعجُّبا ممّا تحدّثوا به ، وخلطا لنفسه بهم[٦] .

١ـ روى الحاكم (المستدرك : كتاب العلم ، ١/١٠٥ـ١٠٦) عن ابن عمر : «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ وأريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله بشر يتكلم في الرضا والغضب .
ـ قال :ـ فأمسكت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلا حق ـ وأشار بيده إلى فيه ـ .

٢ـ معاني الأخبار (الباب المذكور ، ٨٣) في حديث علي عليه السلام في توصيفه ﷺ : « يتغافل عما لايشتهي » .

٣ـ معاني الأخبار (الحديث السابق) : «إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولايتنازعون عنده الحديث . . .» .

٤ـ روى مسلم (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢/٥٩٢ ، ح٤٣) : « . . . إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته واشتدّ غضبه ، حتى كأنه منذر جيش . . .» .

٥ـ في كنزالعمال (١/١٩١ ، ح٩٦٧) : « . . . إنما هلك الذين من قبلكم بأشباه هذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض . . .» . ويقرب منه ح٩٦٦ و٩٧٠ و٩٧٧ . وجاء فيه (١/١٩٣ ، ح٩٧٦) : «سيكون أقوام من أُمتي يضربون القرآن بعضه ببعض ليبطلوه . . .» .

٦ـ أخرج الترمذي (كتاب المناقب : باب (١٠) في بشاشة النبي ﷺ ، ٥/٦٠١ ، ح٣٦٤١) عن عبد الله بن الحارث : «مارأيت أحدا أكثر تبسّما من رسول الله ﷺ» . ومثله في المسند : ٤/١٩٠ـ١٩١ . وجاء في معاني الأخبار (الحديث السابق عن علي عليه السلام) : «كان يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون » .

ولربَّما يضحك حتَّى تبدو نواجذُه[1] .

وكان[2] لايدعوه أحد من أصحابه إلاّ قال: «لَبَّيك»[3] ، وكانوا لايقومون له ـ لماعرفوا من كراهته لذلك[4] .

وكان يمرُّ بالصبيان فيُسلِّم عليهم[5] ، وأُتي برجل فأرعد من هيبته فقال[6] : «هوّن عليك ، فلست بملك ، إنَّما أنا ابن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد» .

---

١ ـ قال ابن الأثير (النهاية : نجذ ، ٥/٢٠) : «فيه : «إنّه ضحك حتى بدت نواجذه» ، النواجذ من الأسنان : الضواحك ، وهي التي تبدو عند الضحك . و الأكثر الأشهر أنّها أقصى الأسنان . والمراد الأول ، لأنّه ماكان يبلغ به الضحك حتى تبدو أواخر أضراسه ؛ كيف وقد جاء في صفة ضحكه ﷺ : «جلّ ضحكه التبسّم» . وإن أُريد بها الأواخر فالوجه فيه أن يراد مبالغة مثله في الضحك ، و هو أقيس القولين ؛ لاشتهار النواجذ بأواخر الأسنان» .
أخرج مسلم (كتاب الإيمان ، باب (٨٣) آخر أهل النار خروجا ، ١/١٧٣ ، ح٣٠٨) عن ابن مسعود : « . . . لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه» .
ابن ماجة (كتاب الأحكام ، باب (٢٠) القضاء بالقرعة ، ٢/٧٨٦ ، ح٢٣٤٨) عن زيد بن أرقم : « . . . فضحك حتى بدت نواجذه» .
وقد ورد مثله في مواضع أُخر .

٢ ـ من هنا إلى آخر الفصل مقتبس من الإحياء : الكتاب المذكور ، بيان تواضعه ﷺ ، ٢/ ٥٤٥ .

٣ ـ حكى الزبيدي (إتحاف السادة المتقين : ٧/١٤٣) عن أبي نعيم في الدلائل ، عن عائشة : «ماكان أحسن خلقا منه ، ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال : لبيك» .

٤ ـ الشمائل النبوية : باب (٤٧) ماجاء في تواضع رسول الله ﷺ ، ٤٠٩ـ ٤١٠ ، ح٣٣٧ .

٥ ـ دلائل النبوة : (باب ذكر أخبار رويت في شمائله و أخلاقه . . . ، ١/٣٣٠) : «مر على صبيان فسلم عليهم» .

٦ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب التفسير ، سورة ق ، ٢/٤٦٦ . وليس فيه : «لست بملك» .

وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم ـ كأنّه أحدهم ـ فيأتي الغريب فلايدري أيّهم هو حتّى يسأل عنه، حتّى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب، فبنوا له دكّانا من طين، فكان يجلس عليه[1].

و كان يقول:[2] «إنّما أنا عبدٌ، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد».

وكان لايأكل على خوان ولا سُكُرُّجة حتّى لحق بالله عزّ وجلّ[3].

فصل [٥]

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه إذا وَصفَ النبي ﷺ قال[4]:

«كان أجود الناس، و أجرء الناس صدرا، و أصدق الناس لهجة، وأوفاهم بذمّة، وألينهم عريكة[5]، وأكرمهم عشيرة؛ من رآه

١ـ مضى تخريجه في الفصل السابق.

٢ـ جاء مع فرق يسير في اللفظ في طبقات ابن سعد: ذكر صفته في مأكله ﷺ، ٣٨١/١.

٣ـ راجع البخاري: كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسكرجة، ٩١/٧. وباب ماكان النبي وأصحابه يأكلون، ٩٧/٧. الترمذي: كتاب الأطعمة، باب (١)، ٢٥٠/٤، ح١٧٨٨.

الخُوان: المائدة ـ معرب ـ. قال ابن الأثير (النهاية: سكرجة، ٣٨٤/٢): «لا آكل في سكرجة: هي بضم السين والكاف والراء والتشديد: إناء صغير يؤكل فيه الشئ القليل من الأُدم؛ وهي فارسية».

٤ـ أخرجه الترمذي مع فروق يسيرة: كتاب المناقب، باب (٨) ماجاء في صفة النبي ﷺ، ٥٩٨/٥. وجاء مايقرب منه في أمالي الطوسي: ٣٤١، المجلس الثاني عشر، ح٣٥. عنه البحار: ١٤٧/١٦، ح٣.

٥ـ في الترمذي: «أجود الناس كفّا، وأشرحهم صدرا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة...».

بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبّه ؛ يقول ناعتُه : لم أر[1] قبله و لابعده مِثله ﷺ » .

وما سُئل شيئا ـ قطُّ ـ على الإسلام إلاّ أعطاه، وإنّ رجلاً أتاه وسأله، فأعطاه غنما بين جبلين ؛ فرجع إلى قومه فقال : «أسلِموا فإنّ محمّدا يعطي عطاء من لايخشى الفاقةَ[2] »، وماسئل شيئا ـ قطُّ ـ فقال لا[3] » . وعنه ﷺ[4] : «لقد رأيتُنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ ، وهو أقربُنا إلى العدوِّ، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأسا» .

وقال ـ أيضا ـ[5] : « كنّا إذا أحمى البأس ، ولقي القومُ القومَ ، اتّقينا برسول الله ﷺ ،فما يكون أحد أقرب إلى العدوِّ منه» .

قيل : «وكان البطل الشجاع هو الذي يدنو منه وقت اشتداد الحرب حين وقوع الطعن والضرب»[6] .

١ـ في النسخة : «فلم أر». والأظهر كونه من سهو القلم والصحيح ما أثبتناه مطابقا للمصادر .

٢ـ رواه البيهقي (دلائل النبوة ، باب ذكر أخبار رويت في شمائله . . . ، ٣٢٧/١) عن أنس . المسند : ١٠٨/٣ و١٧٥ . مسلم : كتاب الفضائل ، باب (١٤) ماسئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا ، ١٨٠٥/٤ ، ح٥٦ .

٣ـ البخاري : كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء . . . ، ١٦/٨ . دلائل النبوة : الباب السابق : ٣٢٦/١ . مسلم الباب السابق : ١٨٠٦/٤ ، ح ٥٧ . الشمائل النبوية : باب (٤٨) ماجاء في خلق رسول الله ﷺ ، ٤٣١ ، ح٣٥٤ .

٤ـ مكارم الأخلاق : ١٧ . عنه البحار : ٢٣٢/١٦ . راجع أيضا ماجاء في تاريخ الطبري : السنة الثانية ، غزوة بدر ، ٤٢٦/٢ .

٥ـ مكارم الأخلاق : ١٧ . عنه البحار : ٢٣٢/١٦ . نهج البلاغة : الكلام التاسع مما اختاره الرضي ـ قده ـ المحتاج إلى التفسير : كنا إذا احمر . . .

٦ـ أخرج مسلم (كتاب الجهاد ، باب (٢٨) في غزوة حنين ، ١٤٠١/٣ ، ح٧٩) عن البراء بن عازب :«كنا ـ والله ـ إذا احمرّ البأس نتقي به ﷺ ، وإنّ الشجاع منّا للذي يحاذي به» .

فصل [٦]

قيل : وكان ﷺ أخشى الناس لربّه وأتقاهم له ، وأعلمهم به ، وأقواهم في طاعته ، وأصبرهم على عبادته ، وأكثرهم حبّا لمولاه ، وأزهدهم فيما سواه . وكان يقوم في صلاته حتّى ينشقّ بطون أقدامه من طول قنوته وقيامه، ويسمع على الأرض لوَكْفِ[١] دموعه حسّا كحسّ المطر من كثرة خضوعه . وكانت أوقاته لا يخلو من الصيام، وربّما يواصل الليالي بالأيّام .

* * *

و في طريق أهل البيت عليهم السلام[٢] : « إنّه ﷺ صام حتّى قيل : « إنّه مايفطر » ، ثمّ إنّه أفطرَ حتّى قيل : «إنّه مايصوم»، ثمّ إنّه كان يصوم الثلاثة الأيّام في الشهر ، وعليه قُبض» . وفيه[٣] : «إنه كان إذا قام إلى الصلاة يُسمع من صدره أزيزا ـ كأزيز المرجل[٤] » .

---

١ ـ وَكَفَ الدمعُ ونحوه : سال قليلا قليلا .

٢ ـ الكافي : كتاب الصيام ، باب صوم رسول الله ﷺ ، ٨٩/٤ ، ح١ . وفيه : «. . . ثم صام صوم داود عليه السلام ـ يوما ويوما لا ـ ثم قبض على صيام ثلاثة أيام في الشهر . . .» .
وجاء مايقرب منه مع إضافات في ثواب الأعمال : ثواب صوم ثلاثة أيام في الشهر . . . ، ٥٤ . عنه البحار : ١٠١/٩٧ .

٣ ـ جاء مايقرب منه في الخصال : باب الخمسة ، أنواع الخوف خمسة ، ٢٨٢/١ . الاحتجاج : احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على أحبار اليهود ، ٥١٩/١ . فلاح السائل : الفصل التاسع عشر ، ١٦١ . البحار : ٣٨١/٧٠ ، ح٣٠ . و٤٠/١٠ ، ح١ . و٢٨٧/١٧ ، ح٧ . و٢٥٧/١٧ ، ح٤ . وروى مثله العامة أيضا : المسند : ٢٥/٤ـ٢٦ .

٤ ـ في الفائق (از ، ٣٩/١) : «النبي ﷺ كان يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء . هوالغليان . المرجل ـ عن الأصمعي ـ كل قدر يُطبخ فيها من حجارة أو خزف أو حديد . وقيل : إنما سمي بذلك لأنه إذا نصب فكأنه أقيم على أرجل» .

فصل [٧]

وأمَّا خِلقتُه وصورتُه ﷺ فقال بعض علماء العامّة[1] :

«كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته أنّه لم يكن بالطويل البائن ، و لا القصير المتردِّد ، بل كان ينسب إلى الرَبعة[2] إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن أحد يماشيه من الناس ـ يُنسب إلى الطول ـ إلاّ طاله ، ولربّما يكتنفه الرجلان الطويلان ويطولها ، فإذا فارقاه نُسبا إلى الطول[3] ، و نُسب هو إلى

---

١ ـ اقتباس من إحياء علوم الدين : كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة ، بيان صورته وخلقته ﷺ ، ٥٤٥/٢ـ٥٤٧ . ويظهر أنه مقتبس مما أورده البيهقي في الدلائل (٢٩٨/١ ـ٣٠٦) قائلا : «وقد روى صبيح بن عبد الله الفرغاني ـ وليس بالمعروف ـ حديثا آخر في صفة النبي ﷺ ، وأدرج فيه تفسير بعض ألفاظه ، ولم يبين قائل تفسيره فيما سمعنا ، إلا أنه يوافق جملة ما روينا في الأحاديث الصحيحة والمشهورة» .

٢ ـ الطويل البائن ـ بالهمزة ـ أي المفرط طولا مع اضطراب . والقصير المتردد : الذي يتردد بعض خَلقه على بعض (راجع دلائل النبوة : ٢٧١/١ـ٢٧٢) ، ففيه نفي الطول المفرط والقصر المفرط . الربعة ـ بفتح فسكون ، وقد يحرك ـ : كون الإنسان بين الطويل والقصير ، يستوي فيه المؤنث والمذكر .

أخرج البيهقي في الدلائل (باب جامع صفة رسول الله ﷺ ، ٢٧٠/١) عن علي ؏ : « لم يكن بالطويل الممغّط ولا القصير المتردد . . . » . وفيه (باب صفة قامة رسول الله ﷺ ، ٢٥١/١) عن علي ؏ : «كان لاقصير ولاطويل» .

ويقرب منه الترمذي : كتاب المناقب ، باب (٨) ماجاء في صفة النبي ﷺ ، ٥٩٨/٥ ، ح٣٦٣٧ . الشمائل النبوية : الباب (١) ، ح٧ ، ٤٥ . المسند : ٩٦/١ .

وأخرج البخاري (كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، ٢٢٧/٤ـ٢٢٨) عن أنس : «كان ربعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير . . .» .

٣ ـ أخرجه البيهقي عن عائشة : دلائل النبوة ، باب حديث هند بن أبي هالة ، ٢٩٨/١ .

الربعة، ويقول ﷺ [1] : «جُعل الخير كلُّه في الربعة».

وأمّا لونه ﷺ : فقد كان أزهر اللون ، ولم يكن بالآدم و لا الشديد البياض ـ [2] والأزهر: هو الأبيض الناصع الذي لايشوبه صُفرة ولا حُمرة ولا شيءٌ من الألوان ـ . ونعَته عمُّه أبوطالب فقال[3] :

وأبيض يستسق الغمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

ونعته بعضُهم[4] بأنّه مشرب بحمرة، فقال : «إنّما كان المُشرب منه بالحُمرة ماظهر للشمس والرياح ـ كالوجه والرقَبة ـ والأزهرالصافي عن الحمرة هو ماتحت الثياب منه».

وكان ﷺ عرقُه في وجهه كاللؤلؤ، أطيب من المسك الأذفر[5] .

وأمّا شَعره : فقد كان رَجِل الشَعرة حسَنها، ليس بالسبط ولا الجعد القطط[6] .

١ـ نفس المصدر . كنزالعمال : ٩٢/١١ ، ح٣٠٧٥١ .

٢ـ نفس المصدر : (باب صفة لون رسول الله ﷺ ، ٢٠١/١) : «أزهر اللون أمهق ، ليس بأبيض ولاآدم . . .». راجع فيه : ٢٩٩/١ أيضا.

٣ـ نفس المصدر : ٢٩٩/١ .

٤ـ نفس المصدر (٢٠٦/١) عن علي عليه السلام : «كان ﷺ أبيض مشرب الحمرة».

٥ـ نفس المصدر :٢٩٩/١ راجع أيضا فيه :٢٥٥/١ . وفيه (٢٥٨/١) إن أُم سليم جمعت عرق النبي ﷺ في قارورة وقالت : «هذا عرق نجعله لطيبنا ، و هو أطيب الطيب».

٦ـ راجع دلائل النبوة : ٣٠٠/١ـ٣٠١ و باب صفة شعر رسول الله ﷺ ، ٢٢٠/١ـ٢١٩ . الشمائل النبوية : الباب (١) ، ح١ ، ٤٠ . والباب (٣) ، ح٢٧ ، ٦٧ .

كان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنّه حبك الرمل[1]

وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة طاقة شَعرة ـ مازاد عليها[2] .

وكان أحسن الناس وجها وأنوره، لم يصفه واصفٌ إلاّ شبَّهه بالقمر ليلة البدر[3] ، وكان يُرى رضاه وغضبُه في وجهه ـ لصفاء بشَرته ـ .

وكان واسع الجبهة أزجَ الحاجبين سابغهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين ـ كأنَّ مابينهما الفضَّة المخلَّصة[4] ـ .

وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما، وكان في عينه مزج من



١ـ كتب هنا مايلي ثم شطب عليه :

«وقيل : كان شَعره يضرب منكبيه . وأكثر الرواية أنّه كان إلى شحمة أُذُنيه ، وربَّما جعله غدائر أربعا يخرج كل أذن من بين غديرتين ، و ربَّما جعل شَعرَه على أُذنيه فتبدو سوالفه يتلألأ» .

٢ـ دلائل النبوة (باب ذكر شيب النبي ﷺ ، ٢٣٢/١) عن أنس : «ماكان في رأسه إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة» . المسند : ٢٥٤/٣ . وجاء في الشمائل النبوية (الباب ٥ ، ح٣٨ ، ٨١) عن أنس : « ماعددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء » .

٣ راجع دلائل النبوة : باب صفة وجه رسول الله ﷺ ، ١٩٤/١ـ١٩٩ . الترمذي : كتاب الأدب ، باب (٤٧) ماجاء في الرخصة في لبس الحمرة ، ١١٨/٥ ، ح٢٨١١ . مسلم : كتاب التوبة ، باب (٩) حديث توبة كعب بن مالك ، ٢١٢٧/٤ ، ح٥٣ .

٤ـ الزجج : تقوّس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد . الحاجب السابغ : التام الطويل . وقوله «أبلج مابين الحاجبين» : أي كان بين حاجبيه بلجة ... فرجة بيضاء دقيقة لاتتبين إلا لمتأمل .. فهو غير أقرن .

جاء في حديث هند بن أبي هالة : «كان رسول الله ﷺ واسع الجبين ، أزجّ الحواجب سوابغ في غير قرَن . . .» . دلائل النبوة : ٢١٤/١ . معاني الأخبار : ٨٠ .

حُمرة . وكان أهدب الأشفار ـ حتّى كاد تلبس من كثرتها ـ[1] .

وكان أقنى العرنين ـ أي مستوى الأنف ـ[2] .

وكان مفلج الأسنان ـ أي متفرّقها ـ وكان إذا افترّ ضاحكا افترّ عن مثل سنا البرق إذا تلألأ . وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم[3] .

وكان سهل الخدّين صلتها، ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم ، كَثّ اللحية[4] ، وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه[5] .

وكان من أحسن الناس عنقا ، لاينسب إلى الطول ولاإلى القصر ، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنّه إبريق فضّة مشربا يتلألأ ذهبا في بياض الفضّة وفي حمرة الذهب[6] .

١ ـ دَعَجت العين : صارت شديدة السواد مع سعتها ، فصاحبها أدعج .

أخرج البيهقي (الدلائل : باب صفة عين رسول الله ﷺ ، ٢١٣/١) عن علي عليه السلام : «كان في الوجه تدوير ، أبيض مشرب ، أدعج العينين أهدب الأشفار» .

وفيه (٢١٢/١) عنه عليه السلام : «كان رسول الله ﷺ عظيم العينين ، أهدب الأشفار ، مشرب العين بحمرة» .

٢ ـ في حديث هند بن أبي هالة : «أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم» . الدلائل : ٢١٥/١ . معاني الأخبار : ٨٠ .

٣ ـ جاء في حديث هند المذكور : «ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان» . وفي الدلائل (٢١٥/١) عن ابن عباس : «أفلج الثنيتين وكان إذا تكلم رئي كالنور بين ثناياه» .

٤ ـ راجع دلائل النبوة : ٢١٦/١ـ٢١٧ و٢٦٩ و٢٨٧ . معاني الأخبار : ٨٠ .

٥ ـ ورد عنه ﷺ : «احفوا الشوارب واعفوا اللحى» . مسلم : كتاب الطهارة : باب خصال الفطرة ، ٢٢٢/١ ، ح٥٢ . الترمذي : كتاب الأدب ، باب (١٨) ماجاء في إعفاء اللحية ، ٩٥/٥ ، ح٢٧٦٣ . المسند : ١٦/٢ .

٦ ـ دلائل النبوة : ٣٠٤/١ . راجع أيضا فيه : ٢٧٤/١ و٢٨٧ .

وكان ﷺ عريض الصدر[1] لايعدو لحم بعض بدنه بعضا ـ كالمرايا في استوائه، وكالقمر في بياضه ـ موصول مابين لبّته وسرّته بشَعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شَعر غيره[2] . وكانت له عُكن[3] ثلاث : يغطّي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان.

وكان عظيم المنكبين أشعرهما[4] ، ضخم الكراديس[5] ـ أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين، وكان واسع الظَّهر، ما بين كتفيه خاتم النبوّة، وهو مما يلي منكبه الأيمن، فيه شامة سوداء يضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متواليات ـ كأنّها من عرف فرس ـ[6].

وكان عبل العضدين والذراعين، طويل الزندين، رحب الراحتين، سائل الأطراف[7] ، وكان أصابعه قصبان الفضّة، كأنّ كفّه كفّ عطّار طيبا ـ مسّها بطيب أو لم يمسّها ـ يصافحها المصافح فيظلّ يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي

١ـ حديث هند بن أبي هالة . دلائل النبوة : ٢٨٧/١ . معاني الأخبار : ٨٠ .

٢ـ دلائل النبوة : باب جامع صفة رسول الله ﷺ ، ٢٧٤/١ ، عن علي عليه السلام .

٣ـ العكنة ـ بالضم ـ : طية من طيات البطن .

٤ـ دلائل النبوة (باب صفة مابين منكبي رسول الله ﷺ ، ٢٤١/١) : «عظيم مشاش المنكبين . . .». وفي حديث هند بن أبي هالة : «أشعر الذراعين والمنكبين» .

راجع أيضا الشمائل النبوية : الباب (١) ، ٤٣ ، ح٣ـ٤ .

٥ـ حديث هند بن أبي هالة .

٦ـ ورد في وصف خاتم النبوة أحاديث مختلفة ، راجع إتحاف السادة المتقين : ١٥٢/٧ـ١٥٣ . دلائل النبوة : ٢٥٩/١ـ٢٦٧ . الشمائل النبوية : الباب (٢) ، ٥٨ـ٦٣ .

٧ـ في حديث هند بن أبي هالة : «. . . طويل الزندين رَحْب الراحة . . . سائل الأطراف . . .»

فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه[1] .

وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق .

وكان معتدل الخلق في السّمن ، بُدن في آخر زمانه[2] .

وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخَلق الأوّل لم يضرّه السِنّ .

و أمّا مَشيه ﷺ : فكان يمشي كأنّما ينقلع من صَخر و ينحدر من صَبَب ، يخطو تكفيا ويمشي الهوينا[3] من غير تبختر ـ والهوينا : تقارب الخطا ـ .

وكان ﷺ يقول[4] : « أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وكان أبي إبراهيم أشبه الناس بي خَلقا وخُلقا » .

* * *

وإن أردت زيادة على ما ذكر في بيان خَلقه وخُلقه وأموره ﷺ ومن طريق أهل البيت ﷺ فارجع إلى كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي ـ رحمه الله ـ .

---

١ ـ أخرج البخاري (كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، ٤/٢٣٠) عن أنس : «ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ﷺ ، ولاشممت ريحا قط أو عرفا أطيب من ريح ـ أو عرف ـ النبي ﷺ». ومايقرب منه في مسلم : كتاب الفضائل ، ٤/١٨١٤ـ١٨١٥ ، ح٨١ . دلائل النبوة : ١/٢٥٤ .

٢ ـ في حديث هند بن أبي هالة : «معتدل الخلق بادن متماسك» .

٣ ـ في الحديث المذكور : يخطو تكفيا ويمشي هونا . . .

٤ ـ معاني الأخبار : باب معاني أسماء النبي وأهل بيته ﷺ ، ٥١ .

فصل [٨]

قيل في قوّة حواسّه ﷺ : إنّه كان لسمعه قوّة يسمع بها ما يخفى عن غيره حتّى كان يسمع صرير الأقلام في تصاريف الأحكام .

ولبصره قوّة يبصر بها الأشياء الدقيقة القاصية ، كما أخبر برؤية قصور الشام واليمن[١] ، وجسد النجاشي[٢] ؛ بل كان لبصره نفوذ إلى الملأ الأعلى .

وقال : « إنّي لأجدُ ريحَ الجنّة دون أُحد »، و «إنّي أشمُّ ريحَ الرحمان من قِبَل اليمن »[٣] ـ يخبر عن أُويس[٤] ـ .

ويكفي في قوّة حواسّه ثبوت سمعه وبصره وقلبه لسماع خطاب ربّ العالمين ومشاهدة آياته الكبرى .

١ـ أخرج البيهقي (دلائل النبوة : باب ما ظهر في حفر الخندق من دلائل النبوة ، ٣/٤٢١) : « . . . عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة . . . فلما رآها ﷺ أخذ المعول و قال : بسم الله ، و ضرب ضربة فكسر ثلثها ، فقال : الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، . . . فقال : الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة».

٢ـ أورد الطبري (التاريخ : ٣/١٢٢ ، وقائع سنة ٩) : «وفيها نعى رسول الله ﷺ للمسلمين النجاشي ، وإنه مات في رجب سنة تسع».

٣ـ أخرج الطبراني (المعجم الكبير ، ٧/٥٢ ، ح٦٣٥٨) : «قال ﷺ وهو مولّ ظهره إلى اليمن : إني أجد نفس الرحمان من ههنا ». وفي المسند (٢/٥٤١) : «ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربّكم من قِبل اليمن ».

٤ـ أبو عمرو أُويس بن عامر بن جَزء بن مالك القرني اليماني ، الزاهد المعروف ، استشهد بصفين في حرب معاوية ، راجع أخباره في حلية الأولياء : ٢/٧٩ـ٨٧ . سِيَر أعلام النبلاء : ٤/١٩ـ٣٣ . طبقات ابن سعد : ٦/١٦١ـ١٦٥ .

فصل [٩]

وأمّا أسماؤه ﷺ :

فروي أنّه كان يقول[1] : «إنّ لي عند ربّي عشرة أسماء : أنا محمّد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد ، وأنا الحاشر الذي يحشر العباد على قدمي ، وأنا رسول الرحمة ، ورسول التوبة ، ورسول الملاحم ، والمقفي ـ قفيت الناس ـ ، وأنا قُثم» .

١ـ أورده الغزالي في الإحياء : كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة : ٥٤٧/٢ . وعنه اقتبس المؤلف ـ على مايظهر ـ .
وأورد ابن عدي في الكامل (سيف بن وهب : ٤٣٧/٣) : «. . . أبو يحيى التيمي ، ثنا سيف بن وهب ، عن أبي الطفيل ـ قال :ـ قال رسول الله ﷺ : إنّ لي عند ربّي عشرة أسماء . قال أبو الطفيل : قد حفظت منها ثمانية : محمّد وأحمد وأبوالقاسم ، والفاتح ، والخاتم ، والماحي ، والعاقب ، والحاشر . قال أبو يحيى : وزعم سيف أن أباجعفر قال له : إن الإسمين الباقيين : يس وطه» .
وأخرج البخاري (كتاب التفسير ، سورة الصف : ١٨٨/٦) : «إنّ لي أسماء : أنا محمّد وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر على قدمي ، وأنا العاقب» . ومثله في مسلم : كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ : ١٨٢٨/٤ . والترمذي : كتاب الأدب ، باب (٦٧) ماجاء في أسماء النبي ﷺ : ١٣٥/٥ . ودلائل النبوة : باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ : ١٥١/١ . وأخرج مسلم في حديث آخر (الباب والصفحة المذكورة) : «عن أبي موسى الأشعري : كان رسول الله ﷺ يسمّي لنا نفسه أسماء ، فقال : أنا محمّد ، وأحمد ، والمقفّي ، والحاشر ، ونبيُّ التوبة ، ونبيُّ الرحمة» . ومثله في المسند : ٤٠٤/٤ ودلائل النبوة : ١٥٧/١ . راجع أيضا الشمائل النبوية : الباب (٥١) ، ٤٤٦ـ٤٤٩ ، ح٣٦٨ـ٣٧٠ .
راجع سايرالتخريجات وشرحها في إتحاف السادة المتقين : ١٦١/٧ـ١٦٤ .

قيل[1] : القثم : الكامل الجامع . وقيل : الجواد .

وقيل ـ أيضاً ـ في أسمائه : الشاهد ؛ لأنّه يشهد في القيامة للأنبياء بالتبليغ ، وعلى الأمم أنّهم بلّغوا ـ كما ورد في القرآن[2] ـ

والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والضحوك ، والقتّال ، والمتوكِّل ، والفاتح والأمين ـ وقد سمّي بذلك قبل مبعثه لأمانته وصدق وعده ـ والخاتم ، والمصطفى ، والرسول ، والنبيّ ، والأُمّي ـ لنسبته إلى أمّ القرى ـ

وقيل : لأنّه لم يكتب ولم يقرأ كما قال تعالى : ﴿ وَ مَا كُنتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [٤٨/٢٩][3] .

١ـ في الإحياء (٥٤٨/٢) : «قال أبوالبختري : والقثم الكامل الجامع».

وفي النهاية (قثم : ١٦/٤) : «فيه أتاني ملك فقال : أنت قثم ، وخَلقك قيّم . القُثم : المجتمع الخلق . وقيل : الجامع الكامل ، قيل : الجموع للخير . وبه سمّي الرجل قثم . وقيل : قُثم معدول عن قاثم ، وهو كثير العطاء».

٢ـ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ [٤/١٤] ﴿ وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هٰؤُلاءِ ﴾ [١٦/٨٩].

٣ـ قال البيهقي (دلائل النبوة : ١/١٦٠ـ١٦١) : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، قال : حدثنا خلف بن محمد البخاريّ ، قال : حدثنا صالح بن محمّد بن حبيب الحافظ ، قال : حدثنا محمد بن ميمون المكي ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن علي بن زيد ، قال : سمعته يقول : اجتمعوا ، فتذاكروا أيّ بيت أحسن فيما قالته العرب ؟ قالوا : الذي قاله أبوطالب للنبيّ ﷺ :

وشقّ له من اسمه كي يجلّه　　فذوالعرش محمود ، وهذا محمّد

وفي بصائر الدرجات[1] عن جعفر بن محمد الصوفي[2] قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: «يابن رسول الله ـ لِمَ سُمِّي النبيُّ: الأمِّي» ؟ قال: «مايقول الناس» ؟

قلت: «يزعمون أنّما سمّي النبيُّ الأمِّي، لأنّه لم يكتب».

فقال: «كذبوا ـ عليهم لعنةُ الله ـ أنّى يكون ذلك، والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [٦٢/٢] فكيف يعلّمهم ما لايُحسن ؟ والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرء ويكتب باثنين وسبعين ـ أو[3] : بثلاثة وسبعين ـ لسانا ؛ وإنّما سمّي الأمّي لأنّه كان من أهل مكّة ـ ومكّة من أمّهات القرى ـ وذلك قول الله في كتابه: ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا ﴾ [٩٢/٦]».

وفيه[4] عن عبد الرحمان بن الحجّاج[5] ـ قال: ـ قال أبو عبدالله: «إنّ النبي ﷺ كان يقرء ويكتب، ويقرء ما لم يكتب».

١ـ بصائرالدرجات: الجزء الخامس، باب (٤) في أن رسول الله ﷺ كان يقرء ويكتب بكل لسان، ٢٢٥، ح١. معاني الأخبار: باب معاني أسماء النبي ﷺ، ٥٣، ح٦. الاختصاص: ٢٦٣. علل الشرايع: باب (١٠٥) العلة التي من أجلها سمي النبي ﷺ الأمي، ١٢٤/١، ح١. عنها البحار: ١٣٢/١٦، ح ٧٠.

٢ـ لم أعثر على ترجمته، ولم يذكر عنه شيء في معاجم رجال الحديث غير روايته هذا.

٣ـ الترديد من الراوي.

٤ـ بصائر الدرجات: الباب السابق: ٢٢٧، ح٥.

٥ـ قال النجاشي (الترجمة: ٦٣٠ ص٢٣٧): «عبدالرحمن بن الحجاج البجلي مولاهم، كوفيّ، بيّاع السابري، سكن بغداد، ورمي بالكيسانية، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام وبقي بعد أبي الحسن عليه السلام ورجع إلى الحق ولقي الرضا عليه السلام وكان ثقة ثقة، ثبتا، وجها...».

* * *

وسمّاه الله: المزمّل، والمدثّر، والكريم، والنور، والعبد، والرؤوف، والرحيم، وطه، ويس، ومنذِر، ومذكِّر[1].

* * *

وعن مولانا الباقر عليه السلام بإسناد الصدوق[2] ـ رحمه الله ـ :

« إنّ اسم رسول الله صلى الله عليه وآله في صُحف إبراهيم: الماحي، و في توراة موسى: الحاد، وفي إنجيل عيسى: أحمد. وفي الفرقان: محمّد ».

قيل: «فما تأويل الماحي» ؟

فقال: «الماحي صورة الأصنام، وماحي الأوثان والأزلام، وكلّ معبود دون الرحمن».

قيل: «فما تأويلُ الحاد» ؟

فقال: «الحاد من حادّ الله[3] ودينه، قريبا كان أو بعيدا».

قيل: «فما تأويل أحمد» ؟

١ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ [١/٧٣] ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [١/٧٤] ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [٤٠/٦٩] ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ ﴾ [١٥/٥] ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [١/٢٥] ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٢٨/٩] ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [١/٢٠] ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [١/٣٦-٢] ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ [٧/١٣] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [٢١/٨٨] .

٢ـ الشطر الأول من حديث رواه الصدوق ـ ره ـ في الفقيه، كتاب الوصية، باب الوصية من لدن آدم عليه السلام، ١٧٤/٤، ح٥٤٠٢. وفي المجلس السابع عشر من أماليه، ح٢، ١٢٩. عنه البحار: ٣٩/١١، ح٣٨ و ٩٨/١٦، ح٣٧.
ويأتي تمام الحديث في الفصل الآتي.

٣ـ المصدر: يحادّ من حادّ الله.

فقال: «حُسن ثناء الله تعالى عليه في الكتب بما حمد من أفعاله».

قيل: «فما تأويلُ محمّد»؟

قال: «أنَّ الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلُّون عليه، وأنَّ اسمه مكتوبٌ على العرش: محمّدٌ رسول الله».

* * *

وعن كعب الأحبار أنّه قال[1]: «اسم النبي ﷺ عند أهل الجنّة: عبد الكريم، وعند أهل النار: عبد الجبّار، وعند أهل العرش: عبد المجيد، وعند سائر الملائكة: عبد الحميد، وعند الأنبياء: عبد الوهّاب وعند الشياطين: عبد القهّار، وعند الجنّ: عبد الرحيم، وفي الجبال: عبد الخالق، وفي البرّ: عبد القادر، وفي البحر: عبد المهيمن، وعند الحيتان: عبد القدُّوس، وعند الهوامّ: عبد الغياث، وعند الوحوش: عبد الرزّاق، وعند السباع: عبد السلام، وعند البهائم: عبد المؤمن، وعند الطيور: عبد الغفّار، وفي التوراة: مودمود، وفي الإنجيل: طاب طاب، وفي الصحف: عاقب، وفي الزبور: فاروق، وعند الله: طٰه، و يٰس، وعند المؤمنين: محمّد ﷺ» ـ انتهى.

وقيل[2]: «اسمه في التوراة بماد ماد، وصاحب الملحمة ـ والملحمة: الحرب ـ وكنيته: أبو الأرامل، واسمه في الإنجيل: الفارقليط. وقال: أنا الأوّل والآخر ـ أوّل في النبوّة، وآخر في البعثة ـ».

---

١ ـ لم أعثر على مصدره.

٢ ـ كذا في كشف الغمة (ذكر أسمائه ﷺ: ١٣/١) أيضاً ولم يسم القائل.

وكنيته[1] : أبو القاسم .

وقيل[2] : لمّا وُلد له إبراهيم أتاه جبرئيلُ عليه السلام فقال : «السلام عليك أبا إبراهيم» ـ أو ـ «يا أبا إبراهيم» .

فصل [١٠]

[متعلقاته صلى الله عليه وآله]

روى الصدوق ـ رحمه الله ـ بإسناده[3] عن مولانا الباقر عليه السلام أنّه قال : « وكان صلى الله عليه وآله يلبس من القلانس اليمانيّة والبيضاء المضرّبة[4] ذات الأُذنين في الحرب .

١ـ كشف الغمة : الصفحة السابقة . مسلم : كتاب الآداب ، باب (١) النهي عن التكنّي بأبي القاسم ، ١٦٨٣/٣ ، ح٥ . البخاري : كتاب المناقب ، باب كنية النبي صلى الله عليه وآله : ٤/ ٢٢٦ . ابن ماجة : كتاب الأدب ، باب (٣٣) الجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وآله وكنيته ، ١٢٣٠/٢ ، ح٣٧٣٥ . الترمذي : كتاب الأدب ، باب (٦٨) ما جاء في كراهيّة الجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وآله وكنيته ، ١٣٦/٥ ، ح٢٨٤١ . دلائل النبوة : باب ذكر كنية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ١٦٢/١ .
طبقات ابن سعد : ذكر كنية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ١٠٦/١ .

٢ـ روي عن أنس ـ كشف الغمة : الصفحة السابقة . دلائل النبوة : الباب السابق : ١٦٤/١ . المستدرك للحاكم : كتاب التاريخ : ٦٠٤/٢ .

٣ـ الفقيه : كتاب الوصية ، باب الوصية من لدن آدم عليه السلام ، ١٧٨/٤ . أمالي الصدوق : المجلس السابع عشر ، ح٢ ، ١٢٩ . عنهما البحار : ٩٨/١٦ ، ح٣٧ .
وقد مضى صدر الحديث في الباب السابق .

٤ـ في النسخة مهملة . وفي الفقيه والمنقول عنه وعن الأمالي في البحار : والبيضاء والمضرّبة .
ومثله في الكافي : باب القلانس ح١ ، ٤٦١/٦ . وفيه (ح٢) : «يلبس قلنسوة بيضاء مضربة ، وفي الحرب قلنسوة لها أُذنان» .
وفي الأمالي (نسخة) : والبيضاء والمضربة (خطأ) . المضرَّب : المخيط .

وكانت له عَنَزَة[1] يتّكئ عليها ويُخرجها في العيدين فيخطب بها .

وكان له قضيبٌ يقال له : الممشوق .

وكان له فسطاط ويسمّى بالكِنّ[2] .

وكانت له قصعة تسمّى المنيعة[3] .

وكان له قعب يسمّى الريّ .

وكان له فرَسان، يقال لأحدهما : المرتجز، وللآخر : السكب .

وكان له بغلتان، يقال لإحداهما : دُلدُل، و للأُخرى : الشهباء .

وكانت له ناقتان، يقال لإحداهما العضباء، وللأُخرى الجدعاء .

وكان له سيفان، يقال لأحدهما : ذوالفقار، وللآخر : العون .

وكان له سيفان آخران، يقال لأحدهما : المخذم، وللآخر : الرسوم .

وكان له حمارٌ يسمّى يعفور .

وكانت له عمامة تسمّى السحاب .

وكان له درع يسمّى ذات الفضول ؛ لها ثلاث حلقات فضّة ـ حلقة بين يديها وحلقتان خلفها .

وكانت له راية تسمّى العقاب .

وكان له بعيرٌ يحمل عليه يقال له الديباج .

١ـ العَنَزَة ـ محركة ـ : أطول من العصا وأقصر من الرمح ، وفيه زجّ كزجّ الرمح .

٢ـ المصدر : يسمى الكن . (وفي النسخة كتب كذلك ، ثم استدرك وأضيف الباء) .

الكنّ : وقاء كل شيء وستره .

٣ـ كذا في النسخة . وفي الأمالي والبحار : المنبعة . وفي الفقيه : السعة .

القعب : قدح من خشب مقعّر .

وكان له لواء تسمّى المعلوم .

وكان له مغفرٌ يقال له : الأسعد .

فسلّم ذلك كلّه لعليّ عليه السلام عند موته ، و أخرج خاتمه و جعله في إصبعه .

فذكر عليٌّ عليه السلام أنّه وجد في قائمة سيف من سيوفه صحيفةً فيها ثلاثة أحرف : «صَل مَن قطعك ، وقُل الحَقّ ولو على نفسك ، وأحسِن إلى مَن أساء إليك» .

ـ قال :ـ[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «خمسٌ لا أدعهنّ حتّى الممات : الأكل على الحضيض[2] مع العبيد ، وركوبي الحمار موكفاً[3] ، وحلبي العنزَ بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان ـ ليكون سُنّةً من بعدي» .

* * *

* *

*

١ـ هذا المقطع غير موجود في الفقيه وموجود في الأمالي .

٢ـ في هامش النسخة : «الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . وفي الحديث :«أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هدية ، فلم يجد شيئاً يضعه عليه ، فقال : ضعه بالحضيض ، فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ؛ يعني بالأرض ـ منه ـ» .

٣ـ وكف و أكف و آكف الحمارَ : وضع عليه الوكاف . والوكاف : البرذعة وكساء يلقى على ظهر الدابّة .

في هامش النسخة : «الإيكاف : پالان كردن ـ منه ـ» .

فصل [١١]

[خصائصه ﷺ]

روى جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ أنّه قال[١] :
«أُعطيت خمسا لم يعطهنّ أحدٌ قبلي : نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر ، وجُعلت لي الأرضُ مسجدا وطهورا ، فأيّما رجل من أُمّتي أدركته الصلاةُ فليصلِّ ، و أُحلّت ليَ الغنائمُ ـ ولم تحل لأحدٍ قبلي[٢] ـ وأُعطيتُ الشفاعةَ ، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصّة ، وبعثتُ إلى الناس عامّة» .

ومضمون هذا الحديث مستفيضٌ بين العامّة والخاصّة[٣] ، لكنّه يُروى بألفاظ مختلفة : ففي بعضها[٤] : ستّ .

١ ـ البخاري : باب التيمم : ٩١/١ ، مع تقديم وتأخير . مسلم : ٣٧٠/١ـ٣٧١ ، ح٣ .
٢ ـ في هامش النسخة :
«قيل : قد كانت الغنائم في حقّ غيره من الأنبياء ـ اذا انصرف من قِبل العدوّ ـ جمع الغنائم كلها ، فإذا لم يبق شيء منها نزلت نارٌ من الجوّ ، فأحرقتها كلها ، فإن وقع منها غلول لم ينزل تلك النار حتى يردّ ويلق فيها ذلك الذي أُخذ منها ، فكان لهم نزول النار علامة على القبول الإلهي لفعلهم ؛ فأحلّها الله لمحمّد ﷺ ، فقسّمها في أصحابه ، فتناولتها نار شهواتهم عناية من الله لهم وكرامة له ﷺ . منه ـ» .
٣ ـ راجع البحار : تاريخ نبيّنا ﷺ ، باب فضائله وخصائصه : ٣١٣/١٦ـ٣٢٥ .
دلائل النبوة : باب ماجاء في تحديث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عزوجل . . . : ٤٧٠/٥ـ٤٩٠ .
٤ ـ مسلم (كتاب المساجد ، ح٥ ، ٣٧١/١) : «فضّلتُ على الأنبياء بستّ : أُعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأُحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأُرسلتُ إلى الخلق كافّة ، وخُتم بي النبيُّون» .
ومثله في المسند : ٤١٢/٢ . دلائل النبوة : ٤٧٢/٥ .

وفي آخر[١] : « سبع ».

وفي بعضها[٢] : « أُعطيتُ جوامع الكلم ».

وفي آخر[٣] : «الوسيلة».

وفي آخر[٤] : «وأُعطيتُ خواتيمَ سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطهنّ نبيٌّ قبلي ».

وفي آخر[٥] : «وخُتم بي النبيُّون».

وفي آخر[٦] : «وفضِّلت على الناس بثلاث، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة».

١ـ في الخصال (باب السبعة، ح٣٦، ٢/٣٥٥) في الجواب عمن سأله ﷺ عن سبع خصال أعطاه الله تعالى وأُمّته من بين النبيين وأممهم : «أعطاني الله عزّ وجلّ فاتحة الكتاب، والأذان، والجماعة في المسجد ويوم الجمعة، والصلاة على الجنائز، والإجهار في ثلاث صلوات، والرخصة لأُمّتي عند الأمراض و السفر، والشفاعة لأصحاب الكبائر من أُمّتي ».

٢ـ الخصال : باب الخمسة، ح٥٦، ١/٢٩٢. عنه البحار : ٣٨/٨، ح١٧. ٢٧٦/٨٣، ح١. و ٥٥/١٠٠، ح٥. أمالي الطوسي : المجلس السابع عشر، ح٢٨، ٤٨٤. عنه البحار : ٣٢٤/١٦، ح١٦. ١٤/٩٢، ح٧.

٣ـ بصائرالدرجات (الجزء الخامس، باب (١) ماعند الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب، ٢١٦، ح٢١) عن أميرالمؤمنين عليه السلام : «قد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصيّة ولاتخلي أُمته من وسيلة إليه وإلى الله ...».
عنه البحار : ٤٣٢/٣٥، ح١٢.

٤ـ المسند : ١٨٠/٥ و ٣٨٣. و في معاني الأخبار (باب معاني أسماء النبي ﷺ، ٥١، ح١) : «... ومنّ عليّ ربي وقال لي : ... وأعطيت لك ولأُمّتك كنزا من كنوز عرشي : فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة ...»

٥ـ مسلم : كتاب المساجد، ح٥، ٣٧١/١. المسند : ٤١٢/٢.

٦ـ مسلم : الباب السابق، ح٤، ٣٧١/١.

وفي حديث المعراج[1] : «وأُعطي نبيّكم ثلاثا : أُعطي الصلوات الخمس ، وأُعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر ـ لمن لايشرك بالله شيئا من أُمّته ـ المقحمات» . فهذه اثنتا عشرة خصلة خصّ بها عن سائر الأنبياء ، وله غير ذلك منع من تتّبعها خوفُ الإطالة .

* * *

وأمّا خصائصُه التي خصّ بها عن أُمّته فكثيرةٌ جدًّا ، وفيها خلافٌ منتشر مشهور في كتب الفقه[2] ، وقسّمها بعضهم إلى :

واجبات : كالتهجُّد ، وقضاء دين الميّت المقرِّ .

ومحرّمات : كأكل الصدقة ، ونكاح الأمة ، وخائنة الأعين .

ومباحات : كالزيادة على أربع زوجات ، و وصال صوم الأيّام بالليالي ، والشهادة والحكم لنفسه .

وإلى ما يرجع إلى مجرّد تشريفه وعلوّ شأنه ورفعة مكانه : كسيادة ولد آدم وكون أُمّته خير الأمم ، ورؤية ماوراء ظهره ، وعدم وقوع ظلّه على الأرض ، وابتلاع الأرض برازه ـ وغيرذلك ـ .

* * *

وكما أنّه ﷺ بُعث إلى الناس كافّة ، كذلك بعث إلى الجنّ باتّفاق الأمّة .

١ـ مايقرب منه في مسلم : كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى ، ح٢٧٩ ، ١/١٥٧ .
الترمذي : كتاب التفسير ، سورة النجم ، ٥/٣٩٣ ، ح٣٢٧٦ .
المسند : ١/٣٨٧ . دلائل النبوة : ٥/٤٧٤ .

٢ـ راجع تفصيل ذلك في البحار : باب فضائله وخصائصه ﷺ : ١٦/٣٨٢ـ٤٠١ .

قيل : إنّه لم يُبعث نبيٌّ قبله إلى الإنس والجنّ جميعا[1] .

قال البغوي[2] في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ـ إلى قوله :ـ ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ [٤٦/٢٩-٣١] ـ قال :ـ «يعني محمدا ﷺ» .

ـ قال : ـ وقال ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ : «فاستجاب له نحوا من سبعين رجلا من الجنّ فوافقوا النبيّ ﷺ بالبَطحاء ، فقرأ عليهم القرآنَ وأمَرهم ونهاهم» .

وفي تفسير علي بن إبراهيم[3] : «وكانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ في كلّ وقت ، فأمر أميرَ المؤمنين ﷺ أن يعلّمهم ويفقّههم ، فهم مؤمنون وكافرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس ، وهم ولد الجانّ» .

*

١ـ مجمع البيان : قوله تعالى ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ... ﴾ ـ الآية [٤٦/٢٩] ، ج٩ ص٩٤ .

٢ـ معالم التنزيل : ٤/١٥٨ ، الأحقاف/٣١ . وهوحسين بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه المحدث المفسر الشافعي ، صاحب كتب شرح السنة . توفي بمروالروذ سنة ست عشرة وخمس مأة . راجع وفيات الأعيان : ٢/١٣٦ـ١٣٧ . تذكرة الحفاظ : ٤/١٢٥٧ـ١٢٥٩ . سير أعلام النبلاء : ١٩/٤٣٩ .

٣ـ تفسير القمي : ٢/٣٠٦ ، تفسير الآية المذكورة .

فصل [١٢]

نبيُّنا ﷺ أفضلُ الأنبياء وأشرفُهم وخاتمُهم ـ بلا خلاف :

قال ﷺ[١] : «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر» .

وقال ـ أيضا ـ[٢] : «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ، وأنا أوّل مَن تنشقّ عنه الأرض ، وأوّل شافع وأوّل مشفّع » .

وقال ﷺ[٣] : «أنا أوّل الناس خروجا إذا بُعثوا ، وأنا خطيبُهم إذا وَفدوا ، وأنا مبشِّرهم إذا يَئسوا ، لواءُ الحمد بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على الله وخاتم النبيّين» .

١ـ عيون أخبار الرضا : باب فيما جاء عن الرضا ﷺ من الأخبار المجموعة ، ٣٥/٢ ، ح٧٨ .
عنه البحار : ٣٢٥/١٦ ، ح٢١ . أمالي الصدوق : المجلس الخامس والثلاثون ، ح١ ، ٢٥٤ . عنه البحار : ٢٩٤/٩ ، ح٥ . وعن العياشي : ٤٨/٨ ، ح٥١ .
المسند : ٢٨١/١ . المستدرك للحاكم : ٦٠٤/٢ـ٦٠٥ . كنزالعمال : ٤٣٤/١١ ، و٧٥٦ ، ح٣٢٠٤٠ و٣٣٦٨٢ .

٢ـ أمالي الطوسي : المجلس العاشر ، ٢٧١ ، ح٤٤ . عنه البحار : ٣٢٦/١٦ ، ح٢٢ .
مسلم : كتاب الفضائل ، ١٧٨٢/٤ ، ح٣ . كنزالعمال : ٤٠٤/١١ و٤٣٣ ، ح٣١٨٨١ و٣٢٠٣٣ . المسند : ٢/٣ . دلائل النبوة : ٤٧٦/٥ ، باب ماجاء في تحدث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عز وجل .

٣ـ الترمذي : كتاب المناقب ، باب (١) ، ٥٨٥/٥ ، ح٣٦١٠ ، مع فروق يسيرة في اللفظ ، وليس فيه «وأنا خاتم النبيين» . وأخرج الدارمي (باب ما أُعطي النبي ﷺ من الفضل ، ٢٦/١) : «أنا أولهم خروجا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا مشفّعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشّرهم إذا أيسوا ، والمفاتيح يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي . . .» . في حديث آخر (٢٧/١) : «أنا قائد المرسلين ولافخر ، وأنا خاتم النبيّين ولافخر ، وأنا أول شافع وأول مشفّع ولافخر» .
راجع أيضا : كنزالعمال : ٤٠٤/١١ ، ح٣١٨٨٢ .

وقال[1] : «آدم فمَن دونه تحت لوائي يوم القيامة» .

وقال[2] : «كنتُ نبيًا وآدمُ بين الماء والطين» .

وقال[3] : «أنا أوّل الأنبياء خَلقا ، وآخرهم بَعثا» .

وقال[4] : «نحن الآخرون السابقون» .

١ـ المناقب لابن شهرآشوب : باب ذكر سيدنا رسول الله ﷺ ، فصل في اللطائف : ٢١٤/١ . عنه البحار : ٤٠٢/١٦ ، و ٢١٣/٣٩ . المسند : ٢٨١/١ و٢٩٥ . وفي الخصال (باب التسعة ، الحديث الخامس : ٤١٥/٢) : «. . . وأما الثلاث التي في الآخرة : فإني أُعطي لواء الحمد ، فأجعله في يدك ، وآدم وذريته تحت لوائي» . عنه البحار : ٣٥/٤٠ . وفي العلل (باب (١٣٦) العلة التي من أجلها دفع النبي ﷺ إلى علي عليه السلام سهمين . . . :١٧٣/١) : «. . . ياعلي ـ كأني بك وقد دخلت الجنة وبيدك لوائي ، وهو لواء الحمد ، تحته آدم فمن دونه» . عنه البحار : ٦/٨ . راجع أيضا : البحار : ٤٠٠/١٨ ، و٦٧/٣٦ . الترمذي (كتاب المناقب ، باب (١) في فضل النبي ﷺ ، ٥٨٧/٥ ، ح٣٦١٥) : «. . . وبيدي لواء الحمد ولافخر ، ومامن نبيّ يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلاّ تحت لوائي . . .» . مثله فيه : كتاب تفسير القرآن ، ٣٠٨/٥ ، ح٣١٤٨ . ويقرب منه : المسند : ٢٨١/١ . دلائل النبوة : ٤٨١/٥ ، باب ماجاء في تحدث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عز وجل . . .

٢ـ المناقب : الصفحة السابقة . عنه البحار : ٤٠٢/١٦ ، ح١ . وفي الترمذي (كتاب المناقب : باب (١) في فضل النبي ﷺ ٥٨٥/٥ ، ح٣٦٠٩) : «. . . قالوا : يا رسول الله ـ متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد» . ويقرب منه ما في المسند : ٥٩/٥ و٣٧٩ ، و٦٦/٤ . والمستدرك للحاكم : ٦٠٨/٢ـ٦٠٩ . ودلائل النبوة : باب مولد المصطفى ﷺ . . . : ٨٥/١ . وباب الوقت الذي كتب فيه محمد ﷺ نبيًا : ١٢٩/٢ . طبقات ابن سعد : ٦٠/٧ .

٣ـ في الكامل لابن عدي (ترجمة سعيد بن بشيرالبصري ، ٣٧٣/٣) : «كنت أول النبيّين في الخلق وآخرهم في البعث» مثله في كنزالعمال : ٤٥٢/١١ ، ح٣٢١٢٦ . وجاء أيضا بلفظ : «كنت أول الناس في الخلق . . .» الكامل : ٤٩/٣ .

٤ـ البخاري : (كتاب الجمعة : ٢/٢) : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» . ومثله في مسلم : كتاب الجمعة : ٥٨٦/٢ ، ح٢١ . عنهما البحار : ٢٣٢/٦١ . كشف الغمة : ــ

قيل: يعني الآخرون زمانا، السابقون بالفضائل والمناقب.

وقيل: الآخرون من أهل الدنيا، والسابقون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق.

أقول: وله وجوه أُخر، وهي: الآخرون خَلقا والأوّلون قصدا؛ وهذا كما يقال: «أوّل الفكر آخر العمل».

أو الآخرون خلقا من حيث الأبدان، والأوّلون خلقامن حيث الأرواح.

أو الآخرون بحسب الاستكمال والتعلّم من الملائكة في العالم السفلي وبحسب الظاهر ـ كما قال الله عزّوجلّ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [٥/٥٣] ـ و الأوّلون من حيث التكميل والتعليم لهم في العالم العلوي و بحسب الباطن.

كما قال مولانا الصادق عليه السلام[1] ـ حين سأله مفضّل بن عمر «ماكنتم

ـ ذكر أسمائه ﷺ: ١١/١. البحار: ١١٨/١٦. وفي دلائل النبوة (باب ماجاء في تحديث رسول الله بنعمة ربه عز وجل، ٤٨٢/٥): «... فنحن الآخرون الأولون...». وورد في بصائر الدرجات (الجزء الثاني، باب (٣) في الأئمة أنهم حجة الله...، ح١٠، ٦٣) عن الباقر عليه السلام: «نحن جنب الله ... ونحن السابقون ونحن الآخرون...». عنه البحار: ٢٤٨/٢٦، ح١٨.

١ ـ البحار: ٣٥٠/٢٦، ح٢٤، عن كتاب المحتضر. والبحار: ٢١/٢٥، ح٣٤، عن روض الجنان. وفي تأويل الآيات الظاهرة (سورة الصافات/٢٦٥ـ٢٦٦: ٥٠١/٢، ح١٩) عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّا آل محمّد كنّا أنوارا حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح، فسبّحنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا...». عنه البحار: ٨٨/٢٤، ح٣. وفيه (نفس الصفحة) مايقرب منه عن رسول الله ﷺ أيضا.

قبل أن يخلق الله السموات والأرض» ؟ فقال ـ : «كنّا أنوارا نسبّح الله ونقدِّسه حتّى خلق الله الملائكة ، فقال لهم الله ـ عزّ وجلّ ـ : «سبِّحوا» ؛ فقالوا : «إي ربّنا ، لاعلم لنا» . فقال لنا : «سبِّحوا» ، فسبّحنا ؛ فسبّحت الملائكةُ بتسبيحنا» ـ الحديث ، وسيأتي نظائره ـ .

ووجه آخر ألطف وأشرف ، وهو : الآخرون في سلسلة العود ، والأوّلون في سلسلة البدو ـ وهذا المعنى لايدركه إلاّ الخواصّ ـ و قليلٌ ماهم ـ .

* * *

قال بعض العلماء[1] :

« إنّ مقصود فطرة الآدميّين وكمالهم وغايتهم إدراكهم لسعادة القرب من الحضرة الإلهيّة ، ولم يمكن ذلك إلاّ بتعريف الأنبياء ، فكانت النبوّة مقصودة بالإيجاد ، والمقصود كمالها وغايتها لا أوّلها ، وإنّما تكمل بحسب سُنّة الله ـ تعالى ـ بالتدريج كما تكمل عمارةُ الدار بالتدريج .

فتمهّد أصلُ النبوّة بآدم ﷺ ولم يزل ينمو ويكمل حتّى بلغ الكمال بمحمّد ﷺ ، وكان المقصود كمال النبوّة وغايتها ، وتمهيد أوائلها وسيلة إليها كتأسيس البناء و تمهيد أُصول الحيتان ، فإنّه وسيلة إلى كمال صورة الدار .

ولهذا السرِ كان خاتم النبيّين ، فإنّ الزيادة على الكمال

---

١ ـ الغزالي : رسالة الأجوبة الغزالية في المسائل الأُخرويّة : مجموعة رسائل الغزالي : ٤/ ١٨٠ مع تلخيص .

نقصان كالإصبع الزائدة في الكفِّ . و إليه الإشارة بقوله ﷺ [1] : «مَثَل النبوّة مَثَل دار معمورة لم يبق فيها إلاّ موضع لَبنة ، وكنتُ أنا تلك اللَّبنة» ـ أو لفظ هذا معناه ـ .

فهو إذن خاتم النبيّين ـ ضرورة ـ إذ بلغ به الغاية و الكمال ، والغاية أوّل في التقدير ، آخر في الوجود .

وقوله ﷺ [2] : «كنتُ نبيًا و آدم بين الماء والطين» ـ أيضا ـ إشارة إلى ماذكرناه ، وأنّه كان نبيًا في التقدير قبل تمام خِلقَة آدم ، لأنّه لم ينشأ خِلقَة آدم إلاّ لينترع الصافى من ذريّته ، و لايزال يستصفى تدريجا ـ إلى أن يبلغ كمال الصفا ـ فيقبل الروح القدسيّ المحمّدي» ـ انتهى كلامه ـ [3]

١ـ في البخاري (كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ؛ ٢٢٦/٤) : «إنّ مثلي ومَثل الأنبياء قبلي ، كمَثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية ، فجعل الناسُ يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلاّ وُضعت هذه اللبِنةُ ؟ قال : فأنا اللبِنة ، وأنا خاتم النبيّين» . وأخرج مثله مسلم (كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيّين ، ١٧٩٠/٤ـ١٧٩١ ، ح٢٢) : كما أخرجه أيضا بألفاظ أُخر ح٢٠ـ٢٣ . وجاء مايقرب منه في كنزالعمال : ٤٥٣/١١ ، ح٣٢١٢٧ .

٢ـ مضى الحديث آنفا .

٣ـ في هامش النسخة :

«قال الفخر الرازي في المعالم [ص ٩٥] : «إنّ عند مقدم النبيّ ﷺ كان العالم مملوًّا من الكفر والضلالة ؛ أمّا اليهود فكانوا في المذاهب الباطلة من التشبيه والافتراء على الأنبياء ، وتحريف التوراة ؛ وأما النصارى فقد قالوا بالتثليث والأب والابن والحلول والاتّحاد ؛ وأمّا المجوس فأثبتوا إلهين ـ يزدان وأهرمن ـ وتحليل نكاح الأمّهات ؛ وأمّا العرب فانهمكوا في عبادة الأصنام والفساد في الأرض .

فلمّا بعث ـ صلوات الله عليه ـ انقلب الدنيا من الباطل إلى الحقّ ، ومن الظلمة إلى النور ، وانطلقت الألسنة بتوحيد الله ، واستنارت العقول بمعرفة الله ، ورجع ــ

* * *

وعن النبي ﷺ[1] : « إنَّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، و اصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» .

و روى الصدوق[2] بإسناده عن إبن عبّاس ، عن النبي ﷺ قال : «إنَّ الله خلقَ الخلائقَ قسمين ، فجعلني في خيرهما قسما ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ ..... وَ أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [٥٦/٢٧-٤١] ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا من خير أصحاب اليمين .

ثمَّ جعل القسمين أثلاثا ، فجعلني في خيرها ثُلثا ، فذلك قوله : ﴿وَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ ... وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْئَمَةِ ... وَ ٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ ﴾ [٥٦/٨-١٠] ؛ فأنا من السابقين ، وأنا خيرُ السابقين .

ثمَّ جعل الأثلاثَ قبائلَ ، فجعلني في خيرها قبيلةً ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَيكُمْ ﴾ [٤٩/١٣] ؛ فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ـ ولا فخر ـ .

الخلق من حبِّ الدنيا إلى حبِّ المولى . وحيث لامعنى للنبوّة إلاّ تكميل الناقصين في القوّة العلميّة والعمليّة ، ورأينا أنّه قد حصل هذا الأثر بمقدم سيّدنا محمّد ﷺ أكثر ممّا ظهر بمقدم سائرالأنبياء ؛ علمنا أنّه سيّدهم وقدوتهم» ـ منه ره ـ

١ـ الترمذي : كتاب المناقب ، باب (١) في فضل النبي ﷺ ٥/٥٨٣ ، ح٣٦٠٥ . وجاء بفرق يسير في أمالي المفيد : المجلس الخامس والعشرون ، ح٢ ، ٢١٦ . وأمالي الطوسي : المجلس التاسع ، ح٢٢ ، ٢٤٦ . البحار : ١٦/٣٢٣ ، ح١٥ . ١٦/٣٢٥ ، ح١٩ .

٢ـ مع فرق يسير لفظية في أمالي الصدوق : المجلس الثاني والتسعون ، ح١ ، ٧٢٩ . تفسير القمي : تفسير الآية ﴿وأصحاب الميمنة . . .﴾ : ٢/٣٥٨ . عنها البحار : ١٦/٣١٥ ، ح٤ . دلائل النبوة : باب ذكر شرف أصل رسول الله ﷺ ونسبه : ١/١٧٠ .

ثمّ جعل القبائلَ بيوتا ، فجعلني في خيرها بيتا ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [٣٣/٣٣] ، فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب » .

وعنه ﷺ[١] : « لمّا خلق الله آدم أهبطني في صُلبه إلى الأرض ، وجعلني في صُلب نوح في السفينة ، وقذف بي في النار في صُلب إبراهيم ، ثمّ لم يزل تنقلني الأصلابُ الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتّى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قطّ » .

وفي درّ النظيم[٢] : عن عطا وعكرمة ، عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [٢١٩/٢٦] يعني : يُديرك مِن أصلاب الموحّدين ، من موحِّد إلى موحّد ، حتّى أخرجك في هذه الأُمّة ، ومازال رسولُ الله ﷺ يتقلّب في أصلاب الأنبياء و الصالحين حتّى ولدتْه آمنة » .

وعن أميرالمؤمنين ﷺ[٣] : «إنّ النبي ﷺ قال : خرجت من نكاح

١ـ أخرج الصدوق ـ قده ـ مايقرب منه في كمال الدين : باب (٢٤) ماروي عن النبي ﷺ في النص على القائم ﷺ ح٢٥ ، ٢٧٥ . والأمالي : المجلس الحادي والتسعون ، ح١ ، ٧٢٣ . عنه البحار : ٣١٤/١٦ ، ح٢ . والسيوطي عن ابن مردويه : الدر المنثور ، في تفسير الآية ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ ، ج٦ ص٣٣٢ .

٢ـ لم أعثر على الكتاب كما ذكرت سابقا ، ويقرب من الحديث ماجاء في الدر المنثور وقد أشرت إليه في التعليقة السابقة .

٣ـ ورد مايقرب منه في دلائل النبوة (باب ذكر شرف أصل رسول الله ﷺ : ١٧٤/١) عن أنس وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وروى الصدوق في اعتقاداته (باب الاعتقاد في آباء النبي ﷺ) : « و قال النبيّ خرجت من نكاح و لم أخرج من سفاح من لدن آدم » . عنه البحار : ١١٧/١٥ ، ح٦٣ .

ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولّدني أبي وأمّي ، ولم يصبني من سفاح الجاهليّة شيءٌ» .

و روى الصدوق[1] بإسناده عن مولانا الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ اختار من الأيّام الجمعةَ ، ومن الشهور شهرَ رمضان ، ومن الليالي ليلةَ القدر ، واختارني على جميع الأنبياء ، واختار منّي عليّا وفضّله على جميع الأوصياء ، واختار من عليّ الحسنَ والحسينَ ، واختار من الحسين الأوصياء من ولده ؛ ينفون عن التنزيل تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الضالّين ، تاسعُهم قائمُهم وهو ظاهرُهم وهو باطنُهم » .

وروى سعد الإربلي في كتابه الأربعين[2] بإسناده عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ : قال : قال النبي صلى الله عليه وآله :

«ما أنزل الله كتابا ، ولا خلق خلقا إلاّ جعل له سيّدا ، فالقرآنُ

١ـ كمال الدين : باب نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله على القائم عليه السلام ، ٢٨١ ، ح٣٢ .

٢ـ قال صاحب الرياض (٤١٣/٢) : «الشيخ سعد الإربلي ، له كتاب الأربعين في الأخبار ، وينقل عن كتابه المذكور الشيخ حسن بن سليمان تلميذ الشهيد بعض الأخبار في كتاب المحتضر ، لكن فيه هكذا : كتاب الأربعين ، رواية سعد الإربلي . . .و لعله من علماء الخاصّة ـ فتأمّل» . راجع أيضا : الذريعة : ٤١٦/١ـ٤١٧ .

والأظهر أنّ المؤلف أيضا حكى هذا الحديث نقلا عن كتاب المحتضر ، ولايفهم من كلام صاحب المحتضر أن لسعد الإربلي كتاب الأربعين ، كما أشار إليه صاحب الرياض أيضا بقوله «فتأمل» .

والرواية ورد في البحار (١٢٩/٢٧ ، ح١١٩) نقلا عن كتاب المحتضر . وورد مايقرب منه في تأويل الآيات الظاهرة : خاتمة الكتاب ، ح٧ ، ٨٧٠/٢ . وعنه البحار : ٥٤/٤٠ ، ح٨٩ .

سيّد الكتب المنزّلة، وجبريلُ سيّد الملائكة ـ أو قال إسرافيل ـ وأنا سيّد الأنبياء، وعليٌّ سيّد الأوصياء، لكلِّ امرئ من عمله سيّدٌ، وحبّي وحبّ عليّ بن أبي طالب سيّد ما تقرّب به المتقرّبون من طاعة ربّهم».

وفي كتاب المناقب[1] عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت حبيبي المصطفى محمدا ﷺ يقول: «كنتُ أنا وعليٌّ نورا بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ مطيعا يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللهُ ـ تعالى ـ آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبد المطّلب، فجزءٌ أنا وجزءٌ عليٌّ».

فصل [١٣]

وكما أنّه ﷺ أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين، فكذلك هو أفضل من الملائكة المقرّبين أجمعين، لفضل الأنبياء المرسلين على الملائكة المقربين.

يدلُّ على ذلك مارواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في إكمال الدين[2] بإسناده عن مولانا الرضا، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ؏ قال:

---

١ ـ راجع البحار: ٧٧/٤٠، ح١١٣. و٢٤/٣٥، ح١٨.

٢ ـ كمال الدين: باب نصّ الله عزّ وجلّ على القائم ؏، ح٤، ٢٥٤. وفيه فروق يسيرة.
العيون: باب (٢٦) ماجاء عن الرضا ؏ من الأخبار في فنون شتّى، ح٢٢، ٢٦٢/١. البحار: ٣٤٥/١٨، ح٥٦. و٣٣٥/٢٦، ح١.

قال رسول الله ﷺ: «والله ماخلق الله خلقا أفضل منّي، ولاأكرم عليه منّي».

ـ قال عليٌّ عليه السلام: ـ فقلت: «يارسول الله ـ فأنت أفضل أم جبرئيل عليه السلام»؟

فقال: «ياعليّ ـ إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك ـ ياعلي ـ وللأئمة من بعدك؛ وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا.

ـ ياعليّ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ][1] وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [٤٠/٧] بربّهم و بولايتنا.

ياعليّ ـ لولا نحن ماخلق الله ـ تعالى ـ آدمَ ولا حوّاءَ، ولا الجنّة ولا النارَ، ولا السماءَ ولا الأرضَ.

وكيف لانكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى التوحيد، ومعرفةِ ربّنا ـ عزّ وجلّ ـ وتسبيحه وتقديسه وتهليلِه.

لأنّ أوّل ماخلق الله تعالى أرواحُنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثمّ خلَق الملائكةَ، فلمّا شاهَدوا أرواحَنا نورا واحدا استعظموا أُمورَنا فسبّحنا لتعلمَ الملائكةُ أنّا خلْقٌ مخلوقون، وأنّه منزّهٌ عن صفاتنا. فسبّحت الملائكةُ لتسبيحنا ونزّهته عن صفاتِنا.

فلمّا شاهَدوا عِظمَ شأننا هلّلنا، لتعلمَ الملائكةُ أن لا إله ألاّ الله،

١ـ إضافة من القرآن الكريم.

وأنّا عبيدٌ ، ولسنا بآلهة نُحبُّ[1] أن نُعبد معه أو دونه[2] ؛ فلمّا شاهدوا كِبَر محلّنا كَبَّرنا الله ، لتَعلم الملائكةُ أنّ الله أكبر من أن يُنال ، وأنّه عظيم المحل .

فلمّا شاهَدوا ماجعله الله ـ عزّ وجلّ ـ لنا من العزّة والقوّة ، قلنا : «لاحول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم» ، لتعلمَ الملائكةُ أن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ؛ فقالت الملائكةُ : «لاحول ولا قوّة إلاّ بالله» .

فلمّا شاهَدوا ما أنعم اللهُ به علينا ، وأوجبه لنا من فرض الطاعة ، قلنا : «الحمد لله» ، لتعلمَ الملائكةُ مايحقُّ لله ـ تعالى ذكره ـ علينا من الحمد على نعَمه ؛ فقالت الملائكة : «الحمد لله» . فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده .

ثمّ إنّ الله ـ تعالى ـ خلَق آدم ﷺ وأودعَنا صُلبَه ، وأمَر الملائكةَ بالسجود له ـ تعظيما لنا وإكراما ـ وكان سجودُهم لله ـ عزّ وجلّ ـ عبوديّة ولآدم إكراما وطاعة ـ لكوننا في صُلبه[3] ـ .

فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلُّهم أجمعون ؟

* * *

وإنّه لمّا عُرج بي إلى السماء ، أذّن جبرئيلُ ـ مَثنىً مَثنىً ـ وأقام ـ مَثنىً مَثنىً ـ ثمّ قال لي : «تقدّم ـ يامحمّد» .

١ـ المصدر : يجب .

٢ـأضيف في المصدر : فقالوا : «لا إله إلا الله» .

٣ـ في هامش النسخة :

ملك در سجدهٔ آدم زمين بوس تو نيّت كرد

كه در حدّ تو چيزى يافت بيش از شأن انساني

فقلت : «ياجبرئيل ـ أتقدَّمُ عليك» ؟

فقال : «نعَم ـ لأنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ فضَّل أنبياءَه على ملائكته أجمعين ، وفضَّلك خاصَّة» .

فتقدَّمتُ ، فصلَّيتُ بهم ـ ولافخر ـ فلمّا انتهينا إلى حُجب النور قال لي جبرئيل ﷺ : «تقدَّم يامحمَّد» وتخلَّفَ عنِّي .

فقلت : «ياجبرئيل ـ في مثل هذا الموقع تُفارقني» ؟

فقال : «يا محمَّد ـ إنَّ هذا انتهاء حدِّي الذي وضعني الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيه إلى هذا المكان ، فإن تجاوزتُه احترقتْ أجنحتي لتعدّي حدود ربِّي ـ جلَّ جلاله ـ»

فزجَّ بي في النور زجَّة حتَّى انتهيتُ إلى حيث ماشاء الله ـ عزّ وجلّ ـ من علوّ ملكوته .

فنوديتُ : «يا محمَّد»

فقلت : «لبَّيك ربِّي و سعديك ، تباركتَ وتعاليتَ» .

فنوديتُ : «يا محمَّد ـ أنتَ عبدي وأنا ربُّك ، فإيَّايَ فاعبدْ ، وعليَّ فتوكَّل ، فإنَّك نوري في عبادي ، ورسولي إلى خلقي ، وحجَّتي في بريَّتي ، لِمَن تَبِعَكَ خَلقتُ جنَّتي ، ولمَن خالَفكَ خلقتُ ناري ، ولأوصيائك أوجبتُ كرامتي ، ولشيعتهم أوجبت ثوابي» .

فقلت : «ياربِّ ـ ومَن أوصيائي» ؟

فنوديتُ : «يا محمَّد ـ أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي» .

فنظرتُ ـ وأنا بين يدي ربِّي ـ إلى ساق العرش ، فرأيتُ إثنى عشر نورا ، في كلِّ نورٍ سطرٌ أخضر مكتوبٌ عليه اسم وصيٍّ من

أوصيائي؛ أوّلهم عليُّ بن أبي طالب، وآخرهم مَهديُّ اُمّتي. فقلت: «يا ربِّ ـ أهؤلاء أوصيائي مِن بَعدي»؟

فنوديتُ: «يا محمّد ـ هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي؛ وهم أوصياؤك وخلفاؤك، و خير خَلقي بعدك؛ وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأطهِّرنّ الأرضَ بآخرهم من أعدائي، ولأملّكنّه مشارقَ الأرضِ ومغاربها، ولأسخّرنّ له الرياحَ، ولأذلّلنّ له الرقابَ الصعابَ، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأؤيّدنّه[1] بملائكتي، حتّى يُعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدي، ثمّ لأديمنّ مُلكه، ولأداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة».

* * *

وبإسناده[2] عن مولانا الرضا عن أبيه عن آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد مَن خلقَ الله ـ عزّ وجلّ ـ وأنا خيرٌ من جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و حملةِ العرش وجميع ملائكة الله المقرّبين وأنبياء الله المرسَلين، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف. وأنا وعليٌّ أبَوا هذه الأمّة، مَن عرفنا فقد عرف الله ـ عزّ وجلّ ـ، ومن أنكرَنا فقد أنكرَالله ـ عزّ وجلّ ـ. ومن عليّ سبطا اُمّتي وسيّدا

١ـ المصدر: لامدنه. (وكان المكتوب في النسخة أولا كذلك، ثم استدرك بما في المتن).

٢ـ كمال الدين: باب نصّ النبي ﷺ على القائم ؏، ٢٦١، ح٧. عنه البحار: ١٦/٣٦٤، ح٦٦. و ٢٦/٣٤٢، ح١٣. و٣٦/٢٥٥، ح٧١.

شباب أهل الجنّة: الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمّة تسعة، طاعتُهم طاعتي، ومعصيتُهم معصيتي، تاسعُهم قائمُهم ومهديُّهم».

و بإسناده[1] عن مولانا الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام ـ قال:ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمّا أُسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي ـ جلّ جلاله ـ فقال: يا محمّد ـ إنّي اطّلعت إلى الأرض اطّلاعة، فاخترتُك منها، فجعلتك نبيًّا، وشققتُ لك من اسمي اسما، فأنا المحمود، وأنت محمّد؛ ثمّ اطّلعت الثانية فاخترتُ بها عليًّا، وجعلتُه وصيّك وخليفتَك و زوج ابنتك وأبا ذرّيّتك، وشققتُ له اسما من أسمائي، فأنا العليُّ الأعلى، وهو عليٌّ؛ وخلقت فاطمةَ والحسنَ والحسينَ من نوركما، ثمّ عرضتُ ولايتَهم على الملائكة، فمَن قَبِلها كان عندي من المقرّبين.

يا محمّد ـ لو أنّ عبدا عبدَني حتّى ينقطعَ ويصيرَ كالشنِّ البالي ثمّ أتاني جاحدا لولايتهم: ما أسكنّته جنّتي، ولا أظلّلته تحت عرشي.

---

١ ـ كمال الدين: الباب السابق، ٢٥٢، ح٢. عيون أخبارالرضا، باب (٦) النصوص على الرضا عليه السلام بالإمامة، ح٢٧، ١/٥٨.

وجاء مايقرب منه في تفسير الفرات: سورة البقرة، ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه...﴾، ٧٣. وفي البحار (٢٦/٣٠٧، ح٧١) عن كتاب المحتضر نقلا عن كتاب المعراج للصدوق ـ قده ـ.

مناقب ابن شاذان: المنقبة السابعة عشر: ١١. مقتضب الأثر: ١١ و٢٦. الغيبة للطوسي: ١٤٧ـ١٤٨، ح١٠٩. الغيبة للنعماني: الباب الرابع، ٩٤، ح٢٤. تأويل الآيات الظاهرة: ١/٩٨.

البحار: ١٦/٣٦١، ح٦١. ٢٧/١٩٩، ح٦٦. ٣٦/٢١٦، ح١٨. ٣٦/٢٢٢، ح٢١. ٣٦/٢٤٥، ح٥٨. ٣٦/٢٦٢، ح٨٢. ٣٦/٢٨١، ح١٠٠.

يا محمّد ـ تحبُّ أن تراهم ؟ قلت : نعَم ياربِّ .

فقال ـ عزّ وجلّ ـ : ارفع رأسك .

ـ فرفعت رأسي واذا أنا بأنوار عليٍّ و فاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد بن علي وعلي بن محمّد والحسن بن عليٍ و محمّد بن الحسن القائم في وسطهم كأنّه كوكب درِّي ـ

قلت : ياربِّ ـ ومَن هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الأئمّة ، و هذا القائم الذي يحلُّ حلالي و يحرِّم حرامي ، وبه أنتقمُ من أعدائي ، وهو راحة لأوليائي ، وهو الذي يشفي قلوبَ شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ؛ فيُخرج اللاتَ والعزّىٰ طريّين ، فيُحرقها ؛ فلَفتنةُ الناس يؤمئذ بها أشدُّ من فتنة العجل والسامري» .

وبإسناده[1] عن مولانا الرضا عليه السلام قال : «إنَّ آدم عليه السلام لمّا أكرَمه الله بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنّة قال في نفسه : «هل خَلق بشرا أفضل منِّي» ؟

فعلم اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ ماوقع في نفسه ؛ فناداه الله ـ عزّ وجلّ ـ : «ارفعْ رأسَك ـ يا آدم ـ فانظر إلى ساق عرشي» . فرفع آدمُ رأسَه ، فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا : «لا إله إلاّ الله ، محمَّدٌ

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام : فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرقة : ٣٠٦/١ ، ح٦٧ ، عنه البحار : ١٦٥/١١ ، ح٩ . ٣٦٢/١٦ ، ح٦٢ . و ٢٧٣/٢٦ ، ح١٤ .

رسولُ الله، عليُّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين، وزوجتُه [فاطمة][1] سيِّدةُ نساء العالمين، والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة».

فقال آدم: «ياربِّ ـ مَن هؤلاء»؟

فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: «هؤلاء من ذرِّيّتك، وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتُك، ولا خلقتُ الجنّة والنارَ، ولا السماءَ ولا الأرضَ؛ فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد، فأُخرجك عن جواري».

فنظر إليهم بعين الحسد، وتمنّى منزلتَهم، فتسلَّط عليه الشيطانُ فأكل من الشجرة..» ـ الحديث ـ.

* * *

وفي تفسير مولانا العسكري عليه السلام[2] في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«لمّا زلّت من آدم الخطيئة، فاعتذر إلى ربِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فقال: «يا ربِّ تبْ عليَّ، واقبلْ معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي، فلقد تبيَّن نقصُ الخطيئة وذلّها بأعضائي وسائر بدني».

قال الله ـ تعالى ـ: «يا آدم ـ أما تُذكِّر أمري إياك أن تدعوني بمحمَّد وآله الطيّبين عند شدائدك ودواهيك وفي النوازل تبهظلك[3]»؟

قال آدم: «ياربِّ ـ بلى».

١ـ إضافة من المصدر.

٢ـ التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السلام: في قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات...﴾: ص٢٢٥ـ٢٢٧، مع فروق يسيرة لم نتعرض لها. عنه البحار: ١٩٢/١١، ح٤٧.

٣ـ بهظ الأمر: أثقله.

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : «فبهم ـ بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خصوصا ـ فادعُني، أجبكَ إلى ملتمَسك، وأزدكَ فوق مرادك».

فقال آدم: «ياربِّ وإلهي ـ قد بلغ عندك من محلِّهم أنّك بالتوسُّل بهم تقبل توبتي، وتغفر خطيئتي؟ وأنا الذي أسجدتَ له ملائكتَك، وأبحته جنّتَك، وزوّجته حوّاءَ أمَتَكَ، وأخدمته كِرامَ ملائكتك».

قال الله: «يا آدم ـ إنّما أمرتُ الملائكةَ بتعظيمك بالسجود، إذ كنتَ وعاءً لهذه الأنوار، ولو كنتَ سألتني بهم قبْلَ خطيئتك أن أعصِمك منها وأن أُفطِنَكَ لدواعي إبليس حتّى تحترز منها: لكنتُ قد فعلتُ ذلك؛ ولكنَّ المعلوم في سابق علمي يجري موافقا لعلمي. فالآن، فبهم فادعُني لأُجيبك».

فعند ذلك قال آدم: «اللّهمّ بجاه محمّد وآل محمد الطيِّبين، بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيّبين من آلهم لما تفضّلت بقبول توبتي، وغفران زَلّتي وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي».

ثمّ قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : «قد قبلتُ توبتَك وأقبلتُ برضواني عليك، وصرفتُ آلائي ونعمائي إليك، وأعدتُك إلى مرتبتك من كراماتي، ووفرّتُ نصيبَك من رحماتي».

فذلك قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢/٣٧]».

* * *

وفي رواية أُخرى [1] :

قال آدم : « يا ربِّ ـ ما أعظم شأنُ محمَّد وآل محمَّد و خيار أصحابه » ؟

فأوحى اللهُ : «يا آدم ـ إنَّك لو عرفتَ جلالَ منزلة محمَّد وآله عندي وخيار أصحابه ، لأحببته حبًّا يكون أفضل أعمالك عندي» .

قال آدم : «يا ربِّ ـ عرِّفني لأعرف» .

قال الله ـ تعالى ـ : «يا آدم ـ إنَّ محمَّدا لو وُزن به جميعُ الخَلْق ـ النبيِّين والمرسلين والملائكة المقرَّبين وسائر عبادي الصالحين من أوّل الدهر إلى آخره ، ومن الثرىٰ إلى العرش ـ لرجح بهم ؛ و إنَّ رجلا من آل محمَّد لو وُزن به ـ بعد محمَّد ـ خيارُ النبيِّين وآل النبيِّين لرجح بهم ؛ و إنَّ رجلا من خيار صحابة محمَّد لو وُزن به جميعُ أصحاب المرسَلين : لرجح بهم .

ـ يا آدم ـ لو أحبَّ رجلٌ من الكفّار أو جميعُهم رجلا من آل محمَّد وأصحابه الخيِّرين لكافأه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن ذلك بأن يختم له بالخير والتوبة والإيمان ، ثمَّ يُدخله الجنَّة .

إنَّ الله ليُفيض على كلِّ واحد من محبِّي محمَّد وآل محمَّد ما لو قسِمت على كلِّ عدد ما خلق اللهُ من أوّل الدهر إلى آخره و كانوا كفّارا لكفاهم ولأدّاهم إلى عاقبة محمودة والإيمان بالله ، حتّى يستحقُّوا به الجنَّة ؛

---

١ ـ التفسير المنسوب : في قوله تعالى : ﴿ قالوا قلوبنا غلف . . . ﴾ : ص٣٩٢ ، مع فروق يسيرة . عنه البحار : ٢٦/٣٣٠ ، ح١٢ .

و إنّ رجلا ممّن يُبغض آلَ محمّد وأصحابه الخيّرين أو واحدا منهم يعذِّبه الله عذابا لو قسِّم على مثل عدد خَلق الله لأهلكهم أجمعين».

وعن مولانا أميرالمؤمنين ؑ[1] : «إنّ اليهودَ قبلَ ظهور نبيِّناﷺ كانوا يستفتحون على أعدائهم بذكره والصلاة عليه وعلى آله، وكان الله ـ عزّ وجلّ ـ يأمر اليهودَ في أيّام موسى وبعده ـ إذا دَهَمهم أمرٌ ودهتهم داهيةٌ ـ أن يدعوا الله ـ عزّ وجلّ ـ بمحمّد وآله الطيِّبين، وكانوا يستنصرون بهم و يفعلون ذلك، حتّى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور محمّد بسنين كثيرة يفعلون ذلك. فيكفّون البلاء والدهماء والداهية»

«[2] و إنّ قضاءَ الحوائج وإجابة الدعاء ـ إذا سُئل الله بمحمّد وعليّ وآلهما ـ مشهورٌ في الأُمم والزمان السالف، حتّى أنّ من طال به البلاءُ قبل هذا طال بلاؤه لنسيانه الدعاء لله بمحمّد و آله الطيّبين ...».

ـ الحديث ـ

والأخبار في هذه المعاني كثيرةٌ جدّا، ولنقتصر على ماذُكِر، فإنّ فيه كفايةٌ لمن تدبّره. ـ والحمد لله ـ

* * *

* *

*

---

١ ـ التفسير المنسوب: في قوله تعالى ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله ... ﴾: ص٣٩٣.

٢ ـ التفسير المنسوب: ٣٩٨.

فصل [١٤]

قيل : الحكمةُ في كونه ﷺ خاتم النبيّين وأُمّته آخر الأُمم أُمور :

منها : أن يظهر فضلُه وشرفُه بنسخ شريعته لسائرالشرايع واستمرارحكمها إلى آخر الدهر .

ومنها : أخذُ الله العهدَ والميثاقَ على سائرالأنبياء بأنّ من أدركه اتّبعه ومن لم يُدركه يأخذ العهد على أُمّته بذلك ، ليكون ذلك دليلا على صدقه في دعوى نبوّته ، وحجّةً على من خالفَه .

ومنها : أن يكون هو وأُمّته شهداء على الناس .

ومنها : أن يكون لبثُهم تحت الأرض أقلّ من لبْث غيرهم ـ تكريما لهم .

ومنها : أنّ الله قصّ أخبارَالأمم وعواقب أُمورهم على مَن بعدهم من الأُمم ، حتّى وصل علمُ ذلك إلينا ، ولم يجعل بعد هذه الأُمّة أُمّة تطّلعُ على أحوالهم ؛ بل سرائرهم موكولة إلى الله ـ تعالى ـ سترا لهم لئلاّ يطّلع على معايبهم ولا يفتضحوا بذكرها ـ إكراما لنبيّهم ﷺ .

إلى غير ذلك من الفوائد والحكم[1] .

* * *

١ ـ لايخفى على المتأمل أن ما ذكره هذا القائل من الوجوه كلها خطابيات واستحسانات غير معتدّة بها ؛ و الأظهر أن وجه كونه خاتم النبيين مقامه ﷺ الأعلى في معرفة الله تعالى واستعداد أُمته لأخذ المعارف العالية ، إذ أمكناه من الإتيان بالكتاب المهيمن والشريعة الناسخة الخاتمة .

والحكمةُ في كونه ﷺ يتيما: لئلاّ يجب عليه طاعةٌ لغيرالله، ولايكون عليه ولايةٌ لغير مولاه، ولا يتوجّه عليه حقٌّ لمخلوق، ولا ينسب إلى مخالفة ولاقطيعة ولاعقوق.

فصل [١٥]

وأمّا نسبه ﷺ[1]: فهو محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب ـ واسمه شيبة الحمد ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قُصيّ ـ واسمه زيد ـ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ـ وهو قريش ـ بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

روي أنه ﷺ قال[2]: «إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا». واتّصال نسبه بآدم أبي البشر كثيرٌ موجود في كتب التواريخ والأنساب[3].

* * *

وأُمّه[4] آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة.

* * *

١ـ كشف الغمّة: ذكر نسبه ﷺ: ١٥/١. سيرة ابن هشام: ذكر سرد النسب الزكي: ١/١.
٢ـ كشف الغمة: الصفحة السابقة. المناقب لابن شهرآشوب: ١٥٥/١. إعلام الورى: ١٣.
٣ـ راجع سيرة ابن هشام: ١/١ـ٣. الروض الأُنف: ٧/١ـ١٣.
دلائل النبوة: باب ذكر شرف أصل رسول الله ﷺ: ١٧٧/١ـ١٨٢.
تاريخ الطبري: ٢٣٩/٢ـ٢٧٦. مروج الذهب: الباب السبعون، ٥/٣ـ٧.
٤ـ كشف الغمة: الصفحة السابقة. سيرة ابن هشام: ١٥٦/١. تاريخ الطبري: ٢٤٣/٢.
إعلام الورى: ١٤.

وأرضعته ـ حتّى شبَّ ـ حليمة بنت عبدالله بن الحارث السعديّة من بني سعد بن بكر بن هوازن[1] .

وأرضعته : ثُويبة[2] ـ مولاة أبي لهب ـ قبل قدوم حليمة أيّاما بلبن ابنها مسروح .

* * *

وعن مولانا الباقر عليه السلام قال[3] : قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، في سنة عشر من الهجرة .

فكان مقامه بمكة أربعين سنة ، ثمّ نزل عليه الوحي في تمام الأربعين ، وكان بمكّة ثلاثة عشر سنة ، ثمّ هاجر إلى المدينة ـ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ـ فأقام بالمدينة عشر سنين .

وقُبض في شهر ربيع الأوّل ـ يوم الاثنين لليلتين خلتا منه ـ صلّى الله عليه وآله ـ[4].

* * *

* *

١ـ كشف الغمة : الصفحة السابقة . سيرة ابن هشام : ١٦٠/١ . دلائل النبوة : باب ذكر رضاع النبي صلى الله عليه وآله : ١٣٢/١ . تاريخ الطبري : ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله : ١٥٧/٢ـ١٥٩ . . إعلام الورى : ١٤ .

٢ـ كشف الغمة : الصفحة السابقة . تاريخ الطبري : ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله : ١٥٨/٢ . الروض الأُنف : ١٨٦/١ . إعلام الورى : ١٤ .

٣ـ كشف الغمة : ذكر مولده صلى الله عليه وآله : ١٤/١ . عنه البحار : ٥٠٣/٢٢ .

٤ـ اختلفت الروايات في يوم وفات رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمشهور عند الشيعة أنها وقعت لليلتين بقيتا من صفر ، سنة إحدى عشرة من الهجرة كما جاء في الإرشاد (١٨٩/١) وغيرها .

[٩]

باب

معجزات نبيّنا ﷺ وآيات صدقه

ومايتبع ذلك

﴿ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾

[٣٨/١٣]

فصل [١]

[شواهد صدق رسول الله ﷺ]

قال بعض العلماء[1] :

إنّ من شاهد أحواله وأصغى إلى سماع أخباره ـ الدالّة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وآدابه وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألّفه أصنافَ الخلق وقوده إيّاهم إلى طاعته، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن

---

١ ـ الغزالي : إحياء علوم الدين ، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة ، بيان معجزاته وآياته الدالّة على صدقه : ٥٤٨/٢ . وفيه اختلافات لفظية لم نتعرض لها.

إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم ـ لم يبق له ريب و لاشكّ في أنّ ذلك لم يكن مكتسَبا بحيلة تقوم بها القوّة البشريّة، بل لايتصوّر ذلك إلّابالاستمداد من تأييد سماويّ وقوّة إلهيّة؛ وأنّ ذلك كلّه لايتصوّر لكذّاب ولاالملبّس، بل كانت شمائلُه وأحوالُه شواهد قاطعة مصدّقة؛ حتّى أنّ العربيّ القُحّ كان يراه فيقول: « والله ما هذا وجه كذّاب » فكان يشهد له بالصدق بمجرّد شمائله.

فكيف بمن يشاهدُ أخلاقَه و يمارسُ في جميع مصادره و موارده ... و قد آتاه الله جميعَ ذلك، وهو رجل أُمّيّ لم يمارس العلمَ ولم يطالع الكتبَ، ولم يسافر قطّ في طلب العلم، ولم يزل بين أظهر الجهّال من الأعراب يتيما ضعيفا مستضعَفا.

فمن أين حصَل له ماحصَل من محاسن الأخلاق والآداب ومعرفةِ مصالح الفقه ـ مثلا ـ فقط، دون غيره من العلوم؛ فضلا عن معرفته بالله وملائكته وكتبِه، وغيرذلك من خوَاصِّ النبوّة! لولا صريح الوحي ؟!

ومن أين لبشرٍ الاستقلال لذلك ؟!

ولو لم يكن له إلّا هذه الأُمور الظاهرة لكان فيه كفاية، وقد ظهر من معجزاته و آياته مالايستريب فيه محصّل».

* * *

* *

*

أقول : و لنذكر من جملتها ما ذكره بعض علماء العامّة[1] ممّا استفاضت به الأخبارُ، أو اشتملت عليه الكتبُ المعتبرةُ، إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بالتفصيل . ثمّ نذكر جملةً ممّا استفاض نقلُه من طريق أهل البيت ﷺ ـ ومن الله التأييد ـ .

فصل [٢]

[بعض كرامات رسول الله ﷺ ومعجزاته]

قال[2] : قد خرَق اللهُ العادةَ على يده ﷺ غير مرّة :

إذ شقَّ له القمر بمكّة لمّا سألته قريشٌ آيةً[3] .

وأطعم النفرَ الكثير في منزل جابر[4] ، وفي منزل أبي طلحة[5] .

١ ـ الغزالي : إحياء علوم الدين : ٥٤٨/٢ـ٥٥٣ .

٢ ـ الغزالي : إحياء علوم الدين ، الصفحة السابقة .

٣ ـ راجع تفاسير القرآن الكريم ، القمر/١ . أيضا البخاري : كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين انشقاق القمر ، ٢٥١/٤ . مسلم : كتاب المنافقين ، باب (٨) ، ٢١٥٨/٤ـ٢١٥٩ ، ح٤٣ـ٤٨ . المسند : ٣٧٧/١ و٤١٣ و٤٤٧ . الترمذي : كتاب التفسير ، باب (٥٥) ، ٣٩٧/٥ـ٣٩٨ . تفسير القمي : ٣٥٠/٢ . الدر المنثور : ٦٧٠/٧ـ٦٧٢ .

٤ ـ دلائل النبوة : باب ماظهر في الطعام الذي دعي إليه من البركة ، ٤٢٢/٣ـ٤٢٦ . البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، ١٣٨/٥ـ١٣٩ . مسلم : كتاب الأشربة ، باب (٢٠) جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه . . . ، ١٦١٠/٣ـ١٦١١ ، ح١٤١ . المستدرك للحاكم : ٣١/٣ .

٥ ـ هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري من البدريين . راجع دلائل النبوة : باب ماجاء في دعوة أبي طلحة . . . ، ٨٨/٦ـ٩٢ . البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ٢٣٤/٤ـ٢٣٥ . مسلم : الباب السابق ، ١٦١٢/٣ـ١٦١٤ ، ح١٤٢ـ١٤٣ . الترمذي : كتاب المناقب ، باب (٦) ، ح٣٦٣٠ ، ٥٩٥/٥ .

ويومَ الخندق ـ مرّةً ـ أطعم ثمانين رجلا من أربعة أمداد شعير وعناق ـ وهو من أولاد المَعز دون العتود ـ[١]

ومرّةً أكثر من ثمانين من أقراص شعيرٍ حملها أنسُ في يده[٢] .

ومرّةً أهلَ الجيش من تمرٍ يسيرٍ ساقته بنت بِشر[٣] في يديها ؛ فأكلوا كلُّهم حتّى شبعوا من ذلك وفضل لهم[٤] .

و نبع الماءُ من بين أصابعه ، فشرب أهلُ العسكر كلُّهم ـ وهم عطاشٌ[٥] .

١ـ راجع المصادر المذكورة آنفا في حديث إطعام جابر ، وفيه : « صاع من شعير » ، والصاع أربعة أمداد . وقوله : « ثمانين رجلا » كذا في الإحياء أيضا ، والأظهر أنه سهو ، والصحيح «ثمانمأة» كما استظهره الزبيدي أيضا (إتحاف السادة ١٦٧/٧) وصرح به في حديث البيهقي في الدلائل ٤٢٤/٣ : (إنهم كانوا ثمانمأة أو ثلاثمأة» .
العتود : من أولاد المعز ما أتى عليه الحول .

٢ـ راجع ما مضى في إطعام منزل أبي طلحة آنفا . والأظهر أن ما سرده المؤلف واقعتين ولم تكن أربعة كما يفهم من ذكرها مفردة ، ولعله اتفق كرارا .

٣ـ كذا في النسخة ، ولكن في الإحياء والمحجة : «بنت بشير» وهو الصحيح كما جاء في المصادر الروائية التي نشير إليها أيضا .
والذي يظهر أنه في نسخة المؤلف من الإحياء كان «بنت بشر» كما أورده الزبيدي في الإتحاف (١٦٩/٧) ، وقال : « كذا في النسخ ، بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة ، وفي بعضها بضم الموحدة وسكون المهملة ؛ وكلاهما غلط والصواب «بنت بشير» ـ كأمير ـ . . . وهو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان وأُمه عمرة بنت رواحة أُخت عبد الله بن رواحة صحابية . . .» .

٤ـ راجع دلائل النبوة : باب ما ظهر في الطعام الذي دعي إليها أيام الخندق من البركة ، ٣/ ٢٦٧ . قرب الإسناد : ٣٢٨ . ح١٢٢٨ .

٥ـ وقع ذلك عدة مرات كما يظهر من الأخبار ، راجع دلائل النبوة : باب انقياد الشجر لنبينا ﷺ . . . ، ٩/٦ـ١٢ . مسلم : الزهد ، باب (١٨) حديث جابر الطويل . . . ، ٢٣٠٨/٤ . البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، ١٥٦/٥ـ١٥٧ .

وتوضّأ[١] من قدحٍ صغيرٍ ضاق عن أن يبسط يده فيه[٢] .

وإهراق وضوئه ﷺ في عين تبوك ـ ولا ماء فيها ـ فجرتْ بماءٍ كثيرٍ[٣] .

ومرّةً أُخرىٰ في بئر الحُديبيّة[٤] ، فجاشتْ بالماء[٥] ، فشرب من عين تبوك أهلُ الجيش ـ وهم أُلوفٌ ـ حتّى روَوا ؛ قال لمعاذ : «إن طال بك حياةٌ فسترى ماههُنا قد ملأ خياما» ، فكان كذلك ، وشرب من بئر الحديبيّة ألف وخمسمأة ولم يكن فيها قبل ذلك ماءٌ .

وأمَرَ بعضَ أصحابه أن يزوِّد أربعمأة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير ـ وهو موضع بروكه ـ فزوّدهم كلّهم منه ، وبقي بحسبه[٦] .

ورمى الجيش بقبضة من تراب ؛ فعميت عيونُهم[٧] ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [١٧/٨] .

---

١ ـ كذا في النسخة ، ولكن في الإحياء والمحجة : «توضأوا» ، ولعله الصحيح كما يظهر من الأحاديث أيضا .

٢ ـ راجع البخاري ومسلم : الحديثان المذكوران في التعليقة السابقة .
دلائل النبوة : باب ذكر البيان أن خروج الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ كان غير مرة . . . ، ١٢١/٤ـ١٢٤ .

٣ ـ دلائل النبوة : باب إخبار النبي ﷺ عن وقت إتيانهم عين تبوك . . . ، ٢٣٦/٥ .
مسلم : كتاب الفضائل ، باب (٣) في معجزات النبي ﷺ ، ١٧٨٤/٤ ، ح ١٠ .

٤ ـ في النسخة : «البئر الحديبية» والصحيح ما أثبتناه مطابقا للإحياء والمحجة .

٥ ـ راجع دلائل النبوة : باب ماظهر في البئر التي دعا فيها رسول الله ﷺ وهي الحديبية ، ١١٠/٤ . البخاري كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، ١٥٦/٥ .

٦ ـ المسند : ٤٤٥/٥ .

٧ ـ وذلك يوم بدر وحنين . راجع تخريج الحديث في الدر المنثور ، قوله تعالى : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [١٧/٨] ، ٣٩/٤ـ٤٠ . وسائر التفاسير .

وأُبطلَ الكهانةُ بمبعثه ﷺ ، فعدمت ، وكانت ظاهرة موجودة[1] .

وحنَّ الجِذعُ الذي كان يخطب مستندا إليه ، لمّا عُمل له المنبر ، حتّى سمعه جميعُ أصحابه ـ مِثل صوت الإبل ـ فضمّه إليه فسكن[2] .

ودعا اليهودَ إلى تمنّى الموت ، وأخبرهم بأنّهم لايتمنّونه ، فحيلَ بينهم وبين النطق بذلك ، فعجزوا عنه ؛ وهذه الآيةُ مذكورةٌ في سورة يُقرأ بها في جميع جوامع أهل الإسلام ، من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا ـ تعظيما للآية التي فيها[3] .

وأخبر ﷺ بالغيوب:

وأخبر عمّارا بأنّه تقتله الفئةُ الباغيةُ[4] .

وأنّ الحسن ؏ يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[5] .

١ـ قرب الإسناد : ٣١٨ ، ح١٢٢٨ .

٢ـ راجع دلائل النبوة : باب ما جاء في حنين الجذع . . . ، ٦/٦٦ـ٦٨ . البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة ، ٥/٢٣٧ . ابن ماجة : كتاب إقامة الصلاة ، باب ماجاء في بدء شأن المنبر ، ١/٤٥٤ ، ح١٤١٤ . والرواية في شأن حنين الجذع متواتر راجع تخريجاتها في إتحاف السادة : ٧/١٧٤ـ١٧٧ .

٣ـ ﴿ قل يا أيّها الذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولايتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [٦٢/٦-٧] .

٤ـ حكى الزبيدى في الإتحاف (٧/١٧٨) : « قال القرطبي : و هذا الحديث من أثبت الأحاديث» . راجع مسلم : كتاب الفتن ، باب (١٨) لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمني أن يكون مكان الميت من البلاء ، ٤/٢٢٣٦ ، ح٧٢ . دلائل النبوة : باب ماجاء في إخباره عن الفئة الباغية ، ٦/٤٢٢ـ٤٢٠ .

٥ـ دلائل النبوة : باب ماجاء في إخباره بسيادة ابنه الحسن بن علي ؏ . . . ٦/٤٤٢ـ٤٤٥ المسند : ٥/٤٤ و٤٩ .

وأخبر عن رجلٍ قاتَلَ في سبيل الله أنّه من أهل النار، فظهر ذلك بأن قتَلَ ذلك الرجلُ نفسَه[1].

وهذه الأشياء لاتُعرف ألبتَّة بشيءٍ من وجوه تقدّمه المعرفة ـ لا بنجومٍ، ولا بكهنٍ، ولا بكتبٍ، ولا بخطٍّ، ولا بزَجرٍ ـ لكن بإعلام الله له و وحيه إليه.

وأتبعه سُراقةُ بن جُعشُم، فساخت قدما فرسه في الأرض، وأتبعه دخانٌ حتّى استغاثه؛ فدعا له فانطلقت الفرسُ[2]. وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارى كسرى ـ فكان ذلك ـ[3].

وأخبر بموت النجاشي بأرض الحبشة، وصلّى عليه في المدينة[4]. وأخبر بمقتل الأسود العَنْسي الكذّاب ليلةَ قتله وهو بصنعاء اليمن[5] وأخبر بمن قتله.

وخرج على مأة من قريش ينتظرونه، فوضع الترابَ على رؤوسهم ـ ولم يَروه ـ[6].

١ـ دلائل النبوة: باب ماجاء في الرجل الذي أخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل النار...، ٢٥٢/٤ـ٢٥٤. البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ١٦٨/٥ـ١٦٩.

٢ـ سيرة ابن هشام: ٤٨٩/٢ـ٤٩٠. البخاري: مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ ...، ٧٦/٥ـ٧٧. المسند: ٣/١ و٢٨١/٤. مسلم: كتاب الأشربة، باب (١٠) جواز شرب اللبن، ١٥٩٢/٣، ح٩١.

٣ـ دلائل النبوة: باب قول الله عزوجل: وعدالله الذين آمنوا...، ٣٢٥/٦.
السَّوار والسِّوار: حلية كالطوق تلبس في الزند أو المعصم.

٤ـ عيون أخبار الرضا ؑ: باب (٢٨) فيما جاء عن الرضا ؑ من الأخبار المتفرقة، ١/ ٢٧٩، ح١٩.

٥ـ راجع تاريخ الطبري: وقائع سنة ١١، ٢٣٦/٣ و٢٣٩.

٦ـ سيرة ابن هشام: ٤٨٣/١.

وشكا إليه البعيرُ بحضرة أصحابه وتذلَّل له[١] .

وقال لنفرٍ من أصحابه مجتمعين : « أحدُكم في النار ضِرسُه مِثل أُحُد » ؛ فماتوا كلُّهم على استقامة ، وارتدَّ واحد منهم فقُتل مرتدّا[٢] .

وقال لآخرين منهم : « آخرُكم موتا في النار » ؛ فسقط آخرُهم موتا في النار ، فاحترق فيها فمات[٣] .

ودعا ﷺ شجرَتين ، فأتتاه فاجتمعا ، ثمّ أمرَهما فافترقا[٤] .

ودعا ﷺ النصارى إلى المباهلة فامتنعوا ، وأخبر أنّهم إن فعلوا ذلك هلكوا ؛ فعلموا صحّةَ قوله ، فامتنعوا[٥] .

وأتاه عامرُبن الطفيل بن مالك ، وأربد بن قيس ـ فارسا العرب وفاتِكاهم ـ عازمين على قتله ، فحيل بينهما وبين ذلك ؛ ودعا عليهما ، فهلك عامر بغدّةٍ ، وهلك أربد بصاعقة أحرقتْه[٦] .

وأخبر أنّه يَقتل أُبيّ بن خلف الجمحي ، فخدشَه يوم أُحد خدشا

١ـ المسند : ٤/١٧٣ـ١٧٢ و ١٧٠ .

٢ـ هو الرَّجَّال بن عُنفُوَة ، راجع المؤتلف والمختلف للدارقطني : باب الرحّال والرجّال ، ٢/ ١٠٦٣ . تاريخ الطبري : سنة ١١ ، ٣/٢٨٧ .

٣ـ راجع دلائل النبوة : باب ماروي في إخباره نفرا من أصحابه بأن آخرهم موتا في النار ، ٦/ ٤٥٨ـ٤٦٠ . المعجم الكبير : ٧/١٧٧ .

٤ـ المسند : ٤/١٧٠ و١٧٢ .

٥ـ جاء تفصيل القصة في التفاسير : قوله تعالى ﴿ فقل تعالوا ندع أبنائنا و أبناءكم و نسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل . . . ﴾ [٣/٦١] .

٦ـ راجع التفصيل في سيرة ابن هشام : ٢/٥٦٨ـ٥٦٩ . وقرب الإسناد : ٣٢٠ ، ح١٢٢٨ .
وأخرج الطبراني موت عامر بدعاء رسول الله ﷺ عليه في المعجم الكبير : ٦/ ١٢٥ـ١٢٦ ، ح٥٧٢٤ .

لطيفا فكان منيّته[١] . وأُطعم ﷺ السمّ، فمات الذي أكله معه، وعاش هو بعده أربع سنين[٢] وكلّمه الذراعُ المسمومُ[٣] .

وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش، و وقّفهم على مصارعهم ـ رجلا رجلا فلم يتعدَّ واحد منهم ذلك الموضع[٤] .

وأنذر ﷺ بأنّ طوائف من أُمّته يغزون في البحر، فكان كذلك[٥] .

وزُويت له الأرضُ، فأري مشارقَها ومغاربها . وأخبر بأنّ مُلك أُمّته سيبلغ ما زوي له منها ـ فكان ذلك كما أخبر، فإنّ ملكهم من أوّل المشرق ـ من بلاد الترك ـ إلى آخر المغرب من بحر الأندَلُس وبلاد البربر ولم يتّسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر، سواء بسواء ـ[٦] .

وأخبر ﷺ إبنتَه فاطمةَ أنّها أوّل أهله لحاقا به، فكان كذلك[٧] .

وأخبر نسائَه بأنّ أطولهنّ يداً أسرعُهنّ لحاقا به، فكانت زينب بنت جُحش الأسديّة أطولهنّ يدا بالصدقة، وأوّلهنّ لحوقا به[٨] .

١ـ دلائل النبوة : باب سياق قصة خروج النبي ﷺ إلى أُحد، ٣/٢١١ـ٢١٢ .

٢ـ في النسخة : أربع سنة . التصحيح من الإحياء والمحجة .

٣ـ الرجل الذي مات هو بشربن البراء ؛ راجع دلائل النبوة : باب ما جاء في الشاة التي سمّت للنبي ﷺ بخيبر، ٤/٢٦٣ . قرب الإسناد : ٣٢٦، ح١٢٢٨ .

٤ـ أبوداود : كتاب الجهاد، في الأسير يضرب، ٣/٥٨، ح٢٦٨١ . دلائل النبوة : ٣/٤٧ .

٥ـ البخاري : الجهاد، باب فضل من يصرع في سبيل الله، ٤/٢١ .

٦ـ المسند : ٥/٢٧٨ و٢٨٤ . ٤/١٢٣ . مسلم : كتاب الفتن، باب (٥) هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٥، ح١٩ .

٧ـ البخاري : كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٥/٢٤٨ . مسلم : كتاب فضائل الصحابة، باب (١٥) فضائل فاطمة ﷺ، ٤/١٩٠٥، ح٩٩ .

٨ـ مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٧) من فضائل زينب ام المؤمنين ، ٤/١٩٠٧، ح١٠١ .

ومسح ضرعَ شاة حائل[1] لا لبن فيها ، فدرَّت ، فكان ذلك سببُ إسلام ابن مسعود[2] .

وفعَل ذلك مرّة أُخرىٰ في خيمة أُمِّ معبد الخزاعيّة[3] .

و ندرت[4] عينُ بعض أصحابه فسقطت ، فردَّها ﷺ بيده ، فكانت أصحَّ عينَيه وأحسنها[5] .

وتفل في عين عليّ ﷺ ـ وهو أرمد ـ يوم خيبر ، فصحَّ من وقته وبعثه بالراية[6] .

وكانوا يستمعون تسبيحَ الطعام من يديه ﷺ[7] .

وأُصيب عينُ رجل[8] من أصحابه ، فمسحها بيده فبرأت من حينها .

١ـ حالت الشاة والناقة والمرأة : لم تحمل ، فهي حائل .

٢ـ المسند : ٤٦٢/١ . المعجم الصغير للطبراني : ٢٢٤ ، ح٥١٤ .

٣ـ دلائل النبوة : باب حديث أم معبد : ٢٧٦/١ـ٢٧٩ .

مستدرك الحاكم : ٩/٣ـ١٠ . طبقات ابن سعد : ٢٣٠/١ .

٤ـ نَدر الشيء : سقط من جوف شيء .

٥ـ الرجل قتادة بن النعمان اصيبت عينه يوم بدر كما في دلائل النبوة : ما ذكر في المغازي من دعائه يوم بدر : ١٠٠/٣ . وفي المعجم الكبير أنه كان في يوم أحد : ٨/١٩ ، ح١٢ .

٦ـ القصة معروفة جاءت في التواريخ والسير . راجع دلائل النبوة : باب ماجاء في بعث السرايا إلى حصون خيبر . . . : ٢٠٥/٣ـ٢١٣ .

٧ـ البخاري : المناقب ، باب علامات النبوة ، ٢٣٥/٤ . وقد روي سماع تسبيح الطعام عنده في وقائع مختلفة ، راجع تخريجاتها في إتحاف السادة : ١٨٩/٧ .

٨ـ كذا في النسخة ، والأظهر أنه من سهوالقلم ، والصحيح ما جاء في المصدر (الإحياء : ٥٥٢/٢) : «أُصيب رِجل بعض أصحابه» . فإن إصابة العين مضى آنفا في قصة قتادة بن النعمان . والرجل الذي أُصيبت رِجله وبرئت بمسح رسول الله ﷺ من حينه هو عبدالله بن عتيك ، على مايظهر من قصة قتل أبي رافع اليهودي . راجع دلائل النبوة : باب قتل أبي رافع ، ٣٣/٤ـ٣٩ .

وقلّ زادُ جيش كان معه فدعا بجميع مابقي ، فاجتمع شيءٌ يسيرٌ جدًّا ، فدعا فيه بالبرَكة ، ثمّ أمرهم فأخذوا ؛ فلم يبقَ وعاءٌ في العسكر إلاّ مليءٌ من ذلك[1] .

وحكى الحكَمُ بن أبي العاص مشيَه ﷺ مستهزئا ؛ فقال ﷺ : «كذلك فكُن» ؛ فلم يزل يرتعش حتّى مات[2] .

وخطب ﷺ إمرأة ، فقال أبوها : «إنّ بها بَرَصا» ـ امتناعا من خطبته واعتذارا و لم يكن بها برص ـ فقال ﷺ : «فلتكن كذلك» . فبرصت ؛ وهي : أُمُّ شبيب الذي يُعرف بـ«ابن البرصاء» الشاعر[3] .

إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ ،

و إنّما اقتصرنا على المستفيض .

ـ كذا ذكره بعض العلماء[4] ـ .

* * *

* *

*

١ـ مسلم : كتاب الإيمان ، باب (١٠) الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، ٥٦/١ ـ٥٧ ، ح٤٥ . والوقعة في غزوة تبوك .

٢ـ دلائل النبوة : باب ماجاء في دعائه ﷺ . . . ، ٢٤٠/٦ . وهو والد مروان الحكم .

٣ـ راجع إتحاف السادة : ١٩١/٧ .

٤ـ ذكرنا في صدر الباب أنه الغزالي في إحياء علوم الدين : ٥٤٨/٢ـ٥٥٢ . و إنما اقتصرنا في تخريج هذه الأحاديث على بعض المصادر المعروفة و أعرضنا عن الاستقصاء لشهرتهاوذكرها في كتب السير وجوامع الحديث الشريف ، ثم إنها مستخرجة مشروحا في إتحاف السادة المتقين : ١٦٤/٧ـ١٩٦ .

أقولُ: وممَّا استفاض نقلُه بطريق أهل البيت ﷺ:

إخبارُه بشهادة مولانا أميرالمؤمنين ﷺ، وأنّه يُضرب على رأسه في شهر رمضان، فتُخضب بدمه لحيتُه المباركة[١].

وبشهادة سبطيه الحسن والحسين، وأنَّ مولانا الحسن ﷺ يُسمُّ، و مولانا الحسين ﷺ يقتل بأرض كربلاء، بعد شهادة أصحابه وحيدا غريبا[٢].

وبأنّه يدفن بضعة منه ﷺ بطوس، إشارة إلى مولانا الرضا ﷺ[٣]

وبأنَّ الأئمَّة بعده اثناعشر، وتسميتهم بأسمائهم[٤].

وبأنَّ أميرالمؤمنين يقاتل بعدَه الناكثين والقاسطين والمارقين[٥].

وأنَّ بعض أزواجه تبغي عليه وهي له ظالمة، وأنّه تنبح عندها كلابُ حوأب، وبجميع الفتن التي وقعت بعده[٦].

وأنَّ أباذر ـ رضي الله عنه ـ يموت وحيدا غريبا[٧].

١ـ عيون أخبار الرضا ﷺ: باب (٢٨) ما جاء عن الرضا ﷺ من الأخبار المتفرقة، ١/ ٢٩٧، ح٥٣.

٢ـ راجع أمالي الصدوق: المجلس الرابع والعشرون، ح٢، ١٧٦ـ١٧٧.
عنه البحار: ١٤٨/٤٤، ح١٦.

٣ـ عيون أخبارالرضا ﷺ: الباب ٦٦، ح٤، ٢٥٥/٢.

٤ـ كمال الدين: ٢٥٨.

٥ـ الخصال: أبواب السبعين ومافوقه، ح١، ٥٧٣/٢ـ٥٧٤. الخرائج والجرائح: ١٢٣/١.
عنه البحار: ١١٩/١٨، ح٣٣.

٦ـ الاحتجاج: ٣٨٨/١. عنه البحار: ١٤٩/٣٢.

٧ـ اختيار معرفة الرجال: ٢٤، ح٤٨. عنه البحار: ٣٩٩/٢٢، ح٨.

وبأنّ آخر رزق عمّار من الدنيا صاعٌ من لبن[1] .

ـ إلى غير ذلك من الخصوصيّات ـ

و من معجزاته ﷺ : إطاعة الشمس له في التوقُّف عن الغروب مرّة[2] وفي الطلوع بعد الغروب أُخرىٰ[3] .

و إطاعةُ الشجرة له بالإتيان حتّى انقلعت من مكانها ، وخدّت الأرض جارّة عروقها مغبرّة ، فوقفت بين يديه وسلّمت عليه ؛ ثمّ رجعت بأمره إلى مكانها ـ كما هو مذكورٌ في نهج البلاغة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام[4] .

وتسليمُ الأحجار عليه[5] .

و تضليلُ الغمامة على رأسه دون القوم ـ حين رآه بحيراء في طريق الشام[6] .

وتضليل المَلكين عليه حين رأته خديجةُ ونساؤها وعبدُها ميسرة[7] وتسبيحُ الحصى في كفِّه المباركة[8] .

---

١ ـ كذا جاء في بعض نسخ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ٨٥ ، البقرة/٣. عنه البحار : ٣٣٤/٢٢ ، ح٤٨ .

وجاء في الخرائج والجرائح (١٢٤/١) : «ضياحٌ من لبن» .

٢ ـ الشفاء للقاضي عياض : الباب الثاني عشر ، ٥٤٩/١ . عنه البحار : ٣٥٩/١٧ .

٣ ـ نفس المصدر . الخرائج والجرائح : ٥٢/١ ، ح٨١ . عنه البحار : ٣٥٩/١٧ .

٤ ـ نهج البلاغة : الخطبة (١٩٢) القاصعة .

٥ ـ راجع سيرة ابن هشام : ٢٣٤/١ .

٦ ـ كمال الدين : باب خبر بحيرى الراهب ، ١٨٨ . عنه البحار : ٢٠١/١٥ .

٧ ـ الخرائج والجرائح : ١٤٠/١ . عنه البحار : ٣/١٦ .

٨ ـ الخرائج والجرائح : ١٢٤/١ و١٥٩ . عنه البحار : ٣٧٩/١٧ و٤١١ .

وتأثيرُ قدمه الشريفة في الحجَر ـ مع عدم تأثيره في الرمل ـ .

وظهورُ البركات و الآيات في بني سعد بإرضاع حليمة السعديَّة إيّاه[1] .

ونبات الشعر من رؤوس الأقرعين من الصبيان بإمرار يده الشريفة عليها[2] .

وانفجار البئر التي شكا أهلُها ملوحتها بالماء الزلال، وكانت غائرة .

و إعطائه رجلا عرجونا في ليلة مظلمةٍ، فأضاء له[3] .

وآخر قطعة من جريد النخل الخضراء حين اشتكى انقطاعَ سيفه، فصارت سيفا في يده[4] .

و إلقاء بصاقه على كفِّ ابن عفراء المقطوعة فلصقت من ساعته[5] .

ودعائه آيةً للدوسي ليدعو قومَه إلى الإسلام، فوقع بين عينيه مِثل المصباح ثمّ حوّل ذلك إلى رأس سوطه لمّا خاف أن يظنّوا به المُثلَة[6] .

وعصمة الله له ممّن كان يؤذيه من المستهزئين وردِّ كيدهم عليهم[7] .

١ـ الخرائج والجرائح : ٨١/١ . عنه البحار : ٣٣١/١٥ .

٢ـ الخرائج والجرائح : ٢٩/١ . عنه البحار : ٨/١٨ .

٣ـ الرجل قتادة بن النعمان كما جاء في مناقب ابن شهرآشوب : ٢١٩/١ و١١٨ . عنه البحار : ٤٠٩/١٦ و٣٨٠/١٧ . والخرائج والجرائح : ٣٤/١ . عنه البحار : ٣٧٦/١٧ .

٤ـ الخرائج والجرائح : ١٤٨/١ . عنه البحار : ٧٨/٣٠ . والرجل علي عليه‌السلام .

٥ـ الخرائج والجرائح : ٥٠/١ . عنه البحار : ١٠/١٨ .

٦ـ هو طفيل بن عمرو بن طريف الدوسي على ما في مناقب ابن شهرآشوب : ١١٨/١ . عنه البحار : ٣٨٠/١٧ . راجع سيرة ابن هشام : ٣٨٢/١ـ٣٨٣ . أسدالغابة : ٤٦١/٢ .

٧ـ راجع التفاسير ، في تفسير قوله تعالى : ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾ .
الخرائج والجرائح : ٦٣/١ ، الحديث ١٠٩ .

وحيلولة جبرئيل بينه وبين أبي جهل في صورة فحل أو أسد قدر الفحل من الإبل، حين أراد إلقاء الصخرةِ عليه في سجوده[١] .

وخلق الله ـ عزّ وجلّ ـ شجرة على فم الغار الذي اختفى فيه، و إلهامه حمامتين وحشيّتين لتعشّشا وتبيضّا عندها وتسخيره العنكبوت لينسج نسجا عظيما لايمكن مثله إلاّ في سنين عديدة، ليرجع عنه المشركون الذين كانوا في طلبه[٢] .

و إخباره بتأكُّل الصحيفة القاطعة الظالمة كلّها، غير مافيه من ذِكر الله ـ تعالى ـ فكان كما أخبر[٣] .

وبالذي أضمره بنو النضير ـ من إلقاء الصخرة عليه ـ[٤] .

وضربه الكدية التي اعترضت يوم الخندق بالمعول، حتّى صارت كثيبا مَهيلا ـ مع ضعفه وجوعه منذ ثلاثة أيام[٥] ، وقيل إنه تفل في إناء ماء فنضح عليها، فصارت كذلك ـ.

إلى غير ذلك من الآيات ـ وهي كثيرة جدا ـ .

* * *
* *
*

١ـ الخرائج والجرائح : ١/٩٣ـ٩٤ . الاحتجاج : ١/٥١٦ . عنه البحار : ١٠/٣٨ و١٧/٢٨٥ .
٢ـ البحار عن مناقب ابن شهرآشوب : ١٩/٧٧ . البحار عن إعلام الورى : ١٧/٣٩٢ .
٣ـ الخرائج والجرائح : ١/٨٧ و١٤٢ . عنه البحار : ١٧/٣٥٥ و١٨/١٢٠ و١٩/١٧ .
٤ـ الخرائج والجرائح : ١/٣٣ . عنه البحار : ١٨/١١٠ .
٥ـ نفس المصدر : ١/١٥٢ . عنه البحار : ١/٣٣ .

فصل [٣]

[شقّ صدر النبيّ ﷺ وغسل قلبه]

رُوي[1] أنّه ﷺ سُئل: «ما أوّل ما رأيتَ من النبوّة»؟ فاستوى جالسا و قال:

« بينا أنا في صخرة، و إذا بكلام فوق رأسي، و إذا رجل من فوق رأسي يقول لآخر: «أهو هو؟»، فاستقبلاني بوجوهٍ لم أرها على أحد، فانطلقا يمشيان حتّى أخذ كلُّ واحد منهما بعضدي، لا أجد لأخذه مسّا، فأضجعاني بلا قَسر ولا هسر[2].

فقال أحدُهما: «أفلِق الصدرَ». ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع.

فقال له: «أخرج الغلَّ والحسدَ». فأخرج شيئا كهيئة العلَقة فطرحَها.

فقال: « أدخِل الرأفةَ والرحمةَ ». فإذا مثل الذي أدخل[3] شبيهٌ بالفضّة. ثمّ هزَّ إبهامَ رِجلي اليُمنى، وقال: «أعد وأسلم»، فرجعت بها أعدو رأفة[4] على الصغير و رحمة على الكبير».

١ـ المسند: ١٣٩/٥ مع اختلافات يسيرة. وفيه: «إني لفي صحراء ابن عشر سنين...».
الدرالمنثور: ٥٤٨/٨، في تفسير ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.

٢ـ في هامش النسخة:
«في الحديث: «كان إذا ركع هصَر ظهره» أي ثنّاه إلى الأرض. وأصل الهصر أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتعطفه ـ النهاية ـ».

٣ـ كذا. ولكن في المسند: مثل الذي أخرج.

٤ـ في المسند: وقال: اغد واسلم، فرجعت بها اغدو رقة.

وفي رواية[1] :

«بينا أنا مع أخ لي من بني سعد بن بكر[2] خلف بيوتنا ـ نرعي بَهماً[3] لنا ـ إذ جاءني رجلان ـ وفي رواية[4] : ثلاث رجال ـ بطست من الذهب مملوّا ثلجا ، فشقّا بطني من نحري إلى مَراقّ[5] بطني ـ

ـ قال في غير هذه الرواية : فاستخرجا قلبي فشقّاه ـ

ـ و استخرجا منه علَقة سوداء[6] فقال : « هذا حظُّ الشيطان

١ـ جاء مايقرب منه في سيرة ابن هشام : ١/١٦٦ ، والمستدرك للحاكم : ٢/٦٠٠ . ودلائل النبوة : باب ذكر رضاع النبي ، ١/١٤٦ . الخصائص الكبرى : باب ماظهر في زمان رضاعه ﷺ من المعجزات : ١/٥٥

٢ـ أخوه ﷺ من الرضاعة هو عبدالله بن الحارث ، وهو ابن حليمة السعديّة أُمّ رسول الله ﷺ التي أرضعته . راجع سيرة ابن هشام : ١/١٦١ .

٣ـ البَهم : صغار الغنم (مصباح المنير ، عن ابن فارس) .

٤ـ دلائل النبوة : ١/١٤٠ .

٥ـ المراقّ ـ بتشديد القاف ـ : ماسفل من البطن فماتحته من المواضع التي ترقّ جلودها . (النهاية) .

٦ـ في هامش النسخة :

« سئل بعض المشايخ عن العلقة السوداء التي أُخرجت من قلب النبي ﷺ في صِغره ، حين شقّ فؤاده ، وقول الملك «هذا حظّ الشيطان منك» ، فقال :

«تلك العلقة خلقها الله في قلوب البشر قابلة لما تلقنه الشيطان فيها ، فأُزيلت من قلبه ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي الشيطانِ فيه شيئا .

هذا معنى الحديث ، و لم يكن للشيطان فيه حظّ قطّ ، و إنّما الذي نفّاه الملك أمرٌ هو في الجبلات البشريّة ، فأُزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب» .

قيل له : «فلمَ خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة ؟ وكان يمكن أن لايخلقه سبحانه فيها ؟» . فقال : « لأنه من جملة الأجزاء الإنسانيّة ، فخَلقه تكملة للخلق الإنساني ، فلابدّ منه ، ونزعه كرامة ربّانيّة طرأت بعده » . ـ منه ـ» .

منك»، ثمّ غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتّى أنقياه ؛ ثمّ تناول أحدهما شيئا ، فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر فيه أو دونه ، فختَمَ به على قلبي ، فامتلأ إيمانا وحِكمة ، وأعاده مكانه ، وأمرّ الآخرُ يدَه على مفرق صدرى فالتأم ـ و إنِّي لأجدُ بَرْدَ الخاتم في عروقي ـ» .

و في رواية[١] : فقال جبرئيل : « قلب وكيع ـ أي شديد ـ فيه عينان تبصران ، وأُذنان تسمعان » . ثمّ قال لأحدهما : « زِنْهُ بألفٍ من أُمّته» ، فوَزَنَني ، فرجحتُهم ؛ فقال : « دَعْهُ ، لو وزَنته بأُمّته لرجحها » ؛ ثمّ ضمُّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وبين عيني ، وقالوا : «يا حبيب الله ـ لن تراع ، إنّك لوتدري ماذا يُراد بك لأقرّت عيناك ، ما أكرمكَ على الله ، إنّ الله وملائكتَه معك» .

وهذا كان في طفوليّته ﷺ ، حين كان ابن أربع سنين[٢] ؛ ثمّ ورد مثلُها في حال نبوّته ، كما روي عن أبي ذر[٣] مامعناه :

أنّه ﷺ قال : «فرِج سقفُ بيتي ـ وأنا بمكّة ـ فنزل جبرئيلُ ففرّج صدري ، ثمّ غسلَه من ماء زمزَم ، ثمّ جاء بطستٍ من ذهب ، ممتلئ حكمةً و إيمانا ، فأفرغه في صدري[٤] ، ثمّ أطبقَه ، ثمّ أخذ بيدي فعرج بنا إلى السماء» .

١ـ الدارمي : باب ما أُعطي النبيّ ﷺ من الفضل : ٢٩/١ : « . . . فيه أُذنان سميعتان و عينان بصيرتان . . . » .
٢ـ مروج الذهب : الباب السبعون : ١٣/٣ .
٣ـ البخاري : كتاب الحج ، باب ماجاء في زمزم : ١٩١/٢ . المسند : ١٢٢/٥ و١٤٣ . وروي مايقرب منه أيضا في الطبري : ٣٠٥/٢ .
٤ـ في النسخة : «صدره» . ثم كتب فوق «ه» ياءً ووضع فوق الياء علامة : «ظ» .

وعن أنس[1] : لمّا أسري برسول الله ﷺ من مسجدالكعبة ، إذ جاءه ثلاثةُ نفر ، قبل أن يوحى إليه ـ وهو نائمٌ في المسجد الحرام ـ . فقال أوّلهم : «إنّه هو»[2] . فقال أوسطُهم : «هو خيرهم» . فقال آخرُهم : «خذوا خيرَهم» . فكانت تلك الليلة ؛ فلم يرَهم حتّى أتوه ليلة أُخرى ، فيما يرى قلبُه وتنام عينُه ولا ينام قلبُه ـ

ـ وكذلك الأنبياء تنام أعينُهم ولاتنام قلوبُهم ـ

ـ فلم يكلِّموه حتّى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتوّلاه منهم جبرئيلُ ، فشقَّ جبرئيلُ مابين نحره إلى لَبّتِه حتّى فرغ من صدره وجوفه ؛ فغسل من ماء زمزم بيده ، حتّى أنقى جوفَه ، ثمّ أتى بطستٍ من ذهبٍ محشوًّا إيمانا وحكمةً ، فحشا به صدرَه ولغاديده[3] بغير عروق خلقه[4] ، ثمّ أطبقه ، ثمّ عرَج به إلى السماء» ـ إلى آخر حديث الإسراء ، وسنذكره في باب على حدة إن شاء الله[5] ـ .

١ـ البخاري : كتاب التوحيد : باب قوله ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ، ج٩ ص١٨٢ .

٢ـ البخاري : أيّهم هو .

٣ـ قال في النهاية (٢٥٦/٤) : هي جمع لُغدود ، وهي لحمة عند اللهوات . ويقال له : لُغْد أيضا ويجمع : ألغادا .

٤ـ كذا في النسخة ، والأظهر كونه سهوا ، والصحيح مافي البخاري : «يعني عروق حلقه» . فيكون تفسيرا من الراوي للغاديد .

٥ـ قال العلامة المجلسي (البحار : ١٤٠/١٦) : «اعلم أنّ شقّ بطنه ﷺ في روايات العامّة كثيرة مستفيضة ـ كماعرفت ـ وأما رواياتنا و إن لم يرد فيها بأسانيد معتبرة ، لم يرد نفيها أيضا ؛ ولايأبى عنه العقل أيضا ؛ فنحن في نفيه و إثباته من المتوقّفين ، كما أعرض عنه أكثر علمائنا من المتقدّمين ؛ و إن كان يغلب على الظنّ وقوعه ـ والله تعالى يعلم وحججُه ﷺ ـ» .

وقد أورد الروايات في البحار : ٣٥٢/١٥ و٣٦٥ و٣٦٦ و٣٧٩ .

فصل [٤]

قيل[1] : «مَن يستريب في انخراق العادة في يده ﷺ ويزعم أنّ آحاد هذه الوقايع لم يُنقل تواترا - بل المتواتر هو القرآن فقط - كمن يستريب في شجاعة علي عليه السلام وسخاوة حاتم ؛ ومعلوم أنّ آحاد هذه الوقايع غير متواترة ، ولكن مجموع الوقايع تورث علما ضروريًا .

ثمّ لايتمارى في تواتر القرآن ، وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق - و ليس لنبيّ معجزة باقية سواه ﷺ - إذ تحدّى بها بلغاء الخلق ، وفصحاء العرب - وجزيرة العرب يومئذ مملوّة بآلافٍ منهم ، والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم - وكان ينادي بين أظهرهم : أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة مثله[2] - إن شكّوا - وقال لهم :

﴿ قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَ ٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لايَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [١٧/٨٨] .

و قال ذلك تعجيزا لهم ؛ فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه ، حتّى عرّضوا أنفسهم للقتل ، ونساءهم وذراريهم للسبي ، وما استطاعوا أن يعارضوا ، ولا أن يقدحوا في جزالته وحُسنه» - انتهى كلامه - .

و لايخفى أنّه لم يزل ﷺ يقرعهم أشدّ التقريع ، و يوبّخهم غاية التوبيخ ، ويسفّه أحلامَهم ويحطّ أعلامَهم ويشتّت نظامَهم ويذمّ آلهتهم

١ـ الغزالي : إحياء علوم الدين ، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة ، بيان معجزاته وآياته ﷺ : ٢/٥٥٣ .

٢ـ سورة الإسراء/٨٨ . سورة هود/١٣ . سورة البقرة/٢٢ . سورة يونس/٣٨ .

و آباءَهم ، ويستفتح أرضَهم وبلادَهم وديارَهم ، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، مجمحون عن مماثلته ، مخادِعون أنفسَهم بالتشعيث بالتكذيب ، والاغتراء بالافتراء ، وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [٢٤/٧٤]، و ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [٢/٥٤]، و ﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَاهُ﴾ [٤/٢٥]، و ﴿أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [٥/٢٥].

والمباهتة والرضاء بالدنيّة كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [٥/٤١]، و ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْآنِ﴾ [٢٦/٤١].

والادِّعاء مع العجز بقولهم: ﴿لَوْنَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ [٣١/٨].

وقد قال لهم الله: ﴿وَ لَنْ تَفْعَلُوا﴾ [٢٤/٢]، فما فعلوا ولا قدروا، بل ولّوا عنه مدبِرين، وأتوا مذعنين من بين مهتدٍ وبين مفتون.

ولهذا لمّا سمع الوليد بن المغيرة[١] من النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَ ٱلْإِحْسَانِ﴾ [٩٠/١٦]، قال[٢]: «والله إنَّ له لحَلاوة، و إنَّ عليه لطُلاوة، و إنَّ أسفله لمغدق[٣]، وإنَّ أعلاه لمثمِر، وما يقول هذا بشرٌ».

١ـ وليد بن المغيرة بن هشام المخزومي ، أبو خالد بن الوليد ؛ كان من الخاصين و المستهزئين برسول الله ﷺ ولم يسلم . راجع طبقات ابن سعد : ٢٠٠/١. سيرة ابن هشام : ٣٦١/١ و٣٦٢ و٣٩٥ و٤٠٩ .

٢ـ أورده البيهقي في الدلائل : باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله من الإعجاز : ١٩٩/٢ . وجاء مايقرب منه في المستدرك للحاكم : ٥٠٦/٢ .

٣ـ قال في النهاية (١٣٧/٣) : «وفي قصة الوليد بن المغيرة : «إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة» : أي رونقا وحسنا» . وقال أيضا (٣٤٥/٣) : «في حديث الاستسقاء : «اسقنا غيثا غدَقا مُغدِقا» ، الغَدَق ـ بفتح الدال ـ : المطرالكبار القَطر ، والمُغدِق : مُفعِل منه ، أكّده به . يقال : أغدق المطرُ ، يُغدق إغداقا ، فهو مُغدِق» .

وحكى الأصمعيُّ أنّه سمع كلامَ جارية، فقال: «قاتلكِ الله ـ ما أفصحكِ». فقالت: «أو يعدُّ هذا فصاحة بعد قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ [٧/٢٨]. فجمع في آية بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين».

قيل: إذا تأمّل متأمّلٌ قولَه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [١٧٩/٢] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا ﴾ [٥١/٣٤] وقوله: ﴿ ادْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٩٦/٢٣] وقوله: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ ﴾ [٤٤/١١] وقوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ [٤٠/٢٩] ـ الآيات إلى آخرها ـ و أشباهها، بل أكثر القرآن تحقّق له إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عباراتها، وأنّ تحت كلّ لفظ منها جُملاً كثيرة، وفصولا جمّة، وعلوما زواخر ملأت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات عنها.

فصل [٥]

[وجوه إعجاز القرآن]

قد عدَّ العلماء من وجوه إعجاز القرآن أشياء كثيرة:

فذكر الماوردي منها: فصاحته وبيانه الذي منها بلاغة ألفاظه واستيفاء معانيه وحُسن نظمه، و إيجازه، ونظم أُسلوبه، و وصف اعتداله الذي لايدخل في نَظم ولا نَثر ولا رَجَز ولا شِعر ولا خطب ولا سجع، مع كثرة معانٍ في قلّة ألفاظ، وما جمعه من العلوم التي لا يُحيط بها بَشَر، ولا تجتمع في مخلوق.

ثمّ ماتضمّنه من الحُجج والبراهين على التوحيد والرجعة و إثبات النبوّة والرسالة وتقدير أحكام الشريعة .

ثمّ ما تضمّنه من أخبار الأُمم السالفة والقرون الخالية ، وما تعنّته أهلُ الكتاب من سؤالهم عن خفايا الأُمور الماضية التي لايعرفها إلاّ خواصّ أحبارهم وأكابرعلمائهم ـ كقصّة أهل الكهف ، وشأن موسى والخضر ، وقصّة ذي القرنين ـ .

ثمّ ما أخبَر به من الأشياء من علم الغيب ، كقوله لليهود : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ عِنْدَ ٱللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ثمّ قال : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٢/٩٤-٩٥] فما تَمنّاه أحد منهم .

ثمّ ما فيه من الإخبار بضمائر القلوب التي لايطّلع عليها إلاّ علاّم الغيوب ؛ كقوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ ﴾ [٣/١٢٢] . وقوله : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [٨/٧] .

ثمّ من وجوه إعجازه البواعث المُعِينَة في الليالي على تلاوته ، ومنها هشاشة مخرجه وبهجة رونقه ، وسلاسة نظمه وحُسن قبوله ، وأنّ قاريه لايكلُّ وسامعه لايملُّ ، وهذا في غيره معدوم ، مع أنّه ينتقل في السورة الواحدة من وعد إلى وعيد ، ومن ترغيب إلى ترهيب ، ومن ماضٍ إلى مستقبل ، ومن خطاب إلى غيبة ، ومن قصص إلى مَثَل ، ومن حِكَم إلى جَدَل ـ فلا ينبو ولا يتنافر .

* * *

وهذه الأُمور في غيره من الكتب مفصّلة :

فالتوراة خمسة أسفار : سِفرٌ لبدء الخَلق ، وسِفرٌ لخروج بني إسرائيل من مصر ، وسِفرٌ لأمر التوّابين ، وسِفرٌ لإحياء موسى بني إسرائيل وما وقع بهم ، وسِفرٌ لتكرُّر النواميس .

فاختلاف معانيها موجب لتفاصيلها ، فأفضل ما فيها العشر كلمات الوصايا التي خوطب بها موسى ـ وبها يستحلفون .

وأفضل ما في الإنجيل : الصُحف الأربعة المنسوبة لتلامذة عيسى الأربعة ، وهي المخصوصة بالقراءة في الصلوات والأعياد .

وأفضل ما في الزبور : ما اتّفق أهلُ الكتابين على اختياره ، وهو أدعية وتحاميد وتسابيح ينسب إلى داود بما فيها ـ وليس كذلك ـ .

والقرآن كلُّ سورة منه مشتملةٌ على أنواع مختلفة وعلوم متكاثرة ، فهي معجزة برأسها لاشتمالها على معان باطنة وظاهرة .

ثمّ من وجوه إعجاز القرآن تيسُّره على جميع الألسنة ، حتّى يحفظه الأعجميّ الأبكم ، والصغير والألكن ؛ بخلاف غيره من الكتب ـ فلا يحفظ عن ظَهر قلب كحفظه ـ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [١٧/٥٤ و٢٢ و٣٢ و٤٠] .

ومنها أنّه مأمون من الزيادة والنقص ، محفوظٌ من التغيير والتبديل :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١٥/٩]

فصل [٦]

[إعجاز القرآن في التجدد الدائم]

أقول : إنّ أشرف وجوه إعجاز القرآن و أقواها عند أُولي البصائر هو اشتماله على العلوم والأسرار وانطوائه على المعارف والأنوار وتضمُّنه جوامع الكلم ولوامع الحِكَم الذي يعجز العقول عن إدراكها ، بل كلّما تقَلقَل الإنسان في رياض فنونها وتعمَّق في بحار عيونها انفتحت له مسالك موصلة إلى مقفّلاتها ، واتّضحت له مدارك تبيِّن جمل مشكلاتها ، وانكشفت له معالم يدرك بها وجوه صوابها ، ولاحت له لوائح تُذلِّل له شدائد صعابها ، فيستخرج بغوّاص عقله جواهرَ بحورها ، ويقدح بزناد فكره فيقتبس من أضواء نورها .

ويرى العلماء والعارفين في كلِّ وقت في ازدياد لاينتهون إلى غاية في بلوغ المراد ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ ، وقد ملأت علوم الأقدمين الدفاتر ، وصدق من قال : «كم ترك الأوّل للآخر» .

ولذلك قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [٦/٣٤] .

وعلى هذا : فهو من المعجزات المتكرِّرة التي تحدث بالتأمُّل يوما فيوما وشيئا بعد شيء .

ومن هذا القبيل الأحاديث النبويّة ، وكلماته الجامعة ﷺ ، فإنّ العالم الذكيّ ، ذااللبِّ الصالح والذكاء القادح ، إذا تأمّلها وبالَغ في النظر فيها بصفاء القريحة ملاحظا لأنواع العلوم الدقيقة ، ومستحضرا لحِكم

أهل الحقيقة، ظهر له من مكنون أسرارها جمل متكاثرة، وكشف من خفايا كنوزها عن تحف باطنة وظاهرة، وكلّما أعمل فكره في تحرير دقائقها واستعان بصفاء سرِّه على تحقيق حقائقها: لاحت له لوائح عوارفها، وبدت له لطائفُ معارفها.

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمَايَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [٥٣/٥٤].

فالعلماء بعلم الشرايع والأحكام لايزالون من القرآن والحديث في فهم و إفهام، و أرباب القلوب و الألباب دائما منها في ترقٍّ لمعالي الدرجات، و تلقٍّ لتنزُّل التُحف والكرامات، لحسن اقتدائهم في اقتفائهم لآثار سيِّد السادات، وذلك من أجلِّ المعجزات المتجدِّدة على تجدُّد الأوقات.

فصل [٧]

قيل: ومن المعجزات المتكرِّرة المتجدِّدة العملُ بأحكام الشريعة المطهَّرة، كالعبادات المقرَّرة وفروع المعاملات المنتشرة وامتثال الأوامر والنواهي، و إظهار الشعائر المعتبرة.

وخصوصا كثرة الصلوات والسلام عليه وآله في الصلاة وغيرها.

فإنَّ المصلِّي يقول: «السلامُ عليكَ أيُّها النَّبيُّ وَ رَحمةُ الله وَ بَرَكاتُه»، ويصلِّي عليه.

والدنيا لاتخلو من مصلٍّ على رسول الله ﷺ ليلا أو نهارا، سرّا أو

جهرا، في البرّ والبحر، في الشرق والغرب، في الأرض والسماء.

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾

[٥٦/٣٣].

وقد علمتَ كثرة الملائكة وعظم عالمها وعدم فتورهم عن العبادة التي أُمروا بها، فوجودُ الصلاة عليه وآله منهم وتجدُّدها من مصلّيهم كلّ وقت إذا تأمّله ذوالنُهىٰ ظهر له أنّها معجزة له ﷺ، وربّما كانت خاصّة بجنابه الشريف، ومقامه المنيف؛ ولا يُعلم أنّ الله أمرَ أُمّة نبيّ بالصلاة على نبيّهم وآله إلاّ نبيّنا ﷺ.

قيل: وكلُّ كرامة ظهرت على يد أحد من أُمّة محمّد ﷺ فهي معدودةٌ من جملة معجزاته، لأنّ ذلك إنّما يكون ببركة متابعة له ﷺ، فإنّ أوفر الناس حظّاً من القرب إلى الله أوفرهم حظّاً من متابعة الرسول، فكرامات الأولياء من تتمّة معجزات الأنبياء.

أقول: ومن معجزاته الظاهرة المتكرّرة، وبيّناته الباهرة المتجدّدة: أوصياؤه المعصومون وعترته الطاهرون، وظهورهم واحدا بعد واحد من ذريّته في كلّ حين إلى يوم الدين، فإنّ كلاًّ منهم ـ صلوات الله عليهم ـ حجّة قائمة على صدقه، وآيةٌ بيّنة على حقيّته ﷺ كما يظهر من التتبُّع لأحوالهم، وملاحظة آثارهم والاطّلاع على فضائلهم ومناقبهم والآيات الصادرة منهم، والكرامات الظاهرة على أيديهم بسبب متابعتهم إيّاه واقتدائهم بهداه ـ صلى الله عليه و عليهم ـ و لأنّ بهم يُقضىٰ حوائجُ العباد، وببركتهم يدفع اللهُ أنواعَ البلاء عن البلاد، وبدعائهم تنزل

الرحمة، وبوجودهم تصرف النقمة ـ إلى غيرذلك من بركات خيراتهم صلوات الله عليهم ـ.

فكما أنّ القرآن معجزةٌ لنبيّنا ﷺ باقيةٌ إلى يوم الدين يظهر منه صدقه وحقّيّته شيئا فشيئا، ويوما فيوما ـ لمن تأمّله من أُولي النُهى ـ فكذلك كلٌّ من عترته المعصومين معجزة له، باقية نوعه إلى يوم القيام، دالّة على حقّيته لمن عرفهم بالولاية والحجّية من الشيعة أُولي الألباب ـ

ولهذا قال ﷺ[1] :

« إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض »

* * *

وسنذكر لكلٍّ من الثقلين وفضائله بابا على حدةٍ ـ إن شاء الله ـ.

* * *

* *

*

١ ـ حديث الثقلين روي عنه ﷺ في عدة مواضع وجاء بألفاظ مختلفة مضمونها واحد. وممن رواه ابن سعد في الطبقات : ذكر ماقرب لرسول الله ﷺ من أجله : ١٩٤/٢. و الطبراني في المعجم الصغير : ١٥٨ و ١٦٣. الترمذي : كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ : ٦٦٣/٥. والحاكم في المستدرك : ١٤٨/٣ و١٠٩.
إكمال الدين : الباب الثاني والعشرون، ٢٣٤ ـ ٢٤٤. الخصال : باب الاثنين، ح٩٨، ٦٥/١ـ٦٧. فرائد السمطين : الباب الثالث والثلاثون، ١٤٢/٢.
البحار : ١٠٦/٢٣ ـ ١١٨. راجع أيضا تخريجات الحديث في ملحقات الإحقاق : ٤٣٦/٤ـ٤٤٣. ٣٠٩/٩ـ٣٧٥. ٢٦١/١٨ـ٢٨٩.

[١٠]

بـاب

معراج نبيّنا ﷺ

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾

[١/١٧]

فصل [١]

[المعراج في الروايات]

روى الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في عرض المجالس[١] بإسناده[٢] إلى عبد الرحمن بن غَنَم[٣] ـ قال ـ :

« جاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ بدابّة دون البَغل و فوق الحِمار ، رِجلاها أطول من يديها ، خطوها مدُّ البصر ، فلمّا أراد أن

---

١ ـ أمالي الصدوق : المجلس التاسع والستون ، ح٢ ، ٥٣٤ ـ ٥٣٧ ، مع فروق يسيرة .
عنه البحار : ١٨/٣٣٣ ، ح٣٦ .

٢ ـ الرواية مرفوعة .

٣ ـ قال في الإصابة (٢/٤١٧) : « عبدالرحمن بن غَنْم ـ بفتح المعجمة و سكون النون ـ الأشعري ، قال البخاري :له صحبة . . . مات سنة ثمان وسبعين » .

يركب امتنعت، فقال جبرئيل: «إنّه محمّد»، فتواضعت حتّى لصقت بالأرض».

ـ قال ـ: «فركب فكلّما هبطت ارتفعت يداها وقصرت رِجلاها و إذا صعدت ارتفعت رِجلاها وقصرت يداها؛ فمرّت به في ظلمة الليل على عيرٍ محمّلة، فنفرت العيرُ من دفيف البُراق؛ فنادى رجُل في آخر العير غلاما له في أوّل العير: «يا فلان ـ إنّ الإبل قدنفرت، و إنّ فلانة قد ألقت حملها وانكسر يدُها» ـ وكانت العير لأبي سفيان ـ».

ـ قال ـ: ثمّ مضى ـ حتّى إذا كانت ببطن البلقاء[1] ـ قال: «يا جبرئيل ـ قد عطشتُ، فتناول جبرئيل قصعةً فيها ماءٌ، فناوله، فشرب، ثمّ مضى، فمرّ على قوم معلّقين بعراقيبهم بكلاليب من نار[2]. فقال: «ماهؤلاء ـ ياجبرئيل»؟

فقال: «هؤلاء الذين أغناهم الله بالحلال، فيبغون الحرام».

ـ قال ـ: «ثمّ مرّ على قوم تُخاط جلودُهم بمخائيط من نار؛ فقال: «ماهؤلاء ـ يا جبرئيل»؟

فقال: «هؤلاء الذين يأخذون عذرة النساء بغير حلّ».

ثمّ مضى، فمرّ على رَجلٍ يرفع حُزمة من حطَب[3]، كلّما لم يستطع أن يرفعها زاد فيها؛ فقال: «من هذا ـ ياجبرئيل»؟

١ـ قال الياقوت (معجم البلدان: ١/٧٢٨): «البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام و وادي القرى، قصبتها عمان».

٢ـ العرقوب: عصب غليظ فوق العقب. الكلاليب ـ جمع كلاب ـ: حديدة معطوفة يعلق بها اللحم وغيره.

٣ـ الحزمة: ماحزم وشدّ عليه الحزام من الحطب.

فقال: « هذا صاحب الديْن، يريد أن يقضي فاذا لم يستطع زاد عليه ».

ثمّ مضى، حتّى إذا كان بالجبل الشرقي من بيت المقدّس، وجد ريحا حارّة، وسمع صوتا ؛ فقال: « ما هذه الريح التي أجدها، وهذا الصوت الذى أسمع » ؟

فقال: « هذه جهنّم » ؛ فقال النبي ﷺ: «أعوذ بالله من جهنّم».

ثمّ وجد ريحا عن يمينه طيّبة وسمع صوتا ؛ فقال: «ما هذه الريح الذي أجدها وهذا الصوت الذي أسمع» ؟

قال: « هذه الجنّة ». فقال: « أسأل اللهَ الجنّة »[1].

ـ قال: ـ « ثمّ مضى حتّى انتهى إلى باب مدينة بيت المقدّس ـ و فيها هِرقِل ـ وكانت أبواب المدينة تُغلق كلّ ليلة، ويوتى بالمفاتيح ويوضَع عند رأسه، فلمّا كانت تلك الليلة امتنع الباب أن ينغلق ؛ فأخبروه، فقال: « ضاعِفوا عليها من الحرَس ».

ـ قال ـ: « فجاء رسولُ الله ﷺ فدخل بيتَ المقدّس ؛ فجاء جبرئيلُ إلى الصخرة فرفعها، فأخرج من تحتها ثلاثة أقداح: قدحا من لبن، وقدحا من عسل، وقدحا من خمر ؛ فناوله قدحَ اللبن فشرب، ثمّ ناوله قدحَ العسل فشرب، ثمّ ناوله قدحَ الخمر ؛ فقال: « قد رويتُ ـ يا جبرئيل ».

قال: « أمّا إنّك لو شربتَه ضلّت أُمّتك وتفرّقت عنك ».

١ـ جاء شطر من هذه الأفعال فيا أورده البيهقي أيضا: دلائل النبوة: باب الدليل على أن النبي ﷺ عرج به إلى السماء، ٢/٣٩٨ـ٣٩٩.

ثمّ أمّ رسولُ الله ﷺ في مسجد بيت المقدّس بسبعين نبيّا ».

ـ قال ـ : «وهبط مع جبرئيل ﷺ مَلَك لم يطأ الأرضَ قطُّ ، معه مفاتيحُ خزائن الأرض ؛ فقال : « يا محمّد ـ إنّ ربّك يقرؤك السلامَ ويقول : هذه مفاتيحُ خزائن الأرض ، فإن شئتَ فكن نبيّا عبدا ، و إن شئت فكن نبيّا مَلِكا » . فأشار إليه جبرئيل : أن تواضع ـ يا محمّد . فقال : « بل أكون نبيّا عبدا » .

ثمّ صعَد إلى السماء ؛ فلمّا انتهى إلى باب السماء استفتح جبرئيلُ ﷺ ؛ فقالوا : «من هذا» ؟ قال : «محمّد» . قالوا : «نِعمَ المجيء جاء» .

فدخل ـ فما مرّ على ملأ من الملائكة إلاّ سلّموا عليه ودعوا له ، وشيّعه مقرّبوها . فمرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفالٌ . فقال رسول الله ﷺ : « من هذا الشيخ ـ ياجبرئيل » ؟ قال : « هذا أبوك إبراهيم » .

قال : « فما هؤلاء الأطفال حوله » ؟

قال : « أطفال المؤمنين حوله ، يغذوهم » .

ثمّ مضى ، فمرّ على شيخٍ قاعدٍ على كرسيّ ، إذا نظر عن يمينه ضحك وفرح و إذا نظر عن يساره حزن وبكى . فقال «من هذا ـ ياجبرئيل» ؟

قال : « أبوك آدم ، إذا رأى مَن يدخل الجنّة من ذريّته ضحك وفرح ، و إذا رأى من يدخل النار من ذرِيّته حزن وبكى» .

ثمّ مضى فمرّ على ملكٍ قاعدٍ على كرسيّ فسلّم عليه ، فلم يرَ منه من البُشر مارأى من الملائكة ؛ فقال : «ياجبرئيلُ مامررتُ بأحد من الملائكة إلاّ رأيتُ منه ماأُحبُّ إلاّ هذا ، فن هذا المَلَك » ؟

قال: « هذا مالك خازن النار، أمّا إنّه قدكان من أحسن الملائكة بُشرا، وأطلقُهم وجها، فلمّا جُعل خازن النار اطّلع فيها اطّلاعةً، فرأى ماأعدّ الله فيها لأهلها، فلم يضحك بعد ذلك ».

ثمّ مضى حتّى إذا انتهى، فُرضت عليه الصلاة ـ خمسون صلاة ـ

ـ قال ـ: فأقبل فمرّ على موسى عليه السلام، قال: « يا محمّد ـ كم فُرض على أُمّتك » ؟ قال: « خمسون صلاة ». قال: «ارجع إلى ربِّك فسَله أن يخفِّف عن أُمّتك ».

ـ قال: ـ فرجع، ثمّ مرّ على موسى عليه السلام، قال: « كم فُرض على أُمّتك » ؟ قال: « كذا وكذا ». قال: « فإنّ أُمّتك أضعف الأُمم، ارجع إلى ربِّك فسَلهُ أن يخفّف عن أُمّتك، فإنّي كنتُ في بني إسرائيل، فلم يكونوا يطيقون إلاّ دون هذا». فلم يزل يرجع إلى ربِّه تعالى حتّى جعلها خمس صلوات.

ـ قال: ـ ثمّ مرّ على موسى عليه السلام، فقال: «كم فُرض على أُمّتك» ؟

قال: «خمس صلوات». قال: «إرجع فسَله أن يخفّف عن أُمّتك».

قال: «قد استحييتُ من ربِّي» ـ فما رجع إليه ـ.

ثمّ مضى فمرّ على إبراهيم خليل الرحمان، فناداه من خلفِه فقال: «يا محمّد إقرأ أُمّتك عنّي السلام، وأخبرهم أنّ الجنّة ماؤها عذبٌ وتُربتها طيِّبة قيعان[1] بيض، غرسُها: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله»، فمُرْ أُمّتك فليُكثروا مِن غَرسها».

١ـ قيعان ـ جمع قاع ـ: أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.

ثمَّ مضى حتّى مرَّ بِعير يقدمها جمل أورق[1] ، ثمَّ أتى أهلَ مكّة فأخبرهم بسيره ؛ وقد كان بمكّة قومٌ من قريش ، قد أتوا بيتَ المقدّس ، فأخبرهم ، ثمَّ قال : «آية ذلك أنّها تطلع عليكم الساعة عيرٌ مع طلوع الشمس ، يقدمها جملٌ أورق» .

ـ قال ـ : فنظروا ، فإذا هي قد طلعت . وأخبرهم أنّه مرَّ بأبي سفيان ، وأنَّ إبلَه نَفَرت في بعض الليل ، وأنّه نادى غلاما له في أوّل العير : «يا فلان ، إنّ الإبل قد نفرت ، وإنَّ فلانة قد ألقت حملَها ، وانكسر يدُها» . فسألوا عن الخبر فوجدوه كما قال النبيُّ ﷺ» .

* * *

و بإسناده[2] الحسَن عن مولانا الصادق ﷺ قال : « لمّا أُسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدّس حمَله جبرئيلُ على البُراق ، فأتيا إلى بيت المقدّس ، وعرض عليه محاريبَ الأنبياء وصلّى بها وردَّه .

فمرَّ رسول الله ﷺ في رجوعه بِعيرٍ لقريش ، و إذا لهم ماء في آنية ، وقد أضلُّوا بَعيرا لهم و كانوا يطلبونه . فشرب رسول الله ﷺ من ذلك الماء وأهرق باقيه .

فلمّا أصبح رسولُ الله ﷺ قال لقريش : «إنَّ الله تعالى قد أسرى بي إلى بيت المقدّس ، وأراني آثارَ الأنبياء ومنازلهم ، و إنّي مررتُ بعيرٍ في موضع كذا وكذا ـ وقد أضلُّوا بعيرا لهم ، فشربت من مائهم ، وأهرقت باقي ذلك» .

١ـ الأورق : الذي لونه لون الرماد .

٢ـ أمالي الصدوق : المجلس التاسع والستون ، ح١ ، ٥٣٣ . عنه البحار : ١٨/٣٣٦ ، ح٣٧ .

فقال أبو جهل: «قد أمكنتكم الفرصةُ منه، فسلوه كم الأساطين فيها والقناديل». فقالوا: «يا محمّد ـ إنَّ هيهنا من قد دخل بيتَ المقدّس، فصِف لنا كَم أساطينه وقناديله، ومحاريبه»؟

فجاء جبرئيل ﷺ فعلّق صورةَ بيت المقدّس تجاه وجهه، فجعل يُخبرهم بمايسألونه، عنه؛ فلمّا أخبرهم قالوا: «حتّى تجيء العيرُ، ونسألهم عمّا قلتَ». فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «تصديقُ ذلك أنَّ العيرَ تطلع عليكم مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق».

فلمّا كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: «هذه الشمس تطلع الساعة»، فبيناهم كذلك إذا طلعت عليهم العيرُ حين طلع القرص، يقدمها جملٌ أورق، فسألوهم عمّا قال رسول الله ﷺ، فقالوا: «لقد كان هذا، ضلَّ جملٌ لنا في موضع كذا وكذا، و وضعنا ماء فأصبحنا وقد أُهريق الماء» ـ فلم يزدهم ذلك إلاّ عتوّا».

وفي رواية أُخرى رواها عليّ بن إبراهيم[1] عن الصادق ﷺ، عن النبي ﷺ، قال:

«بينا أنا راقدٌ بالأبطح، وعليٌّ عن يميني، وجعفرٌ عن يساري، وحمزة بين يديَّ، و إذا أنا بخفيف أجنحةِ الملائكة، وقائل يقول:

«إلى أيّهم بُعثتَ ـ ياجبرئيل»؟

فقال: «إلى هذا ـ وأشار إليّ ـ وهو سيِّد ولد آدم، هذا وصيُّه

---

١ ـ تفسيرالقمي: ٢/١٢، تفسير قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده...﴾.
عنه البحار: ١٨/٣٣٧، ح٣٨.

و وزيره وخَتنه وخليفته في أُمّته، وهذا عمُّه سيّد الشهداء حمزة، وهذا ابن عمِّه جعفر ـ له جناحان خضيبان يطيرُ بهما في الجنَّة مع الملائكة ـ دعه فلتنم عيناه وتسمع أُذناه ويعي قلبُه ، واضربوا له مثلاً : « مَلِكٌ بَنى دارا ، واتَّخذ مأدبة، وبعث داعيا» ـ » .

ـ فقال رسول الله ﷺ : « المَلِك الله ، والدار الدنيا ، والمأدبة الجنَّة ، والداعي أنا » ـ .

ـ قال ـ : ثمَّ أركبه جبرئيلُ البُراقَ وأسرى به إلى بيت المقدّس، وعرض عليه محاريبَ الأنبياء وآيات الأنبياء، فصلّى[1] وردّه من ليلته إلى مكّة ؛ فمرَّ في رجوعه بعيرٍ لقريش ... » .

ـ إلى آخر الحديث بأدنى تفاوت في اللفظ ـ .

* * *

* *

*

١ ـ المصدر : فصلى بها .

وبإسناد العامّة[1] قال:

«بينما أنا في الحطيم ـ وربّما قال: في الحجر ـ إذ أتاني آتٍ فشقّ مابين هذه إلى هذه» يعني من ثغرة نحره إلى سرّته ـ قال ـ: «فاستخرج قلبي، ثمّ أتى بطست من ذهب مملوًّا إيمانا فغسل قلبي، ثمّ حشي، ثمّ أُعيد، ثمّ أُتيتُ بدابّة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع حافره عند أقصى طرفه...».

ـ إلى آخر الحديث بأسانيدهم المتكثرة، وألفاظهم المختلفة ـ[2].

وفي رواية أنّه لمّا فرغ من بيت المقدّس أتى بالمعراج، قال: «ولم أر شيئا قطّ أحسن منه، فأصعدني فيه...» ـ الحديث ـ[3].

وليس في رواياتهم زيادة على ما مرّ، وسيأتي بطريق أهل البيت عليهم السلام ما له كثير فائدة.

١ـ البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ٥/٦٦. مع فروق في اللفظ. وجاء مايقرب منه أيضا فيه: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة: ٤/١٣٣.
دلائل النبوة: باب الدليل على أن النبيّ عرج به إلى السماء: ٢/٣٧٧ـ٣٧٨.

٢ـ راجع: دلائل النبوّة: باب الدليل على أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عرج به إلى السماء: ٢/٣٧٧ـ٤٠٥. تفسير الطبري: تفسير الآية الأُولى من سورة الإسراء: ١٥/٢ـ١٤.
الدرالمنثور: تفسير الآية المذكورة، ج٥ ص١٨٢ـ٢٢٩.
مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ١/١٤٥ـ١٥٤.

٣ـ دلائل النبوة (الباب السابق: ٢/٣٩٠): «... ثمّ أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج...». وفي تفسير الطبري (تفسير الآية الأُولى من سورة الاسراء: ١٥/١٠): «... فإذا هو أحسن مارأيت...».
وحكاه السيوطي بلفظ الدلائل (الدرالمنثور: ٥/١٩٥) عن ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي، وابن عساكر.

فصل [٢]

[وصف المعراج في حديث تفسير القمي]

روى عليّ بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ في تفسيره[١] ، عن أبيه ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

«جاء جبرئيل وميكائيل و إسرافيل بالبُراق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذ واحدٌ باللجام ، و واحدٌ بالركاب ، وسوّى الآخر عليه ثيابه ، فتضعضت البراق ، فلطمَها جبرئيلُ ثمّ قال : «اسكني ـ يابراق ـ فما ركبكِ نبيٌّ قبله ولا يركبكِ بعده مثله» ـ » .

ـ قال : ـ «فرَقتْ به[٢] ورفعتْه ارتفاعا ليس بالكثير ، ومعه جبرئيل يُريه الآيات من السماء والأرض .

ـ قال : ـ فبينا أنا في مسيرتي إذ نادى منادٍ عن يميني : «يا محمّد» ، فلم أجبه ولم ألتفت إليه ، ثمّ نادى منادٍ عن يساري : « يا محمّد » ، فلم أجبه ولم ألتفت إليه ؛ ثمّ استقبلني إمرأةٌ كاشفة عن ذراعيها ، عليها من كلِّ زينة الدنيا ، فقالت : « يا محمّد أتنظرني حتّى أُكلّمك » ؟ فلم ألتفت إليها . ثمّ سِرتُ فسمعت صوتا أفزعني فجاوبه[٣] .

١ـ تفسير القمي : ٢/٣ـ١٢ ، تفسير الآية الأُولى من سورة الأسرى ، وفيه فروق يسيرة لفظيّة لم نتعرض لها . عنه البحار : ١٨/٣١٩ـ٣٣١ ، ح٣٤ .

٢ـ من رقي يرقى : إذا صعد .

٣ـ في المصدر : فجاوزت . وجاء في حاشية النسخة : « لعل المراد بقوله : «فجاوبه» أن الصوت جاوب نفسه . وهذا كما يكون في بعض المواضع عند الصوت » .

فنزل بي جبرئيل فقال: «صلِّ»؛ فصلَّيتُ، فقال: «تدري أين صلّيتَ»؟ فقلت: «لا». فقال: «صلّيت بطيبة، و إليها مهاجرتك».

ثمّ ركبت، فمضينا ماشاء الله؛ ثمّ قال لي: «انزل فصلِّ»، فنزلت وصلّيت،

فقال لي: «أتدرى أين صلّيت»؟ فقلت: «لا».

فقال: «صلّيتَ بطور سيناء، حيث كلّم الله موسى تكليما».

ثمّ ركبت، فمضينا ماشاء الله، ثمّ قال لي: «انزل فصلِّ»، فنزلت وصلّيتُ.

فقال لي: «أتدري أين صلّيت»؟ فقلت: «لا».

قال: «صلّيت ببيت لحم» ـ وبيت لحم بناحية بيت المقدّس حيث ولد عيسى بن مريم صلى الله عليه ـ.

ثمّ ركبت، فمضينا حيث[1] انتهينا إلى بيت المقدّس فربطتُ البراقَ بالحلقة التي كانت الأنبياء يربطون بها، فدخلتُ المسجد، ومعي جبرئيل إلى جنبي، فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى ومَن شاء الله من أنبياء الله، فقد جمعوا إليّ وأُقيمت الصلاة ـ ولا أشكّ إلاّ وجبرئيل سيتقدّمنا ـ فلمّا استووا، أخذ جبرئيلُ بعضدي فقدّمني، و أمّمتُهم ـ ولا فخر ـ.

ثمّ أتاني الخازن بثلاثة أوان ـ: إناءٍ فيه لبَن، و إناءٍ فيه ماء، وإناءٍ فيه خمر ـ وسمعت قائلا يقول: «إن أخذ الماءَ غُرق و غُرقت أُمّته، و إن

---

١ ـ كذا في النسخة. المصدر: حتى.

أخذ الخمرَ غَوي وغَوت أُمّته ، و إن أخذ اللبنَ هُدي وهديت أُمّته» ـ

ـ قال : ـ فأخذتُ اللبن وشربتُ منه ، فقال لي جبرئيل : «هُديتَ ، وهديت أُمّتك» .

ثمّ قال لي : «ماذا رأيتَ في مسيرك» ؟

فقلت : «ناداني منادٍ عن يميني» .

فقال لي : «أوَ أجبتَه» ؟

فقلت : « لا ، ولم ألتفت إليه» .

فقال : «ذلك داعي اليهود ، ولو أجبتَه لتهوّدت أُمّتك من بعدك» .

ثمّ قال : «ماذا رأيتَ» ؟

فقلت : «ناداني منادٍ عن يساري» .

فقال لي : «أوَ أجبتَه» ؟

فقلت : «لا ، ولم ألتفت إليه» .

فقال : «ذاك داعي النصارى ، ولو أجبتَه لتنصّرت أُمّتك من بعدك» .

ثمّ قال : «ماذا استقبلك» ؟

فقلت : «لقيتُ إمرأة كاشفةً عن ذراعيها ، عليها من كلّ زينة الدنيا ، فقالت : يا محمّد ـ أتنظرني حتّى أُكلّمك» ؟

فقال لي : «أفكلّمتَها» ؟

فقلت : «لم أُكلِّمها ولم ألتفت إليها» .

فقال : « تلك الدنيا ، و لو كلّمتها لاختارت أُمّتك الدنيا على الآخرة » .

ثمّ سمعت صوتا أفزعني ، فقال لي جبرئيل : «تسمع ـ يا محمّد» ؟

قلت : « نعم » .

قال: «هذه صخرةٌ قذفتُها على شفير جهنّم منذ سبعين عاما، فهذا حين استقرّت».

ـ قالوا: فما ضحك رسولُ الله ﷺ حتّى قبض ـ.

* * *

قال: فصعد جبرئيلُ، و صعدتُ معه إلى السماء الدنيا، وعليها مَلَك يقال له إسماعيل ـ و هو صاحب الخطفة التي قال الله عزّ و جلّ: ﴿إلاّ مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [۱۰/۳۷] وتحته سبعون ألف ملك، تحت كلّ ملك سبعون ألف ملك ـ فقال: «ياجبرئيل ـ من هذا معك»؟ فقال: «محمّد».

قال: «وقد بُعث»؟ قال: «نعم».

ثمّ فتح البابَ فسلّمتُ عليه وسلّم عليّ، و استغفرتُ له واستغفرلي، وقال: «مرحبا بالأخ الصالح، والنبيّ الصالح».

وتلقّتني الملائكة حتّى دخلتُ سماءَ الدنيا، فما لقيني مَلَكٌ إلاّ ضاحك مستبشر، حتّى لقيني مَلَك من الملائكة لم أر أعظم خَلقا منه ـكريه المنظر، ظاهرالغضب ـ فقال لي مثلَ ما قالوا من الدعاء، إلاّ أنّه لم يضحك ولم أرَ فيه [من][1] الاستبشار ممّا رأيت ممّن ضحك من الملائكة. فقلت: «من هذا ـ ياجبرئيل؟ فأنّي قد فزعتُ منه».

فقال: «يجوز أن تفزع منه، فكلّنا نفزعُ منه، إنّ هذا مالك خازن النار، لم‌يضحك قطّ، ولم يزل منذ ولاّه الله جهنّم، يزداد كلّ يوم غضبا وغيضا على أعداء الله وأهل معصيته، فينتقم اللهُ به منهم، ولو ضحك إلى

۱ـ إضافة من المصدر.

أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، و لكنّه لايضحك ، فسلّمتُ عليه ، فردّ السلامَ عليّ وبشّرني بالجنّة» .

فقلت لجبرئيل ـ وجبرئيل بالمكان الذي وضعه الله : مطاع ثمّ أمين ـ : «ألا تأمره أن يُريني النار» ؟ فقال له جبرئيل : «يامالك ـ أرِ محمّدا النار» . فكشف عنها غطاء، وفتح بابا منها ؛ فخرج منها لهبٌ ساطع في السماء، وفارت وارتفعت، حتّى ظننتُ لَيتَناولني ممّارأيت . فقلت : « ياجبرئيل ـ قل له فليردّ عليها غطائها » . فأمرَها ، فقال : «ارجعي» . فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه .

***

ثمّ مضيت ، فرأيت رجلا آدمَ جسيا فقلت : «مَن هذا ياجبرئيل»؟

فقال : «هذا أبوك آدم» . فإذا هو يُعرَض عليه ذريّته فيقول : «ريحٌ طيّبة من جسد طيّب» . ثمّ تلا رسول الله ﷺ سورةَ المطفّفين على رأس سبع عشرة آية : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ * يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [٨٣/١٨-٢١] إلى آخرها .

ـ قال : ـ فسلّمتُ على أبي آدم، وسلّم عليّ ، واستغفرتُ له واستغفرَ لي و قال : «مرحبا بالابن الصالح، والنبيّ الصالح، والمبعوث في الزمن الصالح» . ثم مررتُ بمَلَك من الملائكة جالسٍ على مجلس، و إذا جميع الدنيا بين ركبتيه، و إذا بيده لوحٌ من نور ينظر فيه، مكتوبٌ فيه كتابا ينظرفيه[١] ، لا يلتفت يمينا ولا شمالا إلاّ مقبلا[٢] عليه به كهيئة الحزين . فقلت : «من هذا ـ ياجبرئيل» ؟

١ـ المصدر : وإذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه .

٢ـ النسخة : مقبل (التصحيح من المصدر) .

فقال: «هذا ملك الموت، دائب في قبض الأرواح» .

فقلت: «ياجبرئيل ـ أُدني منه . فأدناني منه فسلّمت عليه» . وقال له جبرئيل: «هذا نبيُّ الرحمة ، الذي أرسله الله إلى العباد» . فرحّب بي، وحيّاني بالسلام ، وقال: «ابشر ـ يا محمّد ـ فإنّي أرى الخير كلّه في أُمّتك» .

فقلت: «الحمدلله المنّان، ذي النعم على عباده، ذلك من فضل ربّي ورحمتِه عليّ» .

فقال جبرئيل: «هو أشدُّ الملائكة عملا» .

فقلت: «أكُلُّ مَن مات أو هو ميِّتٌ فيما بعد، هذا تقبض روحه»؟

فقال: « نعَم » .

قلت: «وتراهم حيث كانوا، وتشهدهم بنفسك» ؟

فقال: « نعَم » . ـ فقال ملك الموت: ـ «ما الدنيا كلُّها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني عليها إلاّ كالدرهم في كفِّ الرجل ـ يقلّبه كيف يشاءُ ـ وما من دار إلاّ وأنا أتّصفحه كلّ يوم خمس مرّات ، وأقول إذا بكى أهلُ الميّت على ميّتهم: لا تبكوا عليه، فإنّ لي فيكم عودةً وعودةً، حتّى لا يبقى منكم أحد» .

فقال رسول الله ﷺ: «كفى بالموت طامّة ـ ياجبرئيل» .

فقال جبرئيل: «إنّ مابعد الموت أطمُّ، وأطمُّ من الموت» .

* * *

قال: ثمّ مضيت، فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيِّب، ولحم خبيث، يأكلون اللحمَ الخبيث ويدَعون الطيِّبَ . فقلت: «من هؤلاء ـ ياجبرئيل» ؟

فقال: «هؤلاء الذين يأكلون الحرامَ، ويدَعون الحلالَ، وهم من أُمّتك ـ يا محمّد».

فقال رسول الله ﷺ: «ثمّ رأيتُ ملكا من الملائكة جعل الله أمرَه عجَبا: نصفَ جسده النار، ونصفَه الآخر ثلجا ـ فلا النار تذيبُ الثلجَ ولا الثلجُ يطفئ النار ـ وهو ينادي بصوتٍ رفيع ويقول: «سبحان الذي كفَّ حرَّ هذه النار، فلا تذيب الثلجَ، وكفَّ بردَ هذا الثلج، فلا يطفئ حرَّ هذه النار، اللّهم مؤلّف بين الثلج والنار، ألِّف بين قلوب عبادك المؤمنين». فقلت: «من هذا ـ ياجبرئيل»؟

فقال: «هذا مَلَك وكّله الله بأكناف السماء وأطراف الأرضين، وهو أنصح ملائكة الله لأهل الأرضين من عباده المؤمنين، يدعو لهم بماتسمع منذ خُلق».

وملكان يناديان في السماء، أحدهما يقول: «اللّهم اعطِ كلَّ منفقٍ خلَفا»، والآخر يقول: «اللّهم اعط كلَّ ممسكٍ تلفا».

* * *

ثمّ مضيت، فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشفر الإبل[1]، يقرض اللحم من جنوبهم ويلق في أفواههم. فقلت: «من هؤلاء ـ ياجبرئيل»؟

فقال: «هؤلاء الهمّازون اللمّازون».

ثمّ مضيت، فإذا أنا بأقوام تُرضخ[2] رؤوسُهم بالصخر، فقلت: «من هؤلاء ـ ياجبرئيل»؟

١ـ المشفر: الشفه، وأخص استعماله للبعير.

٢ـ الرضخ: الدقّ والكسر (النهاية: ٢/٢٢٩).

فقال: «هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء».

ثمّ مضيت ، فإذا أنا بأقوام تُقذف النارُ في أفواههم وتخرج من أدبارهم. فقلت: «من هؤلاء ـ ياجبرئيل» ؟

قال: «هؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴾» [٤/١٠].

ثمّ مضيت، فإذا أنا بأقوام يريد أحدُهم أن يقوم، فلا يقدر من عِظَم بطنه. فقلت: «من هؤلاء ـ ياجبرئيل» ؟

قال: «هؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ﴾ [٢/٢٧٥] ، وإذا هم بسبيل آل فرعون يُعرضون على النار غدوًا وعشيًا، يقولون: «ربّنا متى تُقيم الساعة» ؟

قال: «ثمّ مضيت، فإذا أنا بنسوان معلّقات بثديهنّ». فقلت: «من هؤلاء ـ ياجبرئيل» ؟

فقال: «هؤلاء اللواتي يورثن أموالَ أزواجهنّ أولادَ غيرهم».

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «اشتدّ غضبُ الله على امرأة أدخلت على قوم في نسبهم مَن ليس منهم، فاطّلع على عوراتهم، وأكل خزائنهم».

قال: «ثمّ مررنا بملائكة من ملائكة الله ـ عزّ وجلّ ـ خلقهم الله كيف شاء، و وضع وجوهَهم كيف شاء؛ ليس شيءٌ من أطباق أجسادهم إلاّ وهو يسبّح اللهَ ويحمده من كلّ ناحية بأصوات مختلفة؛ أصواتُهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله. فسألتُ جبرئيلَ عنهم.

فقال: «كما ترى خُلقوا، إنّ الملك منهم إلى جنب صاحبه، ماكلّمه قطُّ، ولا رفعوا رؤوسَهم إلى مافوقها ولا خفضوها إلى ماتحتها خوفا لله

وخشوعا». فسلّمت عليهم، فردُّوا عليّ إيماء برؤوسهم لاينظرون إليّ من الخشوع».

فقال لهم جبرئيل: «هذا محمّد نبيُّ الرحمة، أرسله الله إلى العباد رسولا ونبيًا، وهو خاتم النبوّة وسيّدهم، أفلا تكلِّموه»؟

ـ قال: ـ فلمّا سمعوا ذلك من جبرئيل، أقبلوا عليّ بالسلام، وأكرموني وبشّروني بالخير لي ولأُمّتي.

* * *

قال ثمّ صعدنا إلى السماء الثانية، فاذا فيها رجلان متشابهان؛ فقلت: «من هذان ـ ياجبرئيل»؟

قال: «إبنا الخالة: يحيىٰ وعيسى عليهما السلام ـ فسلّمتُ عليهما وسلّما عليّ، واستغفرتُ لهما واستغفرا لي، وقالا: «مرحبا بالأخ الصالح والنبيّ الصالح». و إذا فيها من الملائكة و عليهم الخشوع، قد وضع الله وجوهَهم كيف شاء، ليس منهم ملك إلاّ يسبِّح اللهَ و يحمده بأصوات مختلفة».

* * *

ثمّ صعدنا إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل فَضْلُ حُسنه على سائر الخَلق كفضْل قمر ليلة البدر على سائر النجوم. فقلت: «من هذا ـ ياجبرئيل»؟

فقال: «هذا أخوك يوسف».

فسلّمتُ عليه وسلّم عليّ، واستغفرتُ له واستغفرَ لي، وقال: «مرحبا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح والمبعوث في الزمن الصالح».

و إذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مِثل ما وصفتُ في السماء الأُولى والثانية ، وقال لهم جبرئيل في أمري ما قال للآخرين وصنعوا فيَّ مثلَ ماصنع الآخرون .

* * *

ثمَّ صعدنا إلى السماء الرابعة ، و إذا فيها رجلٌ ، فقلت : «من هذا ـ ياجبرئيل» ؟

فقال : «هذا إدريس ، رفعه الله مكانا عليّا» . فسلَّمت عليه وسلَّم عليَّ ، واستغفرت له واستغفر لي .

و إذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات ، فبشَّروني بالخير لي ولأُمَّتي .

ثمَّ رأيت ملكا جالسا على سرير ، تحت يده سبعون ألف ملك ، تحت كل ملك سبعون ألف ملك ـ

ـ فوقع في نفس رسول الله ﷺ أنَّه هو[1] ـ فصاح به جبرئيل ، فقال : « قُم » ، فهو قائم إلى يوم القيامة .

* * *

ثمَّ صعدنا إلى السماء الخامسة ، فإذا فيها رجل كهل عظيم العين ، لم أر كهلا أعظم منه ، حوله ثلَّة من أُمَّته ، فأعجبني كثرتهم ؛ فقلت : «من هذا ياجبرئيل» ؟

---

١ ـ لايخفى ضعف هذا الكلام ، فإنه لايصدر من أضعف العارفين بالله ، فكيف بمن هو في المعرفة إمام الأنبياء والأولياء والمقربين ؛ وظني أنه دخيل من إضافة بعض النقلة ويؤيد ذلك تغيير سياق الكلام من التكلم إلى الخطاب .

فقال: «هذا المجيب لقومه هارون بن عمران»، فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرتُ له واستغفرلي. و إذا فيها من الملائكة الخشوع مثل مافي السماوات.

***

ثمّ صعدنا إلى السماء السادسة، و إذا فيها رجلٌ آدم طويل. كأنّه من سمّرة[1] لو أنّ عليه قيصين لنفذ شَعرُه فيها، وسمعت يقول: «يزعم بنو إسرائيل أنّي أكرم ولد آدم على الله، وهذا رجلٌ أكرم على الله منّي».
فقلت: «من هذا ـ ياجبرئيل» ؟

فقال: «أخوك موسى بن عمران». فسلّمت عليه وسلّم عليّ، واستغفرتُ له واستغفرَ لي. و إذا فيها من الملائكة الخشوع مثل مافي السماوات».

***

قال: «ثمّ صعدنا إلى السماء السابعة، فما مررت بملَك من الملائكة إلاّ قالوا: «يامحمّد احتجم، وأمُرْ أُمّتك بالحجامة».

و إذا فيها رجلٌ أشمط الرأس واللحية جالس على كرسيّ، فقلت: «ياجبرئيل ـ من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوارالله» ؟

فقال: «هذا ـ يامحمّد أبوك إبراهيم، وهذا محلُّك ومحلُّ من اتّقى من أُمّتك» ـ ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣/٦٨] ـ

١ـ على هامش النسخة: شبوة ـ خ ل ـ شنوة ـ خ ل ـ.

فسلّمت عليه وسلّم عليّ وقال: «مرحبا بالنبيِّ الصالح، والابن الصالح، والمبعوث في الزمن الصالح».

و إذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات، فبشّروني بالخير لي ولأُمّتي».

قال رسول الله ﷺ: «ورأيت في السماء السابعة بحارا من نور يتلألأ، يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحارٌ مظلمة، وبحار ثلج ترعد، فلمّا فزعت[1] ورأيت هؤلاء سألت جبرئيل؟ فقال: «ابشر ـ يا محمّد ـ واشكر كرامةَ ربِّك، واشكر الله ما صنع إليك».

ـ قال: ـ فثبّتني الله بقوّته وعونه، حتّى كَثُر قولي لجبرئيل و تعجُّبي. فقال جبرئيل: «يا محمّد ـ تُعظِّم ما ترى؟ إنّما هذا خَلق مِن خَلق ربّك، فكيف بالخالق الذي خَلَق ما ترى، وما لا ترى أعظم مِن هذا من خَلق ربّك، إنّ بين الله وبين خَلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخَلق إلى الله أنا و إسرافيل، وبيننا وبينه أربعة حُجب: حجابٌ من نور، وحجابٌ من ظلمة، وحجابٌ من الغمام، وحجابٌ من ماء».

ـ قال: ـ « و رأيت من العجائب ـ الذي خلق الله و سخّر على ما أراده ـ ديكا رِجلاه في تخوم الأرضين السابعة، ورأسُه عند العرش، وملكا في ملائكة الله تعالى خَلقه الله كما أراد، رِجلاه في تخوم الأرضين السابعة، ثمّ أقبل مصعّدا حتّى خرج في الهواء إلى السماء السابعة، وانتهى فيها مصعّدا حتّى انتهى قرنه إلى قرب العرش، وهو يقول: «سبحان ربِّي حيث ما كنت، لا تدري أين ربُّك من عظم شأنه».

١ـ في النسخة: فرغت. والصحيح ما أثبتناه من المصدر.

وله[1] جناحان في منكبيه إذا نشرَهما جاوز المشرقَ والمغربَ، فإذا كان في السحر نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح ـ يقول: «سبحان الله الملك القدُّوس ، سبحان الله الكبير المتعال، لا إله إلاّ الله الحيّ القيُّوم».

و إذا قال ذلك سبّحت ديك الأرض كلّها و خفقت بأجنحتها و أخذت بالصراخ ، و إذا سكت ذلك الديك في السماء سكت ديك الأرض كلّها؛ ولذلك الديك زغب أخضر وريش أبيض كأشد بياض رأيته قطّ ، وله زغيب أخضر ـ أيضا ـ تحت الريش الأبيض كأشدّ خضرة رأيتها قطّ».

***

ـ قال :ـ «ثمّ مضيت مع جبرئيل فدخلت البيتَ المعمور، فصلّيت فيها ركعتين و معي أُناس من أصحابي، عليهم ثيابٌ جدُد، وآخرين عليهم ثياب خلقان، فدخل أصحاب الجدُد وحبس أصحاب الخلقان. ثمّ خرجت فانقاد لي نهران: نهر تسمّى الكوثر، ونهر تسمّى الرحمة.

فشربت من الكوثر، واغتسلت من الرحمة، ثمّ انقادا لي جميعا حتّى دخلت الجنّة، و إذا على حافتيها بيوتي وبيوت أزواجي، و إذا ترابها كالمسك، و إذا جارية تنغمس في أنهار الجنّة ـ فقلت: «لمن أنتِ ـ يا جارية»؟

فقالت: «لزيد بن حارثة»[2] ، فبشّرته بها حين أصبحت.

١ـ الضمير راجع إلى الديك على مايظهر، ولايخفى مافي العبارة من الاختلاط.

٢ـ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، اشتراه خديجة رضي الله عنها فوهبته لرسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبناه. راجع أُسد الغابة: ٢/١٢٩ـ١٣٢ ، الترجمة ١٨٢٩.

و إذا بطيرها كالبُخت، و إذا رمّانها مثل الدليّ العظام[1]، و إذا شجرة لو أرسل طائر في أصلها مادارَها سبعمأة سنة، وليس في الجنّة منزل إلّا وفيها قتر[2] منها.

فقلت: «ما هذه ـ يا جبرئيل» ؟

فقال: «هذه شجرة طوبى» قال الله: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ ﴾ [١٣/٢٩].

قال رسول الله ﷺ: «فلمّا دخلتُ الجنّة رجعت إلى نفسي، فسألت جبرئيلَ عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها. فقال: « هو سرادقات الحجب، التي احتجب الله ـ تبارك وتعالى ـ بها، ولولا تلك الحجب لتهتك نورالعرش وكلّ شيء فيه».

* * *

وانتهيتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا الورقة منها تظل أُمّة مِن الأُمم، فكنت منها كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَابَ قَوسَيْنِ أَو أَدْنَىٰ ﴾ [٥٣/٩]. فناداني ربّي تبارك وتعالى: ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾، فقلت أنا مجيب[3] عنّي وعن أُمّتي: ﴿ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ ﴾ فقلت[4] ﴿ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾. فقال الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَاكَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَاٱكْتَسَبَتْ ﴾. فقلت: ﴿ رَبَّنَا لَا

١ـ البُخت: الإبل الخراسانية، والجمع: بخاتي. الدُّلي والدِلي والدّلي: جمع الدلو، وهو ما يستقى به.

٢ـ على هامش النسخة: قرن خ ل. المصدر: فرع.

٣ـ كذا.

٤ـ المصدر: وقالوا

تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . فقال الله : «لا أُؤَاخذكَ» . فقلت : ﴿ رَبَّنَا وَ لاتَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَاحَمَلْتَهُ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . فقال الله : «لا أحملك» . فقلت : ﴿ رَبَّنَا وَ لا تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ ٱعْفُ عَنَّا وَ ٱغْفِرْلَنَا وَٱرْحَمْنَا أَنْتَ مَولاَنَا فَٱنْصُرْنَا عَلَىٰ ٱلْقَومِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ [٢٨٦/٢] .

فقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : «قد أعطيتك ذلك لك ولأُمَّتك» .

ـ فقال الصادق ﷺ : «ما وفد إلى الله ـ تعالى وتبارك ـ أحدٌ أكرم من رسول الله حين سأله لأُمَّته هذه الخصال» ـ .

فقال رسول الله ﷺ : « يارَبِّ ـ أعطيتَ أنبيائك فضائل ، فاعطني » .

فقال الله : «وقد أعطيتُك ـ فيما أعطيتُك ـ كلمتين من تحت عرشي : لا حول ولا قوَّة إلاّ بالله ، ولا منجأ منك إلاّ إليك» .

قال : «وعلّمَتني الملائكةُ قولا أقولُه إذا أصبحتُ وأمسيت : «اللّهم إنَّ ظلمي أصبحَ مُستجيرا بعفوِك ، و ذنْبي مستجيرا بمَغفرتك ، وذلّي مستجيرا بعِزّتك ، و فَقري أصبَح مستَجيرا بغِناكَ ، و وجهيَ البالي أصبَحَ مستَجيرا بوجهِك الباقي الذي لا يفنى » . وأقول ذلك إذا أمسيت » .

* * *

ثمَّ سمعتُ الأذان ، فإذا مَلَك يؤذِّن لم يرَ في السماء قبل تلك الليلة .

فقال : «الله أكبر ، الله أكبر» .

فقال الله : «صَدَقَ عبدي ، أنا أكبر» .

فقال : «أشهد أن لا إله إلاّ الله ، أشهد أن لاإله إلا الله» .

فقال الله : «صَدَقَ عبدي ، أنا الله لا إله غيري» .

فقال : «أشهد أنّ محمّدا رسول الله ، أشهد أنّ محمّدا رسول الله» .

فقال الله : «صدَقَ عبدي ، إنّ محمّدا عبدي ورسولي ، أنا بعثتُه وانتجبتُه» .

فقال : «حيّ على الصلاة» .

فقال الله : «صَدَقَ عبدي ، دعا إلى فريضتي ، فمن مَشى إليها راغبا فيها محتسبا ، كانت كفّارة لِما مضى مِن ذنوبه» .

فقال : «حيّ على الفلاح» .

فقال الله : «هي الصلاح والنجاح والفلاح» .

ثمّ أمَمتُ الملائكةَ في السماء ، كما أمّمتُ الأنبياءَ في بيت المقدّس» .

* * *

قال : «ثمّ غشيتني صبابة ، فخررتُ ساجدا ، فناداني ربّي : «إنّي قد فرضتُ على كلّ نبيّ كان قبلك خمسين صلاة ، وفرضتُها عليك وعلى أُمّتك ، فقم بها أنت في أُمّتك» . ـ فقال رسول الله ﷺ : ـ «فانحدرتُ حتّى مررتُ على إبراهيم ، فلم يسألني عن شيء حتّى انتهيتُ إلى موسى ، فقال : «ما صنعتَ ـ يا محمّد» ؟

فقلت : «قال ربّي : فرَضتُ على كلّ نبيّ كان قبلك خمسين صلاة ، وفرضتُها عليك وعلى أُمّتك» .

فقال موسى : «يا محمّد ـ إنّ أُمّتك آخر الأمم وأضعفها ، و إنّ ربّك لايردّه شيء ، و إنّ أُمّتك لاتستطيع أن تقوم بها ؛ فارجع إلى ربّك ، فَسَله التخفيف لأمّتك » .

فرجعتُ إلى ربّي حتّى انتهيتُ إلى سدرة المنتهى ، فخررت ساجدا

ثمّ قلت : « فرضتَ عليّ و على أُمّتي خمسين صلاة ، ولا أُطيق ذلك ولا أُمّتي ؛ فخفِّف عنّي » . فوضع عنّي عشرا ؛ فرجعتُ إلى موسى فأخبرتُه . فقال : «ارجع لاتطيق» .

فرجعتُ إلى ربّي فوضع عنّي عشرا .

فرجعت إلى موسى فاخبرتُه ، فقال : «ارجع» .

و في كلِّ رجعةٍ أرجعُ إليه أخِرُّ ساجدا ، حتّى رجع إلى عشر صلوات . فرجعتُ إلى موسى وأخبرته ، فقال : « لاتطيق ارجع » ؛ فرجعت إلى ربّي فوضع عنّي خمسا ؛ فرجعت إلى موسى و أخبرتُه ، فقال : « لا تطيق » .

فقلت : « قد استحييتُ من ربّي ولكن أصبر عليها »[1] .

فناداني منادٍ : «كما صبرتَ عليها ، فهذه الخمس بخمسين ، كلّ صلاة بعشر ، ومَن همّ من أُمّتك بحسنة يعملها ـ فعَملَها ـ كتبتُ له عشرا ، و إن لم يعمل كتبت له واحدة . ومَن همّ من أُمّتك بسيّئة فعَملَها ، كتبت عليه واحدة ، و إن لم يعملها لم أكتب عليه» .

ـ فقال الصادق ﷺ : «جزى الله موسى عن هذه الأُمّة خيرا» .

* * *
* *
*

---

١ ـ راجع دلائل النبوة : ٢/٣٩٤ .

فصل [٣]

[تعليم الصلاة في المعراج]

و روى ثقةُ الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي[١] عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أُذينة ، عن أبي عبد الله ـ قال ـ :

قال : « ما تروي هذه الناصبة » ؟

فقلت : « جُعلت فداك ـ فماذا » ؟

فقال : « في أذانهم وركوعهم وسجودهم » .

فقلت : « إنّهم يقولون : إنّ أُبيّ بن كعب رآه في النوم » .

فقال : « كذبوا ، فإنّ دين الله أعزّ من أن يُرى في النوم » .

ـ قال ـ : فقال له سدير الصيرفي : « جعلت فداك ـ فأحدِث لنا مِن ذلك ذكرا » .

فقال أبو عبدالله : « إنّ الله ـ تعالى ـ لمّا عرّج بنبيّه إلى سماواته السبع ، أمّا أولاهنّ : فبارَكَ عليه ، والثانية : علّمه فرضَه . فأنزل الله محملا من نور فيه أربعون نوعا من أنواع النور ، كانت محدِقة بعرش الله تغشي أبصارَ الناظرين .

١ـ الكافي : كتاب الصلاة ، باب النوادر ، ح١ ، ٣/٤٨٢ـ٤٨٧ . ورواه الصدوق (ره) بطرق مختلفة ومع اختلاف في الألفاظ في العلل : باب علل الوضوء والأذان والصلاة : ٢/٣١٢ . عنه البحار : ١٨/٣٥٤ ، ح٦٦ . ٨٢/٢٣٧ .

أمّا واحد منها فأصفر ـ فمن أجل ذلك اصفرّت الصفرة، و واحد منها أحمر ـ فمن أجل ذلك احمرّت الحمرة ـ و واحد منها أبيض ـ فمن أجل ذلك أبيضّ البياض ، والباقي على عدد سائرالخَلق من النور . فالألوان في ذلك المحمل حلق وسلاسل من فضّة .

ثمّ عرج به إلى السماء، فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرّت سجّدا و قالت : «سبُوحٌ قدُوسٌ ، ما أشبه هذا النور بنور ربّنا» .

فقال جبرئيل : «الله اكبر ، الله اكبر» .

ثمّ فُتحت أبوابُ السماء واجتمعت الملائكة فسلّمت على النبيّ ﷺ أفواجا ، وقالت «يا محمّد ـ كيف أخوك ؟ إذا نزلتَ فاقرأه السلامَ» .

قال النبيُّ ﷺ : «أفتعرفونه» ؟

قالوا : «وكيف لانعرفه، وقد أخذ ميثاقك وميثاقه منّا ، وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا ، و إنّا لنتصفّح وجوه شيعته كلّ يوم وليلة خمسا ـ يعنون في كلِّ وقت صلاة ـ و إنّا لنُصلّي عليك وعليه» .

ثمّ زادني ربّي أربعين نوعا من أنواع النور لايشبه نور الأوّل ، وزادني حلقا وسلاسل ، وعرج بي إلى السماء الثانية ، فلمّا قربت من باب السماء الثانية نفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرّت سجّدا وقالت : «سبُوح قدُوس ربُّ الملائكة والروح ، ما أشبه هذا النور بنور ربّنا» .

فقال جبرئيل : «أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله» .

فاجتمعت الملائكة وقالت : «يا جبرئيل ـ من هذا معك» ؟

قال : «هذا محمّد ﷺ» .

قالوا : «وقد بُعث» ؟ قال : « نعَم » .

ـ قال النبيّ ﷺ : ـ فخرجوا إليّ شبه المعانيق، فسلّموا عليّ وقالوا : «اقرء أخاك السلام».

قلت : «أتعرفونه» ؟

قالوا : «وكيف لانعرفه، وقد أُخذ ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا، و إنّا لنتصفّح وجوهَ شيعته في كلِّ يوم وليلة خمسا» ـ يعنون في كلِّ وقت الصلاة ـ.

ـ قال : ـ ثمّ زادني ربّي أربعين نوعامن أنواع النور ـ لا يُشبه الأنوارالأُول ؛ ثمّ عرج بي إلى السماء الثالثة، فنفرت الملائكة وخرّت سُجّدا وقالت : «سبُّوح قدُّوس، ربُّ الملائكة والروح، ماهذا النور الذي يُشبه نور ربّنا» ؟

فقال جبرئيل : « أشهد أنّ محمّدا رسول الله ، أشهد أنّ محمّدا رسول الله ».

فاجتمعت الملائكةُ وقالت : « مرحبا بالأوّل ومرحبا بالآخر ، ومرحبا بالحاشر و مرحبا بالناشر ، محمّدٌ خير النبيّين ، وعليٌّ خيرالوصيّين» . ـ قال النبيُّ ﷺ : ـ ثمّ سلّموا عليّ وسئلوني عن أخي . فقلت : « هو في الأرض ، أفتعرفونه » ؟

فقالوا : «وكيف لا نعرفه، وقد نحجّ البيتَ المعمور كلّ سنة وعليه رقٌّ أبيض، فيه اسم محمّد ﷺ واسم عليّ والحسن والحسين والأئمّة وشيعتهم إلى يوم القيامة، و إنّا لنبارك عليهم في كلِّ يوم وليلة خمسا» ـ يعنون به وقت كلّ صلاة ـ ويمسحون رؤوسهم بأيديهم .

قال : ثمّ زادني ربّي أربعين نوعا من أنواع النور لايشبه تلك الأنوار الأُول ، ثمّ عرج بي حتّى انتهيت إلى السماء الرابعة ؛ فلم تقل الملائكة شيئا ، وسمعت دويّا كأنّه في الصدور ، فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء ، وخرجت إليّ شبه المعانيق .

فقال جبرئيل ﷺ : « حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة ؛ حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح » .

فقالت الملائكة : « صوتان مقرونان معروفان » .

فقال جبرئيل ﷺ : « قدقامت الصلاة ، قدقامت الصلاة » .

فقالت الملائكة : « هي لشيعته إلى يوم القيامة » .

ثمّ اجتمعت الملائكة وقالت : « كيف تركتَ أخاك » ؟

فقلت لهم : « وتعرفونه » ؟

قالوا : « نعرفه وشيعته وهم نورٌ حولَ عرش الله ، وإنّ في البيت المعمور لرقّا من نور فيه كتاب من نور ، فيه اسم محمّد وعليّ والحسن والحسين والأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ وشيعتهم إلى يوم القيامة ، لايزيد منهم رجل[1] ، ولا ينقص منهم رجل ، وإنّه لميثاقنا ، وإنّه ليقرأ علينا كلّ يوم جمعة » .

* * *

ثمّ قيل لي : «ارفع رأسك ـ يا محمّد» ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أطباقُ السماء قد خرقت ، والحجب قد رفعت ؛ ثمّ قال لي : «طأطأ رأسك ،

١ ـ كذا . وفي المصدر : لايزيد فيهم .

انظر ماذا ترى» ؛ فطأطأتُ رأسي فنظرتُ إلى بيتٍ مثل بيتكم هذا ، وحرَم مثل حرَم هذا البيت ، لو ألقيتُ شيئا من يدي لم يقع إلاّ عليه . فقيل لي : «يا محمّد ـ هذا الحرَم ، وأنت الحرام ، ولكلّ مثل مثال» .

ثمّ أوحى الله إليّ : «يا محمّد ـ أُدن من صاد ، فاغسل مساجدك و طهِّرها ، وصلِّ لربّك» .

فدنى رسول الله ﷺ من صاد ـ و هو ماءٌ يسيل من ساق العرش الأيمن ، فتلقّى رسولُ الله ﷺ الماء بيده اليُمنى ؛ فمن أجل ذلك صار الوضوء باليمين .

ثمّ أوحى الله إليه أن «اغسل وجهَك ، فإنّك تنظر إلى عظمتي ، ثمّ اغسل ذراعَيك اليُمنى واليُسرى ، فإنّك تلقي بيديك كلامي ـ ثمّ امسح رأسك بفضل ما بقي في يديك ـ من الماء ـ ورِجليك إلى كعبيك ، فإنّي أُبارك عليك وأُوطئك موطئا لم يطأه أحدٌ غيرك»

ـ فهذا علّة الأذان والوضوء . ـ

ثمّ أوحى الله ـ تعالى ـ إليه : «يا محمّد ـ استقبل الحجرَ الأسود ، وكبِّرني على عدد حُجبي» فمن أجل ذلك صار التكبير سبعا ، لأنّ الحجبَ سبع ـ فافتتح عند انقطاع الحجب ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنّة ، والحجب متطابقة بينهنّ بحار النور ، وذلك النور النورُ الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على محمّد ﷺ ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلاث مرّات لافتتاح الحجب ثلاث مرّات ، فصار التكبير سبعا والافتتاح ثلاثا .

فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح ، أوحى الله إليه : «سَمِّ باسمي» ـ فمن أجل ذلك جعل ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ في أوّل السورة ـ .

ثمَّ أوحى الله إليه أن « أحمدني » ، فلمّا قال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ ، قال النبيُّ ﷺ في نفسه : « شكرا » . فأوحى الله إليه : «قطعتَ حمدي ، فسمّ باسمي» فمن أجل ذلك جعل في الحمد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مرّتين ؛ فلمّا بلغ : ﴿ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ﴾ ، قال النبيُّ ﷺ : «الحمد لله ربّ العالمين شكرا» .

فأوحى الله إليه : «قطعتَ ذكري ، فسمّ باسمي» ـ فمن أجل ذلك جعل ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [في أول السورة][1] ؛ ثمّ أوحي الله إليه : «اقرأ ـ يا محمّد ـ نسبةَ ربّك : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾»[2]

ثمَّ أُمسك عنه الوحي ، فقال رسول الله : «كذلك الله ، كذلك الله ربُّنا» ، فلمّا قال ذلك ، أوحى الله إليه : « اركع لربّك ـ يا محمّد » . فركعَ ؛ فأوحى الله إليه وهو راكع ، قل : «سبحان ربّي العظيم» . ففعل ذلك ثلاثا .

ثمَّ أوحى الله إليه أن «ارفع رأسك ـ يا محمّد» . ففعل رسول الله ﷺ ، فقام منتصبا . فأوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه : «أن اسجد لربّك ـ يا محمّد» . فخرّ رسول الله ساجدا . فأوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه ، قل : «سبحان ربّي الأعلى» . ففعل ذلك ثلاثا .

ثمَّ أوحى الله إليه : «استوِ جالسا ـ يا محمّد» . ففعل ؛ فلمّا رفع رأسه من سجوده واستوى جالسا ، نظر إلى عظمة تجلّت له ، فخرّ

---

١ ـ إضافة من المصدر .

٢ ـ أُضيف في المصدر : ثمّ أُمسك عنه الوحي فقال رسول الله ﷺ : «الواحد الأحد الصمد» فأوحى الله إليه : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

ساجدا من تلقاء نفسه ـ لا لأمر أمر به ـ فسبّح أيضا ثلاثا .

فأوحى الله إليه انتصب قائما . ففعل فلم يرَ ماكان رأى من العظمة ، فمن أجل ذلك صارت الصلاة ركعة وسجدتين .

ثمّ أوحى الله ـ تعالى ـ إليه : «اقرأ بالحمد لله» ، فقرأها مثل ماقرأ أوّلا ، ثمّ أوحى الله إليه ، اقرأ : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، فإنّها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة ، وفعَل في الركوع مافعَل في المرّة الأولى ، ثمّ سجد سجدةً واحدةً ، فلمّا رفعَ رأسَه تجلّت له العظمة ، فخرّ ساجدا من تلقاء نفسه ـ لا لأمر أُمر به ـ فسبّح أيضا .

ثمّ أُوحي إليه : «ارفع رأسَك ـ يا محمّد ـ ثبّتك ربُّك» . فلمّا ذهبَ ليقوم ، قيل : «يامحمّد ـ اجلس» ، فجلس ، فأوحى الله إليه «يامحمّد ـ إذا ما أنعمتُ عليك فسمِّ باسمي» ، فأُلهم أن قال : «بسم الله وبالله ، ولا إله إلاّ الله ، والأسماء الحُسنى كلّها لله» . ثمّ أوحى الله إليه : «يامحمّد ـ صلِّ على نفسك وعلى أهل بيتك» . فقال : «صلى الله عليّ وعلى أهل بيتي» .

ثمّ التفتَ ، فإذا بصفوف من الملائكة والمرسلين والنبيّين ، فقيل : «يامحمّد ـ سلِّم عليهم» . فقال : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» . فأوحى الله إليه : « أنا السلام والتحيّة ، و الرحمة و البركات أنتَ وذرّيّتك » .

ثمّ أوحى الله إليه : «أن لاتلتفت يسارا» ، فأوّل آية سمعها بعد قل هو الله أحد و إنّا أنزلناه ، آية : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ـ فمن أجل ذلك كان السلام واحدة تجاه القبلة ، ومن أجل ذلك كان التكبير في السجود شكرا .

وقوله : «سمع الله لمن حمده» ، لأنّ النبيّ ﷺ سمع ضجّةَ الملائكة

بالتسبيح والتحميد والتهليل ـ ومن أجل ذلك قال: « سمع الله لمن حمده » ، ومن أجل ذلك صارت الركعتان الأوليان كلّما أُحدث فيهما حدثا كان على صاحبهما إعادتهما .

فهذا الفرض الأوّل ، وهي صلاة الزوال ـ يعني صلاة الظهر ـ .

فصل [٤]

[مثال علي عليه السلام في المعراج]

و روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره[1] ، بإسناده عن أبي بردة الأسلمي[2] قال: سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول لعليٍّ عليه السلام : «ياعلي ـ إنَّ الله أشهدكَ معي في سبعة مواطن :

« أمّا أوّل ذلك فليلة أُسري بي إلى السماء ، قال لي جبرئيل : « أين أخوك » ؟ قلت : « خلّفته ورائي » . قال : « ادع الله فليأتك به » . فدعوت الله و إذا مثالك معي ، و إذا الملائكة وقوف صفوف ؛ فقلت : «ياجبرئيل ـ من هؤلاء» ؟ قال : «هم الذين يباهيهم الله بك يوم القيامة» . فدنوت ، فنطقتُ بماكان ويكون إلى يوم القيامة .

١ـ تفسيرالقمي : ٢/٣٤٤ـ٣٤٥ ، تفسير الآية ﴿ ولقد رأى من آيات ربه الكبرى . . . ﴾ . عنه البحار : ١٨/٤٠٥ ، ح١١٢ . و جاء مع اختلاف في الألفاظ في أمالي الطوسي (المجلس الثاني والثلاثون ، ح٢١ ، ٦٤٢) عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام . عنه البحار : ١٨/٣٨٨ ، ح٩٧ و ٤٠/٣٥ ، ح٧٠ . وورد شطر منه في بصائر الدرجات : الجزء الثاني ، باب (٢٠) في الأئمة عليهم السلام أنه عرض عليهم ملكوت السماوات . . . ، ١٠٧ ، ح٣ . عنه البحار : ٢٦/١١٥ ، ح١٦ .

٢ـ كذا في النسخ والمصدر ؛ ولم يذكر في تراجم رجال الحديث والصحابة هذا العنوان ، والأظهر أنه مصحف بريدة الأسلمي كما جاء في بصائرالدرجات .

و الثاني : حين أُسري بي في المرّة الثانية ، فقال جبرئيل : « أين أخوك» ؟ قلت : «خلّفته ورائي» . قال : «ادع الله فليأتك به» . فدعوت الله ، فاذا مثالك معي ، فكشط لي عن سبع سماوات حتّى رأيت سكّانها وعمّارَها وموضع كلّ ملك منها .

والثالث : حين بعثت إلى الجنّ ، فقال لي جبرئيل : «أين أخوك» ؟ قلت : «خلّفته ورائي» . فقال : «ادع الله فليأتك به» ، فدعوت الله فإذا أنت معي ، فاقلت لهم شيئا إلاّ سمعته .

الرابع : خُصّصنا بليلة القدر وليست لأحد غيرنا .

والخامس : دعوت الله فيك ، و أعطاني فيك كلّ شيء إلاّ النبوّة ، فإنّه قال : « خصصتك به[1] وختمتها بك » .

والسادس : لمّا أُسري بي إلى السماء جمع الله لي النبيّين فصلّيت بهم ومثالك خلفي .

والسابع : هلاك الأحزاب بأيدينا » .

وهذا الحديث كما ترى يدلّ على أنّ الإسراء كانت مرّتين موافقا لما ذكره بعض العامّة ، وأنّ مثال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام كان معه في جميع الوقايع .

[خاطبني ربي بلغة عليّ بن أبي طالب]

و روى ابن عمر[2] قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله - واسأل : « بأيّ

١ـ المصدر : بها .

٢ـ مناقب الخوارزمي : الفصل السادس في محبة الرسول صلى الله عليه وآله إياه عليه السلام ، ٣٧ .

لغة خاطبكَ ربُّكَ ليلةَ المعراج » ؟ ـ فقال : « خاطبني بلغة عليِّ بن أبي طالب ، فأُلهمت أن قلت : يارَبِّ خاطبتَني أم عليٌّ» ؟

فقال : « ياأحمد ـ أنا شيء ليس كالأشياء ، ولا أُقاس بالناس ، ولا أُوصف بالأشياء ، خلقتُكَ من نوري ، و خلقتُ عليًا من نورك ، فاطّلعتُ على سراير قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبَّ من عليِّ بن أبي طالب ، فخاطبتك بلسانه كي يطمئنَّ[1] قلبُك» .

ـ كذا في كشف الغمّة[2] ـ .

فصل [٥]

[وصف البراق وسدرة المنتهى]

قيل في وصف البُراق[3] : إنّها دابّة وجهها كوجه الإنسان ، وآذانها كآذان الفيلة ، وعرفها كعرف الفرس ، وقوائمها كقوائم البعير ، و ذنَبها كذنَب البقرة .

وقيل : إنّ في فخذيه جناحين يحفّ بها رِجليه ، سمّي بـ«البراق» لبريق لونه ، أو لإشراق نوره ، أو لسرعة ذهابه .

وقيل في سدرة المنتهى[4] : أنّه ينتهي إليها كلّ أحد من أُمّته . وهي

١ـ في هامش النسخة : كيا يطمئن ـ خ ل .

٢ـ كشف الغمة : في محبة الرسول ﷺ إياه . . . : ١/١٠٦ ، عنه البحار : ٣٨/٣١٢ .

٣ـ جاء ما يقرب منه في قصص الأنبياء : الفصل السادس من الباب العشرون ، ح٤٠٦ ، ٣٢٥ . ومثله في مناقب ابن شهرآشوب : فصل في معراجه ﷺ ، ١/١٧٧ .
البحار : ١٨/٣٧٥ ، ح٨١ . ١٨/٣٨١ ، ح٣٨٦ .

٤ـ مضى في حديث المعراج « . . . أن الورقة منها تظل أمّة من الأُمم . . . »

شجرة يسير الراكب في ظلّها سبعين عاما، وأنّ ورقه[1] مثل مظلّة الخلق يغشاها نور، وغشيها الملائكة، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [١٦/٥٣].

و روى: أنّها من أصل العرش، وأنّها على رءوس حملته كأنّ ثمرها القلال، يغشاها فراش من ذهب[2]، إذا غشيها من أمر الله ما غشى تغيّرت فما يستطيع أحد من الخلق أن ينعتها من حسنها.

وقيل: إنّها تحمل الحلي و الحلل و الثمار من جميع الألوان لأهل الجنّة، على كلّ ورقة منها ملك يسبّح الله تعالى، لوأنّ ورقة منها وُضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، وأنّها هي شجرة طوبى.

[وصف إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام]

و روي أنّ النبي ﷺ وَصَفَ لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى، فقال: «أمّا إبراهيم: فلم أر بصاحبكم أشبه رجلا منه، ولا صاحبكم أشبه به منه. وأمّا عيسى[3]: فرجلٌ أحمر بين الطويل والقصير، سبط

١ـ كتب فوقها: منها ظ.

٢ـ جاء في الترمذي في وصف السدرة (كتاب صفة الجنة، باب (٩) ماجاء في صفة ثمار أهل الجنة: ٦٨٠/٤، ٢٥٤١): «... فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القلال».

٣ـ سقط هنا وصف موسى. وجاء في مسلم (كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله: ١٥٣/١، ح٢٧١) و المسند (٣٣٤/٣): «... فإذا موسى ضَرْبٌ من الرجال كأنه من رجال شَنُوءة، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبَهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ، فإذا أقرب من رأيت به شبَهاً صاحبكم ـ يعني نفسَه ...». وجاء أيضا في مسلم (١٥٤/١، ح٢٧٢): «... لقيت موسى ... فإذا رجُل مضطرب الرأس كأنه من رجال شنوءة ـ قال: ـ ولقيت عيسى ... فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس ـ يعني حماما ـ ... ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ـ وأنا أشبه ولده به».

الشعر كأنّه يخرج من ديماس، يخال رأسه يقطّر ماء ـ ليس به ماء ـ أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي[1] ».

واختلف في الإسراء[2] : هل كان قبل الهجرة بسنة ، أم كان قبل البعثة ؟

وهل كان في دار أمّ هاني، أم في المسجد، أم في الأبطح ؟

بروحه كان أم بجسده ؟

في اليقظة أو المنام ؟

وهل فُقِد تلك الليلة جسدُه الشريف، أم لا ؟

و أنت يمكنك أن تعرف الحقّ في الأخيرة ممّا أعطيناك من الأصول في تحقيق النفس الإنسانيّة والأرواح المتعلقة بها وأحوال المعجزات وغيرذلك .

* * *
* *
*

١ـ من الصحابة، أسلم وخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، فرموه بالنبل وقتلوه (أسد الغابة : ٣/٥٢٨ـ٥٢٩، الترجمة ٣٦٥٢) .

٢ـ تفسيرالفخر الرازي : سورة الإسراء، ٢٠/١٤٦ـ١٤٧ .

فصل [٦]

قيل : كان في الإسراء برسول الله ﷺ بلاء وتمحيص وأمر من الله تعالى في قدرته وسلطانه، وحكمة بالغة وعبرة لأُولي الألباب، وهدىً ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق وكان من أمر الله على يقين .

فأسرى به كيف شاء، وكما شاء، ليُريه من عجائب آياته ما أراد، حتّى عايَن ما عايَن من غيوبه، ومكنون ملكوته، وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها مايريد .

وفي بعض الروايات[1] :

إنَّ الله جمعَ له الأنبياء في بيت المقدّس ، فيهم إبراهيم و موسى وعيسى ، فصلّى بهم كما أمَّ أهلَ السماء، ليتمّ له سيادة أهل السماوات والأرض والشرف عليهم .

وفي رواية[2] :

إنَّ الأنبياء أثنوا على ربِّهم ، و إنَّ محمّدا أثنى على ربِّه ، فقال : «الحمدلله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافّة للناس ، بشيرا ونذيرا، وأنزل عليّ القرآن فيه تبيان كلّ شيء، وجعل أُمّتي خير أُمّة أُخرجت

---

١ ـ جمع الأنبياء في بيت المقدس و إمامته ﷺ عليهم ، وكذا إمامته لأهل السماوات مضى في أحاديث المعراج .

٢ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل : باب أن النبي ﷺ عرج به إلى السماء : ٢/ ٤٠٠ـ٤٠١ .

للناس ، وجعل أُمّتي أُمّة وسطا ، و جعل أُمّتي هم الأوّلون و هم الآخرون، وشرَح لي صدري، و وضع عنّي وِزري، ورفَع لي ذكري، وجعلني فاتحا وخاتما ».
فقال إبراهيم : « بهذا فضّلكم محمّد »[1] .

وفي رواية[2] : قال الله ـ تعالى ـ له : « سَل ».

قال : «إنّك اتّخذتَ إبراهيم خليلا ، وأعطيتَ سليمان مُلكا عظيما ـ سخّرت له الإنس والجنّ والشياطين والرياح ، وأعطيته ملكا لاينبغي لأحد من بعده ـ وعلّمت موسى التوراة ، وعيسى الإنجيل ، وجعلته يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ، وأعذته وأمّه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له عليهما من سبيل».

فقال له ربُّه : «قد اتّخذتك حبيبا ، فهو مكتوبٌ في التوراة : «محمّد حبيب الرحمان» ؛ وأرسلتك للناس كافّة ، وجعلتُ أُمّتك هم الأولون وهم الآخرون ، وجعلت أُمّتك لاتجوز لهم خطبة حتّى يشهدوا أنّك

---

١ ـ كتب في هامش النسخة ـ ويظهر من خطه أن الكاتب غيرالمؤلف ـ :

هرگز دلم به درد تو از کس دوا نخواست
کام تو جست و حاجت خود را روانخواست
مشتاق تو به هیچ جمالی نظر نکرد
بیمار تو زهیچ طبیبی دوانخواست
بر ما دلت نسوخت ، ندانم چرا نسوخت
ما را دلت نخواست ، ندانم چرانخواست

٢ ـ أخرجه البيهقي مع إضافات في الدلائل : باب الدليل على أن النبي ﷺ عرج به إلى السماء : ٤٠٢/٢ . وجاء ما يقرب منه في البحار : ٣٠٥/١٨ ، ح١١ ، عن كتاب المحتضر مع اختلافات في اللفظ .

عبدي ورسولي ، وجعلتك أوّل النبيّين خلقا وآخرهم بعثا ، وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيّا قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي ، وجعلتك فاتحا وخاتما» .

ـ رواه العامة ـ .

* * *

وقيل[1] ـ في قوله عزّ وجلّ : ﴿ لَقَد رَأى مِن آياتِ رَبِّه الكُبرى ﴾ [١٨/٥٣] ـ : إنّه رأى جبرئيل في صورته .

وقيل[2] : رأى رَفرَفا أخضر قد سدّ الأُفق .

وقيل : أراه الله من غيوبه وأسراره ما لم يطلع عليه نبيّا قبله ، وأوحى إليه فيما أوحى إليه : أنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى تدخلَها أنت ، وعلى الأمم حتّى تدخلها أُمّتك .

* * *

قيل : إنّ معجزة الإسراء معجزة عظيمة لايبلغها معجزة من معجزات سائر الأنبياء ، وإن كان لبعض الأنبياء معاريج :

فعراج نوح : في السفينة حين طافت في أقطار البَرّ وظاهر البحر ، وشاهَد أُمورا من عجائب ذلك .

ومعراج يونس في بطن الحوت ، وأنّه غاض به إلى الأرض السابعة

---

١ ـ راجع البخاري : كتاب التفسير ، سورة النجم : ١٧٦/٦ .
دلائل النبوة : الباب السابق : ٣٦٨/٢ و ٣٧٠ .

٢ ـ البخاري : الصفحة المذكورة . وجاء في الدلائل (الباب السابق : ٣٧٢/٢) : «. . . قد ملأ الأُفق . . .» .

واطّلع على غوامض من مكنون ذلك، فهو معراج ـ أيضا ـ و إن كان تدليًا بالنسبة إلى خلقتنا، إذ عِلمُ الله سبحانه به ـ وهو في قرار البحر ـ كعلمه بالنبيّ[1] ﷺ وهو فوق طباق السماوات السبع، لأنّه ـ تعالى ـ منزّه عن الجهات، وقُربه بالزلف والكرامات، لا بقطع المسافات.

وكذا معراج غيرهما من الأنبياء.

لكنَّ لنبيّنا ﷺ في معراجه خصائص عظيمة، وكرامات جليلة،
ومعارف ربّانيّة، ولطائف رحمانيّة، ومواهب ملكوتيّة،
وبوارق نورانيّة، وطرف حسيّة، وتحف معنويّة،
وعلوم قلبيّة، وأسرار سريّة، ودقائق خفيّة،
وحقائق جليّة، ومشاهدات غيبيّة،
وأخلاق نبويّة، وأوصاف زكيّة،
وترويحات روحانيّة في حظائر قدسيّة،
ومقاعد صدقيّة، وتقريبات عنديّة،
من غير كيفيّة ولا أينيّة،
فاق بها على سائر البريّة،
ونال بها السعادات الأبديّة السرمديّة
ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ

* * *
* *
*

١ـ في هامش النسخة: بنبينا ل.